تراثنا

مختار الأغاني
في
الأخبار والتهاني

اختيار

ابن منظور محمد بن مكرم

٦٣٠ هـ — ٧١١ هـ

الجزء الرابع

تحقيق

محمد أبو الفضل إبراهيم

المؤسسة المصرية العامة للتأليف والأنباء والنشر
الدار المصرية للتأليف والترجمة

خرج هذا الكتاب بالتعاون

مع

معهد المخطوطات العربية بجامعة الدول العربية

القاهرة

١٣٨٥هـ — ١٩٦٥م

طبع بمطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه

ج ٠ ع ٠ م ٠

بسم الله الرحمن الرحيم

حرف الرّاء

ربيعة بن مكدَّم*(1)

تَرجَمَ صاحبُ الأصل على هذه الأخبار التي أوردتُها هنا تَرجمتين: يوم الكَدِيد(2)، ويوم الظعينة. وقد ترجمتُه أنا على هذا الاسم؛ لأنّه أشهرُ من تلك الواقعتين، والله أعلم.

هو ربيعة بنُ مكدَّم بنِ عامرِ بنِ حُرْثان(3) بنِ جَذِيمةَ بنِ علقمةَ بنِ جِذْل الطِّعان بنِ فِراس بنِ غَنم بنِ ثعلبة بنِ مالك بنِ كِنانة. أحدُ فُرسانِ مُضَرَ المعدودِين، وشجعانِهم المشهورِين؛ قَتَلَه نُبَيْشَـه بنُ حبيبٍ السُّلَمىُّ فى يوم الكَدِيد.

وهو كما قال أبو عبيدة: وقع تَدارُؤٌ(4) بين نَفَرٍ من بنى سُلَيم بن منصور، وبين نَفَرٍ من بنى فِراس بنِ مالك بنِ كِنانة، فقتل بنو فراس رجُلَيْن من بنى سُلَيم، ثم وَدَوْهُما، ثم ضَرب الدهرُ ضَرَبَهُ، فخرج نُبَيْشة بنُ حَبيب السُّلَمِىُّ غازيا، فلقِىَ

---

* الأغانى ١٦ : ٥٦ ــ ٧٨ (طبعة دار الكتب).

(١) ب، ج: «مكرّم» بالراء تصحيف.

(٢) الكديد، كأمير: موضع على اثنين وأربعين ميلا من مكة.

(٣) ب، ج: «جوبان» تحريف.

(٤) وردت هذه الكلمة فى ب، ج محرفة مضطربة؛ والصواب ما أثبته من الأغانى.

ظُعُناً من بنى كنانَة بالكَديد ، فى رَكْبٍ من قومهم ، وبَصُرَ بِهِمْ[1] نفرٌ من بنى فِراس بنِ مالك ، فيهم عبدُ الله بنُ جِذْل الطِّعان ، والحارث بن مكدَّم أبو الفارعة ـ وقيل : الفرْعة ـ وأخوه ربيعةُ بنُ مكدَّم، وهو مجدور[2] يومئذٍ يُحمل فى مِحَفّة ، فلما رآهم أبو الفارعة قال : هؤلاء بنو سُلَيم يطلبون دماءهم .

فقال ربيعة : أنا أذهَب حتّى أعلمَ عِلْمَ القوم وآتيكم بخبرِهم . فتوجّه نحوهم ، فلما وَلَّى قال بعضُ الظُّعُن : هربَ ربيعة . فقالت أختُه أمّ عَـزّةَ بنت مكدَّم : أين تنتهى فرّة الفَتَى ؟ فعَطَف وقد سمع [قول النساء][3] فقال :

لقد عَلِمْنَ أنّنِى غيرُ فَرِقْ[4] ... لأَطْعُنَنَّ طَعْنَةً وأَعْتَنِقْ[5]

أُعمِلُ فِيهمْ حينَ تحْمَرُّ الحَدَقْ ... عَضْباً حُساما وسِناناً يأْتَلِقْ

ثم انطَلَق يعدُو به فرَسُه، فحَمَل عليه بعضُ القوم ، فاستطرَد[6] له فى طريق الظُّعُن، وانفرَد به ربيعة فقتَله ، ثم رماه نُبَيْشة أو طعَنه، فلَحِق بالظُّعُن يَسْتَدْمِى[7] حتّى انتَهى إلى أمّه أمِّ سَيّار . فقال : شُدِّى على يَدِى عِصابة ، وهو يرْتَجز ويقول :

شُدِّى علىَّ العَضْبَ أمَّ سَيّارْ ... فقد رُزِئْتِ فارساً كالدِّينارْ

* يَطْعُنْ بالرُّمْح أمام الأَدْبارْ *

---

(١) ب ، ج : « ونصرتهم » ، تصحيف ، والصواب ما فى الأغانى .

(٢) المجدور : المصاب بالجدرى .

(٣) زيادة من الأغانى .

(٤) الفرق ، ككتف : الخائف الوجل .

(٥) العناق والاعتناق بمعنى .

(٦) استطرد له ، أراه أنه يتقهقر ؛ خداعا له .

(٧) ب ، ج : « يشتد » ؛ والصواب ما أثبته من الأغانى .

فقالت أُمه :

إنّا بنو ثَعلبةَ بن مالكِ مُرَزَّأٌ خيارُنا كذلكِ

من بينِ مقتولٍ وبين هالكِ ولا يكون الرُّزْءُ إلّا ذلكِ

وشَدّت أمُّه عليه عِصابةً فاستقاها ماءً ، فقالت له أمُّه : إن شربْت الماءَ مُتَّ ، فكرَّ على القوم ، فكرَّ عليهم راجعا يَشدُّ عليهم فنَزَفَه الدَّمُ حتى أُثخِن[1] .

فقال للظُّعُن : أَوْضِعْن[2] رِكابَكُنّ خَلْفِى حتى تَنْتَهِين إلى أدنى بيوتِ الحىّ ، فإنّى لِمَا بى سوفَ أقِفُ دونَكنّ لهم على العَقَبَة ، وأعتمِد على رُمحى ، فلن يُقدِموا عليكُنّ لمكانى[3] ، ففعلن ذلك ، فنجون إلى مَأمَنِهِنّ .

قال أبو عمرو بنُ العَلاء : ولا نعلم قتيلا ولا ميّتا حَمَى الظّعائنَ وهو ميّت غيرَه ؛ وإنه يومئذ لَغلامٌ له ذُؤَابة ، فاعتَمَد على رمحه ، وهو واقفٌ لهنّ على مَتْن فَرَسِه ؛ حتى بَلَغْن مَأْمَنَهُنّ ، وما تَقدّم القومُ عليه . فقال نُبَيْشَة بنُ حبيب : إنّه لمائل العُنق ، وما أظُنّه إلّا قد مات ؛ فأمر رجلا من خُزاعَة أن يَرْمِىَ فَرَسَه ، فرماها ، فقَمَصَتْ[4] ، فمالَ عنها ميّتا .

[قال][5] ويقال : إنّ نُبَيْشَة هو الّذى رَمَى فرسَه . فانصرفوا عنه ، وقد فاتَهُم الظُّعُن ، ولحقوا يومئذ أبا الفَرْعة الحارث ، فقتلوه ، وألْقَوْا على ربيعةَ أحجارا ، فمرّ به رجلٌ من بنى الحارث بن فِهر ، فنفَرتْ ناقتُه من تلك الأحجار الّتى على قبرِ ربيعة ، فقال

---

(١) نزفه الدم : سال منه بغزارة ، وأثخن ، أى ضعف من الجراحة .

(٢) الإيضاع : ضرب من السير ، سريع .

(٣) وردت هذه الكلمة محرفة فى ب ، ج ؛ والصواب ما أثبته من الأغانى .

(٤) قمصت الفرس ؛ إذا رفعت يديها وطرحتهما معا .

(٥) تكملة من الأغانى .

يرثيه ويعتذر ألّا يكون عقر ناقته على قبره، ويحضّ على قتَلَته ويعيّر من فرّ وأسلمه من قومه:

نفرتْ قلوصى من حجارة حَرّةٍ ... بُنيتْ على طَلْقِ اليدَيْن وَهوبِ(1)

لا تنفِرِى يا ناقُ منه فإنّه ... شِرّيبُ خَمْرٍ مِسْعَرٌ لِحُروبِ(2)

لولا السِّفارُ وبُعْدُ خَرْقٍ مَهْمَهٍ ... لتركتُها تحبو على العُرقوبِ(3)

فرَّ الفوارس عن ربيعةَ بعدَ ما ... أنجاهمُ من غمْرةِ المكروبِ(4)

يدعو عليًّا حينَ أسلمَ ظهرَه ... فلقد دَعَوْتَ هناك غيرَ مُجيبِ

لله دَرُّ بنى علىٍّ إنّهم ... لم يُحمِشوا غزْوًا كوَلْغ الذِّيبِ(5)

نِعمَ الفَتى أدَّى نُبَيْشةَ بَزَّهُ ... يومَ الكَديد نُبَيْشة بنُ حبيبِ(6)

لا يَبعَدنّ ربيعةُ بنُ مكدَّمٍ ... وسَقَى الغَوادِى قبرَه بذَنُوبِ(7)

ويقال: قائلُ هذا الشعر محمّدُ بنُ ضِرار بنِ الخطّاب بن مِرْداس، أحدُ بنى مُحارب ابن فِهر.

ويقال: هو لضرارٍ أبيه؛ ويقال: هو لعمرو بن شقيق أحد بنى فِهر بن مالك؛ ويقال: هو مِكْرَز بن حَفْص بن الأحنف الكنانىّ العامرىّ. ويقال: هو حسان(8) ابن ثابت، وعمرو بن شقيق أولى بها.

---

(١) القلوص: الشابة الفتية من الإبل، والحرة: الحجارة السود.

(٢) فى الأغانى: «سباء» خمر، وسباء: مشتريها. ومسعر الحرب: موقدها.

(٣) الخرق: الفلاة الواسعة تنخرق فيها الرياح؛ أى يشتد هبوبها. والمهمه: المفازة المقفرة

(٤) فى الأغانى: «غمة المكروب».

(٥) لم يحمشوا: لم يحرضوا، وفى ب، ج: «لم يحمسوا»، وما أثبت من الأغانى.

(٦) البز: السلاح.

(٧) الغوادى: جمع غادية؛ وهى السحابة، والذنوب: الدلو فيه ماء.

(٨) ب: «الحارث» تصحيف؛ وقد أورد صاحب العقد فى الجزء الأول ص ١٣٦ ثلاثة أبيات منها منسوبة إلى حسان؛ وليست فى ديوانه.

وقال عبدُ الله بنُ جذْل الطِّعان ، واسمه بَلْعاء :

لأطالبنْ ربيعة بن مكدَّمٍ حتى أنال عُصَيَّةَ بن معيصِ (١)

ـ عصيّة بن معيص بن عامر بن لؤىّ بن غالب ـ

يَقتادُ كل طِمِرَّةٍ مَمْحوصَةٍ ومقلِّصٍ عَبْلِ الشَّوَى مَمْحوصِ (٢)

وقال ابنُ جِذْلِ الطِّعان أيضا فى ذلك :

ألا لله دَرُّ بنى فِراسٍ لقد أَوْرَيْتُمُ حزناً وَجيعاً (٣)

غداةَ ثوى ربيعةُ فى مَكَرٍّ تَمُجُّ عُروقه عَلَقاً نَجيعا (٤)

فلن أنسَى ربيعة إذ تعالَى بكاءُ الظُّعْنِ يدعو : يارَبيعا

وقالت أم عمرو أختُ ربيعة ترثى أخاها ربيعة :

ما بالُ عَيْنَيْك منها الدمعُ مُهْراقُ سَحًّا فلا عازبٌ منها ولا راقى (٥)

أَبكى على هالكٍ أودى وأورثَنى بعد التّفرُّق حُزْناً بعده باق

لو كان يَرجعُ مَيْتاً وَجْدُ ذى رَحِمٍ أَبقى أَخى سالمًا وَجْدى وإشفاق

أو كانَ يُفدَى لكان الأهلُ كلُّهُمُ (٦) وما أُثمِّرُ من مالٍ له واقِ

---

(١) فى الأغانى : « لأطلبن » .

(٢) يقتاد : يقود، والطمرة : الفرس المستعدة للوثب والعدو . والممحوصة : القليلة لحم القوائم التى خلصت من الرهل . والمقلص : الطويل القوائم المنضم البطن . وعبل الشوى : ضخم الأطراف ، وفى ب ، ج : « ممحوض » تحريف .

(٣) فى الأغانى : « لقد أورثتم » . وأوريتم : أثرتم وأهجتم ؛ من ورى النار وأوراها ؛ إذا أوقدها .

(٤) ثوى : أقام ، والمكر : موضع الحرب . وتمج عروقه : ترمى بدمها ، والعلق ، بالتحريك الدم ، والنجيع : المصبوب .

(٥) راقى ، مخفف « راقىء » ، وهو الساكن .

(٦) ب ، ج : « لو كان » ، والصواب ما أثبته من الأغانى .

لـكنْ سِهـامُ المنـايا من نصِبنَ له ... لَم يُنجِـه طِبٌّ ذى طبٍّ ولا راقِ
فاْذهبْ فلا يُبْعدَنْك اللهُ من رجلٍ ... لاقَى الّذى كلُّ حىٍّ مِثْلَه لاقِ
فسوفَ أبـكيكَ ما ناحتْ مطوَّقة ... وما سَرَيْتُ مع السّارِى على ساقِ
أبـكَى لذكْرَته عَبْرَى مفجَّعةً ... ما إنْ يَجِفُّ لها من ذُكْرَةٍ مَاقِ(١)

وقال عبد الله يرثيه :

نادَى الظَّعائنُ يا ربيعةُ بعدَ ما ... لَمْ يَبْقَ غيرُ حُشاشةٍ وفُواقِ(٢)
فأجابَها والرُّمْحُ فى حَيْزُومِه ... أنفاً بطعنٍ كالشَّعيبِ رُفاقِ(٣)
يا رَيْطَ إنّ ربيعةَ بنَ مـكدَّمٍ ... وربيع قومِك آذنَا بفراقِ
ولئن هلـكتَ لَرُبَّ فارسِ بُهْمةٍ(٤) ... فرّجْتَ كُرْبَتَه وضيقَ خناقِ

ولمّا مرّ حسّانُ بنُ ثابتٍ بقبر ربيعةَ بن مكدَّم الـكنانىّ بثَنِيَّةِ كَعْب ـ وقيل : ثَنيّة غَزال ـ وقال أبياته الّتى هى :

* نَفَرتْ قلوصِى من حِجارةِ حَرَّةٍ *

حتّى قال :

لولا السِّفارُ وبُعْدُ خَرْقٍ مَهْمَهٍ ... لتركْتُها تَحْبُو على العُرقوبِ

فبلغ شعرُه بنى كنانة ، فقالوا : واللهِ لو عَقَرَها لسُقْنا إليه ألفَ ناقةٍ سوداء الحدَق.

خـرج دُرَيْد بنُ الصِّمّة فى فوارسَ من بنى جُشَم ، حتى إذا كانوا بوادٍ لِبنى كِنانَة ، يقال له : أَخْرَم ، وهو يريد الغارة على بنى كنانة ، رُفِع لهم رجلٌ

---

(١) ماق ، مخفف « مأق » .

(٢) الفواق : ريح يخرج من المعدة إلى الفم ؛ أراد أنه يلفظ أنفاسه الأخيرة .

(٣) الشعيب : المزادة .

(٤) البهمة : الجيش .

فى[1] ناحية الوادى مع ظعينته[2] ، فلما نظر إليه ، قال لفارسٍ من أصحابه : صِحْ به أَنْ خَلِّ عن الظّعينة وأَنْجُ بنفْسك ـ وهو لايعرفه ـ فانتهى إليه الرجلُ ، فصاح عليه[3] وألحّ ، فلما أتى ألقَى زمام الراحلة وقال للظعينة :

سِيرِى على رِسْلِكِ سَيْرَ الآمِنِ   سَيْرَ رَداحٍ ذاتِ جَأْشٍ ساكنِ[4]
إنّ انثنائى دُون قِرْنى شائنى   وابْلِى بلائى وأَخْبِرِى وعايِنِى

ثم حمل على الفارس فطعنة فقتَلَه وأخَذَ فرسَه ، فأعطاه الظّعينة ، فبعثَ دريدٌ فارسا آخر يَنظُر ما صَنَع صاحبُه ، فرآه صريعا ، فصاحَ به فتَصامَمَ عنه ، فظنّ أنّه لم يَسْمَع فغَشِيَه ، فألقَى الزِّمامَ إليها ، وحَمَل على الفارس فصرَعه ؛ وهو يقول :

خَلِّ سبيلَ الحُرّة المَنيعهْ   إنّك لاقٍ دونَهـا ربيعهْ
فى كَفِّه خَطِّيّةٌ مُطيعهْ[5]   أَوْلَا فخُذْها طعنةً سَريعهْ

* والطّعن منّى فى الوَغَى شَريعهْ *

فلمّا أبطأَ على دُرَيد ، بعث فارسا آخرَ لينظر ما صنعا ، فانتهى إليهما فوجدهما صريعَيْن ، ونظر إليه يقود ظعينتَه ، ويجُرّ رُمحَه ، فقال الفارس : خَلِّ عن الظّعينة . فقال لها : اقصِدِى قصدَ البيوت ؛ ثم أقبَل عليه فقال :

ماذا تُريد من شَتِيمٍ عابِسِ[6]   أَلَم تَرَ الفارسَ بَعْدَ الفارسِ

* أَرْداهُمَا عامِلُ رمحٍ يابِسِ *

---

(١) كذا فى ب ، ج ، وفى الأغانى : « من ناحية الوادى » .
(٢) الظعينة : المرأة ما دامت فى الهودج ؛ وفى الأغانى : « معه ظعينة » .
(٣) فى الأغانى : « فصاح به » .
(٤) امرأة رداح : عجزاء ثقيلة الأوراك تامة الخلق .
(٥) خطية ، يريد رمحا ، والرماح تنسب إلى الخط ، ثغر بالبحرين .
(٦) الشتيم : الأسد الكريه المنظر .

ثم طعنه فصرعه ، وأنكسر رُمحُه ، فأرتاب دريدٌ وظنّ أنهمْ قد أخذوا الظَّعينة وقتلوا الرّجلَ ، فلَحِق بهم ، فوجد ربيعةَ لا رمحَ معه ، وقد دنا من الحيّ ، ووجد القومَ قد قُتِلوا .

فقال له دُرَيْد : أيّها الفارس ، إنّ مِثلَك لا يُقتَلُ ، وإن الخيلَ ثائرةٌ بأصحابها ، ولا أرَى معك رُمْحا ، وأراكَ حديثَ السّنّ ، فدُونَك هذا الرُّمح ! فإنّى راجعٌ إلى أصحابى فمثبِّطٌ عنك . فأتى دُرَيد أصحابَه وقال : إن فارس الظَّعينة قد حَماها وقتل أصحابكم(١) ، وانتزَع رمحى ولا طمع لكم فيه ؛ فأنصرَف القوم ؛ وقال دريد فى ذلك :

ما إنْ رأيتُ ولا سمعتُ بمثلِه ... حامى الظعينةِ فارساً لم يُقتَلِ
أَرْدَى فوارسَ لم يكونوا نُهْزَةً ... ثم أستمرَّ كأنّه لم يَفْعَلِ(٢)
متهلِّلٌ تبدو أسِرّةُ وجهه ... مِثلَ الحسام جَلاه كَفُّ الصَّيْقَلِ(٣)
يُزْجى ظعينتَهُ ويَسْحَبُ رمحه ... متوجِّهاً يُمناه نحوَ المنزل(٤)
وتَرَى الفوارسَ من مخافةِ رمحِه ... مِثلَ البغاثِ خَشِين وقْعَ الأجْدَلِ(٥)
ياليت شعرى ! مَن أبوه وأُمُّه؟ ... ياصاحِ مَنْ يَكُ مِثْلَهُ لم يُجْهَلِ !

وقال ربيعة :

إن كان يَنفعُكِ اليقينُ فسائِلى ... عنّى الظعينةَ يومَ وادى الأَخْرَمِ

---

(١) الأغانى : « فوارسكم » .
(٢) النهزة : الفرصة .
(٣) فى الأغانى : « جلته كف الصيقل » ؛ والصيقل : جلاء السيوف .
(٤) يقال : توجه فلان يمينه ويمناه ؛ أى توجه ظافرا ؛ وضده : توجه فلان شماله ؛ أى على أمر مشئوم . وفى إحدى نسخ الأغانى « يمناه » .
(٥) البغاث : الطيور الضعيفة . والأجدل : الصقر .

هل هي لأوّل من أتاها نُهزةٌ ... لولا طِعانُ رَبيعةَ بنِ مكدَّمِ
إذ قال لي أوفَى الفوارِس منهُم: ... خَلِّ الظَّعينـةَ طائعًا لا تنـدمِ[1]
فصرفتُ راحلةَ الظَّعينة نحوَه ... عَمْدًا ليَعلمَ بعضَ ما لَمْ يَعْلَمِ
وهتكْتُ بالرُّمح الطّويل إهابَه ... فهَوَى صريعاً لليدَيْن وللفمِ
ومَنحتُ آخر بعـدَه جيّاشَـة ... نَجْلَاء فاغِرَةً كشدْقِ الأعْلَمِ[2]
ولقد شَفَعْتُهما بآخَرَ ثالثاً ... وأبى الفِرَارَ لي الغَدَاةَ تـكرُّمِي[3]

فلَمْ يَلبث بنو مالك بنِ كنانة ، رهط ربيعة بنِ مكدَّم، أن أغاروا على بني جُشَم رهط دُرَيد، فقتَلُوا وأسَرُوا وغَنِموا وأسَرُوا دريدَ بنَ الصِّمة ، وأخفَى نفسَه . فبينا هو عندهم محبوس ، إذ جاء نسوةٌ يتهادَيْن إليه ، فصرخَتْ امرأةٌ منهنّ ، وقالت : هلَكتمْ وأهلَكتم : ماذا صنعتم[4] ! هذا والله الّذى أعطى ربيعةَ رمحَه يومَ الظَّعينة ، ثم ألقتْ عليه ثوبَها ، وقالت : يا آلَ فِراس ، أنا جارةٌ له منكم ، هذا صاحبُنا يومَ الوادى ، فسألوه مَنْ هو ؟ فقال : أنا دُرَيد بنُ الصِّمّة ، فمن صاحبي ؟ قالوا : ربيعة ابن مكدَّم . فقال : ما فعَل ؟ قالوا : قتَلَه بنو سُلَيم . قال : فمن الظَّعينةُ الّتى كانت معه ؟ قالت المرأة : رَيْطة بنتُ جِذْل الطِّعان ، وأنا هي، وأنا امرأتُه ؛ فأطلقَه القوم، وذَمّوا أنفسَهم[5] ، وقالوا : لاينبغي أن تُكْفَر نعمةُ دُرَيْد على صاحبنا.

وقال بعضهم : لا والله ، لَا يخرج من أيدينا إلّا برضا المخارِق الّذى أسَرَه ؛ فانبعثَت المرأةُ في اللّيل تقول :

(١) في الأغاني : « أدنى الفوارس ميتة » .
(٢) جياشة ، أي طعنة تجيش .
(٣) كذا في الأغاني ، وفي ب ، ج : « إلى العداة » .
(٤) في الأغاني : « ماذا جر علينا قومنا » .
(٥) في الأغاني . « وآمروا أنفسهم » .

سَنَجْزِى دُرَيْدًا عن ربيعةَ نعمةً ... وكلُّ فتًى يُجْزَى بما كان قدَّما
فإن كان خيراً كان خيرا جزاؤُه ... وإن كان شرًّا كان شرًّا مذمَّما
سَنجزِيه نُعْمَى لم تكن بصغيرةٍ ... بإعطائه الرُّمحَ السديدَ المقوَّما
فقد أَدركتْ كفَّاه فينا جزاءَه ... وأهلٌ بأن يُجْزَى الذى كان أنعما
فلا تكفُروه حق نعماه فيكمُ ... ولا تركبوا تلك التى تملأ الفما
فلو كان حيًّا لم يضق بثوابه ... ذرعاً غنيًّا كان أو كان مُعدِما
ففُكُّوا دُرَيْداً من إسارِ مُخارقٍ ... ولا تجعلوا البُؤْسَى إلى الشرّ سُلَّما

فأصبح القومُ فتعاوَنوا بينهم ، فأَطلقوه وكسَتْه رَيْطةً وجهّزتْه ، ولَحِق بقومه ، ولم يزل كافًّا عن غزوِ بنى فراس حتّى هَلَك .

سأل عمرُ بنُ الخطّاب ــ رضى الله عنه ــ عمرَو بنَ معدِى كربَ الزُّبيدىَّ : مَن أشجعُ من رأيت ؟ فقال : والله يا أميرَ المؤمنين ، لأَخبرنَّك عن أحْيَل الناس ، وعن أشجَع النّاس ، وعن أجبَن الناس فقال له : هات ، فقال : أربعت المدينة ، فخرجتُ كأحسن ما رأيت ، وكانت لى فرس شَقَّاء مقاء ، طويلة الأنقاء (٢) ، تمطّقُ بالعَرق تمطُّق (٣) الشيخِ بالمَرق ، فركبتُها ، ثم آليت ألّا ألقى أحدا إلا قتلته ، فخرجتُ [وَعَلَىَّ مُقْدِّى] (٤) فإذا أنا بفتًى بين غُرْضَين (٥) ، فقلت له : خُذْ حِذْرَك فإنِّى قاتِلُك ! فقال : والله

(١) كذا فى الأغانى ، وموضعها كلمة فى الأصول غير واضحة .

(٢) شقاء مقاء : طويلة . والأنقاء : جمع نقو ؛ وهو عظم اليدين والرجلين والفخذين . وفى الأغانى : « وكانت لى فرس شمقمقة ، طويلة سريعة الإبقاء .

(٣) التمطق : إلصاق اللسان بالغار الأعلى ؛ فيسمع له صوت عند استطابة الشىء ؛ يريد أن العرق يسيل من وجهها إلى فيها فتتمطق لإلفها الجرى ومزاولة الأسفار .

(٤) تكملة من الأغانى ، والمقد : حديدة يقد بها الجلد ؛ يريد بها سيفه .

(٥) الغرض : شعبة فى الوادى .

ما أنصفتَني يا أبا ثَوْر ، أنَا كما تَرى أعزَل أميَل[١] عُوّارةٌ ـ والعُوّارة الّذى لا تُرْس معه ـ فأَنْظِرْنى حتى آخُذَ نَبْلِى . فقلتُ : وماغَناؤها عنك ! قال : أَمْتنِع بها ، قلت : خُذْها ، قال : لا والله ، أو تعطينى من العهود ما يثلجنى أنّك لا تروّعنى حتّى آخُذَها . قال : فأنْحَلْتُه[٢] . فقال : وإله قريش لا آخذها أبدا ، فسَلِم مِنى وذَهَب[٣] ؛ فهذا أحْيَل الناس .

ثم مضيتُ حتّى اشتمَلَ علىَّ اللّيل ، فإنى لأَسيرُ فى قمرٍ زاهرٍ ، هو كالنّوْر الظّاهر ، فإذا بفتًى على فرسٍ يقود ظمينةً ، وهو يقول :

يا ليتَنا يا ليْتَنا يا لَيْتَنا   يُعْدَى عليناثم نُبْلَى بالدِّما[٤]

ثم يخرِج حنظلةً من مِخلاةٍ فيَرمِى بها فى السّماء ، فلا تبلغُ الأرضَ حتى ينظمها بِعشْقَصٍ[٥] من نَبْله . فصِحْت به : خُذْ حِذْرَك ، ثـكلَتْك أمُّك ! فإنّى قاتلُك . فمالَ عن فرسه ، فإذا هو فى الأرض . فقلت : هذا الاُستخفاف[٦] ، فدنوتُ منه ، فصِحْت به : ويلك ! فما تَحَلْحَلَ ولا تَزايَل عن موضعه ، فشكَكْتُ بالرُّمح إهابَه ، فإذا هو كأنّه قد مات منذ سنة، فمضيتُ وتركتُه . فهذا أجبَنالناس .

---

(١) الأعزل : الذى لا سلاح معه ، والأميل : الذى لا يستقر على الخيل .

(٢) فى الأغانى : « فأثلجته » .

(٣) فى الأغانى : « وذهبت » .

(٤) كذا فى الأصول ، وفى الأغانى :

يا لُدَيْنَا يا لُدَيْنَا   ليتَنا يُعْدَى علينا

* ثم يُبْلَى ما لَدَيْنَا *

(٥) المشقص : نصل طويل غير عريض .

(٦) فى الأغانى : « إن هذا إلا استخفاف » .

ثم مضيتُ فأصبحتُ [بين دكادك هَرْشى إلى غزال](١)، فنظرت، فإذا أبيات، فعدلتُ إليها، فإذا فيها ثلاثُ جَوارٍ كأنهنّ نجوم الثريّا، فبكَيْن حين رأينَنى. فقلت: ما يُبْكيكُنّ؟ فقلن: لما أُتِينا(٢) به منك، ومن ورائنا أختٌ لنا هىَ أجمل منّا، فأشرفت من فَدْفَد(٣)، فإذا بَرْأًى لم أرَ شيئًا قطُّ أحسنَ منه، وإذا بغلام يَخصِف نعلَه، عليه ذُؤَابة يَسْحَبُها، فلمّا نظر إلىَّ وثَب على الفرس مبادرا، ثم ركَضَ فسبَقَنى إلى البيوت، فوَجَدهُنّ قد ارتَعْن، فسمعتُه يقول [لهنّ](٤):

مَهْلًا نُسَيّاتِى إذَنْ لا ترتعنْ إن يُمنَعِ اليومَ نساءٌ تُمْنَعْنْ

* أَرْضِين أذيالَ المُروط وارْتَعْنْ(٥) *

فلمّا دنوتُ منه قال: أتَطرُدنى أم أطرُدك؟ [قلت: أطردك](٦)، فركَضَ وركضتُ فى أثَره حتّى إذا أمكنتُ السِّنانَ من لفتته — واللفتة أسفلَ من الكتف — اتّكأتُ عليه، فإذا هو واللهِ مع لَبَب(٧) فرَسه، ثم استوَى فى سَرْجه؛ فقلت: أَقِلْنى. فقال: اطرد، فتَبِعْتُه حتّى إذا ظننتُ أنّ السِّنان بين ناغِضيه(٨) اعتمدت عليه، فإذا هو والله قائم على الأرض والسنان ماض رائح، ثم استوى

---

(١) تكملة من الأغانى. والدكادك: جمع دكدك؛ وهو ما تلبد من الرمل بعضه على بعض ولم يرتفع كثيرا. وهرشى: هضبة ململمة لا تنبت شيئا؛ على ملتقى طريق الشام وطريق المدينة إلى مكة. وغزال: واد بين هرشى والجحفة.

(٢) فى الأغانى: «لما ابتلينا».

(٣) الفدفد: المكان المرتفع.

(٤) من الأغانى.

(٥) الأغانى: «واربعن».

(٦) زيادة من الأغانى.

(٧) لبب الفرس: نحره.

(٨) الناغض: غضروف الكتف حيث يجىء ويذهب فيه، وفى الأغانى: «ماضغيه».

على فَرَسِه ؛ فقلت : أَقِلْني؛ قال : اطَّرِدْ، فطردْتُه حتى إذا أَمْكَنْتُ السِّنان من مَتْنه اتّكأْتُ عليه ، وأنا أظُنُّ أنِّي قد فرَغْتُ منه ، فمال في سَرْجه[1] حتى نظرتُ إلى يَدَيْه[2] في الأرض ، ومَضَى السِّنانُ رائحا ، ثم قال : أبعد ثلاث تُرِيد ماذا ؟ تطرُدني ثَكِلَتْك أمُّك ! فولَّيتُ وأنا مَرْعوب منه ، فلمّا غشيَنِي ، ووجدْتُ حَدَّ[3] السِّنان التفت ، وإذا هو يَطْرُدني بالرُّمح بلا سِنَان ، فكَفَّ عنّي واُستَنْزَلَنِي ، فنزَلْتُ . ونَزَل وجَزَّ ناصِيَتِي ، وقال : انْطَلِق ، فأنا أنْفَسُ بك عن القتل ، فكان ذلك عندي يا أمير المؤمنين أشدّ من القتل ؛ فذاكَ أشجعُ مَن رأيت .

وسألتُ عن الفتى فقيل : ربيعةُ بنُ مكدَّم الفِراسيّ ، من بني كِنانة . وكان عَمرو بنُ مَعْدي كَرِبَ على عظم محلّه مشهورا بالكَذِب .

قال يونس : قلتُ لخَلَف الأحمر : أكان عَمْرُو يَكذِب ؟ فقال : يَكذِب في المَقال ، ويَصدُق في الفِعَال.

قال سُكَيْنُ بنُ محمّد : دخل عَمرو بنُ مَعْدِي كَرِبَ على عمرَ بنِ الخطّاب رضي الله عنه ، فقال : يا أبا ثور، من أين أقبلْتَ ؟ قال: مِن عند سيِّد بني مخزوم ، أعظمِها هامَةً ، وأمدّها قامةً ، وأقلّها مَلامَةً وأفضَلِها حِلماً ، وأقدَمِها سِلْماً ، وأجرَئِها مُقدَماً . قال : ومن هو ؟ قال : سيف الله ، وسيفُ رسوله[4] صلّى الله عليه وسلّم .

---

(١) الأغاني : « فمال في ظهر فرسه » .

(٢) الأغاني : « إلى يديه » .

(٣) في الأغاني : « حس » .

(٤) يريد خالد بن الوليد .

قال : وأيَّ شيء صنعتَ عندَه ؟ قال : أتيتهُ زائرا ، فدعا لي بكَعْبٍ(١) وقَوْسٍ(٢) ، وثَوْر(٣) . فقال : وأبيك إنَّ في هذا لَشِبَعاً . قال : لي أوْ لَكَ يا أَمِيرَ المؤمنين ؟ قال : لي ولك . قال : فوالله إني لآكُلُ الجَذَعة(٤) ، وأشرَبُ [التبن من](٥) اللَّبَنَ رَثيئةً(٦) وصِرْفا ، فلِمَ تَقول هذا يا أميرَ المؤمنين ؟ فقال له عمر : أيُّ أحْياء قومك خير ؟ قال : مَذْحِج ، وكلٌّ قد كان فيه خير ، شِداد فوارِسُها ، فوارِس أَبطالُها ، أهل الرِّماحِ والرِّباح(٧) .

قال عمر : فأين سعدُ العَشِيرة ؟ قال : هم أشدُّنا شَرِيساً ، وأكثرنا خمِيسا(٨) ، وأكرمُنا رئيسا ، وهم الأوفياء البررَة ، والمساعير(٩) الفَجَرة . فقال له عمر — رضي الله عنه — : يا أبا ثَوْر ، ألك عِلْمٌ بالسِّلاح ؟ قال : على الخبير سَقَطْتَ(١٠) ، سلْ عمَّا بدا لك !

---

(١) كذا في الأغاني ؛ وهو يوافق ما في اللسان : « كعب » ، والكعب من اللبن والسمن قدر صبة ، وفي ب ، ج « لفت » ، واللفت : اسم للعصيدة ؛ لأنها تلفت ؛ أي تفتل .

(٢) القوس هنا : ما يبقى في أصل الجلة من التمر .

(٣) الثور هنا : الكتلة من الأقط .

(٤) الجذعة من الغنم : ما تكون منها بين ستة أشهر وسنة .

(٥) تكملة من رواية الأغاني . واللسان (تبن) . والتبن : القدح الكبير .

(٦) الرثيئة : اللبن الحليب يصب عليه اللبن الحامض ، فيروب من ساعته .

(٧) في الأغاني : « أهل الربا والرماح » .

(٨) الشريس : الشرس ، والخميس : الجيش ، وفي اللسان شرس : « هم أعظمنا خميسا وأشدنا شريسا » .

(٩) كذا في الأغاني ، والمساعير : جمع مسعر (بكسر الميم وفتح العين) ، ومسعر الحرب : موقدها ومهيجها ، وفي ب : « والمساعرة » ، وفي ج : « السامرة » تحريف .

(١٠) على الخبير سقطت ، مثل ؛ وأول من قاله مالك بن جبير العامري ؛ وكان من حكماء العرب ؛ وتمثل به الفرزدق حين أقبل من العراق ، فلقيه الحسين بن علي ، قادما من الحجاز فسأله : ما وراءك ؟ فقال : على الخبير سقطت ؛ قلوب الناس معك ، وسيوفهم مع بني أمية ، والأمر ينزل من السماء . فقال الحسين : صدقتني . مجمع الأمثال ٢ : ٢٤

قال : أخبِرنى عن النَّبْل ، قال : منايا تُخطىء وتُصيب . قال : أخْبرنى عن الرُّمح ، قال : أَخُوكَ وربّما خانَك ، قال : أخبِرْنى عن التُّرْس . قال : ذاكَ مِجَنٌّ عليه تَدُور الدّوائر ، قال : أَخْبِرنى عن الدِّرع ، قال : مَشْغلة الفارس ، مَتْعَبَةُ الرّاجل ؛ قال : أَخْبِرنى عن السَّيف ، قال : عنه قارَعْتُك[1] لأُمِّك الثُّكْل[2] ، فقال له عمر : لا بل لأُمِّك ، ورفَع عمرُ الدِّرّةَ وضرَبَ بها يدَ عمرو ، وكان عمرٌو محتَبياً فانْحلَّتْ حُبْوته فاستوى قائما وأنشأ يقول :

أتضْربُنى كأنّك ذو رُعَيْنٍ ... بخيرِ معيشةٍ أو ذو نُواسِ
فكَم مُلْكٍ قديم قد رأينا ... وعزٍّ ظاهر الجبروتِ راسِ[3]
فأَضحى أهله بادُوا وأَضحى ... يُنقَّل مِن أُناس فى أُناسِ

فقال : صدقتَ يا أبا ثَوْر ، وقد هدم ذلك الإسلامُ كله ، وقد أقسمتُ عليك لما جلستَ ؛ فجلس . فقال له [عمر][4] : هل كَعَمْتَ[5] عن فارس قطُّ ممن لَقيتَ ؟ فقال : اعلَم يا أميرَ المؤمنين أنّى لم أستحِلَّ الكَذِبَ فى الجاهلية ، فكيف أستحلّه فى الإسلام ! ولقد قلت لجريدة[6] من خَيْل زُبَيد : أغِيروا بنا على بنى البَكّاء فقالوا : بَعُد علينا المُغار ، فقلت : فعَلَى بنى مالك بن كنانة ، فأتينا على قوم سَراة ،

---

(١) المقارعة ، أصلها المضاربة بالسيوف فى الحرب؛ ويريد بها المصاولة باللسان .
(٢) فى الأغانى : « لأمك الهبل » .
(٣) فى الأغانى : « قاسى » .
(٤) تكملة من الأغانى .
(٥) كعمت : ضعفت وجبنت .
(٦) الجريدة : جماعة الخيل ؛ ويريد بها الفرسان . وفى الأغانى : « جبهة » ؛ وهى جماعة الخيل أيضا .

فقال عمر : وكيف علمت بأنهم سَراة ؟ فقال: رأيت مَذَاوِدَ[1] خيلٍ كثيرة ، وقُدُورا مُثَفّاة[2] وقِباب أَدَم، فعلمتُ أنّ القوم سَراة، فكمنتُ[3] خيلي حَجْرة[4]، وجلستُ في موضعٍ أستَمِع كلامَهم ، فإذا أنا بجاريةٍ منهم قد خرجت من خيمة لها ، فجلستْ بين صواحبَ لها ، ثم دعتْ وليدةً من ولائدِها، فقالت: ادعِي فلانا ، فدعتْ لها رجلا من الحيّ ، فقالت له : إنّ نفسي تحدّثني أنّ خيلا تُغير على الحيّ ، فكيف أنتَ إنْ زوّجْتُك نفسي ؟ فقال : أفعَل وأصنَع ، فجعل يصف نفسَه فيُفرِط ، فقالت له : انصرِف حتى أَرَى رأيي ، وأقبلتْ على صَوَاحِباتها فقالت : ما عندَه خير ؛ ادعِي لي فلانا ، فدعَتْ آخَر ؛ فخاطبتْه فأجابها بمثلِ جوابه ؛ فقالت له : انصرِف حتى أَرى رأيي ، وقالت لصَواحباتها : وما عند هذا خيرٌ أيضا . ثم قالت للوليدة : ادعِي لي رَبيعةَ بنَ مكدَّم ، فدعتْه ؛ فقالت له مِثلَ قولها للرّجلين . فقال لها : إنّ أَعجزَ العجزِ وَصْفُ الرجلِ نفسَه ، ولكنّي إن[5] لقِيت أعذَرْت ؛ وحَسْبُ المرءِ غَناءً أن يُعذِر ؛ فقالت له : قد زوّجْتُك نفسِي ، فاُحضُرْ غداً مجلسَ الحيِّ ليَعلَموا ذلك .

فانصَرَفْتُ من عندِها ، فانتظرتُ حتّى ذهب الليلُ ولاحَ الفجر ، فخرجتُ من مَكْمَني ، فركبتُ فَرَسِي ، وقلتُ لخيلي : أَغيرى ؛ فأغارت ، فتركتُها ، وقصدتُ قصدَ النِّسْوة ومجلسَهُنّ ، فكشفتُ عن خَيْمة المرأة ، فإذا بامرأةٍ تامّة الحُسْن ، فلما ملأَتْ عينَهَا مِنِّى أهوَتْ إلى دِرْعِها فشقّته وقالت : واثُكْلاه ! والله ما أَبكِي على مالٍ ولا على تِلاد ؛ ولكن على أختٍ لي من وراءِ هذا القَوْر

---

(١) مذاود : جمع مذود ؛ وهو معتلف الدابة .

(٢) مثفاة : منصوبة على الأثافى ، والأثافى : جمع أثفية ؛ وهى الحجر يوضع عليه القدر .

(٣) الأغانى : « فتركت » .

(٤) حجرة : جانبا أو ناحية .

(٥) فى الأغانى : « إذا » .

ـ وأَهْوَتْ إلى قورٍ[1] رَملٍ إلى جانبهم ـ تَبـقَى بعدى فى مثل هذا الحائط[2] فَتَهلِك ضيعة . فقلتُ : هـذه غنيمةٌ من وراء غنيمة ، فدفعتُ فرسى حتى أوفيْتُ على النقَا[3] ؛ فإذا أنا برَجُل جَلْد أَهْلَبَ[4] [أَغْلَب][5] يَخصِف نعلَه ، وإلى جانبه فرسُه وسلاحُه ، فلمّا رآنى رَمَى بنعْله ، ثم اُستوَى على فرسه ، وأخَذَ رمحَه ، ومضَى لا يَحفِل بى ، فطفِقْتُ أَشجرُه بالرُّمح خَفْقاً[6] وأقول له : يا هـذا ، استأسِرْ[7] . فمضى لا يَحفِل بى حتّى أشرَف على الوادى ، فلما رأى الخيل تَحْوِى نَعَمه استعبر باكيا[8] ، وأنشأ يقول :

قد علمتْ إذْ منحتْنى فاهَا إنّى سأجرى اليوم من مجراها[9]

* يا ليتَ شِعرى اليومَ مَنْ دَهَاها *

فقلت :

عمرٌو على طُول الوَجَى دَهاهَا بالخيـلِ يَحمِيها على وَجاها[10]

* حتى إذا حَلَّ بها اُحْتَوَاها[11] *

---

(١) فى الأغانى : « القوز » ، وهما بمعنى .

(٢) فى الأغانى : «الغائط» .

(٣) النقا : الرمل ، وفى الأغانى . « الأيفاع » .

(٤) الأهلب : كثير شعر الرأس والجسد ، وفى ب ، ج : « أهات » تصحيف؛ صوابه ما فى الأغانى .

(٥) تـكملة من الأغانى ، والأغلب : الأسد الغليظ الرقبة يوصف به السادة الشجعان .

(٦) شجره بالرمح : طعنه حتى اشتبك فيه . والخفق : الضرب بشىء عريض .

(٧) استأسر : كن أسيرا ، وفى ج: « استأنس » تصحيف .

(٨) فى الأغانى : « تحوى إبله استعبر باكيا »

(٩) رواية الأغانى : « سأحوى اليوم من حواها » .

(١٠) الوجا : الحفا .

(١١) كذا فى الأغانى ؛ وهو الصواب ، وفى ب ، ج : «اجتواها» ، تصحيف، وفى مروج الذهب ٢ : ٣٣٦ : « حواها » .

فحَمَل عليَّ وهو يقول :

أهوِنْ بنضر العيش فى دار نَدَمْ[١] أفيض دمعاً كلَّما فاضَ أُنسجَمْ

أنا أبنُ عبدِ الله محمود الشِّيَمْ مؤتَمَن الغيبِ ومُوفٍ بالذِّمم[٢]

أكرَمُ من يمشِى بساقٍ وقدَمْ كالليث إنْ هَمَّ بتَقْضَامٍ قَضَمْ[٣]

فحملتُ عليه وأنا أقول :

أنا ابنُ ذى التقليد فى الشَّهْرِ الأَصَمّ[٤] أنا ابن ذى الإكليل قتَّال البُهَمْ[٥]

مَن يَلْقَنِى يُودِ كما أَوْدَتْ إِرَمْ أَتْرُكْهُ لحماً على ظهرِ وَضَمْ[٦]

فحَمَل عليَّ وهو يقول :

هذا حِمًى قد غابَ عنه ذائِدُهْ الموتُ وِرْدٌ والأَنام وارِدُهْ

وحَمَل عليَّ فضَرَبنى ، فرُغْت وأخطأنى ، فوقع سيفُه فى قَرَبوس[٧] السَّرْج فقطعه وما تَحتَه ، حتى هَجَم على مِسْح[٨] الفرَس . ثم ثَنَّى بضَرْبة أخرى ، فرُغْت وأخطأنى ، فوقعَ سيفُه على مؤخر السَّرج فقطعه حتى وصل إلى فَخِذ الفرس؛ وصِرْت راجلا ، فقلت له : ويحَك ! مَن أنت ؟ فوالله ما ظننتُ أحداً من العرَب

---

(١) كذا فى الأغانى ، وفى ب ، ج : « أهن » تصحيف .

(٢) فى الأغانى : « وفى بالذمم » .

(٣) فى الأغانى : «بتقصام قصم» .

(٤) التقليد : أن يجعل فى عنق الدابة ونحوها شيئا يعلم أنه هدى . والشهر الأصم : رجب لأنه كان لا يسمع فيه صوت مستغيث ولا حركة قتال ولا قعقعة سلاح ؛ لأنه من الأشهر الحرم .

(٥) فى الأصول : «ذى الأكال» ، وأثبت ما فى مروج الذهب والأغانى . والإكليل: التاج؛ وكان عمرو بن معدى كرب من اليمن ؛ وملوكهم كانوا يلبسون التيجان .

(٦) الوضم : الخوان من الخشب يقطع عليه اللحم ؛ يقال : فلان لحم على وضم، مثل يضرب للذليل .

(٧) القربوس من السرج : الجزء المرتفع من مقدمه ومن مؤخره .

(٨) المسح : كساء غليظ من الشعر يجعل تحت السرج .

يُقدِم علىّ إلّا ثلاثة : الحارث بن ظالم للعُجْب والُخيَلاء ، وعامرُ بنُ الطُّفَيل للسِّنّ والتّجربة ، وربيعة بن مكدَّم للحداثة والصَّرامة(١) ، فمن أنت ويلَك ! قال : بل الوَيْـلُ لك ! فمَن أنت ويلَك ! قلت : عمرو بن مَعدِى كَرِب ، قال : وأنا ربيعةُ ابن مكدَّم ، قلت : يا هذا ، إنى قد صِرْت راجلا ، فاُخترْ مـّنى إحدَى ثلاث : إن شئتَ اجتَلَدْنا بسيفينا حـّتى يَموتَ الأَعْجَزُ مِنّا ، وإن شئتَ أُصطرَعْنا فأيُّنا صَرَع صاحبَه حُـكِّم فيه ، وإن شئت سالمتك [وسالمتَنى](٢) . قال : الصلح إذًا إن كان لقومك فيك حاجة ، وما بى أيضاً على قومى هَوَانٌ ، قلتُ : فذلك لك ، وأخذتُ بيده ، حـّتى أتيتُ أصحابى وقد حازوا نَعَمه ، فقلت : هل تعلمون أنّى كمعت عن فارس من الأبطال قطّ إذَا لقيتُه ؟ قالوا : نُعيذُكَ من ذلك ، قلت : فاُنظروا هذا النَّعَم الّذى حُزْتموه فخذوه مـّنى غدا فى بنى زُبَيْد ؛ فإنّه نَعَم هــذا الفتى ! (٣)وإنه لا يُوصَل إلى شىء منــه وأنا حىّ(٣) . فقالوا : لَحاكَ اللّهُ مِن فارسِ قوم ! أَشْقَيْتَنا حتى إذا هَجَمْنا على الغَنيمة الباردة فَثـأْتَنا (٤) عنها ! فقلتُ : لابدّ لـكم من ذلك ، وأن تَهبوها لى ولربيعةَ بن مكدَّم ، فقالوا : وإنّه لَهُوَ ! فقلتُ : نَعَم، ورددتَها(٥) وسالَمْتُه ، فأَمِنَ حَرْبِى وأَمِنْتُ حَرْبَهُ حـّتى هَلَك .

(١) الأغانى : « للحداثة والغرة » .

(٢) تـكملة من الأغانى .

(٣ — ٣) كذا فى الأغانى ، وفى ب ، ج : « وأنه لا يوصل منى إليه شىء وأنا حى » .

(٤) فثأتنا : ثبطت عزيمتنا .

(٥) ج : « وددتها » تصحيف ، وفى الأغانى : « فردوها » .

الرَّباب بنت امرئ القيس*

هذه ترجمة لم يُترجِمْها صاحبُ الأصل ، وإنما هو ترْجَم على مولانا الحسين ــ رضى الله عنه ــ فى أصلِه ، فلم أستحسِن أن أترجمَ على هذا الاسمَ مع من شمله هذا الكتاب من المجّان والشعراء والمغنّين .

على أنّ هذا الكتاب ــ كما قيل عنه ــ مظلومٌ مع اسمه لم يَشِنْه غيرُه ، وإلّا فقد تضمّنَ وقائعَ وغَزَواتٍ وأحاديثَ لسيّدنا رسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم . وأحببتُ أن أترجمَ بهذه الترجمة لأنّها هى الغرَض المقصودُ هنا .

هى الرَّباب بنتُ امرئ القيس بنِ عدىٍّ بنِ أوْسِ بن جابر بن كَعْب بن عُلَيم ابن كَلْب[1] بن وَبْرة بنِ ثعلبةَ بنِ عمرانَ بنِ الحافِ بن قُضاعة .

وأمُّها هنـــد بنت الربيع بنِ مسعود بنِ معاذ بن حُصين بن كَعْب بن عُلَيم ابن كلب[1] .

قال عوف بن خارجة المرّىّ : إنّى لَعِندَ عمرَ بن الخطّاب رضى الله عنه فى خلافته إذْ أقبَل رجلٌ أفحج[2] أجلَح[3] أمْعَر[4] يتخطّى رِقاب الناس ، حتّى قامَ بين يدىْ

---

* تقع هذه الترجمة ضمن أخبار الحسين بن على ونسبه فى الجزء السادس عشر من الأغانى من ١٣٧ إلى ١٨٩ (طبعة الدار) .

(١) فى الأصول : « كليب » ، والصواب ما أثبتناه عن الأغانى .

(٢) الأفحج : الذى تتدانى صدور قدميه ويتباعد عقباه إذا مشى .

(٣) الأجلح : الذى انحسر مقدم شعره ، وفى الأغانى : « أجلى » ؛ وهو بمعناه .

(٤) كذا فى الأغـانى . والأمعر : الذى تمعر لونه ووجهه ؛ أى تغير وعلتـه صفرة . وفى الأصول : « أصغر » تحريف .

عمرَ رضى الله عنــه ، فحيَّاه بتحيَّة الخلافة ، فقال له عمر : ممَّن[1] أنت ؟ قال : أنا رجلٌ نَصْرانىّ ، أنا أمرؤ القيس بن عدىّ الكَلْبىّ ؛ فلَم يَعرِفه عمر ؛ فقال له رجل من القوم : بَلَى ، هذا صاحبُ بكر بنِ وائلٍ الّذى أغار عليهمْ فى الجاهليّة يومَ فَلْج[2] ، قال : فما تريد ؟ قال : أريد الإسلام ؛ فعرضه عليه عمرُ ، فقَبِله ، ثم دعا له برمحٍ فولّاه ، وعَقَدَ له على من أسلم بالشام من قُضاعة ، فأدبَر الشيخُ واللّواء يهتزُّ على رأسه ، فوالله ما رأيتُ رجلا لم يُصَلِّ لله ركعةً قطُّ أُمِّرَ على جماعةٍ من المسلمين قبلَه .

ونهض علىُّ بنُ أبى طالب كرّم الله وجهه من المجلس ، ومعه ابناه الحسن والحسين حتى أدركه ، فأَخَذ بثيــابه ، فقال له : يا عمّ ، أنا علىُّ بنُ أبى طالب ، أبنُ عمّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وصهْره ، وهذان أبناىَ من أبنتِه ، وقد رغبْنا فى صِهْرِك ، فأَنــكِحْنا .

قال: قد أنــكحتُك يا علىُّ المُحَيَّاة[3] بنت أمرئ القيس ، وأنــكحتُك يا حُسَين الرَّباب ابنة أمرئ القيس ، وأنــكحتُك يا حَسَن سَلْمَى بنت أمرئ القيس .

ـ وكانت الرَّباب من خِيار النِّساء وأفضلِهنّ وخُطِبَتْ بعد قتل الحسين؛ فقالت: ما كنت لأتّخِــذ حَمْوًا[4] بعد رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ـ فتزوّجها الحسين بنُ علىّ ابن أبى طالب .

---

(١) فى الأغانى : « فمن أنت » .

(٢) فلج : اسم موضع بين البصرة وضرية، ويوم فلج لبنى عامر على بنى حنيفة (ياقوت).

(٣) كذا فى الأصول ، وفى الأغانى : « المحياة » .

(٤) كذا فى ا ؛ وفى ب ، ج : « خرا » تصحيف ، والحمو . كدلو: أبو زوج المرأة ، وفى الأغانى « حماً » .

واسمُ أبى طالب عبدُ مناف بن عبد المطلب ــ واسمه شيبة ــ بن هاشم ــ واسمه عمرو ــ ابن عبدمناف بن قُصَىّ بن كِلاب بن مرّة بن كعب بن لؤىّ بن غالب .

وأمُّ علىٍّ بن أبى طالب فاطمةُ بنتُ أَسَد بن هاشم ، وهى أوّل هاشميّةٍ نكحتْ هاشميّا ، وهى أم سائرِ ولدِ أبى طالب .

وأمُّ الحسين فاطمة سيِّدةُ النساء رضوان الله عليها ، وأمّ فاطمةَ خديجةُ بنتُ خُوَيْلِد ابن أسَد بن عبد العُزّى .

وكانت خديجةُ تكنَى أمَّ هند ، وكانت فاطمةُ تكنَى أمَّ أبيها ، وكان علىّ رضوان الله عليه سَمَّى الحَسَن رضى الله عنه حَرْبا ، فسمّاه رسول الله صلّى الله عليه وسلّم حَسَناً ، ثم ولد له الحسين رضى الله عنه فسمّاه حَرْبا ، فسمّاه النبىُّ صلّى الله عليه وسلّم حُسَيْناً . قال رضى الله عنه : كنت رجلا أُحِبُّ الحَرْب ، فلمّا سمَّيتُ ابنَىّ[1] بذلك غيّره رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم . قال : قد سمّيتُهما باسمَى ابنَىْ هارون : شَبّر وشُبَير ، وكان عَلَى الحسن والحسين ــ رضوان الله عليهما ــ تَعويذتَان حشوُها من زَغَب جَناح جبريلَ عليه السّلام .

وَولَدت الرّباب للحُسين عبدَ الله وسُكَينة ، وكان اسمُ سكينةَ آمنة ، وسكينة لقبها .

قال مالك بن أَعين : سمعتُ سكينةَ بنتَ الحسين تقول : عاتَبَ عمِّى الحسنُ أَبى فى أمّى ؛ فقال الحسين رضى الله عنه :

لعمرُكَ إننى لَأُحِبُّ داراً تكونُ بها سُكَيْنَةُ والرّبابُ

---

(١) فى الأصول : « ابناى » ، وهو خطأ .

أُحِبُّهما وأَبْذُل جهدَ مالى وليس لعاتبٍ عندى عِتابُ[1]
فلستُ لَهُمْ وإنْ غابُوا مُضيعاً حيـاتى أو يغيِّبَنى التراب[2]

قال أبو إسحاق المالكىّ : قيل لسُكينة : أختُك فاطمة ناسكةٌ وأنتِ تَمْزحين كثيرا ! قالت : لأنكم سمّيتموها باسم جدّتها المؤمنة ـ تَعنِى فاطمةَ الزهراءَ رضوان الله عليها ـ وأنا سمّيتمونى باسم جدّتى التى لم تدرك الإسلام ـ تعنى آمنةَ بنتَ وهب أمَّ النبىِّ صلّى الله عليه وسلّم .

ولما قتل الحسين رضوان الله عليه قالت الرّبابُ ترثيه :

إنّ الّذى كان نُورا يُستضاء به بكَرْبَلاءَ قتيلٌ غيرُ مدفونِ
سِبْطَ الرّسول جزاكَ اللهُ صالحةً عنّا ، وجُنِّبْتَ خُسرانَ الموازينِ
قد كنتَ لى جَبَلا صَعْبا ألوذُ به وكنتَ تَصحَبُنا بالرُّحْمِ والدِّينِ
مَن لليتامَى ومَن للسائلين ومَن يُغنى ويأوِى إليه كلُّ مسكينِ !
واللهِ لاأبتغِى صِهراً بصهرِكُمُ حتّى أغيَّبَ بين الرَّمْلِ والطِّين

كان الحسنُ بنُ الحَسَنِ بنِ علىّ رضى الله عنهم خَطَب إلى عمّه الحسين رضى الله عنه ، فقال له الحسين: يا بن أخى . قد كنّا ننتظر هذه منك ، انطلِق معى ، فأدخَلَه منزلَه ، فخيَّره فى ابنتيه فاطمةَ وسُكينة ، فاختار فاطمةَ ، فزوَّجه إيّاها .

وكان يقال: إنّ امرأتين مرذولتهما[3] سُكَينة لَمنقطِعةُ القَرِين فى الحسْن .

ويقال : إنّه لما اختار فاطمة قال : قد اخترت فاطمة ، فهى أكثر شَبَهاً بأمّى فاطمة بنتِ محمّدٍ صلّى الله عليه وسلّم .

---

(١) فى الأغانى : « جل مالى » .
(٢) فى الأصول : « مطيعا » تحريف .
(٣) فى الأغانى : « إن امرأة تختار على سكينة » .

حضرتْ سُكينةُ مأتَماً فيه بنتٌ لعثمانَ بنِ عفّان ، فقالت بنت عثمان : أنا بنتُ الشَّهيد ، فسكتتْ سُكينة ، فلمّا أذَّن المؤذِّن وقال : أشهد أنّ محمداً رسولُ الله قالت سُكينة : هذا أبى أو أبوكِ ؟ فقالت العثمانيّة : لا جَرَم ! لا أفتخر عليكِ أبداً.

كانت سُكينة تجىء فى سِتارةٍ يومَ الجمعة فتقومُ بإزاء ابن مُطَيْرَة ـ وهو خالدُ بنُ عبدِ الملك بن الحارث بنِ الحَكَم ـ إذا صَعِد المنبر ، فإذا شتَمَ عليّا شتمتْه هى وجواريها ، فكان يأمر الحَرَس فيضربون جواريَها .

لمّا وَلَّى الرشيدُ إبراهيمَ بنَ المهدىّ دمشق استوهَبَه صحبةَ جماعةٍ ، منهم عُبيدة بنُ أشعب ، والغاضرىّ ، وحَكَم الوادىّ ، وغيرهم .

قال[1] : فكان عُبيدة سَميرى ، وهوعديلى ، فلمّا بلغنا ثَنيّةَالعُقاب اشتدّ البَرْد ، فاحتجتُ إلى أن أزدادَ فى الدِّثار ، فدعوتُ بدُوّاجٍ[2] سَمُّور ، فألقيتُه على ظهرى ، ودعوتُ بمن كان فى سَمَرِى تلك اللّيلة ، فكانوا حولى ، فقلت لابن أشعب : حدِّثنى بأعجبِ ما تعلَم مِن طمعِ أَبيك ، فقال : أعجَبُ من طمعِ أبى طمعُ ابنِه . فقلت : وما بلغَ من طمعِك ؟ قال : لمّا اشتدّ البَرْد آنفا ، ودعوتَ بالدُّوّاج السَّمُّور ، لم أشكَّ أنك دعوتَ به لى لتَجعله علىّ ، فغلبتَنى عليه ، قال : فغلبنى الضَّحِك ، وخلعتُ عليه الدُّوَّاج ، ثم قلت له أنا : ما أحسب لك قرابةً بالمدينة ! فقال : اللهمّ غَفْرًا ! لى بالمدينة أقارب ، قلت : أوَ يكونون عَشَرة ! قال : وما عشرة ! قلت : عشرون ! قال : اللهمّ غَفْرًا ، لا تذكُر العَشَرات ولا المِئين . وتَجاوَزْ ذِكر الأُلوف إلى ما هو أكثرُ منها .

---

(١) القائل إبراهيم بن المهدىّ .

(٢) الدواج ، كرمان وغراب: ضرب من الثياب؛ وسمور : دابة معروفة تسوى من جلودها فراء غالية الأثمان .

قلت : وَيْحَكَ ! ليس بينك وبين أشعبَ أحد ، فكيف يكون هذا ؟ قال : إنّ زيد بنَ عمرو بن عثمان لما تزوّج سكينةَ بنتَ الحسين خَفَّ أبى على قلبها فأحسنتْ إليه ، وكان عطاؤها أكثر من عطاء مولاه ، فمالَ إليها بكلّيّته .

وحجّ سليمانُ بنُ عبدِالملك وهو خليفة ، فاستأذن زيدَ بنَ عمرو سكينةَ فى الحجّ ، وأعلَمَها أنها أوّل سنة حجَّ فيها الخليفة ، ولا يمكنه التخلُّف عن الحجّ معه — وكان لزيد ضَيْعَةٌ يُقال لها : العَرْج[1] ، وكان له فيها جَوارٍ — فأعلمتْه أنها لا تأذن له إلا بشرطٍ أن يخرج أشعَب معه ؛ ليكون عَيْناً لها عليه ، ومانعاً له من الغدوّ إلى العَرْج ، ومن اتّخاذ جاريةٍ له فى بَدْأَتِه ورجعته ، فقنع بذلك ؛ وأخرَجَ أشعب معه . وكان لزيد فرسٌ جوادٌ ، حَسَنُ المَنْظَر ، يصونُهُ عن الركوب إلّا فى مُسايَرَةِ خليفة ، أو يومِ زينة ، وله سَرْج يصونُه أن يَركَب به غيرَ ذلك الفرس ، وكان معه طِيب لا يتطيّب به إلّا فى مثل ذلك اليوم ، وحُلّة مَوْشِيّة يصونُها عن اللِّباس إلّا فى يومٍ يُحِبّ التجمُّلَ فيه بها . فَحجَّ زيدٌ مع سليمانَ ، وكانت له عنده حوائجُ كثيرة ، فقضاها كلّها[2] ووَصَله ، وأجزَلَ صِلَتَه .

وانصرف سليمانُ من حَجّته ولم يسلُك طريقَ المدينة ، وانصرف زيدٌ يريد المدينة ، فنزل على ماء لبنى عامر بن صَعْصعة ، ودعا أشعَب ، وأحضر صُرّةً فيها أربعمائة دينار ، وأعلَمَه أنّه ليس بينه وبين العَرْج إلّا أميال ، وأنه إنْ أَذِن له فى المسير إليها والمَبيتِ بها عندجواريه ، غَلَّس[3] إليه ، فوافاه فى وقتِ ارتحال الناس،

---

(١) العرج : منزل بطريق مكة من المدينة؛ ومنه عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان العرجى الشاعر .

(٢) كذا فى ا ، وفى ب ، ج : « كله » .

(٣) غلس إليه : أتى إليه بغلس ؛ وهو الظلام .

ووهَبَ له الأربعمائة دينار . فقبّل يدَه ورِجْله ، وأذن له فى المسير إلى حيث أحَبّ ، وحَلَف [له][1] أنه يَحلِفَ لسُكينة بالأَيمان المُخرِجة أنه ما سار إلى العَرْج ، ولا اتَّخَذ جاريةً منذ فارقَ سكينةَ إلى أن رجع إليها .

فدفَع إليه مولاهُ الدَّنانيرَ ومضى ؛ فلم يسر نصفَ مِيلٍ حتى رأى أشعَبُ فى الماءِ جاريتين معهما قِرْبتان ، قد أَلقَيا القِرَب[2] ، وألقيا ثيابَهما عنهما ، ورَمتَا بأنفسهما فى الغَدِير[3] ، وغاصَتا[4] فيه ، فرأى من مُجرَّدِها ما استحسَنَه ، فسألها عن خروجهما من الماء عن نسبهما ، فأعلمَتَاه أنهما من إماءِ نساءٍ لبنى عامر بن صعصعة ، هُنّ بالقُرب من ذلك الماء[5] ، فسألهما : هل يَسهُل على مواليهما محادثةُ شيخٍ حَسَنِ الخُلُق ، طيِّب العِشْرة ، كثيرِ النّوادر ؟ فقالتا : وأَين لنا بمَن هذه صِفتُه ! فقال لهما : أنا ذاك ، قالتا له : فأَنهضْ معنا ، فوثَب إلى فرسِ زيدٍ ذلك الموصوف ، فأَسْرجه بسَرْجه ذلك الموصوف ، وركِبَه ، ولبس حُلّته تلك الموصوفة ، وتطيَّب من ذلك الطِّيب الّذى يَضِنُّ به ، ومضى معهما حتّى وافَى الحىَّ ، فأقام فى محادثة أهلِه إلى أن قرب العصر .

فأقبل من ذلك الوقت رجالُ الحىّ ، وقد انصرفوا غانمين مِن غارَتِهم ، وأقبلتْ تمرُّ به الكَتيبةُ بعدَ الكتيبة[6] ، فيقفون به ويقولون له : من أنت ؟ فينتَسِب فى نسبِ زيد ، فيقولُ كلُّ مَن اجتازَ به : ما نَرى [به][7] بأسا ، وينصرفون عنه

(١) تكملة من الأغانى .
(٢) أراد بالجمع هنا ما فوق الواحد ؛ وهو كثير فى كلامهم . وفى الأغانى « القربتين » .
(٣) الغدير : القطعة من الماء يغادرها السيل .
(٤) فى الأغانى : « وعامتا » .
(٥) كذا فى ا والأغانى ، وفى ب ، ج : « منه » .
(٦) فى الأغانى : « الرعلة بعد الرعلة » ، والرعلة : الكتيبة .
(٧) تكملة من الأغانى

إلى غروب الشمس ، فأقبل شيخٌ فانٍ على حِجْر(١) هزيلة هَرِمة، ففعل مِثلَ ذلك ، فأجابه بمثل جوابهم ، فقال مِثلَ قولهم .

قال أشعب : ثم إنى رأيتُ الشيخَ قد وقف بعد قوله ، فأَوْجَسْت منه خِيفة ؛ لأنى رأيتُه قد جعل يدَه اليسرى تحتَ حاجبَيه فرفعهما ، ثم استدار ليَرَى وَجْهى ، فركبتُ الفرس ، فما هو إلّا أن اسْتَوَيْتُ عليه حتى سمعتُه يقول : أُقسِم بالله ما هذا وجهُ قُرَشِيٍّ ، وما هو إلّا [وجه](٢) عبد ، فركضْتُ وركَضَ خَلْفى ، فرأى حِجره مقصِّرة ، فلمّا يئس من اللَّحاق بى انتزَع سهماً فرمانى به ، فوقع فى مؤخرة السَّرْج فكسَرَها ، ودخل قلبى من صوته رَوعةٌ تَلَطَتْ(٣) لها فى الحُلَّة ، ووافَيْتُ رحلَ مولاىَ فغسلتُ الحُلّةَ ونشَرْتُها ، فلم تجفَّ ليلا . وغَلَّس زيدٌ من العَرْج فوافانى فى وقت الرَّحيل ، فرأى الحُلّة منشورة ، ومؤخرة السَّرْج مكسورة ، والفرسَ قد أضرّ به الرَّكْض ، وسقَطَ الطِّيب مكسورَ الخاتَم ، فسألنى ، فصدَقْته ، فقال لى : ما كفاك ما صنعتَ حتى انتسبتَ فى نسبى ، فجعلتَنى عند أشراف قومى من العرب جمّاشا(٤) ! وسكتَ عنّى ولم يقل لى : أحسنتَ ولا أسأتَ حتّى وافَيْنا المدينة .

فسألتْه سكينةُ عن خبره ، فقال لها : يا بنتَ رسولِ الله ، وما سؤالكِ إيّاى ، ولم يزل ثقتِكِ(٥) معى وهو أمينٌ علىّ ! فسَلِيه عن خبرى يَصدُقك . قال أشعب : فسألتْنى

---

(١) كذا فى ا والأغانى ، والحجر : الأنثى من الخيل . وب ، ج : « حجرة » قال فى القاموس : وبالهاء لحن .

(٢) تكملة من الأغانى .

(٣) فى الأغانى : « أحدثت » ؛ وهما بمعنى .

(٤) كذا فى الأغانى . والجماش : الذى يغازل النساء ويلاعبهن . وفى الأصول : « حجاما » تحريف .

(٥) ثقتك ، أى الذى تثقين به .

فأخبرتُها أنّى لم أنكر عليه شيئاً ، ولم أمكنه من أبتياع جارية ، ولم أطلق له الاجتياز بالعرْج ، فاستحلفتْنى على ذلك ، فحَلَفْتُ لهـا بالأيْمان المغلَّظة المُحرِجة فيها طلاق أمِّك وغيره . فلما حلفت وقف زيدٌ بين يديها وقال : أىْ بنت عمّ ! ويا أبنة رسولِ الله ، كَذَبَكِ واللهِ العِلْج ! وقد أخذ منّى أربعمائة دينار ، وأذن لى فى المسير إلى العَرْج ، فأقمتُ بها يوما وليلة ، وغَشِيتُ بهـا عدّة من جَوَارِىَّ ، وأنا تائب إلى الله عز وجلّ ممّا كان منّى ، وقد جعلتُ تحقيقَ توبتى هبتَهنّ لكِ ، وقد تقدَّمْتُ فى حملهنّ إليك ، وهنّ موافيات المدينةَ عشيّةَ هـذا اليوم ، فبَيْعُهُنّ وعتقُهُنّ إليكِ ، وأنتِ أعلَمُ بما تَرَيْنه فى العبد السَّوْء . فأمَرَتنى بإحضار الأربعمائة دينار ، فلما أحضرتُها أمرتْ بأبتياع خشب بثلثمائة دينار ، ثم أمرَتْ بنَشْره — وليس عنـد أحدٍ من أهل المدينة عِلْمٌ بما تريده — ثم أمرَتْ بأن يُتَّخذَ بيتٌ كبير ، وجَعلَتِ النفقةَ على النَّجَّارِين من المائة الدِّينار الأخرى ، ثم أَمَرَتْ بأبتياع بيض وتِبْن وسِرْجَيْن ببقيّة المائة الدِّينار ، ثم أدخلتْنى البيتَ ، وحلَفَت بحقّ جدّها ألا أخـرُجَ من ذلك البيت حتى أحضُنَ ذلك البيضَ كلَّه إلى أن يَنْقُفَ[1] ، ففعلت ذلك ، فلَمْ أزلْ أحضِنهُ حتى نَقَفَ كلُّه[2] ، فخرج منه الألوف من الفراريج . وكانتْ فى دار سُكَينة ، وكانت تَنسُبهنّ إلىّ وتقول: يا بنات أشعَب ، ونَسْل أشعب.

وبقىَ ذلك النَّسْلُ فى أيدى الناس إلى الآن ، فكلُّهم أهلى وإخوَتى .

قال إبراهيم : فضحكتُ حتى غُلِبْتُ ، وأمَرْتُ له بعشرة آلاف درهم .

وتزوّج سكينةَ عبدُالله بنُ الحسن بنِ علىّ ، وهو أبنُ عمّها وأبو عُذْرتها ، ثم خلفَه عليهـا مُصْعَب بنُ الزُّبير ، ومَهَرَها ألفَ ألفَ دِرْهم ، وزوّجه إيّاها أخوها علىُّ بنُ الحسين .

---

(١) ينقف ؛ أى يخرج من البيضة ، وفى الأغانى : « إلى أن يفقس » .

(٢) الأغانى : « نفقس » .

وقيل : إن عليّ بنَ الحسين لمّا حَمَلَها إلى مُصعَب أعطاه أربعين ألفَ دينار .

وقالت سُكَينة : دخلتُ على مُصعَب وأنا مِثلُ[1] النار المُوقَدَة فى اللّيلة القرّة، وولدتُ من مصعب بنتاً ، فقال لى : سمِّيها رَيّا[2] ، فقلت : بل أُسمِّيها باسم إحدى جدّاتى[3] ، فسمّيْتُها الرّباب .

فلمّا قُتِل مُصعَب ، وَلِيَ عُرْوَةُ أخوه تَرِكَتَه ، فزَوَّج عُرْوَةُ الرّبابَ هذه بنتَ مُصعَب لابنه عثمانَ بن عُروة وهى صغيرة ، فماتت، فورّثها عثمانُ بن عروةَ عشرة آلاف دينار .

ولمّا أَمْهَرَها مُصعَب ألفَ ألفَ دِرْهم كتب عبدُ الله بن هَمّام إلى عبد الله ابن الزُّبير :

أبلغْ أميرَ المؤمنين رسالةً ... مِن ناصحٍ لكَ لا يريد خِداعَا
بُضْعُ الفَتاةِ بألفِ ألفٍ كاملٍ ... وتبيتُ ساداتُ المُلوكِ جِياعَا ![4]
لو لأبى حفصٍ أقولُ مَقالتى ... وأبُثّ ما أَبثَثْتُكُمْ لارتاعَا[5]

فقال : إنّ مصعبا قد أغمدَ سَيفَه، وسَلَّ أيرَه. وعزله عن البصرة ، وأمره بالحضور ، فقال : إنى لأرجو أن يَخسِفَ اللهُ بك .

فلمّا بلغ قولُ عبدِ الله مُصعبا ، قال : لكنّ عبد الله أَغمدَ سيفَه وأيرَه وخيرَه .

خَطَب عبدُ الملك بنُ مروانَ سُكينةَ ، فقالت أمُّها : واللهِ لا يتزوّجُها أبدا وقد قَتَل ابنَ أخى — تعنى مُصعَبا .

---

(١) فى الأغانى : « وأنا أحسن من النار الموقدة » .
(٢) فى الأغانى : « الزهراء » .
(٣) فى الأغانى : « أمهاتى » .
(٤) كذا فى الأصول ، ورواية الأغانى : « سادات الجنود » ، وهو الوجه .
(٥) كذا فى الأغانى ، وفى الأصول : « لولا أبو حفص » ، وهو خطأ .

وقيل : إن الأصبغ بنَ عبد العزيز بن مروان تزوَّجها بعد مصعب ، فقال فيه بعض المؤمنين :

نكحتْ سُكينةُ فى الحسابِ ثلاثةً   فإذا دخلتَ بها فأنتَ الرابعُ[1]

وكان يتولّى مِصْرَ ، فكَتَبتْ إليه : إن أرضَ مصرَ وَخِمَةٌ ، فبَنى لها مدينةً تُسمَّى مدينةَ الأصبغ ، وبلغ عبدَ الملك تزويجها إيّاه فنفِس[2] بها عليه ، فكتب إليه : اخْتَرْ مصرَ أو سُكينة . فكتب إليه[3] بطلاقها ، ولَم يَدخل بها ، ومتَّعها بعشرين ألف درهم ، ومرُّوا بها فى الطريق على منزل ، فقالت : ما اسم هذا المنزل ؟ قالوا : جوفُ الحمار ، فقالت : ما كنتُ لأدخلَ جوفَ الحمار أبدا .

ويقال : إن عبد الله بن عثمان الحِزامىّ خَلَفَ الأصْبغَ عليها ، وولدت منه بنتا .

ويقال : إنّه أثقلَها باللُّؤلؤ ، وقال لسعدة بنتِ عبد الله بن سالم : ما أَلبستُها إيّاه إلّا لتفْضَحَه[4] ، يريد أنها تفضَح الحلى بحُسْنها ؛ لأنها أحسنُ منه .

ولمّا قُتِل مصعب خطبَ سكينةَ إبراهيمُ بنُ عبد الرحمن بن عوف ، فبعثت إليه : أبلَغ من حمقِك أن [تبعث إلى سكينة بنت الحسين بن فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلّم][5] تخطبها ! فأمسَكَ عن ذلك .

قال : ثم تنفّستْ يوما بُنانةُ جاريةُ سُكَينة ، وتنهّدتْ حتى كادت أضلاعُها تتحطّم ، فقالت لها سُكينة : ما لَكِ ، ويلَكِ ! قالت : أحبُّ أن أَرَى فى الدار جَلَبة ــ تَعنِى العُرْسَ ــ فدعت مولى تثق به وقالت له : اذهب إلى إبراهيمَ بنِ عبد الرحمن

---

(١) بعده فى الأغانى :

إنّ البقيعَ إذا تتابَعَ زرْعُهُ   خابَ البقيعُ وخاب فيه الزارعُ

(٢) نفس بها عليه ، أى ضن بها .

(٣) الأغانى : « فبعث إليه بطلاقها » .

(٤) ورد هذا القول فى الأغانى منسوبا إلى سكينة .

(٥) من الأغانى

وقل له : إنّ الّذى كنّا ندفَعك عنه قد بدا لنا فيه ، أنت من أخوال النبيّ صلّى الله عليه وسلّم ، فأحضِرْ بيِّنتَك[1] . قال : فَجَمع عدّةً من بنى زُهرة ، وأفناء قريش من بنى جُمَح وغيرهم ، نحوًا من سبعين رجلا أو ثمانين ، وأرسل إلى علىّ بن الحسين، وحسن بن حسن وغيرهما من بنى هاشم ، فلمّا أتاهم الخبر اجتمعوا وقالوا : هذه السفيهة تريد أن تتزوّج إبراهيمَ بن عبد الرحمن ! فتنادَى بنو هاشم واجتمعوا ، وقالوا : لا يَخرج منكم إنسانٌ إلّا ومعه عصاً ، فجاءوا وما بقِيَ إلّا الكلام ، فاضطربوا بالعِصِيّ هم وبنو زهرةَ حتى شُجّ منهم يومئذ أكثر من مائة إنسان ، ثم قالت بنو هاشم : أين هذه ؟ قالوا : فى البيت ، فدخلوا إليها وقالوا : هذا من ضعف عقلِك ، ثم جاءوا بكِساء فبَسطوه وحملوها ، وأخذوا بجوانبه ، فالتفتت إلى بُنانة ، وقالت : أى بُنانة ! قالت : لبَّيكِ . قالت : [أرأيْتِ][2] فى الدار جَلَبة ؟ قالت : إى والله إلّا أنّها شديدة .

قال أشعب : كان زيدُ بن عَمرو بن عثمان أبخلَ قريش ، فخرج حاجّا ، وخرجتْ زوجتُه سكينةُ معه ، فلم تدعْ دَجاجا ولا إوَزًّا ولا خَبيصا ، ولا فاكهةً إلا وحملته معها ، فخرجْنا ومعنا خمسةُ أحمال طعاما ، فلمّا أتينا السَّيالة[3] نزلنا ، وأمرت بالطّعام ، فقُدِّم إليها ، فلمّا جىء بالأطباق أقبلتْ أُغَيْلِمة من الأنصار يسلِّمون على زيد ، فلمّا رآهم قال : أوّه! خاصِرَتِى، باسم الله، ارفعوا الطعامَ وهاتوا التِّرياقَ والماء الحارّ ، فأُتِىَ بهما ، فجعل يتوجّرُهما[4] حتى انصرفوا ، ورحَلْنا ، وقد هلكتُ جوعاً ، فلم آكُلْ إلّا ما اشتريتُه من السوق .

(١) فى الأغانى : « بيتك » .
(٢) تكملة من الأغانى .
(٣) السيالة : موضع بقرب المدينة على مرحلة منها .
(٤) يتوجرهما : يبتلعهما .

فلمّا كان الغدُ أصبحتُ وبى من الجوع ما شاء الله ، وأُتِىَ بالطّعام فجاءت مشيخةٌ من قريش يسلّمون عليه ، فلمّا رآهم أُعتلّ بالخاصرة، ودعا بالتِّرياق والماء الحار فتوجَّرَه ، ورُفِع الطعامُ حتّى انصرفوا ، فدعا به ، فأُتِى به وقد بَرَد ، فقال لى : ياأشعب، هل لك إلى إسخان هذا من سبيل ؟ فقلتُ له : أَهذا دَجاجُك من آل فرعونَ يُعرَضونَ على النّار غُدوًّا وعَشيًّا !

جاء قومٌ من أهل الكوفة يسلّمون على سُكينة ، فقالت لهم : اللهُ يَعلمُ أنى أُبغِضكم ؛ قتلتمْ جدّى عليًّا ، وقتلتمْ أبى الحسين ، وقتلتمْ أخى عليًّا ، وقتلتمْ زَوْجى مُصعبًا، أيتَمْتُمونى صغيرة ، وأرْمَلتمونى كبيرة !

قال سفيان ، رأيت سكينةَ تَرْمِى الجمار ، فسقَطتِ الحصاة السابعة من يَدِها ، فرمت بِحلْقِها[1] مكانَها .

وظهرتْ على سكينةَ سَلَعَة[2] فى أسفل عينِها، وكبرتْ حتّى أخذتْ وجهَها وعينَها، وعظُم شأنُها ، وكان بدراقُس منقطعا إليها ، وفى خدمتها ، فقالت له : ألا ترى ما وقعتُ فيه ؟ فقال لها : اصبِرى على ما يمسّك من الألم حتى أعالجك ، قالت: نعم ، فأضجَعَها وشقّ جلدَ وجهِها حتى ظهرتْ له عروقها ، وكان منها شىء تحتَ الحدَقة ، فرفع الحدَقَة عنه ، ثم سَلّ عروقَ السَّلَعَة من تحتها فأخْرَجَها أجمَع ، وردّ العينَ إلى موضعها ، وعالجها وسكينة مضطجِعة لا تتحرّك له ولا تئِنّ حتى فرغ مما أراد ؛ وزال ذلك عنها وبَرِئت منه ، وبقىَ أثر تلك الجِراحة فى مؤخر عينها ، فكان أحسَن شىء فى وجهِها ، وكان أحسنَ على وجهها من كلّ حَلْىٍ وزينة ، ولم يؤثِّرْ ذلك فى نظرِها ولا عينها .

---

(١) الحلق ، بكسر فسكون : الخاتم من فضة يكون بلا فص . وفى الأغانى : « بخاتمها » .
(٢) السلعة : ورم كالخراج يحدث فى أىموضع ؛ يكون حجمه أولا كالحمصة ثم يكبر .

اجتَمَع في ضيافة سكينةَ جريرٌ والفرزدق وكُثيِّر وجَميل ونصَيب ، فمكثوا أيَّاما ، ثم أَذِنتْ لهم ، فدخلوا عليها، فقعدتْ حيث تَراهم ولا يرونَها، وتَسمع كلامَهم، ثم أخرجتْ وصيفةً لها وضيئةً قد رَوَت الشّعر والحديث ، فقالت : أيّكم الفرزدق ؟ فقال لها : هاأنذا، قالت : أنت القائل :

همــا دلَّتَاني من ثمانين قامةً كما انقضَّ بازٍ أقتَمُ الرأسِ كاسِرُهْ[1]
فلمّا استوت رجْلاى في الأرض قالتَا أحَيٌّ يُرَجَّى أم قتيلٌ نُحَاذِرُهْ ؟
فقلت ارفعُوا الأَمراس لا يشعروا بنا وأقبلت في أعجـاز ليل أبـادِرُهْ[2]
أُبـادِر بوّابين قد وكِّلوا بنــا وأحمرَ من ساجٍ تَبِصُّ مسامِرهْ[3]

قالت: فما دعاك إلى إفشاء سرِّهما وسِرِّك ؟ هلّا سترتَهما وسترتَ نفسَك ! خُذْ هذه الألفَ دينار والْحقْ بأهلك .

ثم دخلتْ على مولاتِها وخرجتْ ، فقالت : أيُّكم جرير ؟ قال : هاأنذا ، قالت : أنت القائل :

طَرَقتْكَ صائدةُ الفؤاد وليس ذَا وَقْتَ الزِّيارة فارجِعى بسلامِ[4]
تُجرِى السِّواك على أغـرَّ كأنه بَرَدٌ تحدَّرَ من متُون غَمامِ
لو كان عهْدكِ كالّذى حدّثْتِنا لوَصلْتِ ذاك وكان غيرَ رُمامِ[5]
إنّى أُواصلُ من أردتُ وصاله بحبــالِ لا صَلِفٍ ولا لَوّامِ

ثم قالت: أفلا أخذْتَ بيَدِها ورحّبْت بها ، وقلت لها ما يقال لِمثلها ! أنت عَفيف

---

(١) أقتم الريش : أسود كالقاتم ، والـكاسر : العقاب ، وفى الأغانى : « كما انحط » .
(٢) الأمراس : الحبال .
(٣) الأغانى : « أبادر بوابين قد وكلا بنا » .
(٤) الأغانى : « صائدة القلوب » .
(٥) رمام ، أى متقطع .

وفيك ضَعْفٌ ، خذ هذه الألفَ والْحق بأهلِك ، ثم دخلتْ على مولاتِها وخرجتْ وقالت : أيّكم كُثيِّر ؟ فقال : هأنذا ، فقالت : أنت القائل :

وأعجَبَنى يا عزُّ منكِ خلائقٌ كرامٌ إذا عُدَّ الخلائق أربعُ
دنوُّكِ حتّى يطمعَ الجاهلَ الصِّبا[1] ودفعُكِ أسبابَ الهوى حينَ يَطْمَعُ
فوالله ما يَدرِى كريمٌ مماطلٌ أَينساكِ إذ باعدْتِ أم يتضرّعُ

قال : نعم ، قالت : مَلَّحْتَ وشَكَّلْت . خذ هذه الثلاثة الآلاف ، والْحقْ بأهلِك. ثم دخلتْ إلى مولاتِها وخرجتْ ، وقالت : أيّكم نُصَيْب ؟ قال : هأنذا ، قالت : أنت القائل :

ولولا أن يُقالَ صَبا نُصَيْبٌ لقلتُ بنفسىَ النَّشأُ الصِّغارُ
بنفسى كلّ مهضومٍ حشاها إذا ظُلِمتْ فليس لها انتصارُ !

قال : نعم ، قالت : ربّيتنا صِغارا ، ومدحتَنا كبارا ، خذ هذه الأربعة الآلاف والْحقْ بأهلِك ، ثم دخلتْ على مولاتِها وخرجتْ ، وقالت : يا جَميل ، مولاتى تقرِئك السّلام وتقول : والله ما زلتُ مشتاقةً إليك منذ سمعتُ قولَك :

ألا ليتَ شِعرى هل أبيتنّ ليلةً بوادِى القُرَى إنّى إذًا لَسعيدُ
لكلّ حديثٍ بينهنّ بَشاشةٌ وكلُّ قتيلٍ بينهنّ شَهيدُ

جعلتَ حديثَنا بشاشة ، وقتِلانا شُهداء ! خذ هذه الألف[2] الدينار ، والْحقْ بأهلِك .

تفاخَرَ كلٌّ من راويةِ جرير ، وراوية الفرزْدق ، وراوية كُثيِّر ، وراوية جَميل ، وراوية الأحْوَص ، وراوية نُصَيْب ؛ وقال كلٌّ واحد منهم : صاحِبى أشعَر ،

---

(١) الأغانى : « حتى يطمع الطالب الصبا » .

(٢) فى الأصول : « الألف دينار » ، وفى الأغانى : « الأربعة آلاف الدينار » .

فحكَّموا سُكينةَ لِما يعرفونه من عقلِها وبصرِها بالشِّعر ، فخرجوا يتعادَوْنَ[1] حتى استأذَنوا عليها ، فأذنتْ لهم ، فذكَروا لها ما كان من أمرِهم ، فقالت لراوية جرير : أليس صاحبك الّذى يقول :

طرقتْك صائدة الفؤاد وليس ذا   وقت الزيارةِ فارجعى بسلامِ[2]

وأىُّ ساعة أحلى للزِّيارة من الطُّروق ! قبحَ اللهُ صاحبَك وقبحَ شعره ! ألا قال : « فادخُلِى بسَلام » !

ثم قالت لراوية كثيِّر : أليس صاحبك الّذى يقول :

يَقَرّ بعينِى ما يقَرُّ بعينِها   وأحسن شىء ما به العينُ قرّتِ

فليس شىء أقرّ لعينِها من النّكاح ، أفيحبّ صاحبك أن يُنكَح ! قبحَ اللهُ صاحبَك وقبحَ شعره .

ثم قالت لراوية جَميل : أليس صاحبُك الّذى يقول :

فلو تركَتْ عقْلِى معى ما طلبتُها   ولكنْ طِلَابِيها لِما فاتَ مِن عَقْلِى

فما أرَى بصاحِبك هوى؛ إنّما يطلب عقلَه ، قبحَ اللهُ صاحبَك وقبحَ شعره !

ثم قالت لراوية نُصَيْب : أليس صاحبك الّذى يقول :

أهيمُ بَدعْدٍ ما حَييتُ فإنْ أَمُتْ   فواحَزَنِى مَن ذا يهيمُ بها بَعْدِى!

فما أرى له همة إلّا مَن يتعشّقها بعدَه ، قبحَ اللهُ صاحبَك وقبحَ شعره ! ألا قال :

* فلا صَلَحتْ دعدٌ لذى خُلّةٍ بعدِى *

ثم قالت لراوية الأحْوَص : أليس صاحبك الّذى يقول :

مِن عاشقَيْن تَواصَلَا وتواعدَا   ليلا إذَا نجمُ الثُّرَيَّا حَلّقَا

---

(١) يتعادون : يتبارون . وفى الأغانى : « يتقادون » ؛ وهما بمعنى .

(٢) فى الأغانى : « حين الزيارة » .

باتا بأنعمِ ليـــلةٍ وألذّها حـتّى إذا وضح الصّباحُ تفرّقا

قال: نعم ، قالت : قَبحَه الله وقَبحَ شعرَه ! ألا قال: « تَعانقا » ، فلم تُثنِ على أحدٍ منهم ، ولم تُقدِّمْه فى ذلك اليوم .

وقيل : إنّها قالت لراوية جَميل : أليس صاحبك الّذى يقول :

فياليتَنى أعمَى أصمُّ تَقودُنى بُثينةُ لا يَخْفَى علىَّ كَلامُها

قال: نعم . قالت : رحم الله صاحبَك ! فإنّه كان صادقا فى شعره ، جَميلا كاسْمه ، فحَكَمتْ له .

ولم يُصلَّ على أحدٍ بعدَ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم بغير إمام إلا على سُكَينة بنت الحسين ، فإنّها ماتت وعلى المدينة خالدُ بنُ عبدالملك ، فأرسلوا إليه فآذنوه بالجنازة فى أوّل النهار فى حرّ شديد ، فأرسل إليهم: لاتُحَدثوا فيها حَدَثاً حتّى أجيءَ وأصلّىَ عليها ، فوُضع النعشُ فى موضع المصلَّى على الجنائز ، وجلسوا ينتظرون حتى جاءت الظهر ، فأرسلوا إليه فقال : لا تُحدِثوا فيها حدثا حتّى أجىء ، فجاءت العصر ، ثم لم يزالوا ينتظرونه حتى صُلِّيت العَتَمة ولم يجئْ ، ومكث النّاسُ جلوسا حتى غلبهم النوم ، فقاموا وأقبلوا يصلُّون جَمْعا جَمْعا عليها وينصرفون .

فقال علىُّ بنُ الحسين رضى الله عنهما : رحم الله مَن أعانَ بطيب ! وإنما أراد خالدُ بن عبد الملك أن تُنـتِن . قال : فأُتِىَ بالمجَامِر فوُضعتْ حولَ النعش ، ونهض ابنُ أختها محمّدُ بنُ عبد الله العثمانىّ فأتى[1] عطّارا كان يَعرِف عنده عودا ، فاشتراه منه بأربعمائة دينار ، ثم أُتِىَ به فبُخِّر حولَ السَّرِير حتى أَصبَح وقد فُرِغ منه ، فلمّا صُلِّيت الصبحُ قال: صلُّوا عليها، وادفِنوها ، فصلَّى عليها شَيبةُ بنُ نِصاح .

وقيل : إنّ عبدَ الله بنَ الحُسَينِ هو الّذى ابتاع لها العودَ بأربعمائة دينار .

(١) كذا فى الأغانى ، وفى الأصول : « فأعطى » ، ولا معنى لها .

ربيعةُ الرَّقّى*

هو ربيعةُ بنُ ثابت الرَّقّى الأسَدىّ وكنيته، أبوشَبانَة[1]. وقيل: أبوثابت. كان يَنزِل الرَّقّة، وبها مولدُه ومنشَؤه.

وهو من المُكْثِرين المُجيدين، وكان ضَرِيراً. وأشخَصَه المهدىُّ إليه فمدَحَه بعدّة قصائد، وأثابه عليها ثوابا كثيرا، وإنَّما أَخْمَلَ ذِكرَه، وأسقطَه عن طبقتِه بُعْدُه عن العراق، وتركُه خدمةَ الخلفاء، ومخاطبةَ الشُّعراء؛ ومع ذلك فما عَدِمَ مفضِّلاً لشعره ومقدِّماً له.

قال دِعْبل: قلتُ لمرْوانَ بن أبى حفصة: مَن أشعرُكم جماعةَ المحدَثين يا أبا السِّمْط؟ قال: أَشعَرُنا أسيَرُنا بيتاً، قلتُ: ومَن هو؟ قال: رَبيعة الرَّقّىّ الّذى يقول فى مَدح يزيدَ بن حاتم[2] المهلَّبىّ وهجاء يَزيدَ بن أُسَيْد[3] السُّلَمىّ:

لَشتّانَ مابين اليَزيدَيْن فى النَّدَى ... يَزِيد سُلَيمٍ والأغرّ بن حاتِم

يَزيدُ سُلَيمٍ سالمُ المالِ والفَتَى ... أخو الأَسْدِ للأموال غيرِ مُسالِمِ

فهَمُّ الفتى الأَسْدِىِّ إتلافُ مالِه ... وهمّ الفتَى القيسىّ جمعُ الدراهِمِ

فلا يَحْسَب التَّمتامُ أنِّى هجوْتُهُ ... ولكنّنى فضّلْتُ أهلَ المكارِمِ

---

* الأغانى ١٦ : ٢٥٤ ـ ٢٦٥ (طبع دار الكتب).

(١) شبانة؛ كذا بالنون فى الأصول، وهو يوافق ما فى نكت الهميان ١٥١، وفى الأغانى «شبابة»، بالباء.

(٢) كذا فى الأغانى؛ وهو يوافق ما فى ابن خلكان ٢ : ٢٨١، ومعجم الأدباء ١١ : ١٣٤ وفى الأصول: «يزيد بن محمد» وهو خطأ.

(٣) أسيد؛ كذا ضبطه فى الأغانى «بضم الهمزة وفتح السين المهملة».

فيابنَ أسيدٍ لا تُسامِ ابنَ حاتمٍ فتقرَعَ إنْ ساميْتَهُ سِنَّ نادِمِ
هوالبحرُ إن كلَّفْتَ نفسَكَ خَوْضَهُ تهالَكتَ في موجٍ له متلاطِمِ

قال أسدُ بنُ أَنَس بن مُجالد الأنصاريّ[1] : قلتُ لأبي زيد النَّحويّ : إنّ الأصمعيّ قال : لا يقال : شتّانَ ما بينهما ؛ وإنّما يقال : « شتّانَ ماهما » ، وأنشد قولَ الأعشى :

* شَتّانَ ما يَوْمِي على كُورِها[2] *

فقال : كذَبَ الأصمعيّ . يقال : « شتّان ما بينهما » ، وأنشدَ لربيعة الرَّقّيّ واحتج لهُ :

* لشَتّانَ ما بينَ اليَزيدَيْن في النَّدَى *

وفي استشهاد مِثلِ أبي زيد على دفع قولِ مِثلِ الأصمعيّ بشعرِ ربيعة الرَّقّيّ كفايةٌ له في تفضيله .

وكان سببُ هجاء ربيعةَ يزيدَ بن أُسيد أنه زارَه ليستميحه[3] دَينا عليه، فلم يَجِد عنده ما أَحَبّ ، فبلغ ذلك يزيدَ بنَ حاتم فبرّه ، وطَفَّل[4] على قضاءِ دَيْنه ، فاستفرَغَ جهدَه ووسْعَه في مدحه له . ولمّا عَمل فيه هذه القصيدة :

* لَشتّانَ ما بينَ اليزيدَيْن في النَّدَى *

---

(١) كذا في الأصول ، وفي الأغاني : « أسيد بن خالد الأنصاري » .

(٢) بقيته :

* وَيَوْمُ حيانَ أخي جابِرِ *

ديوانه ١٠٨ .

(٣) كذا في ا ، وفي الأغاني : « يستميحه » ، وفي ب ج : « يمتحه » ، وفي ب : « ليمتحنه » تصحيف .

(٤) طفل : ترفق وتلطف .

عارَضَه أبو الشَّمَقْمَق ، فقال فى قصيدةٍ يمدَح بها يزيدَ بنَ مَزْيَد ، سَلَخَ بيت[1] ربيعة الرَّقّىّ ، بل نقَله :

لَشتّانَ مابينَ اليزيدَين فى النَّدى ... إذا عُدَّ فى الناس المكارمُ والمجدُ
يزيدُ بنى شيبانَ أكرمُ منهما ... وإنْ غضبتْ قيسُ بن عَيْلَان والأزْدُ
فتًى لم تلدْه من رُعَيْنٍ قَبيلةٌ ... ولا لَخْمُ تَنْميه ولم تَنْمِه نَهْدُ
ولكن نمته الغرُّ مِنْ آلِ وائلٍ ... وَبرّةُ تَنْميهِ ومِن بَعْدِها هِنْدُ

ولَمْ يَسرْ فى هذا المعنى شيءٌ كما سارتْ أبياتُ ربيعة .

قال أبو دِعامة : لما هجا ربيعةُ يزيدَ بنَ أَسَيْد السُّلَمِىّ ـ وكان جليلا عند المنصور والمهدىّ ـ وفضّل عليه يزيدَ بنَ حاتم ، قلتُ لربيعة : يا أبا شبانة[2] ، ما حمَلك على أن هجوتَ رجلا من قومك ، وفضّلت عليه رجلا من الأَزْد ؟ قال : أُخْبِرك ، أَملقْتُ مرّة فلم يبق لى إلّا دارى ، فرهنتُها على خمسمائة درهم ، ورحلت إليه فى أَرْمينيَةَ ، وأَعلَمْتُه بذلك ومدَحْتُه ، وأقمتُ عنده حَوْلا ، فوهب لى خمسمائة درهم ، فتحمّلتُ بها وصِرْت إلى منزلى ، ولم يَبقَ معى كبيرُ شيء ، فنزلتُ فى دارٍ بِكراء ، ثم قلت : لو أتيتُ يزيدَ بن حاتم ! ثم قلت : هذا ابن عمّى فَعَل بى هذا الفعل ، فكيف غيرُه ! ثم حملتُ نفسِى على أن أتيتَه ، فأعلمتُه بمكانى ، فتركَنى شهراً حتّى ضجرتُ ، فأكرَيْتُ نفسى من الحمّالِين ، وكتبتُ بيتا فى رُقعة وألقيتُها[3] فى دِهليزه ، وهو :

أرانى ولا كفرانَ لِلهِ راجعاً ... بخُفَّىْ حُنَينٍ من يزيدَ بن حاتم[4]

---

(١) كذا فى ا ؛ وهو يوافق ما فى الأغانى ، وفى ب ، ج : « من ربيعة » .
(٢) الأغانى : « شبابة » .
(٣) الأغانى : « وطرحتها » .
(٤) كذا فى ا والأغانى ؛ وفى ب ، ج : « من نوال يزيد » .

فوقعت الرُّقعةُ فى يد حاجبه ، فأوصلَها إليه من غير عِلْمى ولا أمرى ، فبعث خَلْفى ، فلمّا دخلتُ عليه قال : إيهٍ ! أنشِدْنى ما قلت ؛ فتمنّعتُ ؛ فقال : واللهِ لابدّ أن تُنشِدَنى ، فأنشدتُه ، فقال : لا والله لا تَرجع كذلك ، ثم قال : انزعوا خُفَّيه ، فنزعوهما فَحشاهما دنانيرَ ، وأمر لى بغلمانٍ وجَوارٍ وكُساً ، أفلا تَرى لى أن أمدحَ هذا وأهجو ذاك ! قلتُ : بلى والله. وسار شِعْرى حتى بلغ المهدىّ ، وكان سبَبى[1] إليه .

وقال عبدُ الله بن المعتز : كان ربيعةُ الرقىُّ أرقَّ غزَلاً من أبى نُواس[2] ؛ لأنّ فى غزَل أبى نُواس[2] بَرْداً كثيرا ، وغزَل ربيعة منهلٌ عَذْب .

اشتَهى جَوارِى المهدىِّ أن يَسمَعن ربيعةَ الرَّقىّ ، فوجّهَ إليه المهدىُّ مَن حَمَله من بلده[3] على البَريد حتّى قَدِم به عليه ، فلمّا دخل عليه سمع من وراء السِّتْر حِسًّا ، فقال : إنّى أسمع حِسًّا يا أميرَ المؤمنين . فقال : اسكُت يابنَ اللَّخْناء ، واستنْشدَه ما أراد ، وضَحِك وضحكَ جواريه .

وكان فيه لِين ، وكذلك كان أبو العتاهية ، ثم أجازه بجائزة سنيّة ، فقال له :

يا أميرَ المؤمنينَ اللّـ ـهُ سَمّاكَ الأَمينَا
سَرَقونى من بِلادى يا أميرَ المؤمنينا
سَرَقونى فاقض فيهمْ بقضاءِ السارقينا

قال : قد قضيتُ فيهم[4] بأن يردُّوك إلى حيثُ أَخَذوك ، ثم أمر بِه يُحمل على البريد من ساعته إلى الرَّقَّة .

---

(١) الأغانى : « فكان سبب دخولى عليه » .

(٢) ب ، ج : « فراس » تصحيف .

(٣) الأغانى : « أخذه من مسجده » .

(٤) ساقطة من ب ، ج .

امتدَح ربيعةُ الرَّقِّيُّ العباسَ بنَ محمّدِ بنِ عليّ بنِ عبد الله بنِ العبّاس بقصيدة لم يُسبَق إليها حُسْنا ، يقول فيها :

لو قيــل للعبّاس يا بنَ محمّدٍ ... قل « لا » وأنتَ مخلَّدٌ ما قالَها
ما إنْ أعُدُّ من المكارم خَصلةً ... إلّا وجدْتُــك عَمَّها أو خالَها
وإذا الملوكُ تَسايَروا فى بَلْدةٍ ... كانوا كواكبَها وكنت[1] هلالَها
إنّ المكارمَ لم تزلْ معقولة[2] ... حتى حَلَلْتَ براحتَيْك عِقالَها

فبعث إليه بدينارين ، فلمّا رآهما كاد أن يُجَنّ غضَباً ، وقال للرّسول : خذ الدِّينارَين لك ، على أن تَرُدّ الرقعةَ علىَّ من حيثُ لا يَدرِى العبّاس ، ففعل الرسولُ ذلك ، فأخَذَها ربيعة ، وكتب على ظهرِها[3] :

مدحتُكَ مِدحةَ السَّيفِ المُحَلَّى ... لتجرىَ فى الكرامِ كما جَرَيْتُ
فهبْها مِدحــةً ذهبتْ ضَياعا ... كَذبتُ عليك فيها وافترَيْتُ
فأنْتَ المــرءُ ليس له وَفاءٌ ... كأنّى إذ مدحتُك قــد زَنَيْتُ

ثم دفعَها إلى الرّسول وقال : ضَعْهَا فى المكان الّذى أخذتَها منه ، فردّها الرّسولُ إلى مكانها ، فلمّا كان من الغد أخذَها العبّاس ، فنظر فيها ، فلمّا قرأ الأبيات غضب ، وقام من وقته ، فرَكِب إلى الرّشيد ــ وكان أثيرا عنــده يبجّلهُ ويقدّمه ، وكان الرشيدُ قد همّ أن يَخطُب إليه ابنتَه ــ فرأى الكراهةَ فى وجهه ، فقال : ما شأنُك ؟ قال : هجانى ربيعةُ الرَّقّىّ . فأحضَرَه الرّشيد وقال : ياماصَّ كذا مِن أُمّه ، أتهجو عمّى وآثرَ الخلْق عندى ؟ لقد هممتُ أن أضربَ عُنُقَك !

---

(١) ب ، ج : « وأنت » تحريف .

(٢) ب ، ج : « معقودة » .

(٣) فى الأغانى . « وأمر من كتب على ظهرها » ؛ وهو الوجه ، فقد كان ربيعةالرقى ضريرا ذكره الصفدى فى نكت الهميان .

فقال : والله يا أميرَ المؤمنين لقد مدحتُه بقصيدة ما قال مِثلَها أحدٌ من الشعراء فى أحدٍ من الخلفاء ، ولقد بالغتُ فى الثّناء ، وأكثرتُ الوصف . فإنْ رأى أميرُ المؤمنين أن يأمُرَه بإحضارها ! فلمّا سمع الرشيدُ ذلك منه سكَن غضَبُه ، وأحَبّ أن ينظر القصيدة . فأمر العبّاسَ بإحضارها ، فتلكّأ عليه ، فقال له الرّشيد : سألتُك بحقّى عليكَ إلّا أمرتَ بإحضارها . فعلم العبّاس أنه قد أخطأ وغَلط ، فأمر بإحضارها، فأُحضِرَتْ، فنظر الرّشيدُ فيها[1] وأُعجِب بها واستحسَنَها ، وقال : ماقال أحدٌ من الشعراء فى أحد من الخلفاء مِثلَها ، ولقد صدق ربيعةُ وَبرّ ، ثم قال للعبّاس : كم أثبَتّه عليها ؟ فسَكَت العبّاس ، وتغيّر لونُه .

فقال ربيعة : أثابنى عليها يا أمير المؤمنين بدينارين . فتوهَّمَ الرشيدُ أنه يقول ذلك من المَوْجِدة عليه ، فقال : بحياتى يارَقّ ! كم أثابَك ؟ فقال : وحياتِك يا أميرَ المؤمنين ، ما أثابَنى إلّا بدينارين . فغضب الرّشيد غضبا شديداً ، ونظر فى وجه العبّاس وقال : سَوْءَةً لك ! أىُّ حالٍ قَعَدتْ بك عن إثابته ! أَقِلَّةُ مال ؟ فوالله لقد مَوّلْتُك جهدى ، أم انقطاعُ المادّة عنك ؟ فوالله ما انقطعتْ عنك ، أم أصلك ؟ فهو الأصل الّذى لا يدانيه شىء . أم نفسُك ؟ فلا ذنبَ لى ، بل نفسك فعلتْ بك ذلك حتى فضحتَ نفسَك وأباك وأجدادَك وفضحتَنى !

فنكّس العبّاسُ رأسَه ولم يَنطق ، فقال الرشيد : يا غلام ، أَعط ربيعةَ ثلاثين ألفَ درهم وخِلعة ، وأحمله على بغلة ؛ فلمّا حُمِل المالُ بين يديه وأُلبِس الخلعة ، قال له الرّشيد : بحياتى يا ربيعة لا تَذكُرْه فى شىء من شعرِك تعريضاً ولا تصريحا .

وفتَرَ الرّشيدُ عمّا كان هَمّ به من التزويج إليه ، وأظهر له بعد ذلك جفاء واطّراحا .

---

(١) ب ، ج : « إليها » .

وكان ربيعةُ لا يزال يَعبَث بالعبّاس بن محمد بحضرة الرشيد العبَثَ الّذى يَبلغ منه الجدّ ، منذ جرى بينهما فى هذا المديح ما جرى من حيث لا يتعلّق عليه فيه شىء. فجاء العبّاس يوما إلى الرّشيد ببَرْنِيّةٍ فيها غالية ، فوضعها بين يديه ثم قال : يا أميرَ المؤمنين ، هذه غاليةٌ صنعتُها لك بيدَى ، اُختِرتُ عنبرَها من شِحْرِ عُمان ، ومِسْكَهامن مَفاوِزِ التُّبَّت ، وماءَها من قَعْرِ تِهامة(١) ، والفضائل كلُّها فيها مجموعةٌ ، والنَّعْتدونَها يَقْصُر . فاُعترضَه ربيعة ، فقال : ما رأيتُ أعجبَ منك ومن صِفتك هذه الغاليةَ ، عند مَن إليه كلّ موصوف يُجلَب ، وفى سُوقِه يَنفُق ، وبه إليه يتقرّب(٢) وما قَدْرُ غاليتِك هذه أعزّك الله حتى تُبالِغَ فى وصفها هذه المبالغة ! أأجريتَ إليه بها نَهْرا ، أو حَمَلْتَ إليه منها وِقْراً ! إنّ تعظيمَك هذا عند من تُجْبَى إليه خزائنُ الأرض وأموالُها من كلّ بلد ، وتَذِلُّ لهيْبته جبابرةُ المُلوك المطيعة والعاصية ، وتتحِفُه بطُرَفِ بُلْدانها(٣) ، وبدائع مُلْكها ، حتّى كأنّك قد فقتَ بها ما عندَه ، وأبدعتَ له ما لا يَعرِفه ، وخَصَصْتَه بما لم يَحوِه ملكه ، لا تخلو فيه من ضَعفٍ أو نقصِ(٤) همّه . فنشدتُكَ اللهَ يا أميرَ المؤمنين إلّا جعلتَ حَظّى من كل جائزة وفائدة تُوصِلها إلىّ فى مدّة سنة هذه الغاليةَ حتّى أتلقّاها بحقّها .

قال : ادفعُوها إليه ، فدُفعتْ إليه ، فأدخَل يدَه فيها ، فأخرَجَ ملءَ كَفِّه ، وحَلَّ سراويلَه وأدخل يدَه ، فطلَى بها اُستَه ، وأَخرج حَفْنةً أخرى فطَلَى بها ذَكَره وأنْثَيَيْه ، وأخرَج حَفْنتَين فطَلَى بهما إبْطَيه . ثم قال : يا أميرَ المؤمنين ، غلامى يؤذَن له فى الدّخول ! فقال: أدخِلوه إليه ــ وهو يضحك ــ فأُدخِل فدفع إليه البَرْنيّة ، فقال :

---

(١) كذا فى ا ، وهو يوافق ما فى الأغانى . وفى ب ، ج : « قفر » .

(٢) ب ، ج : « وإليه يتقرب » ، وما أثبته من ا والأغانى .

(٣) كذا فى ا والأغانى . وفى ب ، ج : « لذاتها » تصحيف .

(٤) الأغانى : « قصر همة » .

اذهبْ إلى جاريتي فلانه بهذه البَرْنيّة ، وقل لها : طَيِّبي بها حِرِكِ وإبطيك حتّى آتيَ الساعة فأفعلَ بكِ .

فأخَذَها الغلامُ ومضى ، وضَحِك الرّشيدُ حتّى غُشِيَ عليه ، وكاد العبّاس أن يموت غيظا ، ثم قام وأنصرف ، وأمَرَ الرشيدُ له بثلاثين ألفَ درهم .

قال عليّ بنُ الحسينِ بنِ عبد الأعلى : رأيت قصيدةً لربيعةَ الرَّقّيّ مكتوبةً في دَوْر بِساطٍ من بُسُط السّلطان مبسوطةً في دار العامّة بسُرّ مَنْ رَأى ، وهى هذه[1] :

وتَزْعُم أنّي قـــد تبدّلْتُ خُلَّةً ... سِواها وهـــذا الباطل المُتَقوَّلُ !

لَحَا اللهُ مَن باعَ الصّديقَ بغَيْره ... فقال نعم حاشاكَ إن كنتَ تفعلُ

ستَصْرِم إنساناً إذا ما صَرَمْتَنِي ... بحبِّك فانظر بَعده مَن تَبدَّلُ !

كان ربيعةُ يَهْوَى جاريةً يقال لها : عَثّامة ، لرجل من أهل قَرْقيسياء ، يقال له: ابن مَرّار ، وكان بنو هاشم في سلطانهم قد ولَّوْه مصرَ ، وأصابَ مالًا عظيما ، فبلغه خبرُ ربيعةَ مع جاريته ، فأحضَرَه ، وعرَضَ عليه[2] أن يهبَها له ، فقال : لا تَهَبْها لي ، فإن كلّ مبذول مملول ، وأكره أن يَذهَب حبُّها من قلبي ، ولـكن دَعْني أواصلُها هكذا ؛ فهو أحبُّ إليّ ، وقال فيها ومدح بها بعضَ وَلدِ يزيدَ بنِ المهلَّب :

اعتاد قلبَك مِن حَبيبكَ عِيدُه ... شوقٌ عَرَاكَ فأنتَ عنه تَذُودُهُ

والشّوق قد غَلَب الفؤادَ وقادَه ... والشوقُ يَغلِب ذا الهوى فيقودُه

في دارِ مَرَّارٍ غَزالُ كَنيسةٍ ... عَطِرٌ عليـــه خُزُوزُه وبُرُودُه

ما ضَرَّ عَثْمة أنْ تُلِمَّ بعاشقٍ ... دَنِفِ الفـــؤاد متيَّم فتَعودُه

---

(١) ساقطة من ا . وفى الأغانى : « وهى قوله » .

(٢) ساقطة من ا ، ج .

لقىَ ربيعــةُ الرّقّىُّ معنَ بنَ زائدة ، فامتدَحه بقصيدة ، وأنشَدَهُ إيّاها ، فلمْ يَهشَّ لها معن ، ولا رَضِيَ ربيعة لِقاءَه إيّاه ، وأثابه ثواباً نَزْرًا فردّه ربيعــةُ وهجاه هجاءً كثيراً ، فما هجاه به قوله :

معنُ يا معنُ يا بن زائدةِ الـكَلْـ ... ـبِ الّتى فى الذّراع لا فى البَنانِ
لا تُفاخرْ إذا فخَـــرْتَ بآبا ... ئكَ وافْخَرْ بعَمِّك الحَوْفَزانِ
فهشــامُ بنُ وائلٍ فى مكانٍ ... أنتَ تَرْضَى بدون ذاكَ المكان
ومتى كنتَ يابن ظبيــةَ ترجو ... أن تُثَنَّى على أبنــةِ الغضبانِ !
هى حَوْراءُ كالمَهــاةِ هِجانٌ ... لهِجانٍ وأنتَ غـــيرُ هِجانِ
وبنات السُّلَيْك(١) عند بنى ظَبْـ ... ـيَةَ أفٍّ لـكمْ بنى شَيْبانِ
قيل معن لنــا فلمّا أختبرنا ... كان مَرْعًى وليسَ كالسَّعْدانِ

ظبية الّتى غيّر بها أمّه ، كانت أَمَةً لبنى نَبْهانَ بنِ أبى ربيعة بن ذُهْل بن شَيبان، لقيَها عبدُ الله بنُ زائدة بن مَطَر بن شريك ، جدّ معن بن زائدة بن عبد الله ، وكانت راعيةً لأهلِها فى غَنَمها ، فسَرَقَها ووقَع عليها ، فولدتْ له زائدة بن عبد الله أبا مَعْن ابن زائدة ودِجاجة بنت عبد الله . وبنت السُّلَيْك الّتى عناها : أمرأةٌ من [ولد](٢) الحَوْفَزان .

قال أبو بِشْر : كنت حاضرا ربيعةَ الرّقّىَّ يوما ، وجاءته امرأةٌ من منزل عَثْمة الجارية الّتى يتعلّقها ، فقالت له : تقول لك فلانة : إنّ بنت مولاى محمومة ، فإن كنتَ تعرف عُوذة تَـكتبها لها فافعل ، فقال : اُكتُبْ لها يا أبا بِشْر هذه العُوذَة :

---

(١) الأغانى : « وبنات السليل » .
(٢) تـكملة من الأغانى .

تفُو تفُو باُسمِ إلهى الّذى | لا يعرض السُّقْم لمن قد شَفا
أُعيــــذُ مولاتى ومَوْلاتَها | وأُبنتَهــــا بعُوذَةِ المصطفى
مِن شَرٍّ ما يَعرِض مِنْ عِلّةٍ | فى الصُّبْح واللَّيل إذا أسْدَفا

تفُو تفُو ، هو النَّفْث الّذى يَنْفِثُه الرّاقى . قال أبو بِشْر : فقلت له : يا أبا شبانة، لستُ أُحْسِن أن أكتب : « تفُو تفُو » ، فقل لى كيف أكتبُها ؟ قال : انضح المدادَ من رأس القلم ، يقع فى موضعين ، أو ثلاثة ؛ حتى يكون كالنَّفْث ، وأُدفَع إليها العُوذة ، فإنّها نافعة . ففعلتُ ، ودفعتُها إليهـا ، فلم تَلْبَثْ أن جاءت الجاريةُ وهى لا تَتمالك ضَحِكا . فقالت له : يا مجنون ، ما فعلتَ بنا ! كِدْنا والله أن نفتَضِح فقال لها : وما أَصنَع بكِ ؟ أنا شاعر أو صاحب تَعاوِيذ !

الرَّبيعُ بنُ زِياد العبسى*

هو الرَّبيع بنُ زِياد بنِ عبدِ الله بنِ سُفْيَانَ بن ناشِب بن هدْم بن عُود بن غالِب ابن قُطَيعة بن عَبْس بن بَغيض بن رَيْث بن غَطَفان بن سعد بن قيس بن عَيْلَان ابن مُضَر بن نِزار ، وأمُّه فاطمةُ بنت الُخرْشب[1] ؛ واسمُه عَمرو بنُ النَّضْر بن حارثة بن أنمار بن بَغيض بن رَيْث بن غَطَفان . وهى إحدى الُمنْجِبات ، كان يقال لبَنِيها الكَمَلَة ؛ وهم : الربيع ، وعُمارة ، وأَنَس .

ولما سأل معاويةُ علماءَ العَرَب عن البُيوتات والمنجِبات ، وحظر عليهم ألّا يُجاوِزوا فى البيوتات ثلاثة ، وفى المنجِبات ثلاثاً ، عَدُّوا فاطمة بنت الُخرْشُب فيمن عَدُّوا ، وقبلها حيّة[2] بنتُ رَباح القَنَوِيّة أمّ الأَحْوَص ، وخالد بن مالك ابن جعفر بنِ كلاب ، وماويّة بنت عبد مَناة بنِ مالك بنِ زيد بنِ عبد الله بنِ دارم ابن عمرو بن تميم ، أمّ لَقِيط وحاجب وعلقمة ؛ بنى زُرارة بن عُدَس بنِ زيد بنِ عبد الله بن دارم .

ولدتْ فاطمةُ بنتُ الُخرْشُب من زياد بنِ عبد الله سبعة ، فعدّت العرب المنجبين منهم ثلاثة ، وهم خيارُهم ، فمنهم : الربيع ، ويقال له : الكامل . وعُمارة ـ وهو الوهّاب ـ وأَنَس ـ وهو أنس الفوارس ، وهو الواقعة ـ وقيس ـ وهو البرد ـ والحارث ـ وهو الَحرون ـ ومالك ـ وهو اللّاحق ـ وعَمرو ، وهو الدّرّاك .

---

* الأغانى ١٦ : ١٩ـ٤٣ (ساسى) ، ١٧ : ١١٦ ـ ١٤٠ . (دار الثقافة ببيروت) .
(١) فى الأصول : « الحوشب » ، تصحيف ، وصوابه من الأغانى .
(٢) كذا فى الأصول ، وفى الأغانى : « حُبيبه » .

رُوِى أنّ عبدَ الله بن جُدْعانَ لقِىَ فاطمةَ بنت الُخرْشُب تطوف بالكعبة ، فقال لها : نَشَدْتُكِ بالله ربِّ هــذه البَنِيّة ! أىُّ بَنيكِ أفضل ؟ قالت : الرَّبيع ، لا بل أَنَس ، لا بل عُمارة ؛ ثَــكِلْتُهُمْ إن كنت أدرى أيّهم أفضــل . وقالت : ـ وقد سئلت أيضا أيُّهم أفضل ـ أمَا والله ما حملتُ واحدا منهم تُضْعا ، ولا ولدْتُه يَتْنا ، ولا أرضعتُه غَيْلا ، ولا منعتُه قَيْلا ، ولا أَبَتُّه على ماقة[1] .

قال أبو اليقظان : معنى قولها : « ما حملتُ واحدا منهم تُضْعا » . تقول : ما حملتُ فى دُبُر الطُّهْر ، وقيــل : الحَيْض . وقولها : « ولا ولدْتُه يَتْناً » ؛ وهو أن تخرُج رجلاه قبل رأسه . وقولها : « وما أرضعتُه غَيْلا » ، أى ما أرضعتُه قبل أن أحلب ثديى. وقولها : « ولا منعتُه قَيْلا » ، أى لم أَمنَعْه اللّبَن عنــد القائلة . وقولها : « ولا أَبَتُّه على ماقة » ، أى وهو يبكى .

وسئلَتْ فاطمةُ عن بنيها فوَصَفَتْهم ، فقالت : عُمارةُ لا يَنام ليلة يخاف[2] ، ولا يَشبَع ليــلةَ يُضاف . وقالت فى الربيع : لا تُعَدّ مآثِرُه ، ولا تُخْشَى فى الجهل بَوَادِرُه . وقالت فى أَنَس : إذا عَزَم أَمْضَى ، وإذا سُئل أَرْضَى ، وإذا قَدَر أَغْضَى . ووصفَتْ كُلًّا منهم بوصفٍ .

ضافَ فاطمةَ ضيفٌ ، فطرحتْ عليه شَمْلَةً من خزّ ، فلمّا أَعْتَم[3] دنا منها ، فصاحت به ، فــكَفّ . ثم إنه لم يَصبر ، فواثبَها فبَطَشَتْ به ، وهى من أشَدِّ الناس، فقبَضَتْ عليه ثم صاحت : يا أَنَس ! فأتاها ، فذكرَتْ له ذلك . فقال لها : أخى

---

(١) فى اللسان : « المائق : السريع البكاء القليل الحزم والثبات ؛ من قولهم : « ما أباتته مئقا ، أى ما أباتته باكيا » ؛ وفى الأصول « فاقة » تصحيف ، صوابه ما فى الأغانى .

(٢) كذا فى الأغانى ، ا ، وهو الوجه ؛ وفى ب ، ج : « المحاق » تصحيف .

(٣) فى الأغانى : « فلما وجد رائحته وأعتم » .

أ كبرُ منّى فسَلِيه ، فنادت : يا عُمارة ، فأتاها فذكَرَتْ له ذلك . فقال لها : السّيف ! وأراد قتلَه ، فقالت له : يا بُنَيّ ، لو دَعَوْنا أخاك فهو أكبرُ منك ! فدَعَت الرّبيع ، فذكَرَتْ له ذلك . فقال : أفتطيعوننى يا بَنِى زِياد ؟ قالوا : نعم . قال : فلا تزَنُّوا أمَّكم ، ولا تقتلوا ضيفَكم ، وخَلُّوه يَذهب ، فذهب .

قال رجل من طيّىء ، ويقال له الربيع بن عُمارة :

فإن تكن الحوادث قَطّعَتْنِي[1]   فلَمْ أرَ هالكاً كابْنَىْ زِيادِ
هُمَا رُمْحان خَطِّيّانِ كانا   مِن السُّمْر المثقَّفةِ الحِدادِ
تَهابُ الأرض أن يَطآ عليها   بمثلِهما تُسالِم أو تُعادِى

---

(١) فى الأغانى : « أنطعتنى » .

ربيعة مسكين الدارمى*

مِسكين ، لقبٌ غَلَب عليه ، واسمُه ربيعة بنُ عامر بنِ أُنَيْف بن شُرَيح بنِ عَمرو بنِ زَيد بنِ عبد الله بن عُدُس[1] بن دارِم بنِ مالك بنِ حنظلة بن مالك بنِ زيد مناةَ بنِ تميم . ولُقِّب مِسكينا لقوله :

أنا مِسكينٌ لمَن أنكرَنى ... ولمَنْ يَعرِفُنى جِدُّ نَطِقْ[2]

لا أَبيعُ النّاسَ عِرْضى إنّنى ... لو أَبيعُ النّاسَ عِرْضى لنفقْ

ولقوله أيضا[3] :

إنْ أُدْعَ مِسكينا فلستُ بمُنكَرٍ ... وهل يُنكِرَنّ الشمسَ ذَرُّ شُعاعِها

لعمرك ما الأسماءُ إلّا عَلامةٌ ... مَنارٌ ومِن خَيْرِ المَنارِ ارتفاعُها

شاعرٌ شريفٌ من سادات قومه ، هاجَى الفرزدقَ ثم كافَّهُ[4] ، ثمّ كان الفرزدقُ يَعُدّ ذلك من الشدائد الّتى أَفلَت منها ، فكان يقول : نجوتُ من ثلاثة أشياءَ لا أخافُ شيئا بعدَها ، نجوتُ من زِيادٍ حين طَلَبنى ، ونجوتُ من ابنى رُمَيلةَ[5] وقد نَذَرا دمِى ،

---

* ترجمته فى الأغانى ١٨ : ٦٨-٨٢ (ساسى)، ٢٠ : ١٦٧ - ١٧٩ (دار الثقافة ببيروت).

(١) عدس ، بضمتين ، وفى الخزانة ١ : ٤٦٧ عن ابن الكلبى : « كل عدس فى العرب بضم الميم وفتح الدال إلا عدس بن زيد هذا، فإنه مضموم الدال » . وفى ب ج : « عدى » ؛ والصواب ما أثبته من ا والأغانى .

(٢) ب ، ج : « ثم لم يعرفنى » ، وهو خطأ ، والصواب مافى ا ، ونطق ككتف : الكثير النطق ، من صيغ المبالغة .

(٣) ساقطة من ب ، ج .

(٤) المكافة : أن يكون الشر مكفوفا بين المتخاصمين ، كما تكف العياب إذا أشرجت على ما فيها من متاع .

(٥) هما الأشهب والرباب أخوه ، وأمهما رميلة ، وهى أمة لخالد بن مالك بن ربعى بن سلمى وانظر الأغانى ٨ : ١٥٣ (ساسى) .

وما فاتهما أحــدٌ طَلَباه قطّ ، ونجوتُ مِن مُهاجاةِ مِسْكين الدّارِيّ ؛ لأنّه لو هجانى لاضطرنى إلى أن أَهدِم شطرَ حَسَبِي وفخرى ؛ لأنّه من بُحْبوحة نَسَبِي ، وأشرافِ عَشيرتى . فكان جرير حينئذ ينتصِفُ[1] منّى بيَدى ولسانى .

كان زيادٌ أَرْعَى[2] مِسكينا حِمًى له بناحية العُذَيب ، فى عامٍ قَحْط حتّى أَخْصَب الناس ، ثم كتب له ببُرّ وتَمْر وكِساء . فلمّا مات زِياد رَثاه مِسكينٌ فقال :

رأيتُ زيادةَ الإسلام وَلَّت ... جِهاراً حينَ وَدَّعَنا زِيادُ

فعارَضَه الفرزدق ــ وكان منحرِفاً عن زيادٍ لطلبه له ، وإخافته إيّاه ــ فقال :

أمسكينُ أَبكَى اللهُ عَيْنكَ إنّما ... جَرَى فى ضَــلالٍ دمعُها وتَحدَّرا

بكيتَ على عِلْجٍ بمَيْسانَ كافرٍ ... ككِسْرى على عِدّانِه أو كقَيْصَرا[3]

أقــول لـــه لمّا أتانى نَعِيُّه ... به لا بظَبْيٍ بالصَّرِيمــةِ أَعْفَرا[4]

فقال مسكينٌ يجيبه :

ألاَ أيُّها المرءُ الّذى لستُ قاعــداً ... ولا قائماً فى القوم إلّا انبرى ليا

فجِئْنى بعَمٍّ مِثْــلِ عَمِّيَ أَوْ أَبٍ ... كمِثل أبِى أو خالِ صدقٍ كخَاليا

كعَمرو بنِ عَمرٍو أو زُرَارَةَ ذى النَّدَى ... أو البِشْر من كلٍّ فرعتُ الرَّوابيا

فأمسَكَ الفرزدقُ عنه فلَم يُجِبه ، وتكافأ ، ودخل بينهما شيوخ بَنِى عبد الله وبنى مُجاشِع .

---

(١) ينتصف منى ، أى يأخذ حقه كاملا .

(٢) أرعاه المكان : جعله له مرعى . والعذيب : واد لبنى تميم من منازل حاج الكوفة .

(٣) عدانه : زمانه وعهده . وانظر النقائض ٦٢١ .

(٤) الظبي الأعفر : الأبيض ، أى لتنزل به الحادثة لا بظبي . وانظر مجمع الأمثال ١ : ٩٠ .

قَدِم مسكين الدّارِىُّ على معاوية ، فسأله أن يفرِض[1] له ، فأَبَى عليه ، وكان لا يَفرِض إلّا لليَمن ، فخرج من عندِه وهو يقول :

أخاكَ أخاكَ إنَّ من لا أَخا لَـه ... كساعٍ إلى الهَيْجا بغيرِ سلاحِ
وإنّ ابنَ أُمِّ المرءِ فاْعلمْ جَناحُه ... وهل يَنهَض البازِى بغيرِ جَناحِ !
وماطالِبُ الحاجاتِ إلّا مغرَّرٌ ... وما نالَ شيئا طالبٌ كنجاحِ[2]

فلم يزَل معاوية حتّى عزّت اليمنُ وكَثُرتْ ، وتضمضعَ عدنان ، فبلغ معاويةَ أنَّ رجلا من أهلِ اليَمَن قال : لَهَمَمتُ ألّا أَدَع بالشام أحدا مِن مُضَر ، بل هممتُ ألّا أحُلّ حَبْوَتى حتى أخرِج كلَّ نِزارِىٍّ بالشام . فبلغت[3] معاوية ، فَفَرض من وقته لأربعة آلافِ رجلٍ من قيس سوى خِندِف ، وقدم عليه — على تَفِئَةِ ذلك[4] — عُطاردُ بن حاجب . فقال له : مافعل الفتى الدارمىّ الصَّبيح الوَجْه ، الفصيح اللّسان ؟ يعنى مِسكينا . فقال : صالحٌ ياأمير المؤمنين ، قال : أَعلِمْه أنّى قد فرضتُ له فى شرف العطاء وهو فى بلاده ، فإن شاءَ أن يقيمَ بها أو عندنَا فليَفْعَل ؛ فإن عطاءه سيأتيه ، وبشِّره بأنّى قد فرضتُ لأربعةِ آلافٍ من قومه من خِندِف .

وكان معاويةُ يُغزِى اليَمَن فى البحر ، ويُغزِى قيساً فى البرّ ، فقال شاعرُ اليَمَن :

ألا أيّها القومُ الّذين تَجمَّعوا ... بعكّا أُناسٌ أنتمُ أمْ أباعِرُ !
أنتركُ قيساً آمِنينَ بِدارِهمْ ... ونركبُ ظهرَ البحرِ والبحرُ زاخرُ
فوالله لا أدرى وإنّى لسائلٌ ... أَهَمْدانَ تَحمِى ضَيْمَنا أم يُحابِرُ !

---

(١) يفرض له ، أى يجعل له راتبا يكون ثابتا .

(٢) المغرر : المخدوع .

(٣) ب ، ج : « فتعلقت » ، تصحيف ، والصواب ما فى ا والأغانى .

(٤) على تفئة ذلك ، على حينه وزمانه ، وب ، ج : « بقية ذلك » تصحيف .

أم الشَّرف الأعلى من أولادِ حِمْيَرٍ　　بَنِى مالك إذ تَستمِرّ المَرَائِرُ
أأوصَى أبوهمْ بينهمْ أن تَواصَلوا　　وأوصَى أبوكمْ بينكمْ أن تدابَروا !

فلمّا بلغت هـذه الأبيات معاوية ؛ بعث إلى اليمن ، فاعتذر إليهم ، وقال : ما أغزيْتكم البحرَ إلّا لأنّى أتيمّن بكم ، وإنّ فى قيس نكداً وأخلاقا لا يحتملها الثّغر ، وأنا عارفٌ بطاعتكم ونُصحكم . فأمّا لو ظننتمْ غيرَ ذلك فأنا أجمع فيه بينكم وبين قيس لتكونوا جميعا فيه ، وأجعل الغزوَ فيه عَقِباً بينكم . فرضُوا ، وأعقب بينهم فى الغَزاة فى البحر .

قال أبو عبيدة : أشعرُ ما قيل فى الغَيْرة قولُ مِسكين :

ألا أيُّها الغائرُ المُسْتَشِيطُ　　فيمَ تَغَارُ إذا لَمْ تُغَرْ[(١)]
فما خَيْرُ عِرْسٍ إذا خِفْتَها　　وما خيرُ عِرْسٍ إذا لم تُزَرْ[(٢)]
تَغارُ على النّاس أن يَنظُروا　　وهل يفتِنِ الصّالحاتِ النّظرْ !
وإنّى سأُخلِى لها بيتَها　　فتحفظَ لى نَفْسَها أو تَذَرْ[(٣)]
إذا اللهُ لَمْ يعطِنى حُبَّها　　فلن يعطنى الحبَّ سَوْطٌ مُمَرّ[(٤)]

كان يزيد بن معاوية يؤثر مِسكينا الدارمىّ ويصلهُ ، ويقوم بحوائجه عند أبيه ، فلمّا أراد معاويةُ البَيعة ليزيدَ تهيَّب ذلك ، وخاف ألّا يُمالِئه الناسُ عليه لحسْن البقيّة فيهم ، وكثرة من يرشّح[(٥)] للخلافة ، وبلغه فى ذلك ذَرْوٌ[(٦)] كلامٍ كرِهَه من

(١) المستشيط : الغاضب ، وفى ا : « المستشاط » .
(٢) فى أمالى المرتضى ١ : ٤٧٦ : « وما خير بيت إذا لم يزر » .
(٣) فى الأصول : « فتحفظ لى بيتها » ، والأجود ما أثبته من الأغانى وأمالى المرتضى .
(٤) ممر : مفتول .
(٥) كذا فى ا والأغانى ، وفى ب ، ج : « ترشيح الخلافة » .
(٦) ذرو كلام : طرف منه .

سعيد بن العاص ومروانَ بن الحكَم وعبدِ الله بن عامر . فأمر يزيد مِسكينا أن يقول أبياتا ، ويُنشِدَها معاويةَ فى مجلسه إذا كان حافلا وحضَرَه وجوهُ بنى أميّة، فلمّا اتّفق ذلك دخل مسكينٌ عليه وهو جالس ، وأبنهُ يزيد عن يمينه ، وبنو أميّة حولَه ، وأشرافُ الناس فى مجلسه ، فمَثَل بين يديه وأنشأ يقول :

إن أُدعَ مسكيناً فإنّى ابنُ معشرٍ ... من الناس أَحمِى عنهمُ وأَذودُ
إليكَ أميرَ المؤمنين رحلتُها ... تُثير القَطا ليــلا وهُنّ هُجودُ
وهاجرةٍ ظلّت كأنّ ظِباءَها ... إذا ما اتّقتْهـا بالقرون سُجود
ألا ليت شِعرى ما يقولُ أبنُ عامرٍ ... ومروانُ ، أم ماذا يَقول سعيدُ !
بنى خلفـاءِ الله مَهْــلا فإنّما ... يُبَوِّئُها الرّحمٰنُ حيث يُريد
إذا المنــبر الغَرْبىُّ خَلّاه رَبُّه ... فإنّ أمــيرَ المؤمنين يَزيدُ
على الطائر المَيْمونِ والجَدُّ صاعِدٌ ... لـكلّ أُناسٍ طائرٌ وجُــدودُ
فلا زِلْتَ أعلى الناسِ كعبا ولم تَزَلْ ... وُفودٌ تُساميهــا إليكَ وُفود
ولا زال بيتُ المُلْكِ فوقك عالياً ... تشدَّدُ أَطْنابٌ له وعمــودُ
قُدورُ أبنِ حَرْب كالجوابى وتحتها الـ ... أثافِى كأمْثالِ النَّعام رُكود[1]
قُدورٌ كأمثال الجوابى وحولَها ... رجالٌ عليهــا سيِّدٌ ومَسودُ

فقال له معاوية : ننظر فيما قلتَ يا مِسكين ، ونستخيرُ اللهَ تعــالى ! قال : ولم يتكلّمْ أحدٌ من بنى أُميّة فى ذلك إلّا بالإقرار والموافقة ، وكان ذلك هو الّذى أراده معاوية ؛ ليَعلَمَ ما عندهم ، ثم وصله يزيد ، ووصَلَه معاويةُ وأَجْزَلَ صِلَته .

---

(١) الجوابى : جمع جابية ، وهى الحوض الضخم .

قال عقيد : غَنَّيْتُ الرشيدَ يوما[1] :

* إذا المِنْبَرُ الغَرْبِيُّ خَلَّاهُ رَبُّه *

ثم فطِنْت لأَمرى ، ورأيتُ وجهَ الرشيد قد تغيّر ، فتداركتُ نفسى وقلت :

* فإنّ أميرَ المؤمنين عَقِيـدُ *

فطَرِب الرّشيد ، وقال : أحسنتَ والله ، بحياتى قل لى :

* فإنّ أميرَ المؤمنين عَقيـدُ *

فأنتَ والله أحقُّ بها مِن يزيد ، فتعاظمتُ ذلك ، فحلف ألّا أُغَنِّيه إلّا كما أَمَر ، ففعلتُ ، وشَرِب ثلاثة أرطال ، ووصلنى بصلةٍ سنيّة .

كان لمسكين الدارىّ أُمرأة مِن مِنقَر ، وكانت فارِكا[2] كثيرةَ الخصومة والمماظّة[3] ، فأنشد يوما فى نادى قومه :

إن كنتُ مِسكينا فما قَصَّرَتْ قِدْرى بُيوتَ الحَىِّ والجُدْرُ

فوقفتْ عليه تَسْمَع حتّى بلغ إلى قوله :

نارِى ونارُ الجارِ واحـدةٌ وإليـه قَبْلى تُنزَل القِدْرُ

قالت : صدقتَ والله ! يجلس جارُك يَطبُخ ونَصْطَلى بناره ، ثم يُنزلها فيَجلس يأكل ، وأنت بحِذائه مِثل الكَلْب ، فإذا شَبِع أطعَمَك ! أجَلْ واللهِ ! إنّ القِدْر لتُنزَل إليه قبلَك ! فأعرض عنها ومَرَّ فى قصيدته حتّى أنشد :

ما ضَرَّ جاراً لِى أُجاوِرُه ألّا يكونَ لبابِه سِتْرُ

فقالت : أجل ! إن كان له سِتْر هتـكْتَه . فوَثَبَ إليها فضَرَبها ، وجعل قومُه يضحكون منهما .

---

(١) الأغانى : « ليلة » .

(٢) الفارك : المرأة التى تبغض الرجال .

(٣) المماظة : المشاتمة والمخاصمة والمنازعة .

خطب مسكين الدارىّ فتاةً من قومه ، فكرهته لسوادِ لونه ، وقلّة مالِه ، وتزوّجَتْ بعدَه رجلا من قومه ذا يسار ، ليس له مِثل نسبِ مِسكين ، فمرّ بها يوما وهى جالسةٌ مع زوجها ، فقال :

أنا مسكينٌ لمن يَعرِفُنى ... لَونِىَ السُّمرةُ ألوانُ العربْ
من رأى ظبياً عليه لُؤلُؤٌ ... واضحَ الخدَّيْن مقروناً بضبّْ
كَسَبَتْه الوَرِقُ البِيضُ أباً ... ولقد كان وما يُدْعَى لِأَبْ
أصبحتْ طمّاحةً معتلّةً ... قَرِمَتْ ، بل هىَ وَحْمَى للصَّخبْ
لا تَلُمْها إنّها من نِسْوَةٍ ... صَخِباتٍ مِلْحها فوقَ الرُّكَبْ[1]
كشَموسِ الخيلِ تبدو شغْبُها[2] ... كلَّما قيل له هالٍ وَهَبْ[3]
ربّ مَهزُولٍ سمينٍ بيتُه ... وسمينِ البيت مهزولِ النَّسَبْ[4]

---

(١) العرب تسمى الشحم ملحاً . أراد أنها زنجية وليست عربية ، وشحم الزنج يكون على أوراكهم وأكفالهم . وانظر أمالى المرتضى ٢ : ١٦٠ ، ١٦١ .

(٢) كذا فى الأغانى ، وفى الأصول : « شبهها » .

(٣) هال ، من زجر الخيل .

(٤) هذا البيت فى ا والأغانى ، وهو ساقط من ب ، ج .

رؤبة بن العجّاج*

هو رؤبة بنُ العجّاج ، واسم العجّاج عبــد الله بن رؤبةَ بنِ حنيفة ، وهو أبو خزيمةَ بن مالك بنِ قُدامة بن أسامةَ بن الحارث بن عوف بن مالك بنِ سعيد ابنِ زيد مناةَ بنِ تميم . مِن رُجّاز الإسلام وفصحائهم والمذكورين المتقدِّمين منهم ، بدويٌّ نَزَل البَصْرَة . وهو من مخضرَمِي الدّولتيْن .

مَدَح بنى أُميّة وبنى العبّاس ، ومات فى أيّام المنصور ، وقد أَخذ عنه وجوهُ أهلِ اللّغة ، واُقتَدَوْا به ، واُحتجّوا بشعره ، وجعلوه إماماً .

وكُنيته أبو الجحّاف ، وأبو العجّاج .

ورَوَى الحديثَ المسنَد عن النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم ، هو وأبوه .

قال يونس بن حبيب : كنتُ جالساً مع أبى عَمرو بنِ العَلاء ، إذ مرّ بنا شُبَيْل ابنُ عَزْرة(١) الضُّبَعِيّ ـ وكان علّامة ـ فقال : يا أبا عمرو ، أشعرتَ أنّى سألتُ رؤبةَ عن اسمه ، فلَمْ يَدْرِ ما هو ، وما معناه ؟

قال يونس : قلتُ له : والله لَرؤبة أفصحُ من مَعَدّ بنِ عدنان ؛ وأنا غلامُ رُؤْبة ، أفتَعرف أنتَ رُوبَة ، ورُوبَة ، ورُوَبَة ، ورُؤْبة ، ورُؤْبة ؟ قال : فضرب بَغلَته وذهب ، وما تَكلَّم بشيء .

قال أبو عمرو : ما يَسُرُّنى أنّك تَغْضَب منها !

الرُّوبة : اللّبَن الخاثر ، والرُّوبة : ماء الفحل ، والرُّوبة : الساعة تَمضِى من الليل ، والرُّؤْبة : الحاجة ، والرُّؤْبه : شُعَب القدَح .

---

* ترجمته فى الأغانى ٢١ : ٥٧ـ٦١ (ساسى) ، ٢٠ ـ ٣١٢ ـ ٣٢٤ (دار الثقافة بيروت) .

(١) فى الأصول : « عروة » ، والصواب ما أثبته من الأغانى ، وهو يوافق ما فى الاشتقاق ٣١٨ ، وما نبه عليه الزبيدى فى تاج العروس .

ومما رواه رؤبةُ من الحديث بسنده عن أبى الشعثاء ، عن أبى هريرة ، قال : كنّا مع النبيّ صلّى الله عليه وسلّم فى سفر وحَادٍ يَحدُو :

طافَ الخيالان فهاجَا سَقمَا   خيالُ لُبنَى وخيال تَكتُمَا

قامتْ تُرِيكَ خشيةً أنْ تَصرِما   ساقاً بَخَنْدَاة وكعباً أدْرِما[1]

والنّبيّ صلّى الله عليه وسلّم يَسْمَع ولا يُنكِر .

حدّث رؤبةُ بنُ العجّاج ، عن أبيه ، قال : سمعتُ أبا هُريرةَ يقول : السِّواكُ يُذهِب وَضَرَ الطَّعام .

قال رؤبة بنُ العَجّاج : بَعَث إلىّ أبو مسلم لمّا أَفْضَت الخلافةُ لبنى هاشم ، فلمّا دخلتُ عليه رأى مِنّى جَزَعاً ، فقال : اُسكُن فلا بأسَ عليك ، فما هذا الجزع الّذى ظهر منك ؟ قلتُ : أخافُك ، قال : ولِمَ ؟ قلت : بلغنى أنّك تَقتُل النـاس . قال : إنما أَقتُل مَنْ يُقاتلنى ، ويريد قَتْلى ؛ أفأنت منهم ؟ قلتُ : لا ، قال : فهل ترى بأساً ؟ قلت : لا ، فأقبَل على جلسائه ضاحكا فقال : أمّا إنّ العَجّاجَ فقد رَخَّص لنا ، ثم قال : أنشِدنى قولَك :

* وقاتِمِ الأعماقِ خاوِى المخترقْ *

فقلت له : أصلحَكَ الله ! أوَ أُنشِدُكَ أحسنَ منه ! قال : هاتِ . فأنشدتُه :

قلت ونَسْجى مستجِدٌّ حَوْكا   لبَّيكَ إذْ دعوتَنى لبَّيْكا

* أحمَـــد رَبًّا ساقَنى إليْكا *

قال : هاتِ كلِمَتَكَ الأولى ، قلتُ : أو أُنشِدكَ أحسنَ منها ! قال : هاتِ ، فأنشدتُه :

ما زال يَبْنِى خَندقاً ويَهدِمُهْ   ويَستجيشُ عسكراً ويَهزِمُهْ

---

(١) البخنداة : المرأة التامة القصب ، والأدرم : المستوى.

ومَغْنَماً يَجْمَعُه وتَقْسِمُهْ مَرْوانُ لمّا أن تهاوَتْ أنجُمُهْ

* وخانَه في حكمِه منجِّمُـهْ *

فقال : دَع هذا ، وأنشِدني :

* وقاتِمِ الأعماقِ خاوِي المخترَقْ *

قلت : أو أحسنَ منه ؟ قال : هاته ، فأنشدتُه :

رفعتَ بيتاً وخفضتَ بيتا وشِدْتَ ركن الدِّين إذْ بنيتا

* في الأكْرَمين من قريش بيتا *

قال : هات ما سألتُك عنه ، فأنشدتُه :

ما زال يأتي الأمْرَ من أقْطَارِهِ على اليمين وعَلَى يَسَارِهِ

مشمِّرًا لا يُصطَلى بنـارِهِ حتى أقرَّ الملك في قَرارِهِ

* وفرَّ مَرْوَانُ على حمـــارِهِ *

قال : وَيْحَك ! هاتِ مادعوتُك وأمرتُك بإنشاده ، ولا تُنْشِدْ غيرَه ، فأنشدتُه :

* وقاتِمِ الأعماقِ خاوِي المخترَقْ *

فلمّا صِرْتُ إلى قوله :

* تَرْمِي الجلاميدَ بجُلْمُودٍ مُدُقّ *

قال : قاتلك الله ! لَشَـدَّ ما استصلَبْتَ الحافر ! ثم قال : حَسْبُك أنا ذلك الجلمودُ المدقّ .

قال : وجيء بمِنديلٍ فيه مال ، فوُضِـع بين يديّ ، فقال أبو مسلم : يا رؤبة ، إنك جئتنا والأموال مشفوهة[1] ، وإن لك إلينا لَمَوْدة ، وعلينا مُعَوَّلا ، والدّهر

---

(١) أموال مشفوهة ، أي كثرت نحوها الأيدي .

[بيننا وبينك][1] ، الطريق[2] مستتبّ فلا تجعلْ بيننا وبينك الأســدّة[3] .
قال رؤبة : فأخذتُ المنديل منه ، وبالله ما رأيتُ أعجميًّا أفصحَ منه ! وما ظننتُ أنّ أحداً يعْرِف هذا الكلامَ غيرى وغيرَ أبى[4] .

يقال : اشتفّ ما فى الإناء ، وشَفَهَه إذا أتَى عليه ، وأنشد :

وكاد المــالُ يَشْفَهُه عِيالى وصادف عَيْلَتى مَن لا أعولُ

قال محمّد بنُ يزيد : كان رؤبة يأكل الفأر ، فعُوتب فى ذلك ، فقال : هى والله أنظفُ من دَواجِنِكم ودَجاجِكم اللّواتى يأكلن العَذِرة ، وهل يأكل الفأر إلّا نقىّ البُرّ ، ولُباب الطعام !

ولم يوجد لرؤبةَ ولا لأبيه فى شعرِهما حرفٌ مُدغَم قطّ .

وقيل ليونس : مَن أشعَرُ الناس ؟ قال : رُؤْبة وأبوه ، فقيل له : لمْ نَعْنِ الرُّجَّاز ، فقال : هما أشعر أهلِ القصيدة ؟ وإنّما الشعر كلام ، وأجوَدهُ أشعَرُه ؛ قال العجّاج :

* قد جَبَرَ الدّينَ الإلـهُ فَجُبِرْ *

فهى نحوٌ من مائتى بيتٍ موقوفة القوافى ، فلو أطلقت قوافيها لكانت كلُّها منصوبة ، وكذلك عامّة أراجيزِها .

قال يعقوب بن داود : لقيتُ الخليلَ بنَ أحمدَ يوما بالبَصْرة ، فقال لى : يا أبا عبدِ الله ، دَفَنَّا الشعرَ واللغةَ والفَصاحة اليوم . فقلت : وكيف ذلك ؟ قال: هذا حين انصرافِنا من جنازةِ رُؤْبة بنِ العجّاج .

(١) تكملة من المحاسن والمساوى .
(٢) فى الأصول « أطرق » ، والطريق المستتب : اللاحب الواضح .
(٣) الأسدة : جمع سد ، وفى الأصول : « الأسرة » .
(٤) الخبر فى المحاسن والمساوى ٢٣٨ ، ٢٣٩ (طبع أوربا) .

ربيعة بنُ مَقْروم الضّبّيّ*

هو ربيعة بنُ مَقْروم بنِ قيس بنِ جابر بن خالد بنِ عمرو بن عبد الله بن السِّيد ابن بكر بن سَعْد بن ضَبّة بن أُدّ بن طابخة بن إلياس بن مُضَرَ بنِ نِزار .

شاعرٌ مُخْضَرم ، أدركَ الجاهليّة والإسلام وكان ممّن أصْفَق(١) عليه كِسْرى ، وعاش فى الإسلام زَمانا ، وكان ربيعة قد أُسِر ، وأُستيق مالُه ، فخلّصه مسودُ بنُ سالم بن أبى لَيْلى(٢) بن ربيعة بن ذبيان بن عامر بن ثعلبة بن ذُؤيب بن السِّيد ، فقال ربيعة فيه :

كفانى أبـو الأشْوسِ المنـكرَاتِ ... كفاهُ الإلهُ الّـذى يَحْـذَرُ
أعزُّ من السِّيـد فى مَنصِبٍ ... إليـه العـزازةُ والمَفْخَر

وقال أيضا يمدحُه ، من أبيات :

وَجَسْرَةٍ أُجُـدٍ تَدمَى مَناسِمُها ... أعملتُهـا بىَ حـتّى تَقْطَعَ البِيدَا(٣)
كلَّفْتُها ، فرأتْ حتْما تـكلّفَها ... ظُهيرةً كأَجيج النارِ صَيْخودا(٤)
فى مهمهٍ قُذُفٍ يُخشَى الهلاكُ به ... أصداؤه لا تَـنِى باللّيـل تَغْرِيدا(٥)

---

* ترجمته فى الأغانى ١٩ : ٩٠ـ٩٤ (ساسى)، ٢٢ : ٨٧ ـ ٩٦ (دار الثقافة بيروت) .

(١) أصفق عليه : أطبق .

(٢) كذا فى أصول المختار ، وفى حاشية ا « ابن سلم » وفى الأغانى : « ابن أبى سلمى » .

(٣) الجسرة : المتجاسرة فى سيرها . والأجد : الضامرة ، أراد النـاقة . والمنسم : طرف خف البعير .

(٤) صيخود ، فيعول من قولهم : صخده ، إذا أذابه .

(٥) المهمه : القفر الذى لا ماء فيه ولا علم ، والقذف : البعيد. أصداؤه : جمع صدى، وهو الذكر من البوم . لاتنى : لا تقصر والتغريد هنا : التصويت .

لمّا تشكّت إلىّ الأينَ قلتُ لهــا ... لا تَستَريحــين ما لم أَلْقَ مسمودا(١)
مالم أُلاقِ امْــرأً جزْلًا مَواهبُـه ... رَحْبَ الفِناء كريمَ الفِعل محمودا
وقد سمعتُ بقومٍ يُحمدون فــلم ... أسمعْ بِمثِلك لا حِلْما ولا جُودا
ولا عَفافا ولا صَـــبراً لنائبةٍ ... وما أُخبِّرُ عنـك الباطلَ السِّيدَا(٢)
لاحِلمُك الحلمُ موجودٌ عليه ، ولا ... يُلفَى عطاؤكَ فى الأقوام منـكودا
وقد سَبَقْت لغايات الجوادِ وقـد ... أشبهتَ آباءَك الشُّمَّ الصّناديدا(٣)
هذا ثنائِى بما أُوليتَ مِن حَسَنٍ ... لازلتَ ـعَوْضُـقريرَ العَيْن محسودا(٤)

قال حماد الرّاوية : دخلتُ على الوليد بن يزيد ، وهو مصطبِـحٌ ، وبين يديه جماعةٌ من المغنّين ، وعلى رأسه وصيفةٌ تَسْقيه لم أرَ مِثلَها تماما وكَمالا وجَمـالا . فقال لى الوليد : ياحمّاد ، إنّى أمرتُ هؤلاء أن يُغنّوا صوتا يوافق صفةَ هذه الوَصيفة ، وجعلتُها لمن يُوافِق قولُه صفتَها . فما أَتَى أحدٌ منهم بشيء ، فأنشِدْنى أنت ما يوافق صفتَها ، وهى لك . فأنشدتُه قولَ ربيعة بن مقروم الضّبىّ :

دارٌ لسُعْدَى إذ سُعَادُ كأنّهـــا ... رشأٌ غَرِيرُ الطَّرْفِ رَخْصُ المِفصَلِ(٥)
شَمّاء واضحةُ العَوارض طَفْلَةٌ ... كالبَدْرِ مِن خَلَلِ السّحاب المنجلِى
وكأنّما رِيحُ القَرنفُـل نَشْرُهـا ... أو حنوة خُلِطت خُزَامى حَوْملِ(٦)

---

(١) الأين : الجهد والإعياء .

(٢) السيد : هو ابن مالك بن بكر ، وهو الجد الأعلى للمادح والممدوح ، والشاعر من بنى غيظ بن السيد ، والممدوح من بنى ذؤيب ، يقول : لا أخبر عنك قومنا باطلا ، إنما أمدحك بالحق.

(٣) الصناديد : الكرام .

(٤) أراد بعوض الدهر ، وهو مبنى على الضم .

(٥) هذا البيت لم يرد فى رواية الأغانى .

(٦) الحنوة : نبات سهلى طيب الريح ، والخزامى : خيرى البر ، زهره أطيب الأزهار نفحة ، يتمثل به فى الطيب .

وكأنّ فاهَا بعد ما طَرق الكَرَى ... كأسٌ تصفّق بالرحيقِ السَّلْسَلِ (١)
لوْ أنّها عَرَضتْ لأشمطَ راهبٍ ... فى رأسِ مُشرفةِ الذّرَى متبتّلِ
لَصَبَا لبهْجتِها وحُسنِ حديثِها ... ولهَمَّ من ناموسِه بتنزُّلِ

فقال لى الوليد : أصبتَ فاُخترْها هى ، أو ألف دينار ، فاخترتُ الألف دِينار فأخذتُها ، وأدخلها إلى حرمه . وهذه القصيدة من فاخِرِ الشعرِ وجيِّدِه وحَسَنِه ، ومن مختارِها قولُه :

ولقد شهدتُ الخيلَ يومَ طِرادِها ... بسَليمِ أوْظِفةِ القوائمِ هَيْكَلِ (٢)
متقاذفٍ عَبْلِ الشَّوى شَنِجِ النَّسا ... سبّاق أنديةِ الجياد عَمَيْثَلِ (٣)
لولا أكُفْكِفُه لكانَ إذا جرَى ... منه الشَّكيم يدقّ فأسَ المِسْحَلِ (٤)
وإذا جرى منه الحميمُ رأيتَه ... يَهْوِى بفارسِه هُوِىَّ الأَجْدَلِ (٥)
وإذا تَعلَّلُ بالسِّياط جِيادُها ... أعطاكَ ثانيةً ولم يَتعلَّلِ
ودعوا: نَزالِ فكنتُ أوّلَ نازلٍ ... وعلامَ أركبُه إذا لم أنْزلِ !
ولقد جمعتُ المالَ مِن جَمْعِ امرئٍ ... ورفعتُ نفسِى عن لئيمِ المأكلِ

---

(١) يصفق : يمزج .

(٢) الهيكل : الفرس الضخم ، والأوظفة : جمع وظيف ، وهو مستدق الزراع والساق من من الخيل وغيرها .

(٣) تقاذف الفرس : تسارع ركضه . والشوى : القوائم ، والعبل : الغليظ الضخم . والنسا: عرق ، وشنج جلده : تقبض ، وصفه بالشنج لأنه أصلب له . والعميثل : الضخم الشديد العريض وهو من صفة الخيل .

(٤) شكيم اللجام : الحديدة التى تحت الجحفلة السفلى ، والفأس : الحديدة القائمة فى الشكيمة ، والمسحل : اللجام .

(٥) الحميم هنا : العرق .

ودخلتُ أبنيةَ المُلوكِ عليهمُ ... ولشرُّ قولِ المرء مالم يُفعلِ
وألدّ ذى حنقٍ علىّ كأنما ... تَغلِى عداوةُ صدرِه فى مِرْجَلِ (١)
أرجيتُه عنّى فأبصرَ قصدَه ... وكويتُه فوقَ النّواظر من علِ (٢)
وأخى محافظةٍ عصَى عُذّالَه ... وأطاعَ لذّته مُعِمٍّ مُخْوِلِ
هَشٍّ يَراحُ إلى النّدَى نبّهتُه ... والصُّبحُ ساطع ضوئه لم ينجلِ
فأتيتُ حانوتا له فصبحْتُه ... من عاتقٍ بمزاجها لم تُقتَلِ
صهباء إبليسيّة أغلى بها ... يَسرٌ كريمُ الخيمِ غير مُبخَّلِ (٣)
ولقد أصبتُ من المعيشة لينَها ... وأصابنى منه الزّمانُ بكَلْكَلِ
فإذا وذاكَ كأنّه ما لم يكن ... إلا تذكّره لمن لم يجهلِ
ولقد أتتْ مائة علىّ أعدُّها ... حوْلًا فحوْلًا إذ بلاها مبتلِى
فإذا الشّباب كمبْذَلٍ أفْضَيْتُه ... والدّهرُ يُبلِى كلّ جِدّة مِبْذلِ (٤)
هلّا سألتَ وخُبْر قومٍ عندهمْ ... وشِفاء غيّك خابراً أن تسألِ
هل نُكرِم الأضياف إن نزَلوا بنا ... ونَسُود بالمعروف غير تبخُّلِ
ونَحُلُّ بالثّغْر المَخوف عدوُّه ... ونَرُدُّ خالَ العارضِ المتهلِّلِ
ونُعينُ غارِمَنا ونمنع جارَنا ... ونَزِينُ مولى ذكرِنا فى المَحفلِ
وإذا امرؤٌ منّا حَبا فكأنّه ... ممّا يخاف على مناكب يَذْبُلِ
ومتى تقُمْ عند اجتماع عشيرةٍ ... خطباؤُنا بين العشيرةِ تفصلِ

---

(١) الألد : الشديد الخصومة .

(٢) أرجيته عنى : صرفته . القصد : ما لا سرف فيه؛ وأبصر قصده ، أى أبصر رشده . والنواظر : عروق فى الرأس .

(٣) اليسر : السهل .

(٤) المبذل : الثوب الخلق .

وَيَرى العدوُّ لنــا دروءًا صعبَةً عنـــد النّجوم منيعة المُتَنَاوَل[1]
وإذا الحَمَـالةُ أثقلتْ حمّالها فعَلَى سَوائِمنا ثقيل المِحملِ
ونُحقّ فى أمـــوالنا لجديبنا حقًّا يَنُوء بـه ، وإن لم يسألِ[2]

(١) فى التأول : « المتأول » .

(٢) الجديب : الماحل الفقير ، وفى الأغانى : « لحليفنا » .

الرَّبيعُ بنُ أبي الْحُقَيْق*

هو من مشهوري اليَهود ، من بني قُرَيظة ، وكان أحدَ الرؤساء في يوم بُعَاث ، وكان حليفا للخَزْرج هو وقومُه ؛ وكانت رِياسةُ بني قُرَيظَة للربيع ، ورِياسة الخَزْرج لعمرو بن النّعمان البَيَاضيّ .

أقبل النابغة الذُّبْيانيّ يريد سوقَ بني قَيْنُقَاع ، فلحِقه الرَّبيع بن أبي الُحقيق نازلا من أُطُمِه ، فلمّا أشرَفَا على السّوق سمِعَا الضّجّة ، وكانت سوقا عظيمة ، فحاصَت بالنابغة ناقتُه ، فأنشأ يقول :

* كادت تُهَالُ مِن الأصوات راحلتِي *

ثم قال للرَّبيع بن أبي الحقيق : أجِزْ ، فقال :

* والنَّفْرُ منها إذا ما أَوْجَسَتْ خُلُقُ *

فقال النابغة : ما رأيتُ كاليوم شِعرا ، ثم قال :

* لولا أُنَهْنِهُهَا بالسَّوط لاجتَذَبَتْ *

ثم قال : أجِزْ ياربيع ، فقال :

* مِني الزِّمامَ وإنِّي راكبٌ لَبِقُ *

فقال النابغة :

* قد مَلّت الحبْسَ في الآطام واُشتَعَفَتْ *

ثم قال : أجِزْ يارَبيع ، فقال :

* إلى مَناهِلِها لو أنَّها طُلَقُ *

فقال النابغة : أنت ياربيعُ أشعرُ الناس .

---

* ترجمته في الأغاني ٢١ : ٦١ ، ٦٢ (ساسي) ، ٢٢ : ١٢١ ، ١٢٤ (الثقافة بيروت).

قال أبو الزّناد : قَلَّما جَلستُ إلى أبان بن عثمان إلّا سمعته يتمثّل بقول ابنِ أبي الحُقَيق :

سَئِمتُ وأمسيتُ رهن [الفـرا ... شِ من جُرْمِ قَوْمِي وَمِنْ مَغْرَمِ
ومن سَفَهِ الـرأى بَعْدَ النُّهَى ... وَغيْب الرشاد ولم يُفهَمِ
فلوْ أنّ قـومى أطاعوا الْحَليـ ... ـمَ ، لم يَتعدَّوا ولم نُظْـلَمِ
ولـكِنّ قـومى أطاعوا الغوا ... ةَ وانتشر الأمْرُ لم يُبْرَمِ (١)
فأودَى السَّفيـهُ برأى الحلـ ... ـيم حَتّى تحَكَّمَ أهـلُ الدَّمِ

(١) في الأغاني :

ولـكنّ قومى أطاعوا الغوا ... ة ، حتّى تعكّسَ أهلُ الدمِ

حرف الزّاى

زيد بنُ عَمرو بن نُفَيْل*

هو زيدُ بن عَمرو بن نُفيل بن عبد العُزَّى بن رِياح[1] بن عبد الله بنِ قُرْط بن رَزاح بنِ عدىّ بنِ كعب بنِ لؤىّ بنِ غالب بن فِهر .

وأمُّه جَيداء بنت خالد بن جابر بن أبى حبيب بن فَهْم ، وكانت جيداء عند نُفَيل ابن عبد العُزَّى ، فولدتْ له الخطّاب ، أبا عُمر بنِ الخطّاب[2] ثم مات عنها نُفَيل ، فتزوّجت ابنه عمرًا ، فولدتْ له زَيْدا ، وكان هذا نكاحا من أنكِحة الجاهليّة .

وكان زيدُ بنُ عمرو أحدَ[3] من اعتزَل عبادةَ الأوثان ، وامتنع من أكلِ ذبائحهم ، وكان يقول : يا معشر قريش ، أيُرسِل اللهُ مطر السّماء ، ويُنبِت بقلَ الأرض ، ويَخلُق السائمةَ فترعَى فيه ، وتذبحوها لغيره ! والله ما أعلم أحدا على ظهر الأرض على دِين إبراهيمَ غيرى .

كان الخطّاب بنُ نُفَيل قد أخرج زيدَ بن عمرو من مكّة ، وجماعةً من قريش ، ومنعوه أن يدخلَها حين فارق أهلَ الأوثان ، وكان أشدَّهم عليه الخطّابُ .

---

* ترجمته فى الأغانى٣ : ١٢٣ – ١٣٨ (طبعة الدار) .

(١) كذا فى شرح القاموس مادة «روح» .

(٢) زاد فى الأغانى : «وعبد نهم» ، ونهم : اسم شيطان ، أو صنم لمزينة ، وبه سموا عبدنهم .

(٣) كذا فى ا ، وهو يوافق ما فى الأغانى ، وفى ب ، ج : «آخر» .

وكان زيد بن عمرو إذا لم يخلص[1] إلى البيت استقبَلَه ، ثم قال : لَبَّيْـك حَقًّا حقًّا ، تعبُّدا ورِقًا ، البِرّ أرجو لا الخال[2]، وهل مُهَجِّرٌ[3] كمن قال[4] .

ثم يقول :

عذت بمَن عاذَ بـه إبْراهِمُ ... مستقبِلَ القِبلة وهـو قائمُ

يقول : إنِّي لك عانٍ راغمُ ... مهما تُجشِّمْنى فإنّى جـاشمُ[5]

ثم يَسجُد .

وهو الذى يقول :

لا هُمَّ إنّى حَرَمٌ لا حِلَّهْ ... وإنّ دارِى أَوْسَط المَحَلَّهْ

* عند الصّفا ليست بها مَضَلَّهْ *

وزيدُ بنُ عمرو هو الذى يقول :

عزلتُ الجِنّ والجِنَّانَ عـنّى ... كذلك يَفعلُ الجَلْدُ الصَّبورُ[6]

فـلا العُزّى أَدينُ ولا ابنتَيْها ... ولا صنمَىْ بَنى طَسْمٍ أزُورُ[7]

ولا غَنْما أَدِينُ وكان رَبًّا ... لنا فى الدّهرِ إذْ حِلْمِى صَغيرُ[8]

---

(١) فى الأغانى : « إذا خلص » ؛ وأثبت ما فى الأصول .

(٢) الخال : الكبر والخيلاء .

(٣) المتهجر : السائر فى الهاجرة

(٤) قال : أقام فى القائلة .

(٥) جاشم ، وصف من جشم الأمر ؛ إذا تجشمه وتكلفه على مشقة .

(٦) قال فى اللسان (جنن) فى شرح بيت للخطفى جد جرير :

يرفعن بالليل إذا ما أسدفا ... أعناق جِنّانٍ وهاما رجّفا

«جنان الجبال، أى الذين يأمرون بالفساد من شياطين الإنس » ؛ وبه يفسر ما ورد فى البيت .

(٧) كذا فى جميع أصول الأغانى ومختاره ، وفى الأصنام لابن الكلبى ٢٢ : « بنى غنم » .

(٨) كذا فى الأصول وفى الأغانى : «ولا هبلا أدين» .

أَرَبًّا واحــدا أم ألفَ رَبٍّ ... أدينُ إذا تُقُسِّمَتِ الأمـورُ
ألَمْ تَعْلَمْ بأنَّ اللهَ أفْـنَى ... رِجالًا كان شأنَهمُ الفُجورُ!
وأبقَى آخرِين ببِرِّ قـــومٍ ... فيَرْبُو منهمُ الطِّفلُ الصغـيرُ
وبينا المرءُ يَعـثُرُ ثابَ يوماً ... كما يــتروَّح الغُصُن النَّضيرُ

فقال وَرَقة بن نَوْفل لزيد بن عمرو:

رَشَدْتَ وأنعمتَ ابنَ عمرٍو وإنَّما ... تجنَّبتَ تَنُّورا من النَّار حامِياً
بدينك رَبًّا ليس رَبٌّ كمِثْـله ... وتَرْكِك جِنَّانَ الجِنَانِ كما هيا
أقـول إذا وافَيْتُ أرضاً مَخوفةً ... حَنانَيْك لا تُظهِر علىَّ الأعاديا[1]
حنانَيك إنّ الجنَّ كانت رَجاءَهُمْ ... وأنتَ إلٰهى رَبّنا ورَجائيـا
أدِينُ لربٍّ يستجيبُ ولا أرَى ... أدِينُ لمن لم يَسْمَعِ الدهرَ داعيـا
أقـول إذا صَلَّيتُ فى كلِّ بِيعةٍ ... تباركتَ قد أكثرتَ باسمِك داعيا

يقول: خلقتَ خَلْقا كثيرا يَدْعونَ باسمِك.

كان زَيد بنُ عمرو خرج إلى الشّام، يسأل عن الدِّين وتتبُّعه[2]، فلقِىَ عالِماً من اليهود، فسأله عن دِينهم، وقال له: لعلِّى أدِينُ بدِينكم فأخبرُونى عن دِينكم! فقال اليهودىّ: إنَّك لا تكون على دِيننا حتّى تأخذ نصيبَك[3] من غضب الله.

فقال زيد بن عمرو: ما أفِرُّ إلّا مِن غضب الله، ولا أَحمِل منه شيئا أبدا وأنا أستطيع، فهل تدُلّنى على دينٍ ليس فيه هذا؟ قال: ما أعلمهُ إلّا أن يكون حَنيفا. قال: وما الحَنيف؟ قال: دِينُ إبراهيم.

---

(١) فى الأغانى: «أقول إذا ما زرت أرضا مخوفة».

(٢) فى الأغانى: «ويتبعه».

(٣) فى الأغانى «بنصيبك».

فخرج مِن عندِه وتَرَكَه ، وأَتَى عالما من عُلماء النَصارى فقال له مِثلَما قال لليهودىّ ، فقال له النَّصرانىّ : إنّك لن تكونَ على ديننا حتى تأخذ بنصيبك مِن لعنةِ الله عزّ وجلّ !

فقال : لا أَحْمِل مِن لعنة الله ولا من غضبِهِ شيئا أبدا ، وأنا أستطيع ، فهل تدلّنى على دين ليس فيه هذا ؟ فقال له نحوا مما قاله اليهودىّ ، لا أعلَمُه إلّا أن يكون حنيفا .

فخرج من عندهم وقد رضىَ بما أَخبروه ، واتّفقوا عليه من دينِ إبراهيم . فلما بَرَزَ رفع يديه ، وقال : اللهمّ إنّى على دِينِ إبراهيم .

وقيل : إنّ زيدَ بنَ عمرو لمّا بلغه خبرُ رسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم أقبَل يريده ، فقتله أهل مَيْفَعَةَ[1] :

قال سعيد بنُ زيدِ بن عمرو بنِ نُفَيل : سألتُ أنا وعمرُ بنُ الخطّاب رسولَ الله صلى الله عليه وسلّم عن زيد ، فقال : « يأتى يومَ القيامة أمّةً وَحْدَه » .

(١) ميفعة : قرية من أرض البلقاء من الشام .

زَنْد أبو دُلامة*

هو زَنْد بنُ الجَوْن ، وأكثرُ النّاس يُصحِّف اسمَه ويقول : زيْد بالياء ، وذلك خطأ ، وهو زَنْد بالنون ، كوفيّ أسوَد مولًى لبنى أسد[1] .

وكان أبوه عبداً لرجل منهم يقال له فضافض فأَعتقَه . وأدرك آخر زمن بنى أميّة ، ولم يكن له نباهة فى أيّامهم ، ونَبغَ فى أيّام بنى العبّاس ، فانقطع إلى أبى العبّاس السفّاح ، وأبى جعفر المنصور ، والمهدىّ ، وكانو يقدِّمونه ويفضِّلونه ، ويستطيبون مجالستَهُ ونوادرَه .

وقد كان انقطع إلى رَوْح بن حاتم المهلَّبىّ فى بعض أيّامه . ولم يصل إلى أحدٍ من الشّعراء ما وَصَل لأبى دُلامة من المنصور خاصّة .

وكان فاسدَ الدِّين ، ردىءَ المَذهب ، مرتكِباً للمحارم ، مضيِّعا للفرائض مجاهِراً بذلك ، وكان يُعلَم هذا منه ويُعرَف فيه ، ويُتجافَى عنه لِلُطف محلّه ، وكان أوّل ما حُفِظ من شعره ، وأُسنِيَتْ له الجائزة قصيدة مَدَح بها أباجعفر المنصور، وذكر فيها قَتْلَهُ أبا مسلم ، منها :

أبا مُسلمٍ خوّفتَنِى القتلَ فانتحى ... عليكَ بما خوّفتنى الأَسَدُ الوَرْدُ

أبا مسلمٍ ما غيّر اللهُ نعمةً ... على عبدِه حتّى يُغيِّرها العَبْدُ

ولما أَنشدَها أبا جعفر فى مَحفِلٍ من النّاس ، قال له : احتكِمْ ، فقال : عشرة آلاف دِرهم ، فأمر له بها ، فلمّا خَلَا به قال : واللهِ لو تَعدَّيْتَها لقتلتُك .

---

* ترجمته فى الأغانى ١٠ : ٢٣٥ ـ ٢٧٣ (طبعة دار الكتب) .

(١) كذا فى ا والأغانى ، وفى ب ، ج « أبى الرشيد » تصحيف .

كان أبو جعفر قد أمر أصحابَه بلُبْس السّواد، وقَلانسَ طُوال تُدعَم بعِيدانٍ من داخِلها، وأن يعلّقوا السُّيوفَ فى المناطق، ويكتبوا على ظهورهم ﴿ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ . فدخل عليه أبو دُلامة فى هذا الزِّىّ، فقال له أبو جعفر : ما حالُك ؟ فقال : شَرُّ حال . وَجْهِى فى نِصْفى، وسَيْفى فى أُسْتى، وقد صبغتُ بالسّواد ثيابى، ونبذتُ كتاب الله وراءَ ظهرى، فضحك منه وأعفاه وحدَه من ذلك، وقال له : إيّاكَ أن يَسمع هذا منك أحد .

وقيل إنه قال :

وكنا نُرجِّى مِنحةً مِن إمامِنا ... فجاءت بُطولٍ زادَه فى القَلانِس[1]

نَراها على هـامِ الرِّجال كأنّها ... دِنانُ يَهودٍ جُلِّلَتْ بالبَرانس

كان أبو دُلامة واقفا بين يَدى السَّفّاح، فقال له : سَلْنى حاجتَك، فقال أبو دلامة : كَلْب صَيْد . فقال : أعطُوه إيّاه، فقال : ودابّة أتصيّد عليها . قال : أعْطوه. قال : وغلام يَقُود الكلبَ، ويَصيد به[2] قال : أعطُوه غلاما . قال : وغلامٌ يقوم بالدابّة ويُصلِحها . قال : وأَعطُوه غلاما آخر . قال: وجارية تُصلِح الصيد وتطعِمنا منه . قال : أعطُوه جارية . قال : هؤلاء يا أميرَ المؤمنين عيال، فلا بدّ لهم من دار يسكنونَها . قال : أعطوه دارا تجمَعُهم . قال : وإن لم يكن لهم ضَيْعة، فمن أين يعيشون ؟ قال : قد أقطعتُك مائةَ جَريب[3] عامرة، ومائة جَريب غامرة . قال : وما الغامرة ؟ قال : مالا نَباتَ فيه . قال : قد أقطعتك يا أمير المؤمنين خمسمائة ألف جَريب غامرة من فَيافِى بنى أسد، فضَحِك وقال : اجعَلوا المائتين كلّها عامرة . قال :

---

(١) الأغانى « وكنا نرجى من إمام زيادة » .

(٢) الأغانى : « وغلام يصيد بالكلب ويقوده » .

(٣) الجريب من الأرض : ثلاثمائة ألف وستمائة ذراع .

ائذن لى أن أقبِّل يدَكَ ، قال : أمّا هذه فدَعْها ؛ فإنّى لا أفعل ، قال : والله مامَنعتَ عيالى شيئا أقلّ عليهم ضرراً منها .

قال الجاحظ : انظر إلى حِذْقه بالمسألة ولطفه فيها ، ابتدأ بكلب صَيْد فَسهَّل القصّة به، وجعل يأتى بما يليه على ترتيبٍ وفُكاهة حتى نال مالو سأله بديهةً ماوَصَل إليه.

وكُنى بأبى دُلامة بجبل بمكّة يقال له أبو دُلامة كانت قريش تَئِد فيه البناتِ فى الجاهليّة ، وهو بأعلى مكّة .

شهد أبو دُلامَة شهادةً لجارة له عند ابن أبى لَيْلى[1] على أتان نازَعها فيها رجل ، فلمّا فرغ من الشهادة قال لابن أبى ليلى : اسمعْ ماقلتُ قبل أن آتيكَ ، ثم اقض بما شئتَ ، قال : هاتِ ، فأنشده :

إن النــاسُ غَطَّوْنى تَغطَّيتُ عنهمُ وإن بحثــوا عنّى ففيهمْ مَباحثُ
وإن حَفَروا بئرى حَفَرْتُ بئارَهمْ لِتَعلَمَ يَوْماً كيف تلك النَّبائثُ

فأقبل على المرأة فقال : أتبيعينَنِى الأتان ؟ قالت : نعم ، قال : بكَمْ ؟ قالت : بمائة درهم ، قال : ادفعوا إليها مائةَ درهم ، فدفعوا وأقبل على الرّجل فقال : قد وهبتُها لك ، وقال لأبى دلامة : قد أَمضيتُ شهادتَك ولم أبحث عنك ، وابتعتُ ممّن شهدتَ له ، ووهبتُ مِلْكى لِمَنْ رأيتُ ، أفرضيتَ[2] ؟ قال : نعم . وانصرف .

دخل أبو عطاء السِّنْدىّ على أبى دُلامة يوما ، فاحتبَسه ودَعَا بطعام ، فأَكَلَا وشرَابٍ فشَرِبَا ، وخرجتْ إلى أبى دُلامة صبيّةٌ له فحَمَلَها على كَتِفه ، فبالت عليه ، فنَبَذها عن كَتِفه ، ثم قال :

---

(١) هو محمد بن عبد الرحمن بن أبى ليلى ، قاضى الكوفة. أول من استقضاه على الكوفة يوسف بن عمر الثقفى ، واستقضاه بعد ذلك بنو العباس .

(٢) الأغانى : « أرضيت » .

بَلَّتْ عليَّ ـ لا حُيِّيتِ ـ ثوبي | فبالَ عليكِ شيطانٌ رجيمُ !
فما ولدَتْك مريمُ أمُّ عيسى | ولا ربّاكِ لُقمانُ الحكيمُ

ثم قال : أجزْ يا أبا عطاء ، فقال :

صدقتَ أبا دُلامَة لم تَلِدْها | مطهَّرةٌ ولا فحلٌ كريمُ
ولكنْ قد حوَتْها أمُّ سَوْءٍ | إلى لبّاتِها ، وأبٌ لئيمُ

فقال أبو دُلامة : عليك لعنةُ الله ، ما حملكَ على أن بلغتَ هذا كلَّه ؛ والله لا أنازِعُكَ بيتَ شعرٍ أبدا ، فقال له أبو عطاء : [لأن](1) يكون الهربُ من جهتِك أحبُّ إليّ .

وقيل : إن أبا دُلامة غدَا إلى المنصور فأخبرَه بقصّته مع ابنته ، وأنشدَه البيتين ، ثم اندفع فأنشده بعدَهُما :

لو كان يَقعُد فوقَ النَّجم من كرمٍ | قَوْمٌ لَقِيلَ اقْعدوا يا آلَ عبّاسِ
ثم ارْتَقُوا في شُعاع الشمسِ كلُّكُمُ | إلى السّماء فأنتمْ أكرمُ النّاسِ(2)
وقدِّموا القائمَ المنصورَ رأسَكُم | فالعَينُ والأنفُ والأُذْنان في الراسِ

فاستحسَنَها وقال : بأيّ شيء تحبُّ أن أُعينَك على قُبح ابْنتِكِ هذه ؟ فأخرج خَريطةً قد خاطَها من اللّيل ، وقال : تملأُ لي هذه دراهمَ ، فمُلِئتْ فوسِعتْ أربعةَ آلاف درهم .

لمّا توفّى أبو العبّاس السفّاح دخل أبو دُلامةَ على المنصور ، والنّاس عنده يُعَزُّونه ، فأنشأ أبو دُلامة يقول :

أَمْسَيْتَ بالأنبارِ يا بنَ محمّدٍ | لم تَستطِع عن عُقْرِها تحوِيلَا

---

(1) زيادة من الأغاني.
(2) الأغاني : « أظهر الناس » .

وَيْلِى عليكَ ووَيْلُ أَهْلِى كلِّهمْ وَيْلًا وعَوْلًا فى الحياة طَوِيلا
ماتَ النَّدَى مُذْ مُتَّ يابنَ محمَّدٍ فجعلتَه لكَ فى التُّرابِ عَدِيلا[1]
إنِّى سألتُ الناسَ بَعْدَكَ كلَّهم فوجدتُ أسمحَ مَن سألتُ بخيلا
أَلِشِقْوَتِى أُخِّرْتُ بعدكَ للّتى تَدَعُ العَزِيزَ مِن الرجال ذَليلا !
فلأَحْلِفَنَّ يمينَ حَقٍّ بَرَّةً باللهِ ما أُعطِيتُ بعدَكَ سُولَا
فلتبْكِيَنَّ لك السّماءُ بِعَبْرةٍ ولِيَبْكِيَنَّ لك الرجالُ عَوِيلَا

فأَبكَى الناسَ قولُه ، وغضِب المنصورُ غَضَبا شديدا ، وقال : لئن سمعتُك تُنشِد هذه القصيدةَ لأقطعنَّ لسانَك .

فقال أبو دُلامة : ياأميرَ المؤمنين ، إن أبَا العبّاس أمير المؤمنين كان لى مُكرِما وهو الّذى جاء بِى من البَدْوِ ، كما جاءالله بإخوة يوسفَ إليه ، فقل لى كما قال يوسف : ﴿ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴾ ، فسُرِّىَ عن المنصور وقال : قد أقلناكَ يا أبا دُلامة ، فسَلْ حاجتَك . قال : يا أميرَ المؤمنين قد كان أبو العبّاس أمرَ لى بعَشْرة آلافِ دِرْهم وخمسين ثوبا وهو مريض ، ولم أَقبِضها، فقال المنصور : ومَنْ يَعْلَمُ ذلك ؟ قال : هؤلاء — وأشار إلى جماعةٍ ممّن حَضَر — فوثَب سليمانُ بنُ مُجالد وأبو الجَهْم فقالا : صدق أبو دُلامة ، نحن نعلمُ ذلك .

فقال المنصور لأبى أيوّبَ الخازن — وهو مَغيظ : ياسليمان ، ادْفعها إليه ، وسَيِّرْه إلى هذا الطاغية — يعنى عبدَ الله بنَ علىّ ، وكان قد خرج بالشام وخالف — فوثَب أبو دُلامة وقال : يا أميرَ المؤمنين ، أُعيذُك بالله أن أخرُج معهم ! فوالله إنِّى لمشئوم . فقال المنصور : امْضِ ، فإنّ يُمْنِى يَغلِب شُؤْمَك فاخرُج ، فقال : واللهِ

(١) فى الأغانى : « فى الثراء » ، والثراء لغة فى الثرى ، وهو التراب .

يا أميرَ المؤمنين ، ما أُحِبُّ لك أن تُجرِّب ذلك مِنّى على مِثلِ هذا المسكر ؛ فإنّى لا أَدرى أيُّهما يَغْلِب ؟ أَيُمْنُك أم شؤمى ؟ إلّا أنّى بنفسى أَوْثَقُ وأَعْرف وأَطْوَلُ تَجرِبة . فقال : دَعْنى من هذا فمالَكَ من الخرُوج بُدّ ! قال : إنّى أَصدُقك الآن ، شهدتُ والله تسعةَ عشرَ عسكرا ، كلُّها هُزِمت وكنتُ سبَبها ، فإن شئتَ الآن على بصيرةٍ أن يكونَ عسكَرُك العشرين ، فافعل . فاستفرَغَ[1] المنصور ضحكا ، وأمره أن يتخلّف مع عيسى[2] بنِ موسى بالكوفة .

وقيل : إنّ أبا دُلامة دخل على المنصور لمّا وُلِّى بعد موت أخيه ، فقال له : ألستَ القائل :

وكُنّا بالخليفة قد عَقَدْنا ... لواءَ الأَمر فانقطع اللّواء[3]

فنحن رَعِيّةٌ هلَكتْ ضَياعاً ... تَسُوق بنا إلى الفِتَنِ الرِّعاء

قال : ما قلتُ هذا يا أمير المؤمنين ، قال : كذبتَ ، أفلستَ القائل :

مات النَّدى مُذْ مِتَّ يابْنَ مُحمَّدٍ[4] ... فجعلتَه لك فى التّراب عَديلا

فقال أبو دُلامة : يا أمير المؤمنين ، إنّ أخاك عليه السلام غلبنى على صَبْرِى ، وسلَبَنى عَزِيمتى ، وعَزّانى[5] بإحسانه إلىّ ، وجَزَعى عليه ؛ فقلت ما لم أتأمّله ، وإنّى أرغَب فى الثمن ، فإن أعطيتَنى مثلما أعطى أخذتَ مِثلما أَخذ . فحبسه المنصور ليلة واحدة ، ثم خَلّى سبيله ، ووصله صلة سنيّة ، وعاد له إلى ما كان عليه .

---

(١) الأغانى : « استغرب »

(٢) هو عيسى بن موسى بن محمد بن على الهاشمى العباسى ، أمير الكوفة ؛ وكان ولى عهد المنصور بعد السفاح ، ثم قدم المنصور عليه فى ولاية العهد ابنه المهدى ، ثم خلفه المهدى من ولاية العهد .

(٣) فى الأغانى : « فانتقض اللواء » .

(٤) فى الأغانى : « هلك الندى » .

(٥) فى الأغانى : « وعزنى » .

قال أبو دلامة : أُتِىَ بى إلى المنصور ، أو المهدىّ ، وأنا سكران ، فحلَف ليُخرِجَنّى فى بَعْثِ حَرْب ، فأخرَجَنى مع رَوح[1] بنِ حاتم المُهَلَّبى لقتال الشُّراة[2] ، فلمّا التقى الجمعان قلت لرَوْح : أما والله لو كان تحتى فرسُك ، ومعى سلاحُك لأثَّرْتُ فى عَدُوّك اليوم أثرا ترتضيه ، فضحك وقال : واللهِ العظيم لأدفعنّ إليك ذلك ، ولآخُذَنَّك بالوفاء بشَرْطك ، فنزَلَ عن فرسه ، ونزَع سلاحَه ودفعهُما إلىّ ، ودعا بغيرها ، فاُستبدَل به ، فلمّا حَصَل ذلك فى يَدِى ، وزالتْ عنّى[3] علامة الطمع قلت : أيّها الأمير ، هذا مَقامُ العائذِ بك ، وقد قلتُ أبياتا فاُسمَعْها ، قال : هاتِ . فأنشدتُه :

إنّى اُستَجَرْتُك أن أقدَّم فى الوَغَى ... لِتَطاعُنٍ وتَنــازُلٍ وضِرابِ

فهبِ السيوفَ رأيتُها مشهورةً ... فتركتُها ومضيتُ فى الهُرّابِ

ماذا أقولُ لِما يَجىء ولا يُرَى ... من بادِرات المــوتِ بالنُّشَّابِ ![4]

فقال : دع عنك هذا ، وستَعْلَم . وبرَزَ رجلٌ من الخوارج يدعو إلى المبارَزة ، فقال له : اخرُج إليه يا أبا دُلامة . فقلت : أنشُدُكَ اللهَ أيُّها الأمير دَمِى ! فقال : واللهِ لتَخْرُجَنّ ، فقلتُ :أيُّها الأمير ، إنّه أوّل يوم مِن أيّام الآخرة وآخِرُ يوم من أيّام الدّنيا، وأنا واللهِ جائع ، ما تنبعث[5] منّى جارحةٌ من الجوع ، فمُرْ لى بشىء آكُلُه،

---

(١) هو روح بن حاتم بن قبيصة بن المهلب بن أبى صفرة ، ولى إفريقية والبصرة وغيرهما .

(٢) الشراة : الخوارج .

(٣) كذا فى الأغانى ، وفى الأصول : « عنه »

(٤) رواية البيت فى الأغانى :

ماذا تقولُ لمــا يجىء وما يُرَى ... من وارداتِ الموتِ فى النُّشَّابِ

(٥) فى الأغانى : « ما شبعت » .

ثم أَخرُج . فأمرَ لي برغيفين ودَجاجة ، فأخذتُ ذلك وبرزتُ عن الصّفّ ، فلمّا رآني الشاري أقبلَ نحوي وعليه فَرْوٌ قد أصابه المطرُ فابتلّ ، وأصابته الشمس فاقفعلّ[1] ، وعيناه تَقِدَان[2] فأسرع إليّ ؛ فقلت : على رِسْلِك يا هذا ! فوَقَف . فقلتُ : أتقتل مَنْ لا يُقاتلك ؟ فقال : لا ، قلت : أتستحلُّ أن تَقتُل رجلًا على دِينك ؟ قال : لا ، فاذهب عنّي إلى لعنة الله . فقلت : لا أفعل ، أو تسمع منّي ؟ قال : قل ، قلت : هل كانت بيننا قطُّ عداوَةٌ ، أو تِرَة ، أوَ تعرِفُني بحالٍ تُحْفِظُكَ[3] عليّ ، أو تعلم بين أهلي وأهلك وِتْرا ! قال : لا والله ، قلت : ولا أنا والله لكَ إلّا على جميل ، وإنّي لأهواكَ وأنتحِل مذهبَك ، وأدِينُ بدينك ، وأُريد السوءَ لمَن أرادَه لك[4] . فقال : يا هذا ، جزاكَ الله خيرا ، فانصرِف .

قلتُ : إن معي زاداً أريدُ أن آكُلَه معك لتؤكِّدَ المؤاكلةُ بيننا المودّة ، ونُرِيَ أهلَ العسكرَيْنِ هوانَهم علينا ، قال : افعل، فتقدّمتُ إليه حتى اختلفتْ أعناقُ دوابّنا ، وجمعْنا أرجُلَنا على أعرافِها[5] وجعلنا نأكل ، والناسُ قد غُلِبوا ضَحِكاً . فلمّا استوْفَيْنا ودّعَني ، ثم قلت له : إنّ هذا الجاهلَ إنْ أقمتَ على طلب المبارَزة ندَبني إليك فتتْعَب وتُتْعِبُني ، فإن رأيتَ ألّا تبرُزَ اليومَ فافعل ، قال : قد فعلتُ . ثم انصرَفَ وانصرَفْتُ .

---

(١) اقفعل : تقبض .

(٢) كذا في ا والأغاني ، وفي ب : « وإذا عيناه كأنهما من غؤدرهما في دفتين » ، وفي ج « تدوران » .

(٣) في ب ، ج : « تغيظك » .

(٤) كذا في ب ، و ا ، ج « بك » .

(٥) في الأغاني : « معارفها »

فقلتُ لِرَوْح : أمّا أنا فقد كفيتُك قِرْنى ، فقُلْ لغيرى أن يكفيك قِرْنَه كما كفيتُك؛ فأمسَك.

وخرج آخر يَدعو إلى البِراز ، فقال لى : اُخرُجْ إليه ، فقلت :

إنّى أعوذُ برَوْحٍ أن يقدِّمَنى إلى القتال فتَخْزَى بى بَنُو أسَدِ[1]

إنّ البِراز إلى الأقْرانِ أعلمُه ممّا يفرِّق بين الرُّوح والجسدِ

قد خالفتْك المنايا إذ صَمدْتَ لها وأصبحتْ لجميع الخلق بالرَّصَدِ

إنّ المهلَّبَ حُبَّ الموتِ أوْرَثَكُمْ وما ورِثْتُ اختيارَ الموتِ عن أحدِ

لو أنّ لى مُهجةً أخرى لجُدْتُ بها لكنّها خُلقتْ فرداً فلَمْ أجُدِ

فضحِك وأعفانى.

قال أبو دُلامة : كنتُ فى عَسْكرِ مراونَ أيّامَ زحَف إلى سِنانٍ الخارجىّ ، فلمّا الْتَقَى الزَّحْفان خرج منهم رجلٌ ينادى: مَن يُبارِز؟ فلم يخرُج إليه أحدٌ إلّا أعجله ولم يُمْهِلْه[2] ، فغاظَ ذلك مروان وجعل يندُب الناسَ على خمسمائة ، فقُتِل جماعة[3] ، فندَبهم مَرْوان إلى ألفٍ ، ولَمْ يزل يزيدهُم حتّى بلغ خمسةَ آلاف درهم ، وكان تحتى فرسٌ لا أخاف خَوْنَه[4] . فلمّا سمعتُ بالخمسة[5] آلاف ، هانت علىّ نفسى وندَبْتُه[6] واقتَحَمْتُ الصّفَّ ، فلمّا نظر إلىّ الخارجىّ علم أنّى خرجتُ طمعا ، فأقبَل علىّ

---

(١) فى الأغانى : « إلى البراز » .

(٢) فى الأغانى : « ولم ينهنهه » .

(٣) فى الأغانى : « فقتل أصحاب الخمسمائة » .

(٤) ج : « لا أخاف خوفه » .

(٥) لغة ضعيفة ؛ والأفصح : « خمسة الآلاف »

(٦) كذا فى ب ج ، وفى ا : « نزفته » ، وفى الأغانى : « فلما سمعت بالخمسة آلاف ترقبته واقتحمت الصف » .

مستهينا[1] بى ، وإذا عليه فَرْوٌ قد أصابه المطر فابتلّ ، ثم أصابته الشمسُ فاقْفَعلّ ، وإذا عيناه كأنهما من غؤورها فى وَقْبَيْن[2] ، فلمّا دنا منّى قال :

وخارجٍ أخرَجَه حبُّ الطمعْ فَرَّ مِن الموت وفى الموت وَقَعْ
* من كان يَنْوِى أهلَه فلا رَجَعْ *

فلمّا وقَرَتْ فى أُذُنِى انصرفتُ عنــه هاربا ، وجعل مَرْوانُ يقول : مَنْ هذا الفاضِح ! إيتُونى به ، فدخلتُ فى غِمار النّاس ونجَوْت .

ولمّا عزم موسى بنُ داودَ الهاشمىّ على الحجّ قال لأبى دُلامَة : احجُجْ معى ولك عشرةُ آلاف دِرهم ، فقال : هاتِها ، فدُفِعَتْ إليه فأخَذَها وهَرَب إلى السّواد ، فأنفقَها هناك فى شُرْبِ الخمْر[3] . وطلبه موسى فلم يقدِر عليه ، وخاف فَوْتَ الحجّ فخرج ، فلمّا شارف القادِسيّة إذا هو بأبى دُلامة خارجا من قرية إلى قرية أخرى ، وهو سكْران ، فأخذه وقيّده وطرَحَه فى جانب المَحمِل بين يديه ، فلمّا سار غيرَ بعيد أقبَلَ على موسى فناداه :

يأيُّها الناسُ قولوا أجمَعين معاً صلَّى الإلهُ على موسى بنِ داودِ
كأنَّ دِيباجَتَىْ خَدَّيْه من ذَهَبٍ إذا بدا لك فى أثوابه السُّودِ
إنِّى أعوذُ بداوُدٍ وأَعْظُمُهُ من أن أكلَّف حجًّا يابْنَ داوُدِ
خُبِّرتُ أنّ طريقَ الحجِّ مَعْطَشَةٌ لقَاصِدِيه وما شُرْبى بتَصْرِيدِ[4]
واللهِ ما فِىَّ مِن أجــرٍ فتَطْلُبَه ولا الثّناءُ على دِينِى بمحمودِ

فقال موسى : أَلْقُوه عن المَحمِل ، لعنه الله ! ودَعُوه ينصرف ، فأُلقِىَ وعاد إلى قَصْفِه بالسّواد حتّى فقدتْ منه العشرة آلاف درهم .

(١) فى الأغانى : « متهيئا » .
(٢) الوقب : نقرة فى الجبل يجتمع فيها الماء .
(٣) فى الأغانى : « فجعل ينفقها هناك ويشرب الخمر » .
(٤) صرد شربه : قطعه .

كان أبو جعفر يحبّ العبَثَ بأبى دُلامة ، وكذلك كان السَّفّاح ، فكان كلُّ واحدٍ منهما يسأل عنه ، فيوجد فى بيوت الخَمّارين لا فَضْلَ فيه . فعاتَبَه على انقطاعه عنه ، فقال : إنّما أفعل ذلك خوفاً أن تَمَلَّنى ؛ فعلم أنّه يُحاجزه[1] ، فأمَرَ الربيعَ أن يوكّل به مَن يُحضِره الصلواتِ الخمس فى جماعةٍ معه فى الدّار ، فلمّا طال عليه ذلك قال :

أَلَم تَرَيَا أنَّ الخليفةَ لَزَّنِى[2] بِمَسْجِدِهِ والقَصْرِ ، مالى وللقَصْرِ !
لقد صَدَّنى عن مجلسٍ أستَلِذُّه أعلَّل فيـــه بالسَّماع وبالخمرِ
يُكلِّفنى الأُولَى جميعاً وعَصْرَها فوَيْلِى من الأُولى ووَيْلِى من العَصْرِ !
أُصلِّيهما بالكُرْه فى غير مَسجدى فما لِىَ فى الأُولى ولا العَصْرِ من أجرِ
يكلّفنى من بعد ما شِبْتُ خُطَّةً يَحُطُّ بها عنّى المَثاقيلَ مِن وِزْرِى
فقد كان فى قومى مَساجدُ جَمَّةٌ ولم يَنشرِحْ يوماً لِغِشْيانها صَدْرِى
وواللهِ ما لى نِيَّةٌ فى صَلاتِكم[3] ولا البِرُّ والإحسانُ والخيرُ مِن أَمْرِى
وما ضَرَّه واللهُ يَغفِر ذَنْبَهُ لو أنّ ذنوبَ العالَمين على ظَهْرِى

فبلغته الأبيات ، فقال : صدَق والله ، ما يضرُّنى ذلك ، ولا يَنْصَلِح هذا أبدا ، دَعُوه يعمَل ما شاء .

وقيل : إنه قال له: قد أَعْفَيْنَاكَ مِن هذه الحال ؛ ولكن[4] لا تَدَعِ القيامَ معنا ليالىَ شهرِ رمضان ، فقد أَظَلَّ ، قال : أفعَل . قال : إنّكَ إن تأخّرتَ علمتُ أنّك إنّما تأخّرتَ لشُرْب الخمرْ ، وواللهِ لئن فعلتَ لآخذنَّك[5] .

(١) يحاجزه : ينتحل المعاذير الواهية للتخلص منه .
(٢) لزنى : ألزمنى .
(٣) الأغانى : « فى صلاته » .
(٤) فى الأغانى : « على ألا تدع » .
(٥) فى الأغانى : « لأحدنك » ، وكذلك فى ا ، وما أثبته من ب ، ج .

فقال أبو دُلامة : البليّة فى شَهْرٍ أَصلَح منها طُول الدّهر ، فلمّا دخل رمضانُ لَزِم المسجد . وكان المهدىّ يبعث إليه فى كلّ ليلة حَرَسيًّا يجىء به ، فشَقّ ذلك عليه ، وفَزِع إلى الخَيْزُران وأبى عُبَيْد الله[1] وكلِّ مَن كان يلوذ بالمهدىّ ليشفعوا له من القيام[2] فلم يُجِبْهم . فقال أبو عُبَيْد الله : الدالُّ على الخير كفاعله ، فكيف شُكْرُكَ ؟ قال : أتمّ شكر . قال : عليك برَيْطَة[3] فإنّه لا يخالفها قال : صدقْتَ والله ، ثم رَفَع إليها قصّته فيها :

أَبْلِغا رَيْطَةَ أَنِّى كنتُ عبداً لأبيهاَ
فمَضَى يرحمه اللَّـ ـهُ وأَوْصَى بى إليها
وأراها نَسِيَتْنى مِثلَ نسيانِى أخيها
جاءشهرُالصّوم يَمْشِى مِشْيَةً ما أشتهيها
قائداً لى ليلةَ القدْ رِ كأنِّى أبتغيها
تَنطَح القِبلة شَهْرًا جَبْهتى لا تأتليها
ولقد عشتُ زماناً فى فَيافٍ وجيها
فى ليالٍ من شِتاء كنتُ شيخاًأَصْطَليها
قاعداً أُوقِد نارا لضِبابٍ أَشتَويها
وصَبُوحٍ وغَبُوقٍ فى عِلابٍ أَحتَسيها[4]

---

(١) هو أبو عبيد الله معاوية بن عبيد الله بن يسار الأشعرى الكاتب الوزير ، كان من رجالات المنصور ثم المهدى ؛ وعزله المهدى عن الوزارة ، ثم جعله على ديوان الرسائل ، ثم عزله عنه سنة ١٦٧ .

(٢) فى الأغانى : « ليشفعوا له فى الإعفاء من القيام » .

(٣) ريطة ؛ هى ابنة الخليفة أبى العباس السفاح وزوجة المهدى .

(٤) العلاب : جمع علبة ؛ وهى قدح ضخم من جلود الإبل ؛ وهى قدح من خشب .

لا أُبالى ليــلةَ القَدْ ... رِ ولا تُسْمِعُنِيها[1]
فاُطلُبى لى فرجاً منـ ... ـها وأَجرِى لكِ فيها

فقرأتِ الرقعةَ وضحِكَتْ ، وأرسلتْ إليه . اِصبِر حتّى تمضىَ ليلةُ القَدْر . فـكتب إليها : لَم أسأَلْكِ أن تـكلّميهِ فى إعفائى فى العام القابل ، وإذا مَضَتْ ليلةُ القَدْر فقد فنىَ الشّهر ، وكتب هذه الأبيات :

خافِى إلٰهَـكِ فى نفسٍ قد اُحتُضِرَتْ ... قامت قيامتُها بين المصلِّينا
ما ليـلةُ القَدْر من هَمِّى فأطلبُها ... إنِّى أَخافُ المَنايَا قبـل عِشرينا
يا ليلةَ القدْرِ قد كَسَّرْتِ أَرجُلَنا ... يا ليـلةَ القَدْر حَقًّا ما تُمَنِّينا !
لا باركَ اللهُ فى خـيرٍ أُؤَمِّلُه ... فى ليـلةٍ بعد ما قُمنا ثَلاثينا

فدخلتْ على المهدىِّ فشفعَتْ له ، وأنشدَته الأبيات ، فضَحِك حتّى استَلقَى ، ثم دعا به ورَيْطة معه فى الحَجَلة[2] ، فدخل وأخرج رأسَه إليه وقال : قد شفَّعْنا ريطةَ فيك ، وأمَرْنا لك بسبعة آلاف دِرهم . فقال : أمّا شفاعة السيّدة فىَّ حتّى أَعْفيتَنِى ، فأعفاكِ الله وأعفاها من النّار . وأما السّبعة الآلاف فما أعجبنى ما فعلته؛ فإمّا أن تُتِمَّها لى بثلاثة آلاف درهم ، فصارت عَشَرة ، أو تَنقُصَ أَلفَيْن فصارت خمسة ؛ فإنى لا أحِبُّ[3] حسابَ السبعة .

فقال : قد جعلتُها خمسة آلافِ درهم ، فقال : أعيذُكَ بالله أن تختارَ أدنَى الحالَيْن ، وأنتَ أنتَ . فعبِث به المهدىُّ ساعةً ، ثم تـكلّمتْ فيه رَيْطة ، فأتمّها عشرةَ آلافِ دِرهم .

---

(١) لا هنا نافية ؛ وهو خبر يراد به النهى .
(٢) الحجلة ، بالتحريك : بيت يزين بالثياب والأسرة والستور .
(٣) فى الأغانى : « لا أحسن » .

دخل أبو دُلامةَ على المنصور فأنشدَه :

رأيتُكَ فى المنامِ كسوتَ جلْدى ... ثيابًا جَمَّةً وقضيتَ دَيْنى

فكان بَنَفْسَجِىُّ الخزِّ فيها ... وشاحاً ناعما فأتِمَّ زَيْنِى[1]

فصدِّقْ يا فَدَتْكَ النفسُ رُؤيا ... رأتْها فى المنام كذاكَ عَيْنى

فأمر له بذلك ، وقال له : لا تَعُد تتحلَّمْ[2] علىّ ثانيةً ، فأَجعلَ حلْمَكَ أضغاثاً ولا أتحققه ، ثم خرج مِن عنده ، ومضى فشرِب فى بعض الحانات وسَكِر فهو يَمِيل إذ أَخَذَه العَسَس ؛ فقيل له : من أنتَ ؟ وما دِينُك ؟ فقال :

دِينِى على دِينِ بنى العبّاسِ ... ما خُتِم الطِّين على القِرطاسِ

إذا اصطبَحتُ أربعًا بالكاسِ ... فقد أدارَ شُرْبُها براسى

* فهل بما قلتُ لكمْ مِن باسِ *

فأخذُوه ومضَوْا ، وخرّقوا ثيابه وساجَه ، وأُتِىَ بـه إلى أبى جعفر ـ وكان يؤتَى بكلّ من أخذه العَسَس فيَحبِسه فى بيت مع الدَّجاج ـ فلمّا أفاقَ جعل يُنادِى غلامَه مرّة ، وجاريتَه أخرى فلا يجيبه أحدٌ ، وهو يسمع صوتَ الدَّجاج وزُقاءَ الدِّيك[3] .

فلما أكثر قال له السَّجّان : ما شأنُك ؟ قال : وَيْلُك ! مَن أنت ؟ وأين أنا ؟ قال : أنت فى الحَبْس ، وأنا فلان السجّان . قال : ومَن حَبَسنى ؟ قال : أميرُ المؤمنين . قال : ومن خَرّق طَيْلسانى ؟ قال : الحرَس .

فطلَب دَواةً وقِرطاسا ، وكَتَب إلى المنصور :

أميرَ المؤمنين فَدتْك نفسِى ... علامَ حبسْتَنِى وخَرقْتَ ساجِى !

---

(١) فى الأغانى : « وساج ناعم » ، والساج : الطيلسان الأخضر .

(٢) فى الأغانى : « أن تتحلم » ؛ يقال : تحلم فلان ؛ قال : حلمت بكذا ؛ وهو كاذب .

(٣) الأغانى : « الديوك » .

أمِن صَهْباءَ صافيةِ المِزاجِ ... كأنَّ شُعاعَها لَهَبُ السِّراجِ
وقد طُبِخَتْ بنارِ الله حتّى ... لقد صارت من النُّطَفِ النِّضاجِ
تَهَشُّ لها القلوبُ وتَشتهيها ... إذا برزَتْ ترقرقُ في الزُّجاجِ
أُقادُ إلى السُّجون بغير جُرْمٍ ... كأنّي بعضُ عمّال الخراجِ
ولو معهمْ حُبستُ لكان سَهْلاً ... ولكنّي حُبستُ مع الدَّجاجِ
وقد كانت تُخبِّرُني ذُنوبي ... بأنّي من عِقابِك غيرُ ناجِ
على أنّي وإن لاقيت شَرّاً ... لخيرِك بعد ذاك الشرِّ راجي

فدَعا به وقال : أين حُبِستَ يا أبا دُلامة ؟ قال : مع الدَّجاج، قال : فما كنتَ تصنع؟ قال : أُقَوْقِئُ معهمْ حتى أصبحتُ. فضحك وخلَّى سبيلَه ، وأمر له بجائزة .

فلمّا خرج قال له الربيع : إنّه شَرِب الخمرَ يا أمير المؤمنين ، أما سمعتَ قوله : « وقد طُبِخَتْ بنارِ الله » ، يعني الشمسَ ! فأمر بردّه وسأله فقال : لا والله ما عنيتُ إلّا نارَ الله المُوقدة التي تَطَّلِع على فؤاد الرّبيع . فقال : خُذْها يا ربيع ولا تعاوِدِ التعرُّض له .

مرّ أبو دُلامة بتَمّارٍ بالكوفة فقال له :

رأيتُك أطعَمْتَني في المنامِ ... قَواصرَ مِن تَمْرِك البارِحَهْ
فأُمُّ العيالِ وصِبيانُها ... إلى الباب أَعْيُنُهم طامِحَهْ

فأعطاه سَلَّتين من تَمْرٍ ، وقال : إن رأيتَ هذه الرؤيا ليلةً أخرى لم يصحَّ تفسيرها .

ولمّا قَدِم المهديّ من الرّيّ دخل عليه أبو دُلامة ، فأنشأ يقول :

إنّي نَذَرْتُ لئن رأيتُكَ سالِماً ... بقُرَى العِراق وأنت ذو وَفْرِ
لتُصلِّيَنَّ على النبيّ محمّد ... ولتَملأَنّ دراهماً حِجْري

فقال : صلّى الله على النّبيّ محمّدٍ وآلِه وسلَّم ، وأمّا الدراهم فلا . فقال : أنتَ أكرم من أن تُفرِّق بينهما وتختارَ الأسهل ! فضحك ثم ملأ حجرَه دراهم .

ومِثْل هذا ، لمّا قدم المهلّب من بعض غَزَواته لقيْته عجوزٌ من الأَزْد ، فقالت : أيُّها الأمير ، أسألك بالله وبالرَّحِم إلّا ما وَقَفْتَ ؛ فوقَفَ . فدنَتْ منه فقبّلتْ يدَه ، وقالتْ : هذا نَذْرٌ كان علىَّ ، إنّى نَذَرتُ لله عزّ وجلّ إن قدِمْتَ سالما قبّلتُ يَدَكَ ، وتَهبَ لى أربعمائة درهم ، وجاريةً سُغْدِيَّةً[1] تَخْدُمُنِى ، فضحك وقال : أمّا نحن فقد وَفَّيْنا بنَذرك ، ادفعوا إليها ، وإيّاكِ يا أمة وهذه النُّذور ، فليس كلُّ أحد يفِى لك بها ، أوْ يَنشَط لتحليلك منها .

صامَ الناسُ رمضانَ فى سنةٍ شديدةِ الحرّ على عهد المهدىّ ، وكان أبو دُلامَة يَتنجّز جائزةً أَمَر له المهدىُّ بها ، فكتب إليه أبو دُلامةَ رقعةً يشكو إليه فيها أذى الحرّ والصوم :

أَدعوكَ بالرَّحِم الّتى جمعتْ لنا ... فى القُرْب بين قريبِنَا والأَبْعَدِ[2]
إلّا سَمِعتَ فأنتَ أكرمُ مَن مَشَى ... مِنْ مُنشِدٍ يرجو جزاءَ المُنشِدِ
جاء الصيامُ فصمتُهُ متعبِّداً ... أرجو ثوابَ الصّائم المتعبِّد
ولقيتُ من حَرِّ الصيامِ وطُولِه ... أمرينْ قيسا بالعذاب المُؤْصَدِ[3]
وسجدتُ حتّى جبهتِى مشجوجَةٌ ... ممّا يُناطحنى الحصَا فى المَسجدِ
فامْنُنْ بتَسريحى بعطْلِك بالذى ... أَسْلَفْتَنِيه مِنَ البلاء المُرْصَدِ

فلما قرأها المهدىُّ غضب ، وقال: يا عاضَّ كذا من أمّه ، أىُّ قرابةٍ بينى وبينَك ! قال : رحِمُ آدمَ وحَوّاء ! أنسيتَهُما[4] يا أمير المؤمنين فضحك وقال: لا ما نسيتُهُما[4]. وعجّل[5] له جائزتَه وزاد فيها .

(١) سغدية : منسوبة إلى السغد (وقد يقال : الصغد) وهى كورة قصبتها سمرقند .
(٢) فى الأغانى : « أدعوك بالرحم التى هى جمعت » .
(٣) المؤصد: المطبق ، ورواية الأغانى : « ولقيت من أمر الصيام وحره » .
(٤) كذا فى ا والأغانى ، وفى ب ، ج : « أنسيتها ... ما نسيتها » .
(٥) فى الأغانى . « وأمر بتعجيل ما أجازه به وزاد فيه » .

دخل أبو دُلامةَ على أمِّ سَلَمة بنتِ يعقوبَ بنِ سَلَمَة بعد وفاة أبي العبّاس ، فعزّاها به ، وبكَتْ وبكى ، ثم أنشَدَها أبياته التي تقدّمت حتّى بلغ إلى قوله فيها :

يَجِدُونَ أبْدالًا بِهِ وأنا امرُؤٌ لوعشتُ دهراً ما وَجَدْتُ بَديلَا

فقالت أم سَلَمَة : لم أجِدْ(١) أحداً أُصيبَ به غيري وغيركَ يا أبا دُلامة ، فقال : ولا سَواءٌ [يرحمك الله !](٢) لكِ منه ولد وما ولَدْتُ أنا منه قطّ . فضحِكتْ — ولم تكن ضحكتْ منذ ماتَ أبو العبّاس إلّا ذلك الوقت — وقالت : لو حدّثْتَ الشيطانَ لأَضْحَكْتَه .

دخل أبو دُلامة على المهديّ وهو يَبكي، فقال له : مالَكَ ؟ قال : ماتت أمُّ دُلامة ! وأنشَدَه :

وكُنّا كزَوْجٍ من قَطاً في مَفازةٍ لَدَى خَفْضِ عَيْشٍ ناضِرٍ مُونِقٍ رَغْدِ
فأَفْرَدَني ريبُ الزّمانِ وصَرْفُه ولم أرَ شيئاً قطُّ أَوْحَشَ من فَرْدِ !

فأمر له بثيابٍ وطيبٍ ودنانير ، وخرج ، فدخلت أمُّ دُلامةَ على الخَيْزُران وهي تَبكي ، فقالت لها : مات أبو دُلامة ، فأعطتْها مثلَ ذلك وخرجتْ فلما الْتقَى المهدي بالخَيْزُران عرفَا حيلتَهما ، فجعَلا يَضْحكان من ذلك ويَعجَبان.

دخل أبو دُلامَة على المنصور فأنشده :

أما وَرَبِّ العاديات ضَبْحَا حقًّا وَربِّ المُوريات قَدْحا(٣)
إنّ المُغيراتِ عليَّ صُبْحَا والناكئاتِ من فؤادي قَرْحاً(٤)
عَشْرُ ليالٍ بينهنّ الأَضْحَى يَجْلُفْنَ مالِي كلَّ عامٍ ذَبْحَا(٥)

(١) في الأغاني : « لم أر » .
(٢) تكملة من الأغاني .
(٣) الضبح : صوت أنفاس الخيل إذا عدت ، ليست بصهيل ولا حمحمة .
(٤) نكأ القرح : قشره قبل أن يبرأ فيندى .
(٥) يجلفن : يستأصلن ، وفي الأغاني « صبحا » .

قال له أبو جعفر : كم تَذْبح يا أبادُلامة ؟ قال : أربعاً وعشرين شاةً ، ففرَض له على كلِّ هاشميٍّ أربعةً وعشرين ديناراً ، فكان يأخذها منهم . فأتَى العباسَ بنَ محمّدٍ فى عَشْر الأَضْحى يتنجّزُها ، فقال : يا أبا دُلامة ، أليس قد مات أبنُك ؟ قال: بلى . قال: انقصُوه دينارين، قال : أصلح الله الأمير ! لا تفعل ، فقد ترك علىّ ولدَيْن، فأبى إلّا أن ينقُصَه ، فخرج وهو يقول :

أخْطاكَ[1] ما كنت ترجوه وتأمُله ... فاغسِل يديْك من العبّاس باليَاسِ
واغسِلْ يدَيْك بأُشْنانٍ وأنْقِهِما[2] ... ممّا تؤمِّل من معروفِ عبّاس
جزاكَ ربُّك يا عبّاس عن فَرَجٍ ... جنّاتِ عَدْنٍ وعنّى خيرَ أَكْياسِ[3]

فضحك أبو جعفر لمّا بلغهُ الشِّعر ، وأغتاظ على العبّاس ، وأمَرَه بأن يبْعَث إليه بأربعةٍ وعشرين دينارا أخرى ، وقيل : إنّه حلَفَ ألّا يأخذ إلّا خمسين دينارا ، فأتْبَعَه الرسولَ فأعطاه إيّاها ، فقال : أولى له[4] ! أمّا ما سَبَقَ فلا حيلةَ فيه ، والمستأنَف[5] فقد أَمِنه ، وقد كان قال فيه :

لعلىِّ بنِ صالحِ بنِ علىٍّ ... نَسبٌ لو يُعينهُ بسَماحِ
وبنو[6] صالحٍ كثيرٌ ولكنْ ... ما لنا فى بقائهِم من صَلاحِ[7]
غيرَ فَضْلٍ فإنّ للفضْل فضلًا ... مستبيناً على قُرَيْشِ البِطاحِ

---

(١) ب ، ج : « أخاك » تحريف .
(٢) ا : « ونقهما » والأشنان : بالضم : حمض تغسل به الأيدى .
(٣) كذا فى ب و ج ، وفى ا والأغانى : « وعنى جرزتى آس » . والجرزة : الحزمة .
(٤) أولى له ، معناها التهدد والتوعد .
(٥) ب ، ج : « ومستأنف » .
(٦) ساقطة من ب ، ج ، وفى الأغانى : « وبنو مالك » .
(٧) الأغانى : « من فلاح » .

خاصم رجلٌ أبا دُلامة في دارِه ، فارتفعا إلى عافيةَ القاضي ، فأنشأ أبو دُلامةَ يقول :

لقد خاصمتْني دُهــاةُ الرجال وخاصمتُها سَنــةً وافيَــهْ
فمــا أَدْحَض اللهُ لي حجَّــةً ولا خَيّب اللهُ لي قافِيَــهْ
ومَن خِفتُ مِن جَوْرِه في القضاء فلستُ أخافُكَ يا عـافِيَهْ

فقال له عافية : أمَا واللهِ لأشكونّك إلى أمير المؤمنين ولأُعْلِمنّه أنّك هجوتَني ، قال : إذاً والله يَعزِلك ، قال : ولِمَ؟ قال : لأنّك لا تَعرف المدحَ من الهجاء . وبلغَ المنصورَ ذلك ، فضَحك ، وأمر لأبي دُلامَة بجائزة .

دخل أبو دُلامَة على المهديّ وعنده إسماعيلُ بنُ عليّ ، وموسى بنُ عيسى ، والعبّاسُ بنُ محمد [ومحمد][1] بن إبراهيم الإمام ، وجماعةٌ من بني هاشم . فقال له : أنا أُعطِي اللهَ عهدا لئن لم تَهْجُ واحدا ممن في البيت لأقطَعنّ لسانَك ، أو لأضرِبَنّ عُنُقَك ، فنظر إليه القوم ، فكلّما نظر إلى واحد منهم غمزه بأنْ عليَّ رضـــاك . قال أبو دُلامة : فعلمت أنّي قد وقعْتُ ، وأنها عزْمةٌ من عزَماته لا بدَّ منها ، فلم أر أحدا أحقَّ بالهجاء منّي ، ولا أَدْعَى إلى السلامة من هجائي نفسِي ، فقلت :

ألا أبلِـغْ لَدَيْك أبا دُلامَــهْ فلستَ من الكِرام ولا كَرَامهْ
إذا لبسَ العمامةَ قلتَ قِرْداً[2] وخنزيراً إذا نَزَع العمامهْ
جمعتَ دَمامةً وجمعت لُؤْماً كذاكَ اللّؤم تَتبَعُه الدَّمامَــهْ
فإن تَكُ قد أصبْتَ نعيم دُنْيـا فلا تفرحْ فقد دَنَتِ القِيامَـــهْ

فضحك القوم ولم يبقَ منهم أحدٌ إلّا أجازه .

---

(١) ساقط من الأغاني .

(٢) الأغاني : « كان قردا » .

خرج المهديُّ وعليُّ بن سليمان إلى الصَّيد ، فسَنح لهما قطيعُ ظِباء ، فأُرسلتِ الـكلابُ ، وأُجْرِيَتِ الخيْل ، فرَمَى المهديُّ سَهْماً ، فصَرَع ظَبْياً ورَمَى عليّ ابنُ سليمان، فأصاب كلْباً من بعض الـكلاب فقتَله ، فقال أبو دُلامة :

قد رَمَى المهديُّ ظبياً ... شَكَّ بالسَّهمِ فُؤادَهْ
وعليُّ بنُ سُليْمَا ... نَ رَمَى كلباً فصادَهْ
فهنيئاً لهما كُـ ... لُّ أمرِئٍ يأكلُ زادَهْ

فضحك المهديُّ حتى كاد أن يَسقُط عن سَرْجِه، وقال : صدق واللهِ أبو دُلامة ، وأمر له بجائزةٍ سَنِيّة ، ولَقَّبَ عليَّ بنَ سليمان : صائد الـكَلْبُ ، فعَلِقَتْ به .

أنشَدَ أبو دلامةَ المنصورَ يوما :

ها تِيكَ والدتِي عجوزٌ هِمَّةٌ ... مِثلُ البليّة دِرْعها كالمِشْجَبِ (١)
مهزُولةُ اللَّحْيَيْن من يرَها يَقُلْ ... أبصرتُ غُولا أو خيالَ القُطْرُبِ (٢)
ما إنْ تركتُ لها ولا لأبنٍ لها ... مالًا يُؤَمَّل غيرَ بَكْرٍ أجرَبِ
ودَجائجاً خمسا يرُحْنَ إليهمُ ... لمّا يَبِضْنَ وغيرَ عَنْزٍ مُقرِبِ (٣)
كتبوا إليّ صحيفةً مطبوعةً ... جعلوا عليها طِينَةً كالعَقْرَبِ (٤)
فعلمتُ أن الشؤمَ عند فِكاكِها ... ففكَكْتُها عن مثل رِيحِ الجوْرَبِ

---

(١) الهمة : العجوز الفانية . والمشجب : خشبات موثقة منصوبة توضع عليها الثياب وتنشر؛ أراد أن أمه هزلت حتى صارت تشبه خشبات المشجب .

(٢) اللحى : عظم الحنك ؛ وهو الذى عليه الأسنان . والقطرب هنا : ذكر الغيلان ، أو الصغير من الجن .

(٣) العنز المقرب: التى اقترب وقت نتاجها ، وفى الأغانى : «غيرعير مغرب»، والعير : الحمار، والمغرب : الذى اشتد بياضه حتى تبيض محاجره وأرفاغه .

(٤) مطبوعة : مختومة .

وإذا شَبيهٌ بالأفاعى رُقِّشَتْ ... يُوعِدُنى بتلمُّظٍ وتأوُّبِ[1]

يَشْكُون أنّ الجوعَ أهلَكَ بعضَهمْ ... لَزَباً فهل لك فى عيال لَزَبِ ![2]

لا يسألونك غيرَ طَلٍّ سَحابةٍ ... تَغشاهمُ من سَيْبِك المتحلِّبِ

يا باذلَ الخَيْرات يابنَ بَذولِها ... وابنَ الكِرام وكلِّ قَرْم مُنْجِبِ

أنتمْ بنو العبّاس نَعْلَم أنّكمْ ... قِدْما فوارسُ كلِّ يومٍ أشهبِ

أَحْلاسُ خَيْلِ الله وهى مُغيرَةٌ[3] ... يَخرُجنَ من حَذَرِ الغُبارِ الأكْهَبِ[4]

فأمر له بدارٍ يسكنها، وألفِ درهم ، وكانت الدار قريبةً من قصره ، فاُحتاج إليها بعد مدّة أن تُزَادَ فى قصره ، فدخل عليه أبو دُلامةَ فأنشَده :

يا بن عمِّ الرسولِ دعوةَ شَيْخٍ ... قد دنا هَدْمُ دارِه ودَمارُهْ

فهوَ كالماخِضِ التى اعتادها الطَّلْـ ... ـق فقَرَّتْ وما يَقِرُّ قَرارُهْ

إنْ يَكُنْ عسرُه بكفَّيْك يوماً ... فبِكَفَّيْكَ عُسْرُه ويَسارُهْ

أو تدعْه إلى البَوارِ فأنَّى ... ولماذَا وأنتَ حَىٌّ بَوارُهْ !

هل يَخافُ الهلاكَ شاعرُ قومٍ ... قَدُمَتْ فى مديحكمْ أشعارُهْ

لكمُ الأرضُ كلُّها فأعيروا ... شيخَكمْ ما اُحْتَوَى عليه جِدارُهْ

فكأنْ قد مَضَى وخَلَّفَ فيكمْ ... ما أعرتُمْ وأَقْفَرَتْ منه دارُهْ

فاستَعْبَرَ المنصور وأمر بتعويضه داراً خيراً منها وَوَصَلَه .

---

(١) رقشت : نقطت بسواد . والتأوب : الرجوع .

(٢) اللزب ، بالتحريك : ضيق العيش .

(٣) كذا فى الأغانى ، وفى ا : « جند الله » ، وفى ب : « جند الهدم » .

(٤) كذا فى الأغانى ، والكهبة : غبرة مشربة سوادا ، وفى الأصول : « الأصهب » ، والوجه ما أثبته من الأغانى .

دخل أبو دُلامةَ على سعيدِ بنِ دَعْلج[1] مولى بني تميم ، فقال :

إذا جئتَ الأميرَ فقلْ سلامٌ ... عليكَ ورحمةُ اللهِ الرّحيمِ
وأمّا بعد ذاكَ فلي غريمٌ ... من الأعراب قُبِّحَ من غريمِ !
غريمٌ لازمٌ لفناءِ بيْتي ... لزومَ الكَلْب أصحابَ الرّقيمِ[2]
له مائةٌ عليَّ ونِصْفُ أخرى ... ونِصْفُ النّصف في صَكٍّ قديمِ
دراهمُ ما انتفعتُ بها ولكن ... وصلتُ بها شيوخَ بني تميمِ
أتَوْني بالعشيرةِ يسألوني ... ولم أكُ في العشيرة بالذميمِ[3]

فضحك وأمَرَ له بمائتين وخمسة وسبعين درهما ، فقال : وليس إلّا ! فقال : ما أساءَ مَن أنصَفَ، قد كافأتُك عن قومي[4] ، وزدتُك مائة .

لمّا توفِّيت حمّادة بنت عيسى حضر المنصورُ جنازتَها ، فلمّا وقف على حُفْرتِها قال لأبي دُلامة : ما أعددْتَ لهذه الحُفْرَة ؟ قال : بنتَ عمِّك يا أمير المؤمنين ، حمّادة بنت عيسى ؛ فإنّها الساعةَ تُدفَن فيها ! فضَحِك المنصورُ حتّى غُلِب وستَرَ على وَجْهِه .

قال الهَيْثم بنُ عَدِيّ : حَجَّتِ الخيزُران ، فلمّا خرجتْ صاح أبو دُلامة : جعلني الله فِداكِ ! اللهَ اللهَ في أمري ! فقالت : مَن هذا ؟ قالوا : أبو دُلامة ، قالت: سَلُوه ما أَمْرُه ؟ فقالوا له : ما أَمْرُكَ ؟ قال : أَدْنُوني من مَحمِلها ، قالت : أَدْنُوه ، فأَدْنَيَ ، فقال لها : أيّتها السيّدة ، إنّني شيخ كبير ، وأجرُكِ فيَّ عظيم. قالت: فيمَ؟

(١) كان أميرا على شرطة البصرة لأبي جعفر المنصور ، ثم ولي البحرين له أيضا وعزله بعد ذلك وولي للمهدي طبرستان وعزله عنها (ابن الأثير) .
(٢) الرقيم : لوح كتبت فيه أسماء أصحاب الكهف
(٣) في الأغاني : « باللئيم » .
(٤) في الأغاني : « وقد كافأتك عن قومك » .

قال : تَهَبِين لى جاريةً من جواريك تؤنسنى وتَرْفُق بى ، وتُرِيحُنى من عجوزٍ عندى، قد أَكَلَتْ رِفْدِى ، وأطالَتْ كَدِّى ، وقد عافَ جلدى جلدَها ، وتمنَّيْتُ بُعْدَها ، وتشوَّقْتُ فقدَها . فضحكت الخَيْزُران وقالت : سوف آمُرُ لك بما سألْتَ . فلمّا رجعتْ تلقّاها وأذكَرَها ، وخرج معها إلى بغداد فأقام حتى غَرِض[1] .

ثم دخل على أمّ عَبيدَةَ حاضنةِ موسى وهارون ، فدفع إليها رقعةً قد كتبَها إلى الخَيْزُران فيها :

أَبْلغِى سيِّدَتى باللّـ ـه يا أُمَّ عَبيـدَهْ
إنّها أرشَـدَها اللّـ ـهُ وإن كانت رشيدهْ
وعَدَتْنى قبل أن تَخْـ ـرُجَ للحجّ وَليـدَهْ
فتأنَّيْتُ وأرسَلْـ ـتُ بعشرين قصيدَهْ
كلما أخلَقْنَ أخْلَفْـ ـتُ لها أخرى جديدهْ
ليس فى بيتى لتمهيـ ـدِ فِراشى من قَعيدهْ
غيرَ عَجْفاءَ عَجوزٍ ساقُها مثلُ القَديدَهْ
وجهُها أقبحُ مِن حُو تٍ طرىٍّ فى عَصيدَهْ
ما حياةٌ مع أُنثَى مِثل عِرسِى بِسَعيدَهْ

فلمّا قُرِئَتْ عليها ضحكتْ ، واستعادت منها قوله :

وجهُها أقبحُ من حُو تٍ طرىٍّ فى عَصيدهْ

وجعلتْ تَضحَك ، ودعت بجاريةٍ من جواريها فائقةٍ فقالت لها : خذى كلَّ مالَكِ فى قصرى ، ففعلتْ ، ثم دعت بعضَ الخدم وقالت له : سَلِّمها أبا دُلامة[2] ،

---

(١) غرض : مل وضجر .
(٢) ا : « إلى أبى دلامة » .

فانطلَقَ الخادمُ بها فلَم يصادِفْه فى منزله ، فقال لامرأته : إذا رجع أبو دُلامةَ فادفعِيها إليه ، وقولى له : تقول لك السيّدة : أَحسِن صحبةَ هـذه الجارية ، فقد آثَرْتُكَ بها ، فقالت له : نعم ؛ فلمّا خرج دخل ابنُها دُلامةُ فوجدها تبكى ، فسألها عن خبرِها ، فأخبرتْه وقالت له : يا وَلَدِى ، إنْ أردتَ أن تبرَّنى يوما من الأيّام فاليوم ، قال : قولى ما شئتِ ، فإنِّى أفعله . قالت: تَدخُل عليها فتعلِمها أنّك مالِكُها فتطؤها ، فتحرّمها على أبيك . وإلّا ذهبتْ بعَقْله وجفانى وجفاك . ففعل دُلامةُ ذلك ، ودخل إلى الجارية ووطِئها ووافقها ذلك منه ، وخرج ، فدخل أبو دلامة فقال لامرأته : أين الجارية ؟ قالت : فى ذلك البيت ، فدخل إليها شيخٌ محطَّم ذاهب ، فمدَّ يدَه إليها ، وذهب بها ليقبّلها ، فقالت : مالَكَ وَيْلَكَ ! تنحَّ وإلّا لطَمْتُك لطمةً دَققت أنفك بها ، فقال لها : أبهذا أوصَتْكِ السيّدة ؟ قالت : إنّها بعثَتْ بى إلى فتًى من حالِه : كَيْتَ وكَيْتَ ، وقد كان عندى آنفاً ، ونال منّى حاجتَه ، فعلِم أنّه قد دُهِىَ من أمِّ دُلامةَ وابنِها ، فخرج إلى دُلامة فلَطَمه ، وتلبّب به(1) وحلف أنه لا يُفارِقه [إلّا](2) إلى المهدىّ ، فمضى متلبِّباً حتى وقَفَ بباب المهدىّ ، فعُرِّف خبره ، وأنّه قد جاء بابنه على تلك الحال ، فأذن له .

فلمّا دخل قال له : ما لَكَ وَيْلَك ! قال : عَمِل بى هذا ابنُ الخبيثة مالَمْ يعمَلْه ولدٌ بأبيه ، ولا يُرضِينى إلّا أن تَقتُلَه : فقال له : وَيْلَك ! ما فعَل بك ؟ فأخبَرَه الخبرَ ، فضحك حتى استَلْقَى ، ثم جلس . فقال له أبو دُلامة : كأنّك أعجبك فِعلُه فتضحَكَ منه ! فقال : علىَّ بالسَّيف والنِّطْع ، فقال له دُلامة : قد سمعتَ قولَه يا أمير المؤمنين فاسمعْ حُجَّتى . قال : هاتِ ، قال : هذا الشيخ أصفَقُ النّاس وجها ؛

(١) تلبب به : أخذ بتلبيبه ، أى جمع ثيابه عند صدره ونحره فى الخصومة ثم جره .

(٢) تكملة من الأغانى .

بَنيك أمِّى منذ أربعين سنةً ما غضبتُ ، ونِـكْتُ أنا جاريتَه مرّةً واحدةً فغضِب وصَنَع بى ما ترَى ! فضَحِك المهدىُّ أشدَّ من ضحكه الأوّل ، ثم قال : دَعْها له ياأبا دُلامة ، وأنا أعطيك خيراً منها . قال : على أن تَخْبَأَها لى بين السماء والأرض ؛ وإلّا نا كَها والله كما ناكَ هذه ؛ فتقدَّم إلى دُلامةَ ألّا يفعَـل مثل هـذه الفعْـلة ، وحلف أنّه إنْ عاوَدَ قتَله ، ووهب له جاريةً أخرى كما وعدَه .

دخل أبودُلامةَ على المهدىِّ وعنده شاعرٌ يُنشِده ، فقال له : ماترَى فيه ؟ قال : إنّه أجْهدَ نفسَه لك فاَجْهَدْ نفسَك له . فقال له المهدىّ : وأبيك إنّها كلمةٌ عذراء منك ، وأحسَبُك تَعرِفه ! فقال : لا والله ما عرفتُه ، ولا قلتُ إلّا حقًّا ، فأمر للشّاعر بجائزة ، ولأبى دُلامَة بمثلها لِحُسْن مَحْضَرِه .

قال أبو عبد الله العُقَيلىّ : رأيتُ على أبى دُلامةَ فى الصّيف فَرْوة ، فقلت له : ألا تَملُّ هذه ؟ فقال : رُبَّ مَملولٍ لا يُستطاع فِراقُه ! فنزعتُ فاضلَ ثيابى فى موضعى ودفعتُها إليه .

قال الهيثمُ بنُ عدىّ : دخـل أبو دلامةَ على المهدىّ يوماً فحادَثَه ساعةً وهو يَضْحَك ، ثم قال له : هل بقِىَ من أهلى أحدٌ لم يَصِلْك ؟ قال : إن أَمَّنْتَنِى أخبرتُك ، وإن أعْفَيْتَنِى هو أحبُّ إلىّ . قال : بل تُخبرنى وأنت آمِن ، قال : كلُّهم قد وصلَنِى إلّا حاتمَ بنى العبّاس ، قال : ومَن هو ؟ قال : عمُّك العباسُ بنُ محمّد . فالتفتَ إلى خادمٍ واقفٍ على رأسه ، فقال : جَأْ(١) عنقَ هذا الماصِّ بَظْرَ أُمِّه ، فلما دنا منه نظر إليه وصاحَ عليه أبو دُلامة : تَنحَّ يا عبدَ السَّوْء ! لا تُحنِث مولاك وتَنقُضْ عهدَه وأمانَه ! فضحك المهدىُّ وأمرَ الخادمَ فتنحَّى عنه ، وقال : والله لو متَّ ما أعطاكَ

(١) جأ : اضرب ، وفى ب ، ج : « هات » .

عمِّى شيئا ؛ فإنَّه أبْخَلُ الناس ؛ فقال أبو دُلامة : بل هو أسخَى النّاس ! فإن أتيته فأجازنى ؟ قال : لك بكلّ درهمٍ تأخذه منه ثلاثةُ دراهم .

فانصرَف أبو دُلامةَ ، فحبَّر للعباس قصيدةً ، ثم غدَا بها عليه ، فأنشدَه إيّاها ، وأوّلها :

قِفْ بالدِّيارِ وأىَّ الدَّهرِ لَم تَقِفِ ... على المنازِلِ بين الظَّهْرِ والنَّجَفِ[1]
وما وقوفُك فى أطلالِ[2] منزلةٍ ... لولا الّذى استدرجَتْ من قلبِكَ الكَلِفِ
إن كنتَ أصبحتَ مشغوفاً بساكِنِها ... فلا وَربِّك لا يَشفيك مِن شَغَفِ
دَعْ ذَا وقُلْ للّذى قد فاز من مُضَرٍ ... بالمكرُمات وعِزٍّ غيرِ مقترَفِ[3]
هذى رسالةُ شيخٍ مِنْ بنى أَسَدٍ ... يُهدِى السَّلامَ إلى العبّاس فى الصُّحفِ
تخُطُّها من جَوارِى المِصْرِ كاتبةٌ ... قد طالَمَا ضَرَبَتْ فى اللَّامِ والألفِ
وطالَما اختلَفتْ صيفاً وشاتِيَةً ... إلى معلِّمِها باللّوحِ والكَتِفِ
حتّى إذا نَهَد الثَّدْيانِ فامتلآ ... منها وخِيفَ على الإسْرافِ والقَرَفِ[4]
صِينَتْ ثلاثَ سنينٍ ما تَرى أحداً ... كما يَصُونُ تِجارٌ دُرَّةَ الصَّدَفِ
فبينما الشَّيْخُ يَهوِى نحوَ مسجدِهِ ... مُبادِراً لِصلاةِ الصُّبحِ فى السَّدَفِ[5]
حانت لـه لَمْحةٌ منها فأَبْصَرَها ... مُطِلَّةً بين سَجْفَيْها من الغُرَفِ
فخرَّ واللهِ ما يَدرِى غَداً تَئِذٍ ... أخَرَّ منكشِفاً أمْ غيرَ منكشِفِ

---

(١) الظهر : موضع بعينه، والنجف : موضع بالكوفة.

(٢) ب ، ج : « بالأطلال » ، وما أثبته من ا والأغانى .

(٣) مقترف : مكتسب .

(٤) القرف : التهمة .

(٥) السدف : الظلمة .

وجـاءَهُ النـاسُ أفـواجاً بمائِهمُ ... ليغسِلوا الرَّجُلَ المَغْشِيَّ بالنُّطَفِ(١)

ووَسْوَسُوا بقُرانٍ فى مَسامِعِه ... مَخافَةَ الجِنِّ والإنسانُ لَمْ يَخَفِ

شيئاً ولـكنَّه من حُبِّ جاريةٍ ... أمسَى وأصبحَ منموتٍ على شَرَفِ(٢)

قالوا: لكَ الوَيْلُ ماأَبصرْتَ قلتُ لهم: ... جِنِّيَّةٌ أقصدَتْني من بَني خَلَفِ

أبصرتُ جاريـةً مملوكةً لهمُ ... تطلّعتْ منأعالِي القَصْرِ ذى الشُّرَفِ

فقلت : أيُّكمُ واللهُ يأْجُرُهُ ... يُعينُ قوّتَـه فيها عـلى ضَعَفٍ ؟

فقام شيخٌ بَهِيٌّ من رِجالِهمُ ... قد طالَمَا خَدَعَ الأقوامَ بالحَلِفِ

فأَبتاعَها لى بألفَيْ درهمٍ فأَتَى ... بها إلىَّ وألقاها على كَتِفى

فبِتُّ ألثُمُها طَـوْراً وألزَمُها ... طَوْراً،وأصْنَع بعضَ الشىءِ فى اللُّحُفِ

فبـينَ ذاكَ كذا إذ جاءَ صاحبُها ... يَبغِى الدراهمَ بالميزانِ ذى الـكِفَفِ

وذِكْرَ حقٍّ عَـلَى زيْـد وصاحِبه ... والحقُّ فى طرَفٍ والظنُّ فى طرَفِ(٣)

وبـينَ ذاكَ شهودٌ لا يَضُرُّهمُ ... أكنتُ معترِفاً أم غـير معترفِ

فإن يـكن منك شىءٌ فهو حقُّهمُ ... أوْلا فإنِّىَ مـدفُوع إلى التَّلَفِ

قال : فضَحِك العبّاس ، وقال : وَيْحَك ! أصادقٌ أنتَ ؟ قال : نَعَمْ واللهِ ! قال : يا غلام ، ادفَعْ إليه ألفَيْ دِرهم ثمنَها . فأَخَذَها ، ثم دخل على المهدىِّ فأخبره بمـا أُحتال له به ، فأَمَر له المهدىُّ بستّة آلافِ درهم ، وقال له المهدىُّ : وكيف لايضرُّهم ذلك ؟ قال: لأنّى مُعدِمٌ لا شىءَ عندى.

---

(١) النطف : جمع نطفة ؛ وهو الماء الصافى قل أو كثر .

(٢) فى الأغانى : « أمسى وأصبح موقوفا على التلف » .

(٣) كذا فى ب ، وفى ج : « والعين فى طرف »، وفى ا والأغانى: « والطين فى طرف » .

وقيل : إن العبّاس بن محمد قال له : شارِكْنى فى[1] هذه الجارية ، قال : أفعلُ ذلك على شريطةٍ ، قال : ماهى ؟ قال : الشَّرِكة لا تكون إلا مُفاوَضَة[2] ، فاشترِ معها أخرى ؛ ليبعثَ كلٌّ واحد منّا إلى صاحبه ما عندَه ، ويأخذَ الأخرى مكانَها ليلةً وليلة .

فقال له العبّاس : قبّحك الله ؛ وقبّح ما جئتَ به ! خُذ الدراهمَ لا باركَ اللهُ لك فيها وانصَرِفْ .

كان أبو دلامةَ مع أبى مُسلم فى بعضِ حُروبِ بنى أُميَّة ، فدعا رجلٌ إلى البِراز ، فقال له أبو مسلم : ابرُزْ إليه ، فقال :

ألا لا تَلُمْنِى إن فَرَرْتُ فإنّنى أخافُ على فَخّارَتِى أن تَحَطَّمَا

فلو أنّنى فى السُّوق أبتاعُ مِثلَها وجَدِّك ما باليتُ أن أتقدّما[3]

فضحك وأعفاه .

نزل أبو دُلامةَ بالكُوفة ، فأتاه أضيافٌ له ، فقَرَاهم[4] ، وبعث إلى نَبَّاذةٍ يقال لها : دَوْمة ، فبعثتْ إليهم جَرّةَ نبيذٍ فشربوها ، ثم أعاد فبعثتْ إليهمْ أخرى ، ثم جاءت تتقاضاه الثَّمن ، فقال : ليس عندى ثَمَنٌ ، ولكنّى أمدَحك بما هو خيرٌ من نَبيذِكِ ، وقال :

ألَا يادَوْمُ دامَ لكِ النَّعيمُ وأَمرُ مِلْءِ كفِّكِ مستقيمُ

شديدُ الأصْلِ يَنبِض حالِباهُ[5] يَئِنُّ كأنّه رجلٌ سقيمُ

---

(١) كذا فى ا والأغانى ، وفى ب ، ج : « على » .

(٢) شركة المفاوضة : هى الشركة العامة فى كل ما يملكه الشريكان .

(٣) فى الأغانى : « وجدك ما باليت » .

(٤) فى الأغانى : « فغداهم » .

(٥) فى الأغانى : « ينبذ » ، وهما بمعنى .

يُرَوِّيه الشَّرابُ وَيَزْدَهِيه ... وَيَنفُخ فيه شيطانٌ رجيمُ[1]

فَسُرَّت النَّباذة وقالت : هذا أعجبُ إليَّ من النَّبيذ !

دخل أبو دُلامةَ على إسحاقَ الأزرق يَعودُه ، وكان إسحاقُ قد مَرِض مرضا شديداً ، ثم أفاقَ وبقيَ في ضَعْفه ، وعند إسحاقَ طبيبٌ يصف له أدويةً تُقَوِّي بدنَه ، فقال أبو دُلامة للطبيب : يابنَ الكافر ، أتَصِف هذه الأدويةَ لرجلٍ قد أضْعَفَه المَرَض ؟ ما أردتَ والله إلّا قتلَه ، ثم التفتَ إلى إسحاقَ فقال : اسمعْ مني قال : هاتِ يا أبا دُلامةَ ، فأنْشدَه :

نَحِّ عنكَ الطبيبَ واسمعْ لِوَصْفِي[2] ... إنَّني ناصحٌ مِن النُّصَّاحِ

ذو تَجارِيبَ قد تَقَلَّبْتُ في الصِّحَّةِ دَهْراً وفي السَّقام المُتاحِ

غَادِ هذا الكَبابَ كلَّ صَباحٍ ... من مُتونِ الفَتِيَّة السُّحَّاحِ[3]

فإذا ما عَطِشْتَ فاشربْ ثلاثاً ... من عتيقٍ في الشَّمِّ كالتُّفَّاحِ

ثمَّ عند المَساء فاعكُفْ على ذا ... وعلى ذا بأعظَمِ الأقْداحِ

فتقوِّي ذا الضعفَ منكَ وتُلْقَى ... عن ليالٍ أصحَّ هذي الصِّحاحِ[4]

ذا شِفاءٌ فدعْ مقالةَ هذا ... ناكَ ذا أمَّه بزُبٍّ رَبَاحِ

فضحك إسحاقُ وعُوّادُه ، وأمرَ لأبي دُلامة بخمسمائة درهم ، وقال الطبيب — وكان حِيرِيًّا[5] نَصْرانيًا : أعوذ بالله من شَرِّك يا رَكُل — (يَعني يا رَجُل) اقبلْ منه[6] أصلَحَك الله ؛ ولا تسألْني عن شيء بحضرته .

(١) لم يرد هذا البيت في رواية الأغاني .

(٢) في الأغاني : « لنعتي » .

(٣) السحاح : السمان ، واحدها ساح وساحة ، بالحاء المشددة .

(٤) عن ليال ، أي بعد ليال .

(٥) ساقطة من الأغاني .

(٦) في الأغاني : « اقبل مني » .

فقال أبو دلامة : أمّا وقد أخذتُ أجرة صِفَتِي ، وقضيتُ الحقَّ فى نُصْحِ صَديقى ، فأُنعتْ له الآنَ ما أحببتَ .

دخل أبو دُلامةَ على المهدىِّ ، وبين يديه سَلَمةُ الوصيف ، واقفاً ، فقال له : إنِّى قد أهدَيْتُ لك مُهْراً ليس لأحد مِثلُه ، فإنْ رأيتَ يا أميرَ المؤمنين أن تشرِّفَنِى بقَبوله ! فأَمَرَه بإدخاله [إليه][1] فخرَج أبو دُلامةَ ، ودخل بدابّته الذى[2] كان تحته ، فإذ هو بِرْذَوْنٌ محطَّمٌ أعجَفُ هَرِمٌ ، فقال له المهدىّ : أيْشٍ هذا وَيْلَك ! ألمْ تزعمْ أنّه مُهْرٌ ! فقال له : أوَ ليس هذا سلمةَ الوصيفَ بين يدَيْك له ثمانون سنة ، وهـو عندك بعدُ وصيف ! فإن كان سَلَمةُ وصيفاً فهذا مُهرٌ . فجعل سَلَمة يَشتُمه ، والمهدىّ يضحك ، ثم قال لسَلَمة : وَيْلَك ! إنّ لهذه منه أخوات ، وإنْ أتى بِمثلِها فى مَحفِل ! فَضَحك[3] ، فقال أبو دُلامة : إى والله يا أميرَ المؤمنين لأَفضَحنّه ! فليس من مواليك أحدٌ إلّا وقد وصلَنى غيرُه ، فإنّى ما شربتُ له الماءَ قطّ . فقال : قد حكمتُ عليه أن يشترىَ نفسَه منك بألف درهم حتى يَتخلَّص من يدِك ، قال : قد فعلتُ على ألّا يعاوِد . فقال له : ماترَى ؟ قال : أفعَلُ ؛ فلولا أنِّى ما أخذتُ منه قطّ شيئا ، ما استعملت معه هذا ، فمضى سلمةُ فحمَلها إليه .

جاء ابنُ أبى دُلامةَ يوما إلى أبيه وهو فى مَحْفِلٍ من جيرانه وعشيرته جالس ، فجلس بين يديه ، ثم أَقْبَل على الجماعة فقال لهم : إنَّ شَيْخى كما ترَوْن قد كَبِرتْ سِنُّه ، ورَقَّ جِلْدُه ، ودَقَّ عَظمُه ، وبنا إلى حياته حاجةٌ شديدة ، ولا أزالُ أشير عليه بشىء يُمسك رَمَقَهُ ، ويُبقِى قوّته[4] فيخالفنى فيه ، وإنِّى أسألُكم أن تسألوه

---

(١) من الأغانى .

(٢) الدابة تذكر وتؤنث ؛ وفى الأغانى : « دابته التى كانت تحته » .

(٣) ب ، ج : « يفضحك » .

(٤) ب ، ج : « قوامه » .

قضاءَ حاجة لى ، أذكرها بحضرتكم ، فيها صلاحُ جسْمِه ، وبقاءُ حياتِه ؛ فأَسعِفونى بمسألته معى ، فقالوا : نَفْعَل حُبًّا وكرامة ، ثم أَقبَلوا على أبى دُلامة بألسنتِهم ، فتناولوه بالعتاب حتى رضى ابنُه وهو ساكت . قال : فقولوا للخبيث فليَقُل مايريد فستعلمون أنّه لم يأت إلّا ببليّة . فقالوا له : قل : فقال : [إن][1] أبى إنَّما يَقتُله كثرةُ الجماع ، فتعاونونى عليه حتّى أَخْصِيَه ؛ فلن يَقطَعه عن ذلك غيرُ الخصاء ، فيكون أصحَّ لجسمه ، وأطولَ لعمره ، فعجبوا مما أَتَى به ، وعلموا أنَّه إنما أراد أن يَعبَث بأبيه ويُخجِله حتى يَشيعَ ذلك عنه ، فيرتفع له به ذِكْر .

فضحِكوا ممّا أتَى به ؛ ثم قالوا لأبى دُلامة : قد سمعتَ فأجِبْ ، قال : قد سمعتم أنتم ، وعرفتم أنّه لم يأتِ بخير ، قالوا : فما عندكَ فى هذا ؟ قال : قد جعلتُ أمَّه حَكَماً بينى وبينه ، فقوموا بنا إليها ، فقاموا بأجمعهم ، فدخلوا عليها ، وقصَّ عليها أبو دُلامةَ القِصّة ، وقال : قد حكّمتُكِ ، فأقبلتْ على الجماعة فقالت : إنّ أُبنى هذا — أبقاه الله — قد نَصَح أباه ، ولم يَأْلُ جُهداً ، وإنى إلى بقائه أحوجُ منّى إلى بقاء أبيه ، وهذا أمرٌ لم تَقَع به تجربةٌ مِنّا ، ولا جرتْ بمثله عادةٌ لنا ، وما أشكّ فى معرفته بذلك ، فليبدأْ بنفسه فَلْيَخْصِها ، فإذا عوفىَ ورأينا ذلك قد أثَّر عليه أثرا محمودا أستعمله أبوه. فنَعر[2] أبوه ، وضحك منه وخجل أُبنُه ، وانصرف القومُ يَضحكون ويَعجبون من خُبْثهم جميعا ، واتفاقهم [فى ذلك المذهب][3] .

كان عند المهدىّ رجلٌ من بنى مَرْوَان قد دخل إليه ، وسَلَّم عليه فأُتِى المهدىُّ

---

(١) من الأغانى .

(٢) نعر : صاح .

(٣) تكملة من الأغانى .

بعلج(١) ، فأمر المَرْوانىَّ بضرب عُنُقِه ، فأخذ السَّيْفَ وقام فضربَه ، فنَبا السيفُ عنه ، فَدَحَا به(٢) المَرْوَانِيّ ، وقال : لو كان هذا من سيوفِنا ما نَبَا .

فسمع المهدىُّ الكلامَ ، فغاظَه حتّى تغيَّر وجهُه ، وبانَ فيه ، فقام يَقْطِين(٣) فأخذ السيفَ ، وحَسَر عن ذراعَيْه ثم ضرب العِلجَ فرمى برأسِه ، ثم قال : ياأميرَ المؤمنين ، إنّ هذه السيوفَ سيوفُ الطاعة ، ولا تَعْمَل إلّا فى أيدى الأولياء ، ولا تعمل فى أيدى أهلِ المعصية ، ثم قام أبو دُلامة فقال : يا أميرَ المؤمنين : [قد حضرنى بيتان ، أفأقولها ؟ قال : قل ، فأنشده](٤) :

أيُّهذا الإمامُ سيفُكَ ماضٍ ... وبكفِّ الولِّى غيرُ كَهامِ(٥)

فإذا ما نَبَا بكفٍّ عَلِمْنا ... أنّهـا كفُّ مُبغِض للإمام

فسُرِّىَ عن المهدىّ ، وقام عن مجلِسه ، وأمرَ بقتل المَرْوانىّ ، فقُتِل .

(١) العلج : الرجل من كفار العجم .

(٢) فى الأغانى : « فرمى به » ، وبما بمعنى .

(٣) هو يقطين بن موسى البغدادى من وجوه الدعاة ، وانظر أخباره فى الفهرست لابن النديم

(٤) تكملة من الأغانى .

(٥) الكهام من السيوف : الكليل الذى لا يقطع .

زهير بن أبى سلمى*

هو زُهَير بنُ أبى سُلْمَى ـ واسمُ أبى سلمى رَبيعة بن رِياح ـ بن قُرّة بن الحارث ابنِ مازِن بنِ ثعلبة ، بنِ ثَوْر بن هَرْمة بن لاطم[1] بن عثمانَ بنِ عَمرو بن أُدّ بن طابخة بنِ إلياس بن مُضَر بن نزار . ومُزَيْنة أمُّ عمرو بن أُدّ ، هى بنت كلبِ ابنِ وَبْرة .

هو أحدُ الثلاثة المتقدِّمين على سائر الشعراء ، وإنما اُختُلِف فى تقديم بعضِهم[2] على صاحبَيْه ؛ فأمّا الثلاثةُ فلا خلافَ فيهم : امرُؤُ القيس ، وزُهير ، والنابغةُ الذُّبْيانىّ .

وكان يقال : شاعرُ أهلِ الجاهليّة زُهير .

قال عِكرِمة بنُ جَرير : قلتُ لأبى : يا أبت ، مَن أشعرُ الناس ؟ قال : أعَنِ الجاهلية تسألُنى أم الإسلام ؟ قال : قلت : ما أردت إلّا الإسلام ، فإذا كنتَ قد ذكرتَ الجاهليّةَ فأخْبِرْنى عن أهلها ، قال : زُهير أشعَرُ أهلِها ، قلتُ : فالإسلام ؟ قال : الفرَزْدَق نَبْعَة الشِّعر ، قلت : فالأَخطَل ؟ قال : يجيد مدحَ الملوك ويصفُ الخمرَ فيُصيب .

قلت : فما تركتَ لنفسك ؟ قال : نَحرْتُ الشعرَ نَحْراً .

---

* ترجمته فى الأغانى ١٠ : ٢٨٨ ـ ٣١٦ (طبعة دار الكتب)

(١) كذا فى ١ ، وفى ب ، ج : « هرمة لاطم » وفى الأغانى : « هرمة بن الأصم » وفى طبقات الشعراء لابن سلام : « هدمة بن لاطم » .

(٢) فى الأغانى : « فى تقديم أحد الثلاثة على صاحبيه » .

وقيل : استحق زهير التَّقدِمة لأنّه كان لا يُعاظِل[١] فى الـكلام ، ويجتنب وحشيّه ، ولا يَمدَح أحدا إلّا بما فيه .

قال ابنُ عبّاس : خرجتُ مع عُمر بنِ الخطّاب فى أوّل غَزْوة غَزاها ، فقال لى ذاتَ ليلة : يا بنَ عبّاس ، أَنشِدْنى لشاعرِ الشُّعراء ، قلت ، ومَن هو ؟ قال : ابنُ أبى سُلْمَى ، قلتُ : ولِمَ صار ذلك ؟ قال : لأنّه لايتّبع حوشىَّ الـكلام ، ولايُعاظِل بين المَنطِق ، ولا يقول إلّا ما يَعرِف ، ولا يَمْدَح الرجلَ إلّا بمـا يكون فيه ، أليس هو الّذى يقول :

ولو كان حَمْداً يُخلِدُ الناسَ لَم يَمُتْ ولـكنّ حَمْدَ الناسِ ليس بمخْلِدِ

أَنشِدْنى له، فأنشدْتُه حتّى بَرَقَ الفَجْر ، فقال: حسبُك الآن ، فاقرأ القرآن ، قلتُ : ما أقرأ ؟ قال : اقرأ الواقعة ، فقرأْتُها ، فنزل فأَذَّن فَصَلّى .

ورُوِى أنَّ رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم نظر إلى زُهير بنِ أبى سُلْمَى ، وله مائةُ سنة ، فقال : اللّهمّ أعِذْنى من شرّ شيطانِه ، فما لاكَ بَيْتاً حتّى مات .

وكان زهيرٌ وأهلُ بيتِه من مُزَينة ، وكان بنو عبدِ الله بن غَطفانَ جيرانَهم ، وكان أبو سُلْمَى قد خرج هو وخاله أَسْعَد بن الغَدير بن سهم بن مُرّة بن عَوْف ابن سعد بنِ ذُبْيَان بن بَغيض ، وابنه كعب بن أسْعد فى ناسٍ من بنى مُرّة ، يُغيرُون على طيّئ ، فأصابوا نَعَماً كثيرة وأموالا ، فرجعوا حتّى انتَهَوْا إلى أرضهم ، فقال أبو سُلْمَى لخاله أسعد ولابنهِ[٢] كعب : أفرِدوا لى سَهْمِى ، فأبَيَا عليه ومنَعاه حقّه ، فـكفّ عنهما ؛ حتّى إذا كان الليل أتى أمّه فقال : والّذى يُحلَف به لتَقُومِنّ إلى

(١) يعاظل فى الـكلام ؛ أى يحمل بعضه على بعض ، ويتـكلم بالرجيع من القول، ويكرر اللفظ والمعنى ويعقده ، وكل شىء ركب شيئا فقد عاظله . اللسان (عظل).

(٢) فى الأغانى : « وابن خاله كعب » .

بعيرٍ من هذه الإبل ، فلتقعُدِنَّ عليه ، أو لأضرِبنَّ بسَيفي تحت قُرْطَيْك ، فقامت أمُّه إلى بعير منها فاعتنقت سَنامَه ، وساق بها أبو سُلْمى سَوْقا عنيفا ، وهو يرتجز ويقول :

وَيْلٌ لأجمالِ العَجوزِ مِنّى إذا دنوتُ أوْ دنوْنَ مِنّى

* كأنى سَمَّمَعٌ مِنْ جِنِّ[1] *

وساقَ الإبلَ وأمَّه حتّى انتهى إلى قومه مُزَينة ، فذلك[2] حين يقول :

ولتغْدُوَنَّ إبِلٌ مجنَّبَةٌ من عند أسعدَ وأبنهِ كعبِ

ـ مجنَّبة : مجنوبة ـ .

الآكلينَ صريحَ قومِهِا أكلَ الحُبارَى بُرْعُمَ الرُّطْبِ[3]

البُرْعُم : شجر له نَوْر . فلبث فيهم حِيناً ، ثم أقبل بمزَينة مُغيراً على بنى ذُبْيان ؛ حتى إذا مُزَيْنَةُ أسهلَتْ وخَلَّفتْ بلادَها ، ونظرُوا إلى أرضِ غَطفانَ تطاروا عنه راجِعين ، وتركوه وحدَه ، فأقبَل وحَلّ فى أخوالِه بنى مُرّة ، فلم يزل هو وولدُه فى بنى عبدِ الله بنِ غَطفانَ إلى اليوم .

وكان زُهيرٌ قد امتدَح هَرِم بنَ سِنان ، والحارثَ بنَ عوف المُرّيَّيْن وقال ذلك فى قَتْل وَرْد بن حابِس العَبْسى ، لهَرِم بن ضَمْضَم المُرّىّ قصيدته الّتى أوّلها :

* أمِنْ أمِّ أوْفَى دِمْنَةٌ لَمْ تَكَلَّمِ *

وهذا هَرِم بنُ ضَمْضَم هو الّذى قال عنترةُ فيه وفى أخيه :

ولقد خَشيتُ بأن أموتَ ولم تَدُرْ للحَرْب دائرةٌ على ابْنَىْ ضَمْضَمِ

---

(١) فى الأغانى : « سمعمع : لطيف الجسم قليل اللحم » .

(٢) فى الأغانى : « حيث يقول » .

(٣) الحبارى : طائر يضرب به المثل فى البلاهة والحمق؛ وهو طائر صحراوى يبيض فى الرمال النائية . والرطب : المرعى الأخضر من البقل والشجر .

وكان هَرِم قد قُتل فى حرب عَبْس وذُبْيَان قبــل الصُّلح ، وكانَ قَتَلَه وَرْد ابنُ حابس العَبْسىّ ، وكان حصينُ بنُ ضَمْضَم قد حلَفَ ألَّا يغسِــل رأسَه حتّى يَقتُلَ وردَ بنَ حابِسٍ أو رجلًا من بنى عَبْس ، ثمّ مِن بنى غالب ، ولم يطَّلعْ على ذلك أحد . وقد حَمَـل الحَمالة الحارثُ بنُ عَوْف بن أبى حارثة . وقيل : بل أخوه خارجة[1] بن سِنان .

قال : فأقبَلَ رجلٌ من بنى عَبْس ، ثم أحد بنى مَخزُوم؛ حتى نزل بحُصَيْن بنِ ضَمْضَم فقال له حُصَين : مَنْ أنتَ ؟ قال : عَبْسِىٌّ . قال : مِنْ أىِّ عَبْس ؟ فانتَسَب إلى غالب ، فقتَلَه حُصَين . وبلغ ذلك الحارثَ بنَ عوف وهَرِمَ بنَ سنان ، فاُشتدّ عليهما ، وبلغ ذلك بنى عَبْس ، فركبوا نَحوَ الحارث ، فلما بلغه ركوبُهم إليه وهم يريدون قتلَ الحارث ، بعث إليهم بمائةٍ من الإبل معها اُبنُه ، وقال للرّسول : قل لهم : الإبلُ أحَبُّ إليكمْ أم اُبنى تقتلونه مكانَ قتيلكم ؟ قالوا : بل نأخذ الإبلَ ، ونصالح قومَنا، ونُتِمُّ الصُّلح ، فذلك قولُ زُهير ، وهى أوّل قصيدة مَدَح بها هَرِما والحارث :

* أمِنْ أمِّ أوْفَى دِمْنَةٌ لَمْ تَكَلَّمِ *

قال الحارثُ بنُ عوف بن أبى حارثة المُرّىّ لخارجةَ بنِ سنان بن أبى خارجة : أتُرانى أخطُب إلى أحد فيردَّنى ؟ قال: نعم . قال: ومَنْ ذلك؟ قال : أوْس بنُ خارِجةَ ابن لأْم الطائىّ ، فقال الحارث لغلامه : اِرحَلْ بنا ، ففعَل ، فرَكِبا حتّى انتهيَا إلى أوْس ، فوَجَداه فى ثِنْىِ مَنْزِله ، فلمّا رأى الحارثَ بنَ عوف ، قال : مرحباً بك يا حارِ ! قال : وبك ؛ قال : ما جاء بكَ يا حارِ ؟ قال : جئتُ خاطبا . قال : لستَ هناك ! فانصرَفَ ولم يكلِّمْه.

---

(١) فى الأغانى : « حارثة بن سنان » .

ثم دخل أوسٌ على امرأته مُغضَباً ـ وكانت من بنى عَبْس ـ فقالت : مَن رَجُلٌ وقف بك فلَم يُطِل ولم تُكَلِّمه ؟ قال: ذلك سيِّدُ العرب الحارثُ بن عوف بن أبى حارثة المُرّىّ . قالت : فما لك لم تَستَنْزِلْهُ ؟ قال : إنّه استَحْمَق . قالت : وكيف ؟ قال : إنَّه جاءنى خاطبا ، قالت : أفتريد أن تزوِّج بناتك ؟ قال : نعم ، قالت : فإذا لم تزوِّجْ سيِّدَ العرب ، فمَن ؟ قال : قد كان ذلك ، قالت : فتدارَكْ ما كان منك . قال : بماذا ؟ قالت : أن تَلحقه فتردَّه ، قال : وكيف وقد فَرَط منّى ما فَرَط إليه ! قالت : تقول له : إنّك لقيتَنى وأنا مُغضَب بأمرٍ لم تقدِّم فيه قولا ، فلم يكن عندى من الجواب إلّا ما سمعتَ ؛ فانصرِف ولك عندى كلُّ ما أحببتَ . فاستعجَل فركِب فى أثَرِها .

قال خارجةُ بن سِنان : فوالله إنّا لنسير إذ حانتْ منى التفاتةٌ فرأيتُه ، فأقبلتُ على الحارث ، وما يكلِّمنى غمًّا . فقلت : هذا أوس فى أثَرِنا ، قال : وما نَصنَع به ؟ امضِ ، فلمّا رآنا لا نَقِف عليه صاح : يا حارِ ارْبَعْ علىَّ ، فوقف له فكلَّمه بذلك الكلام فرجع مسرورا ، فلمَّا بلغ أوس منزلَه قال لزوجته : ادْعِى لِى فلانة (أكبر بناته) ، فأتته ، فقال : يا بُنيَّة ، هذا الحارثُ بن عوف سيّدٌ من ساداتِ العرب ، قد جاءنى خاطباً راغباً ، وقد أردتُ أن أزوِّجَك منه ، فما تقولين ؟ قالت : يا أبتِ لا تَفْعَل ، قال : ولِمَ ؟ قالت : لأنّى امرأةٌ فى وجهى رَدّة[1] ، وفى خُلُقِى بعض العُهْدة[2] ، ولستُ بابنة عمِّه فيَرْعَى رَحِمِى ، وليس بجارِكَ فيستَحِىَ منك ، ولا آمَنُ أن يَرَى منّى ما يَكره فيطلِّقَنِى ؛ فيكونَ علىّ فى ذلك ما فيه . قال : قومِى بارك اللهُ فيكِ .

---

(١) الردة : القبح مع شىء من الجمال.

(٢) العهدة : الضعف .

ادعُوا لى فلانة (لابنتــه الوسطى) ، فدعَوْها فقال لها مِثْلَ قوله لأُختِها ، فأجابته بِمِثْل جوابها ، وقالت : إنِّى خَرْقَاء ، ولستُ صَناعاً بيــدى ، ولا آمَنُ أن يَرَى منّى ما يَــكره فيطلِّقَنى ، فيــكونَ علىّ فى ذلك ما تَعلَم ، وليس بابنِ عَمِّى فيَرْعَى حَقِّى ، ولا جارِكَ فيستحِىَ منك ، قال : قُومِى باركَ اللهُ فيكِ .

ادْعُوا لى بُهَيْسَةَ — يعنى الصغيرة — فأُتِىَ بها ، فقال لها كما قال لأُختَيْها ، فقالت : أنتَ وذاكَ ، فقال لها : إنِّى عرَضْتُ ذلك على أُخْتَيْكِ فأَبَتَاه ؛ فقالت : واللهِ لــكنّى الجميلةُ وَجْهاً ، الصَّنَاعُ يَدًا ، الرفيعةُ خُلُقًا ، الحسيبةُ أَباً ، فإنْ طلّقَنى فلا أَخْلَفَ اللهُ عليه بخيرٍ ! فقال : باركَ اللهُ عليكِ ، ثم خرج فقال : قد زوَّجْتُك يا حارِ بُهَيْسَةَ بنتَ أَوْس ، قال : قَبِلْتُ .

فأمَرَ أمَّها أن تهيّئها وتُصْلِح من شأنها ، ثم أمر ببَيْتٍ فضُرِب له ، وأنزَلَه إيّاه ، وزَفّها إليه .

قال خارجة : فلمّا دخلتْ عليــه لبث هُنَيْهَةً ثمّ خرج إلىّ فقلتُ له : أفرَغْتَ من شأنِها ؟ قال : لا والله ، قلتُ : وكيف ؟ قال : لمّا مددْتُ يدى إليها قالت : مَهْ ! أعندَ أهلى وإخوَتى ! هذا واللهِ ما لا يكون .

قال : فأمر بالرِّحْلة فارتَحَلْنَا بها ، فلمّا سِرْنا ما شاء الله ، قال لى : تَقَدَّمْنى ، فتقدَّمْتُ ، وعدلَ بها عن الطريق ، وما لبث أن لَحِقَنى ، فقلت : أفرَغْتَ من شأنك؟ قال : لا والله ، قلت : ولِمَ ؟ قال : قالت : أوَ كما يُفْعَل بالأَمَة الجليبة ، أو السَّبِيَّةِ الأَخِيذة ! لا واللهِ حتّى تَنْحَرَ الجُزُرَ وتَذْبحَ الغَنم ، وتدعو العَرَب ، وتَعْمَل ما يُعْمَل لمِثْلى !

قال : قلتُ : والله إنّى لَأَرَى هِمَّةً وعَقْلا ، وإنّى لأرجو أن تــكون المرأة مُنْجِبَةً إن شاء الله .

فلمّا جئنا بلادَنا أحضَرَ الإبلَ والغنمَ ، ثم دخل عليها وخرج إلىّ ، فقلتُ : أفرَغتَ من شأنِك ؟ قال : لا ، فقلت : ولِمَ ؟ قال : دخلتُ عليها أرِيدُها ، وقلت: قد أحضَرْنا من المال ما ترَيْن ، فقالت : والله لقد ذكرتَ لى من الشَّرَف ما لا أراه فيك ، قلتُ : وكيف ؟ قالت : أتتفرّغ لنكاحِ النِّساء والعرَب يُقتّل بعضُها بعضا ! ــ وكان ذلك أيّام حَـرْب عَبْس وذُبْيَان .

قال : فتقولين ماذا ؟ قالت : اُخْرُجْ إلى هٰؤلاء القوم فأصلِحْ بينهمْ ، ثم ارجع إلى أهلك فلن يَفوتوكَ[1] ، فقلت : والله إنّى لأَرَى هِمَّةً وعَقْلا ، ولقد قالت قولا .

قال خارجة : فاُخرج بنا ، فخرَجْنا حتى أتَيْنا القومَ ، فاُصطلحوا على أن تُحسَب القَتْلَى ، ثم يُؤْخَذ الفضْل ممّن هو عليه ، فحَمَل الحارثُ وخارجةُ الدِّياتَ ، فكانت ثلاثةَ آلاف بعيرٍ فى ثلاثِ سنين ، واُنصرَفَا بأجمل الذِّكْر ، وهنالك قال زهيرٌ قصيدتَه الّتى أوّلها :

أَمِنْ أُمِّ أَوْفَى دِمْنَةٌ لم تَكلَّمِ ... بحَوْمانَةِ الدَّرَّاجِ فالمتثلَّمِ[2]

وذَكَرَها فى هذه القصيدة ، فقال :

تداركْتُما عَبْسًا وذُبيانَ بعدَما ... تفانَوْا ودَقُّوا بينهم عِطرَ مَنْشَمِ[3]

فأصبح يَجرِى فيهمُ مِن تِلادِكُمْ ... مَغانمُ شَتَّى مِن إفالٍ مزَنَّمِ[4]

---

(١) فى الأغانى : « فلن يفوتك » .

(٢) أم أوفى ، قيل : هى زوج زهير ؛ وهى غير أم كعب وبجير . والدمنة: ما اسود من آثار الديار ، والحومانة : الأرض الغليظة . والدراج والمتثلم : موضعان بالعالية .

(٣) منشم ، زعموا أنها امرأة عطارة من خزاعة ، تحالف قوم فأدخلوا يدهم فى عطرها ؛ على أن يقاتلوا حتى يموتوا ؛ فضرب بها المثل فى الشر ، ونقل المثل كما فى مجمع الأمثال : « أشأم من منشم » .

(٤) الإفال : جمع أفيل ؛ وهو الصغير من الإبل . والتزنيم : سمة كانت تجعل على ضرب من الإبل كرام .

يُنَجِّمُها قومٌ لقومٍ غَرامةً ولم يُهَرِيقُوا بينهمْ مِلءَ مِحْجَمِ (١)

وذَكَرَ قِيامَهم فى ذلك فقال :

* صحا القلبُ عن سَلمَى وقد كاد لا يَسْلُو (٢) *

يقول فيها :

تدارَكتُما الأحلافَ قد ثُلَّ عرشُها وذُبْيانَ قد زَلَّت بأَخمَصِها النَّعلُ (٣)

وهذه لهمْ شَرَف إلى الآن ، ثم عاد فدخل بها ، فولَدَتْ له بنينَ وبناتٍ .

ومما مَدَح به زهيرٌ هَرِما وأهلَه قوله :

إنّ الخليطَ أَجَدَّ البَيْنَ فانفرَقا وعَلِق القَلْبُ من أسماءَ ما عَلِقا (٤)

مَنْ يَلْقَ يوماً على عِلاتِه هَرِماً يَلْقَ السَّماحةَ منه والنَّدَى خُلُقا

لَيْثٌ بِعَثَّرَ يصطادُ الرجالَ إذا ما كَذَب اللَّيثُ عن أَقرانِه صَدَقا (٥)

يَطعُنُهم ما ارتَمَوْا حتى إذا اطَّعَنوا ضارَبَ حتّى إذا ما ضارَبوا اعْتَنَقا (٦)

ومَدَح أيضا زُهيرٌ سِنانَ بن أبى حارثةَ ، وهو أبو هَرِم ، وكان سِنان قد هَوِىَ امرأةً فهامَ بها ، وتَقادَم به الأمرُ حتى فُقِد ولم يُعْلَم له خبر . فقيل : إنّ الجِنّ اُستطارتْه فأدخلتْه بلادَها واستفحلته لكرمه .

---

(١) الغرامة : ما يلزم أداؤه من دية وغيرها . والمحجم : كأس الحجام يعنى أنهما أعطيا الديات ولم يكن لهما ذنب .

(٢) تمامه :

* وأقفر من سَلْمَى التمانيق فالثِّقْلُ *

(٣) الأحلاف : أسد وغطفان .

(٤) الخليط : المخالط .

(٥) عثر : مأسدة بناحية تبالة .

(٦) اعتنق : لزم قرنه .

قيل : إنّه عاش مائةً وخمسين سنةً ، فهامَ على وجهه خَرَفاً ففُقِد . وقيل: إنّه خرج لحاجتِه فى اللّيل ، فأبْعَد ، فلمّا رجع ضَلَّ فقام طولَ ليلِه حتّى سقط فمات ، واتَّبع قومُه أثرَه ، فوجدوه ميّتاً، ورثاه زُهَير بأبياتٍ أوّلُها :

إنّ الرَّزِيّة لارَزِيّةَ مثلُها(١)   ما تَبْتَغِى غَطفانُ يومَ أَضَلَّت

قال الأصمعىّ : أُنشِد عُمر بنُ الخطّاب رضى الله عنه قولَ زُهيرٍ فى هرِم ابنِ سِنان :

دعْ ذا وَعدِّ القولَ فى هَرِمٍ   خيرِ الكُهُولِ وسيِّدِ الحَضْرِ
لو كنتَ مِن شىءٍ سوَى بَشَرٍ   كنتَ المنوِّرَ ليلةَ البَدْرِ(٢)
وأراكَ تَفْرِى ما خلقْتَ وبَعْـ   ـضُ القَوْمِ يخلُقُ ثم لا يَفْرِى(٣)
ولأنتَ أَوصَلُ مَن سَمِعتُ به   لِشَوابِكِ الأرحامِ والصِّهْرِ
ولَنِعْمَ حَشْوُ الدِّرعِ أنتَ إذا   دُعِيتْ نَزالِ ولُجَّ فى الذُّعْرِ
أُثْنِى عليكَ بما سمعتَ وما(٤)   أَسْلفتَ فى النَّجَدات من ذِكْرِ
والسِّتْرُ دون الفاحشاتِ ولا   يلقاكَ دُونَ الخيرِ مِن سِتْرِ

فقال عُمرُ رضى الله عنه : ذاكَ رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم .

قال عمرُ لبعضِ وَلَدِ هَرِم : أنشِدْنى بعضَ مدائحِ زهير فى أبيك . فأنشدَه ، فقال عمر : إن كان ليُحسِنُ فيكم القول ؛ قال : ونحن والله إن كنّا لَنُحسن له العطيّة . قال : قد ذهب ما أعطيتُموه وبقىَ ما أَعطاكم .

---

(١) كذا فى ا والأغانى ، وفى ب ، ج : « بعدها » .
(٢) ج : « القدر » ، تصحيف .
(٣) تفرى : تقطع ، وخلقت ، أى قدرت الأديم وهيأته للقطع والخرز ، والمعنى أنك تهيأت لأمر مضيت له وأنفذته ولم تعجز عنه ، وبعض القوم يقدر الأمر ويتهيأ له ثم لا يقدم عليه ولا يمضيه .
(٤) فى الأغانى : « بما علمت » .

وكان هَرِم قد حلف لا يمدحُه زهيرٌ إلّا أعطاه ، ولا يسأله إلّا أعطاه ، ولا يسلِّم عليه إلّا أعطاه غُرَّةً(١) : عبدا أوأمةً أو فرسا؛ فاُستحيا زهيرٌ ممّا كان يَقبَل منه ، فكان إذا رآه فى ملأٍ قال : أنعِموا صباحا غيرَ هَرِمٍ ، وخيرَكم اُستثنَيتُ .

قال عبدُ الملك بنُ مروان : ما يَضُرّ مَن مُدِح بما مَدَح به زهيرٌ آلَ أبى حارثة ألّا يمَلِك أمورَ الناس (يعنى الخلافة) . والّذى قصَدَه عبدُ الملك قوله فى آلِ أبى حارثة :

على مُكثِريهم حَقُّ مَن يعتريهمُ(٢) وعند المُقلِّين السَّماحةُ والبَذْلُ

فإنّه ما ترَكَ فيهم غنيًّا ولا فقيراً إلّا مَدَحه .

ولمّا أُنشِدَ عثمانُ بنُ عفّانَ رضى الله عنه قولَ زُهيرٍ :

ومهما تكنْ عند أمرئٍ من خليقةٍ وإن خالَها تَخفَى على النّاس تُعلَمِ

قال : أحسنَ زهير وصَدَق ! ولو أنّ الرجل دخل بَيْتاً فى جوفِ بيتٍ لتحدّثَ به الناس . وقد قال النبىُّ صلّى الله عليه وسلّم : « لا تَعملْ عمَلا تكرَه أن يُتحدَّثَ به عنك »(٣) .

كان عروةُ بنُ الزبير لمّا قُتِل أخوه عبدُ الله بنُ الزُّبير ، لحق بعبد الملك بنِ مَرْوان ؛ فكان عروةُ إذا دخل منفردا أكرمَه عبدُ الملك ، وإذا دخل إليه وعنده أهلُ الشام اُستخفَّ به ؛ فقال له يوما : يا أميرَ المؤمنين ، بئسَ المَزُورُ أنتَ ! تُكرِم زَوْرَكَ(٤) فى الخلا ، وتُهينُه فى الملا ، لله دَرُّ زهير حيث يقول :

---

(١) الغرة : الرقيق .

(٢) الأغانى : « رزق من يعتريهم » ، ويعتريهم : يقصدهم ويطلب ما عندهم .

(٣) فى الأغانى : « عنك به » .

(٤) فى الأغانى : « ضيفك » .

فقرِّى فى دِيارِكِ إنّ قوماً   متى يَدَعُوا ديارهمُ يهونوا(١)

ثم استأذنَه فى الرجوع إلى المدينة ، فقضى حوائجَه ، وأَذِنَ(٢) له .

وكان أبو سُلمى تزوّج ابنة رجلٍ من بنى فَهْمِ(٣) بنِ مرّة بنِ عوف بن سعدِ بنِ ذُبْيان ، يقال له : الغَدِير ، والغائر ، والغادر ، فولدتْ له زُهَيرا وأَوْسا .

وكان زهير فى الجاهليّة سيّدا كثيرَ المال ، حليما ، وَرِعاً . وكان لأبى سُلمى خالٌ هو بَشامة بنُ الغدير ، وكان زهيرٌ منقطعا إليه وكان يُعجبه شِعرَه ، وكان بشامةُ رجلا مُقعَداً كثيرَ المال ، ليس له وَلَد ، وكان أحْزَم النّاس رأيا ، وكانتْ غَطَفان إذا همّت بغَزْوٍ أتَوْا إليه فاستشاروه(٤) وصدَروا عن رأيه ، فإذا رجعوا قسموا له مِثلَ ما يَقْسِمون لأفضلِهم ؛ فمن أجل ذلك كثُر مالُه ، وكان أشعرَ غَطفانَ فى زمانِه .

فلمّا حضرَه الموتُ جعل يَقْسِم مالَه فى أهل بيته وبنى إخوته ، فأتاه زهيرٌ فقال : يا خالاه ، لو قسمْتَ لى من مالك ! فقال : يابن أُختى ، قد قسمتُ لكَ أفضلَ من ذلك ، قال : وما هو ؟ قال : شِعرِى ورِثْتَنِيه(٥) ، [وقد كان زهير قبل ذلك قال الشعر ، وقد كان أوّل ما قال](٦) ، فقال زهير : الشعر شىء(٧) قلتُه ، فكيف تعتدُّ به علىّ ! فقال بَشامة : ومن أين جئتَ به ؟ لعلّك ترى أنك جئتَ به من مُزَينة ! قد علمتِ العربُ أنّ حَصاتَها وعينَ مائها فى الشِّعر لهذا الحىِّ مِن غَطَفان ، ثم لى منهم وقد ورِثتَه مِنّى ، ثم أحْذاه(٨) نصيبا من مالِه ومات .

(١) كذا فى الأغانى ، ب ، ج . وفى ا : « فحلى » .
(٢) ب ، ج : « ثم أذن له » .
(٣) كذا فى الأصول ، وفى الأغانى : « فهر » .
(٤) كذا فى ا ، والأغانى ، وفى ب ، ج : « فاستأمروه » .
(٥) ب ، ج : « ورثته » .
(٦) زيادة من رواية الأغانى .
(٧) الأغانى : «الشعر شىء ما قلته» .
(٨) أحذاه : أعطاه .

وَبِشامةُ شاعرٌ مُجيد ، وهو القائل :

أَلا تَرَيْنَ وقــد قَطّعتِنى قِطَعاً ماذا مِن الفَوْتِ بين البُخْلِ والجودِ[١]
إلّا يَــكُنْ وَرَقٌ يوما أراحُ بــه للخابِطِين فإنّى لَيّنُ العُودِ

وأمّ أَوفَى التى شَبَّبَ بهـا زُهيرٌ فى شعرِه هى زوجتُه ، ولدتْ منه أولادا وماتوا ، وتزوّج عليها أمرأةً أخرى ، وهى أمُّ ابنَيْه كعب وبُجَير ، فغارت من ذلك فآذَتْه فطلّقها ، ثم نَدِم على ذلك فقال :

لَعَمْرُكَ والخطوبُ مغــيِّراتٌ وفى طُولِ المُعاشرةِ التَّقــالِى
لقــد باليَتْ مَظْعَنَ أمِّ أَوفَى ولـكنْ أُمُّ أَوفَى لا تُبــالِى[٢]

وكان لزهير أبنٌ يقال له سالم ، جميل الوجه ، حَسَن الشِّعر ، فأهدَى رجلٌ إلى زهير بُرْدَيْن فلَبِسهما سالمٌ ، ورَكِب فرساً له ، فمرّ بامرأة من العرب على ماء يقال له النُّتاءة[٣] ، فقالت : ما رأيتُ كاليوم قطّ رجلا ، ولا بُرْدَيْن ولا فرساً ، فعثر [به][٤] الفرسُ فاندقّت عنقُه وعنُق سالم وانشقّ البُرْدان .

وكان لزهيرٍ فى الشِّعر ما لم يكن لغيره ، كان هو شاعراً وأبوه شاعراً ، وخالُه شاعراً ، وأختُه سَلْمَى شاعرة ، وأبناه كعبٌ وبُجَير شاعرَيْن ، وأختُه الخَنْساء شاعرة ، وأبنُ أبنِه المضرَّب بنُ كَعْب بن زهير شاعراً .

ومَن قدَّم زهيرا احتجَّ بأنّه كان أحسنَهم شعرا ، وأبعَدهم من سُخْف ، وأجمَعهم لـكثيرِ المعانى فى قليلٍ من النّطق ، وأشدَّهم مبالغة فى المَدْح ، وأكثَرهم أمثالا فى شعره .

---

(١) كذا فى ا ، ب والأغانى ، وفى ج : « من الفوز » .
(٢) فى الأغانى : « ما تبالى » .
(٣) النتاءة : ماء لبنى عميلة ، أو لغنى ؛ ويوم النتاءة من أيامهم.
(٤) تـكملة من الأغانى .

زياد النّابغة الذّبْيانى*

هو زِيادُ بنُ معاوية بنِ خِباب بن جابر(١) بن يربوع بن غَيْظ بنِ مُرّة بن عَوْف ابن سَعْد بنِ ذُبْيانَ بنِ بَغيض بن رَيْث بنً غَطَفَان بنِ سعد بن قَيْس بن عَيْلَان ابن مُضَر بن نِزار . وكنيتُه أبو أمامة ، وسُمِّىَ بالنابغة لقوله :

وَحَلّتْ فى بنى الْقَيْنِ بنِ جَسْرٍ(٢) فقـد نبغَتْ لهمْ منّـا شُئونُ

وهو أحدُ الأَشْراف الّذين غَضّ منهم الشِّعر ، وهو فى الطبقة الأولى المقدَّمين على سائر الشعراء .

قال جريرُ بنُ عبد الله البَجَلِىّ : كنّا عند الُجنَيد بنِ عبد الرّحمن بخُراسان ، وعنده بنو مُرّة وجلساؤه من الناس ، فتذاكَروا شعرَ النّابغة حتّى أنشَدوا قولَه :

فإنّكَ كاللّيلِ الّذى هو مُدْرِكى وإنْ خِلْتُ أنّ المُنْتأَى عنكَ واسعُ

فقال شيخٌ من بنى مُرّة : وما الّذى رأى من النّعمان حيث يقول له هذا ؟ وهل كان النعمان إلّا على مَنظَرةٍ من مَناظر الِحيرة ! وقالت ذلك القَيْسيّةُ فأكثَروا ، فنظَر إلىّ الُجنَيد وقال : ياأبا خالد ، لا يَهُولَنّك قولُ هؤلاء الأَعاريب ، فوالله لو عايَنُوا من النّعانِ ما عايَنَ صاحبُهم لقالوا أكثَر ممّا قال ؛ ولـكنّهم قالوا ما نَسْمَع وهم آمِنون .

---

* ترجمته فى الأغانى ١١ : ٣ ـ ٤١ (طبعة دار الـكتب) .

(١) كذا فى الأصول ، وهو يوافق ما فى شرح التبريزى للمعلقات العشر ، وفى الأغانى : « ضباب بن جناب » .

(٢) الشطر الأول من هذا البيت لم يرد فى ا والأغانى.

وكان النابغةُ تُضْرب له قُبّةُ أدَمٍ بسوقِ عُكاظَ ، وتَعرِض عليه الشعراء أشعارَها ، فأوّل من أنشدَه الأعشَى، ثمّ حسّان ، ثم الشّعراء، ثم أنشدتْه الخَنْساء بنتُ عمرِو بنِ الشَّرِيد :

وإنّ صَخْراً لتأتمُّ الهُــداةُ به كأنّه عَلَمٌ فى رأسِـــه نَارُ

فقال : والله لولا أنّ أبا بَصير أنشدَنى آنفاً لقلتُ إنّك أشعرُ الجِنّ والإنس ، فقام حسّان فقال : والله لأنا أشعَرُ منك ومن أبيك؛ فقال له النابغة : يابنَ أخى ، أنت لا تُحسِن أن تقول :

فإنّك كاللّيل الّذى هو مُدرِكى وإنخلتُ أنّ المنتأىعنك واسعُ

فخَنَس (١) حسّان لقوله .

وهذه القصيدة العينيّة يقولُها فى النّعمان بنِ المنذر ، يعتَذِر إليه بها ، وذلك أنّ النابغة كان خَصيصاً بالنّعمان من نُدَمائه وأهلِ أُنْسه ، فرأى زوجتَه المتجرِّدة يوما ، وقد سقط نصيفُها ، فاستترتْ بيَدِها وذِراعِها ؛ وقد كان ذِراعُها يَستُر وجهَها لَعبالَتِها وغِلَظِها ، فقال :

أمن آلِ مَيَّةَ رائحٌ أوْ مُغتَدِى عَجْلانَ ذا زَادٍ وغيرَ مُزوَّدِ
زعَم البوارح أنّ رِحْلَتنــا غدًا وبذاكَ تَنْعابُ الغُرابِ الأَسْوَدِ (٢)
لا مَرْحَباً بغـــدٍ ولا أهلًا به إن كان تفريقُ الأحبّةِ فى غدِ

يقول فيها يصف ما نظر إليه من المتجرِّدة ، وسترِها وجهَها بذراعها :

سَقَطَ النّصيفُ ولَمْ تُرِدْ إسقَاطه فتناولتْه واتَّقَتْنا باليَدِ
بمخضّبٍ رَخْصٍ كأنّ بَنَــانَهُ عَنَمٌ على أغصانِه لم يُعقَــدِ

---

(١) خنس : أطرق وتنحى .
(٢) كذا فى الأغانى، ا ، وفى ب ، ج : « زعم الغداف بأن » .

وبفاحمٍ رَجْــلٍ أَثيثٍ نَبْتُه   كالـكَرْمِ مالَ على الدِّعامِ المسنَدِ
نظرتْ إليكَ لحاجةٍ لم تَقْضِها   نَظَرَ المريضِ إلى وُجوه العُوَّدِ

ثم إنّ النابغة أنشدَ هذه القصيدةَ مُرّةَ بنَ سَعْد القُرَيْعِىّ ، فأنشدَها مُرَّةُ للنّعمان فامتلأ غضبا ، وأوعَدَه وتهدّده ، فهرَب منه وأتَى قومه ، ثم شَخَص إلى ملوك غَسّانَ فامتدَحَهم .

وقيل : إنّ عِصام بنَ شَهْبَرَ الجَرْمىَّ حاجبَ النُّعمان أنذره ، وعرَّفه ما يريد النُّعمان ـ وكان صديقَه ـ وعصام هو الّذى يقول فيه الراجز :

نفسُ عِصــامٍ سَوّدتْ عِصاماَ   وعَـلَّمَتْه الـكَرَّ والإقـــداما
* وصَيّرَتْه مَلِـكا هُماما[1] *

وقيل : إنّ سببَ هَرَبه أنّ عبد قيس بن خُفاف التَّميمىّ ومُرّة بن سعد ابن قُرَيع عَمِلا هِجاءً فى النّعمان على لسانه ، وأنشَداه النعمانَ فمنه :

مَلِكٌ يُلاعِب أمّهُ وقَطِينَه[2]   رِخْوُ المفاصِلِ أيرُه كالمِرْوَدِ

ومنه أيضا :

قَبَّح اللهُ ثمّ ثَـــنَّى بلَعْنٍ   وارثَ الصائغِ الجَبانَ الجَهُولَا
من يَضُرُّ الأَدْنى ويعجز عن ضَـرّ   الأعادى ومَن يَخُون الخَليلا
يَجمع الجيشَ ذاالأُلوفِ ويَغْزو   ثم لا يَرْزأُ العَدُوَّ فَتِيــلا

وكان جدّ النّعمان لأمّه صائغا بفَدَكَ[3] ، يقال له : عطيّة . وأمّ النّعمان سَلمَى بنت عطيّة .

---

(١) كذا فى ب ، ج ، وفى ا والأغانى : « وجملته » .
(٢) كذا فى ا ، والأغانى ، وفى ب ، ج : يلاعب ابنه .
(٣) فدك : قرية بالحجاز من نواحى خيبر .

وكان سبب ضِغن مُرّة بن سعد على النّابغة أنه كان له سيفٌ قاطع يقال له : ذو الرِّيقة من كَثْرةِ فِرِنْده وجوهَره وجوْدته ، فذكره النابغةُ للنعمان ، فأخذه فاضْطغن مرّةُ لذلك عليه وَوشَى به النُّعمان ، وحرّضه عليه .

وقيل فى هرَبه : إنّه كان رفيق المنخَّل عند النّعمان ، وإنّ المنخَّل لمّا رُمِى بالمتجرِّدة زوْجَةِ النُّعمان ، وجرى له ما جرى ، هرب النابغةُ وقد ذُكِر خبرُ المنخَّل فى ترجمته .

ولمّا صار النابغةُ فى غَسَّان نزل بعَمرو بنِ الحارث الأصغر بن الحارث الأعرج ابنِ الحارث الأكبر بن أبى شَمِرٍ الغَسَّانىّ .

وأمُّ الحارث الأعرج ماريةُ بنت ظالم بن وَهْب بن الحارث بن معاويةَ بن ثَوْر ابن مُرْتِع[1] الكندية ، وهى ذاتُ القُرْطَيْن اللّذَين يُضرَب بهما المَثَل ، فيقال لما يُغلَى به من الثمن : خذه ولو بقُرْطَىْ مارية . وأختها هند الهُنود امرأة حُجْر آكِلِ المُرار ، وإيّاها عَنَى حسّان بقوله فى جَبَلة بنِ الأَيْهَم :

أولادُ جَفْنَةَ حولَ قبرِ أبيهمُ قبرِ ابنِ ماريةَ الجوادِ المُفْضِلِ

فمدح النابغةُ عَمرو بن الحارث ، ومدح أخاه النُّعمان ، ولم يزل مقيما مع عمرو حتّى مات ، وملك أخوه النعمان ، فاستعطف له النعمان فعاد إليه ، فمّما مدَح به عمراً قولُه :

كِلِينى لِهَمٍّ يا أُمَيْمَةَ ناصبِ ولَيْلٍ أُقاسيه بطىءِ الكواكبِ
لهمْ شِيمَةٌ لَمْ يُعطِها اللهُ غيرهمْ من النّاس، والأحلامُ غيرُ عَوازِبِ
ولا عَيْبَ فيهمْ غيرَ أنّ سُيوفَهُمْ بهنّ فُلولٌ مِن قِراع الكتائبِ

قال معاوية بن بكر الباهلىّ : قلتُ لحمّاد الراوية : بِمَ تَقَدَّم النابغة ؟ قال :

---

(١) كذا ضبطه، ضبطه ابن حجر فى التبصير كمحسن ، وضبطه الصاغانى فى العباب كمحدّث .

بالبيتِ[١] من شِعره ، لا بل بنصفِ البيت ، لا بل بِرُبْعِ البيت ، مثل قوله :

حلفتُ فلَمْ أترُكْ لنفسِك رِيبةً ... وليسَ وراءَ اللهِ للمرءِ مَذْهَبُ
ولستَ بمستبقٍ أخاً لا تَلُمّه ... على شَعَثٍ ، أيُّ الرجالِ المهذَّبُ !

كلُّ نصفٍ من بيت يُغنيك عن صاحبه ، وقوله : أيُّ الرجال المهذَّبُ ، رُبْع بيتٍ يغنيك عن غيره ، فلو تمثّلْتَ به لم تحتجْ إلى سواه .

قال الهَيْثم بنُ عديّ : قال لى صالح بنُ حسَّان : كان النابغة مخنَّثاً ، قلت : وما عِلْمُك به ؟ أرأيتَه قطّ ! قال : لا ؛ قلتُ : فأُخبِرْتَ عنه ؟ قال : لا ، قلت : فما عِلْمُك به ؟ قال : أما سمعتَ قولَه :

سَقَط النَّصيفُ ولم تُرِدْ إسقاطَهُ ... فتنـاولتْه وأتّقتْنا باليَدِ

لا واللهِ ما أحسَن هذه الإشارة ، ولا هذا إلّا قولُ مخنَّث .

كتب عبدُ الملك بنُ مروانَ إلى الحجّاج : إنه ليس شيءٌ من لذَّة الدنيا إلّا وقد أصبتُ منه ، ولم يبق عندى شيءٌ ألذُّ به إلّا مُناقلة الإخوانِ الحديث ، وقِبَلَكَ عامرٌ الشَّعبيّ ، فابعث إلىّ به يحدّثنى .

فدعا الحجّاجُ الشَّعبيَّ فجهّزه ، وبعثَ به إليه ، وقرّظه وأطْراه فى كتابه . فخرج الشعبيّ ، فلمّا كان فى باب عبـد الملك قال للحاجب : استأذِنْ لى ، قال : ومَن أنت ؟ قال : أنا عامرٌ الشَّعبيّ ، قال : حيّاكَ الله ! ثم نَهَض فأجلسنى[٢] على كرسيِّه ، ولم يلبَثْ أن خرج إلىّ[٣] ، وقال : ادخُل يرحمُك الله ! قال : فدخلتُ ، فإذا عبد الملك جالس على كرسىّ ، وبين يديه شيخٌ أبيضُ الرأس واللِّحية ، جالس

---

(١) كذا فى ا والأغانى ؛ وفى ب ، ج : « ببيت » .
(٢) كذا فى ا والأغانى ، وفى ب ، ج : « فأجلسه » .
(٣) كذا فى ا والأغانى ، وفى ب ، ج : « إليه » .

على كرسيّ ، فسلّمتُ فردّ السلامَ علىّ ، ثم أومأَ إلىّ بقضيبه ، فقعدت على يساره ثم أقبل على الذى بين يديه فقال : وَيْحك! مَنْ أَشْعَر الناس ؟ قال : أنا يا أميرَ المؤمنين ، قال الشَّعبيّ : فأَظلَم ما بينى وبينَ عبدالملك ، فلم أصبِرْ أن قُلتُ : مَن هذا الذى يزعم أنّه أشعرُ الناس يا أميرَالمؤمنين !فعجب عبدُالملك من عَجَلتى قبل أن يسأَلنى عن حالى . فقال: يا شعبىّ ، هذا الأخطل . فقلتُ : يا أخطل ، أشعَرُ منك والله الّذى يقول فى النعمان بن الحارث ، أخى عمرو بنِ هند :

هــــذا غلامٌ حسنٌ وَجْهُه ... مستقبِلُ الخيرِ سريعُ التَّمامْ
للحارثِ الأكبرِ والحارث الـ ... أصغرِ والحارث خيرِ الأنامْ
ثمَّ لهنــدٍ ولهنــدٍ وقد ... أسرعَ فى الخيرات منه أمامْ
بخمسةٍ آباؤهم وهمْ ما هُمُ ... همْ خَيْرُ من يَشرب صَوْبَ الغمامْ

أُمام ، يريد « أمامة بنت سلمة بن الحارث » . وقيل: هى أمامةُ أمّ عمرو الأصغر ابن المنذر بن ماء السماء امرئ القيس بنِ النعمان .

قال الشَّعبى : فردَّدْتُها حتى حفظها عبدُ الملك .

فقال الأخطل : مَن هذا يا أمير المؤمنين ؟ قال : هذا الشَّعبيّ . فقال الأخطل : إِى والإنجيل بالسّريانية ، والِحلّون[1] ما استعذتُ بالله من شرّ هذا ، صدق والله يا أميرَ المؤمنين . النابغة أشعرُ منّى ، ثم أقبل علىّ فقال : كيف أنتَ ياشَعْبىّ ؟ قلت : بخيرٍ يا أميرَ المؤمنين فلا زلتَ به .

ثم ذهبتُ أمهّد مَعاذِيرى لِما كان من خِلافِى على الحجّاج مع عبد الرحمن بنِ محمّد بن الأشعث ، فقال : مَهْ ! إنّا لا نحتاج إلى هذا المنطق ، ولا تراه منّا فى قولٍ ولا فعل ، ثم أقبل علىّ وقال : ما تقول فى النابغة ؟ قلت : قد فضَّله عمرُ بنُ الخطّاب

---

(١) كذا فى الأصول ، وفى الأغانى:« صدق والله يا أمير المؤمنين ، النابغة والله أشعر منى».

فى غير موطنٍ على جميع الشعراء ، فإنَّه خرج وفى بابه وفدُ غَطفَان ، فقال : يامعشرَ غَطفان ، أىُّ شعرائكم الذى يقول :

حلفتُ فلم أَتركْ لنفسكَ ريبةً وليسَ وراءَ اللهِ للمرء مَذْهَبُ
لئن كنتَ قد بُلِّغتَ عنى خِيانةً لَمُبلِغُك الواشى أغشُّ وأكذَبُ
ولستَ بمُسْتبقٍ أخاً لا تَلُمُّهُ على شَعَثٍ ، أىُّ الرجالِ المهذَّبُ !
وإنّك شمسٌ والملوكُ كواكبٌ إذا طلعتْ لم يَبْدُ منهنّ كوكبُ

قالوا : النابغة يا أميرَ المؤمنين . قال : فأيّكم الّذى يقول :

فإنّك كالليل الّذى هو مدركى وإن خلتُ أنّ المنتأَى عنكَ واسعُ
خطاطيفُ حُجْنٌ فى حِبالٍ متينةٍ تَمُدُّ بها أيدٍ إليكَ نَوازِعُ

قالوا : النابغة يا أميرَ المؤمنين ، قال : فأيّكم الّذى يقول :

إلى ابن محرِّقٍ أَعْمَلْتُ نفسى وراحلتى وقد هَدَتِ العيُونُ[1]
أتيتُكَ عارياً خَلَقاً ثيابى على خوفٍ تُظَنُّ بىَ الظُّنونُ
فألفَيتُ الأمانةَ لم تَخُنْها كذلك كان نُوحٌ لا يخون

قالوا : النابغة يا أميرَ المؤمنين . قال : هذا أشعرُ شعرائكم .

ثم أقبل الشّعبيُّ على الأخطل ، فقال : أتحبّ أنّ لك بشعرك قِياضاً[2] بشِعْرِ أحدٍ من العرب ، أم تحبُّ أنك قلته ؟ قال: لا والله يا أميرَ المؤمنين ، إلّا أنّى كنت أَوَدُّ أنى قلتُ أبياتاً قالَها رجلٌ منّا ، كان واللهِ ماعَلِمتُ قليلَ السّماع ، قصيرَ الذراع. قال : وما قال ؟ قال : فأنشَدَتُه قصيدةَ القَطامىّ :

إنّا مُحيُّوكَ فاسلَمْ أيُّها الطَّلَلُ وإنْ بَلِيتَ وإنْ طالت بكَ الطِّيَلُ[3]

(١) هدت : هدأت .
(٢) قايضه قياضا ومقايضة : عاوضه وبادله .
(٣) الطلل : ما شخص من آثار الديار . والطيل : جمع طيلة ؛ وهى الدهر .

ليس الجديدُ به تَبْقَى بَشاشتُه ... إلّا قليلا ولا ذُو خُلّةٍ يَصِلُ[١]
والعيشُ لا عيشَ إلّا ما تَلَذُّ بِهِ[٢] ... عينٌ ولا حالَ إلّا سوفَ تنتقِل
إنْ تَرْجِعى من أبى عثمانَ مُنْجِحةً ... فقد يَهونُ على المستنجِح العملُ
والناسُ مَن يَلْقَ خيراً قائلون له ... ما يَشْتَهِى ولأُمِّ المُخطىء الهَبَلُ
قد يُدْرِكُ المتأَنّى بعضَ حاجتِه ... وقد يكون مع المستعجِل الزَّلَلُ

حتّى أتى على آخرها . قال الشّعبيّ : فقلت : قد قال القَطامىّ أفضلَ من هذا ، قال : وما قال ؟ قال : قال :

طَرَقَتْ جَنوبُ رِحالَنَا من مَطْرَقِ ... ما كنت أحسِبها قريبَ المُعْنَقِ[٣]

وأنشدتُه القصيدة ، فقال عبدُالملك : ثَكِلَتِ القَطامىّ أمُّه ! هذا واللهِ هو الشِّعر.

فالتفت الأخطلُ فقال : يا شعبىّ ، إنّ لك فُنُوناً فى الأحاديث وإنّما لنا فَنٌّ واحد، فإن رأيتَ ألّا تَحْمِلنا على أكتافِ قومِك فأَدَعهم حَرَضا[٤] ! فقلت : لا أعرِض لك من الشِّعر فى شىء أبدا ، فأَقِلْنى هذه المرّة . قال : مَن يتكفّل لى بك ؟ قلتُ : أميرُ المؤمنين . فقال عبد الملك : هو علىّ ألّا يعرِض لك أبدا ، ثم قال : يا شعبىّ ، أىُّ نساء الجاهليّة أشعر ؟ قلتُ : الخنساء ، قال : ولِمَ فَضَّلْتَها على غيرها ؟ قلتُ لقولها :

وقائلةٍ والنَّعشُ قد فاتَ خَطوَها ... لتُدرِكَه يالهفَ نفسِى على صَخْرِ !
ألَا ثَكِلَتْ أمُّ الّذين غَدوْا بِهِ ... إلى القَبْرِ ، ماذا يحملون إلى القبر !

(١) الضمير فى « به » للدهر فى بيت قبل هذا البيت ؛ وهو :

كانتْ مَنازلُ مِنّا قَدْ نحُلُّ بِها ... حتّى تغيرَّ دَهْرٌ خائنٌ خبِلُ

(٢) فى الأغانى : « إلا ما تقربه » .

(٣) المعنق : المكان الذى أعنقت منه ، والعنق : ضرب من السير .

(٤) الحرض ، بالتحريك : الردىء من الناس ؛ يريد أجعلهم بهجائى من أراذل الناس ، والحرض يوصف به المفرد والمثنى والجمع .

قال عبد الملك : أشعر منها الّذى يقول[1] :

مُهَفهَفُ الكَشْحِ والسِّربال منخرِقٌ عنه القميصُ لسير الليــلِ محتقِرُ[2]

لا يأمنُ الناسُ مُمْساه ومُصْبَحهُ فى كلّ فجٍّ ، وإن لم يَغْزُ يُنتظَرُ

ثم قال : ياشعبيّ ، لعله شَقَّ عليكَ ما سمعتَ ! قلتُ : إى والله يا أمير المؤمنين ، أشدّ المشقة ، إنى أحدّثك منذ شهرين لم أُفِدْكَ إلا أبياتَ النّابغة فى الغلام .

فقال : يا شعبيّ ، إنّى إنّما أعْلَمْتُك هذا لأنّه بلغنى أنّ أهلَ العراق يتطاوَلون على أهل الشام ، يقولون : إن كانوا غلَبُونا على الدّولة فلم يغلبونا على العِلم والرِّواية ، وأهلُ الشام أعلَمُ بعِلم أهل العراق مِن أهلِ العراق . ثم ردّد علىّ أبياتَ ليلى حتى حفِظتُها ، فلم أزل عنده ، فكنتُ أوّلَ داخلٍ وآخرَ خارج ، فمكثتُ كذلك سنين .

وبعثَنِى إلى أخيه عبدِ العزيز بنِ مَرْوانَ بمصر ، وكتب إليه : يا أخى ، قد بعثتُ إليك الشَّعْبيّ ، فانظر هل رأيتَ مِثلَه قطّ ! ثم أُذِن لى فانصرَفْتُ .

قال حسّان بنُ ثابت : قدِمتُ على النّعمان بنِ المنذر ، وقد امتدحتُه فأتيت حاجبَه عصامَ بنَ حَوْشب[3] ، فجلستُ إليه فقال : إنى لأَرَى عربيًّا ؛ أمِن الحجاز أنت ؟ قلتُ : نعم ، قال : فكُنْ قَحْطانيًّا ، قال : قلت : فأنا قَحْطانىّ ؛ قال : فكن يَثْرِبيًّا ، قلت : فأنا يَثْرِبِىّ ؛ قال : فكن خَزْرَجيًّا ، قلت : فأنا خَزْرجىّ ، قال : فكن حسّانَ بن ثابت ، قلت : فأنا هو ، قال : جئتَ بِمدْحة المَلِك ! قلتُ : نعم . قال : إنّك إذا جئته متروكٌ شهرا قبل أن يرسل إليك ، ثم عسى أن يسأل عنك

---

(١) هو أعشى باهلة ، من مرثيته للمنتشر ؛ وفى الأغانى : « التى تقول » ؛ وفى حواشيه : « هى ليلى أخت المنتشر الباهلى — وقيل الدعجاء أخته — ترثيه بقصيدة منها هذان البيتان .

(٢) مهفهف الكشح : ضامره ، وهفهفة السربال : رقته وخفته . ومنخرق عنه القميص ، أى لا يبالى كيف كانت ثيابه .

(٣) فى الأغانى : « عصام بن شهبر » .

بعدشهر(١) ، ثم إنك متروكٌ شهرا آخر بعد المسألة ، ثم عسى أن يُؤذَن لك؛ فإن أنتَ خلوتَ به فأعجبتَه فأنت مصيبٌ ما أردت ؛ فأقِمْ ما أقَمْتَ فإنّى أرشِدك إذا دخلتَ إليه فإنه سيسألك عن جَبَلة بن الأيهم ويسُبّه ، فإيّاك أن تساعدَه على ذلك ، ولكن أمِرَّ ذِكرَه إمراراً لا تُوافِق فيه ولا تُخالِف ، وقل : ما دخولُ مِثلى أيُّها المَلك بينَك وبين جَبَلة ، وأنت منه وهو منك ! وإن دعاكَ إلى الطعام فلا تُواكِلْه ، فإن أقسَمَ عليك فأصِبْ منه إصابةَ المُبِرّ قَسَمه ، متشرّف بمُوَاكلته ، لا أَكْلَ جائعٍ سَغِب ؛ فإنّه يثقُل عليه أن يؤكَل طعامه ، أو يشرب شرابه ، ولا تُطِل محادثَته ، ولا تَبدأْهُ بإخبارٍ عن شىء حتى يكون هو السائلَ لك ، ولا تُطِل الإقامةَ فى مجلسه .

فقلت : أحسنَ اللهُ رِفْدَك ! قد أوصيتَ راعيا . ودخل ثم خرج إلىّ وقال : ادْخُل ؛ فدخلتُ وسلّمت ، وحيّيته بتحيّة الملوك ، فجارانى فى أمر جَبَلة كما قال عصام ، وأجبتُ بما أمَرَنى به ، ثمّ استأذنتُه فى الإنشاد فأَذِن ، فأنشدتُه ، ثم دعا بالطَّعام ففعلتُ ما أمَرَنى به عصام ، وبالشّراب ففعلتُ مِثلَ ذلك . وأمَرَ لى بجائزة سنِيّة ، وخرجتُ .

فقال لى عصام : قد بقيَتْ واحدةٌ لم أُوصِك بها ، قد بلغنى أنّ النّابغة الذُّبيانىَّ قادمٌ عليه ، وإذا قدم عليه فليس لأحدٍ سواه من حظّ ، فاستأْذِنْ حينئذٍ وانصرِفْ مكرَّماً خيرٌ من أن تَنصرِفَ مجفُوًّا .

فأقمتُ ببابه شهرا ، ثم قدم عليه خارجةُ بنُ سِنان ومنظورُ بن زَبّان الفَزارِيّان ، وكان بينهما وبين النُّعمان دُخْلُلٌ (أى خاصّة) وكان النابغةُ معهما قد استجارَ بهما ، وسألهما مسألةَ النّعمان أن يرضَى عنه فضَرَبَ عليهما قُبّة من أَدَم ، ولم يشعر أنّ النابغةَ معهما ، ودَسّ النابغةُ قَيْنَةً تُغَنّيه بشِعْرِه :

يا دار ميّةَ بالعَلْياء فالسَّنَدِ أقوَتْ وطالَ عليها سالفُ الأمَدِ

(١) الأغانى: «رأس الشهر» .

منها :

نُبِّئْتُ أنّ أبا قابوسَ أَوْعَدَنِي ... ولا قَرارَ عَلَى زَأْرٍ مِنَ الأَسَدِ
مَهْلًا فِدَاءٌ لَكَ الأملاكُ كُلُّهُمُ ... وما تُثَمِّرُ من مالٍ ومن وَلَدِ[1]
إن كنتُ قلتُ الّذى بُلِّغْتَ مُعْتَمِدًا ... إذَنْ فلا رَفَعَتْ سوطِي إِلَىَّ يَدِى
هــذا الثَّناء فإن تَسْمَعْ لِقائله ... فما عرضتُ أبَيْتَ اللَّعْنَ بالصَّفَدِ[2]

فلمّا سمِع الشعرَ قال: أُقْسِم بالله إنّه لَشِعر النابغة ، وسأل عنه فأُخْبِر أنّه معهما، وكلّماه فيه ، فأمّنه .

وقد كتبت هذه الحكاية فى ترجمة جَبَلة بنِ الأَيْهَم فى حرف الجيم مع غير النُّعمان ابنِ المنذِر .

وقيل : إنّ النابغةَ لمّا خرج معهما إلى النّعمان ، كان يُرسل لهما بِطيبٍ وأَلْطاف مع قَيْنَةٍ من إمائه ، فكانا يأمُرانها أن تبدأ بالنابغة قبلَهُما ، فذَكَرَتْ ذلك للنُّعمان، فعرَف أنَّه النابغة ، ثم أَلْقَى عليها شعرَه ، وسألها أن تُغَنِّيَه إذا أخذتْ منه الخمْر ، ففعلتْ فأطْرَبَتْه ، فقال : هذا شِعْرٌ عُلْوِىٌّ[3] ، هذا شعرُ النّابغة .

قال : ثم خرج فى غِبِّ سَماء ، فعارَضَه الفَزاريّان والنابغةُ بينهما قد خُضِب بحِنّاء ، فأقنأ[4] خِضابُه ، فقال[5] : هِيَ بِدَمٍ أحْرَى أن تُخضَب ؛ فقال الفزاريّان : أبيت اللعن! لا تَثْرِيب ، قد أجَرْناه ، والعفوُ أجمَل فأَمَّنه واستنشَدَه .

قال حسّان : فحسدْتُه على ثلاثٍ لا أدرى على أيّتِهِنَّ كنتُ أشدَّ حسداً له !

(١) فى الأغانى : « وما أثمر » .
(٢) الصفد : العطاء .
(٣) علوى: نسبة إلىالعالية ؛ علىغيرقياس ؛ وهى مافوق نجد إلى أرض تهامةإلىماوراء مكة.
(٤) كذا فى الأصول والأغانى ، والذى فى كتب اللغة : قنأ الخضاب : اشتدت حمرته .
(٥) فى الأغانى : « فلما رآه النعمان قال » .

على إدناء النعمانِ له بعد المباعدَة ومسامرته[1] له وإصغائه إليه ، أم على جَوْدة شِعره ، أم على مائة بعيرٍ من عصافيرِه[2] أمَرله بها !

وسئل أبو عمرو : أمِن مَخافته امتدَحَه وأتاه بعد هرَبه ، أم لغير ذلك ؟ فقال : لا لَعَمْر الله ، مالمخافتِه فَعَل ، ولقد كان آمناً أن يوجِّه إليه النعمانُ جيشا ، وما كانت عَشيرتُه لِتُسلِمَه أوّلَ وَهْلة ؛ ولـكن رغبةً في عطائه وعصافيرِه .

وكان النابغةُ يأ كُل ويَشرَب في آنية الذَّهب والفضَّة من عطايا النّعمان وأبيه وجَدِّه ، لا يَستَعمِل غيرَ ذلك .

وقيل : كان السببُ في رجوعه أنَّه بلغه أنّه عليلٌ لا يُرْجَى ، فأقلَقَه ذلك ولم يَملِك الصبرَ على بعده مع عِلّته ، فلمّا رجع إليه ألفاه محمولا على سريرٍ يُنقَل ما بين الغَمْر وقصور الحِيرة ، فقال لعصامٍ حاجبه :

ألمْ أُقْسِمْ عليـك لَتُخْبِرَنِّي ... أمحمولٌ عـلى النَّعشِ الهُمامُ !

فإنّي لا ألومُـكَ في دُخـولِي ... ولـكنْ ماوَراءكَ يا عِصامُ !

فإنْ يَهلِك أبو قابوسَ يَهلِكْ ... ربيعُ النّاسِ والشَّهرُ الحَرامُ

ونُمسِكْ بعدَه بِذِنابِ عَيْشٍ ... أجَبِّ الظَّهْر ليسَ لـــه سَنام

وكان مُلوكُ العرَب إذا مَرِض أحدُهم حملتْه الرجالُ على أكتافهم ؛ لأنّه عندهم أوطأُ من الأرض .

وقوله :

* فإنّي لا ألومُـــك في دُخولِي *

أي لا ألومك في تركِك الإذْنَ لي في الدّخول ، ولـكن أخبِرْني بكُنْهِ أَمْرِه .

(١) ب ، ج : « ومسايرته » .

(٢) العصافيرهنا : إبل نجائب كانت للملوك.

وقوله:

* ربيعُ الناس والشهرُ الحرام *

أى أنه كالربيع فى الخِصْب ، وكالشَّهْر الحرام لجارِه ، أىْ أنّه لا يُتوَصَّلُ إلى من أجاره كما لا يُوصَل فى الشهر الحرام إلى أحدٍ .

بَيْنَا النعمانُ فى قُبّة له ، إذا رجلٌ يَرتجِز حولَها، فقال النُّعمان : أليس بأبى أمامة ! قالوا : بَلَى ، قال : فأْذَنُوا له، فدخل ، فحيّاه وشَرِب معه ، ثم ورَدتِ النَّعَم السُّود ، ولم يكن لأحد بعيرٌ أسْوَدُ يُعرَف مكانُه غير النّعمان ، فاستأذنه أن يُنشِده كلمتَه على الباء ، فأذِن له ، فأنشَدَه حتّى أتى على قوله :

فإنَّكَ شمسٌ والملوكُ كواكبٌ ... إذا طلعتْ لم يَبْدُ منهنّ كوكبُ

ووردتْ عليه مائةٌ من الإبل السُّود الكَلْبِيّة ، فيها رِعاؤها وكلبُها ، فقال : شأنكَ بها يا أبا أُمامَة ، فهى لك بما فيها .

قال حسّان : فما أدرى علامَ أحسُده ! أعلَى ماسمعتُ من فضلِ شعرِه ، أو مَارأيتُ من جزيلِ عطائه ! فجمعتُ جرامِيزى[1] فركبتُ إلى بلادى .

---

(١) يقال : جمع فلان إليه جراميزه ، إذا رفع ما انتشر من ثيابه ثم مضى .

زياد الأعجم*

هو زيادُ بنُ سليمان، مولَى عبدِ القيس ، أحد بنى عامر بنِ الحارث ، ثم أحدُ بنى مالك بنِ عامر .

وقيل : زياد بنُ جابر بنِ عمرو ، مولَى عبدِ القيس ، وكان ينزل إصْطَخْر ، فغلبَت العُجمةُ على لِسانه ، فقيل : الأَعْجَم .

وقد قيل : إن أصلَه ومولدَه ومنشأَه أصفِهان . ثم انتقَل إلى خُراسانَ ، فلَمْ يَزل بها حتّى مات .

وكان شاعراً جَزْلَ اللّفظ ، فصيحَ الشِّعر ؛ على لُكْنةٍ فى لسانه ، وجَرْيِه على [لفظ][1] أهلِ بلدِه .

دعا زيادٌ غلامَه ، فأَرسلَه فى حاجة ، فأبطأ ، فلمّا جاءه قال : منذ لَدُنْ دَأَوْتُك إلى أن قلت : لَبّيْ ، ما كنت تسنأ ؟ يريد : منذ لَدُنْ دعَوْتُك إلى أنْ قلتَ لى : لَبّيْكَ ، ما كنتَ تصنَع ؟ فهذه ألفاظٌ فى نهاية اللّكْنَة والقُبْح .

ولمّا مات المغيرةُ بنُ المهلَّب رثاه بقوله :

قُـلْ للقوافل والغَزِىِّ إذا غَزَوْا ... والبـاكِرِين وللمُجدِّ الرائحِ[2]
إنّ الشجاعةَ والسّماحــةَ ضُمِّنَا ... قـبراً بمَرْوَ عَلَى الطَّرِيق الواضِحِ

---

* ترجمته فى الأغانى ١٥ : ٣٨٠ ـ ٣٩٤ (طبعة دار الكتب) .

(١) زيادة من الأغانى .

(٢) ب ، ج : « والغزاة إذا غزوا » .

فإذا مررتَ بقـــبرِه فاعقرْ له[1] كُومَ المَطِيِّ وكلَّ طِرْفٍ سابِحٍ[2]
وانضَحْ جوانبَ قـبرِه بدمائها فلقد يَـكون أخا دَمٍ وذَبائحِ
يامن يُهوَى الشَّمْسِ من حيٍّ إلى ما بين مَطلعِ قَرْنِها المتنازِحِ
ماتَ المغيرةُ بعد طُـولِ تعرُّضٍ للموت بـــين أسِنَّةٍ وصَفائحِ
والقَتْلُ ليس إلى القتالِ ولا أرَى حَيًّا يؤخَّر للشَّفيقِ النـاصحِ

وهى طويلة ، وهـذا من جيِّد الشـعر ونادرِ الـكلام ونقيِّ المعـانى ومختار القصائد .

يقال : إن يزيد بنَ المهلَّب قالَ له لمّا أنشَدَه هذه القصيدةَ : أفعَقَرْتَ أنتَ عندَه ؟ قال : « كنتُ على بنتِ الهِمار » ، يريد « الحِمار » .

ومن الناس مَن يَروِى هذه القصيدةَ للصَّلَتَان العَبْدِيِّ ، والصحيح أنها لزياد .

أُنشِدَتْ هذه القصيدةُ لثعلب ، فقال : إنّها لَمِنْ مختار الشِّعر ، ثمّ قال : لقد أُنشِدْتُ لبعض المحدَثين فى هذا المعنى أبياتا حَسَنة ، ثم أنشد :

أيُّها الناعِيانِ مَن تنعيَانِ وعـلى مَنْ أراكُما تبكِيانِ !
أندُبَا الماجدَ الـكريم أبا إسْـ حاق ربَّ المعروفِ والإحسانِ
واذهبَا بى إنْ لم يكن لَـكُما عَقْـ رٌ إلى تُرْب قـبرِه فاُعقِرانى[3]
وانضَحَا مِن دَمِى عليه فقد كا نَ دَمِى مِن نَدَاه لو تعلَمانِ

كان المهلَّب بنُ أبى صُفْرَةَ بخُراسان ، فخرج إليه زِياد الأعجم فمدَحه ، فأمر له

---

(١) فى الأغانى : « فاعقر به » .
(٢) الطرف : الجواد الـكريم الطرفين ؛ الأب والأم . والسابح : السريع ؛ كأنه يسبح بقوائمه .
(٣) فى الأغانى : « إلى جنب » .

بجائزة ، وأقام عنده أياما يَشرَب ، قال : فإذا هو العشيّة يَشْرَب مع حبيب ابن المهلَّب ، فى دارٍ فيها دابّة وفيها حَمامة ، إذ سجعت الحمامة ، فقال زياد :

تَغَنَّىْ أنتِ فى ذِمَمِى وعَهْدى ... وذمّةِ والدِى أن لن تُضارِى[1]

وبيتُك أَصْلِحيه ولا تَخافى ... على صُفْرٍ مزغَّبــةٍ صِغارِ

فإنّكِ كلَّما غنّيْتِ صَوْتاً ... ذكرتُ أحبّتى وذكرتُ دارى

فإمَّا يَقتُلوكِ طلبتُ ثأرا ... له نَبأٌ لأنكِ فى جِوارى

قال حبيب : هاتِ ياغلامُ القوسَ ، فقال زياد : ما تَصنَع ؟ قال : أرمِى جارتَك هذه ؛ قال : واللهِ لئن رميتَ لأَستعدِيَنّ عليك الأمير ، فأَتِىَ بالقوس فنَزع لها سهماً فقتَلها ؛ فوثَب زيادٌ فدخل على المهلَّب ، فحدّثه الحديثَ ، وأنشدَه الشعر ، فقال المهلّب : علىّ بأبى بِسْطام ؛ فأُتِىَ بحَبيب ، فقال له : أعطِ أبا أُمامة ألفَ دينار ديةَ جارتهِ ، فقال : أطال اللهُ بقاءَ الأمير ! إنّما كنتُ ألعب . قال : أَعطِه كما أمرتُك ، فأعطاه ، فأنشأ زياد يقول :

فللّه عَيْنا مَنْ رأى كقضيّةٍ ... قَضَى لى بها قَرْم العِراق المهلَّبُ !

رَماها حبيبُ بنُ المهلَّب رَمْيَةً ... فأثبَتَها بالسَّهم ، والسَّهمُ يُغرِبُ[2]

فألزَمَه عَقْل القتيلِ ابنُ حُرَّةٍ ... وقال حبيبٌ : إنّما كنتُ ألعَبُ

فقال : زيادٌ لا يرَوَّعُ جارُه ... وجارةُ جارى مِثل جارى وأقْرَبُ

فحمل إليه حبيبٌ ألفَ دينارٍ على كُرْهٍ منه . ثمّ شرب مع حبيب يوما فعَربَدَ عليه حبيب ، وكان قد ضَغِن عليه ممّا جرى ، فأمر بشقّ قباء ديباجٍ عليه ــ وكان يَلبَسه تشبّهاً بالأعاجم ــ فقام وقال :

---

(١) فى الأغانى : « إن لم تطارى » .

(٢) أثبتها : قتلها مكانها . يغرب ، من قولهم : سهم غرب ؛ إذا أتى قاتله من حيث لا يدرى.

لَعمرُكَ ما الدِّيباجَ خَرَّقْتَ وحدَه ولـكنَّما خرّقتَ جلـدَ المهلَّبِ

فبعث المهلَّب إلى حبيبٍ فأحضرَه وقال: صدَق زياد ، ما خَرّقتَ إلّا جِلْدى ، تَبعثُ هذا عَلَى أن يهجوَنى ! فبعث إليه فأحضرَه واستلَّ سَخِيمَته ، وأَمَر له بمال وصلَه به (١).

ومِن شعرِ زيادٍ يَمدَح عمرَ بنَ عُبيد الله السُّلمىَّ بفارس :

سألنـاه الجزيلَ فمـا تَأَبَّى وأعطىَ فـوقَ مُنْيَتِنا وزَادا
وأحسن ثمّ أحسن ثم عُدْنا فأحْسَنَ ثم عُـدْتُ له فعَادا
مِراراً مادنوتُ إليـــه إلّا تبسَّمَ ضاحكاً وثَنَى الوِسادَا
أخٌ لكَ لا تَراه الدهرَ إلّا على العِلّاتِ بَسّاماً جَـوادا

فقال له عُمَر : أحسنتَ واللهِ ! ولك بكلّ بيتٍ ألف دينار ، قال : دعنى أُتِمّها مائة . قال : أنّى لك! لو كنتَ فعلتَ لفعلتُ ؛ ولـكن لك ما رُزِقْتَ .

وكان زيادٌ الأعجمُ صديقا لعمرَ بنِ عُبيد الله هذا قبل أن يلىَ فارِس ، فقال له يوما : لو قد وُلِّيتُ يا أبا أمامةَ ، لتركتُك لا تحتاج إلى أحدٍ أبدا ، فلما وَلِىَ عمرُ فارسَ قصدَه زياد ، فلمّا لقيَه أنشأ يقول :

أبلغْ أبا حفصٍ رسـالةَ ناصحٍ أتَتْ من زيادٍ مستبيناً كلامُهـا
كأنّك مِثلُ الشّمس لا سِتْر دونها(٢) فـكيف أبَا حفصٍ عـلىَّ ظَلامُها !

فقال له عمر : لا يكون عليك ظلامُها أبدا ، فقال زياد :

لقد كنتُ أدعو اللهَ فى السِّرِّ أن أرَى أمـورَ مَعَدٍّ فى يديكَ نِظامُهـا

---

(١) فى الأغانى: «وصرفه» .
(٢) كذا فى ا ، وفى ب ، ج والأغانى : « فإنك » .

فقال : قد رأيتَ ذلك ، فقال :

فلمّا أتانى ما أردت تباشرتْ بناتى وقلن العام لا شكّ عامها

قال : فهو عامهنّ إن شاء الله عزّ وجلّ ، فقال :

وإنِّى وأرضاً أنتَ فيها ابنَ معْمَرٍ كمكّةَ لم يَطْرَب لأرض حَمامُها(١)

قال : فهى كذلك يازياد ، فقال :

إذا اخترتُ أرضاً للمقام رَضيتُها لنفسى ، ولم يثقلْ علىّ مقامُها

وكنتُ أمنِّى النَّفْس عنكَ ابنَ مَعْمَرٍ أمانىَّ أرْجُو أن يَتِمَّ تمامُها

قال : قد أتمّها الله عليك ، فقال :

فَلَاأكُ كالمجرِى إلى رأسِ غايةٍ يُرجّى سماءً لم يُصِبْه غَمامُها

قال : لستَ كذلك ، فسَلْ حاجتَك ، قال : نَجيبةٌ وحالبُها(٢) ، وفرس رائع وسائسُه ، وبَدْرَةٌ وحاملها ، وجاريةٌ وخادمُها ، وتَخت(٣) ثياب ، ووصيفٌ يحمله . قال : قد أمرْنا لك بجميع ما سألتَ ، وهو لك علينا فى كلّ سنة . فخرج من عند عمر حتى قَدِم على عبد الله بن الحَشْرج وهو بنيسابور فأنْزَله وألْطَفَه(٤) ، ومدحه زيادٌ وأجاد .

مات عمر بضُمَيْرٍ من الشأم بالطاعون ، فقام عبدُ المَلِك على قبره وقال : والله لقد علمتْ قريشٌ أن قد فَقَدتْ اليوم ناباً من أنيابها ، فقال خلّاد بنُ أبى عمرو الأعمى : أهوَ اليومَ نابٌ لمّا مات ، وكان أمسِ ضِرْساً كَليلة ! أمَا والله لَوددْتُ أنّ السماء وقعتْ على الأرض فلم يَعِشْ بينهما أحدٌ بعدَه ! فسمِعَها عبدُ الملك وتَغافَلَ عنها .

---

(١) الطرب : الشوق .

(٢) النجيبة : الناقة الكريمة . وفى الأغانى : « ورحالتها » .

(٣) التخت : وعاء تصان فيه الثياب .

(٤) ألطفه : أتحفه بالهدايا والألطاف .

ورثاه الفرزدقُ بأبياتٍ منها :

يأيُّها الناسُ لا تبكُوا على أحـدٍ   بَعْدَ الّذى بضُمَيْرٍ وافَقَ القَدَرا
كانت يَدَاه لنا سَيْفاً نَصُولُ به   على العدوِّ وغَيْثًا يُنبِت الشَّجَرا
أمَّا قريشٌ أبا حفصٍ فقد رُزِئَتْ   بالشّام إذْ فارقتْك البأسَ والظَّفَرا
مَن يَقتُل الجوعَ بَعْدابنِ الشهيدِ ومَنْ   بالسَّيف يَقتُل كَبْشَ القومِ إذعَكَرا[(١)]

كانت لرجلٍ جاريةٌ يَهواها فاُحتاجَ إلى بيعِها ، فاُبتاعَها منه عُمَرُ بنُ عبيد الله ابن مَعْمَر ، فلمّا قَبَض ثمنَها أنشأتْ تقول :

هنيئًا لكَ المالُ الّذى قد قبضتَه   ولَمْ يبقَ فى كفَّىَّ غيرُ التحسُّرِ
أَبوءُ بحُزنٍ من فراقكَ موجعٍ   أُناجِى به صدراً طويلَ التفكُّرِ[(٢)]

فقال الرجلُ : [لا ترحلى ، ثم قال][(٣)] :

فلولا قعودُ الدهرِ بى عنك لم يكن   يفرِّقُنَا شىءٌ سوى الموتِ فاُعذِرِى
عليكِ سلامُ اللهِ لا وَصْلَ بينَنَا   ولا قُرْبَ إلّا أن يشاءَ اُبنُ مَعْمَرِ[(٤)]

فقال : قد شئتُ خذِ الجاريةَ وثمنَها ، فأخذَها واُنصرَف .

---

(١) كذا فى ا وديوان الفرزدق ص ٢٩٢ ، وفى الأغانى : «من يقتل الجوع من بعد الشهيد» وفى ب ، ج : « من يقتل الجوع للشهيد » ؟ وهو خطأ لا يستقيم به الوزن . وعكر : كر وعطف .
(٢) رواية الأغانى :

* فإنى لحزنٍ من فراقِكَ مُوجعٍ *

(٣) من الأغانى .
(٤) رواية الأغانى :

عليكِ سلامٌ لا زيارةَ بيننا   وَلَا وَصْلَ إلّا أن يشاء ابن مَعْمَرِ

قال بعضهم : كنتُ جالسا عند المهلَّب إذ أقبَل رجلٌ مضطربٌ طويل ، فلمّا رآه المهلَّب قال : اللّهمّ إنّى أعوذُ بك من شرِّه ! فجاء فقال : أصلَح اللهُ الأمير ! إنّى قد امتدحتُك ببيت صَفَدُه[١] مائةُ ألف درهم ، فسكَت المهلَّب ؛ فأعاد القولَ ثانيةً ، فقال له : أَنشِدْه ، فأنشَدَه :

فتًى زادَه السلطانُ فى الخير رغبةً ... إذا غيَّرَ السلطانُ كلَّ خليلِ

فقال المهلَّب : يا أبا أمامة[٢] ، مائة ألف درهم فوالله ما هى عندَنا ولكن ثلاثون ألفاً فيها عُروضٌ ، وأمرَ له بها وإذا هو زياد الأعجم.

حَضَرتِ امرأةً من بنى نُمَيْر الوفاةُ ، فقيل لها : أَوْصِى ، فقالت : وما لىَ من مالى ؟ قيل: الثُلث ، قالت : فمَن يقول:

لَعَمْرُكَ ما رماحُ بنى نُمَيْرٍ ... بطائشةِ الصُّدورِ ولا قِصارِ

قالوا : زياد الأعجم . قالت: فثُلُث مالى له ، وماتت فأخذ ثلاثةَ آلافِ درهم .

أقبلَ الفرزدقُ فى المِرْبَد ، وزيادٌ واقفٌ يُنشِد النّاسَ وقد اجتَمعوا حوله، فقال: مَن هذا ؟ فقيل : زياد الأعجم ، فأقبلَ نحوَه، فقيل له : هذا الفرزدقُ قد أَقبَل ، فقام وتلَقَّاه ، وحَيَّا كلٌّ واحدٍ منهما صاحبه ، فقال الفرزدق : ما زالتْ نفسى تُنازِعنى إلى هجاء عبدِ القيس منذُ دهر . فقال زياد : وما يَدْعوكَ إلى ذلك ؟ قال : لأنّى رأيت كعباً الأَشْقَرِيَّ هَجاكُمْ فلم يصنَع شيئا ، وأنا أشعَر منه ، وقد عرفتُ الّذى هيَّجَ بينَك وبينَه ، قال : وما هو ؟ قال : أنكم اجتمعتم فى قُبّةِ عبدِ الله بن الحَشْرج بخُراسان ، فقلتَ له : قد قلتُ بيتا من الشّعر فمن قال مِثله فهو أشعر منّى ، ومن لم يَقُل مثلَه فليختِم فى عنقه لى أنى أشعرُ منه ؛ فقال لك : وما قلت ؟ فقلتَ : قلتُ :

---

(١) الصفد هنا : العطاء .

(٢) ج : « يا أبا دلامة » ؛ وهو خطأ من الناسخ .

وقافيةٍ حَذّاءَ بِتُّ أَحُوكُها ... إذا ما سُهَيْلٌ فى السَّماء تَلألَا(١)

فقال لك الأشقرِىّ :

وأقلفَ صلَّى بعد ما ناكَ أمَّهُ ... يَرى ذاكَ فى دِينِ المجوسِ حَلالَا

فأقبلتَ على من حضر فقلتَ : يا لَأُمِّ كَعْب أخزاها الله ! ما أَمَّها حتى تخبر ابنَها بقُلْفَتِى ! فضحك الناس وغلبت عليه فى المجلس. فقال له زياد : يا أبا فراس، هب لى نفسك ساعة ولا تعجل علىَّ حتى يأتيك رسولى بهديّتى حتى تَرَى رأيك ، فكفّ الفرزدقُ وظنّ أنه سيُهدِى له شيئا يستكفُّه عنه به ، فكتب إليه :

وما ترَكَ الهاجُون لى إن أردتُه ... مَصَحًّا أراهُ فى أديمِ الفرزدقِ

وما تركُوا لحماً بدَا فوقَ عظمه ... لآكِلِه أَلْقوْه للمتعرِّقِ(٢)

سأَحْطِم ما أبقَوْا له من عِظامِه ... وأَنكُتُ عظمَ الساقِ منه وأَنتقِى(٣)

فإنّا وما تُهدِى لنا إنْ هجَوْتَنا ... لَكالبحرِ مهمَا يُلْقَ فى البحرِ يَغرَقِ

فبعث إليه الفرزدق : لا أهجو قوماً أنت منهمَ أبدا .

وكان زيادٌ أهجَى من كعبٍ الأشقرىّ ، وقد أَبَرّ(٤) عليه فى قصائدَ ، منها التى يقول فيها :

قُبَيِّلَةٌ خَيرُها شَرُّها ... وأصدقُها الكاذبُ الآثمُ

وضَيْفُهم وَسْطَ أبياتِهم ... وإن لم يكن صائماً صائمُ

وفيه يقول :

إذا عَذَّبَ اللهُ الرجالَ لشعرِهمْ ... أمِنْتُ لكَعْبٍ أن يعذَّبَ بالشِّعر

(١) قصيدة حذاء : سائرة لا عيب فيها ، ولا يتعلق بها شىء من القصائد لجودتها .

(٢) كذا فى الأصول ؛ وهو الوجه. وفى الأغانى : « وما تركوا لحما يدقون عظمه » .

(٣) يقال : نكت العظم ؛ إذا ضرب طرفه بشىء ليخرج مخه . والانتقاء : استخراج النقى وهو المخ .

(٤) أبر عليه : غلبه . وفى الأغانى : « وقد أوثر عليه » .

زَيْدُ الخَيْل*

هو زيدُ بنُ مُهَلْهِل بنِ يزيد بن مُنْهِب[1] بن عبد رُضَا ـ ورُضَا : صنمٌ كان لطيّئ ـ بن مخلس[2] ـ بن مُنْهِب بن ثَور[2] بنِ عدّى بنِ كنانة بن مالك بنِ نابل ابن نَبْهان ـ وهو أسوَد ـ بن عمرو بن الغوث بن جلْهَمَة ـ وهو طيّئ ـ سُمِّى بذلك لأنّه كان يَطوِى المناهِل فى غزَوَاته ـ بن أُدَد ـ وهو مذحِج[3] ـ بن زيد بن يشجُب الأصغر بن عَرِيب بنِ مالك بن زَيْدِ بنِ كَهْلانَ بنِ سَبَأْ بنِ يَشْجُب بنِ يَعْرُب ابن قحْطان بن عابِر بن هُود[4] النبىّ عليه السلام .

وأُمّ طيِّئ مُدِلّة بنت ذى منحسان بن عَرِيب بن الغَوْث بن زُهَيْر بن وائل ابن الهَمَيْسَع بن حِمْيَر بن سبأ بن يَشْجُب بن يَعْرُب بن قَحْطان . ومُدِلَّةُ هذه هى مَذْحِج ، وهو لَقَبُها ، وكانت مُدِلَّة عند أُدَد ، وهى أمُّ مالك بن أُدَد أيضا ، ووَلَدَت لأُدَد الأشعر ـ واسمه نبت ـ ومرة ، ابنى أُدَد .

ومن الناس من يقول : مَذْحِج ظَرِبٌ[5] صغيرٌ اجتَمَعُوا عليه ، وليس بأمٍّ ولا أب .

وكان زيدُ الخَيْل فارساً مِغْواراً ، مُظَفَّراً شُجاعاً ، بعيدَ الصَّوْت فى الجاهليّة ،

---

* ترجمته فى الأغانى ١٦ : ٤٦ ـ ٥٩ (طبعة الساسى) .

(١) فى الأصول : « منهم » ؛ والصواب ما فى الأغانى والقاموس .

(٢ـ٢) كذا فى الأصول ؛ وفى الأغانى : « مخلس بن ثور » .

(٣) كذا فى الأصول ؛ وفى نسب عدنان وقحطان للمبرد ١٨ ، ١٩ : « وطيّ ومالك ، ابنا أدد بن زيد ؛ أمهما دلة ؛ وهى مذحج ؛ فهم مذحج » ، وفى الأغانى : « ابن أدد بن مذحج » .

(٤) فى الأغانى : « وهو هود » .

(٥) الظرب: الرابية الصغيرة .

وأَدْرَكَ الإسلامَ ، ووفَد إلى النبيّ صلّى الله عليه وسلّم ولَقِيَه وسُرَّ به وقَرَّظَه ، وسمّاه زَيْدَ الخَيْر .

وهوشاعرٌ مُقِلٌّ مخضرمٌ ، معدودٌ فى الشّعراء الفُرْسان ، وإنّما كان يقول الشعرَ فى غاراته ومَفاخِرِه ومَغازِيه وأَيادِيه عند مَنْ مَنَّ عليه ، وأحسن فى ندائه إليه ؛ وإنّما سُمِّىَ زيدَ الخَيْل لكثرة خَيْلِه ، وإنّما لم يكن لأحـــد من قومه ولا لكثيرٍ من العَرَب إلا الفرَس والفرَسان . وكانت له الخيلُ الكثيرةُ منها المسمّاة المعروفة التى ذكرها فى شعرِه ، وهى ستّة : الهَطّال ، والكُمَيْت ، والوَرْد ، والكامِل ، ولاحق ، وزَمُول(١) ؛ ففى الهطّال يقول :

أُقَرِّب مَرْبَط الهَطّـال إنّى … أَرَى حَرْباً ستَلْقَحُ عن حِيالِ

وفى الوَرْد يقول :

أَبَتْ عــادةٌ للوَرْدِ أن يُكرِهَ القَنَا … وحاجة نفسى فى نُمَيْرٍ وعامرِ

وفى زَمُول(١) يقول :

فأُقسِم لا يُفارِقُنى زَمولٌ(١) … أَجولُ به إذا كَثُر الضِّرابُ

وكان لزيد ثلاثة بَنِين : عُرْوة ، وحُرَيث ، ومُهلْهِل ، وكلُّهم يقول الشعر . ومِن الناسِ مَن يُنكِر مُهلهِلًا أنّه ولدُه .

وكان قد ظَلَع له فرسٌ فى بعضِ غزَواته لبَنِى أَسَد ، فلم يتبع الخيلَ ، فخلَّفَه فى بعضِ أحياء العرَب [ظالعا](٢) ليستقلّ ، فأغارتْ عليهم بنو أَسَد ، فأخذوه مع جُمْلة الغنائم فيما أستاقوا ، فأخذتْه بنو الصَّيْدَاء ـ وهم بطنٌ مِن بنى أسد ـ فصلَح عندهم وأستقلّ .

(١) كذا فى الأصول ، وفى الأغانى : « دؤول » .
(٢) من الأغانى .

وقيل : بل أَغْزَى عليه بعض بنى نَبْهان ، فنَكَّس(١) عنه ، فأُخِذ ، فقال فى ذلك :

يا بَنِى الصَّيْداء رُدُّوا فَرَسِى ... إنّما يُفعَل هذا بالذَّليلْ
لا تُذيلوه فإنِّى لَمْ أَكُنْ ... يا بَنِى الصَّيْدَا لمُهْرِى بالمُذِيلْ(٢)
عوِّدُوه كالّذى عَوّدْتُه ... دَلَجَ اللَّيْلِ وإيطَاءَ القَتِيلْ
أحمِل الزّقَّ على مِنْسَجِهِ ... فَيظلُّ الضَّيفُ نَشْوانًا يَمِيلْ(٣)

وكان زيدُ الخَيْل مُلِحًّا على بنى أَسَد بغاراته ، ثم على بَنى الصَّيْداء .

أُنشِد حبيبُ بنُ خالدِ بن نَضْلَة الفَقْعَسىُّ قولَ زَيْد الخَيْل :

* عَوِّدُوا مُهْرَى ما عَوَّدْتُه *

فضَحِك ثم قال : قولوا له : إنْ عَوَّدْناه ما عَوَّدْتَه دفعناه إلى أوّلِ من تَلَقَّاه وهَرَبْنا .

وَفَدَ زيدُ الخيل على رسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم ومعه وزر بن(٤) سَدُوس النّبهانىّ ، وقَبِيصة بنُ الأَسْوَد بنِ عامر ، ومالك بن جبير(٥) ، وقُعَين بن خالِد(٦) الطّريفىّ وعِدّة من طيّء ، فأناخوا ركابَهمْ بباب المسجد ، وأسلموا كلّهم إلّا وِزْرًا فإنّه لمّا رأى النبيَّ صلّى الله عليه وسلّم قال : إنّى لأَرَى رَجُلا يَملِك رقابَ العرَب ، فإنّه لا يَملِك رقبَتِى أبدا ، فلَحِق بالشام فتنصّر وحَلَق رأسَه ومات على ذلك .

---

(١) نكس الفرس : أى تأخر ولم يلحق الخيل .
(٢) أذال فرسه : لم يحسن القيام عليه ؛ فضعف وهزل .
(٣) المنسج من الفرس : أسفل حاركه .
(٤) فى الأصول : « زر » ؛ والصواب ما أثبته من الإصابة ٣ : ٥٩٩ .
(٥) فى الأصول : « خيرى » ، والصواب ما فى الأغانى . وانظر الإصابة ٣ : ٣٢١ .
(٦) فى الأصول : « قعن بن خلف » ؛ والصواب ما أثبتناه من الأغانى . وانظر الإصابة ٣ : ٢٣١

وكان زيدُ الخَيْل جميلا طويلا جسيما ، من أَتَمِّ النّاس ، يَركَب الفرسَ المُشْرِف ورِجْلاه تَخُطّانِ فى الأرض كأنّه على حمار ، فلمّا أستقبَلَ رسولَ اللهِ صلّى الله عليه وسلّم قال : أشهد أن لا إله إلّا الله وأنّك محمدٌ رسولُ الله ، قال : ومن أنت ؟ قال: أنا زيدُ الخَيْل بن مُهَلْهِل ، فقال رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم : « بل أنتَ زيدُ الخير ، الحمد لله الّذى جاء بك مِن سَهْلِكِ وجَبَلك وأَرَقَّ قلبَك على الإسلام ، يا زَيْدُ ما وُصِف لى رجلٌ قطُّ فرأيتُه إلّا كان دُونَ ما وُصِف به إلّا أنت ؛ فإنك فوقَ ما قيل؛ إنّ فيك لخصلَتَيْن يُحبُّهما اللهُ ورسولهُ » ، قال زيد : وما هما يا رسولَ الله ؟ قال : « الأَناة ، والحِلْم » . فقال زيد : الحمد لله الذى جَبَلنى على ما يُحبُّ اللهُ ورسولُه .

وقيل : إنّ رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم طَرَح له مُتَّكأً ، فأعظَم أن يتكئ بين يدىْ رسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم ، فرَدَّ المُتَّكأَ وأعادَه رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم ثلاثا ، وعلّمه دعواتٍ كان يَدعُو بها فيَعرِف الإجابة ، ويَسْتَسقِى فيُسقَى ، فقال : يا رسولَ الله ، أَعْطِنى ثلاثمائةِ رجلٍ حتى أُغيِرَ بهمْ على قصور الرُّوم . فقال له : « أىّ رجل أنتَ يا زَيْد ! ولكنْ أُمُّ الكَلْبة تَقْتُلُك » ـ يعنى الحُمَّى ـ فلَمْ يَلْبَثْ زيدٌ إلّا قليلا حتّى حُمَّ ومات ، ولمّا أخذتْه الحُمَّى قال لأصحابه : جنِّبونى بلادَ قَيس[1] ؛ فقد كانت بيننا حَماسات فى الجاهليّة ، ولا والله لا أُقاتِل مُسلِما حتى أَلْقَى الله تعالى ، فنزل بماءٍ لِجَرْم[2] يقال له : فَرْدَة ، وأشتدّت عليه الحُمَّى ، فأنشأ يقول :

أَمُرْتَحِلٌ صَحْبِي المَشارقَ غُدْوةً ... وأُتْرَكُ فى بيتٍ بفَرْدَةَ مُفرَدا![3]

---

(١) كذا فى الأغانى ، وفى الأصول « فارس » .

(٢) كذا فى ا ، وفى الأغانى : « لحى من طيء » .

(٣) الأغانى : « بفردة منجد » .

سقَى اللهُ ما بين القَفِيلِ وطابَةٍ فما دُونَ أَرْمامٍ فما فوقَ مُنْشِدِ[١]
هنالِك إنّ لو مَرِضْتُ لَعادَنى عوائدُ مَن لم يَشْفِ مِنهُنَّ يَجْهَدِ[٢]
فلَيْتَ اللَّواتى عُدْنَنى لم يَعُدْنَنى وليتَ اللَّواتى غِبْنَ عَنِّى عُوَّدِى

وكَتبَ النبىُّ صلّى الله عليه وسلّم معه كتاباً إلى بَنى نَبْهان بفَرْدَةَ[٣]، فمكث بفَرْدَةَ سبعا، ثم مات فأقام عليه قَبيصةُ بنُ الأسود المَناحَةَ سَبْعا، ثم بعث راحلتَهُ ورَحْلَه، وفيه كتابُ رسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم إلى زوجتِه، فلمّا نظرت إلى الرّاحلة ليس عليها زيدٌ ضربتْها بالنار، وقالت:

أَلَا نَبِّهَا زيداً لكلِّ عظيمةٍ إذا أَقبلَتْ أَوْبَ الجَراد رِعالُها[٤]
لَقاهُمْ فما طاشَتْ يداه بضَرْبِهِمْ ولا طَعْنِهم حتّى تَوَلَّى سِجالُها[٥]

فلمّا بلَغ رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم ضربُ امرأةِ زيدٍ الراحلةَ بالنّار وإحراقُ الكتاب، قال: بُؤْسًا لبنى نَبْهان!

ولمّا دخل زيدٌ على رسول الله صلّى الله عليه وسلّم كان عنده عمرُ بنُ الخطّاب رضى الله عنه، فقال لزيد: يا أبا مُكْنِف، خبِّرْنا عن طيّئ وملوكِها ونَجَدَتِها، وأصحابِ مَرابِعِها[٦]؛ فقال زيد: فى كلٍّ يا عمرُ نجدةٌ وبأسٌ وسيادة، ولكلِّ رجل فى حَيِّه مِرْباع؛ فأمّا بنو حَيّةَ فملوكُنا وملوكُ غيرنا وهم القَداميس[٧] القادة،

(١) القفيل وطابة وأرمام: مواضع.
(٢) فى الأغانى: «هنالك لو أنى مرضت».
(٣) الأغانى: «بفيد».
(٤) الرعال: جمع رعلة؛ وهى القطعة من الخيل.
(٥) لقاهم: لقيهم؛ والسجال: المساجلة والمعارضة.
(٦) النجدة: الشجعان. والمرابع: جمع مرباع؛ وكان يأخذه الرئيس فى الغنيمة، وقيمته الربع.
(٧) القداميس: جمع قدموس؛ وهو السيد.

والحماةُ الذّادة ، والأنجاد السادة ، أعظمنا خميسا[١] ، وأكرَمُنا رئيسا ، وأجملُنا مجالس ، وأنْجَدُنا فوارس .

فقال عمر رضى الله عنه : فما تركتَ لمن بَقِىَ من طيّئ شيئا ، قال : بَلَى والله . أمّا بنــو ثُعَل وبَنو نَبْهان وجَرْم ففوارسُ[٢] العُدّة ، وطَلّاعُو كلِّ نَجْدَة ، لا تُحَلّ لهم حَبْوَة ، ولا تُرَاعُ لهم نَدْوة ، ولا تُدْرَكُ لهم نَبْوَة ، عُمُود البلاد ، وحيّةُ كلِّ واد ، وأهلُ الأَسَلِ الحِداد ، والخَيْل الجِياد ، والطَّرِيف والتِّلاد . وأمّا بنو جَدِيلة فأسْهَلُنا قَرَارا ، وأعظَمُنا أَخْطارا ، وأطلبنا للأوتار ، وأطعمنا للجار ، وأحمانا للذمار .

فقال له عمر رضى الله عنه : سَمِّ لنا هؤلاء المُلوك ، فقال : نعم ، عُفَيْر المُجيرُ على الملوك ، وعَمرو الفاخر ، ويَزيد شاربُ الدّماء ، والغَمْرُ ذو الجُود ، ومُجير الجراد ، وسراجُ كلِّ ذى لَامَة[٣] ، وملجِم[٤] بن حَنْظلة؛ هؤلاء كلُّهم من بنى حَيّة .

وأمّا حاتم بنُ عبد الله الثّعلىّ[٥] الجواد بلا مُجار ، والسمح بلا مُمارٍ ، والليث الضِّرغامة ، قَرّاع كلِّ هامة ، جودُه فى النّاس علامَة ، لا يَقِرّ على ظُلامَة .

فاعترَض رجلٌ من بنى ثُعَل لمّا مدح زيد حاتماً ، فقال : ومنّا يَزيد بن المهلهل النّبْهانىّ ، سيِّد الشِّيب والشُّبّان ، وسمّ الفرسان ، وآفةُ الأقران ، والمَهيب بكلّ مكان ، أسرع إلى الإيمان ؛ وآمَنَ بالفُرْقان ، رئيس قومِه فى الجاهليّة ، وقائدُهم إلى أعدائهم على

---

(١) الخميس : الجيش ؛ وفى الأصول : « أعلمنا » وأثبت ما فى الأغانى .

(٢) الأغانى : « فهم فوارس العدوة » .

(٣) اللامة : الهول .

(٤) فى الأغانى . « ملحم » ، بالحاء المهملة .

(٥) كذا فى الأغانى ، وفى الأصول : « البجلى » .

شَحْط المَزار ، وطُموس الآثار ؛ وفى الإسلام رائدُنا إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، ومجيبُه من غير تَلَعْثُم ولا تَلَبُّث . ومنّا زيدُ بن سدوس النَّبهانىّ ، عصمةُ الجيران ، والغَيْثُ فى كلّ مكان ، مُضرِم النيران ، ومُطعِم الثُّدْمان ، ونحرُ كلِّ يمانٍ . ومنّا الأَسَد الرَّهيص ، سيِّد بنى جَدِيلة ، وممدوح[1] كلِّ قبيلة ، قاتلُ عنترةَ فارسِ بنى عَبْس ، وكاشف[2] كلِّ لَبْس .

فقال عمرُ رضى الله عنه لزيد الخيل : لله دَرُّك يا أبا مُكنِف ! فلو لم يكن لطيِّىءٍ غيرُك وغيرُ عَدِىّ بن حاتمٍ لقهرتُ بكما العَرَب .

أصابت بنى نَبْهان سَنَةٌ ذهبتْ بالأموال ، فخرج منهم رجلٌ بعيالِه حتى أَنْزلَهم الحِيرة ، فقال : كُونوا قريبا من المَلِك يُصِيبُكم من خيرِه حتى أرجع إليكنّ ؛ وآلى أَلِيَّةً لا يَرجِعُ إليهنّ حتى يكسبهنّ خيرا أو يموت . فتزوّد زاداً ثم مشى إلى الليل ، فإذا هو بمُهْرٍ مقيَّدٍ يدورُ حَوْلَ خِباء ، فقال : هذا أوّل الغنيمة ، فذهب يَحُلّه ليركَبَه فنودِىَ : خلِّ عنه ، واغنَمْ نفسَك . فتركه ومضى سبعةَ أيّام حتى انتهى إلى عَطَنٍ[3] إبلٍ مع تَطْفِيل[4] الشمس ، وإذا خِباءٌ عظيم وقبّةُ أَدَم ، قال : فقلت لنفسى : ما لهذا الخِباء بُدٌّ من أَهْل ، وما لهذه القُبّة بُدٌّ مِن رَبّ ، وما لهذا العَطَن بُدٌّ من إبل . فنظرتُ فى الخِباء ، فإذا شيخ كبير قد اختلفت تَرْقُوَتاه[5] ؛ كأنّه نَسْر ، فجلستُ خلفه ، فلمّا وَجَبت[6] الشمسُ إذا فارسٌ قد أَقْبَل

(١) الأغانى : « ومدوخ »

(٢) الأغانى : « مكشف » .

(٣) العطن ، بالتحريك : وطن الإبل ومبركها حول الحوض .

(٤) تطفيل الشمس : دنوها للغروب .

(٥) الترقوة : مقدم الحلق فى أعلى الصدر حيثما يترقى فيه النفس .

(٦) وجبت الشمس : غربت .

لم أرَ قطّ فارسا أعظمَ منه ولا أجسَمَ على فرس ؛ ومعه أسوَدان يمشيان جَنْبه ، وإذا مائةٌ من الإبل مع فحلِها . فبَرَكَ الفحلُ وبركتْ حولَه ، ونزل الفارسُ وقال لأحدِ عَبْدَيه : احلُبْ فلانة ، ثم أسقِ الشيخَ ، فحَلَب فى عُسٍّ(١) حتّى ملأه ووضَعه بين يدَيِ الشّيخ وتَنحّى ، فكرِع منه الشيخُ مَرّةً أو مرّتين ثم نزَع ، وثُرتُ إليه فشربْتُهُ ، فرجع إليه العبد فقال : يا مولاىَ ، شَرِبه حتّى أتَى على آخره ، ففرِح بذلك وقال له : احلُبْ فلانة ، فَحَلَبها ثمّ وضع العُسَّ بين يدَيِ الشيخِ ، فكَرِع منه كَرْعةً ، ثم نزَع إليه ، فثُرتُ إليه ، فشربتُ نصفَه وكرهتُ أن آتِيَ على آخره فأُتَّهم ، فجاء العبد فأخذَه وقال لمولاه: قدشَرِب وَرَوِىَ . قال : دَعْه ، ثمّ أمَر بشاةٍ فذُبِحتْ ، وشُوِى للشّيخ منها ثم أكل هو وعبداه ، فأمهلتُ حتّى إذا ناموا وسمعتُ الغَطيط ، ثُرتُ إلى الفَحْل فحلَلتُ عِقاله فركبتُه ، واندفع بى فمشيتُ ليلتى حتّى الصباح ، فلمّا أصبحتُ نظرتُ فلم أرَ أحـدا ، فشَلَلْتُهُ(٢) إذاً شَلاًّ عنيفا حـتّى تَعالَى النّهار ، ثم التفتُّ التِفاتةً فإذا أنا بشىء كأنّه طائر ، فما زال يدنو مـنّى حتى تبيّنتُه ، فإذا فارسٌ على فرس ، وإذا هـو صاحبى بالأمس ، فعقَلْتُ الفَحْل ونَثَلْتُ كِنانتى ، ووقفتُ بينه وبين الفحل . فقال : احلُل عِقالَه ، فقلت : كلّا والله ، لقد خَلّفْتُ نِساءً(٣) بالحِيرة ، وآلَيْتُ لا أرجع إليهنّ أو(٤) أفيدهنّ خيراً أو أموت ؛ قال : فإنّك ميّت لا أُمَّ لك ! قلتُ : هوَ ماقلتُ لك ، حُلّ عِقالَه ، قال : إنّـك لمغرور ، انصُب إلىّ خِطامه ، واجعل فيه خمس عُجَر(٥) ، ففعلتُ ؛ فقال : أين

---

(١) العس : القدح العظيم .

(٢) شل الإبل : طردها .

(٣) فى الأغانى : « نسيات » .

(٤) فى الأغانى : « حتى أفيدهن » .

(٥) العجر : جمع عجرة ؛ وهى العقدة .

تحبّ أن أضعَ سهمى ؟ قلتُ : فى هذا الموضع ، فكأنّما وضعَه بيده ، ثم أقبل يَرْمِى حتّى أصاب الخمْسَ بخمسةِ أسْهُم ، فرَددتُ نَبْلى ، وحططتُ سَهْمى وقوسى ، ووقفتُ معه مستسلِماً ، فدنا منّى ، فأَخذَ السيفَ والقوسَ ، ثم قال : ارتَدِفْ خَلْفى ، وعَرَفَ أنّى الّذى شربتُ اللّبن ، ثم قال : ما ظَنُّك بى ؟ قلت : أحسَنَ(١) ظَنٍّ . قال : وكيف ذلك ؟ قلتُ : لِمَا لقيتَ من تعبٍ ليلتَك ، وقد أظفرَكَ اللهُ بى . فقال : أتُرانا نَهيجك وقد بتّ تُنادِم مُهلهلا ! فقلتُ : أزَيد الخيلِ أنت ؟ قال : نعم ، فقلتُ : كُن خيرَ آخِذٍ ، فقال : ليس عليك بأس ، فمضى إلى موضعه الّذى كانَ به ، ثم قال : أمّا لو كانت هذه الإبلُ لى لسلّمتُها إليك ؛ ولكنّها لابنةِ مُهلهل ، فأَقِمْ علىّ ؛ فإنّى على شَرَف غارةٍ . فأقمتُ أيّاماً ، فمضى فأغار على نُمَيْرٍ بالمِلْح ، فأصاب مائةَ بعير ، فقال : هذه أحبُّ إليكَ أم تلك ؟ فقلتُ : هذه . قال : دُونَكَها ، وبعث معى خُفَراءَ مِن ماء إلى ماء حتّى وردتُ الحِيرة ، فلقيَنى نَبَطىٌّ فقال : يا أعرابىّ ، أيَسُرُّكَ أنّ لك بإبلك هذه بكلّ بعير منها بستان من هذه البساتين ؟ فقلت : وكيف ذلك ؟ قال : هذا قربُ مخرجِ نبىٍّ يَخرُج ، فيَملك هذه الأرضَ ، ويَحُول بين أربابِها وبينَها ؛ حتّى إنّ أحدكم يبتاع البستانَ من هذه البساتين بثمنِ بعيرِ . قال : فاحتملتُ بأهلى حتى انتهيتُ إلى مَواطِننا ، فبينا نحن على ماء لنا إذ جاءنا رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، فأسلمتُ ، فما مضتْ أيّام حتى اشتريتُ بثمنِ بعيرٍ من إبلى بستاناً بالحِيرة . وفى يوم المِلْح يقول زيد الخيل :

ويومَ المِلْح مِلْح بنى نُمَيْرٍ أصابتكمْ بأظفارٍ ونَابِ

---

(١) فى الأغانى : « أسوأ ظن » .

قال ابن أبى ليلى[١] : أنشدَتنى ليلى بنتُ عُروةَ بنِ زيدِ الخيـل الطائىّ لأبيها فى يوم مُحجِّر :

بَنى عامرٍ هل تَعرفون إذا غدَا أبو مُـكْنِفٍ قد شدَّ عَقْدَ الدَّوائرِ
بجَيْشٍ تَضِلُّ البُلْقُ فى حَجَراتِهِ تَرَى الأُكْمَ فيه سُجَّدًا للحَوافِرِ
وجَمعٍ كمِثل الليلِ مُرْتَجزِ الوَغَى كثيرٍ تَوَاليه سَريعِ البَوادرِ[٢]

قالت ليلَى : فقلتُ لأبى : هل شهدتَ ذلك اليومَ مع أبيك ؟ قال : إى والله يا بُنيَّـة ، لقد شهدتُه، قلتُ : كم كانت خيلُ أبيك هذه الّتى وَصَف[٣]؟ قال : ثلاثة أفراس .

كان زيدُ الخيلِ جَمَع طَيِّئاً وجُموعاً من شُذّاذ العَرَب ، وغزَا بهم بنى عامر ومَن جاوَرَهم من قبائل قَيْس ، وغَنِم وقَتَل وأَسَر ، وأسر زيدُ الخيـلِ يومئذ الحُطيئةَ الشاعر ، فجزّ ناصيتَهُ وأطْلَقَهُ .

ثم إن غَنِيًّا[٤] بعد ذلك تجمَّعَتْ ، وغَزَوْا طيِّئاً فى أرضِها ، فغَنِموا وقَتَلوا ، وأدرَكوا ثأرَهم منهم .

وكان لزيد الخيلِ ابنٌ يقال له : عُرْوة ، شاعرٌ فارسٌ شهِد القادِسيّة ، وحَسُن بَلاؤُه ، وقال فى ذلك :

برزتُ لآلِ القادسيّـــةِ مُعلِمــاً وما كلُّ من يَغشَى الـكريهةَ يُعْلِمُ[٥]
ويوما بأكْناف النُّخَيْـلة قبلَهـا شَهِدتُ فلَم أَبرَحْ أُدمَّى وأُكْلَمُ

---

(١) كذا فى الأغانى ، وفى الأصول : « أبو ليلى » .
(٢) فى الأغانى : « كثير حواشيه » .
(٣) فى الأغانى : « التى وصفت » .
(٤) كذا فى ا والأغانى ، وفى ب ، ج : « قيسا » .
(٥) يقال : أعلم نفسه ، إذا وسمها بسمة الحرب .

وأَقْعَصْتُ منهمْ فارساً بعدَ فارسٍ ... وما كلُّ مَنْ يَلْقَى الفوارسَ يَسْلَمُ(١)
ونجّانِىَ اللهُ الأَجَلُّ وجيرَتِى ... وسيفٌ لأطرافِ المَرازِبِ مِخْذَمُ(٢)
وأَيقنتُ يومَ الدَّيْلَمِيِّين أَنّنى ... متى ينصرفْ وَجْهى عن القومِ يُهْزَمُوا
فما رِمْتُ حتّى مَزَّقُوا برماحِهِمْ ... ثِيابِى وحتّى بَلَّ أَخْمَصِىَ الدَّمُ
محافَظَةً إنِّى امرؤٌ ذو حَفِيظةٍ ... إذا لم أَجِدْ مستأخَراً أتقدَّمُ

وشَهِد مع علىّ رضى الله عنه صِفِّين، وعاش إلى زمنِ معاوية، فأراده على البراءة من علىّ كرّم الله وجهَه فامتنع وقال:

يُحاوِلُنى معاويةَ بنُ حَرْبٍ ... وليس إلى الذى يَهْوَى سبيلُ
على جَحْدى أبا حَسَنٍ عَلِيًّا ... وحَظّى فى أبى حَسَنٍ جليلُ

خرج رجلٌ من طيّئٍ يقال له: ذُؤاب بنُ عبدِ الله إلى حَىٍّ(٣) له من هوازن، فأُصيبَ الرّجلُ — وكان شريفا ذا رِياسة فى حَيِّه — فبلغ ذلك زيداً، فركب فى بنى نَبْهانَ ومَن تَبِعه مِن وَلَد الغَوْث، فأغار على بنى عامر، ثم جعل كلَّما أخذ أسيرا قال له: هل لكَ علمٌ بالطائىِّ المقتول؟ فإن قال: نعم، قَتَله، وإن قال: لا، خَلَّى سبيلَه ومَنَّ عليه، وأصاب رجالا من بنى الوحيد والضِّباب، وبنى نُفَيل، ثم رجع زيدٌ إلى قومه، فقالوا: ما صنعتَ؟ قال: ما أَصبْتُ بثأرِ ذُؤاب وما يَبُوء به إلّا عامرُ ابنُ مالك، مُلاعبُ الأَسِنّة، وأمّا عامر بنُ الطُّفَيْل فلا يَبُوء به، وأنشأ يقول:

لا أَرَى أنّ بالقَتِيل قَتِيلًا ... عامِرِيًّا يَفِى بقَتْلِ ذُؤاب
ليس مَن لاعَبَ الأَسِنّةَ بالنّقْـ ... ـعِ وسُمِّى ملاعِبا بأَرابِ

---

(١) أقعص الفارس: قتله مكانه وأجهز عليه.
(٢) المرازب: جمع مرزبان، وهو الرئيس من الفرس. وسيف مخذم: قاطع.
(٣) فى الأغانى: «صهر».

عامرٌ ليس عامر بن طُفَيــلٍ ... لـكن العَمْرُ رأسُ حَىّ كِلابِ
ذاكَ إنْ أَلْقَهُ أَنال به الوِتْـ ... ـرَ وقَرّتْ به عيُون الصِّحابِ
أوْ يَفُتْنِى فقد سُبِقْتُ بِوِتْرٍ ... مَذْحِجِىٍّ وجَدُّ قَومِىَ كابى
قــد تقنَّصْتُ للضِّباب رجالًا ... وتــكرّمتُ عَن دِماء الضِّبابِ
وأَصَبْنا من الوحيــدِ رِجالًا ... ونفيــلٌ فما أساغُوا شَرابى

وقال أيضا :

يومَ لا مَالَ للمُحارِب فى الحر ... بِ سِوَى نَصْلِ أَسْمَرٍ عَسَّالِ
ودِلاصٍ كالنِّهْىِ ذاتِ فُضولٍ ... ذَاكَ فِى حَلْبَة الحوادِث مالِى[1]
غير أنّى أُولى هوازنَ فى الحرْ ... بِ بِضَرْبِ المتوّج المُختــالِ
وبطَعْن الكَمِىِّ فى حَمَس النَّقْـ ... ـعِ علَى مَتْنِ هَيْكلٍ جوّالٍ[2]

فبلغ قولُه عامرَ بنَ الطُّفيل فأغضبَه ، وقال مُجيباً له :

قل لزَيْدٍ قد كنتَ تُؤثَر بالحِلْـ ... ـمِ إذا سُفِّهتْ حُلومُ الرِّجال[3]
ليس هذا القتيلُ من سَلَفِ الحَـ ... ـىِّ كَلاعٍ ويَحْصُبٍ وكُلالِ[4]
أو بنى آكِلِ المُرارِ ولا صِيـ ... ـدِ بنى جَفْنَةَ الملوكِ الطِّوالِ
وابنُ ماءِ السّماء قد عَلِمَ النّا ... سُ ولا خيرَ فى مقالة غالِ
إنّ فى قتل عامرِ بنِ طُفَيْلٍ ... لبَــواءً لطَىِّء الأَجْبَالِ
إنّنى والّذى يَحُجُّ له النـ ... ـاسُ قليلٌ فى عامرٍ أمثــالى
ولِجام فى رأسِ أجردَ كالجِذْ ... عِ طُوالٍ وأبيَض قَصَّالِ
ولِعَمِّى فَضْلُ الرّياسة والسِّـ ... ـنِّ وجَدِّى على هَوازِنَ عالِ

---

(١) الدلاص : صفة للدرع ، أى لينة ملساء . والنهى : الغدير .
(٢) الهيكل : الضخم . والحمس : الشدة .
(٣) الحلوم : جمع حلم ؛ وهو العقل .
(٤) كلاع ويحصب وكلال : أحياء يمانية .

وكان زيد لمّا بلغه ما كان من الحارث بنِ ظالم وعمرِو بنِ الإطنابة الخزرجيّ ، وهجائه إيّاه ، غَضِبَ لذلك ، وأغارَ على بنى مُرّة ، وأسَرَ الحارثَ بنَ ظالم وزوجتَه[1] ، ثم مَنَّ عليهما .

كان زيدٌ قد أغارَ على بنى فَزارةَ وبنى عبدِ الله بنِ غَطَفانَ ، ورئيسُهم يومئذٍ أبو ضَبّ ، ومع زيدِ الخيل بَطْنان من بَنى نَبْهانَ ، وهما بنو نَصْر وبنو مالك ، فأصابَ وغَنِم ، وساقُوا الغنيمةَ ، ثمّ اقتَسَموا النِّهاب ، فقال زيد : أعطُونى حقَّ الرِّياسة ، فأعطاه بنو نَصْر ، ومَنَعه بنو مالك فغَضِب ، وانْحدَر إلى بنى نَصْر ، فبينا بنو مالكٍ يقْتَسِمون إذ غَشِيَتْهم فَزارة ، واستَنْقَذُوا ما بأَيْدِيهم[2] ، فناداه بنو مالك : وازَيْداه ! أَعِنَّا . فكَرَّ على القوم راجعا ، وقَتَل رئيسَهم أبا ضَبّ ، وأخَذَ ما فى أيديهم ، ودفَعَه إلى بنى مالكٍ ، وقال فى ذلك من أبيات :

لقــد علمتْ نَبْهانُ أَنّى حَمَيْتُها ... وأَنِّى مَنَعْتُ السَّبْىَ أن يتَبَدَّدا
عَشِيَّةَ غادرتُ أبنَ ضَبٍّ كأنَّما ... هَوَى عن عُقابٍ من شَمارِيخ صِمْرِدَا[3]
بذِى شُطَبٍ أغشِى الـكَرِيهة سَلْهَبًا ... أَقَبَّ كسِرْحان الظّلام معوَّدا[4]

كان زيد الخيل قد خرج يطلب نَعَماً لهُ فى بنى بَدْر ، وأغارَ عامرُ بن الطُّفَيل على بنى فَزارَة ، فأخذ امرأةً من بنى بَدْر يقال لها هِنْد ، واستاق نَعَماً ؛ فقال بنو بدرٍ لزيد : ما كنّا قطُّ إلى نَعَمِكَ أحْوَج منّا اليوم ، فتَبِعه زيد الخيـل ، وقد مضى وعامرٌ يقول : يا هِنْد ، ما ظَنُّكِ بالقَوْم ؟ فقالت : ظَنِّى بهم أنهم سَيَطْلُبُونَك ،

---

(١) فى الأغانى : « وامرأته » .

(٢) ا : «ما فى أيديهم » .

(٣) الصمرد : واحد الصماريد ، وهى الأرضون الصلاب .

(٤) السلهب من الخيل : الطويل .

وليسوا نياماً عنك ، فَحَطَأَ(١) عَجُزَها ، ثم قال : لا تقول أَسْتُها شيئاً ، فذهبَتْ مَثَلاً . فأدرَكَه زيدُ الخيل ، فنظر عامرٌ إليه فأنكَرَه لِعُظْمه وجَماله ، وغشيَه زيدٌ فبرز له عامر ، فقال له زيد : يا عامر ، خَلِّ عن الظَّعينة والنَّعَم ، فقال : أَخْبِرْني مَن أنتَ ؟ قال له : فزاريٌّ أنا ، قال عامر : والله ما أنتَ من الفُلْجِ(٢) أَفْوَاهاً ، فقال زيد : خَلِّ عنها ، قال : أو تُخبِرني مَن أنت فتَصْدُقني ؟ قال : أَسَدِيّ ، قال : لا والله ما أنتَ من المتكوِّرين على ظُهورِ الخَيْل ، قال : خَلِّ سبيلَها ، قال : لا ، أوَ تُخبِرني فتصدقني ؟ قال : أنا زيدُ الخيل ، قال : صدقتَ ، فما تريد مِن قتالى ؟ فوالله لو قتلتَنى ليطلبنَّك بنو عامر ولتَذْهَبَنَّ بنو فَزارَة بالذِّكْر ، فقال له زيد : خَلِّ عنها ، قال : تُخَلِّي عَنِّي وأَدَعُك والظَّعينةَ والنَّعَم ؟ قال : أَفْعَل ، وجزَّ ناصيته وأَخَذَ رُمْحَه والنَّعَم وهِنْدًا فردّها إلى بني بَدْر ، وقال زيدٌ في ذلك :

إنّا لنُكثِر في قيسٍ وقائعنَا ... وفي تميمٍ وهذا الحيِّ مِن أَسَدِ
وعامر بنُ طُفَيلٍ قد نحوْتُ له ... صَدْرَ القَناة بماضي الحدِّ مطَّرِدِ
لمّا تيقَّن أنَّ الوَرْدَ مُدْرِكُه ... وصارِماً ورَبِيطَ الجأْشِ ذا لُبَدِ(٣)
نادَى إليَّ بسِلْمٍ بعد ما أَخذَتْ ... منه المَنيّةُ بالحَيْزُوم واللُّغُدِ(٤)
ولو تَصَبَّرَ لي حتّى أُخالِطَه ... أَشْعَرْتُه طَعْنةً تَكْتَنُّ بالزَّبَدِ(٥)

ومضى عامرٌ إلى قومه مَحْزوناً ، فأخبَرَهم الخبرَ ، فغَضِبوا لذلك ، وقالوا :

(١) حطأ عجزها : ضربها على عجزها .
(٢) الفلج : المتباعدو ما بين الأسنان . وفي الأغاني : القلح ، بالقاف والحاء : جمع أقلح ، وهو الذي في أسنانه صفرة .
(٣) الورد : من أسماء الأسد ، يريد الشجاع .
(٤) اللغد : لحمة في العنق . والحيزوم : وسط الصدر .
(٥) تكتن بالزبد : تستتر به . وفي الأغاني : « تكتار » ؛ أي تجيش وترمي .

لا نذوقُ وَسَناً(١) أبدا ، وتجهّزوا ليَغزُوا على طيّئ ، ورأّسُوا عليهمْ علقمةَ بن عُلاثة ، فخرجوا ومعهم الُحطيئة وكعبُ بنُ زهير .

فبعث عامرٌ إلى زيد الخيلِ دَسِيساً يُنذِره ، فجمع زيدٌ قومَه فلقيَهم بالمَضِيق ، فقاتَلَهم ، وأسَرَ الحطيئة وكعبَ بنَ زهير وقوماً منهم ، فحبَسَهم ، فلمّا طال عليهم الحبْسُ والأَسْرُ ، قالوا : يازَيد ، فادِنا . قال : الأمرُ إلى عامرِ بنِ الطُّفيل ، فأبَوْا ذلك عليه ، فوهَبَهم لعامرٍ إلّا الُحطيئةَ وكَعْبا ، فأعطاه كعبٌ فرسَه الكُمَيت ، وشكا إليه الُحطيئةُ الحاجةَ ؛ فمَنّ عليه ، وقال زيد :

أقـول لعَبْدِي جَرْوَلٍ إذْ أسَرْتُه ... أَثِبْنِي ولا يَغرُرْكَ أنّكَ شاعِرُ
أنا الفارسُ الحامِى الحقيقةَ والّذى ... له المَكرُماتُ واللُّها والمَآثِرُ(٢)
وقَومِى رُءوسُ النّاس والرأسُ قائدٌ ... إذا الحرْب شبّتْها الأكُفُّ المَساعِرُ
ولستُ إذا ما المَوْتُ حُوذِرَ وِرْدُه ... وأُتْرِعَ حَوْضاه وحَمَّج ناظِـرُ(٣)
بوَقّافـةٍ يخشى الحتوفَ تهيُّباً ... يباعِدُنى عنها من القُبِّ ضامِرُ(٤)
ولـكنّنى أَغْشَى الُحتوفَ وصَعْدَتى ... مجاهِرةً إنّ الشُّجاعَ مجاهِرُ(٥)
وأُروِى سِنانى مِنْ دمـاء عزيزةٍ ... على أهلها إذ لا تُرَجَّى الأَياصِرُ(٦)

فقال الحطيئة :

فإلّا يــكن مالِى بآتٍ فإنَّـه ... سيأتى ثَنائى زَيْداً بنَ مُهَلْهِلِ

(١) الوسن: النوم ؛ أرادأنهم لا ينامون عن ثأرهم .
(٢) اللها : العطايا .
(٣) التحميج : تحديد النظر .
(٤) القب : جمع أقب ؛ وهو من الخيل الدقيق الخصر .
(٥) الصعدة : القناة المستوية . وفى الأغانى : « إن الكريم يجاهر » .
(٦) الأياصر : القرابات ؛ وما يعطفك على رجل من رحم أو صهر .

وأُعطِيتَ منّا الوُدَّ يومَ لقيتَنَا ... ومنْ آلِ بَدْرٍ شِدَّةً لم تُهَلْهَلِ
فما نِلتنا غَدْراً ولكنْ صَبَحْتَنَا ... غداةَ التَقَيْنا فى المَضِيقِ بأَخْيَلِ [١]
تَفَادَى حُماةُ الخَيْلِ مِنْ وَقْعِ رمْحِهِ ... تَفَادِيَ ضِعافِ الطَّيْرِ من وَقْعِ أجدَلِ [٢]

وقال الحطيئةُ فيه [أيضا] [٣] :

وقَمْتَ بعَبْسٍ ثمّ أنعمتَ عنهمُ [٤] ... ومِن آلِ بدرٍ قد أصبتَ الأَخايِرا
فإنْ يَشْكروا فالشكرُ أَدْنَى من التُّقَى ... وإن يكفروا لم أُلْفَ يا زيدُ كافرا
تركتَ المياهَ من تميمٍ بلاقِعاً ... بها قد تَرَى منهم حُلُولا كَرَاكِرَا [٥]
وحَيُّ سُلَيْمٍ قد أَبَرْتَ شَرِيدَهُمْ ... وبالأَمْسِ ما قتّلتَ يا زيدُ عامرا

فرضيَ عنه زيدٌ لمّا قال هذا الشِّعرَ فيه ، وعَدَّ ذلك ثَواباً من الُحطيئة وقَبِلَه ، فلمّا رجعَ الحطيئةُ إلى قومه أقام فيهم حامداً لِزَيدٍ ، شاكرا لنِعمتَه ، حتى أسرتْ بنو طَيِّئٍ بنى بدْر ، فطلبتْ فزَارةُ وأَفْنَاءُ قيس إلى شعراء العرب أن يَهْجُوا بنى لأمٍ وزيداً ، فتَحامَتْهم شُعراءُ العرَب ، وامتنعتْ من هجائِهم ، فأتَوْا إلى الحطيئة فأَبَى عليهم ، وقال : اطلُبوا غيرى ، فقد حَقَن دمى ، وأطلَقَنِى بغيرِ فداء، فلست بكافرٍ نعمتَهُ أبداً . فقالوا : نُعطِيك مائةَ ناقة ، فقال : والله لو جعلتموها أَلْفا لمَا فعلتُ ذلك أبداً ، وقال :

كيف الهِجاءُ وما تَنفَكُّ صالِحةً ... لآلِ لأْمٍ بظَهْرِ الغَيْبِ تأْتِينَا [٦]

---

(١) الأخيل : طائر يتشاءم به ؛ واسمه الشقراق .
(٢) الأجدل : الصقر .
(٣) من الأغانى .
(٤) الأغانى : « فيهم » .
(٥) الكراكر : الجماعات ؛ واحدها كركرة .
(٦) فى الأغانى : « من آل لأم » .

المنعمين أقامَ العزَّ وسطَهُمُ   بيضُ الوجوهِ وفى الهَيْجا مَطاعِينا[١]

وقيل : إنّ الُحطيئة إنّما أُسِر لمّا خرج مع بُجَير بنِ زهير لاُصطياد الوَحْش ، فلقِيَهم زيدُ الخيل فأسرَهم ، فافتَدَى بُجَير نفسَه بفَرس كانت لأخيه كعب ، وكعب يومئذ مجاورٌ فى بنى مِلْقَط من طَيّ ، وشكا إليه الحطيئةُ الفاقةَ ، فأطاقَه .

وكان حُرَيثُ بنُ زيدِ الخيل شاعرا ، فبعثَ عمرُ بنُ الخطّاب رضى الله عنه رجلا من قريش يقال له : أبو سفيانَ يستقرئُ أهلَ البادية ، فمَنْ لم يقرأ شيئاً من القرآن عاقَبه ، فنزل بمحِلّةٍ لبنى بَنْهانَ ، فاستقرأ ابنَ عمٍّ لزيد الخيل يقال له : أَوْس بنُ خالد بن يزيد[٢] بن منْهَب ، فلَم يقرأْ شيئا ، فضربَه فمات ، فقامت ابنتُه أمّ أَوْس تندُبه ، وأقبل حُرَيث بنُ زيد الخيل ، فأُخبِر به ، فأخَذَ الرُّمح وشدَّ على أبى سفيان فطعَنه فقَتَله ، وقتَل ناساً من أصحابه ، ثمّ هرَب إلى الشام ، فقال فى ذلك :

ألا بَكر النّاعى بأَوْسِ بنِ خالدٍ   أخى الشّتْوَة الغَبْراء والزَّمَنِ المَحْلِ
فلا تَجزعى يا أمَّ أَوْسٍ فإنّه   تُصيبُ المَنَايا كلَّ حافٍ وذى نَعْلِ
فإن يَقتلوا أوساً عزيزا فإنّنى   تركتُ أبا سُفْيانَ ملتزِمَ الرَّحْلِ
فلولا الأَسَى ماعِشْتُ فى النّاس بعدَه   ولكنْ إذا ما شئتُ جاوَبَنى مِثْلى
أصبنا به منهمْ من القَوْمِ سَبْعَةً   كراماً ولم نأْكُلْ بهمْ حَشَفَ النَّخْلِ

---

(١) كذا فى الأصول والأغانى . والوجه : « مطاعين » ؛ ويكون فى البيت إقواء .

(٢) كذا فى الأصول ، وفى الأغانى : « زيد » .

الزبير بن العوام*

هو الزُّبير بنُ العوّام بنِ خُوَيلد بن أسد بنِ عبدِ العُزّى بنِ قصيّ بن كلاب ، يذكَر هاهنا مَقتَله .

حدّث قتادةُ قال : سار أميرُ المؤمنين عليُّ بنُ أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ من الزّاوِيَة[1] ، يريد طلحةَ والزبيرَ وعائشة ، وساروا من الفُرْضة يريدونه ، فالتقَوْا عند قَصْر عُبَيْدِ اللهِ بن زياد في يوم الخميس ، النصف من جُمادى الآخرة سنة ستٍّ وثلاثين ، فلمّا تراءى الجمْعان خرج الزُّبير على فرسٍ له وعليه سلاحُه ، فقيل لعليٍّ ـ رضي الله عنه ـ[2] : هذا الزُّبَيْر ، فقال : أمَا إنّه أحْرَى الرَّجُلين إن ذُكِّرَ بالله أن يذكُرَه ، وخرج طلحةُ وخرج عليٌّ إليهما ، فدنا منهما حتّى التفّتْ أعناقُ خَيْلِهما[3] ، فقال لهما : لعمري لقد أعددْتُما خيلا ورجالا ؛ إن كنتما أعدَدْتُما عند الله تعالى عُذْرا ، فاتَّقِيا اللهَ ، ولا تكونا كالّتي نَقَضَتْ غَزْلَها من بعد قُوّةٍ أنكاثا ؛ ألم أكن أخاكما في دِينكما تحرِّمان دَمِي وأحرِّم دَمَكما ! فهل مِن حَدَثٍ أحلّ لكما دَمي ؟ فقال طلحة : أَلَّبْتَ الناسَ على عثمان ، فقال : يا طلحة ، أتطلُبني بدم عثمان ! فلعَنَ اللهُ قتَلَةَ عثمان ! يا زُبير ، أتذْكر يومَ برزت مع رسولِ الله صلّى اللهُ عليه وسلّم في بني غَنْم ، فنظر إليَّ وضحك وضحكتُ إليه ، فقلتَ : لا يَدَع ابنُ أبي طالب زَهْوَه ! فقال : مَهْ ! ليس بمَزْهوٍ ، ولتُقاتلنّه وأنت ظالمٌ له ؟ فقال : اللهمّ نعم ! فلو ذكرتُ ما سرتُ مسيري هذا ، واللهِ لا أُقاتلك أبدا .

---

* ترجمته في الأغاني ١٦ : ١٢٦ ـ ١٣٠ (الساسي) .

(١) كذا في الأغاني؛ والزاوية تطلق على عدة مواضع ، منها موضع قرب البصرة ، وقرية بين واسط والبصرة وفي الأصول : « الزابرية » تحريف .

(٢) كذا في ب ، ج ، وفي ا : « عليه السلام » .

(٣) ا : « دوابهما » . وفي الأغاني : « حتى اختلفت أعناق دوابهم » .

فانصرَف عليٌّ إلى أصحابه فقال : أمّا الزبيرُ فقد أعْطَى اللهَ عهداً ألّا يقاتِلَنِي ، ورجَع الزّبيرُ إلى عائشة فقال لها : ما كنتُ في مَوْطنٍ منذ عَقَلتُ إلّا وأنا أعرِف فيه أمرِي غيرَ موطني هذا .

قالت: وما تُريد أن أصنَع ؟ قال: أَدَعُهم وأذهب ، فقال له ابنُه عبد الله : أجَمَعْتَ بين هذين الغارَيْن[1] حتى إذا حَرَدَ[2] بعضهم لبعض ، أردتَ أن تذهَب وتترُكَهم! أخشيتَ رايات ابن أبي طالب ، وعلمتَ أنّها تَحمِلها الفِتْيةُ الأَنْجاد ! فأحفَظَه ذلك .
فقال : إنّي حلفتُ ألّا أقاتِلَه ، قال : كفِّرْ عن يمينِك وقاتِلْه؛ فدعا غلاماً له يُدْعَى مكحولا ، فأعتقه[3] ، فقال عبدُ الرحمن بنُ سليمانَ التَّيْمِيُّ في ذلك :

لَم أرَ كاليومِ أخاَ إخوانِ ... أعجَبَ مِن مكفِّرِ الأَيْمانِ
* بالعِتْقِ في مَعْصِيةِ الرَّحمٰن *

وقال بعض شعرائهم :

يُعتِق مكحولًا لصَوْنِ دِينِهِ ... كفّارَةً باللهِ عن يمينِـــهِ[4]
* والنَّـكْثُ قد لاحَ على جَبِينِهِ *

مَرَّ الزُّبيرُ ببني حمّاد فدعَوْه إلى أنفسِهم ، فقال : اكفُوني خَيرَكم وشرَّكم ، وواللهِ ما كفَوْه[5] خيرَهم وشرَّهم .

ومضى ابنُ فَرْتَنَى إلى الأحنف ، فقال: هذا الزُّبير ، فقال الأحنف : وما أصنَع به !

---

(١) الغار هنا : الجماعة ، وانظر النهاية لابن الأثير ٣ : ١٧٥ وفي الأصول : « العارين » ، بالمهملة تحريف .
(٢) حرد : قصد .
(٣) كذا في الأغاني ، وفي الأصول : « فعتقه » .
(٤) كذا في الأصول ، وفي الأغاني : « كفارة لله » .
(٥) في الأغاني : « فقال عوف : فوالله ما كفوه » ، وعوف راوي الخبر .

جمع بين غارَيْن من المسلمين ، يَقتُل بعضُهم بعضا ، ثم يريد أن يَلْحَق بأهله . فقام عمرو بن جُرموز وفَضالةُ بنُ حابس ونُفَيعُ بنُ كعب ، فلحقوه بالعِرْق ، فقُتِلَ ؛ قتله ابنُ جُرْموز قبل أن يَنتهيَ إلى عياض .

وكان عليٌّ رضي الله عنه قد أرسل ابنَ عبّاس إلى ابن الزّبير فقال له : يقول لك عليّ : نَشَدْتُك الله ! ألستَ بايَعْتَنِي طائعا غير مكرَهٍ ! فما الّذي أحدثْتُ فاستحللْتَ به قتالي ؟ هل نقِمْتُماَ عليَّ جَوْرا في حُكْم أو استئثاراً بفَيْء ؟ فقالا : لا ، ولا واحدةً منهما، ولكن الخوف وشدّة المطامع .

قال ابنُ عبّاس : فأتيتُ عليّا ، فأخبرتُه بما قال ابن الزبير، فدعا بالبغلة فركبَها واجتمعوا ، ورجع الزبير ؛ فنادى مُنادِي عليٍّ رضي الله عنه : ألا لا تُقاتِلوا القومَ حتّى يَستشهِدوا منكمْ رجلا ، فما لبث أن أُتِيَ برجلٍ يَتشحّط في دَمه ، فقال عليّ : اللهم (١) اشهد ، اللهمّ اشهد . وأمر النّاس فشَدُّوا عليهم ، وأمرَ الصُّرّاخَ فصرخوا : ألا لا تُذَفِّفوا(٢) على جَريح ، ولا تَتبعوا مدبِراً ، ولا تَقتُلوا أسيراً .

جاء عمْرو بنُ جُرْموز قاتلُ الزُّبير إلى مصعبٍ حتّى وَضَع يدَه في يده ، فقذَفه في السِّجن ، وكتب إلى عبد الله بن الزُّبير يَذكُر له أمرَه ، فكتب إليه عبدُ الله : بئسَ ما صنعتَ ! أظننتَ أنّي أقتُل أعرابيًّا من بني تميم بالزُّبير ! خلِّ سبيلَه ، فخلّاه .

وقُتِل الزبيرُ وهو ابن سبعٍ وستّين ـ أو ستٍّ وستّين ـ فقالت عاتكةُ بنتُ زَيْد بن عمرِو بن نُفَيْل ترثيه :

غَدَرَ ابنُ جُرْمزٍ بفارسِ بُهْمَةٍ ... يَوْمَ اللِّقاء وكان غيرَ مُعَرِّدِ(٣)

---

(١) ساقطة من ب .
(٢) ذفف على الجريح : أجهز عليه .
(٣) البهمة : الشجاع ، ويراد بالبهمة هنا الجيش . والمعرد : الهارب المحجم عن قومه.

يا عمـــرُو لو نبّهْتَه لوجدتَه ... لا طائشا رَعِشَ الجنانِ ولا اليَدِ
شَـــلَّتْ يمينُك إنْ قتلتَ لمسلمـــاً ... وجبتْ عليكَ عقوبةُ المتعمِّدِ(١)
إنَّ الزُّبيرَ لذو بـــلاءٍ صـادقٍ ... سمـحٌ سَجّيتُه كريمُ المَشْهَدِ
كم غَمْرةٍ قد خاضَها لم يَثْنِهِ ... عنها طِرادُك يا بن فَقْـــعِ القَرْدَدِ(٢)
فاذهبْ فما ظَفِرتْ يـــداكَ بمثـــلِه ... فيما مضَى ممّا يَرُوح ويغتدِى

وكانت عاتـكةُ قبلَ الزُّبير عند عبدِ الله بنِ أبى بكر، وكانت امرأةً لها جمالٌ وكمالٌ وتمامٌ فى عَقلِها ومَنظرِها وجزالةِ رأيِها؛ فـكانت قد غلبتْه على رأيه، فمرّ عليها أبو بكر أبوه وهو فى عِلِّيَّـةٍ(٣) يُداعِبُها فى يوم جمعة، وهو متوجِّه إلى الجُمُعة، ثم رَجَع وهو يُداعِبها(٤)، فقال: يا عبدَ الله، أجمَّعْتَ؟ قال: أوَصَلَّى الناسُ؟ قال: نعم، قال: وكانت قد شغلتْه عن سوقٍ وعن تجارةٍ كان فيها.

فقال له أبو بكرٍ رضى الله عنـــه: قد شغلتْك عاتـكةُ عن المَعاش والتِّجارة، وألهتْك عن فرائضِ اللهِ تعالى؛ طلِّقْها، فطلَّقَها تطليقةً، وتحوّلتْ إلى جانب الدّار؛ فبَيْنَا أبو بكر يصلِّى على سَطْحٍ له فى الدّار(٥) إذ سمعَه يقول:

أعاتِكَ لا أنساكِ ما ذَرَّ شارِقٌ ... وما ناحَ قُمْرِيُّ الحَمامِ المطوَّقُ
أعاتِكَ قلبى كلَّ يومٍ وليلةٍ ... إليكِ بما تُخفِى النّفوسُ معلَّقُ
لها خُلُقٌ جَزْلٌ ورأىٌ ومنطِقٌ ... وخَلْقٌ سَواءٌ فى حياءٍ، ومَصْدَقُ
فلَمْ أرَ مِثْلِى طَلَّقَ اليومَ مِثْلَها ... ولا مِثْلَها فى غيرِ شىءٍ تُطَلَّقُ

---

(١) فى الأغانى: « عقوبة المستشهد ».
(٢) الفقع: نوع من الكمأة. والقردد المستوى. ويقال للذليل: فقع قرقرة، وفقع القردد.
(٣) العلية، بكسر العين وضمها: بيت منفصل عن الأرض.
(٤) ا والأغانى: « يناغيها ».
(٥) فى الأغانى: « فى الليل ».

فسمع أبو بكر رضى الله عنه قولَه ، فأشرَف عليه ، وقد رَقَّ له ، وقال : يا عبدَ الله ، راجعْ عاتكة ، فقال : أُشهِدك أنّى قد راجعْتُها . وأَشرَف على غلامٍ له يقال له : أَيْمَن ، فقال : يا أَيْمَن ، أُشهِدك أنّك حُرٌّ لوجه الله تعالى ، أُشهِدك أنّى قد راجعتُ عاتكة ، ثمّ خرج يَجرِى إليها إلى مؤخر الدّار ؛ وهو يقول :

أعاتِكَ قد طُلِّقْتِ فى غير رِيبةٍ ... وروجِعْتِ للأَمْر الّذى هو كائنُ

كذلك أمرُ اللهِ غادٍ ورائحٌ ... على النّاس فيه أُلْفَةٌ وتَباينُ

وما زال قلبى للتفرُّق طائراً ... فقلبى لما قَرَّتْ به العَيْنُ ساكِنُ[1]

ليَهْنِك أنّى لم أجِدْ فيكِ سَخْطَةً ... وأنّكِ قد تَمّتْ عليكِ المَحاسِنُ

وأنّكِ ممّن زَيَّنَ اللهُ وجهَه ... وليس لوجهٍ زَيَّنَ اللهُ شائنُ

وأعطاها حديقةً حين راجَعَها على ألّا تتزوَّجَ أحداً بعده ، فلمّا مات بالسّهم الّذى أصابَه بالطائف أنشأتْ تقول :

فللَّه عَيْنَا من رَأى مِثله فَتًى ... أكَرَّ وأَحمَى فى الهِياجِ وأصبَرا

إذا شرعتْ فيه الأَسِنّةُ خاضَها ... إلى المَوْت حتى يَترُكَ الرّمحَ أحمَرا

فأقسمتُ لا تنفَكُّ عينى سخينةً ... عليكَ ، ولا ينفكُّ جِلْدِىَ أغبَرَا

مَدَى الدّهرِ ماغَنّتْ حمامةُ أَيكَةٍ ... وما طَرَدَ اللَّيلُ الصَّباحَ المنوّرا

فخطبها عمرُ رضى الله عنه ، فقالت : قد كان أعطانى حديقةً على ألّا أتزوّجَ بعدَه . فقال لها : استَفْتِى ، فاستفتتْ أميرَ المؤمنين علىَّ بنَ أبى طالب — رضى الله عنه — ، فقال لها : رُدِّى الحديقةَ على أهله وتزوَّجى ، فتزوّجتْ عمرَ رضى الله عنه ، فسَيَّرَ[2] عمرُ إلى عِدّةٍ من أَصحابِ رسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم ، منهم[3] علىُّ بنُ

(١) فى الأغانى : « وقلبى لما قد قرب الله ساكن » .

(٢) فى الأغانى : « فسرح » .

(٣) فى الأغانى : « فيهم » .

أبى طالب ـ رضى الله عنه ـ فدعاهم لمّا بَنَى بها ، فقال له علىّ : إنّ لى إلى عاتكة حاجةً أريد أن أكلّمها ، فقل لها تَستتر ، فقال لها عمر : تستّرِى ياعاتكةُ ، فإنّ علىَّ ابنَ أبى طالب يريد أن يُكلِّمك ، فأخذتْ عليها مِرْطَها[1] ، فلَم يَظهر منها إلّا مابدا من بَراجِمِها[2] ، فقال : ياعاتكة :

فأقسمتُ لا تَنفكُّ عينِى سَخِينةً ... عليكِ ولا ينفَكُّ جلدِىَ أَغْبرَا

فقال له عمر : يرحَمُك الله ؛ ما أردتَ إلى هذا ! فقال علىّ : وما أرادت[3] أن تقول مالا تفعل ؟ وقد قال الله تعالى : ﴿ كَبُرَ مَقْتاً عِنْدَ اللهِ أَنْ تَقُولُوا مَالَا تَفْعَلُون ﴾[4] ، فهذا شىء كان فى نفسى ، أحببتُ أن يَخرُج ، فقال عمر : ما حَسَّنَ اللهُ فهو حَسَن .

فلمّا قُتِل عمرُ رضى الله عنه ، قالت ترثيه :

عَيْنُ جُودى بعَـبْرةٍ ونَحيبِ ... لا تَمَلِّى على الإمام النَّجيبِ
فجعَتْنا المُنونُ بالفارسِ المُعْـ ... ـلِم يومَ الهيـاج والتَّلْبيبِ[5]
عصمةِ اللهِ والمُعِينِ على الدَّهْـ ... ـرِ ، غياثِ المُنْتابِ والمَحْرُوبِ[6]
قلْ لأهلِ الضَّرّاءِ والبُؤسِ مُوتُوا ... قد سَقَتْه المَنونُ كأسَ شَعوبِ[7]

---

(١) المرط : كساء من صوف أو خز .
(٢) البراجم : مفاصل الأصابع ، إذا قبض الشخص كفه نشزت وارتفعت .
(٣) فى الأغانى : « وما أرادت إلى أن تقول » .
(٤) سورة الصف ٣ .
(٥) فى الأغانى : « فجعتنا الحتوف » .
(٦) المنتاب : الذى يأتى للطلب نوبة بعد نوبة ؛ والمحروب : المسلوب ماله .
(٧) شعوب : اسم المنية .

فلمّا أنقضَتْ عِدّتُها خطبَها الزُّبيرُ بنُ العوّام ، فتزوّجها ، فلمّا ملَكَها قال لها : ياعاتكة لا تخرُجي إلى المسجد ـ وكانت أمرأةً عَجْزاء بادِنةً ـ فقالت : يابنَ العوّام ، أتُريدُ أن أَدَعَ لغَيْرَتِك مصلًّى صَلّيْتُ فيه مع رسولِ الله صلَّى الله عليه وسلّم ، وأبي بكر ، وعمرَ رضي الله عنهما !

قال : فإنِّي لا أمنَعُك . فلمّا سمع النداءَ لصلاة الصُّبح يوما خرج فقام لها في سَقيفةِ بني ساعدة ، فلمّا مرّت به ضَربَ بيَدِه على عَجيزَتِها فقالت : مالَكَ قَطَع اللهُ يدَك ! ورجعتْ ، فلمّا رجع الزُّبيرُ من المسجد قال : ياعاتكة ، مالي لَمْ أرَكِ في مُصَلّاكِ ؟ قالت : يرحَمُك الله أبا عبدِ الله ! فسدَ النّاسُ بعدَك الصلاةُ في القَيْطونِ(١) اليومَ أفضلُ منها في البيت ، وفي البيت أفضلُ منها في الُحجْرة ؛ فلمّا قُتِل عنها الزُّبير بوادي السِّباع قالت ترْثيه :

* غَدَرَ ابنُ جُرْموزٍ بفارسِ بُهْمَةٍ *

الأبيات المتقدِّمة .

فلمّا أنقضتْ عِدَّتُها تزوّجها الحسينُ بنُ عليٍّ رضي الله عنهما ، فكانت أوّل من رَفَع خدَّه عن التّراب يومَ قُتِل ؛ وقالت ترْثيه :

واحُسَيْناً ! ولا نسيتُ حُسَيْناً أقْصَدَتْه أسنّةُ الأَعْداءِ(٢)
غادروه بكَرْبَلاءَ صَرِيعاً جادت المُزْنُ في ذَرَى كَرْبلاءِ(٣)

ثم تأيَّمَتْ(٤) بعد ذلك ، وكان عبدُ الله بنُ عمرَ يقول : من أراد الشَّهادة فليتزوّجْ عاتكة ، وكان مروانُ قد خَطَبها بعدَ الحسين فامتنعتْ عليه ، وقالت :

---

(١) القيطون : المخدع .
(٢) يقال : أقصد السهم فلانا ، إذا طعنه فلم يخطئه .
(٣) الذرى هنا : الفناء .
(٤) تأيمت : مكثت ولم تتزوج .

ما كنت متّخِذةً حَمْواً(١) بعد رَسولِ اللهِ صلّى الله عليه وسلّم . وكان أميرُ المؤمنين عليُّ بن أبى طالب رضوان الله عليه ، قد خطب عاتكةَ لَمَا قُتِل الزُّبير ، فقالت : إنّى لأضَنُّ بك يا بنَ عمِّ رسولِ الله عن القتل .

اجتَمع فتيةٌ من قُريش ببَطْن مُحَسِّر يتذاكرون الأحاديث ، ويتناشدون [الأشعار](٢) ، فأقبل طويس ، وعليه قميصٌ قُوهيٌّ(٣) ، وحبرَة قد ارتَدَى بها ، وهو يَخْطِر فى مِشْيَتِه ، فجلس ، فقال له القوم : يا أبا عبد النّعيم(٤) ، غنِّنا شعراً مليحاً له حديث طَرِيف ، فغنّاهم شعرَ عاتكةَ بنتِ زيد ، ترثِى عمرَ رضىَ الله عنه :

مُنِـع الرُّقادُ فعـاد عينىَ عِيدُ ... ممّا تضمَّنَ قلبىَ المَعْمودُ
ياليلةً نَحستْ علىَّ نُجومُها ... فَسَهِرْتُها والسّاهِرون رُقودُ(٥)
قد كان يُسهِرنى حذارُكِ مَرَّةً ... واليوم حقَّ لعينىَ التَّسْهيدُ
أبكِى أميرَ المؤمنين ودُونَه ... للزّائِرين صفائحٌ وصَعِيدُ

فقال له القوم : لِمَن هذا الشِّعرُ ؟ فقال : لأجملِ خَلْقِ الله وأشأمِ خلقِ الله ، فقالوا : بأنفسِنا أنتَ ؛ لِمَن هذا ؟ قال : والله من لا يُجهَل نسبُها ، ولا يُدفَع شرفُها ، تزوّجتْ بابنِ خليفةِ رسول الله ؛ وثنّت بخليفة خليفة رسول الله ، وثلثت بحوارىّ رسول الله ، وربّعت بابن رسول الله ، وكلّا قتلت ، فقالوا : جعلنا الله فداك ! من هذه ؟ فإنّ أمرَها لعَجَب ! قال : عاتكةُ بنتُ زيد . قالوا : نَعَمْ ، هىَ على

(١) كذا فى ا ، وفى الأغانى : « حما » ، وهما سواء .
(٢) تكملة من الأغانى .
(٣) الثياب القوهية : ثياب بيض ، معروفة ، تنسب إلى قوهستان .
(٤) فى الأغانى : « يا أبا عبد الله » .
(٥) كذا فى الأصول ، وفى الأغانى : « حبست على نجومها » .

ما وَصَفْتَ ، قوموا بنا لا يُدْرِكْ شؤمُها مَجْلِسَنا(١) ، فقال طُوَيس : إنّ شؤمَها قد مات معها . قالوا : واللهِ أنتَ أعلَمُ منّا .

ولم يزَلَ السهمُ الّذى أصاب عبدَ الله بن أبى بكر محفوظاً عند أبيه أبى بكر رضى الله عنه حتى قَدِم وفدُ ثقيف ، فأَخرج السهمَ ، فقال : مَن يعرف هذا منكم ؟ فقال سعيدُ بنُ عُبيد من بنى علاج : هذا سَهْمى أنا رِشْتُه ، وبَرَيْتُه وعَقَبْتُه(٢) ، وأنا رَمَيْتُ به يومَ الطّائف .

فقال أبو بكر : فهذا السّهمُ الّذى قَتَل عبدَ الله ، والحمد لله الّذى أكرمَه بيدِك ، ولَم يُهِنْكَ بيدِه .

---

(١) ا ، والأغانى : « لا يدرك مجلسنا شؤمها » .

(٢) عقب السهم والقوس : لوى شيئا من العقب عليها .

الزبيرُ بنُ دَحْمان*

يُذكَر نسبهُ فى ترجمة أبيه فى حرف العين ؛ لأنّ اسم أبيه عبد الرحمن ؛ وهو دَحْمان الأشقر ، أبوه مولَى بنى لَيْث بنِ بكرِ بنِ عبد مَناة .

كان الزُّبيرُ من المحسِنين المتقدِّمين فى الصَّنْعة ، قَدِم على الرّشيد من الحجاز ، وكان المُغَنُّون فى إيّامه حِزْبَين ، وكان الزبيرُ فى حِزْب إسحاق ، وأخوه عُبيدُ الله فى حزب إبراهيمَ بن المهدىّ ، فلمّا قَدِم الزبيرُ من الحجاز على الرّشيد ، قدِمَ رجلٌ ماشئتَ عَقْلا ونُبْلا ، وأَدَباً ودِينا ، وسُكونا ووَقاراً ، وكان أبوه قبله كذلك . وقدِم معه أخوه عُبيد الله .

قال إسحاق بنُ إبراهيم : فلمّا جلسْنا مع الرّشيد تخيّلتُ فى الزّبير الفَضْل ، فقلتُ لأبى : يا أَبَهْ[1] ما أَخْلَقَ الزُّبير بالفَضْل ، وأن يكون أفضلَ من أخيه !

فقال : هذا لا يجىء بالظّن والتّخمين[2] ، والجواد إنّما يُمتَحن فى المَيْدان . فقلتُ : إنّ الجوادَ عَيْنُه فُراره[3] ، فضَحِك وقال : نَنظُر فى فِراستِك ، فلمّا غنّينا بانَ فضلُ الزُّبير وتقدُّمُه ، فاصطفَيْناه لأنفسنا ، وقرّظْناه ووصَفْناه ، وصار فى حِزْبِنا .

وغنَّى الرشيدَ غناءً كثيرا من غِناء المتقدِّمين ، فأجادَ وأَحسن .

وسأله الرشيدُ أن يغنِّيه شيئا من صنْعته ، فتَلوَّى وقال : قد سمعَ أميرُ المؤمنين

---

* ترجمته فى الأغانى ١٧ : ٧٣–٧٨ (ساسى) .

(١) فى الأغانى : « يا أبت » .

(٢) فى الأغانى : « التخيل » .

(٣) فراره ، مثلثة الفاء ، أى يغنيك شخصه ومنظره عن أن تختبره وأن تفر أسنانه .

غناء الحُذّاق ، فما عسى أن يأتىَ من صنعتى ! فأَقسم عليـه أن يغنيِّـه من صنعته ، وجدّ به فغنّاه :

ارحَلَا صاحِبَىَّ حانَ الرَّحيلُ وأُبكيانِي فليسَ تَبكِى الطُّلولُ
قد تولّى النهارُ ، وانقضت الشّمـ ـسُ يَميناً ، وحانَ منهـا أُفُولُ

فسمعنا صنعةً حسنةً ، لا مَطعَن عليهـا ، فطَرِب الرّشيدُ ، واستعاده ثلاث مرّات ، وأمر له بثلاثين ألف درهم ، ولأخيه بعشرين ألف درهم .

قال إسحاق : فقلتُ لأبى : يا أبهْ ، كيف كانت صنعةُ عبيد الله ؟ قال : أنا أُجمل لك القول ، لو كان الزبيرُ مملوكاً لاشتريته بعشرين ألف دينار ، ولو كان عُبيد الله مملوكاً لما طابت نفسى أن أشترَيه بعشرين دينارا ، فقلت له: قد أجبتَـنِي بما يكفينى .

وكان غناء دَحمانَ يُشبِه غِناء ابنه عبدِ الله ، والزبيرُ يَفضُل عليهما فضلا بعيدا.

كَتَب الرشيدُ فى إشخاص الزُّبير بنِ دَحْمانَ إلى مدينة السّلام[1] فوافاها ، واتّفق قدومه فى وقت يخرج الرشيـد إلى الرَّىِّ لمحارَبة بِندار هُرْمز أَصْبهبذ[2] بطبَرستان ، فأقام الزّبيرُ بمدينة السّلام إلى أن عـاد الرّشيد ، فدخل عليه فى الشمّاسيّة[3] ، فغنّاه فى أوّل غنائه :

ألا إنّ حِزْب اللهِ ليس بمعجزِ وأنصاره فى مَنْعـةِ المتحرِّزِ
أبَى اللهُ أن يُعْصَى لهـا دونَ أمره وذَلّت له طَوْعا يَـدُ المتعزِّزِ
إذا الرّايةُ السّوداء راحتْ أو اغتدتْ إلى هاربٍ منها ، فليس بمُعجِزِ

---

(١) مدينة السلام : هى بغداد .

(٢) الإصبهبذ : اسم لملوك طبرستان . الألفاظ الفارسية ١٠٧ . وفى الأغانى : « أصبهبذ طبرستان » .

(٣) فى الأغانى: « فلما قدم دخل عليه بالخيزرانية وهو الموضع الذى يعرف بالشماسية ... » .

أطاعتْ لهادونَ الهُداة لَدَى الوَغَى ... وكبّر للإسلام بنـدارُ هُرْمُزِ[١]

قيل : إنّ هـذا الشعر للزُّبير بنِ دَحْمان ، والصحيح أنّه لأبي العَتاهيةِ ، فاستحسَنَ الرشيدُ الشعرَ والغِناء ، وأمر له بألفِ دينار ، فدُفِعتْ إليه ، فمكث ساعةً[٢] وغنى صوتا ثانيا :

وأحْوَرَ كالغُصن يَشفِي السَّقامَ ... ويَحْـكِي الغـزالَ إذا ما رَنَا
شربتُ المُدامَ على وجهِـه ... وعاطيتُه الـكأسَ حتّى انْثَنَى
وقلتُ مـديحاً أُرَجِّى بـه ... من الأَجْرِ حظًّا ونَيْـل الغِنى
وأغْنِى بذاكَ الإمامَ الّـذى ... بـه اللهُ أعطَى العباد المُنَى

فما فرَغ من الصوت حتّى أَمَر له بألف دينار أخرى ، فأخَذَها ، وخَفَّ على قلبه، واستظرفه ، فأغناه فى أيّام يسيرة .

كان الرّشيد بعد قَتْلِ البرامكة شديدَ الأسف عليهم ، والنَّدَم على ما فعل بهم [٣]ففطن لذلك الزبير بن دحمان ؛ فكان يغنّيه فى هذا المعنى ويحرّكه ، فغنّاه يوما فى شعر امرأة من بنى أسد[٣] :

مَن للخُصوم إذا جَدّ الخِصَامُ بهمْ ... يومَ الجِدالِ ومَن للضُّمَّر القُودِ[٤]
وموقفٍ قد كَفيتَ الناطِقين بـه ... فى مَجمَعٍ من نَواصِى النّاس مشهود[٥]
فرّجْته بلسانٍ غيرِ ملتَبِسٍ ... عند الحِفاظ وقلبٍ غـير مزءود[٦]

---

(١) كذا فى الأغانى ، وفى الأصول « وكفر » تحريف .
(٢) ب ، ج : « ثانيا » .
(٣-٣) ساقط من ب ، ج .
(٤) القود : جمع أقود ؛ وهو من الخيل : الذلول المنقاد .
(٥) يريد بنواصى الناس رءوسهم .
(٦) المزءود : المذعور ؛ وفى الأغانى : « غير مردود » .

فقال الرّشيد: أَعِدْ، فأعاد، فقال : وَيْحَكَ ! كأنّ قائلَ هذاالشعر يصف به يحيى ابن خالد وجعفرَ بن يحيى ؛ وبكى حتّى جرتْ دموعُه ، ووَصَلَ الزّبيرَ صِلةً سنيّةً .

غَضِبَ الرّشيدُ على أمّ جعفر ، ثم ترضّاها ، فأبتْ أن ترضَى عنه ، فأرِقَ ليلتَه[1] ، ثم قال : افرِشوا لى على دِجْلةَ ، ففعلوا ، وجعل ينظر إلى الماء ، وقد زاد زيادةً عجيبة ، فسمع غِناءً فى هذا الشعر :

جرى السَّيْلُ فاستبكانِىَ السَّيلُ إذْ جَرى

وفاضت له من مقلتىَّ غُروبُ

وما ذاكَ إلّا حينَ خُبِّرتُ أنّه ... يَمُرُّ بِوادٍ أنت منه قريبُ

يكون أُجاجاً دونكمْ فإذا انتهى ... إليكمْ تَلقَّى نَشرَكُمْ فيطيبُ

فياساكِنِى أكنافَ دجلةَ كلُّكمْ ... إلى القلبِ من أجل الحبيبِ حبيبُ

فسأل عن النّاحية الّتى فيها الغناء ، فقيل دار المسيّب[2] ، فبَعث إليه أن أبعث المغنِّى ، فبعث به ، فإذا هو الزّبيرُ بنُ دَحْمان ، فسأله عن الشِّعر ، فإذا هو للعبّاس ابن الأحنف ، فاحضَرَه فاستنشَدَه إيّاه فأنشَدَه ، وجعلَ الزبيرُ يغنّيه ، والعبّاس يُنشِده ، وهو يستعيدها ، حتى أصبح وقام ، فدخل على أمِّ جعفر ، فسألتْ عن سبب دخوله فعرفتْه ، فوجّهتْ إلى العبّاسِ ألفَ دينار ، وإلى الزّبير بن دحمان ألفَ دينار .

تشوَّقَ الرشيدُ إلى بغدادَ وهو بالرَّقّة ، فانحَدَر إليها ، فأقام بها مدّة ، وخلّف هناك جاريةً من حَظاياه لمغاضَبةٍ كانت بينها وبينَه ، فتشوَّقها شوقاً شديداً ، فقال فيها :

سلامٌ على النازحِ المُغتَرِبْ ... تحيّةَ صَبٍّ بــه مكتئبْ

---

(١) كذا فى ا ، وفى الأغانى : « ليله » ؛ وفى ب ، ج : « ذات ليلة » ، وليس بشىء .
(٢) فى الأغانى : « ابن المسيب » .

غزال مَراقِمُه بالبَليخِ إلى دَيْر زَكّى فقصرِ الخَشَب(١)
أيا مَن أَعانَ على نفسِه بتخليفهِ طائعاً مَن أَحَبْ
سأسْتُرُ والسّترُ من شِيمتى هَوَى مَن أُحِبُّ بمَنْ لا أُحِبْ

وجَمَع المغنِّين، وأعطاهم الشِّعْر ، وقال : لِيَعْمَلْ كلٌّ واحد فيه لَحْناً ، فعَمِلوا فيه عشرين لحنا ، فما أعجبه منها إلّا لحن الزُّبير بنِ دَحْمان، وأجازَه خاصّة دون الجماعة بجائزة سنيّة .

(١) فى الأغانى : « بقصر الخشب » .

زهيرُ بنُ جَناب*

هو زهيرُ بنُ جَناب بن هُبَل بن عبدِ الله بن كنانةَ بن بكر بن عوف بن عُذْرة ابن زيد اللّات بن رُفَيْدةَ بن ثور بن كَلْب بن وَبرَة بن ثعلبة (1) بن حُلْوانَ بن عمران ابن الحافِ بن قُضاعة .

شاعرٌ جاهليٌّ ، سيِّدُ بني كَلْب ، وقائدُهم في حروبهم . وكان شجاعا مظفَّرا ميمونَ النَّقيبة في غَزَواته ، وهو أحد المعمَّرين ، وأحدُ مَن ملَّ عمرَه ، فشرب الخمرَ صِرفا حتّى قتلتْه ، ولَمْ يوجَد شاعرٌ في الجاهليّة والإسلام وَلَد من الشُّعراء أكثرَ من وَلَد زُهير (2) .

وكان ظاعناً ، فقال عبدُ الله بن عُلَيْم بن جَناب : إن الحيَّ مقيم . فقال عبدُ الله : إنَّ الحيَّ ظَاعن ، فقال : مَن هذا الّذي يُخالفني منذ اليوم ؟ فقيل له : ابنُ أخيك عبدُ الله ، فقال : أو ما هاهنا أحدٌ ينهاه عن ذلك ! قالوا : لا تغضب ، فغضب وقال : لا أَرَى ، قد خولِفْتُ ! ثم دعا بالخمر فشربَها صِرْفا بغيرِ مِزاج على غير طعامٍ حتى قتلتْه .

وهو القائل في ذَمِّ الكِبَرِ وطولِ الحياة :

الموتُ خيرٌ للفتَى فليَهْلِكَنْ وبهِ بقيّهْ
من أن يُرَى الشيخَ البَجا لَ إذا تَهادَى بالعشيّهْ (3)

---

* ترجمته في الأغاني 21 : 63 — 69 (ساسى) .
(1) في الأغاني : « تغلب » .
(2) في الأغاني : « ممن ولد زهير » .
(3) البجال : السيد الذي يبجله قومه .

أَبَنِيَّ إن أَهْلِكْ فقد   أورثْتُكم مجداً بَنِيَّهْ
فتركتكمْ أبناء سا   داتٍ زِنادُكمُ وَرِيَّهْ(١)
مِنْ كُلِّ ما نالَ الفتَى   قد نلتُه إلّا التحيَّهْ(٢)

كان الحارثُ بنُ ماريةَ الغسّانيُّ مُكرِماً لزُهيرِ بنِ جَناب، ينادِمُه ويحادثه، فقَدِم على الحارث رجلان من بنى نَهْد بنِ زيد، يقال لأحدهما: حَزْن، وللآخَر سَهْل ابنى رَزاح، وكان عندَهما من أحاديث العرَب عِلم، فاجتباهُما الملِك، ونزَلا منه المكان الأثيرَ، فحسدهما زهير بنُ جَناب، فقال: أيّها الملِك، هما واللهِ عَيْنٌ لذى القرْنَيْن عليك ـ يعنى المُنذِرَ الأكبر، جَدَّ النّعمان بنِ المنذر ـ وهما يكتبان إليه بعوْرَتك، وخَلَلِ ما يَريانِ منك، قال: كلاّ؛ فلم يزلْ به زهيرٌ حتّى أوغَلَ صدرَه، وكان إذا ركب بعث إليهما بعيرَيْن، يَرْكَبان معه، فبعث إليهما بناقة واحدة، فعرَفا الشرّ، فلَم يركب أحدُهما وتوقَّف، فقال له الآخَر:

فإلّا تَجَلَّلْها يُعَالُوكَ فوقَها   وكيف تُوَقّى ظهرَما أنتَ راكبُه!(٣)

فركبها مع أخيه ومُضِيَ بهما فقُتِلا. ثم بَحث عن أمرِهما بعد ذلك فوجَدَه باطلا، فشتَم زهيراً وطردَه، وانصرفَ إلى بلاد قومه. وقدِم رَزاحٌ أبو المقتولَيْن إلى الملِك، وكان شيخا عالما، فأكرَمَه الملِك، وأعطاه دِيَةَ ابنَيْه.

وبلغ زهيرٌ مكانَه، فدعا ابناً له يقال له عامر، وكان من فتْيان العرب لسانا

(١) زنادكم وريه، كنى بذلك عن بلوغ مأربهم؛ تقول العرب: وريت بك زنادى، أى نلت بك ما أحب من النجح والنجاة.
(٢) التحية: الملك أو البقاء.
(٣) تجللها: علاها وركبها.

وبَيَانًا ، فقال له : إنّ رَزاحا قد قَدِم على الملك ، فالْحقْ به ، واحتَلْ فى أنْ تكفينيه. وقال له : اتَّهِمْنى عند المَلِكِ ونَلْ مِنّى ، وضربَه ، وأثَّر فيه آثارا .

فخرج الغلامُ حتّى قدِمَ الشام ، فتلطَّفَ للدّخول على المَلِكِ حتى وصل إليه ، فأعجبَه بيانُه ، فقال له : مَن أنت ؟ قال : عامرُ بنُ زهير بن جَنَاب ، قال : لا حيّاكَ اللهُ ولا حيَّا أباكَ الغادرَ الكذُوب الساعى ! قال[1] عامر : نعم ، فلا حيّاه الله ! انظُر أيها المَلِكِ ما صنع بظَهْرى ! وأراه آثارَ الضَّرْب ، فقبل ذلك منه ، ثم أدخَلَه فى نُدَمائه ؛ فبينا هو يوما يحدِّثه إذْ قال : أيّها الملِك ، إنّى وإن كان أبى مُسيئًا لا أَدَعُ أن أقولَ الحقَّ فيه ، وقد واللهِ نَصَحَك ، ثم قال :

فيالَكَ نَصْحَةً لمّا يذقْها أراها نَصْحَةً ذهبتْ ضلالَا

ثم تركه أيّاما ، وقال بعد ذلك : أيّها المَلِكِ ، ما تقول فى حيّةٍ قُطِع ذَنَبُها وبقىَ رأسُها ؟ قال : ذلك أبوكَ وصنيعه بالرّجُلين ما صَنَع ، قال : أبيتَ اللّعْنَ ! فوالله ما قَدِم رزاحٌ إلّا ليثأرَ بهما ، فقال له : وما آيَة ذلك ؟ قال : اسقِه الخمر ، ثم ابعَثْ عليه عَيْنًا لكَ يأتِيك بخبرِه ؛ فسقاه ، فلمّا انتَشَى صَرَفه إلى قبّتِه ومعه بنتُه ، وبعث عليه عُيونا ، فلمّا دخل قبّتَهُ قامت ابنتُه تُسانِدُه ، فقال :

دَعينى من سِنادِكِ إنّ حَزْنًا وسَهْلا ليس بعدَهما رُقودُ
ألا تَسَلِين عن شِبْلَيْكِ ماذا أصابَهما إذا اهترَش الأُسودُ !
فإنى لو ثَأَرْتُ المرءَ حَزْنًا وسَهْلًا قد بدا لكِ ما أُريدُ

فرجع القومُ إلى المَلك فأخبروه بما سَمِعوا، فأمر بقتْل النَّهْدىّ ، فقُتِل . وردَّ زهيرًا إلى موضعه .

(١) ا : « فقال الغلام » .

وكان قد غَزَا غَطَفان ؛ وسببُ ذلك أن بنى بغيض خرجوا من تِهامة ، فساروا بأجمعِهم ، فتعرّضتْ لهم صُدَاء (قبيلةٌ من مذحِج) فقاتلوهم ، وبنو بَغِيض سائرون بأهليهم ونسائهم وأموالهم ، فقاتلوا عن حَرِيمهم فظهروا على صُدَاء ، فأوجَعُوا فيهم ، وعَزّت بنو بَغيض بذلك وأَثْرَت ، وأصابت غنائمَ ، فلمّا رأوْا ذلك قالوا : والله لنتّخذنّ حَرَماً مثل حَرَمِ مكّة ؛ لا يُقتَل صَيْدُه ، ولا يُعضَد شجرُه ، ولا يُهاج عائذُه .

فولَيتْ ذلك بنو مُرّة بن عوف ، ثم كان القائم على أمرِ الحَرَم وبناء حائطه رِياحُ ابنُ ظالم ، ففعلوا ذلك ، وهم على ماءٍ لهم ، يقال له : « بُسّ » ، وبلغ فِعْلُهم وما أجتَمعوا عليه زهيرَ بن جَناب ــ وهو يومئذ سيّدُ بنى كَلْب ــ فقال : والله لا يكون ذلك أبداً وأنا حىّ ، ولا أُخَلّى غطَفانَ تتخذ حَرَماً أبدا ، فنادَى فى قومه ، فاُجتمعوا إليه ، فقام فيهمْ فذكر حالَ غَطفان ، وما بلغه عنها وأنّ أكرَمَ مأثُرةٍ يَعْتَقِدها هو وقومُه أن يمنعوهم من ذلك ، ويَحُولوا بينهمْ وبينه ، فأجابوه ، واُستمدَّ بنى القَيْن بن جُشَم ، فأبوْا أن يغزُوا معه ، فسار فى قومه حتى غَزَا غَطَفان ، فقاتَلهمْ وظَفِر بهم زهير ، وأصاب حاجتَه منهم ، وأخَذ فارساً منهم أسيرا فى حَرَمهم الّذى بَنَوْه . فقال لبعض أصحابِه : اضْرِب عُنقَه[1] . فقال : إنه بَسْل[2] فقال زهير : وأبيك ما بَسْلٌ علىَّ بحرام ، وقام إليه فضرب عنقه ، وعَطَّل ذلك الحَرَم ، ثم مَنّ على غَطَفان ، فردَّ النّسَاء ، واُستاقَ الأموال ، وقال زُهير فى ذلك :

ولَم تَصبِرْ لنا غطَفانُ لمّا[3]   تلاقَيْنا وأُحرِزَتِ النّساءُ
ولولا الفضلُ منّا ما رجعتمْ   إلى عَذْراءَ شيمتُها الحَياءُ

---

(١) الأغانى : « رقبته » .

(٢) البسل : الحلال والحرام ، ضد ، وهنا بمعنى حرام .

(٣) ب ، ج : « بنو غطفان » .

فكم غادرتُ مِن بَطَلٍ كَمِيٍّ ... لَدَى الهيجاءِ كان له غَناءُ
فدونكمُ دُيونا فاُطلبوها ... وأَوْتاراً ودونكمُ اللِّقاءُ
فإنّا حيث لا نَخْفَى عليكمْ ... ليوثٌ ، حينَ يُهتَصَرُ اللِّواءُ[1]
نُخلِّي بعدها غَطفانَ بُسَّا ... وما غَطفانُ والأرضُ الفضاءُ!
فقد أضحى لحيٍّ بنى جَنابٍ ... فضاءُ الأرضِ ، والماءُ الرَّواءُ[2]
ويَصدُقُ طعننُا فى كلِّ يوم ... وعند الطعن يُختبَرُ اللِّقاءُ
نفينا نَخْوَةَ الأعداءِ عَنّا ... بأرماحٍ أسنّتُها ظِماءُ
ولولا صبرُنا يومَ اُلتقَيْنا ... لقينا مثلَ ما لقيتْ صُداءُ
غداةَ تعرَّضُوا لِبَنِي بَغيضٍ ... وصِدقُ الطَّعْنِ للنَّوْكَى شِفاءُ
وقد هَرَبتْ حذارَ الموتِ قَيْنٌ ... على آثارِ مَنْ ذَهَبَ العَفاءُ
وقد كنا رَجَوْنا أن يُمِدُّوا ... فأخلَفَنَا من اُخوتِنا الرَّجاءُ
وأَلهَى القَيْنَ عن نَصْرِ الموالى ... حِلابُ النِّيبِ ، والمَرعَى الضَّراءُ[3]

كان أبْرهةُ حين طلع نجداً أتاه زهيرُ بنُ جَناب ، فأكرمَه أبرَهةُ وفضَّلَه على مَنْ أتاه من العَرَب ، ثم أمَّره على بَكرٍ وتغلِبَ اُبنى وائل ، فوليَهم وأصابَتْهم سنَةٌ شديدة ، فاشتدّ عليهم ما يطلبُ منهم زهير ، فأقام بهم فى الجدْب ، ومنَعَهم من النُّجعة حتى يُؤَدُّوا ما عليهم ، فكادت مواشيهم تَهلِك ، فلمّا رأى ذلك اُبن زَيّابة ، أحد بنى تيْم اللّات بن ثَعلبة — وكان رجلا فاتكا — دخل على زهير بن جَناب ، وهو نائم فى قبّةٍ له مِن أَدَم — وكان زهير رجلا عظيمَ البطن — فاُعتمد اُبن زَيّابَةَ بالسَّيف

(١) الاهتصار : سقوط اللواء ، وأصله فى غصن الشجرة .
(٢) الرواء : العذب والكثير .
(٣) الضراء : الشجر الكثيف الملتف فى الوادى .

على بطنِ زهير ، فمارَ في بطنِه حتّى خرج مارقاً بين الصِّفاق[1] ، وسَلِمت أعفاجُ بطنِه[2] ، وظنّ ابن زَيّابةَ أنّه قتله ، وعلِم زهيرٌ أنّه قد سَلِم ، وتخوّف أن يتحرّك فيُجْهِزَ عليه ، فسَكَت وانصرف ابنُ زَيّابةَ إلى قومه ، فقال : قد واللهِ قتلت زُهيراً فكفيتُكُموه ، فسرّهم ذلك ، ولمّا عَلِم زهيرٌ أنّه لم يُقدم عليه إلّا عن ملأٍ من بكرٍ وتغلبَ ، وإنما مع زهير نفرٌ من قومه بمنزلة الشَّرَط ، فأمَر زهيرٌ قومَه فغيّبوه بين عمودَيْن في ثياب ، ثم أتوا القومَ فقالوا لهم : إنّكم فعلتم بصاحِبنا ما فعلتم ، فأْذَنوا لنا في دَفْنِه ، ففعلوا ، فحملوا زهيراملفوفا بين العَمودَيْن والثّياب؛ حتى إذا أبْعَدوا عن القوم أخرَجُوه ، فلفّوه في ثيابِه ، ثم حفَروا حُفرةً فعمّقوها ، ودفَنوا فيها العمودَيْن ، وساروا ومعهم زُهير ، فلمّا بلغ زهيرٌ أرضَ قومِه ، جمع لبكرِ بن وائل الجموعَ ، وبَلغهم أن زهيرا حيّ ، فقال ابن زَيّابة :

طعنةً ما طَعنتُ في غَلَس الصُّبْـ ... ـحِ زُهيراً وقدتَوافَى الخصومُ[3]

حين تَجْبِي له المَوَاسمَ بكرٌ ... أين بكرٌ، وأين منها الُحلومُ !

خانني السيفُ إذ طعنتُ زهيرًا ... وهو سيفٌ مضلَّل مشئومُ

وجمع زهيرٌ بني كَلْب ، ومن تجمَّع له من شُذّاذ القبائل[4] ، ومَنْ أطاعه من أهل اليمن ، فغزا بكراً وتغلبَ ابنَيْ وائلٍ ، وهم على ماء يقال له : الحِنيّ ، وقد كانوا نَذِروا به[5] ، فقاتلوا قتالًا شديداً ، ثم انهزمَتْ بكر ، وأسلمَتْ بني تغلب، فقاتلت شيئاً من قتال ، ثم انهزمَتْ ، وأُسر كليبٌ ومهلهلٌ ابنا ربيعة ، وسِيقت

---

(١) الصفاق : الجلد الأسفل الذى تحت الجلد الذى عليه الشعر ، أو هو جلد البطن كله .

(٢) الأعفاج : جمع عفج ، وهو الموضع الذى يتحول إليه الطعام بعد المعدة .

(٣) الأغاني : « في عبس الليل » .

(٤) في الأغاني : « من شذاذ العرب والقبائل » .

(٥) نذروا به : علموا .

الأموال، وقتلت كلبٌ من تغلبَ قتلَى كثيرة، وأسَرُوا جماعةً من فُرْسانهم، ووجوههم

وقال زهير بنُ جناب فى ذلك :

تبًّا لِتَغْلِبَ إذْ تُساقُ نساؤهُمْ ... سَوْقَ الإماءِ إلى المواسم عُطَّلَا(١)

لَحِقَتْ أوائلُ خَيْلِنا سَرَعانَهُمْ ... حتى أَسَرْنَ على الحِنِىِّ مُهلهِلَا(٢)

إنّا مُهَلْهِلُ ما تَطيشُ سِهامُنا ... أيّامَ يَنْبُتُ فى يَدَيْكَ الحَنْظَلَا(٣)

وَلَّتْ حُماتُك هارِبين من الأَسَى ... وبقيتَ فى حَلَقِ الحديدِ مكبَّلَا

فلئن قُهِرتَ لقد أسرتُكَ عَنْوَةً ... ولئن قُتِلتَ لقد تكون مُرَمَّلَا(٤)

وقال من قصيدة أخرى فى هذه الوقعة، يعيِّر بنى تَغْلِب:

أينَ أينَ الفِرارُ مِن حَذَرِ المَوْ ... تِ، وإذْ يتَّقُون بالأَسْلابِ

إذْ أَسَرْنا مُهَلهِلًا، وأخاه ... وابنَ عَمْرٍ وفى القِدِّ، وابنَ شهابِ

وسَبَيْنا مِن تَغْلِبٍ كلَّ بيضا ... ءَ رَقودِ الضُّحَى بَرودِ الرُّضابِ

يومَ يدعو مُهَلهِلٌ : يا لَبَكْرٍ ! ... ويْحَكُمْ فى حفيظةِ الأَحْسابِ(٥)

وهم هارِبون فى كلِّ فَجٍّ ... كشَرِيد النَّعامِ فوقَ الرَّوابِى

وأستدارت رَحَا المنايا عليهمْ ... بلُيوث من عامرٍ وجَنابِ

طَحَنَتْهُم رِحاؤُها بطَحُونٍ ... ذات ظُفْرٍ حديدة الأَنيابِ

فهُمُ بين هاربٍ ليس يَأْلُو ... وقتيلٍ معفَّرٍ فى التّرابِ

فَضَلَ العِزَّ عِزُّنا حين نَسْمو ... مِثل فَضْلِ السَّماء فوق السَّحابِ

(١) العطل : من لا حلى عليهن .

(٢) سرعانهم : أوائلهم .

(٣) فى الأغانى : « ينقف فى يديك » .

(٤) المرمل : الملطخ بالدم .

(٥) ب ، ج : « الأنساب » .

(٦) فى الأغانى : « أرجاؤها » ، والطحون هنا : الحرب .

وَفَدزهيرُ بنُ جَناب ، وأخوه حارثةُ على بعض ملوكِ غَسَّان ، فلمّا دخلا عليه حدّثاه وأنشَداه ، فأُعجِب بهما ونادماه ، فقال لهما يوما : إنّ أُمِّي عليلةٌ شديدةالعلّة ، وقد أَعْيانى دواؤها ، فقال حارثة : كَمَرَة حارّة — وكانت فيه لُوثة — فقال له المَلِك : أىُّ شيء قلتَ ؟ فقال زهير : كَمْأَة حارّة تُطعِمُها . فوثَبَ المَلِك وقد فهم الأُولَى والأخيرة ، يُريهما أنه يأمر بإصلاح الكَمْأَة لها ، وحَلُم عن مقالةِ حارثة ، فقال حارثة لزهير : اقلِبْ ما شئتَ يَنقَلِب ، فأرسَلها مَثَلًا .

وعاش زهـيرُ بن جناب مائتين وخمسين سنة ، أوقَعَ فيها مائتى وقعةٍ فى العرب ، ولم تجتمع قضُاعةُ إلّا عليه وعلى حِنٍّ[1] بنِ زَيْدٍ العُذْرىّ ، ولم يكن فى اليَمَن أشجع ولا أَخْطب ، ولا أَوْجه عند الملوك من زُهير ، كان يُدْعَى الـكاهن لصحّة رأيه .

وقيل : إنّ زهيرا عاش أربعمائة سنة ، وخمسين سنة .

وقيل : أربعمائة سنة ، وكان لمّا أسَنّ ذهب عقلُه ، وكان يَخرجُ تائهاً لا يَدرِى أين يَذهب ، فتَلحقهُ المرأةُ من أهله ، أو الصبىُّ فيردّه ، ويقول له : إنّا نخاف عليك الذئبَ أن يأ كلَك فأين تَذهَب ؟ وممّا قال فى كِبَره :

لقـــد عُمِّرتُ حتّى ما أُبالِى ... أحَتْفِى فى صَباحى أم مَسائى

وحُقّ لمن أتت مائتان عاماً ... عليه ، أنْ يمَــلّ من الثّـواء

وممّن شَرِب الخمرَ صِرْفاً حتّى مات عَمْرُو بنُ كُلثوم التّغْلِبىّ ، وأبو بَرَاء عامرُ بنُ مالكٍ ، مُلاعبُ الأسِنّة .

---

(١) كذا فى ب ، ج ، والأغانى ، وفى كتاب المعمرين ٢٨ : «ولم تجتمع قضاعة إلا عليه وعلى رزاح بن ربيعة» .

وعاش هُبَل بنُ عبد الله جَدُّ زهير سِتَّمائة سنة وسبعين سنة ، وكان الجُلاحُ ابنُ عوف السَّحِيمىّ أحد بنى سُحَيمة قد وَطَّأ لزهيْرَ بن جناب نُزُلَه معه ، فلم يزل تحت جناحِه حتّى كثُر مالُه وولدُه ، وكانت أختُ زهير متزوِّجةً من بنى القيْن بنِ جَسْرٍ ، فجاء رسولُها إلى زُهير ومَعه بُرْدٌ فيه صِرارُ رَمْلٍ وشوكةُ قتاد ، فقال زهيرٌ لأصحابه : أتتكم شوكةٌ شديدة ، وعددٌ كثير فاْحتمِلوا .

فقال له الجُلاح : أنحتَمِل لقول اْمرأة ! والله لا نفعل ذلك ، فقال زهيرٌ :

أمّا الجُـــلاحُ فإنّنى فارقتُه ... لا عن قِلًى ولقد يَشِطُّ بنا النَّوَى

فلئن ظَعَنْتَ لأُصْبِحنّ مُخيِّماً ... ولئن أقمتَ لأَظْعَنَنَّ على هَـــوَى

وأقام الجُلاح ، وظَعَن زهـيرٌ فصبَّحهم الجيش ، فقتل عامّة قومِ الجُلاح وذهبوا بماله ـ واسمُ الجُلاح عامرُ بنُ عوف بنِ بكر بنِ عامر بن عوف بن عُذْرة ـ ومضى زهيرٌ من وجهِهِ ، حتّى اْجتمع مع عشيرته من بنى جَنَاب ، وبلغ الجيشَ خبرُه فقصدوه ، وحارَبهم وثبَتَ لهم فهزَمَهم ، وقتل رئيسا منهم ، فاْنصرفوا عنه خائبين . وقال زهيرٌ فى ذلك من أبيات :

سائلْ أمامَةَ عنّى هــل وَفَيْتُ لها ... أم هل مَنَعتُ مِن الخيرات جيرانا[1]

لا يَمنع الضَّيْمَ إلّا ماجدٌ بطلٌ ... إنّ الـكريمَ كريم حيثما كانا

وأمّا الشعراء من ولد زُهير فمنهم معاذ[2] بن أسد بن جُنادة بن صَهْبان بن اْمرئ القيس بن زُهيرِ بنِ جَناب .

ومنهم حُرَيث بنُ عامر بنِ الحارث بنِ اْمرىء القيس بنِ زُهَير بن جناب .

---

(١) كذا فى ب ، ج ، وفى ا والأغانى . « من الخزاة » .

(٢) فى الأغانى : « مصاد » .

ومنهم الحَزَنْبل بنُ سلامةَ بن زُهير بنِ أسعد بن صهبان بن امرئ القيس ابن زُهير بن جناب .

ومنهم غُرَير بن أبي جابر بن زُهير بن جَناب .

ومنهم عَرْفَجة بن جُنادة بنِ النعمان بن زُهَير بن جَناب .

ومنهم : المُسَيَّب بن زُفَرَ(١) بن حارثة بن جناب بن قيس بن(٢) جابر بن زهير بن جناب ؛ وهذا هو القائل :

قتلنا يزيدَ بنَ المهلَّب بعدَ ما ... تمنَّيتُمُ أن يَغلِبَ الحقَّ باطلُهْ
وما كان منكمْ في العِراق منافقٌ ... عن الدِّين إلّا من قُضاعةَ قاتلُهْ
تَجلَّلَهُ قَحْلٌ بأبيضَ صارمٍ ... حُسامٍ جَلَا عن شَفْرَتَيْه صَياقِلُهْ

القَحْل هو ابن عَيّاش بن شَمِر بنِ شَرَاحيل بن غرير بن أبي جابر بن زُهير بن جَناب ؛ وهو الّذى قتَلَ يزيدَ بنَ المهلَّب .

ومن بني زُهير شعراء كثيرٌ ، ذكرنا الفحولَ منهم دونَ غيرِهم .

---

(١) الأغاني : « رفل » .
(٢) في الأغاني : « ابن أبي حامر » .

زُهَير السَّكْب التَّميميّ الدارِميّ*

هو زُهَير بنُ عُروةَ بن جلهمة بن حُجر ، خُزاعىّ جاهلىّ ، شاعر ، ولُقِّب السَّكْبَ لقوله :

* برقٌ يضىء خِلالَ البيتِ أُسكوبُ[1] *

وكان من أشراف بنى مازن وأشدّائهم ، وشُعَرائهم وفُرْسانهم ، فغاضَبَ قومَه فى شىء ذَمَّه منهم ، وفارَقهم إلى غيرهم من بنى تَميم ، فلحِقَه فيهم ضَيْم ، وأراد الرجوعَ إلى عَشيرته فأبت نفسُه ذلك ، فقال يتشوّق ناساً منهم كانوا بَنِى عمّه دِنْيَةً[2] يقال لهم بنو حَنبل :

إذا اللهُ لم يَسْقِ غيرَ الكرامِ ... فسَقَّى وُجوهَ بنى حَنْبَلِ

وسَقَّى ديارَهُمُ باكِراً ... من الغَيْث فى الزَّمن المُمْحِلِ[3]

مُلِثًّا أَحَمَّ دَوانِى السَّحابِ ... هَزِيمَ الصُّلاصِلِ والأَزْمَلِ[4]

تُكَفكِفُه خَضْخَضَاتُ الجنوبِ ... وتُفرِغُه هِزّةُ الشَّمْأَلِ

كأنّ الرَّبابَ دُوَيْنَ السَّحابِ ... نَعامٌ تعلّق بالأَرْجُلِ

فنِعْمَ بنو العَمِّ والأقربونَ ... لدى حطمة الزَّمن المُمْحِلِ

---

* ترجمته فى الأغانى ١٩ : ١٥٦ ، ١٥٧ (ساسى) .

(١) كذا فى ا والأغانى والكتاب لسيبويه ٢ : ٣١٦ ، وفى ب ، ج : « مسكوب » تحريف وأسكوب ، أى منسكب . قال فى اللسان : « كان هذا البرق يسكب المطر » .

(٢) يقال : هو ابن عمه « دنية ودنيا » بكسر الدال وضمها ، أى لحا .

(٣) الممحل : المجدب .

(٤) الغيث الملث : الدائم المطر . والأحم : الدانى . وصلاصل : مصوت . والأزمل : الصوت المختلط .

ونِعْمَ المُواسُون فى النّائباتِ ... لِلجارِ والمعتفِى المُرمِلِ
ونِعمَ الُحماةُ الكُفاةُ العَظيمَ ... إذا غائظُ المَرءِ لَمْ يَحْلُلِ
ميامينُ صُبْرٌ لدَى المُضِلَاتِ ... على مُوجِع الحَدَثِ المُعْضِلِ
مباذيلُ عَفْوٍ جَزيلو العطاءِ(١) ... إذا فَضْلَة الزّاد لم تُبْذَلِ
همُ سَبَقُوا يومَ جَرْيِ الكِرامِ ... ذَوى السَّبْق فى الزّمَن الأوّلِ
وسامَوْا إلى المَجْد أهلَ الفَعَال ... فطالوا بفعلهم الأَطْوَلِ

سأل رجل أبا عمرو بنَ العَلاءِ عن الرّباب ماهو ؟ فقال : ماتراه متعلِّقاً بالسّحاب كالذّيْل له ؛ أماسمعتَ قولَ صاحبِنا :

كأنّ الرّبابَ دُوَيْنَ السَّحابِ ... نَعامٌ تَعلَّقَ بالأَرْجُلِ

(١) كذا فى ا والأغانى ، وفى ب ، ج : « مناويل » .

حرف السين

سعيدٌ الدّارِمى*

هو من وَلَد سُوَيد بن زَيْد ، الّذى كان جدُّه قتَل أسعد بن عمرو بن هِند ، ثم هربُوا إلى مكّة ، فحالَفُوا بنى نَوْفل بنِ عبد مَناف .

وكان الدارِىُّ فى زمن عمرَ بنِ عبدِ العزيز ، وله أشعارٌ ونوادر ، وكان من ظُرَفاء أهلِ مكّة ، وهو القائل :

ولمـا رأيتك أولَيْتَنى الـ ... قَبيحَ وأبعَدْتَ عـنّى الجميلَا
تَركتُ وِصالكَ فى جانبٍ ... وصادقتُ فى الناس خِلاًّ بَديلا[1]

قدِمَ تاجرٌ من الكُوفة إلى المدينة بخُمُر ملوّنةٍ ، فباعها كلَّها ، وبقيَت السودُ منها فلَم تَنفُق[2] ؛ وكان صديقا للدّارِمىّ ، فشكا إليه ذلك ، وقد كان نَسَك[3] وترَكَ الغِناء وقولَ الشّعر ، فقال له : لاتهتمّ بذلك ؛ فإنى سأُنَفِّقُها عليك حتى تبيعَها أجمعَ ، ثم قال :

قُل للمَليحةِ فى الخِمارِ الأسوَدِ ... ماذا صَنَعْتِ بزاهدٍ متعبِّدِ
قد كان شَمّرَ للصّـلاة ثِيابَه ... حتّى وَقَفْتِ له بباب المسجدِ

---

* ترجمته فى الأغانى ٣ : ٤٥ ـ ٥١ (طبعة الدار) .

(١) فى الأغانى : « صادفت » ، تصحيف .

(٢) نفقت السلعة نفاقا : راجت ورغب فيها .

(٣) نسك : تعبد .

وغَنَّى فيه وشاع فى النّاس ، وقالوا : قد فَتَكَ[١] الدارمىُّ ورَجَع عن نُسُكه ، فلَم تَبْقَ فى المدينة ظريفةٌ إلّا ابْتاعت خِماراً أسوَدَ حتّى نَفِدَ ما كان مع الكوفىّ[٢] منها ، [فلمّا علم بذلك الدارمىّ رجع إلى نسكه ولزم المسجد][٣] .

قال أبو هِفّان : حضرتُ يوماً مجلسَ بعضِ قُوّاد الأتراك وكانت له سِتارة ، فنُصِبَتْ ، ثم قال [لجاريته][٣] : غَنّى صوتَ الخِمارِ الأسود المليح ، فلم نعلم ما أراد حتى غَنَّت :

* قُلْ للمليحةِ فى الخِمارِ الأسوَدِ *

ثم أمسك ، ثم قال لها : غَنِّى :

* إنّى خَرِيتُ وجئتُ أنتقِلُه *

فضحكتْ ، ولم نَدْرِ ما أراد حتّى غَنَّت :

* إنّ الخليطَ أجَدَّ منتقَلَهْ *

كان الدارمىُّ ظريفا ، وكانت مُتَفَتِّيات[٤] مكّة لا يطيب لهنّ متنزَّهٌ إلّا به ، فاجتمعتْ جماعةٌ منهنّ فى متنزَّهٍ لهنّ ، وفيهنّ صديقةٌ له ، وكلٌّ واحــدةٍ منهنّ قد واعدت هَواها[٥] ، فخرجْنَ حتى أتَيْن الجُحْفة[٦] وهو معهنّ .

فقال بعضُهنّ لبعض : كيف لنا أن نخلوَ مع هؤلاء الرّجال من الدّارمىّ ! فإنّا إنْ فعلْنا ذلك قطَّعَنا فى الأرض![٧]

---

(١) فتك : مجن .
(٢) الأغانى : « العراق » .
(٣) تكملة من الأغانى .
(٤) متفتيات ، وصف من تفتت الجارية إذاراهقت فخدرت ومنعت من اللعب مع الصبيان .
(٥) أراد من تحبه وتهواه .
(٦) الجحفة : قرية بطريق المدينة ، على أربع مراحل من مكة .
(٧) يريد أنه يمزق أعراضهن ، وينشر ذلك فى الأرض بين الناس .

فقالت لهنّ صاحبتُه : أنا أكفيكنّه[1] ، قلن : إنّا نريد ألّا يلومَنا . قالت : عليَّ أن ينصرف حامدا . وكان الداريُّ من أبخَل الناس ، فأتَتْه ، فقالت : يا داريّ ، قد تَفِلْنا[2] فاحتَلْ لنا طِيباً ، قال : نعم ، هو فى سُوق الجحْفة فآتيكنّ منها بطيب ، فأتى المُكارِين ، فاكترى حمارا فصار[3] عليه إلى مكّة وهو يقول :

أنا باللهِ ذِى العِزِّ وبالرُّكْن وبالصَّخْرَهْ
من اللّائى يُرِدنَ الطّيـ ـبَ فى اليُسْرِ وفى العُسرَهْ[4]
وما أقوَى على هـذا ولو كنتُ على البَصْره[5]

فمكَثَ النِّسوةُ ما شاء الله ، ثم قدِمْن مكّة ، فلقيتْه صاحبتُه ليلةً فى الطّواف ، فأخرجتْه إلى ناحيةٍ فى[6] المسجد ، وجعلتْ تعاتِبه على ذَهَابه ويعاتِبُها ، إلى أن قالت له : يا دارِىّ ، بحقّ هذه البَنيّة[7] تحبُّنى[8] ! قال : نعم ، تحبيننى أنت ؟ قالت : نعم ، قال : فيالَكِ الخيرُ ! أنتِ تحبّيننى وأنا أحِبُّكِ ، فما مَدْخَل الدَّراهِم بيننا !

قال محمدُ بنُ إبراهيمَ الإمام للدّارِىّ : لو صلَحتْ عليك ثيابى لكسوتُك ؛ قال : فَدَيْتُك ، إن لم تصلُحْ علىَّ ثيابك ، صلَحتْ علىَّ دراهمُك ودنانيرُك !

---

(١) ب ، ج : « أكفيكموه » .
(٢) تفل ، كفرح : تغيرت رائحته لطول عهده بترك الطيب . وفى الأغانى : « فاجلب » .
(٣) فى الأصول : « قطار » ، وما أثبته من الأغانى .
(٤) ا والأغانى : « فى اليسرة والعسرة » .
(٥) يقول : إنى لا أقدر على ذلك ولو كنت والى البصرة .
(٦) فى الأغانى : « إلى ناحية المسجد » .
(٧) البنية : الكعبة .
(٨) فى الأغانى : « أتحبنى » .

كان الداريُّ عند عبدِ الصّمد بنِ عليٍّ يحدّثه ، فأغْفَى عبدُ الصمد ، فعَطَس الداريُّ عطسةً هائلة[1] ، ففزِع عبدُ الصّمد ؛ وغضِبَ غضبا شديدا ثم استوى جالسا فقال له : يا عاضَّ بَظْرَ أُمِّه ! أفزَعْتَنِى ، قال : لا والله ، ولكنْ هذا عُطاسِى. قال : لا والله لا ينفعُكَ[2] ذلك ، أو تأتِينى ببيّنةٍ عليه؟ قال : فخرج ومعه حَرَسِيٌّ[3] ، لا يدرِى أين يذهب، فلقيه ابنُ الرّيّان[4] المكّى ، فسأله ، فقال له : أنا أشهَدُ لك ، فمضى حتّى دخل على عبدِ الصّمد ، فقال له : بمَ[5] تشهَد لهذا ؟ فقال: إنى رأيتُه مرّة عَطَس عطسةً فسقطَ[6] ضِرْسه ، فضحك عبدُ الصَّمد وخلَّى سبيلَه .

خرج الداريُّ مع السّعاة[7] فصادَف جماعةً منهمْ قد نَزَلُوا على الماء ، فسألهم ، فأعطَوْه دراهم ، فأتى بها فى ثوبه وأحاط به أعرابيّات ، فجعلْنَ يسألنه وأَلحَحْن عليه ، وهو يردُّهُنّ ؛ فعرفتْه صَبِيّةٌ منهنّ فقالت : يا أخواتى ، أتدرين من تسألْن منذُ اليوم؟ هذا الداريّ السآل[8] ، ثم أنشدت :

إذا كنتَ لا بدَّ مستطعِماً … فَدعْ عنكَ مَن كان يَستطعِمُ

فولَّى الداريُّ هاربا منهنّ وهن يتضاحكن منه .

---

(١) كذا فى ا والأغانى ، وفى ب ، ج : « شديدة » .

(٢) فى الأغانى : « لأنقعنك فى دمك » .

(٣) الحرس : الأعوان ، قال فى المصباح: « جعل علما على الجمع لهذه الحالة المخصوصة ، ولا يستعمل له واحد من لفظه ولهذا نسب إلى الجمع » .

(٤) ابن الريان ، هو أبو حامد محمد بن عبد الرحمن بن هشام المكى .

(٥) كذا فى الأغانى ، وفى ا : « لم » ، وهى ساقطة من ب ، ج .

(٦) ب ، ج والأغانى : « سقط » .

(٧) السعاة : جمع ساع؛ وهو العامل على الصدقات ؛ يأخذها من الأغنياء ليردها على الفقراء

(٨) ب ، ج : « السائل » ، وما أثبته من ا والأغانى .

مدح الدارمىُّ عبدَ الصمد بنَ علىٍّ بقصيدة ، واُستأذَنَه فى الإنشاد ، فأذِن له ، فلمّا فرَغ من إنشاده أُدخِل إليه رجُلٌ من الشُّراة[1] ، فقال لغلامه : أعطِ هذا مائةَ دينار ، واُضربْ رقبةَ[2] هذا ، فوثب الدارمىُّ وقال : بأبى أنت وأمِّى ! بِرُّك وعُقوبَتُك جميعا نَقْد ، فإن رأيتَ أن تبدأ بهذا فتقتُلَه ، فإذا فرغ منه أمرتَه فأعطانى ؛ فإنّى لَنْ أرِيم من حضرتك حتّى يَفْعَل ؛ قال : فلِمَ ؟ ويلَك ! قال : أخشى أن يَغلَط فيما بيننا ، والغَلَط فى هذا لا يستَقال ؛ فضحِك منه وأجابَه إلى ما سأل .

أصابت الدارمىَّ قَرْحةٌ فى صَدْره ، فدخل عليه بعضُ أصدقائه يعودُه ، فرآه قد[3] نفث [من فيه][4] شيئاً أخضرَ ، فقال له : أَبْشِر فقد اُخضرّت القُرحة وعُوفيتَ ؛ فقال : هيهات ! والله لو نَفَثْتُ[5] كلَّ زُمُرُّذةٍ فى الدنيا ما أفلَتُّ منها !

---

(١) الشراة : جماعة الخوارج ؛ سموا بذلك لقولهم : إنا شرينا أنفسنا فى طاعة الله ، أى بعناها بالجنة .

(٢) فى الأغانى : « عنق هذا » .

(٣) ا : « وقد » .

(٤) تكملة من الأغانى .

(٥) كذا فى الأغانى ؛ وفى الأصول : « لو تقيأت »

سعيدُ بن مسجح*

هو سعيدُ بنُ مسجَح . كنيتُه أبو عثمان ، وقيل أبو عيسى مولى بنى جُمَح . وقيل : مَوْلَى بنى نَوْفَل بن الحارث بن عبد المطّلب ، مكّىٌّ أسوَد ، مُغَنٍّ من أكابر المغنّين ، وهو أوّل من نقل غِناءَ الفُرْس إلى غِناء العرَب .

رحل إلى الشام ، وأخَذَ ألحانَ الرّوم وغيرهم ، وانقلَب إلى فارس ، وأخذ بها غناءً كثيرا ، وتعلَّمَ الضَّرْب بالعُود ، ثمّ قَدِم الحجازَ ، وقد أخذ محاسنَ تلك النغَم ، وألقَى منها ما استَقْبَحَهُ من النَّبرَات وغيرِها .

وقيل : إنه مَرَّ على الفُرْس وهم يَبنُون المسجدَ الحرام ، فسمع غناءَهم بالفارسيّة؛ فقلبه فى شِعْرٍ عربىّ .

وهو الذى علَّم ابنَ سُرَيج ، فإنّه كان هو وابنُ سُرَيج لمولًى واحد ، وكان فطنا ذَكِيًّا ، أصفرَ حَسَنَ الوجه واللَّوْن . وكان مولاه معجَباً به ، وكان يقول عنه : لَيكونَنّ لهذا الغلامِ شأن ، وما يَمنَعنى من عِتْقِه إلا حسنُ فراسَتِى فيه ، فإن حَيِيتُ لَأَتَعرَّفَنَّ ذلك ، وإن مِتُّ قبلَه فهو حُرٌّ .

وسمِعَه مولاه يوماً يغنِّى بشعر ابنِ الرِّقاع العاملىّ :

أَلْمِمْ على طَلَلٍ عَفَا متقادِمِ ... بين اللَّكِيكِ وبين غَيْبِ النّاعِمِ[1]

لولا الحياءُ وأنّ رأسِى قد بَدَا[2] ... فيه المشيبُ لزُرتُ أمَّ القاسم

---

* ترجمته فى الأغانى ٣ : ٢٧٦ ـ ٢٨٥ (طبعة الدار) .

(١) اللكيك ، كأمير : موضع فى ديار بنى عامر ؛ وغيب الناعم ؛ قال ياقوت : « ورد فى فى شعر عدى بن الرقاع » ، وأورد البيت .

(٢) ب، ج « فشا » ، وفى ا والأغانى : « عسا » وماأثبته عن رواية أثبتها ناسخ ا فى الهامش .

فدعاه مولاه وقال له : أعِدْ فأعاد، أحسنَ مما بدأ ، فقال : هذا بعض ما كنتُ أقول ، فقال له : لكَ هذا ، قال : سمعتُ هذه الأعاجمَ تتغنّى بالفارسيّة ، فقلبتُها في هــذا الشعر ، فقال له : أنت حُرٌّ لوجه اللهِ ، فلَزِم مولاه وكَثُر أدبُه ، واتّسع في غنائه ، وشُهِر بمكّة ، وأُعجبوا به لظَرْفه وحسنِ ما سمعوه منه .

ودَفَع إليه مولاه عُبَيدَ بن سُرَيج ، وقال: عَلِّمه واُجتهِد فيه ، وكان اُبنُ سُرَيج أحسنَ الناس صوتاً ، فتعلَّم منه ، ثم بَرَّز عليه حتّى لم يُعرَف له نظير .

والذى نشير إليه في سَماع غِناء الفُرْس في المسجد الحرام، هو بناء الكعبة لمّا اُحتَرقتْ في زمن اُبن الزّبير ، وكان سبب ذلك أنّ أهل الشام لمّا حاصرُوه سمع أصواتا في الليل فوق الجبل ، فخاف أنّ أهل الشام ، قد وصلوا ؛ فكانت ليلة ظلماء ذات ريحٍ صَعْبَة، ورعدٍ وبرق ، فرفع نارا على رأسِ رُمْح ليَنظر إلى النــاس ، فأطارَها الرِّيح ، فوقعتْ على أستار الكَعْبة فأحرقتْها واُستطارت(١) فيها ، وجَهَد النّاسُ في إطفائها فلم يَقدِروا ، فأصبحتْ الكعبة تتهافت(٢) ، وماتت امرأةٌ من قريش ، فخرج الناس كلُّهم في جنازتها خَوْفاً من أن يَنزِل عليهم العذاب ، وأصبح اُبنُ الزُّبير ساجدا يدعو ويقول : اللهمّ إني لم أعْتَمِد(٣) ما جرى فلا تُهلِك عبادَك بذَنبي ، وهذه ناصِيَتى بين يديك ؛ فلمّا تَعالَى النَّهار أَمِن ورَجَع النّاسُ ، فقال لهم : أينْهَدِمُ(٤) في بَيْت أحدِكُم حجرٌ أو يَزول عن موضعه حتّى يَبْنِيه ويصلحه ، وأترك الكعبةَ خرابا ! ثم هدمَها مبتدئا بيدِه ، وتَبِعه الفعَلَةُ حتى بلغوا إلى قواعدها ، ودعا ببنّائين من الفُرْس والرُّوم فبناها ؛ فسمعَ ابنُ مسجَجٍ غناءهم ، فنَقَلَه وغنّاه .

---

(١) في الأغاني : « واستطالت » .

(٢) تتهافت : تتساقط حجرا على حجر .

(٣) في الأغاني : « أتعمد » .

(٤) عبارة الأغاني : « الله الله أن ينهدم في بيت أحدكم » .

وقيل : إنّه نَقَل غِناءَ الفُرْس لمّا بنى معاويةُ بن أبي سفيانَ دُورَه الّتي يقال لها: الرُّقْط[١] . وهى ما بين الدّارَين إلى الرَّدْم أوّلها الدار البيضاء ، وآخرُها دار الحمّام ، وهى على يسار المُصعِد من المسجد إلى رَدْمِ عُمَر ، حَمَل لها بَنّائِينَ فُرْسًا من العراق ، فكانوا يبنونَها بالجِصّ والآجُرّ ، وكان ابنُ مِسْجَحٍ يأتيهم ويَسْمَعُ غناءَهم على بنائهم[٢] ، ويأخذُ ما يَستحسِنه ويَنقلُه .

ومن قديم غِنائه فى شعر الأحْوَص :

أَسلامُ إنَّكِ قد مَلَكتِ فأَسجِحِى ... قد يَملِكُ الحرُّ الكريمِ فيسجح[٣]
مُنِّى على عانٍ أَطَلْتِ عَناءَهُ ... فى الغُلِّ عندكِ والعُناةُ تُسَرَّحُ[٤]
إنّى لأنصحُكمْ وأعْلَمُ أنّه ... سِيّان عندكِ مَنْ يغشّ وينصَحُ
وإذا شكوتُ إلى سلامةَ حُبَّها ... قالت أَجِدٌّ منكَ ذا أم تَمزَحُ!

كَتَبَ عاملُ عبدِ الملك بنِ مروان بمكّة إليه : إنّ رجلا أسوَدَ يقال له : سعيدُ ابنُ مسجَح قد أفسدَ فِتيانَ قُريش ، وأنفقُوا عليه أموالَهم ، فكتب إليه أن اقبِض ماله ، وسَيِّره ، ففعَل ، ووَجَّه ابنَ مسْجَحٍ إلى الشام فلمّا وَصَل دخل المسجدَ ، فسأل : من أخَصُّ الناسِ بأمير المؤمنين ؟ فقيل له : هؤلاء النَّفَرُ من بنى عَمّه ، فوقف عليهمْ وسَلَّمَ ثم قال : يا فِتْيان ، هل فيكم من يُضِيف رجلًا غريباً[٥] من أهل الحِجاز ؟ فنظر بعضُهم إلى بعض ، وكانوا على مَوْعدٍ أن يَذهبوا إلى قَيْنةٍ يقال لها

---

(١) ذكر الأزرقى فى تاريخ مكة (٤٤٩ ، ٤٥٠ ـ لبيك) أن لمعاوية دورا كانت بمكة وذكر من بينها دارا تسمى الرقطاء .

(٢) ب ، ج : « بنيانهم » .

(٣) الإسجاح : حسن العفو ؛ ومنه المثل : « ملكت فأسجح » .

(٤) العانى : الأسير .

(٥) ا : « عزبيا » .

« بَرْق الأُفُق » ، فتثاقلوا به إلا فتًى منهم تَذَمَّمَ(١) له ، فقال : أنا أُضيفُك . وقال لأصحابه : انطلقوا أنتم ، وأنا أذهبُ مع ضَيْفى ، قالوا : لا ، بل تجىء معنا أنتَ وضيفُك ، فذهبوا جميعا إلى بيت القَيْنَة ، فلمّا أُتُوا بالغَدَاء ، قال لهم سعيد : إنّى رجلٌ أسوَد ، ولعلّ فيكم من يَستقْذِرُنى ، فأنا أجلس وآكُلُ ناحيةً ، وقام ، فاستَحْيَوْا منه وبعثوا له بما يأكل ، وفَعَل مِثلَ ذلك فى الشّراب ، وأَخرَجوا جاريتين فجلَستا على سريرٍ قد وُضِع لهما ، فغنّتا إلى العِشاء ، ثم دَخَلتَا ، وخرجتْ جارية ، حسَنةُ الوَجْه والهيئة ، وهما معها ، فجلستْ على السرير ، وجلست الجارِيتان عن يمينه وشِماله ، فتمثّل ابنُ مِسجَح :

فقلتُ أشمسٌ أم مصابيحُ بِيعةٍ بدَتْ لك خَلْفَ السِّجْفِ أم أنتَ حالِمُ

فغضِبت الجاريةُ وقالت : أيَضْرِب بى هذا الأسوَد الأمثال ! فنظروا إلىّ نظرا شَزْرا(٢) ، وسَكَّنوها حتى سكنَتْ ، ثم غنّت صوتا . فقال أبن مِسجَح : أحسنتْ والله ، فغضب مولاها ، وقال : مثل هذا الأسوَد يقدِم على جاريتى ! فقال لى الرجل الذى أنزَلنى عنده : قم فانصرفْ إلى منزلى ، فذهبتُ لأقوم ، فتذمَّم القوم وقالوا : بل أَقِمْ وأحسِنْ أدبَك ، فأقمتُ وغَنّت ، فقلتُ : أخطأتِ وأسأتِ ! ثم اندفعتُ وغنَّيتُ الصوت ، فوثبَت الجاريةُ وقالت لمولاها : هذا والله أبو عثمان بن مسجح . فقلت : إى والله ! أنا هو ، ولا أقيمُ عندكم ، ووثبتُ فوثَبَ القرَشيُّون ، وكلٌّ منهم يقول: يكون عندى ، فقلتُ: والله لا أقيمُ إلّا عند سيّدكم ــ يعنى الرجلَ الذى أنزلَه ــ فسألوه عمّا أقدَمَهُ ؛ فأَخْبَرهُم الخبر .

فقال له صاحبُه : إنّى أَسمُرُ عند أميرِ المؤمنين الليّلة ، فهل تُحسِن أن تَحْدُو ؟

---

(١) تذمم ؛ أى خشى الذم واللوم .

(٢) يقال : شزره وإليه : نظر فى أحد شقيه ، أو هو نظر فيه إعراض .

فقال : لا والله ، لـكـنّى أَصنَع حُداءً . قال : فإنّ منزلى بحِذاءِ منزلِ أميرِ المؤمنين ، فإذا وافقتُ منه طِيبَ النفسِ ، أرسلتُ إليك .

ومضى إلى عبدِ الملك ، فلمّا رآه طيّبَ النّفس أرسَل إلى ابن مِسجَحٍ ، فأخرَج رأسَه من وراءِ شُرَف القَصْر ، ثم حَدَا :

إنـك يا مُعاوِىَ المُفضَّلِ　　إن زُلزِل الأَقـوامُ لم تُزلزَلِ

عن دينِ موسى والكتابِ المُـنزلِ　　تُقيم أَصْـداغَ القُرُوم المُيَّـلِ

* للحقّ حتّى يَنْتَحُوا للأَعْدَلِ *

فقال عبد الملك للقُرَشىّ : من هذا ؟ قال : رجلٌ حجازىٌّ قَدِم علىّ . قال : أحضِرْه ؛ فأَحضَرَه ، ثم قال : تَغَنَّ غِناءَ الرّكْبان فغَـنّى ، ثم قال : تَغَنّ الغِناءَ المُتقَن ، فغَـنّى ، فاهتزّ عبدُ الملك طَرباً ، ثم قال : أُقسِم أنّ لك فى القوم اسما كبيرا ، مَن أنتَ وَيْلَك ! قال : أنا المظـلوم المقبوضُ مالُه ، المنفِىُّ عن وطنِه ، سعيد بن مِسْجح ، قَبَض مالى عاملُ الحجاز ونَفانى ، فتبسَّم عبدُ الملك وقال : قد وضَح عذرُ فِتيان قريش فى أن يُنفِقوا عليك أموالَهم . وأمَّنَه ووَصَله ، وكتب إلى عامله بردّ ماله عليه ، وألّا يَعرِض له بسوء .

سعيد الهُـذَلىّ*

سعيد وعَبْدال ابنا مسعود ، هُذَليّان ، وسعيدٌ الأكبرُ منهما ، وكنيتهُ أبو مسعود . وقيل : أبو عبد الرحمن ، وأمّه امرأةٌ يقال لها : أمُّ فَيْعَلى ، وكان كثيرا ما يُنسَب إليها .

وكان يَنقُش الحجارة بأبى قُبَيس ، ويعمل البُرَمَ من حِجارة الجَبَل وقد قيل : إن الأكبر عَبْدال .

وكان سعيد إذا أمسى أسرف على المسجد ، ثم غَـنَّى ، فلايلبَثُ أن يُرَى الجبل كقرص الخبيص[1] ، خُضرةً وصُفرةً من أردِيَة قُرَيش ، فيقولون : يا أبا عبدِ الرّحمن ، أَعِد . فيقول : أما والله ؛ وهاهنا حجرٌ أحتاج إليه ، لم يرد الأَبْطح ، [2]فلا يضعون أردِيَتَهُم حـتّى يُحدِرونها إلى الأبطح[2] ، ويَنزل معهم ؛ فيجلس على أعظمِها حَجَراً ، ويغـنِّى لهم .

لمّا احتُضِر ابنُ سُرَيج نظرا إلى ابنته وَبـكى ، فقالت له : ما يبكيك ؟ فقال : أخشى عليكِ الضَّيعةَ مِن بعدى ! قالت : لا تَخَفْ ، فما فى غِنائكَ شىءٌ إلّا أخذْتُه . قال : فغَنِّى ، فغنتْه ، فقال : قد طابت نفسِى ، ثم دعا بالهُذَلىّ فزوَّجها منه ، فأخَذَ الهذلىُّ غِناءَ أبيها كلَّه ، وانتَحَلَه أو أكثرَه .

ووَلدتْ بنتُ ابن سُرَيجٍ منه ابناً ، فلمّا يَفَعَ اجتاز يوماً بأشعبَ وهو جالسٌ فى فِتْيَةٍ من قريش فوثب ، فحمله على كَتِفه ، وجَعَل يُرقِصه ويقول : هذا ابنُ دَفَّتَى المُصْحَف ، هذا ابنُ مَزاميرَ داود .

---

* ترجمته فى الأغانى ٤ : ١٥١ ، ١٥٢ (ساسى) .

(١) كذا فى ا والأغانى ، والخبيص : نوع من الحلواء ، وأراد بالصفرة والحمرة هنا التمر والسمن ، لأن الخبيص يصنع منهما ، وفى ب ، ج : « كعرض المبيض » تصحيف .

(٢ ـ ٢) عبارة الأغانى : «فيضعون أيديهم فى الحجارة حتى يقطعوها ويحدروها إلى الأبطح»

فقيل : ويلَك ! ما تقول ؟ ومَنْ هذا الصبىّ ؟ فقال : أَوَ ما تعرفونه ! هذا أبنُ الهُذَلىّ من أُبنة ابن سُرَيج ، وُلِد على عُود ، واستَهَلّ[1] على غِناء ، وحُنِّك بمَلْوَى[2] ، وقطِعتْ سُرَّته بزِير[3] ، وخُتِن بمِضْراب[4] .

(١) يقال : استهل الصبى ؛ إذا رفع صوته بالبكاء عند ولادته .
(٢) الملوى : مفتاح العود الذى تعرف به قسب أوتاره .
(٣) الزير : الدقيق من الأوتار ، أو أحدها .
(٤) المضراب : ما يضرب به على أوتار العود .

سليمانُ بنُ سلّام الكوفىّ*

كنيتُه أبو عبدِ الله ، وكان حَسَنَ الوجه ، حسنَ الصّوت ، كان انقطعَ وهو أمرَدُ إلى إبراهيمَ المَوْصِلىّ ، فمالَ إليه وتعشّقه ، فعلَّمه وناصَحَه ، فبرَع ، وكثُرتْ رواتبهُ وصَنَع .

وكان إسحاقُ يهجُوه ويَطعن عليه ، وكان من أبْخَلِ الناس .

ولمّا مات خلّف جملةً وافرةً من المال ، فقَبَضها السُّلطان ، وكان من أصحابِ أبى مسلمٍ صاحبِ الدَّعْوة ودُعاته وثِقاته ، وكان يكاتب أهلَ العِراق على يَدَيْه[1] .

قال أبو الحواجب محمّد الأنصارىّ : قال لى سليم يوما : امْضِ إلى مُوسى بنِ إسحاق الأزرق ، فادْعُه ، ووافِيانِى مع الظّهر ، فجئنا الظّهر ، فأخرج لنا ثلاثين جاريةً مُحْسِنة ، ونَبيذاً ، ولَم يُطعِمْنا شيئا ، ولم نَكنْ أكَلْنا . فغمَزَ موسى غلامَه ، فذهب فاشتَرَى خبزا وبَيْضا ، ودخل به الكَنيفَ ، وجلسْنا نأكُل ، فلمّا رآنا غضِب وخاصَمَنا ، وقال : هكذا يَفعَل الناس ! تأكلون ولا تُطعِمونى معكم ! فجلس معنا فى الكَنيف يأكلُ حتّى فرَغْنا .

---

* ترجمته فى الأغانى ٦ : ١٦٤ ــ ١٧٠ (طبعة دار الكتب) .

(١) فى الأغانى : « يده » .

السّموءل بن عادياء الغسّانى*

هو السَّمَوْءلُ بنُ غَريض بن عادياء بن حيَّا[1] . قيل: هو مِن قَحْطان وقيل : هو من وَلَد الكاهِن بنِ هارونَ بنِ عمرانَ عليه السلام .

هو صاحبُ تَيْماءَ ، والحِصْن الأَبْلق ، واُحتَفَرَ به بئرا عَذْبة ، وكانت العرب تَنزِل به فيُضيفها ، فتَمْتار من حِصْنه ، ويُقيم لهم هناك سُوقاً ويقال : إنّ جدّه عادياء هو الّذى بَنَى الحِصْن بتَيْماء ، وهو من يهودِ يَثرب ، وهو الّذى يُضرَبُ به المَثَل فى الوفاء لإسلامِه أبنه حتى قُتِل ، ولم يَخُن أمانتَه فى أَدْراع أُودِعَها ، فيقال : وفاءٌ كوَفاء السَّمَوْءل .

والسببُ فى ذلك أنّ أمرأ القيسِ بن حُجْر ، لمّا سار إلى الشام يريد قَيصَر ، نزل على السّموءَل بنِ عادياءَ بحصْنه الأَبْلق بعد إيقاعه ببنى كِنانة ، على أنّهم بنو أسَدٍ وكراهة أصحابه لفِعْله ، وتفرُّقِهم عنه حتى بَقِيَ وحدَه ، واُحتاج إلى الهرَب ، وطَلَبَهُ المنذرُ بنُ ماءِ السماء ، ووجّه فى طلبِه جيشاً من إياد ، وبَهْراءَ ، وتَنُوخ ، وجيشا من الأساوِرة أمدَّه بهم أنو شِرْوانَ ، وخذلتْه حِمْيرُ ، وتفرّقت عنه .

فلجأ إلى السَّمَوْءلِ بنِ عادياء ومعه خمسةُ أَدْراع : الفَضْفاضة ، والضّافية ، والمحصَنة ، والخريق ، وأمّ الذيول ، وكانت لبنِى آكِل المُرار يتوارَثونها ، مَلِكٌ عن مَلِك ، ومعه ابنتُه هِند ، وابنُ عمّه يزيد بنُ الحارث بنِ معاوية ، وسلاحٌ ومالٌ كان معه ، ورجلٌ من بنى فَزارَة يقال له : الرَّبيع بن ضُبَيع ، شاعر . فقال له الفَزاريّ:

---

* ترجمته فى الأغانى ١٩ : ٩٨ ، ٩٩ (ساسى) .

(١) كذا فى الأصول ، وفى الاشتقاق لابن دريد ٤٣٦ : « السموءل بن غريض بن حيا بن عادياء » .

قل فى السَّمَوْءل شعرا تَمدحه به ؛ فإنّ الشعر يُعجبه ، وأنشَدَه الرَّبيع شعرا مَدَحه به ؛ وهو :

ولقدأتيتُ بنى المُضاضِ مُفاخِراً ‏ ‏ ‏ وإلى السموءلِ زُرْتُه بالأَبْلَقِ
فأتيتُ أفضَلَ مَن تحمَّل حاجةً ‏ ‏ ‏ إن جئتَه فى مُوثِقٍ أو مُرْهِقِ
عَرفتْ له الأقوامُ كلَّ فضيلةٍ ‏ ‏ ‏ وحَوَى المكارمَ سابقاًلم يُسْبَقِ

فقال امرؤ القيس فيــه :

طرقتْكَ هندٌ بعدَ طُولِ تجنُّبِ ‏ ‏ ‏ وَهْناً ولم تكُ قبلَ ذلكتَطرُق

فقال له الفَزارىُّ : إنّ السَّموءَل يمنعمنك حتى ترى ذاتعينك ، وهو فى حِصْنٍ حَصين ، ومالٍ كثير ، فقَدِم به على السَّموءَل وعرَّفه إيّاه ، وأنشداه الشعر ، فعَرَف لهما حقَّهما ، وضرَب على هندٍ قبّةً من أَدَم ، وأنزلَ القومَ فى مجلس له بَراح ، فأقاموا عنده ما شاء الله ، ثم إن امرأ القيس سأله أن يكتُب له إلى الحارث ابن أبى شَمِر الغسّانى أن يُوصِله إلى قَيْصر ، ففَعَل ، واستصحبمعه رجُلًا يدلُّه على الطريق، وأَودَع ابنته ومالَه وأدراعَه السَّموءل ، فدخل الشام، وخَلَّف ابن عمِّهيزيد بن الحارث مع ابنته هِند ، فنزل الحارثُ بنُ ظالم فى بعض غاراته بالأَبْلَق — ويقال : بل الحارث ابن أبى شمر الغسانى ، ويقال : بل كان المنذر وجّه الحارثَ بنَ ظالم فى خَيْلٍ ، وأمره أن يأخذ مالَ امرىء القيس من السموءَل ، فلمّا نزل به تحصَّن منه ، وكان له ابن قد يَفَع ، وخرج إلى قَنَصٍ له ، فلمّا رجع أخذه الحارثُ بنُ ظالم ، وقال للسّموءل : أتعرِفُ هذا ؟ قال : نعم ، هذا ابنى . قال : أفتسلِم ما قِبَلك أو أقتله ؟ قال : شأنَك به ، فلست أُخفِرُ ذِمّتى ، ولا أُسلِم جارى ، فضرب الحارث وسَطَ الغلام فقطعه قطعتين ، وانصرَف عنه ، فقال السّموءل فى ذلك :

وفَيتُ بأدْرُعِ الكِنْدِىِّ إنِّى ‏ ‏ ‏ إذا ما خانَ أقـــوامٌ وفَيتُ
وأَوْصَى عادياً يوماً بألّا ‏ ‏ ‏ تهـــدِّم يا سموءَلُ ما بَنيْتُ

بَنَى لى عادِياً حِصناً حَصِينــا وماءً كلَّمــا شئتُ أستقَيْتُ
أعاذِلتى ألا لا تَعــذُلِينى فكَمْ من أمرِ عاذلةٍ عَصيْتُ !
دَعِينى وأرشُدِى إن كنتُ أغْوَى ولا تَغْوِى زعمتِ كما غَـوِيتُ
أعاذلَ قد أطَلْتِ اللومَ حتى لو أنِّى مُنْتَهٍ لقــد أنتهَيْتُ
وحتى لو يكون فتى أُناسٍ بَكَى من عَذْل عاذلةٍ بكيتُ
وصَفْراء المَعَــاصِم قد دَعَتْنى إلى وَصْلٍ فقلت لهــا أَبَيتُ
وزِقٍّ قد جَرَرْتُ إلى النَّدامى وزِقٍّ قد شربتُ وقد سَقَيْتُ

وكان الأعشى وقع فى أسر عند رجُلٍ كَلْبيّ كان الأعشى هجاه ، ولم يعرف أنّه هو الأعشى ، فاستجار بشُرَيح بنِ السموءَل ، فأحسَن ضِيافته ، ومرّ بالكلبيّ ، فناداه الأعشَى :

شُرَيحُ لا تُسْلِمَنِّى اليومَ إذ عَلِقتْ حبالُك اليومَ بعـد القِـدِّ أظفارِى
قد سرتُ ما بَيْن بانِقْيا إلى عَدَنٍ وطالَ فى العُجْم تَكرارِى وتَسْيارِى[1]
فكان أوثقَهم عهداً وأمْنَعَهمْ جاراً أبوكَ بعرفٍ غـير إنكارِ
كالغَيْث ما استَمْطَرُوه جادَ وابِلُه وفى الشّدائد كالمستأسِد الضارى
كُنْ كالسموءَل إذ طافَ الهمام به فى جَحْفلٍ كهَزِيع اللَّيـلِ جرّارِ
إذ سامَه خطّتَىْ خَسْفٍ فقال له[2] قل ما تَشاء فإنّى سامـعٌ جارِ
فقـال غَدْرٌ وثُكلٌ أنتَ بينهمـا فاختَرْ ، وما فيهما حَظٌّ لمختـارِ
فشكَّ غـيرَ طويل ثم قـال له اقتُل أسيرَكَ إنّى مانـعٌ جارِى
وسوفَ يعقبنيـه إن ظفرتَ به[3] ربٌّ كريمٌ وبيضٌ ذاتُ أطْهـارِ

---

(١) فى الديوان ١٢٦ : « ترحالى وتسيارى » .
(٢) فى الأصول : « خطتاخسف » ، وصوابه من الديوان .
(٣) فى الأصول : « وسوف يعقبه أن قد ظفرت به » ، والأجود ما أثبته من الديوان .

لا سِرّهن لدَيْنا ذاهبٌ هَدَراً وحافظات إذا أُستُودِعْن أسرارِى
فاختارَ أدراعَهُ كيلا يُسَبَّ بهـا ولم يكن وعدُه فيها بختّـارِ (١)

فجاء شريحٌ إلى الكلبيّ فقال له : هبْ لى هذا الأسيرَ ، فقال : هو لكَ ، فأطلقَه فقال له : أقِمْ عندى حتى أحْبُوَكَ وأُكرِمَك ، فقال له الأعشى : إنّ تمام صَنيعِك أن تعطيَنى ناقةً ناجيةً ، وتخلّيَنى الساعة ، فأعطاه ناقةً ناجية فركِبَها ، ومضى من ساعته .

وبلغ الكلبيَّ أن الّذى وَهَب لشُريح هو الأعشى ، فأرسل إلى شُريح ، ابعثْ لى الأسيرَ الّذى وهبتُه لك حتى أَحْبُوه وأُعطيَه . فقال : قد مضى . فأرسل الكلبيّ فى أثَره فلم يَلْحقه .

وشعبة بنُ غَرِيض بن عادِياء ، أخو السموءَل ، شاعرٌ أيضا ؛ فمن شعرِه :

لُبـابُ يا أُخْتَ بنى مالكٍ لا تَشتَرِى العاجلَ بالآجلِ
لبـابُ دَاوِينى ولا تَقْتُـلى قد فُضِّل الساق على القاتِلِ
لبابُ هـل عند أمرىءٍ نائلٌ لعاشقٍ ذى حاجة سائلِ !
علّلْتِه منكِ بمـا لم يَنَلْ فطَالَمَا علّلْتِ بالباطلِ !
إن تسألى بى فاسألى خابِراً فالعِلْمُ قديكفِى لدَى السائلِ
يُنْبِيكِ مَن كان بنَا عالِماً عَنَّا وما العـالمُ كالجاهلِ
إنّا إذا مالتْ دَواعِى الهَوَى وأنْصتَ السامعُ للقائـلِ
وأعتَلَج القـومُ بألبابِهِمْ نَقضِى بحُكْمٍ عادلٍ فاصِلِ
لا نَجْعَلُ الباطـلَ حقّاً ولا نُلِطُّ دونَ الحقّ بالباطلِ (٢)
نخافُ أن تَسفُه أحـلامُنَا فنَخْمَلَ الدّهْرَ مع الخاملِ (٣)

---

(١) الديوان : « ولم يكن عهده » .
(٢) نلط : نستر .
(٣) الأحلام : العقول .

سعيد بنُ عبدِ الرّحمن بنِ حسّانَ بنِ ثابت*

قد مضى نسبُه فى نسب جَـدِّه حسّان ، شاعرٌ من شعراء الدّولة الأُمَويّة متوسِّط ، ليس معدوداً من الفُحول ، مَدَح بنى أميّةَ ووَصَلُوه ، ولم تَكن له نباهةُ أبيه ولا جَدِّه .

وفد سعيد بنُ عبدِ الرّحمن بن حسّان ، ومعه جماعةٌ من قريشٍ إلى الشّام فى خلافة هشامِ بنِ عبدِ الملك ، وسألهم مَعُونَته ، فلم يُصادِفوا من هشامٍ له نَشاطا .

وكان الوليـدُ بنُ يزَيد قد طلّق امرأتَه العثمانيّة ليتزوّج أختَها ، فمَنعه هشامٌ من ذلك ، ونَهَى أباها أن يزوِّجه ، فمرّ يوما سعيد بالوليـد ، وقد خرج من دارِه ليَركب ، فلمّا رآه وقف ، وأَمرَ الوليدُ به ، فَدُعِى إليه ، فلمّا جاءه قال : أنت ابن عبدِ الرحمن بنِ حسّان ؟ قال : نعم أيها الأمير . قال : ما أقْدَمَك ؟ قال : وفدتُ على أمير المؤمنين منتجِعاً ومادِحاً ، ومستشفعاً بجماعةٍ من أهله ، فلم أنَلْ منـه حُظْوةً ولا قَبولا . قال : لـكنّك تجد عندى ماتُحبّ ، فأَقِمْ حتى أَعُود ، فأقام ببابِه حتّى دخل على هشام وخرجَ من عنده ، فنزل ودعا بسعيد ، فدَخَل إليه ، فأمر بتحسين هَيْئته وإصلاح شأنه ثم قال : أَنشِدْنى قصيدةً لك بلَغَتْـنِى فشوَّقَتْـنى إليك ، وغُنِّيتُ فى بعضها ، فلم أزل أتمنَّى لِقاءكَ ، فقال : أىّ قصيدة هىَ أيّها الأمير ؟ قال : قولُك :

أَبائنةٌ سُعْدَى ولم تُوفِ بالعَهْدِ ... ولم تَشفِ قلباً تيمَّتْه عـلى عَمْدِ
نعم أفقـودٍ أنت إن شطت النّوى ... بسُعدَى ومامِن فُرْقةالدهرِمن بُدِّ
ومهما أكنْ جَلْداً عليه فإنّـنى ... على هَجْرِها غيرُ الصَّبُورِ ولا الجَلْدِ

---

* ترجمتـه فى الأغانى ٨ : ٢٦٩ ـ ٢٧٦ .

َجَمل يُنشدُها ودموعُ الوليد تتحدَّر على خدَّيه حتى فرَغ منها ، ثم قال له : لن تحتاج إلى رِفْدٍ من أحد ولا معونةٍ ما بَقِيتُ ، وأمر له بخَمْسِمائة دينار ، وقال : ابعث بهذه إلى أَهْلك ، وأَقِم عندى ، فلَمْ تَعْدَمْ ما تُحِبّ ما بَقيتَ ، فلَم يزلْ عنده ، ثم اُستأذنه واُنصرَف .

وَفَد سعيدُ بنُ عبدِ الرّحمن بنِ حسّانَ على هِشام بنِ عبدِ الملك ، وكان جميلَ الوجْه ، فاُختلف إلى عبد الصّمد بنِ عبد الأعلى مؤدِّبِ الوليدِ بن يزيد ، فأراده على نفسه وكان لُوطِيًّا زِنْدِيقاً ، فدخل سعيد على هشامٍ مغضَبا ، وهو يقول :

إنّه واللهِ لولا أنتَ لَمْ ... ينجُ مِنّى سالمًا عبدُ الصَّمَدْ

فقال هشام : وما ذاك ؟ قال :

إنّه قد رامَ مِنّى خُطّةً ... لَم يَرُمْها قبلَه منّى أَحَدْ

قال : وما هىَ ؟ قال :

رامَ جَهْلا بى وجَهْلًا بأبى ... يُدخِلُ الأَفْعَى إلى بيتِ الأَسَدْ(١)

فضحك هشام وقال له : لو فعلت به شيئاً مِن شعرِكَ لم أُنكِرْه عليك .

قال اُبن عائشة : قال رجلٌ من الأنصار لعَدِى بنِ الرِّقاع : أنشِدْنى شيئا من شِعْرِكَ . قال : ومِن أىّ العربِ أنت ؟ قال : أنا رجلٌ من الأنصار . قال : مَن منكم القائل :

إنّ الحَمامَ إلى الحِجازِ يَهيجُ لى ... طَرَبًا ترنُّمُه إذا يترنَّمُ
والبَرْقُ حيثُ أَشيمُه مُتَيامِنًا ... وجَنائبُ الأَرْواحِ حين تَنَسَّمُ

فقال له : سعيدُ بنُ عبدِ الرّحمن بنِ حسّان بن ثابت ، فقال له : عليك

(١) فى الأغانى : « خيس الأسد » ؛ وهما سواء .

بصاحبِكم ، فاكتبْ شعرَه ، فلستَ تحتاجُ معه إلى غيره ، وهـذه الأبيات من قصيدةٍ أوّلها :

بَرَح الخفاء فأيْنَ ما بكَ تـكتمُ ... ولسوفَ يَظْهَرُ ما تُسِرّ فيُعلَمُ(١)

حُمِّلتُ سُقْماً من علائقِ حبّها ... والحبُّ يَعلَقُه الصحيحُ فيَسْقَمُ

قالت وماء العَيْن يَغسِلُ كُحْلَها ... عنـد الفراق بمستهلٍّ يَسجُمُ

ياليتَ أنـك يا سعيدُ بأرضِنا ... تُلقِى المَراسِىَ ثاوياً وتُخَيِّمُ

فتُصيبَ لذّةَ عيشِنا ورَخاءَه ... ونـكون أحرارا فمـاذا تَنقِمُ !

لا تَرجِعَنّ إلى الحِجاز فإنّـه ... بَلَدٌ بـه عيشُ الـكَريم مذمَّمُ !

سأل سعيدُ بنُ عبد الرحمن أبا بكر بن محمّد بن عمرو بنِ حَزْم حاجةً يُكلِّم فيها سليمانَ بنَ عبد الملك ، فلَمْ يَقضِها له ، ففزِع إلى غيرِه ، فقال :

سُئِلتَ فلَمْ تَفعَلْ فأدركتُ حاجتى ... تولّى سِواكُمْ حَمدَها واصطِناعَها

أَبَى لكَ كَسْبَ الحمد رأىٌ مقصِّرٌ ... ونفسٌ أضاقَ الله بالخـيْر باعَها(٢)

إذا ما أرادتْه على الخـيرِ مَرّةً ... عصاها وإنْ هَمّت بشرٍّ أطاعَها

---

(١) رواية البيت فى الأغانى :

بَرَحَ الخفَاء فأىّ ما بكَ تـكتُمُ ... والشّوقُ يظهرُ ما تسِرُّ فيُعْـلَمُ

(٢) كذا فى ا ، والأغانى ، وفى ب ، ج : « وأيد اضاق » .

سائب خاثر*

هو مولَى بنى ليْثٍ ، وأصلُه من فىء كِسرَى ، اشتراه عبد الله بنُ جعفر وأَعتقَه . وقيل : بل اُشترى عبدُ الله وَلاءَه . وقيل : بل كان على وَلائه لبنى لَيْث ؛ وإنّما انقطع إلى عبد الله بنِ جعفر ، ولزِمَه فعرُف به ، وكان يبيع الطعامَ بالمدينة . واسم أبيه الّذى أعتقَه بنو ليث : « يسار »(1) . وهو أوّل من عَمِل العُودَ بالمدينة وغَنَّى به .

كان لعبد الله بنِ عامر بنِ بكر بن سبأ إماءٌ صَنَّاجات(2) ، فأَتَى بهنّ المدينة ، وكان لهنّ يومٌ فى الجمعة يَلْعَبْن فيه ، ويسمع النّاسُ منهنّ ، فأخذ عنهنّ .

وقدِم رجلٌ فارسىٌّ اسمُه : نَشيط ، فغَنَّى فعَجِب عبدُ الله بنُ جعفر منه ، فقال له سائب خاثر : أنا أصنعُ لك مِثلَ غِناءِ هذا الفارسىِّ بالعربيّة ، ثم غدَا على عبدِ الله ابنِ جعفر فغنّاه :

لمن الدِّيارُ رسومُها قَفْرُ ... لَعبتْ بها الأَرواحُ والقَطْرُ !
وخَلا لهـا مِن بعدِ ساكنِها ... حِجَجٌ مَضينَ ثمانٍ أوْ عَشْرُ
والزّعفرانُ عــلى ترائبِه ... شَرِقَتْ بــه اللَّبّاتُ والنَّحْرُ

وهو أوّلُ شعرٍ غُنِّى به فى الإسلام مِنَ الغِناء العربِّى المتقَن الصَّنعة . ثم اُشترى عبدُ الله بنُ جعفر نَشيطاً بعد ذلك ، فأخذ عنه سائب الغِناء العربىّ ؛ وكُنيةُ سائب خاثر : أبو جعفر ، ولم يكن يَضرب بالعُود ؛ وإنّما كان يَقرَع بقضيبٍ ويغنِّى مرتجِلًا .

---

* ترجمته فى الأغانى ٨ : ٣٢٦–٣٣٤ .

(1) فى الأغانى : « يشا » .

(2) الصناجات : اللاعبات بالصنج : وهو صفيحة من نحاس تضرب بأخرى مثلها .

وقُتِل أيّامَ الحرّة ، ومرّ به بعضُ القرشيّين ، وهو قتيل فضرب به برجله ، وقال : إنّ ها هنا لحنجرةً حسنة .

وكان سائب خاثر مُوسِراً ؛ وكان تحتَه أربعُ نِسْوة ، وكان مع انقطاعه إلى عبد الله بنِ جعفر يخالِط سَرَوات النّاس وأشرافَهم لظَرْفه وحلاوته ، وحُسنِ صوته ، وكان آلَى على نفسه ألّا يغنّى أحدا سوَى عبد الله بنِ جعفر إلّا أن يكون خليفة ، أو ولىّ عهدٍ أو ابنَ خليفة ، وبقىَ على ذلك إلى أن قُتِل .

وفَدَ عبدُ الله بنُ جعفر على معاويةَ ومعه سائب خاثر ، فوقّع له فى حوائجه ، ثم سأل عن حاجةِ سائب خاثر . فقال معاوية : مَن سائب خاثر هذا ؟ فقال : رجلٌ ليثىٌّ مِن أهل المدينة ، يَروِى الشِّعر ، قال : أوَكلُّ مَن يَروِى الشعرَ نَصِله ! قال : إنّه يُحسِنه : قال : وإنْ حَسَّنَهُ ، قال : أفأُدخِله إليك يا أميرَ المؤمنين ؟ قال : نعم . قال : فألبسه إزاراً ورِداء .

فلمّا دخل وقفَ على الباب وغَنّى :

* لِمَن الديارُ رُسومُها قَفْرُ *

فالتفتَ معاويةُ إلى عبد الله بن جعفر وقال : لقد حَسّنه ، وقَضَى حوائجَه ، وأحْسَنَ إليه .

وهذا الشّعر يُنسَب إلى أبى بكر بن مِسوَر بنِ مَخْرَمةَ الزُّهْرى ، وإلى الحارث ابن خالد المخزومىّ .

أَشْرَف معاويةُ بنُ أبى سُفيانَ ليلةً على منزل يزيدَ ، فسمع صوتا أعجَبَه ، واستخفّه السَّماع ، فاستمع قائما حتّى مَلّ ، ثمّ دعا بكرسىٍّ فجلس عليه ، وقال : أشتهِى الاستزادة ، فاستمع بقيّة ليلته ، ثم غدا عليه يزيد فقال : يا بُنَىّ ، مَن كان جليسَك البارحة ؟ قال : أىّ جليس ؟ واستعجَمَ عليه ، فقال : عرِّفْنى فإنّه لم يَخْفَ

عليَّ شيء من أمرك . قال : سائب خاثر يا أمير المؤمنين ، قال : فأكْثِرْ[1] له من بِرِّك وصِلَتِك ، فما رأيتُ بمجالسته بأسا .

لمّا قَدِم معاويةُ المدينةَ أمر حاجبَه بالإذن للناس ، فخرج ثم رجع ، فقال : ما بالباب أحد ! فقال معاوية : وأينَ الناس ؟ قال : عندَ عبد الله بنِ جعفر ، فدعا ببغلتِه فركبها ، ثم توجّه إليهم ، فلما جلَسَ ، قال بعضُ القُرَشيِّين لسائب خاثر : مُطْرَفٍ هذا مِن خَزٍّ وإن أنتَ اندفعتَ تغنِّى فهو لك ، فقام بين السِّماطين وغَنَّى :

لنا الجَفَناتُ الغُرّ يلمعْن فى الضُّحَى[2] وأسيافُنَا يَقْطُرن من نجـدةٍ دَمَا

فطرب معاويةُ وسَمِع وأصغى إليه حتى سَكَت ، وهو مستحسِن لذلك ، ثم قام وانصرَف إلى منزله ، وأخذ سائب المُطرَف .

وكان سائب خاثر يَخشَى على نفسِه من أهل الشام ، فخرج إليهم يومَ الحرّة ، وجعل يقول : أنا مُغَنٍّ ومِن حالى ، ومِن قِصّتى ؛ وقد خدمتُ أمير المؤمنين يزيدَ وأباه قبلَه ، فقالوا : غَنِّ لنا ، ففعل فقام أحدهم فقال : أحسنتَ ، ثم ضربَـه بالسَّيف فقتَله .

وبلغ يزيدَ خبرُه ومرّ به اسمُـه فى أسماء من قُتِل يومئذ ، فلَمْ يعرِفْه ، فقال : ومَن سائب خاثر هذا ؟ فعُرِّف به ، وقيل له : هو سائب خاثر ؛ فعرَفه ، فقال : وَيْلَه ! وماله ومالَنا ، ألم نُحْسِن إليه ونَصِلْه ، ونَخْلِطْه بأنفسنا ؟ فما الّذى حَمَله على عداوتنا ؟ لا جَرَم إنّ بغيَه صرَعه ، ثم قال : أوَبلغ القتلُ إلى سائب خاثر وطبقتِه ! ما أرَى أنّـه بقِىَ فى المدينة أحد ! ثم قال : قبحكم اللهُ يا أهل الشام ! تَجِدهم وجدوه فى حائط أو حديقة مستتِرا فقتَلوه .

---

(١) فى الأغانى : « فأخبر » ، وهو يعنى : « أكثر » .

(٢) كذا فى ب ، ج ، وفى ا : « فى الدجى » ، وفى الأغانى « بالضحى » .

سلّامة القسّ*

مولّدة من مولّدات المدينة ، وبها نشأت وأخذت الغناءَ عن مَعْبَدٍ وغيرِه ، فمَهرتْ وإنّما سُمِّيَت القسَّ ، لأنّ رجُلًا مشهورا بالعبادة يُعرَف بعبدالرحمن بن عمّار الجُشَمِيّ[1] ؛ من قرّاء أهلِ مكّة ، كان يلقَّب بالقَسّ لعبادته ، شُغِفَ بها وشُهِر بحبِّها حتى غَلبَ عليها لقبُه ، واشتراها يزيدُ بنُ عبدِ الملك في خلافة سليمان أخيه وعاشت بعدَه ، وكانت لمّا مات تَندُبه بهذه الأبيات ، من شعر الأحوَص :

قد لَعَمْرِي بِتُّ ليـــلِي ... كأخِي الداءِ الوَجيعِ
ونَجِيُّ الهمِّ مِنّي ... باتَ أدنَى مِن ضَجيعي
كلَّما أبصرتُ رَبْعاً ... خالياً فاضَتْ دُمُوعِي
لا تَلُمْنا إن خَشَعنا ... أو هَمَمْنا بالخُشوعِ
لِلّذي حَلّ بنا اليوْ ... مَ مِن الأَمْرِ الفَظِيعِ
إذ فَقَدْنا سيّدًا كا ... نَ لنا غيرَ مضيعِ

وكانت إحدَى مَن اتُّهِم بها الوليدُ من جَواري أبيه حِينَ قال له قتلتُه : نَنْقِم عليك أنّك تَطأُ جواريَ أبيك .

قال : وكانت سلّامة تقولُ الشِّعر ، وكانت قبل ذلك لسُهَيل بنِ عبد الرحمن .

وكان عبدُ الرحمن بنِ عمّار بنِ جُشَمَ بنِ معاويةَ القَسّ ، يَسكُن بمكّة وكان سبب افتتانه بسلّامة[2] هذه التي غلب عليها اسمُه ، أنّه كان أعبَدَ أهلِ زمانه ، وكان

---

* ترجمتها فى الأغانى ٨ : ٣٣٤ ـ ٣٥٠ (طبعة دار الكتب) .

(١) كذا فى ا ، والأغانى ، وفى ب ، ج : « الحبشى » . وفي القاموس (قسس)

(٢) كذا فى ا ، وفى الأغانى : « بها » ، وفى ب ، ج : « بمكة بسلامة » .

يشبَّه بعطاء بن أبي رَباح ، فسَمِع غناءَ سلّامة على غير تعمُّدٍ منه، فبلغ غناؤها منه كلَّ مبلغ ، فرآه مولاها فقال له : هل لك أن تدْخُل فتَسْمع ؟ فأَبَى ، فقال له مولاها : فأنا أقعِدها حيث تَسمَع غِناءها ولا تَراها ولا تَراكَ ، فلَمْ يزل به ، حتّى دخل فسمع غِناءها ، فأَعجبَه ، فقال : هل لك أن أُخرِجها إليك ؟ فأَبى ، فلم يزل به حتّى أَخرَجها إليه ، وأقعدَها بين يديه ، فغنَّت فشُغِف بها ، وشُغِفَت به ، وعرَفَ ذلك أهلُ مكّة :

فقالت له يوما : أنا واللهِ أحبُّك . فقال : وأنا والله أحِبُّك قالت : وأحِبُّ أن أضَع فمِي على فَمِك ، وأعانقَك وأقبِّلَك . فقال : وأنا والله أحِبُّ ذلك . قالت : وأشتهي والله أن أضاجِعَك وأضَع بَطني على بطنك ، وصَدْري على صَدْرِك . قال : وأنا والله أحِبُّ ذلك . قالت : فما يَمنَعُك من ذلك ؟ والله إنّ المكان لخالٍ . قال : يَمنعُني منه قولُ الله عزّ وجلّ : ﴿ الأَخِلَّاء يَوْمَئِذٍ بعضُهم لبعضٍ عدُوٌّ إلّا المُتَّقِين ﴾ وأنا أكرَه أن تكون خُلّةُ ما بيني وبينك تؤُول إلى عداوةٍ يومَ القيامة .

ثم قام وانصرف ، ولم يَعُد إليها ، وعاد إلى ما كان عليه مِنَ النُّسُك وقال فيها أشعارا ، منها :

سلّامُ هل لِي منكُمُ ناصرُ ... أم هل لقلبِي عنكُمُ زاجرُ !
قد سَمِع النّاسُ بوَجْدي بكُمْ ... فمنهمُ اللّائم والعاذرُ

ومما قال فيها :

إنّ الّتي طرقتْك بين ركائبٍ ... تَمشِي بمِزْهَرِها وأنتَ حرامُ
باتت تعلّلنا وتَحْسَب أنّنا ... في ذاك أَيقاظٌ ونحن نِيامُ
حتى إذا سَطَع الصّباحُ لناظِرٍ (١) ... فإذا وذلك بينَنا أحلامُ

---

(١) في الأغاني : « سطع الضياء ».

قد كنتُ أعزِلُ فى السّفاهة أهلَها ... فأُعجَبْ لما تأتى به الأيّامُ !

فاليوم أعذِرُهم وأحسَبُ أنّما[1] ... سُبُلُ الضّلالة والهُدى أقسامُ

وكانت سلّامة وَريّا لرَجُل واحد ، وكانتا أختَيْن ، وكانتا مِن أجْمَل النّاس وأحسنِهنّ غِناء ، وكانت حَبابةُ تنظر إلى سلّامة بعينِ الإجلال والفضل[2] عليها .

لمّا وَلّى عثمانُ بنُ حَيّانَ المُرّىّ المدينة ، قال له قومٌ من وُجوه النّاس : إنّك قد وُلِّيتَ المدينةَ على كثرةٍ من الفساد فإن كنتَ تريد أن تُصلِح فَطهِّرها من الغِناء والزِّنا ، فصاح فى ذلك ، وأجّل أهلَه ثلاثا يخرجون [فيها][3] من المدينة .

وكان ابنُ أبى عَتيق غائباً ، وكان من أهل الفَضْل والعَفاف والصّلاح ، فلما كان آخرُ ليلةٍ من الأَجَل ، قدِم ابنُ أبى عَتيق ، فقال : لا أدخُل إلى منزلى حتى أدخلَ على سلّامةَ القَسّ ، فدخل عليها فقال : ما دخلتُ منزلى حتى جئتُكم لأسلِّم عليكم ، فقالت : ما أغفلَك عن أمرِنا ! وأخبَروه الخبَر ، فقال : اصبِروا علىّ اللّيلة . فقالوا: نخاف أن يُلْهِيَك شىء . قال : إن خفتمْ شيئا فاُخرجوا فى السَّحَر .

ثم خرج ، فاستأذَنَ على عثمانَ بن حَيّان ، فأَذِن له ، فسلّم عليه ، وذكر غَيْبَته ، وأنّه جاء ليقضىَ حَقَّه ، ثم جزاه خيرا على ما فعل من إخراج أهل الغِناء والزِّنا ، وقال : أرجو ألا يكون [هناك][4] عمل هو خير لك منه .

قال عثمان : قد فعلتُ ذلك وأشار علىّ أصحابُك به . فقال : قد أصبتَ ، ولكن ما تقول فى أمرأة كانت هذه صناعتُها ، وكانت تُكْرَهُ على ذلك ، ثم تركته ،

---

(١) فى الأغانى : « وأعلم أن ما » .

(٢) ب ، ج : « التفضل » .

(٣) تكملة من الأغانى .

(٤) تكملة يقتضيها الكلام .

وأقبلتْ على الصّلاة والصّيام والخير ، وأنا رسولُها إليك ؛ تقول : أتوجَّهُ إليكَ وأعوذُ بك أن تُخرِجنى من جِوار رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ومسجدِه .

قال : فإنّى أدعُها لك ولكلامِك .

فقال ابنُ أبى عتيق : لا يدَعُك النّاس ، ولكن تأتيك وتَسمعُ كلامَها وتنظرُ إليها ، فإن رأيتَ أنّ مِثلَها ينبغى أن يقول تركتَها . قال : نعم، فجاءه بها ، وقال : احملى معكِ مِسبَحةً وتخشَّعى ، ففعلتْ .

فلمّا دخلتْ على عثمانَ سلّمتْ عليه ، وجلستْ وحدّثته ، فإذا هى من أعلمِ النّاس بأمور الناس، فأُعجِب بها ، وحدّثته عن آبائه وأمورِهم ، ففَكِه[1] لذلك.

فقال ابن أبى عتيق : إقرَئى للأمير ، فقرأتْ له . فقال لها : احْدِى له ، ففعلتْ ، وكثر تعجّبه منها ، فقال : كيف لو سمِعتَها فى صِناعتها ، فلَم يزلْ يُنزِله شيئا فشيئا حتى أمرها بالغناء ، فقال لها ابن أبى عتيق : تَغَنَّىْ :

مَلأْنَ خَصاصَ الخَيْمِ لمّا دخلْنَه بكلّ لَبانٍ واضحٍ وجَبينِ[2]

فغنّته ، فقام عثمانُ من مجلسه فجلس بين يديها ثم قال: لا واللهِ ما مِثلُ هذه يَخرج .

فقال ابن أبى عتيق : لا يدَعُك الناسُ تُقِرّ سَلّامةَ وحدَها وتُخرِج غيرَها !

قال : فَدَعْوهم جميعا ، وترَكهم[3] جميعا .

لمّا قَدِمتْ رُسُل يزيدَ بن عبد الملكِ فاشتَروْا سلّامةَ بعشرين ألف درهم ، فلمّا خرجتْ من مِلْك أهلِها طلبوا من الرُّسُل أن يتركوها عندهم أيّاما ، ليجهِّزوها بما يُشابِهُها من حُلِيٍّ وثياب وصِبْغٍ[4] وطِيب .

---

(١) فكِه بذلك : طابت نفسه .

(٢) اللبان : الصدر ، وفى الأغانى : « سددن خصاص الخيم » .

(٣) فى الأغانى : « وتركوهم » .

(٤) الصبغ هنا : ما يؤتدم به .

فقالت لهم الرُّسُل : هذا كلُّه معنا لا حاجةَ بنا إلى شيء منه ، وأمروها بالرَّحيل، فخرجتْ حتى نزلتْ سِقايةَ سليمانَ بن عبد الملك ، وشيَّعها الخلْق من أهل المدينة ، فلمّا بلغوا السِّقايةَ . قالت للرُّسُل : إنّ لى قوما كانوا يغشَوْنَنِى ويسلِّمون علىّ ، فلا بدّ لى من وداعهمْ ، والسّلامِ عليهم ، فأُذِنَ للناس عليها ، فانقَضُّوا حتى مَلأُوا رحبة القصر ، ووقفتْ هى بارزةً لهم ومعها العُود ، فغنّت :

فارَقونى وقد علمتُ يقينـــاً ما لِمَنْ ذاقَ ميتةً مِن إياب
إنّ أهلَ القِباب قد تركونى مُولَعاً مُغرَماً بأهلِ القِبـــاب[1]
أهلُ بيتٍ تتابَعوا للمَنايا ما على الدهرِ بعدهمْ من عتابِ[2]

فلم تزل تُردِّدُ هذا الصوت ، والناس يَنتَحِبون حتى ركبتْ وانتحَب النّاسُ عند رُكوبها ، وتوجّهت .

وقال يزيد بنُ عبدِ الملك : ما يُقِرُّ بعيني ما أُتيتُ من الخلافة حتى أشترىَ سلّامة جاريةَ مُصعَب بن سُهَيل الزُّهرِىّ ، وحَبابةَ جاريةَ آلِ لاحق المكّيّة ، فلمّا ملكهما قال : أنا الآن فى بلوغ أُمْنيّتى كما قيل :

فألقتْ عَصاها واستقَرَّ بها النَّوى كما قَرَّ عَيناً بالإيابِ المُسافِرُ

ثم قال لهما : قد ملَكْتُكما فما شاءَ بَعْدَكُما من أمرِ الدنيا فليَفُتْنِى .

قال إسحاق المَوْصلىّ : سمعتُ نائحةً مكّيّةً تنوحُ بهذا الشعر :

قد لَعَمْرِى بِتُّ لَيلِى كأخى الدّاءِ الوَجيعِ

فكنتُ أترنّم به لشدّة إعجابى به ، فسمِعَه أبى فقال : ما تَصْنَع به ؟ قلتُ :

---

(١) الأغانى : « بأهل الحصاب » .

(٢) تتابعوا : تهافتوا .

هذا شِعر الأحْوَص ، وصنعةُ معبَد ، وناحت به سَلّامةُ على يزيدَ بنِ عبد الملك ، ثم ضَرَبَ الدهرُ ضَرْبَه(١) ، فمات الرّشيد ، فإذا رسولُ أمِّ جعفر يأمرُني بالحضور ، فحضرتُ ، فبعثتْ إليّ : إني قد جمعتُ بناتِ الخلفاء ، وبناتِ بني هاشم لنَنُوحَ على الرّشيد في ليلتنا هذه ، فقلْ أبياتا رقيقةً ، واُصنعهن صَنْعةً حسنة حتى أنوحَ بها ؛ فأردتُ نفسي على أن أقولَ شيئا فما حضرَني ، وجعلتْ تَحثُّني رُسُلُها ، فذكرتُ هذا النّوحَ ، فأردتُ أنْ أصنعَ شيئاً ، ثم قلتُ : قد حضرَني القولُ ، وقد صنعتُ ما أُمرتِ به ، فبعثتْ إليّ بكُنَيزة ، وقالت : طارِحْها حتى تُطارِحَنا ، فأخذتُ كُنَيزة العودَ وردّدته عليها حتّى أخذتْه ، ودخلت فطارحتْه أمَّ جعفر ، فبعثتْ إليّ بعشرة آلافِ درهمٍ ومائةِ ثوب.

(١) ضرب الدهر ضربه : باعد بيننا .

سُوَيد بن أبى كاهل*

هو سُوَيد بنُ أبى كاهل بن حارثة بن حِسْل بن مالكِ بن عبدِ سعد بن جُشَم ابن دُبْيان بن كنانةَ بن يشكُر ، واسم أبى كاهل : شَبِيب وكنيتُه سويدٌ أبوسعد، بدليل قوله:

أنا أبو سعدٍ إذا الليل دجا　　　دخلتُ فى سِربالِه ثم النَّجا

جعَلَه ابن سلّامٍ فى الطبقة السادسة ، وقرَنه بعنترةَ العَبْسى وطبقتِه ، وهو مخضرَمٌ جاهلىٌ إسلامىٌ . وكان أبوه أبو كاهل شاعراً ، ولمّا قرأ أبو نصر صاحبُ الأصمعىّ علَى الأصمعىّ قصيدةَ سُوَيد ، فضّلها وقدّمها ، وهى :

فبَسطتْ رابعةُ الحبلَ لنا　　　فوصَلْنا الحبلَ منها ما اتَّسعْ(١)
كيف يرجُون سُقوطى بعدَ ما　　　جَلَّلَ الرأس بياضٌ وصَلَعْ(٢)
رُبَّ من أنضجتُ غيظاً صدرَه(٣)　　　قد تمنَّى لىَ موتاً لم يُطعْ
ويَرانى كالشَّجا فى حَلْقِه　　　عَسِراً مخرَجُه ما ينتزَعْ
ويُحَيِّينى إذا لاقيْتُه　　　وإذا أمكن من لحمِى رَتَعْ(٤)
وأبيتُ الليلَ ما أهجعه　　　ويُمَنِّينى إذا النجم طَلَعْ

وكانت العرب تفضِّل هذه القصيدةَ وتقدِّمها وتَعدُّها من حِكَمِها ، وكانت فى الجاهليّة تسمّى اليَتيمة .

---

* ترجمته فى الأغانى ١٣ : ١٠٢ ـ ١٠٨ (طبعة دار الكتب) .

(١) اتسع : امتد . والقصيدة مفضلية .

(٢) فى المفضليات : « كيف يرجون سقاطى »

(٣) المفضليات : « قبله » .

(٤) المفضليات : « وإذا يخلو له لحمى رتع » .

وكان زياد الأعجمُ قد هجا بني يَشْكُرَ بقوله :

إذا يَشْكُرِيٌّ مَسَّ ثوبَك ثوبهُ   فلا تذكُرَنَّ الله حتّى تَطَهّرَا

فلو أنّ مِن لؤم تموتُ قَبيلةٌ   إذاً لأماتَ الله لا شكّ يشكرَا

فأتى بنو يشكرَ إلى سويدِ بن أبي كاهل ليهجوَ زياداً الأعجم ، فأبى عليهم ، فقال زياد :

وأُنبئتهمْ يَستصرِخونَ ابنَ كاهلٍ   ولِلُّؤم فيهمْ كاهِــلٌ وسَنَـام(١)

فإن يأتنا يَرجعْ سويدٌ ووجهُه   عليه الخزايا غُبْرةٌ وقَتَـــامُ

دَعِيٌّ إلى ذبيانَ طَوْراً وتارةً   إلى يشكرٍ ما في الجميع كِرامُ

فقال سويد : هذا ما طلبتمْ ! وكان سويدٌ مغلَّبا(٢) ، وكان يتأخّر عن هجاء زياد .

وأمّا قوله :

دَعِيٌّ إلى ذُبيانَ طَوْراً وتارَةً   إلى يشــكرٍ . . . .

فإن أمَّ سُوَيد امرأةٌ من بني غُبَر ، وكانت قبلَ أبي كاهل عند رجلٍ من بني ذُبيان بن قيس عيلان ، فمات عنها فتزوّجها أبو كاهل ، وكانت فيما يقال حاملًا ، فاستلاط(٣) أبو كاهل ابنها لما ولدَتْه ، وسمّاه سويد ، واستلحقه به ، وكان إذا غضِب على يشكر ادّعى إلى ذُبْيانَ وإذا رضى عنهمْ أقامَ على نسبه .

وقيل: إنّه وُلد في بني ذُبْيان، وتزوّجتْ أُمّه أبا كاهلٍ ، وهو غُلام يَفَع، فاستلحقَهُ أبو كاهلٍ وادّعاه ، وقد انتمى سُويدٌ إلى قيس وافتخر بذلك في قوله :

---

(١) الـكاهل : مقدم أعلى الظهر مما يلى العنق .

(٢) المغلب هنا : المغلوب مرارا .

(٣) استلاطه : ادعاه ولدا وليس منه .

أنا الغَطفانىّ ابن ذبيان فابعدوا فللزَّنْجُ أدنَى منكم ويحـابرُ
أبتْ لىَ عَبْسٌ أن أسامَ دَنِيّةً وسعدٌ وذُبيانُ الهِجانُ وعامرُ
وحىٌّ كرامٌ سادةٌ من هوازنٍ لهم فى المُلمّات الأنُوفُ الفواخر[1]

وكان زهير قد جاور بنى شَيْبان ، فأساءوا جِوارَه وغصَبوه شيئا من ماله ، فانتقل عنهمْ وهجاهُم فأكثر ، وكان الّذى ظلمَه وأخذَ مالَه أحد بنى محلِّم، فهجاهم ، وإخوتَهم بنى[2] ربيعة ، فاستعدَتْ بنو شيبانَ عليه عامرَ بنَ مسعود الجُمَحىّ والى الكوفة ، فدعا به وتوعّدَهُ وأمَرَه بالكفّ عنهم بعد أن أمر بحَبْسه ، فغضبتْ له قَيس ، وقامت بأمره حتى خلّصتْه ، فقال فى ذلك:

يكفُّ لِسانى عامرٌ وكأنّمـا يكفُّ لساناً فيه صابٌ وعَلقَمُ
أأترك أولادَ البَغايا وغـيرَهم وتَحبسنى عنهمْ ولا أتـكلّمُ !
ألم تعلَموا أنّى سويدٌ وأنّنى إذا لم أجد مستأخَراً أتقدَّمُ !
حَسِبْتُمْ هجائى إذْ بَطِنتمْ غَنيمةً علىَّ دِماء البدن إنْ لم تندَّمُوا

وكان سويدٌ قد هاجَى حاضرَ بنَ سَلَمة الغُبْرِىّ ، فطلبهما عبد الله بنُ عامر ابن كرْيز ، فهَربا من البصرة [ثم هاجى الأعرج أخا بنى حمّال بن يشكر][3] ثمّ أخذهما صاحبُ الصّدَقة فى أيّام ولايةِ عامر بنِ مسعود الجُمَحىّ الكوفةَ ، فَحبَسَهما ، وأمر ألّا يَخْرجا من السِّجن حتّى يؤدِّيا مائةً من الإبل ، فجاء بنُو حمّال إلى صاحبهم فكفلَوه وخذَل بنو عبدِ سعد سُوَيْداً ، وهم قومُه ، فسأل بنى غُبَر ، وكان قد هجاهم فقال :

---

(١) الأنوف الفواخر ، كناية عن ارتفاعها وشممها .
(٢) فى الأغانى : « بنى أبى ربيعة » .
(٣) تكملة من الأغانى .

مَن سَرَّهُ النَّيكُ بغير مالِ   فالغُبَرِيّاتُ على طِحـالِ[1]

*شَواغِرٌ يُلمِعن للقُفّالِ[2] *

فلما سأل بنى غُبَر قالوا له : يا سُوَيد ، « ضيّعت البِكارَ بِطحال » ، فأرسَلُوها مَثَلا ، أى أنّك عَممْتَ جماعَتنا بالِهجاء فى الأُرجوزة ، فضاع ما قَدَّرتَ ، أنّا نَفْديك به من الإبل ، فلَم يزل محبوسا حتّى استوهبَتْه عَبْس وذُبْيان لمديحه لهم ، وأنتمائه إليهم ، فأطلَقُوه بغيرِ فداء .

---

(١) طحال : موضع بعينه .

(٢) الشواغر : المرفوعة أرجلها للنـكاح . والإلماع : الإشارة . والقفال : الراجعون من السفر .

سليمان بن القصّار*

هو سليمانُ بنُ على الطُّنْبُورِىّ ، قالت قُمْرِيّةُ البَكْتَمُرِيّة : كنتُ فى حَداثتى لرجل من الكتّاب يُعرَف بالبَلُّورى ، وكانت سِتّى الّتى ربّتْنى له مغنِّيةً شجيّة الصوت ، حَسَنة الغِناء ، وكانت تَعْشَق ابنَ القصّار ، وكانت علامةُ مصيرِه إليها أن يَجْتازَ فى دِجلَةَ وهو يغنِّى ، فإن قدرتُ على لقائه أوصلْتُه إليها ، وإلاّ مضى ؛ فأذكره ، وقد اجتازَ بنا فى ليلةٍ مقمِرة ، وهو يغنِّى :

أنا فى يُمنَى يَدَيْهَا وهى فى يُسْرى يَدَيَّهْ
إنّ هذا لقَضَاءٌ فيه جَوْرٌ يا أُخَيَّهْ

ويغنّى فى آخره ردّه :

* وَيْلَ وَيْلِى يا أُبَيَّهْ *

وكانت ستّى واقفةً بين يدَىْ مولاها ، فما ملكتْ نفسَها أن صاحتْ : أحسنتَ والله أيُّها الرجل ! فأعِدْ وتفضَّلْ ؛ ففَعل ، وشربتْ رطْلًا ، فتغافَلَ عنها مولاها لموضِعها من قلبه ، فما أذكر أنّى سمعتُ قطُّ أطيَبَ من غنائه ولا أَحْسَن .

---

* ترجمته فى الأغانى ١٤ : ١١٢ ـ ١١٥ (طبعة دار الكتب) .

سليمان بن أبى الزّوائد*

هو سليمانُ بنُ يحيى بن يزيد[1] بن مَعْبَــد بن أيّوب بن هِلال بن عوف ابن[2] نَضْلة بنِ عُصَيّة بنِ بكر بن سعد بن بكر بن هَوازن بن منصور ؛ ويقال له: أبنُ أبى الزّوائد ، شاعرٌ مُقِلٌّ ، من مخضرمى الدّولتيْن ، وكان يَؤُمُّ النّاس فى مَسجِد رسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم .

كان أبن أبى الزّوائد يتعشّق جاريةَ سوداء مولاةَ الصُّهَيْبيِّين ، وكان يختلف إليها ؛ فممّا قال فيها :

قد كان لى منــكِ ما أُسَرُّ بهِ ... ولَيْتَ ما كان منكِ لم يَـكُنِ
نَعِفُّ فى لهـونا ويَجْمَعُنا الــ ... ـمَجْلِس بين العَرِيشِ والجُرُنِ[3]
يُعجبنا اللّهو والحديثُ ولا ... نَخلط فى لهـونا هَنَــاً بِهَنِ[4]

كان أبو عبيدة بن عبد الله بن زمعة صديقا لابن أبى الزوائد ، ثم تباعد ما بينهما فهَجرَه ، فقال فيه :

قَطَع الصَّفاءَ، ولم أكُن ... أهـلًا لذاكَ ، أبو عُبَيْــدَهْ
لا تحسبَنّك عاقـلًا ... فلأنت أحمقُ مــن حُمَيْدَهْ

كانت بالمدينة أمرأة رَعْناء يقال لها : حُمَيْدة ، يُضرَب بها المَثَل فى الحُمْق .

---

* ترجمته فى الأغانى ١٤ : ١٢١ ـ ١٣٠ (طبع دار الكتب) .

(١) فى الأغانى : « ابن زيد » ، وأثبت ما فى الأصول .

(٢ـ٢) كذا فى الأصول ، وفى الأغانى : « ابن نضلة بن عصية بن نصر بن سعد بن بكر بن هوازن » .

(٣) أصلها الجرن ، كقفل ؛ وهو موضع تجفيف التمر .

(٤) كناية عما يستهجن ذكره من الرجل والمرأة .

دخل ابنُ أبى الزّوائد إلى حمّاد بن عمرانَ الطَّلْحِيّ ، وكان يلقّب بمُطْمُط وكان له قِيانٌ يَسمعهنّ الناس ، فرآهنّ ابنُ أبى الزّوائد ، فقال فيهنّ :

أقولُ وقد صُفِّفَ البُظْرُ لى(١) ... ألِلْبُظْرِ أدْخَلَنِى مُطْمُطُ ؟

وإنى امرؤ لا أحِبُّ الزّنا ... ولا يَستفِزُّنِىَ البَرْبَطُ(٢)

ولو بعضُهنّ أبتغى صَبْوَتِى ... لخالَط هامتها المِخْبَطُ(٣)

لبئس إذاً فِعْلُ مَن قد قرا ... وهمّت عَوارِضُهُ تَشْمَطُ(٤)

وما كنت مُفْتَرِشاً جارَتى ... وسيّدها نائمٌ يَضْرِطُ

أأُفرِغ فى جارتِى نُطفةً ... حَراماً كما يُفرَغ المُسْعُطُ(٥)

قال ابن دَأب : خرجتُ أنا وأخى يَحْيى ، وابنُ أبى السعلى(٦) ومصعب ابنُ عبد الله النَّوْفَلِىّ ، ومعنا ثابتٌ والزّبير ابنا خُبَيْب بن ثابت بنِ عبد الله بنِ الزُّبير ، وابنُ أبى الزّوائد السَّعْدى ، وابنُ أبى ذئب متنزّهين إلى العَقيق . وقد سال يومئذ ، فبيْنا نحن جلوسٌ إذ أتانا آتٍ ، فسألْناه عن الخبر بالمدينة ، فقال : ورد كتابُ المنصورِ يأمر ألّا تتزوّجَ منافيّةٌ إلّا مَنافِيًّا . فقال ابن أبى ذئب : إذاً والله لا يَخطُب قرشىٌّ إلّا من لا يُحِبُّها ولا يرغَب فيمن لا يرغب فيها ممّن لا فضل لَهُ عليها ، وكان غيرَ حسن الرأيِ فى بنى هاشم وتكلَّم أبنا خُبَيبٍ بمثل ذلك ، وقال أحدها : إن

---

(١) الأغانى : « صنفت البظر » .

(٢) البربط : العود ، معرب .

(٣) المخبط : العصا يخبط بها الورق .

(٤) الشمط ، بالتحريك : بياض فى الرأس يخالط سواده . والعارضة : صفحة الخد ، وقرا ، مسهل : « قرأ » ؛ أى الذى قرأ القرآن .

(٥) المسعط : ما يجعل فيه السعوط ويصب فى الأنف .

(٦) الأغانى : « السعلاء » .

غَمَّنا من بنى عبدِ مناف قــد طال ، فأَدالَنا الله منهم[1] ، قال : فغضب مصعب النَّوْفَليّ ، وكان أحْوَلَ ، فازدادت عيناه انقلابا ، فقال : أمّا أنتَ يابنَ أبى ذئب ، فوالله ما شرّفتْك جاهليّةٌ ولا رفَعَك إسلام فيَقع فى بالِ أحدٍ أنّك عُنيتَ بما جرَى ؛ وأمّا أنتما يا بنى خُبَيْب فبُغضُــكما لبنى عبد منافٍ تالدٌ موروث ، لا يزال يتجدّد كلّما ذَكرتمْ قتــلَ الزُّبير ، وإنــكم لَمِن طينتَين مختلِفتين ، أمّا إحداهما فمِن صَفيّة[2] ، وهى الطِّينة الأَبْطَحيّة السنيّة ، تَنزِعان إليها إذا نَفَرْتما[3] ، وتَفْخَران بها إذا فَخَرْتُمَا ، والأخرى الطِّينة العَوّاميّة التى تَعرِفانها ، ولو شئتُ أن أقــول لقلتُ ، ولــكنّ صفِيّة تحجُزُنى ، فأَحسِنا الشــكر لمن رفعَــكما ، ولا تَميلا عليه بمَن وضَعَــكما .

فقالا له : مهــلا ، فوالله لقَديمُنا فى الإسلام أفضلُ من قَديمك وحَظُّنا فيه بالزُّبير أفضلُ مِن حَظِّــك .

فقال مصعب : ما تَفخَران فى نسبِــكما إلّا بعمّتى ، ولا تَفضُلان فى دينكما إلّا بابْن عمّى رسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم ، فَفاخِرْه لى دونَــكما ، ثم تفرّقوا . فقال ابن أبى الزّوائد :

لعَمرُكُما يابْنَىْ خُبَيْبٍ بنِ ثابتٍ — تَجاوزتُما فى الفخر جهلًا مَداكُما
وأنــكرتُما فضلَ الّذين بفضلهمْ — سمتْ بين أيدى الأكرمين يداكُما
كأنّــكما لَم تعرِفا إذ سمــوْتُما — إلى العِزِّ مِن آل النبىِّ أباكما
ولا تَعرِفا الفضلَ الّذى قَدْ حَويْتُما — به لا مِن العــوّام حقّا أتاكما
ولولا الــكرامُ الغُرُّ مِن آل هاشمٍ — فــلا تَجْهَلا لَم تَدْفَعا مَنْ رَماكما

(١) أدالنا الله منهم : نصرنا عليهم ، وفى ب ، ج : « عليهم » ، بدل « منهم » .
(٢) هى صفية بنت عبد المطلب بن هاشم عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم .
(٣) كذا فى الأصول ، وفى الأغانى : « نافرتما » ؛ والمنافرة : المفاخرة والمحاكمة .

سلّامة الزّرقاء*

هى جارية عبد الملك بن رامِين ، وكان يقال لها : أمّ عثمان .

قال بعض المَدَنيِّين : أتيتُ منزلَ ابنِ رامينَ ، فرأيتُ عنده جاريةً قد رفع ثديُها قميصَها ، ولها شاربٌ أخضرُ ممتدٌّ على شَفَتِها امتدادَ الطِّراز ، كأنما خُطّت طُرّتاها وحاجِباها بقلمٍ لا يلحقها فى ضَرْبٍ من ضُرُوب حُسْنِها ، وصفُ واصف ، فسألتُ عنها فقيل لى : هذه الزَّرقاء ؛ ثم رأيتُها فى دار جعفر بنِ سليمان .

كان محمد بنُ الأشعث القرشىُّ الزُّهرىُّ الكاتب ، من فِتْيان الكُوفة وظُرفائهم ، يقول الشعرَ ، وكان يألَف سلّامَة الزّرقاء ، فمّا قال فيها :

أَمْسَى لسَلّامَةَ الزَّرقاءِ فى كَبِدى ... صَدْعٌ مقيمٌ طوالَ الدّهرِ والأَبدِ

لا يستطيعُ صَناعُ القَوْمِ يَشْعَبُه ... وكيف يُشْعَب صَدْعُ الحبّ فى الكبدِ(1)

إلّا بوصلِ التى من أجلِها انصدَعَتْ ... تلك الصُّدوعُ من الأَسقام والكَمَدِ

ولم يزلْ محمّد بنُ الأشعث ملازما لابن رامين ولجاريته سلّامة حتّى شُهِر بذلك ، وكان رجلا قَصّافا(2) ، فلامَه قومه فى فِعله ، فلم يَحْفِلْ بمقالتهم ، وطال ذلك منهم حتّى رأى بعضَ ما كَرِه فى منزل ابنِ رامين ، فمال إلى سَحيقة جارية زُرَيْق ابن مَنيح ، وكان زُرَيق شيخا سخيًّا كريما نبيلا يجتمع إليه أشرافُ أهلِ الكوفة من كلّ حَيٍّ ، وكان الغالبُ على منزله رَجُلًا من ولد القاسم بنِ عبد الغفّار العِجْلىّ ، كغَلَبَةِ محمّد بنِ الأشعث على منزل ابنِ رامين ، فتلازَما منزلَ زُرَيق ، وفى ذلك يقول محمّد بنُ الأشعث :

---

* ترجمتها فى الأغانى ١٥ : ٥٦ ـ ٧٣ (طبعة دار الكتب) .

(١) الصناع : الحاذق بالصنعة . والشعب : الإصلاح .

(٢) القصاف : كثير القصف ؛ وهو اللهو واللعب .

يابنَ رامِينَ بُحتُ بالتّصريحِ ... فى هوايَ سحيقةَ ابنِ مُنيحِ
قينةٌ عفّةٌ ومــولًى كريمٌ ... ونـديمٌ من اللُّبابِ الصَّريحِ
رَبَعِيٌّ مهذَّبٌ أرْيَحىٌّ ... يَشترِى الحَمْد بالفعَال الرَّبيحِ
نحن منه فى كلِّ ماتشتهى الأنـ ... ـفسُ من لَذَّةٍ وعيشٍ نَجيحِ
عند قَرْمٍ من هاشمٍ فى ذُرَاها ... وغنـاءٍ من الغـزالِ المَلِيحِ (١)
فى نعيمٍ وفى سرورٍ مُقيمٍ ... قد أَمِنّا من كُلِّ أمرٍ قبيحِ
فاسلُ عنها كما سلوناكَ إنّى ... غيرُ سالٍ عن ذات نفسِى ورُوحى
حافظٌ عنكَ كلّما كنتَ قد ضَيَّـ ... ـعْتَ ممّا عصيتُ فيه نصيحى
يابنَ رامِين فالْزَمنْ مسجِد الحـ ... ـىِّ بطولِ الصّلاة والتّسبيحِ

فلم يَدَع ابنُ رامينَ شريفا فى الـكُوفة إلّا وتحمَّل بـه على ابن الأشعث أن يَرضَى عنه ، ويعاودَ زيارته ، فلَم يفعل حتى تحمَّل عليه بمحمّد بن بِشْر الأسَدىّ ، وكان يومئذ على الـكوفة ، فـكلّمه فرضىَ عنه ، وعاد(٢) إلى زيارته ولم يَقطع منزلَ زُرِيق . وقال فى سحيقةَ شِعرا .

كان محمّد بنُ جَميل يَهوَى سلّامَة الزرقاء وتَهواهُ ، وكان رَوْح بنُ حاتم بن المهلَّب كثيرَ الغِشْيان لمنزل سيِّدها أبنِ رامِين ، فقال لها محمّد بنُ جميل يوماً : إنّ رَوْح بنَ حاتم قد ثقُل علينا ، فقالت : وما أصنَعُ فيه ، قد غَمَرَ مولاى بِرُّه ، قال : احْتالِى له ، فبات عندهم رَوْحُ ليلةً ، فأخذتْ سِرْواله فغسلتْه وهو نائم ، فلمّا أصبحَ سأل عنه ، فقالت : غسَلْناه ، ففطِن أنّه أحدَث فيه ، واحتيج إلى غَسْله فاستحيا من ذلك ، وانقطع عنهم ، وخلا وجهُها لابن جَميلٍ .

---

(١) القرم : السيد .
(٢) فى الأغانى : « ورجع » .

كان جعفر بنُ سليمانَ اشترى سلّامةَ الزّرقاءَ بثمانين ألف درهم ، وستَرَها عن أبيه ، وأبوه يومئذٍ على البَصْرَة فى خلافة المنصور ، وقد تحرّك فى تلك الأيّام عبدُ الله بنُ علىّ ، فهجم عليهما يوما سليمانُ بنُ علىّ ، فأخفيا العُودَ تحت السرير ، فقال له : وَيْحَك ! نحن على هذه الحال ، وأنت تشترى جاريةً بثمانين ألف درهم ! وأظهرَ له غَضَباً وسُخْطاً بما فعله ، فغمزَ خادماً له كان(١) على رأسه ، فأخرَجها إلى سليمان ، فأكبّتْ على رأسه فقبّلَتْه ، ودعتْ له .

وكانت عاقلةً مقبولةً شَكِلَة(٢) ، فأعجبَتْه ، فقام عنها ولم يَعُد إلى معاتبة ابنه بعد ذلك . ولمّا مضت لها مدّة عند جعفر بن سليمان قال لها يوما : هل ظَفِر منكِ أحدٌ قطُّ ممّن كان يهواكِ بخَلْوَةٍ أو قُبْلة ؟ فخشيتْ أن يبلغَه شىء كانت فعلَتْه بحضرة جماعة ، أو أن يكون قد بلغه شىء ، فقالت : لا والله ، إلّا يزيد بن عون العِبادىّ الصَّيْرَفِىّ ، فإنه قبّلنى قُبلةً وقَذَف فى فمى لؤلؤةً بِعتُها بثلاثين ألف درهم . فلم يزل جعفرٌ يحتال له ويطلبه ، حتّى وقع له ، فضرَبه بالسِّياط حتّى مات .

قال عبد الرّحمن بن مقرون(٣) : كتبتُ إلى ابن رامين أستأذِنه فى إتيانِ منزلِه ، فكتب إلىّ : قد سبقكَ رَوْحُ بنُ حاتم ، فإن كنتَ لا تحتشم منه فرُحْ ، فرُحْتُ ، فكأنّنا كنّا فرَسَىْ رِهان ، فالتقينا ، فعانقَنى وقال لى : أين تُرِيد ؟ قلت : حيث أردتَ . قال : الحمد لله ، فدخَلْنا فخرجت الزّرقاء فى رِداء وإزار قُوهِيَّين(٤) مورَّدَيْن كأنّ الشمس طالعةٌ من بين رأسِها وكعبِها(٥) ، فغنّتْنا ساعةً ، ثم جاء الخادمُ الّذى

(١) ساقطة من ا .

(٢) شكلة : ذات غنج ودلال وغزل ، وفى الأغانى : « متكلمة » .

(٣) فى الأغانى : « مقرن » .

(٤) القوهى : ضرب من الثياب بيض ؛ منسوبة إلى قوهستان .

(٥) فى الأغانى : « وكتفيها » .

يأذن لها[1] ، وكان الإذن عليها دون مولاها ، فقام على الباب وهى تغنّى فلمّا قطعت الغناء نظرَتْ إليه ، فقالت : مَنْ ؟ قال : يزيد بنُ عَوْن العباديّ الصَّيْرَفِيّ الملقّب بالماجن على الباب . قالت : أدخِلْه ، فلمّا استقبلها كفَّر[2] ثم أقعى[3] بين يديها ، فجوّدَتْ[4] واللهِ له ، ورأيتُ أثرَ ذلك ، وتنوَّقتْ تنوُّقاً خلافَ ما كانت تفعلُ بنا ، فأدخلَ يدَه فى ثوبه ، فأخرَج لؤلؤتين ، فقال : انظُرى يا زرقاء ، جُعِلت فداكِ ! ثم حلف أنّه نقَدَ فيهما بالأمس أربعين ألف درهم ، قالت : فما أصنع بذاكَ ؟ قال : أردتُ أن تَعلمِى ، فغنّت صوتاً ثم قالت : يا ماجنُ هبهما لى . قال : إن شئتِ واللهِ فعلتُ . قالت : قد شئتُ . قال : فاليمينُ التى حلفتُ بها لازمةٌ لى إن أخذتِهما إلّا بشفتيك من شفَتَىَّ !

قال : فذهب رَوْحٌ يتسرّع إليه ، فقلت[5] : ألكَ فى بيت القوم حاجة؟ قال: نعم. قلت : إنما يتكسّبون بما ترى .

وقام ابنُ رامينَ فقال : ضَعْ لى ماءً يا غلام ، ثم خرج عنّا . فقالت : هاتِهما ، فمشى على ركبتيه وكفّيه ، وهما بين شفتيه ، وقال : هاكِ ، فلمّا ذهبَتْ تناوَلُهما ، جعل يصدّ عنها يميناً وشمالاً ليستمكِن منها ، فغمزتْ جاريةً على رأسها ، فخرجتْ كأنّها تريد حاجة ، ثم عَطفتْ عليه ، فلمّا دنا وذهب ليَرُوغَ دفعت منكِبَه ، وأمسكتْه حتّى أخذت الزرقاء اللّؤلؤتين بشفتيها من فمه ورَشَح جبينُها عَرَقاً حياءً منّا ، ثم تجلّدتْ علينا ، فأقبلت علينا وقالت : المغبون فى استه عُود .

---

(١) يأذن لها ، يريد : يستأذن عليها .

(٢) التكفير : أن ينحنى الذمى أو المجوسى برأسه ؛ إيماء إلى التعظيم .

(٣) أقعى : تساند إلى الوراء .

(٤) جودت له : أعجبت به ، وفى الأغانى : « فوجدت والله له » ، أى لحقها الوجد به والحب له .

(٥) فى الأغانى : « فقالت له » .

فقال: أمّا أنا فلا أُبالى. والله لا يَزال طِيبُ هذه الرائحةِ فى أنفى وفمِى ما حَييتُ .

اجتمعَ عند ابن رامينَ معنُ بنُ زائدة ، ورَوْح بن حاتم ، وابنُ المقفّع فلمّا تغنّت الزّرقاء ، وسَعْدة ، بعث معنٌ فجىءَ ببَدْرة فصَبّها بين يدَيْها ، وبعث رَوْح فجىءَ ببَدْرة فصبّها بين يديها ، ولم يكن عند ابن المقفَّع دراهم ، فبعث فجىء بصَكٍّ فيه عُهْدة ضَيْعَتِه، فقال: هذه عُهْدة ضَيْعتى خُذيها، وأمّا الدراهم فما عندى منها شىء .

وقال شُراعة بنُ الزَّنْدَبوذ :

قالوا شُراعةُ عِنّينٌ فقلتُ لهمْ ... اللهُ يَعْــلَمُ أنّى غـيرُ عِنّينِ
فإن أبَيْتم وقلتمْ غيرَ قولِـكُمُ ... فأَقْحِمونىَ فى دارِ ابن رامينِ(١)
ثم اخبروا كيف طَعْنى عند مُعْتَركى(٢) ... فى حِرِ مَن كنتُ أَرمِيها وتَرْمِينى

(١) أقحمه : ألقاه ورمى به .
(٢) رواية الأغانى : « ثم انظروا » .

سُدَيْف*

هو سُدَيف بنُ مَيْمون ، مَولَى خُزاعة ، وسبب اُدّعائه وَلاءَ بنى هاشم ، أنّه تزوّج مولاةً لآل أبى لهب(١) ، فادَّعَى وَلاءَهم ، ودخل فى جُملةِ مواليهم .

وقيل : إنّ أباه ميمون هو الّذى تزوّج مولاةَ اللهبيّين(٢) ، فولدتْ له سُدَيْفاً .

ولمّا يَفَع وقال الشِّعر ، وعُرِف بالبيان ، وحُسْن العارضة ادَّعَى الوَلاء فى موالى بنى أميّة ، فغلبوا عليه .

وسُدَيف شاعرٌ مُقِلٌّ حِجازىٌّ ، من مخضرَمى الدّولتين ، وكان شديدَ التعصُّب لبنى هاشم ، مظهِرًا لذلك فى أيّام بنى أُمَيّة ، فغلبوا عليه ، وكان يخرج إلى أحجارِ صُفِىّ(٣) فى أرض ظهر مكّة ، يقال له : صُفِىُّ السِّباب ويخرج مولًى لبنى أميّة معه ، يقال له : سَبّاب ، فيتسابّان ويتشاتَمان ويذكران المَثالبَ والمَعايب ، ويخرج معهما من سُفَهاء الفريقَيْن مَن يتعصّب لهذا ولهذا ، فلا يَبْرَحون حتّى يكون بينهما الجِراح والشِّجاج ، ويخرج السّلطان إليهم فيفرّقهم ، ويعاقب الجُناةَ ، فلم تزل تلك العصبيّة بمكّة حتى شاعت فى العامّة والسِّفلة ؛ وكانوا صنفين ، يقال لهم : السُّدَيْفِيّة والأخرى السَّبَّابِيّة طُول أيّام بنى أميّة ، ثم انقطع ذلك فى أيّام بنى هاشم ، وصارت العصبيّة بمكّة من الخيّاطين والحَرّارِين(٤) .

---

* ترجمته فى الأغانى ٤ : ٣٤٣ ـ ٣٥٥ ، و١٦ : ١٣٥ ، ١٣٦ .

(١) كذا فى الأغانى ؛ وهو الصواب ؛ وفى الأصول : « لأبى لهب » .

(٢) كذا فى الأغانى ، وفى الأصول : « أبى لهب » .

(٣) فى الأغانى : « صفا » .

(٤) الحرارون : صانعو الحرير .

ومِن شعرِ سُدَيف من قصيدة قالها يَذكُر فيها أمرَ بنى حَسَن ، وَمخرَجهم ، وأنشدها المنصور بعد قتله محمّدَ بنَ عبد الله بنِ حسن ، فلمّا أتى على هذا البيت :

واسَوْءَتا للقومِ لا كَفُّوا ولا إذْ حارَبوا كانوا من الأحْرارِ

فقال له المنصور : أتحرِّضهم[1] علىَّ يا سُدَيْف ؟ قال : ولكنّى أؤَنِّبهُم يا أميرَ المؤمنين .

سَلّمَ سُدَيف على رَجُلٍ من بنى عبد الدّار . فقال له : مَن أنتَ يا هــذا ؟ قال : أنا رجلٌ من قومك ، أنا سُدَيْف بنُ مَيْمون . قال : لا والله يا هذا ، ما فى قومى « مَيْمون » . فقال : صدقتَ والله ما فيهم مَيْمونٌ ولا مُبارَك .

بينا أبو العبّــاس فى مجلسه على سريره ، وبنو هاشم دونَه على الـكراسىّ ، وبنو أميّة على الوَسائد قد ثُنِيَتْ لهم ، وكانوا فى أيّام دولتهم يجلسون هم والخليفة منهم على السَّرير ، ويجلس بنو هاشم على الـكَراسىّ ، فدخل الحاجبُ فقال: يا أميرَ المؤمنين ، رجل حجازىٌّ أسْوَدُ ، راكبٌ على نَجِيب ، متلثّم يستأذن ، ولا يخبر باسمِه ، وحَلَف ألّا يَحسِرِ اللِّثامَ[2] عن وجهه حتّى يَراك .

فقال : هــذا مولاى سُدَيف ، يَدْخُل ، فدخل ، فلمّا نظر إلى أبى العباس ، وبنو أميّة حواليَه حَسَرَ اللِّثام عن وجهه ، وأنشأ يقول :

أصبحَ الدِّين ثابتَ الآساسِ بالبَهاليلِ من بنى العَبّاسِ[3]
بالصُّــــدور المقدّمين قديماً والرءوس القَماقِم الرُّؤّاسِ[4]

---

(١) الأغانى : « أتحضهم » .
(٢) حسر اللثام عن وجهه : كشفه .
(٣) البهاليل : جمع بهلول ؛ وهو السيد الجامع لـكل خير . ورواية الأغانى : «أصبح الملك»
(٤) القماقم : العدد الـكثير .

يا أمينَ المطهَّرِين من الذَّ ـمّ ويا رأسَ منتهَى كلِّ راسِ

أنت مَهْدِيُّ هاشمٍ وهُـداها كم أُناسٍ رَجَوْكَ بعدَ إياسِ !

لا تُقِيلَنَّ عَبـد شمسٍ عِثارًا واقطَعَنْ كلَّ رَقْلَةٍ وغِراسِ (١)

أنزِلوها بحيثُ أنزلَها اللَّـ ـهُ بدارِ الهَوان والإتعـاسِ

خوفُهمْ أظهرَ التـودُّدَ منهمْ وبهمْ منـكمُ كحَزِّ المَواسِى

أَقْصِهِمْ أيُّهـا الخليفةُ واحسِمْ عنك بالسَّيْفِ شأفةَ الأَرْجَاسِ

واذكُرُنْ مَصرعَ الحسينِ وزَيدا (٢) وقتيـــلًا بجانب المِهْرَاسِ

والإمام الّذى بحَرّان أَمْسَى رَهْنَ قبرٍ فى غُربةٍ وتَناسِ (٣)

ولقـــد ساءنى وساءَ سَوائى قُربُهمْ مِن نَمارِقٍ وكَراسى (٤)

نِعْمَ عبدُ الهِراش مولاكَ لولا أَوَدٌ من حَبـــائلِ الإفلاسِ (٥)

فتغيّر لونُ أبى العبّاس ، وأخذه زَمَع (٦) ورِعدة ، فالتفت بعضُ ولدِ سليمانَ ابن عبد الملك إلى رجل منهم كان إلى جَنْبه ، فقال : قتلنا واللهِ العَبْدُ !

ثم أقبل أبو العبّاس عليهم فقال : يا بنى الفَواعل ، لا أرى قتلاكم من أهلى ،

---

(١) الرقلة : النخلة الطويلة .

(٢) فى الأصول : « وزيد » ؛ والأجود ما أثبته من الكامل ٤ : ٨ ؛ و« زيد » هو ابن على بن الحسين ؛ وكان قد خرج على هشام بن عبد الملك ؛ وقتله يوسف بن عمر الثقفى وصلبه بالكناسة عريانا ؛ هو وجماعة . والقتيل الذى بجانب المهراس هو حمزة بن عبد المطلب ؛ عم الرسول عليه السلام والمهراس ماء بأحد .

(٣) القتيل الذى بحران هو إبراهيم بن محمد بن على ؛ المعروف بالإمام .

(٤) غاظ سوائى ، أى غيرى . والنمارق : جمع نمرقة ؛ وهى الوسائد .

(٥) الأود : التعب والجهد ؛ ورواية الكامل والعقد :

نعم شبل الهراش مولاك شبل لو نجا من حبائل الإفلاس

(٦) الزمع : شبه رعدة تظهر على الوجه عند الغضب .

وقد سلفوا وأنتم أحياء تتلذّذون فى الدنيا ! خذوهم ، فأخذتهم الخراسانية بالكافر كوبات[١] ، فأُهْمِدوا ؛ إلا ما كان مِن عبد العزيز بنِ عمرَ بنِ عبد العزيز ، فإنّه أستجار بداودَ بن علىّ ، وقال له : إنّ أبى لم يكن كآبائهم ، وقد علمتَ صنيعَه إليكم ، فأجاره ، واستوهبه من السّفّاح وقال له : قد علمتَ يا أميرَ المؤمنين صنيعَ أبيه إليكم ، فوَهَبه له ، وقال : لا تُرِيَنّى وجهَه ، وليكن بحيث تأمنه . وكتب إلى عمّاله فى النّواحى بقتل بنى أميّة .

وقيل : إنّ سبب قتل بنى أميّة أنّ السّفّاح أُنشِد قصيدةً مُدِح بها ، فأقبَل على بعضهم فقال : أين هذا ممّا مُدِحتمْ به ؟ فقال : هيهات ! لا يقول أحدٌ فيكم مِثلَ قولِ ابن قيس الرُّقيّات فينا :

ما نَقَموا مِن بَنِى أُميّة إلّا ... أنّهمْ يَحلمُون إن غَضِبوا
وأنّهم مَعدِن المُلوك فلا ... تَصْلُحُ إلّا عليهمُ العَرَبُ

فقال له : يا ماص كذا مِن أمّه إنّ الخلافة لفى نفسك بعدُ ! خُذُوهم . فأُخِذوا فقُتِلوا ، ثم دعا أبو العبّاس بالغَداء حين قُتِلوا ، وأمر ببساطٍ فبُسِط عليهم ، وجلس فوقَهم يأكل وهم يضطرِبون تحتَه فلما فرغ قال : ما أعلم أنى أكلتُ أكلة قطّ كانت أهنأ ولا أطيب فى نفسى منها . فلما فرغ من الأكل قال : جُرّوا بأرجُلِهم ، وألقُوهم فى الطّريق ليلعَنهم الناسُ أمواتا كما لعَنوهم أحياء .

قال : فرأيتُ الكلاب تجرّ بأرجُلهم وعليهمْ سراويلُ من الوَشْى حتّى أنتَنوا ، ثمّ حفِرت لهم بئرٌ فأُلقُوا فيها .

---

(١) فى حاشية ١ : « كافر معلوم ، وكوب بالفارسى المدق ، اسم الآلة ؛ يعنى آلة حطم الكافر . والألف والتاء فى آخره علامة الجمع » .

لمّا دخل سُدَيف على أبي العبّاس وعنده رجالٌ من بني أميّة ، أنشده :

يابنَ عمِّ النَّبي أنت ضياءٌ   استبنّا بـك اليقينَ الجليّا
جرّدِ السّيفَ وارفعِ العفوَ حتّى   لا ترَى فوقَ ظهرها أمويّا
لا يغرّنّك ما ترَى من رجالٍ   إنّ تحت الضّلوع داءً دَوِيّا
بَطَن البُغضُ في القديم وأضحَى   ثابتاً في قلوبهمْ مَطوِيّا

وهي طويلة ، فقال : يا سُدَيف ، ﴿ خُلِقَ الإنسانُ من عَجَل ﴾ . ثم قال أبو العبّاس متمثّلاً :

أحيا الضّغائنَ آباءٌ لنا سَلَفوا   فلَن تبيدَ وللآباءِ أبْناءُ

وأمر بمن عندَه فقُتِلوا .

روى طارقُ بنُ المبارك عن أبيه : قال : جاءني رسولُ عمرو بن مُعَاوية ابنِ عمرو بن عُتْبة ، قال : يقول لك عمرو : قد جاءت هذه الدولة وأنا حديثُ السِّنّ ، كثيرُ العيال ، منتشِر الأموال[1] ، فما أكون في قبيلة إلّا شُهِر أمري ، وقد عزمتُ علَى أن أفديَ حُرَمِي بنفسي ، وأنا سائرٌ إلى باب الأمير سليمان بنِ عليّ ، فصِرْ إليّ ، فوافيْتُه فإذا عليه طَيْلَسانٌ أبيضُ مطبَق وسَراويل وشيٍ مسْدول ، فقلت : يا سبحانَ الله ! ما تصنع الحداثةُ بأهلها ! أبهذا اللباس تلقَى هؤلاء القومَ ، لِمَا تريد لقاءهم فيه ! قال : لا والله ، ولكنّه ليس عندي ثوبٌ إلّا أشهر ممّا ترى ، فأعطيتُه طَيْلساني ، ولويتُ سراويلَه إلى رُكْبتيْه ، فدخل ثم خرج مسرورا ، فقلت له : حدِّثني ما جرى بينكَ وبين الأمير .

قال : دخلتُ عليه ولم يكن رآني قطُّ ، فقلت : أصلحَ الله الأمير ! بلادي لَفَظَتْني[2] إليك ، ودلّني فضلُك عليك ، فإمّا قتلتَني غانماً ، وإمّا ردَدْتني سالما .

---

(١) الأغاني : « المال » .

(٢) ا : « لفظتني البلاد إليك » .

قال : ومَن أنت ؟ فأنتسبتُ له ، فقال : مرحباً بك ، اقعد فتكلّمْ غانما آمِنا ، ثم أقبل علىّ فقال : ما حاجتُك يا بْنَ أخي ؟ فقلت : إنّ الحُرَم اللّواتى كنتَ أقرَب إليهنّ منّا ، وأولَى النّاس بهنّ بعدَنا ، قد خِفْن بخَوْفنا ، ومن خاف خِيفَ عليه . قال : فوالله ما أجابنى إلّا بدموعِه على خدّيه ، ثم قال : يا بن أخى يَحقِن اللهُ دَمَك ، ويَحْفظُك فى حُرَمك ، ويوفِّر عليك مالَك ، واللهِ لو أَمكنَنى ذلك فى جميع قومِك فعلتُ ذلك ، فكن متوارِياً كظاهرٍ ، وآمِنا كخائف ، ولْتأْتِنى رِقاعُك .

قال : فكنتُ أكتب إليه كما يكتب الرّجُل إلى أبيه وعمِّه فلمّا فرغ من الحديث ، رددتُ عليه طَيْلَسانَه ، فقال : مهلًا ! فإنّ ثيابنا إذا فارقَتْنا لَمْ تَرجِع إلينا.

وقيل : إن الشِّعر الّذى أنشدَه سُدَيف لأبى العبّاس هو هذا :

كيفَ بالعفوِ عنهُم وقديماً ... قتلوكُمْ وهتّكوا الحُرُماتِ !

أين زيدٌ وأين يَحيَى بنُ زَيْدٍ ... يالَها من مُصيبةٍ وتِراتِ !

والإمامُ الّذى أصيب بحَرّا ... نَ إمامُ الهُدَى ورأْسُ الثِّقات

قتَلوا آلَ أحمدٍ لا عفا اللّـ ... ـهُ لمَروان ، غافرُ السيّئات

أنشد محمّد بنُ زيد لرجل من شِيعة بنى العبّاس يَحضّهم على بنى أُميّة :

إيّاكُمُ أن تلينوا الاعتذارَ لهمْ ... فليس ذلكَ إلّا الخوفُ والطّمعُ

لوْ أنّهمْ أَمِنوا أَبْدَوْا عَداوتَكم[1] ... لكنّهمْ قُمِعوا بالذُّلّ فانقمَعُوا

أليس فى ألفِ شهرٍ قد مضتْ لهمُ ... سقَوْكُمُ جُرَعاً من بعدِها جُرَعُ !

حتّى إذا ما انقضتْ أيّام مدّتهمْ ... متُّوا إليكُمْ بالأرحامِ الّتى قطعوا[2]

هيهاتَ لابدَّ أن يُسقَوْا بكأسهمُ[3] ... رِيًّا وأن يحصدوا الزّرعَ الّذى زَرَعوا

إنّا وإخوانَنا الأنصار شِيعتُكمْ ... إذا تفرّقتِ الأهواءُ والشِّيَعُ

(١) فى الأغانى : « عداوتهم » .

(٢) كذا فى ا ، وقد ورد البيت محرفا فى ب ، ج .

(٣) ب ، ج : «بكأسكم » ، تصحيف .

ولمّا أنشد سُدَيف الأبيات ألتفت إليه أبو الغَمْر سليمانُ بنُ هشام ، فقال له : يامَاصَّ بَظر أمّه ! أتَجْبَهُنا بهذا ، ونحن سَرَوات الناس ! فغضب أبو العبّاس — وكان سليمان صديقه قديماً وحديثاً ، ويقضي حوائجه ويَبَرُّه في أيّامهم — فلم يلتفتْ أبوالعبّاس إلى ذلك ، وصاح بالخراسانيّة : خُذُوهم ! فقتلوهم جميعا إلّا سليمان بن هشام فأقبل عليه السفّاح فقال : ياأبا الغمر ، ما أرَى لك في الحياة بعد هؤلاء خيرا . قال : لا والله ، قال : أقتُلوه ، وكان إلى جانبه ، فقتَلُوه ؛ وصُلِبوا في بُستانه حتى تأذَّى جلساؤُه بريحِهم ، وكلّموه في ذلك ، فقال : والله إنّ هذا عندي ألذّ من شمّ رائحة المِسك والعَنْبر ، غيظا عليهم وحنقا[1] .

رِكِبَ المأمونُ يوما بدمِشقَ يتصيّد حتى بلغ جَبَـلَ الثَّلْج ، فوقف في بعض الطريق على بِرْكة عظيمة في جوانبها أربع سَرَوات[2] ، لم يُرَ أحسنَ منها ، فنزل المأمونُ يَنظر إلى آثار بني أميّة ، ويَعْجَب منهـا ، ويذكُرهم ثم دعا بطَبَق عليه بَزْماوَرْد[3] ، ورِطل نبيذ ، فقام عَلّويه فغنّى :

أولٰئك قَوْمي بعــد عِزٍّ ومَنْعةٍ تَفَانَوْا فإلّا تَذْرِفَ العَيْنُ أكْمَدِ

فغضِب المأمون ، ورَفَـع الطَّبقَ وقال : يا بن الفاعلة ! لم يكن لك وقتٌ تبكِي فيه على قومك إلّا هذا الوقت ! قال : نعم ، أبْـكِي عليهم؛ مولاكُم زِرْياب ، يَركبُ معهم في مائة غلام ، وأنا مولاهم معكم أموتُ جُوعا ! فقام المأمون فركبَ ، وانصَرَف الناس ، وغَضِب على علَّوَيْه عشرين يوما ، فـكلّمه فيه عبّاس ، فرَضِيَ عنه ، ووَصَله بعشرين ألف درهم .

---

(١) ساقطة من ب ، ج .

(٢) السرو : شجر حسن الهيئة قويم الساق .

(٣) البزماورد : « طعام يسمى لقمة القاضي » مصنوع من اللحم المقلي بالزبد والبيض . وفي شفاء الغليل : « زما ورد » والعامة تقول : « بز ما ورد » كلمة فارسية استعملتها العرب للرقاق الملفوف باللحم .

السائب أبو العبّاس الأعمى المكّي*

المذكور في صحيح البخاريّ

هو السائب بنُ فَرُّوخ ، مولَى بني لَيْثٍ ، وقيــل : مولى بني الدِّيل ، وهو الصحيح ، وهو الّذى يَروِى عنه حبيبُ بنُ أبى ثابت ، وهو مَوْلَى جَذِيمة بن علىّ ابن الدِّيل بن بكر بنِ عبدِ مناة .

وهو من شعراء بنى أميّة المعدودِين المتقـدِّمين فى مدحهم ، والتشيُّع لهم ، وانصباب الهوَى إليهم ؛ وهو الّذى يقول فى أبى الطُّفَيل عامرِ بن واثلة ، صاحب علىّ بن أبى طالب رضوان الله تعالى عليه :

لَعَمْرُكَ إنّنى وأبا طُفَيْلٍ   لَمختلفانِ واللهُ الشَّهيـدُ
أَرَى عثمانَ مُهتَدِياً ويأبَى   مُتَابَعَتى ، وآبَى ما يُرِيدُ

وروى أبو العبّاس عن صَدْرٍ من الصّحابة الحديثَ ، ورَوَى عنه عَطاء ، وعَمرو ابنُ دينار ، وحبيبُ بنُ أبى ثابت .

فمّما رواه أبو العبّاس عن سعيد بنِ المسيِّب قال : قال علىّ رضى الله عنـه : قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم : « إسباغُ الوضوء على المَكاره ، وإعمـالُ الأقدام إلى المساجد ، وانتظار الصّلاة بعد الصّلاة ، يَغسِل الخطايا غَسْلا » .

قال يزيد بنُ مَزْيَد : سمعتُ الرَّشيد هارونَ يقول : سمعتُ المنصورَ يقول : خرجتُ أريد الشأمَ أيّامَ مروانَ بن محمّد ، فصَحِبَنى فى الطَّريق رجلٌ ضَرِيرٌ ،

---

* ترجمته فى الأغانى ١٦ : ٢٩٨ ـ ٣٠٦ .

فسألتُه عن مَقصده، فأخبَرَنى أنه يريد مروانَ بشعرٍ امتدَحه به، فاستنشدته إياه[1] فأنشدَنى، وهو:

ليتَ شعرى أفاحَ رائحةُ المِسْكِ وما إن إخالُ فى الحىِّ إنْسِى
حيث غابتْ بنو أُمَيَّةَ عنــه والبَهاليلُ من بنى عبدِ شمسِ
خُطَباءٌ على المنـــابرِ فُرْسا نٌ عليها وقالَةٌ غيرُ خُرْسِ
لا يُعابُون صامتِين وإن قا لوا أصابُوا ولَم يقولوا بلَبْسِ
بحُلومٍ إذا الحُلوم اضمحلّتْ ووجوهٍ مثل الدنانيرِ مُلْسِ

قال: فواللّه ما فَرَغ من إنشادها حتّى توهّمتُ أن العمَى قد أدركنى، وافترَقْنا. فلمّا أَفْضَت الخلافةُ إلىّ، خرجتُ حاجًّا، فنزلتُ أمشى بجبَلَىْ زَرُود، فبصُرت بالضَّرير، ففرّقتُ مَن كان معى، ثم دنوتُ منه، فقلتُ: أتعرِفُنى؟ قال: لا، فقلتُ: أنا رفيقُك وأنتَ تريد الشام أيّامَ مروان. فقال: أوَّهْ! ومَدَّ بها صوتَه، ثم قال:

آمَتْ نساءُ بنى أُمَيّةَ بعدَهُمْ فعِيالُهمْ بَضيعةٍ أيتـــامُ
نامتْ جُدُودُهمُ وأُسقِطَ نجمُهمْ والنجمُ يَسقط والجُدودُ تَنامُ[2]
خلَت المَنابرُ والأَسِرَّةُ منهمُ فعليهمُ حتّى المماتِ سَلامُ

قلت: فكم كان مروانُ أعطاك؟ قال: أغنانى عن أن أسألَ أحداً بعدَه، فهمَمتُ بقتْله، ثم ذكرتُ حقّ الاسترسال[3] والصُّحْبة، فأمسكتُ، وغاب عن عينى، ثم بدا لى فيه، فأمَرْتُ بطلبه، فكأنَّ البَيْداء[4] بادت به.

---

(١) ساقطة من ب، ج.

(٢) نامت جدودهم: كناية عن قعود الزمن بهم.

(٣) استرسل إليه: انبسط واستأنس.

(٤) البيداء: الفلاة. وبادت به، أى ذهبت به.

قَدِم البَعيثُ المُجاشِعىُّ مكّة ، وكان أبو العبّاس الأعمى الشاعر لا يكاد يفارقُها ، وكانت جوائزُ بنى أميّة تأتيه من الشّام ، وكانت قريشٌ كلُّها تَبَرُّه لِلسانه ، وتقرُّبا لبنى أُميّة ، فصلّى البَعيثُ مع النّاس ، وسأل فى حَمالةٍ كانت عليه ، وكان سَئُولا مُلحِفاً ، شديدَ الطّمع ، وكان الرّجُل من قريش يأتيه بالشىء يتحمّله عنه ، فيقول : لا أَقبَل حتّى تجىءَ معى إلى الصرّاف فينقُده ويزنُه ، فإن لم يَفعَل ذمَّه وهجاه .

فشكَوْه إلى أبى العبّاس الأعمى ، فقالَ: قُودُونى إليه ، ففعلوا فلمّا عرفَ مجلسَه رفع عَصاه ، ثم ضَرَب بها رأسَه ، وقال :

وهل أنتَ إلّا مُلصَقٌ فى مُجاشعٍ ... نفاكَ جَرِيرٌ بالهجاء إلى نَجْدِ[1]
تظلُّ إذا أُعطِيتَ شيئاً سألتَهُ ... تُطَالِبُ مَن أعطاكَ بالوَزْنِ والنَّقْدِ
فلا تطمعَنْ من بعدِ ذا فى عَطِيَّةٍ ... وثِقْ بقَبيحِ المَنْعِ والدَّفعِ والرَّدِّ
فلستَ بمُبْقٍ فى قُرَيشٍ خَزايةً ... تُذَمُّ ولو أنْفَذْتَ فيها مَدَى الجَهْدِ[2]

فتَضاحَك مَن حَضَر ، واستحيا ، ولَم يُحِرْ جوابا ، فلمّا جَنَّ عليه اللَّيلُ هربَ من مكّة .

لمّا غَلَب عبدُ الله بنُ الزُّبير على الحجاز ، جعَلَ يَتَتَبَّعُ شيعةَ بنى مَرْوان فيَنفِيهم عن مكّة والمدينة ، حتى لم يَبْقَ بهما أحدٌ منهم ، فبلغه عن أبى العبّاس الأعمى الشاعر نَبْذٌ[3] من كَلام ، وأنّه يكاتب بنىأميّة بعَوْراته ، ويمدَح عبدَ الملك وتجيئه جوائزُه وصِلاتُه ، فدعا به ، فأَغْلَظَ له ، وهَمَّ به ، ثم كُلِّمَ فيه ، فقيل : رجلٌ ضَريرٌ ، فعفا عنه ، ونفاه إلى الطّائف ، فهجاه ، وهجا آلَ الزُّبير بأبياتٍ ، منها:

---

(١) الأغانى : « فاضطررت إلى نجد » .

(٢) الأغانى : « ولو أبعد فيها مدى الجهد » .

(٣) نبذ من كلام ، أى شىء يسير منه .

بني أَسَدٍ لا تَذْكُروا الفخرَ إنَّكمْ متى تذكروه تُكذَبوا وتُحَمَّقُوا
متى تُسْأَلوا فَضْلًا تَضِنُّوا وتَبْخَلوا ونيرانُكمْ بالشرّ فيها تَحَرَّقُ
إذا استَبقَتْ يوماً قريشٌ خرجتمُ بني أسَدٍ سَكْتا وذُو المَجد يَسْبِقُ
تجيئون خَلْفَ القومِ سُودًا وجوهكمْ إذا ما قريشٌ للأضاميمِ أصفقُوا[1]
وما ذاكَ إلّا أن للُّؤْم طابَعاً يلوح عليكمْ وسمُه ليس يَخلُقُ

كان عمرُ بنُ أبي ربيعةَ يُرامِي جاريةً لأبي العبّاس ببنادق الغالية فبلغ ذلك أبا العبّاس ، فقال لقائده : قِفْ بي على باب بني مَخْزُوم ، فإذا مَرّ عمرُ بنُ أبي ربيعة، فضَعْ يدي عليه . فلمّا مَرّ عمر وضَعَ يدَه عليه ، فأخَذَ بِحُجْزَته[2] وقال :

ألا مَن يَشتَرِي جارًا نَؤُوماً بجارٍ لا يَنام ولا يُنِيمُ
ويَلبَس بالنّهار ثيابَ أُنْسٍ[3] وشَطْرَ الليل شيطانٌ رجيمُ

فقام[4] إليه بنو مخزوم ، فأمسكوا فاه[5] ، وضمنوا له عن عمرَ بن أبي ربيعة ألّا يُعاوِدَ ما يكرهُه .

---

(١) الأضاميم : الجماعات ؛ واحدها إضمامة . وأصفقوا بهم : جاءوهم من الطعام بما يشبعهم
(٢) الحجزة : معقد الإزار .
(٣) الأغاني : « ناس » .
(٤) الأغاني : « فنهضت » .
(٥) الأغاني : « فه » .

سيفُ بنُ ذى يزَنَ*

سببُ قدوم الحَبَشة إلى اليَمَن ، وغَلَبِهم عليها ، وخروجِ سيف ابن ذى يزَن إلى كِسرَى يستنجدُه

كان مَلِكٌ من اليمن يقال له : ذُو نُواس ، غزا أهلَ نَجْرانَ وهم نصارى ، فظفر بهم ، وخَدَّد[1] لهم الأخاديد ، وعَرَض عليهم اليهوديّة ، فامتنعوا من ذلك ، فحرّقهم بالنار ، وحرّق الإنجيل ، وهدَم البِيَع ، ثم انصرف إلى اليَمَن ، وأفلَت منه رجلٌ يقال له : دَوْس ثُعلُبان على فرس ، فركَضَه حتّى أعجزَهم فى الرَّمل، ومضى إلى قيصرَ مَلِك الرُّوم يستغيثه ويُخبِره بما فعل ذو نُواس بنَجْران ومن قتل من النّصارى ، وماخَرَّب من كَنائِسها ، وأنه بَقَر[2] بطونَ النِّساء ، ولم يُبق فيها ناقوساً يضرب به.

فقال له قيصر : بعدتْ بلادى عن بلادكم ، ولكن أبعث إلى قوم من أهل ملّتى[3] من السُّودان قريب منكم فينصرونكم .

فقال له دوس : فذاك إذاً .

قال قيصر : إنّ هذا الّذى أصنَع لكم أذلُّ للعرب أن يطأَها سُودانٌ ليس ألوانُهم على ألوانهم ، ولا ألسنتُهم على ألسنتِهم .

فقال دوس: الملك : أنظر لأهل دينِه ، وإنّما هم خَوَلُه ، فكَتَب إلى ملك الحبشة ؛ فلمّا قرأ كتابه ، أمر أرياطا وهو عظيم من عظمائهم ، أن يخرج معه

---

* الأغانى ١٧ : ٧١ ـ ٧٤ .

(١) ب ، ج : « خد » ، وما أثبته من ا والأغانى .

(٢) بقر بطون النساء : شقها .

(٣) الأغانى : « دينى » .

فينصره ، فخرج أرياطٌ فى سبعين ألفا من الحبشة وأقبل معه أبرهة، وعهد ملك الحبشة إلى أرياط أنّه إذا دخلت اليَمن ، فاقتُلْ ثُلُثَ رجالها ، وأَخْرِبْ ثُلُثَ بلادها ، وأبعث إلىّ ثُلُث السَّبْيِ منها .

فلمّا ورَد اليَمَن رأى أهل اليَمَن جَنداً كثيرا ، فلمّا تَلاحَقُوا قام أرياط فى جنده خَطيبا فقال :

يا معشر الحَبَشة ، قد عَلِمتم أنّكم لن ترجعوا إلى بلادكم أبداً ، هذا البحرُ بين أيديكم ، إنْ دخلتُموه غَرِقتم ، وهذا البَرُّ وراءكم إن سلكْتموه هلكتم ، واتّخذتْكم العَرَب عَبيداً ، وليس لكم إلّا الصّبر حتى تموتوا أو تقتلوا عدوّكم .

وجَمَع ذو نُواس جَمْعاً كثيراً ، ثم سار إليهم فاقتتلوا قتالًا شديداً ، وكانت الدّولة للحبشة ، فظَفِر أرياط ، وقُتِل أصحابُ ذى نُواس وانهزموا فى كلّ وجه .

فلمّا تَخوّف ذو نُواس أن يُؤْسَر ، ركَضَ فرسَه فاستَعرضَ به البحر ، فمضَى بهفرسُه ، وقال : الموت فى البحر خيرٌ من إسارٍ أسوَد ، ثم اقتَحَمَ فرسه البَحْر ، فكان آخر العهدِ به .

ودَخَل أرياط اليَمَن فقتَل ثُلُثاً ، وبعث بثُلُثِ السَّبْي إلى مَلِكِ الحبشة ، وخَرَّب ثُلُثاً ، ومَلَكَ اليَمَن ، وهدّم حصونَها ، وقهَر أهلَها .

وكانت الحصون بَنَتْها الشياطينُ فى عهد بَلْقيس، واسمها عَلقمة[1] ، وأسماؤها: بَيْنُون ، وسَلْحِين ، وغُمْدان وغيرها . وكانت حصوناً لم يُرَ مِثلُها .

فقال الحِمْيَرِىّ يذكر ما دخل على حِمْيَرَ من الذّلّ والوَهَن :

هَوِّنْك لن تردّ العينُ ما فاتا ... لا تَهلِكَنْ أسَفاً فى إثرِمن فاتا[2]
أَبَعْدَ بَيْنُونَ لا عينٌ ولا أثرٌ ... وبعد سَلْحِينَ يَبْنِى النّاسُ أبياتا

(١) الأغانى : « بلقمة » .

(٢) كذا فى ا والأغانى ، وفى ب ، ج : «لايهلكن أسى»

ولمّا ظفِر أرياط بالأموال أظهر العطاء فى أهل الشّرف ، فغضبت الحبشةُ حين أَعْطَى أشرافَهم ، وترك أهلَ الفقْر منهم ، وأستذَلّهم وأجاعَهم وأعراهم وأتعبهم فى العمل ، وكلّفهم ما لا يُطيقون ، فجزع الفقراء من ذلك ، وشكا بعضهم إلى بعض ، فقالوا : ما نَرَى إلّا أننا شَقِينا ، أينما كُنّا ، إن كان قتالٌ قُدِّمنا فى نُحور العدوّ ، وإن كان قَتْلٌ قُتِلنا ، وإن كان عمل ، فملينا فالبلايا لنا ، والعطايا لغيرِنا ، مع ما يُقصينا ويَجفُونا .

فقال لهم أبْرَهة : لو أنّ رجلا غَضِب لغضبكم إذًا لأسلَمْتُموه حتى يذبح كالشاة.

فقالوا : لا والمسيح ما كنّا نُسلِمه حتّى نَموتَ عن آخرنا ، فنادى مُنادِيه ، فاُجتَمعوا إليه ، فبلغ ذلك أرياطا ؛ أن أبا أَضجَم قد جَمَع الجمو ع ، ودعا النّاس إلى قِتالِك .

قال: أوَقد فَعَل ذلك أبْرَهة ، وهو ممّن لا بَيْتَ له فى الحبشة ؛ وغَضِب أرياط غَضَبا شديدا ، وقال: هوأدنى من ذلك نَفْساً وبَيْتا ، هذا باطل .

قالوا : فأَرسِلْ إليه ، فإنْ أَتاكَ فهو باطل ، وإن لم يأتِكَ فاُعلم أنّه كما يقال .

فأرسل إليه ، أجِب الملكَ أرياطا ، فجلس[1] على ركبَتَيْه ، وخَرَّ لوجهه وأَخَذ عُوداً من الأرض ، فجعله فى فيه ، وقال للرّسول : اذهب إلى المَلِك ، فأَخبِره بما رأيتَ منّى ، وأنا أخلعه ؛ أنا أشدّ تعظيما له من ذلك ، وأنا آتيه على أربع قوائم بحساب البهيمة .

فرجع الرسولُ فأَخبر أرياطا الخبرَ ، فقال : ألم أقلْ لكم ! فقالوا : المَلِك أعلم منّا وأَعقَلُ .

ولمّا وَلَّى الرسولُ من عند أبرهة ، وتَوارَى عنه ، صاح فى الفقراء من الحَبَشة ،

(١) الأغانى : « فجثا » .

فاجتمعوا إليه ، ومعهم السِّلاحُ والآلة التى كانوا يعملون بها ، والمَساحِى ، ثم صَفُّوا صَفًّا ، وصَفُّوا خلفَه آخرَ بإزائه ، فلمّا أبطأ أبرَهة على المَلك ، وهو يرَى أنّه يأتيه على أربعِ قوائمَ كما قال ، وأتى أرياط ، فأخبرَه[1] بما صَنَع ، فرَكِب فى المُلوك ومَن تَبِعه ، ولبسوا السِّلاح ، وجاءوا بالفِيَلة ، وهم سبعة ، فلمّا دنا بعضُهم من بعض بَرَز أبرهةُ بين الصَّفَّين ، ونادَى بأعلى صوته : يا معشر الحَبَشة ، اللهُ ربُّنا ، والإنجيلُ كتابنا ، وعيسى نبيُّنا ، والنجاشيُّ مَلِكُنا ، علامَ يقتُل بعضُنا بعضا ، فتَذْهَب[2] النصرانيّة ! هذا رجل ، وأنا رجل ، خلُّوا بينى وبينَه ، فإن قتلَنى عاد المُلْكُ إلى ما كان عليه من الأَثَرة للأغنياء ، وهلاكِ الفقراء ، وإن قتلتُه سَلِمتم وعملتُ بالإنصاف بينكم ما بقيت .

فقال الملوك لأرياط : قد أخبرناك أنه صَنَع ما ترى ، وأبَيْتَ إلّا حُسْن ظَنٍّ فيه ، وقد أنصفَك .

وكان أرياط معروفا بالشَّجاعة والنَّجدة ، وكان جميلا ، وكان أبرهة دَمِيما قبيحا ، منكرَ الفؤاد ، فاستحيا أرياط من الملوك أن يَجْبُن ، فبَرَز بين الصَّفَّيْن ، ومشَى أحدُهما إلى صاحبه ، وحَمَل عليه أرياط وضرَبَ أبرهةَ ضربةً وقع منها عامّة أنفه[3] ، ووقع بين يدىْ أرياط ، فعمَدَ أبرهة إلى عِمامته ، فشدَّ بها وجهَه ، فسكَن الدَّمُ ، وأخذ عوداً فجعله فى فيه . وقال : أيّها المَلِك ، إنّما أنا شاةٌ ، فاصنع ما أردتَ ، فقد أبصرتُ رُشْدِى ، ففرِح أرياط بما فعل .

وكان أبرهة قد سَمَّ خِنْجراً ، وجعله فى بطن فَخِذه كأنّه خافِيَة نَسْرٍ فلمّا رأى أبرهة أن أرياطا قد انكسر عنه ، وأنه ينظر يمينا وشِمالا ، استلَّ خَنجَره ، فطعنه

---

(١) ب ، ج : « فأخبر » .
(٢) الأغانى : « فى مذهب النصرانية » .
(٣) الأغانى : « وقع منها حاجباه وعامة أنفه » .

طعنةً فى فَرْج دِرْعِه ، فخرَّ أرياط على قَفاه ، وقَعَدَ أبرهةُ على صدرِه ، فأجْهزَ عليه ، فسُمِّىَ أبْرَهَةَ الأَشْرَم بتلك الضَّرْبة الّتى شَرَمَتْ وجهَه وأنفه .

ومَلَك أبرهةُ عشرين سنةً ، ثم مَلَك بعدَه أبنه يَكْسُوم بنُ أبرَهة ، ثم مَلَك بعدَه أخوه مَسْرُوق بن أبرهة ، وأمُّه رَيْحانة امرأةُ ذِى يزَن أمُّ سَيف بنِ ذى يزَن .

فلمّا طالَ على أهل اليمن البلاءُ مَشَوْا إلى سيف بنِ ذى يزَن فكلَّموه فى الخروج ، وقالوا : إنَّا نجد فيما روتْ حِمْيَر من خبر سطيح إنّ هذا[1] البلاءَ يُفرَّج برجل[2] من أهل بيْتك ، وقد رَجَوْنا أن تُدْرِك بثأرِنا ، فأنعَمَ لهم .

وخرج إلى قيصر مَلِكِ الرُّوم ، فكلَّمَه فى أن ينصرَه على الحبشة ، فأبى ، وقال : الحبشةُ على دِينى ، ومِلّتى مِلّتهُم[3] ، وأنتم على دين اليهود .

فخرج من عنده مويَساً عامدا إلى كسرى ، فانتهى إلى النّعمان بن المنذر فى الحِيرة ، فدخل عليه ، فأخبَرَه بما لقىَ قومُه من الحَبَشة .

فقال له : أقِمْ ، فإنّ لى على الملك إذْناً فى كلّ سنة ، وقد حان ذلك فلمّا خرج خرجَ معه سيف بن ذى يَزَن ، فأدخَلَه على كسرى ، فقال : أيّها المَلِك ، غُلِبْنا على بلادنا ، ودخل الأحابيشُ إلينا ، وأنا أقربُ إليك منهم ؛ لأنّى أبيَض وأنت أبيض وهم سودان ، فقال : بلادُك بلادٌ بعيدة ، فلا أبعثُ معك جيشا فى غير منفعَة ، ولا آمَنُ أخافهُ على مُلْكى ، فلما أيس من النَّصْر له ، أمر له بعَشْرة آلاف دِرهم وكساه .

فلمّا خرج بها من باب كِسرى نثرَها بين العَبِيد والغِلْمان ، فرأى ذلك أصحابُ

---

(١) الأغانى : « أن هذا البلاء يوشك » .

(٢) الأغانى : « على يد رجل » .

(٣) كذا فى ب، ج ، وفى ا : «ومملكتهم مملكتى» ، وفى الأغانى : «ومن أهل مملكتى».

كسرى ، فذكَروه له ، فأرسَلَ إليه ، فقال له : ما صنعتَ بجائزتى ؟ نثرتَها للنّاس ! فقال سَيف : وما أعطانى الملك ! جبالُ أرضى ذهبٌ وفضّة ؛ وإنما جئتُ إلى المَلِك ليَمنَعنى من الظلم ، ولم آتِه ليعطيَنِى الدّراهم ؛ فإن ذلك فى بلدى كثير .

فقال كسرى : أنظرُ فى أمرِكَ . فخرج سيفٌ على طمعٍ منه ، فأقام عندَه ، فجعل سيف كلّما رَكِب كسرَى مَركَباً عَرَض له .

فجمع كسْرَى مَرازِبَته[1] ، فقال : ما تَرَوْن فى هذا العربىّ ؟ فقد رأيتُه رجلا جَلْداً . فقال قائل منهم : إنّ فى السجون قوما قــد حبَسهم الملكُ فى مَوْجدةٍ[2] عليهم ، ولو بَعث بهم المَلِك معه ؛ فإن قُتِلوا أستراح منهم ؛ وإن ظَفِروا بمــا يريد هذا العربىُّ فهو زيادة فى [ملك][3] الملِك .

فقال كسرى : هــذا الرأى ، فأمَرَ كسرَى بإحضارهم ، فأحضروا فوُجدوا ثَمانِمائة رجل ، فولّى أمرَهم رجلًا منهم يقال له : وَهْرز ، وكان راميا شُجاعا ، فجهّزهم وأعطاهم سِلاحا ، وحملهم فى البحر على ثمانى سُفُن ، فغرِقتْ سفينتان ، وبقى منهم ستّمائة رجل ، وبقى رجل ، فأرسوا إلى ساحِلِ عَدَن .

فلما أَرسَوْا قال وهرز لسَيْف : ما عندَكَ ؟ فقد جئنا بلادَكَ . قال : ما شئتَ من رجلٍ عربىّ ، وفرَس عربىّ ، ثم اجعل رحلى مع رَحْلك حتّى نمــوت جميعا ، [أو نظفر جميعا][3] .

فقال وَهرز : أنصفت فاستجلَب سيف من استطاع من اليَمَن ، ثم زحفُوا إلى مسروقِ بنِ أبرَهة ، وقد سَمِع بهم مسروق ، فجمع إليه جُندَه من الحَبَشة ، فسار ،

---

(١) المرازبة : الوزراء والمقدمون والرؤساء من الفرس .
(٢) الموجدة : الغضب .
(٣) تكملة من الأغانى .

فالتقى العَسْكران ، وجعلتْ أمدادُ اليمن تثوب إلى سَيف ، وبعث وهرز أبناً له كان معه على جَرِيدةٍ[1] خَيْل ، فقال : ناوِشوهم القتالَ حتى نَنظرُ كَيف قتالُهم ، فناوَشهم وناوَشوه شيئاً من قتال .

ثم تورّط أبنهُ فى هَلَكة لم يَستطع التخلّص منها ، فاشتَملوا عليه ، فقتَلوه ، فأزدادَ وهرز عليهم حَنَقاً ، وساءَ العربَ أمرُه ، وفرِحت الحبشةُ ، وأظهَرُوا الصُّلبان[2] ، فوتَّر وهرز قوسَه ، وكان لا يَقدِرُ أن يوتِّرها غيرُهُ .

ثم قال وهرز ـ والناس على صُفوفِهم ـ : انظرُوا أين تَرَوْن مَلِكهم ؟ فقال سَيْف : إنّى أرَى رجلا قاعدا على الفِيل ، تاجُه على رأسه ، بين عينيه ياقوتةٌ حمراء . قال : ذلك ملِكُهم . ثم قال وهرز : اترُكوه . ثم وقف قليلا[3] فقال : انظروا . فقالوا : قد تحوّل على فرَسٍ . قال : هذا منه أختِلاط ، ثم وقف قليلا وقال : انظرُوا . هل تحوّل ؟ قالوا : قد تحوّل على بَغْلة . فقال: أبنةُ الحِمار؟. ذَلَّ الأسْوَدُ وذَلَّ ملكُه ! ثم قال لأصحابه : قتلتهُ فى هذه الرّمية ، تأمّلوا النُّشّابة ، ثم جعل فَوقَها[4] فى الوَتَر ثم نزع فيها حتى ملأها ، وكان أيِّداً[5] ، ثم أرسلَها ، فصكّت الياقوتةُ التى بين عينَىْ مسروق ، وتغَلْغَلت النُّشّابةُ فى رأسه حتى خرجتْ من قَفاه ، وحملتْ عليهم الفُرس ، فأنهزمت الحبشةُ فى كلّ وجه ، وقُتِل مسروقٌ مَلِكُهم .

وجعلتْ حِمْيَر تقتُل من أدركوا منهم ، وتُجْهِز على جريحِهم .

---

(١) الجريدة : جماعة الخيل .

(٢) الأغانى : « الصليب » .

(٣) الأغانى : « طويلا » .

(٤) الفوق : موضع السهم من الوتر .

(٥) الأيد : القوى .

وأقبَلَ وهرز يريد أن يدخل صَنْعاء ، وكان موضعهم الّذى التقَوْا فيه خارجَ صَنْعاء ضيّقاً ، وكان اسم صَنْعاء أزال فلما قَدِمت الحبشةُ بنَوْها وأحكَموها ، فقالت العرب : صنعة ، فسمّيتْ صَنْعاء .

فلمّا دنا وهْرز من باب المدينة ، رآه صغيرا ، فقال : لا تدخل رايتى منكّسةً أبدا ، اهدِموا الباب ، فهدموا بابَ صَنْعاء ، ودَخَل ناصبا رايتَه .

فقال سيف بنُ ذى يَزَن : ذهب مُلْك حِمْيَرَ إلى آخر الدهر ، لا يَرجِع إليهم أبدا .

فَملَك وهرز اليمَنَ والحبشةَ وقهرها ، وكَتبَ إلى كِسرَى يُخبِره ، أنّى ملكتُ اليمَنَ ، وهى أرضُ العرَب القديمة الّتى يكون فيها مُلوكُهم ، وبعث بجوهرٍ وغيرِه من أموالٍ وطِيبٍ وزَبادٍ[1] وعُود .

فكَتَب إليه كسرَى يأمرُه بأن يملّك سَيْفاً ويُقدِم عليه . فخرج وهرز إلى كِسْرَى ، وخلّفَ سَيْفا على اليمَن ، فلمّا خلا سيفٌ باليمن ومَلَكها غدَا على الحبَشة ، فجعل يقتّل رجالَهم ، ويبقَر بطونَ نسائهم ؛ حتى أفناهم إلّا بقايا منهم أهل ذِلّة وقِلّة ، فاتّخذهم خوَلًا ، واتّخذ منهم من يَمْشى بحِرابهم بين يديه ، فمكث كذلك غيرَ قليل ، فركب يوما وتلك الحبشةُ معه ، وحرابُهم معهم يسعَوْن بين يدَيْه ، حتّى إذا كان وَسَطاً منهمْ مالوا عليه ، فطعَنُوه بحِرابهم حتّى قتلوه .

وكان سيفٌ قد آلَى ألّا يَشْرَب الخمْر ، ولا يمَسّ النِّساء[2] حتى يُدرِك ثأرَه من الحبَشة ، فجُعلتْ له حُلّتان واسعتان ، فأتزَر بواحدة وأرتَدَى بالأخرى ، وجلس على رأس غُمدَانَ يَشْرَب ، وبَرّتْ يَمينُه ، وخرج بعد ذلك يتصيّد ، فقتلتْه الحبَشة .

(١) فى الأغانى : « وهو جلود لها رائحة طيبة » .
(٢) فى الأغانى : « امرأة » .

وكان مُلْك أرياط عشرين سنة ، ومُلك أبرهةَ إحدى(١) وعشرين سنة ، ومُلْكُ يكسومَ تسع عشرة سنة ، ومُلك مسروق أثنتي عشرة سنة فهذه اثنتان(٢) وسبعون سنة ، وكان قدومُ أهلِ فارسَ ووهرز إلى اليمَن بَعْد الفِجارِ بعشرِ سنينَ ، وقَبْلَ بُنيانِ قريشٍ البيتَ بخمسِ سنين ، ورسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم ابنُ ثلاثين سنةً ونحوها ، لأنّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وُلِد بعد قدوم الفِيل بخمسٍ وخمسين ليـــلةً .

وكان ظَفرُ سيفِ بنِ ذي يَزَن بالحَبَشة بعد مولد النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم بسنتين ، ولمّا قَدِم أتَتْه وُفودُ العرب وأشرافُها وشعراؤها لتهنّئه وتمدَحه ، وتذكرَ ما كان من بَلائه ، وطلبه بثأر قومه ، فأتته وفودُ قريش فيهم عبدُ المطّلب بنُ هاشم، وأُميّةُ بنُ عبدِ شمس ، وخُويلدُ بنُ أسَد في وجوه قريش ، فأتَوْه بصَنْعاءَ ، وهو في رأس قصرٍ له يقال له : غُمْدان ، فأخبَرَه الآذِن بمكانِهم ، فأذِن لهم ، فدخلوا عليه وهو على شَرابِه ، وعلى رأسِه غلامٌ واقفٌ ينثُر في مَفرِقه المِسْك، وعن يمينه ويَسارِه المَقاوِل(٣) والملوك ، وبين يديه أميّةُ بنُ أبي الصّلْت الثّقَفيُّ يُنشِده قولَه فيه :

لا يَطلُب الثأرَ إلّا كابنِ ذي يَزَنٍ   إذ خَيَّم البحرُ للأعداءِ أحْوالا(٤)
أتَى هِرَقْل وقــد شالتْ نَعامَتُهُ   فلَمْ يَجِد عنده النصرَ الّذي سالا(٥)

---

(١) الأغاني : « ثلاثة وعشرون » .

(٢) في الأغاني : « ثلاثة وسبعون » .

(٣) المقاول : جمع مقول ، كمنبر ؛ وهو من ملوك حمير الذي يقول ما يشاء فينفذ؛ وهو دون الملك الأعلى.

(٤) في الأغاني :

* في البَحْرِ خيَّمَ للأعداءِ أحوالا *

(٥) سال ، أي سأل ؛ على التخفيف .

ثم أنتحَى نحوَ كسْرَى بعدَ عاشرةٍ من السِّنين يُهينُ النَّفس والمالا
حتّى أتَى ببنى الأحرار يَقــدُمُهُمْ تَخالُهُمْ فوقَ مَتْن الأرضِ أجْبــالَا
لله دَرُّهمُ مِنْ فتيةٍ صُبُرٍ ما إن رأيتُ لهم فى النّاس أمثــالَا
بيضٍ مَرازِبةٍ غُلْبٍ أَساوِرَةٍ أُسْدٍ تُرَبِّتُ فى الغابات أشْبالَا(١)
فالْتَطَّ بالمِسْك إذ شالَت نعامتُهمْ وأسْبِلِ اليومَ من بُرْدَيْك إسبالا(٢)
وأشربْ هنيئاً عليكَ التاجُ مرتفِقاً فى رأسِ غُمْدانَ داراً منك مِحْلالا(٣)
تِلكَ المكارمُ لا قَعْبانِ من لَبَنٍ شِيباً بمــاءٍ فعــادَا بعْدُ أبوالا(٤)

بنو الأحرار الّذين عَناهم أميّة فى شعره ، هم الفُرْس الّذين قَدِموا مع سَيْف ، وهم إلى الآن يسمَّون بِصَنْعاءَ بنى الأحرار ، ويسمَّوْن باليَمَن الأبناء ، ويسمَّوْن بالكوفة الأحامرة ، وبالبصرة الأساوِرة ، وبالجزيرة الخضارمة .

فبدأ عبد المطّلب فاستأذن فى الكلام ، فقال له سيفُ بنُ ذِى يَزَن : إن كنتَ ممّن يتكلم بين يدَىِ الملوك فقد أَذِنّا لك.

فقال عبد المطّلب : إن الله عزّ وجلّ قد أحلّكَ أيّها المَلِكُ محلًّا رفيعا، صَعْبا منيعاً، شامخا باذِخاً ، وأنبَتَك مَنْبِتاً طابت أَرُومَتُه ، وعزّت جُرْثومَتُه ، فى أكرم موطن وأطيَبِ مَعدِنٍ .

فأنت مَلِك العرب وربيعها الّذى به تُخصِب، وأنتَ أيّها الملك رأس العَرَب الّذى له

---

(١) المرازبة : الأمراء الكبار . والغلب : جمع أغلب ؛ وهو الأسد . والأساورة : جمع أسوار ؛ وهو قائد الفرس أو الجيد الرمى بالسهام أو الثابت على ظهر الفرس . وتقول : المرأة تربت صبيها ؛ وهو أن تضرب بيدها على جنبه قليلا قليلا حتى ينــام .

(٢) التط بالمسك : تلطخ به . وشالت نعامتهم : تفرقت كلمتهم. وأسبل برده : أرخاه .

(٣) مرتفقا : دائما ثابتا .

(٤) شيبا : خلطا .

تنقاد ، وعَمودُها الّذى عليه العِماد ، ومَعقِلُها الّذى يَلجأ إليه العباد ، فسلَفُك لنا خيرُ سَلَف ، وأنت لنا منهم خيرُ خَلَف ، فلن يَخْمُلَ من أنت خَلَفُه ، ولن يَهلِكَ من أنت سَلَفُه .

نحن أهلُ حَرَمِ الله ، وسَدَنةُ بيته ، أشخَصنا إليكَ الّذى أبهجَنا من كَشْفِك[1] الكَرْب الّذى فَدَحنا . فنحن وَفْد التّهنئة ، لا وَفْد المَرْزِئة .

فقال : وأيّهم أنتَ أيّها المتكلِّم ؟ قال : أنا عبدُ المطّلب بنُ هاشم . قال : ابنُ أختنا ؟ قال : نعم . فأدناه حتّى أجلَسَه إلى جانبه ؛ ثم أقبَل على القوم وعليه وقال : مرحبا وأهلًا وسهلا ، ناقةً ورَحْلا ، ومناخا سَهلا ، ومَلِكا رِبْحلا[2] ، يُعْطِى عطاءً جَزْلا .

قد سمع المَلِكُ مقالتكم ، وعَرَف قرابتكم ، وقَبِل وسيلتكم ، فأنتم أهلُ الشَّرَف والنَّباهة ، ولكم الكرامة ما أقَمتُم ، والحِباء إذا ظَعَنتُم ، ثم استَنهَضوا إلى دار الضِّيافة والوُفود ، فأقاموا بها شهراً لا يَصِلون إليه ، ولا يأذن[3] لهم فى الانصراف ، وأُجْرِيَتْ لهم الأنزال[4] ، ثم انتبه لهم انتباهةً ، فأرسل إلى عبدِ المطّلب فأدْناه ، وأخلَى مجلِسَه .

ثم قال : يا عبدَ المطّلب ، إنى مفوِّضٌ إليك مِنْ سِرِّ عِلْمى أمْرًا لو يكون غيرُك لم أَبُحْ به له ؛ ولكن رأيتُك موضعَه فأطلَعتُك طِلْعَه[5] ، فليكن عندَك مطويًّا حتّى يأذَن اللهُ فيه بأمْره ، إنّ الله بالِغُ أمرِه . إنّى أجِدُ فى الكتاب

---

(١) الأغانى : « لكشفك » .
(٢) الربحل : العظيم الشأن .
(٣) الأغانى : « لا يؤذن لهم » .
(٤) الأنزال : جمع نزل ؛ وهو ما هيئ للضيف أن ينزل عليه .
(٥) يقال : أطلعته طلع أمرى ، أى أبثثته سرى .

المكنون ، والعِلْمِ المَخْزُون ؛ الّذى اخترناه لأنفُسنا ، وحَجَبْناه عن غَيْرِنا ؛ خَبَرًا عظيما ، وخطرا جسيما ؛ فيه شَرَف الحياة ، وفضيلةُ الوفاة ؛ للنّاس عامّة ، ولرَهْطِك كافّةً ، ولك خاصّة .

فقال عبدُ المطَّلب : مِثْلُك أيُّها المَلِك مَن سَرَّ[1] وبَرَّ ، فما هو فِداك أهلُ الوَبَر زُمَرًا بعدَ زُمَرٍ !

فقال له سيف : إذا وُلِدَ غلامٌ بتِهامَة ، بين كتفيه شامة ، كانت له الإمامة ، ولكمْ به الزَّعامة ، إلى يوم القيامة .

فقال عبدُ المطَّلب : أيُّها المَلِك ، لقد أُبْتُ بخيرٍ ما آب بمِثله وافِد ، ولولا هَيْبَةُ المَلِك وإكرامُه وإعظامُه ، لسألتُه أن يَزيدَ فى البِشارة ما أزداد به سرورا .

قال ابن ذى يَزَن : هذا حينهُ الّذى يولَد فيه أو قد وُلِدَ ؛ واسمُه محمّد ، يموت أبوه وأمّه ، ويكفُلُه جَدُّه وعَمُّه ؛ وقد وجدناه مرارا ، والله عزّ وجلّ باعِثُه جِهارا ، وجاعِلٌ له منّا أنصارا ، يُعِزُّ بهمْ أولياءه ويُذِلّ بهمْ أعداءه ، يَضرِب بهم النّاسَ عن عَرْض ، ويَستفتِح بهم كرائمَ الأَرْض ، يُخمِد النِّيران ، ويَدْحَر الشيطان ، ويُكَسِّر الأوثان ، ويَعبُد الرّحمٰن ؛ قولُه فَصْل ، وحكمُه عَدْل ، يأمر بالمعروف ويفعلُه ، صلّى الله عليه وسلّم ، ويَنْهَى عن المنكر ويُبطلُه صلّى الله عليه وسلّم .

فقال له عبد المطّلب : أيُّها الملك ، عَزَّ جَدُّك ، وعَلا كَعبُك ، ودام مُلكُك ، وطال عُمرك ، فهل المَلِك مُخبِرى بإفصاح ، فقد أَوضحَ لى بعضَ الإيضاح .

فقال ابن ذى يَزَن : والبيتِ ذى الحُجُب ، والعلامات على النُّصُب[2] ، إنّكَ يا عبدَ المطّلب ، لَجَدّه غيرُ الكَذِب .

---

(١) كذا فى ب ، ج وفى ا والأغانى : « بشر » .

(٢) النصب : واحد الأنصاب ؛ وهى حجارة تنصب عليها دماء الذبائح .

فخرّ عبدُ المطّلب ساجدا ، فقال له : اِرفَع رأسَك ، ثَلُج صدرُك ، وعلا أمرُك ، فهل أحسستَ شيئاً ممّا ذكرتُه لك ؟

فقال عبدُ المطّلب : كان لى ابن ، وكنتُ به معجَباً ، وعليه رفيقاً ، زوّجتُه كريمةً من كرائم قومى ، اِسمها آمنة بنت وَهْب ، فجاءت بغلام سمّيتُه محمّدا ، ومات أبوه وأمُّه ، وكفَلْتُه أنا وعمُّه .

قال : الأمر ماقلتُ لك ، فاحتفِظ به ، واحذَرْ عليه من اليهود ؛ فإنّهم أعداء له ، ولن يَجعلِ اللهُ لهم إليه سبيلا ، واطْوِ ما ذكَرْتُ لك من هؤلاء الرّهْط الذين معك ؛ فإنّى لستُ آمَنُهم أن تَدْخُلَهم النَّفاسَة[1] ، من أن تكون له الرّياسة ، فيَنصِبون له الحبائِل ، ويطلبون له الغَوائل ، وهم فاعلون ذلك ، وأبناؤهم ، وبطنى ما يُحبّه[2] قومه ، وسيلقى منهم عَنَتا ، والله مُبْلِجُ حُجَّتِه ، ومُظهِرُ دَعْوَتِه ، ومُعْلِى كَلِمَتِه ، وناصرُ شيعتِه ولولا أنّى أعلَمُ أنّ الموت مجتاحى قَبل مبعثه لسرتُ بخَيْلى ورَجْلى ؛ حتى أصيرَ بيثرب فأجعلها دارَ مُلْكى ؛ فإنّى أجدُ فى الكتاب المكنون ، أن فى يثربَ استحكامَ نَصْره ، وموضِعَ قبرِه ؛ ولولا أنى أتوقّى عليه الآفات ، وأخشَى عليه العاهات ، لأعلنتُ على حداثة سنِّه أمرَه ، ولكنى صارفٌ ذلك إليك من غيرِ تقصيرٍ منّى بمن مَعَك .

قال : ثم أمر لكلّ رجلٍ منهم بعشرة أعبُد ، وعَشْرِ إماء ، ومائةٍ من الإبل ، وحُلّتين بُرودا ، وخمسةِ أرطالٍ ذَهَباً ، وعشرةِ أرطالٍ فضّة ، وكَرِشٍ مملوءةٍ عنبرا .

ثم أمر لعبد المطّلب بعشرة أضعافِ ذلك ، وقال: ياعبدَ المطّلب ، إذا حال الحَوْل فأْتِنى .

فمات ابنُ ذى يَزَن قبل أن يَحُول الحَوْل .

---

(١) يقال . نفس عليه الشىء نفاسة : لم يره أهلا له حسدا منه .

(٢) الأغانى : « وبطىء ما يجيبه قومه » .

وكان عبدُ المطّلب كثيراً ما يقول : يا معشرَ قريش ، لا يَغْبِطنى رجلٌ منكم بجزيل عطاء المَلِك وإن كَثُر ؛ فإنّه إلى نَفادٍ ، ولكن ليغبطنى بما يَبْقى لى شرَفُه وذِكْرُه إلى يومِ القيامة ، فإذا قيل له : وما ذاك ؟ قال : ستعلمون نبأَ ما أقولُ بعدَ حين ، وفى ذلك يقول أميّة بنُ عبدِ شمس :

جَلَبْنا النُّصحَ تَحْمِلُه المَطايا ... على أكوارِ أجمالٍ ونُوقِ
مُغَلْغَلَةً مرافقُها ثِقالًا ... إلى صَنْعاءَ من فَجٍّ عميقِ
تَؤُمُّ بنا ابنَ ذى يَزَنٍ ونُهدِى ... مَخالِيَهـا إلى أَمَمِ الطَّرِيقِ (١)
فلمّا وافقتْ صنعاءَ صارتْ ... بدار المُلْك والنَّسَبِ العَرِيقِ (٢)

---

(١) أمم الطريق : قصدها ووسطها .

(٢) فى الأغانى : « والحسب العريق » .

سعيدُ بن حُمَيد*

هو سعيدُ بنُ حُمَيد بن يحيي الـكاتب ، كُنيتُه أبو عثمان ، من أولاد الدّهَاقِين ، وأصلُه من النَّهْرَوَان الأَوْسط ، وكان يقول : إنَّه مولَى بني سامةَ بنِ لُؤَيّ .

وُلِد ونَشَأ ببغداد ، ثم تنقَّل فى السُّكنى بينها وبين سُرَّ مَن رَأَى .

كان شاعراً مترسِّلًا ، حسنَ الـكلام ، فصيحَ اللِّسان ، وكان أبوه وجيهاً من وجوه المعتزِلة ، وخالف أحمد بنَ أبى دُؤاد فى بعض مَذهبه ، فأغرَى به المعتصِم ، وقال : إنَّه شُعوبىّ(١) زِنْدِيق ، فحَبَسَه مدّةً طويلة ، ثم بانت براءتُه له ، أو للواثق بعدَه ، فخلَّى سبيلَه .

فقال يهجو أحمدَ بنَ أبى دُؤاد :

لقد أصبحتَ تُنْسَبُ فى إيادٍ ... بأن يُكنَى أبُوكَ أبا دُؤادِ
فلو كان اسمُه عَمرو بنَ مَعْدِى ... دُعِيتَ إلى زُبَيْدٍ أو مُرادِ
لئن أفْسَدْتَ بالتَّخويفِ عَيْشِي ... لما أصلحتَ أصلَك فى إيادِ
فإن تَكُ قد أصبتَ طريفَ مالٍ ... فبُخْلُكَ باليَسِير من التِّلادِ

قال أبو يوسف بن الدقَّاق اللُّغَوىّ : دفَع حُمَيْدٌ ولدَه سعيداً إلىّ ، وهو صبىّ ، وقال لى : امضِ به معك إلى مجلس ابنِ الأعرابىّ .

قال : فحضرناه ذاتَ يوم ، فأنشَدنا ابنُ الأعرابىِّ أرجوزةً لبعض العرب ، فاستحسَنّاها ، ولم يكن معنا مِحْبَرَة نكتبها عنه ، فلمّا انصرفْنا قلت له : فاتَتْنا

---

* ترجمته فى الأغانى ١٨ : ٣ ـ ٨ (ساسى) .

(١) الشعوبى : من يفضل العجم على العرب .

هذه الأُرجوزة . فقال : لم تَفُتك ، أتحبّ أن أُنْشِدَكها ؟ قلتُ : نعم . فأنشَدَنيها ، وهى نيِّف وعشرون بيتا قد حَفِظها عنه ، وإنما سمعها مرّة واحدة .

فلقيتُ أباه مِن غَدٍ ، فقال لى : كيف رأيتَ سعيدا ؟ فقلت له : إنّكَ قد أَوْصَيْتَنى به ، وأنا أسألك أن تُوصِيَه بى ؛ فضحك وسألَنى عن السَّبب ، فأخبرتُه ، فسُرَّ به .

دخل سعيدُ بنُ حُمَيد يوما على أبى العبّاس بن ثَوابة ، وكان أبو العبّاس يعاتِبه على الشَّغَف بالغِلْمان المُرْد ، فرأى سعيدٌ على رأسِ أبى العبّاس غلاما أمرَدَ ، حسنَ الوَجْهِ ، عليه مِنطقةٌ وثِيَابٌ حِسان ، فقال : يا أبا العبّاس :

وزعمتَ أنّكَ لا تَلوطُ فقُلْ لنا   هـذا المقرطِن قائماً ما يَصْنَعُ[١]
شهدتْ ملاحتُه عليكَ بِرِيبَةٍ   وعلى الرِّيب شواهِدٌ لا تُدْفَعُ

فضحك أبو العبّاس وقال : خذه لا بُورِكَ لك فيه حتّى نستريحَ من عَبَثِك[٢] .

وكان يَهْوَى غلاما من أولاد المَوالى ، فهَجَره[٣] مدّة ، ثم جاءه مسلِّماً عليه ، فلمّا أراد الانصراف قال له : غبتَ عنّى هذه المدّة ثم جئْتَنِى ولا تقيمُ عندى ساعةً ! فقال : قد أَمْسَيْنا . فقال : بِتْ . قال : لا أَقدِر ، فلم يزل به حتّى اتفقا على أنّه إذا سَمِع أذانَ العَتَمة[٤] انصرَف . فقال له : قد رضيتُ ، وَوُضِعَ النَّبيذ ، وجعل سعيدٌ يحث السَّعْىَ بالأَرطال ، فلمّا قَرُب وقتُ العَتَمة ، أخذ رقعةً وكتب بها إلى إمام المسجِد ومؤذِّنه :

---

(١) المقرطن : من يلبس القرطن ؛ وهو قباء .
(٢) كذا فى ا وفى ب ، ج والأغانى : « عتبك » .
(٣) الأغانى : « فغاب عنه مدة » .
(٤) العتمة : وقت صلاة العشاء الآخرة .

قل لداعِي الصَّلاة أخِّرْ قليلا   قد قضَيْنَا حقَّ الصَّلاةِ طويلَا
أخِّرِ الوقتَ فى الصَّلاة وقَدِّم   بعْدَها الوقتَ بُـكرةً وأصيلا
ليس فى ساعــة تؤخرها وِزْ   رٌ فنحيا بها وتأتى جميــلا[١]
فتُراعِى حَــقَّ المَوَدّة فِينا   وتُعافَى من أن تـكون ثقيلا[٢]

فلماقرأالرُّقْعة ضحك ، وكتب إليه يَحْلِف أنه لا يؤذِّن ليلتَه تلك العَتَمة ، وجعل الصبىُّ ينتظر الأَذانَ حتّى ذهب شَطْرُ الليل ، وسمع صوت الحارِس ، فعَلِمَ أنّها حيلةٌ وقعتْ عليه ، وباتَ فى موضعه .

وقال سعيدٌ فى ذلك :

عرَّضْتُ بالحبِّ لـــه وعَرَّضَا   حتّى طوى قلبي على جَمْر الغَضَى
وأظهرتْ نفسى عن الدّهر الرِّضا   ثم جفانى وتـــولَّى مُعْرِضا
لم يَنقَضِ الحبُّ بَلَى صَبْرِى انقَضَى   فذاقَ مَن ذَاقَ الْـكَرَى أو غمَّضا[٣]
حتى طـرقتَ فنسيتُ ما مَضى   سألتُه حــوائجًا فأعرَضا[٤]
وقال : لا ، قــول مجيبٍ بالرِّضا   وكان ماكان وكانَ القضــا

كتب سعيدُ بنُ حُميد إلى فَضْلٍ الشاعرة يعتذر إليها من بعد تغيُّرٍ ظنَّتْهُ به :

تَظُنُّون أنّى قــد تبدّلتُ بعدَكمْ   بَديلًاوبعضُ الظَّنّ إثم ومنـكَرُ
إذا كان قـلبي فى يَديْـكم رهينةً   فـكيف بلا قلبٍ أُصافِى وأَهْجُر !

---

(١) لم يذكر هذا البيت فى رواية الأغانى .
(٢) فى الأغانى : « حق الفتوة فينا » .
(٣) فى الأغانى : « فداك من ذاق » .
(٤) فى الأغانى : « سألته حويجة » .

استدعَى أبو العبّاس بنُ ثوابة يوما سعيدَ بنَ حُمَيد ، وجاءه رسولُ فَضْلٍ الشاعرة يسأله المَصيرَ إليها ، فمضى إليها وتأخّر عن أبي العبّاس ، فكَتَب إليه مُعاتَبةً فيها بعضُ الغِلْظة . فكَتَب إليه سعيد :

أَقلِلْ عتابَك فالبقاء قليلُ ... والدهرُ يَعْدِل تارةً ويَميلُ
لَم أَبْكِ من زمنٍ ذَمَمْتُ صُروفَه ... إلّا بكيتُ عليه حينَ يَزولُ
ولكلِّ نائبةٍ أَلَمّت مُدّةٌ ... ولكلّ حالٍ أقبلتْ تحويلُ
والمنتمُون إلى الإخاء جَماعةٌ ... إن حصّلوا أفناهمُ التّحصيلُ
ولعلّ أحداثَ اللّيالي والنّوَى[1] ... يوماً ستَصدَع بيننا وتَحُول
فلئن سبقتُ لتبكيَنّ بعَبْرةٍ ... وليَكثُرنّ عليَّ منكَ عَويلُ
ولتفْجَعنَّ بمُخلِصٍ لكَ وامِقٍ ... حبلُ الوَفاء بحَبْله موصولُ
وليذهبنّ جمالُ كلِّ مُروءةٍ ... وليُقفِرنّ فِناؤُها المأهول
ولئن سبقتَ ــ ولا سبقتَ ــ ليَمضيَنْ ... مَنْ لا يشاكِلُه لديَّ عَديلُ
وأراكَ تَكْلَف بالعِتاب وودُّنا ... باقٍ عليه من الوفاء دليلُ
ودٌّ بَدَا لذَوي الإخاء جميلُه ... وبدتْ عليه بهجةٌ وقَبُولُ
ولعلّ أيام الحياة قصيرةٌ ... فعلامَ يَكثُر عَتْبُنا ويطُولُ !

دخلتْ فَضْلُ الشاعرةُ على سعيد بنِ حُميد على غَفْلةٍ ، فوثَب إليها ، وسلَّم عليها ، وسألها أن تقيم عندَه ، فقالت : قد جاءني رسولٌ من القَصْر ، فليس يُمكِنُني الجلوس ، وكرهتُ أن أمرَّ ببابِكَ ولا أراكَ .

فقال سعيدٌ بدَيهاً[2] :

قَرُبْتِ ولَم تُدْنِ اللّقاء ولم نَجِدْ ... لنا حيلةً يدنيكِ منّا احتيالُها

(١) الأغاني : « والردى » .

(٢) الأغاني : « على البديهة » .

فأصبحتِ كالشَّمس المنيرةِ ضوءها ... قريبٌ ولـكن أين مِنّا نَوالُها ![1]
كظاعنةٍ ضنّتْ بها غربةُ النَّوى ... علينا ولـكنْ قد يَمُنّ خَيالُها[2]
تقرِّبُها الآمالُ ثمّ تَمُوقُها ... مماطَلةُ الدُّنيا بهـا واُحْتِيالُها[3]
ولـكنّها أُمْنيّةٌ فاملَّهـا ... يجود بها صَرْف النَّوى وانتقالُها

كان سعيدُ بنُ حُمَيد فى مجلس الحَسَن بنِ مَخْلَد ، إذ جاءه الغلام برقْعَـةِ فَضْل الشاعرة ، تشكو شدّةَ شوقِها إليه ، فقرأها وضَحِك ، [فقال له الحسن بن مخلد : بحياتى عليك ، أقرئنيها ، فدفعها إليه ، فقرأها ، وضحك ، وقال له : قد وحياتى][4] مَلّحت فأجِبْ ، فـكتب إليها :

ياواصفَ الشوقِ عندى من شَواهِدِه ... قلبٌ يَهيم وعينٌ دمعُها يَـكِفُ
فـكنْ عـلى ثقةٍ مِـنّى وبيّنَةٍ ... إنّى على ثِقةٍ من كلّ ما تَصِفُ
والنّفسُ شاهدةٌ بالوُدّ عارفةٌ ... وأَنْفُسُ النّاسِ بالأهواء تأتلفُ

فرضيتْ فضل ، فـكتبتْ إلى سعيد :

الصّبْرُ ينقصُ والغرامُ يزيدُ ... والدّارُ دانيةٌ وأنتَ بعيدُ
أشكوكَ أم أشكو إليكَ فإنّه ... لا يستطيع سِواهما المَجْهودُ

أنا يا أبا عثمان فى حال التَّلَف ، ولم تَعُدْنى ، ولا سألتَ عن خبرى ، فمضى إليها وسأل عن خَبَرِها ، فقالت : هُو ذا ، أموت وتستريح مـنّى ! فأنشأ يقول :

لا مُتِّ قَبْلِى بل أحيا وأنتِ معاً ... ولا أعيشُ إلى يوم تَمُوتِينا

---

(١) الأغانى : « منالها » .
(٢) الأغانى : « قد يلم خيالها » .
(٣) كذا فى ا ، وفى ب ، ج : « واختيالها » . الأغانى : واعتلالها » .
(٤) تـكملة من الأغانى .

لـكن نعيشُ كما نَهْوَى ونأمُلُه ... ويُرْغِم الله فينا أنفَ واشِينا[1]
حتى إذا قدَّر الرَّحمنُ ميتتَنا ... وحانَ مِن أمْرِنا ما ليس يَعْدُونا
مِتْنا جميعا كَغُصْنَىْ بانةٍ ذَبُلَا ... من بعد ما نَضِرا واُستوثقا حِينا
ثم السَّـلام علينا فى مَضاجعنا ... حتى نَعُودَ إلى ميزانِ مُنْشِينا[2]

افتصد سعيدُ بنُ حُمَيد فعزَمت فَضْلُ الشاعرةُ على زيارته هى وعَرِيب ، وسَيَّرَتْ فَضْل إليه هدايا ، منها : أَلْفُ جَدْيٍ وحَمَل ، وألفُ دَجاجة فائقة ، وألفُ طبق فاكهة ، ومع ذلك طِيبٌ كثير ، وشراب وتحف حسان . فـكتب إليها سعيد : إنّ سروري لا يتمّ إلا بحضورك ، فجاءته فى آخر النهار ، وجلسوا يشربون . فاستأذن غلامُ سعيدٍ بُنَان ، فأذِنَ له ، فدخل وهو شابٌ طَرِير[3] حسن الوجه ، نظيفُ الثَّوْب ، شَـكِل[4] ، فذَهَبَ بها كلَّ مَذهَب ، وأقبلَتْ عليه بحديثها ونظَرِها ، فغُمَّ سعيدواُستُطِير غضبا ، وتبَـيَّن بُنَان القصَّة فأقبل عليها سعيد يَعذِلها ساعة ، ثم أَمْسَك ، فـكتبتْ إليه :

يا مَنْ أطلتُ تفرُّسِى ... فى وجهِه وتنفُّسِى
أفديكَ مِنْ متـدَلِّلٍ ... يُزْهَى بقتْلِ الأَنفُسِ
هَبْنى أسأتُ وما أسأ ... تُ بَلْ أُقِرُّ أنا المُسِى
أَحْلَفْتَـنِى ألّا أُسا ... رِقَ نظرةً فى مجلسِ
فنظرتُ نظرةَ مخطىءٍ ... أتبعتُهـا بتفرُّسِ
ونسيتُ أنّى قد حلفـ ... تُ فما عُقوبةُ مَن نَسِى !

---

(١) الأغانى : « شانينا » .
(٢) كذا فى الأغانى ، وفى الأصول : « ميراث منشينا » .
(٣) غلام طرير : طلع شاربه وظهر .
(٤) شـكل ، كـكتف : فيه دلال وغنج .

فقام سعيد فقبّل رأسَها ، وقال : لا عقوبةَ عليه ، بل يَحْمِل هفوتَه ونَتجافَى[1] عن إساءته ، وغَنَّتْ عَرِيبُ ، وشربوا عليه بقيّة يومِهم ثم افترقوا ، وأثَّرَ بُنَان في قلبها وقد عَلِق به ، فلم تَزَلْ به حتى واصَلَتْه ، وقطعتْ سعيدا .

---

(١) في الأغاني : « نتجاوز » .

سَلْم الخاسر*

سَلْم بن عَمرو مولَى بنى تَيْم بن مُرّة ، ثمّ مَولَى أبى بكر الصدّيق ـ رضى الله عنه ـ بَصْرِىٌّ شاعرٌ مطبوع ، متصرِّف فى فنون الشِّعر ، من شُعراء الدّولة العبّاسيّة .

وهو راويةُ بشّار بن بُرْد وتلميذُه ، ومن بَحْرِه اغترَف ، وعلى مذهَبه ونَمَطِه قال الشِّعر ، وعنه أَخَذ .

ولُقِّب الخاسرَ لأنّه وَرِث من أبيه مُصحَفاً فباعه ، واشْترَى بثمنه طُنْبوراً . وقيل : بل رَدَّه وأخَذَ بدلَه دفاترَ شِعْرٍ كانت عند أبيه . وقيل : وَرِث من أبيه مائةَ ألف دِرْهم ، فأنفقَها على الأدب وأهلِه ، فبقِىَ لا شىءَ عندَه ، فلقَّبَه الجيرانُ ومن يَعرِفه : الخاسر .

وقالوا : أنفق مالَه على ما لا يَنفَعُه فلمّا مَدَح المهدىَّ أو الرشيدَ وقد بلغه اللّقب الّذى لُقِّب به ، فأمر له بمائةِ ألفِ دِرهم ، وقال : كَذِّب بها جِيرانَك ، فجاءهم بها ، فقال لهم : هذه المائةُ ألف الّتى أنفقتُها ، ورَبِحتُ الأدب ، فأنا سَلْم الرابح ، لا سَلْم الخاسر .

وقال الجمّاز : سَلْم الخاسر خالى ، وسببُ تلقيبه الخاسرَ أنه كان نَسَك مُدّةً يسيرة ، ثم رجع إلى أقبح ممّا كان عليه ، وباع مُصحَفا له وَرِثَه عن أبيه ، وكان لجدِّه قبلَه ، واشترى بثمنِه طُنْبورا ، فشاع خبرُه وافتضَح .

وكان يقال له : ما فعل أحدٌ ما فعلتَ ، فقال : لم أجد شيئا أتوسّل به إلى إبليسَ هو أقرُّ لعينِه مِن هذا .

---

* ترجمته فى الأغانى ٢١ : ٧٣ ـ ٨٤ (ساسى) .

وكان سَلْم منقطِعاً إلى البَرامِكة ، خصوصا إلى الفَضْل بن يحيي ، وفيــه يقول أبو العَتاهِيَة :

إنّما الفضْــــل لسَلْمٍ وَحْدَهُ ليس فيــه لسِوَى سَلْمٍ دَرَكْ

وكان هذا سبب إحداث الفسادِ بينه وبين أبي العَتاهية ، وكان بشّار يقول : لوَدِدْتُ أنّ سَلْماً الخاسرَ ينتمِي فى غيرِ وَلاءِ أبي بكر رضى الله عنه ، وأنّى أغرَم ألفَ دينار ، مَحبّةً منّى لِهَتْك عِرْضِه وأعْراضِ مَوالِيه . فقيل له : ما أخرَج هذا القولَ منك إلّا غَمٌّ شديد ، قال أجَلْ والله لا طَعِمت اليَوم ، ولا أغْمَضْت :

لمّا مَدَح بشّار بنُ بردٍ عُمَرَ بنَ العَلاء بقصيدته الّتى يقول فيها :

إذا دهَمَتْكَ صِعابُ الأُمورِ فنَبِّهْ لها عُمَراً ثمّ نَمْ[1]

بعث بها مع سَلْم الخاسر ، فوافاه ، فأنشَدَه إيّاها ، فأمر لبشّارٍ بمائة ألف درهم ، فقال له سَلْم : إنّ خادمَك ــ يعنى نفسَه ــ قد قال فى طريقه قصيدةً فيك . قال : وإنّك لَهُنالكَ ! قال : تَسمَعُ وتَحكُم ، قال : هاتِ ، فأنشَدَه قصيدتَه الّتى يقول فيها :

كمْ كُرْبةٍ قد مَسّني ضُرُّها ناديْتُ فيها عُمَرَ بنَ العَلاءْ

فأمر له بعشرة آلافِ درهم ، فكان ذلك أوّل عطيّة سنيّة وصلتْ إليه .

وكان عاصمُ بنُ عُتْبة الغسّانى جَوادا ، وكان صديقاً لسَلْم الخاسر ، كثيرَ البِرِّ به ، والمُلاطَفة له ، وفيه يقول سَلْم :

أُلجودُ فى قَحْطـانِ ما بَقِيتْ غَسّانُ
لِعاصمٍ سمــاءٌ عارِضُها تَهتّانُ
أَمطارُها اللُّجَيْنُ والـ إبْرِزُ والعِقْيانُ

(١) فى الأغانى : « إذا نبهتك » .

أَسَلْمُ لا أُبالِي ما فعلَ الإخوانُ
ما ضَرَّ مُرْتَجيــهِ ما فَعَـل الزَّمانُ
مَنْ غالَهُ مَخُوفٌ فعــاصِمٌ أَمانُ
صَلَتٌ له المَعالِي والسيفُ والسّنــانُ

فأعطاه عاصمٌ سبعين ألفا ، وكان مبلغُ ما وصل إلى سَلْم من عاصمٍ خَمْسَمائة ألف درهم .

فلمّا حضرتْه الوفاة دعا عاصماً وقال : إنّى ميّت ، ولا وَرَثة لى ، وإنّ مالى مأخوذ ، وأنتَ أحقُّ به ، فدفع إليه خَمسَمائة ألف درهم ، ولم يكن لسَلْم وارث .

وكان يزيدُ بنُ مَزْيَد يقول : ما أَحْسُدُ أحداً على شِعرٍ مُدِح به قطُّ إلّا عاصم ابن عُتبة الغَسّانى ؛ فإنّى حسَدْتُه على قولِ سَلْمٍ فيه :

الجودُ فى قَحْطــانِ ما بَقِيَت غَسّانُ

لمّا تَباعَدَ مابين سَلْم وبشّار ، صار سَلْمٌ يقدِّم أباالعَتاهية ويقول : هو أشعرُ الإنْس والجنّ ، إلى أن قال أبو العتاهية يوما يخاطب سَلْما :

تعالَى اللهُ يا سَــلْمَ بنَ عَمرٍو أَذَلَّ الحِرْصُ أعناقَ الرِّجالِ
هَبِ الدُّنيا تَصيرُ إليك عَفْواً أليس مصيرُ ذاكَ إلى زَوالِ !

وبلغ الرّشيدَ الشِّعرُ ، فاستحسَنَه وقال : لَعَمْرِى إنّ الحرص لَمَفْسَدةٌ لأمر الدِّين والدُّنيا ، ومافتّشْت عن حريصٍ قَطّ إلاانكَشَفَ لىعن لُؤْمه ، وما أذمّه[1] ، وبلغ ذلك سَلْماً ، فغضِب على أبى العَتاهية ، وقال : ويلى على الجرّار بن الفاعلة الزِّنْديق ! زعم أنّى حريص ، وقد كَنَزَ الكُنوز ، وهو يَطْلُب وأنا فى ثوْبَىَّ هٰذين لا أمْلِك غيرَهما ، وانْحَرف عن أبى العَتاهية بعد ذلك ، وقال فيه :

(١) الأغانى : « إلا انكشف لى عما أذمه » .

ما أقبحَ التزهيدَ من واعظٍ   يُزَهِّد الناسَ ولا يَزْهَدُ !
لو كان فى تَزْهيده صادقاً   أضحَى وأمْسَى بيتَه المَسْجدُ
ورَفَض الدُّنيا ولم يَلْقَهَا   ولَم يكن يَسعَى ويَسْتَرْفِدُ
يخاف أن تَنْفَدَ أَرْزاقه   والرزق عنـد الله لا يَنْفَدُ
الرّزق مقسومٌ على من ترَى   يَنالُه الأبيَض والأَسوَدُ

حضر أبو العَتاهية يوما عند قُثَم بن جعفر بنِ سليمان ، وهو أميرُ البَصْرة ، فجعل يُنشِدشعرا فى الزُّهد ، فأمَر قُثَم بعضَ أصحابه أن يطلُب له الجمّاز ، وقال: أَحضِرْنيه الساعةَ حيثُ كان ، فَجِيءَ به ، فطُلِب ، فوُجد عند دارِ جعفر بنِ سليمان ، فقيل له: أجِبِ الأميرَ فحضر وَحَيَّا وجَلَس فى ناحية المجلس ، وأبو العتاهية يُنشِدهم ، ثم قام الجمّاز فواجَهه وأنشَده :

ما أقْبَحَ التَّزهيدَ من واعظٍ   يُزَهِّــد النّاسَ ولا يَزْهَدُ

فقال أبو العَتاهية : مَن هذا ــ أعزّ اللهُ الأميرَ ــ ؟ قال : هذا الجمّاز ابنُ أخت سَلْمٍ الخاسر ، يَنْتَصِر لخاله منكَ حيث قلتَ له :

تعالَى اللهُ يا سَلْمَ بن عَمرٍو   أذلَّ الحِرصُ أعْناقَ الرِّجالِ

فقال أبو العَتاهية للجمّاز : يا بنَ أخى ، إنّى لم أَذْهَب بشِعرى حيثُ ذهبَ خالُك ، ولاأردتُ أن أهتِفَ به ، ولا ذهبتُ فى حضورى وإنشادى حيث ذهبَ من الحِرص على الرِّزق ، والله يَغفر لـكما ، ثم قام وأنصرف .

وكان سَلْم الخاسر شَغِفَ بطلب الـكيمياء ، وكان يُهاجِى واليةَ بنَ الحُباب .

قال أبو عُبيدة مَعْمر بنُ المُثَنَّى : كان سَلْمٌ الخاسر لا يُحسِن المدحَ ؛ ولـكنه كان يُحْسِن أن يَرْثِيَ ويَسْأَل .

قال أبو المستهِلّ : دخلتُ يوماً على سَلْمٍ الخاسر ، وبين يديه رِقاع فيها أشعارٌ

يرثي بعضها أمَّ جعفر ، وبعضها جاريةً غيرَ مسمّاة ، وأقواما لَمْ يَمُوتوا بعدُ ، وأمُّ جعفر أيضا باقيةٌ لَمْ تَمُتْ : فقلتُ له : وَيْحَك ! ما هذا ؟ قال : تَحْدُث الحوادثُ فيَطْلُبونَنَا بأن نَقولَ فيها ، ويَستعجلونَنَا ، ولا يَجْمُل بنا أن نقول غيرَ الجيِّد ، فَنَعْمَل لهم قبل الوَقائع ، فمتى حدَثَ حادثٌ أظْهَرْنا ما قُلْناه فيه ، على أنّه قيل فى الوقت .

خرجتْ لِسَلْمٍ جائزة ، فطالبه أبو الشَّمَقْمَق بأن يَهَبَ له شيئا ، فلَمْ يَفْعَلْ فقال أبو الشَّمَقْمَق يهجوه :

يا أمَّ سَلْمٍ هَداكِ اللهُ زُورِينَا ... حتَّى نَنيكَكِ فَرْدًا أو تنيكِينا

ماإنْ ذكَرْتُكِ إلّا هِجْتِ لى شَبَقاً ... ومِثْلُ ذِكْرَاكِ أمَّ السَّلْمِ يُشْجِينَا

فجاءه سلم فأعطاه خمسةَ دنانير ، وقال له : أحبُّ أن تُعْفِيَني من اُستزارَتِك أمِّى ، وتأخذ هذه الدنانيرَ فتُنفقها .

ومن هجاء سَلْم والبةَ بنَ الُحباب ، وبَعثَ بها إليه مع أبى المستَهِلّ :

يا والبَ بنَ الُحباب يا حَلَقِى ... لستَ من أهل الزِّناء فانْطَلِقِ (١)

تُدخِلُ فيه الغُرْمولَ تُولجُه ... مِثْلَ وُلوجِ المِفْتاح فى الغَلَقِ (٢)

قال أبو المستهِلّ : فأتيتُ والبةَ ، فقلتُ له ذلك ، فقال : قل له : يا بْن الفاعلة ، سل عنك رَبْعان التَّميمى — يعنى أنّه كان يَنيكه — وكان رَبْعانُ لُوطِيًّا ، آفةً مِن الآفات ، وكان عَلّامةً ظريفا .

وكان يقول : نِكْتُ الهيثَمَ بنَ عَدِيٍّ ، فمَنْ تَرَوْنَه يُفلِت مِنّى !

---

(١) الحلق ، من قولهم : أتان حلقية ، محركة : إذا تداولتها الحمر حتى أصابها داء فى رحمها .

(٢) الغرمول : الذكر .

دخل الرّبيعُ على المهدىّ ، وأبو عُبيد الله جالس ، يَعرِض عليه كُتُباً ، فقال له أبو عُبيد الله : مُرْ هذا أن يتنحّى — يعنى الرّبيع — فقال له المهدىّ : كأنّك ترانى بالعين الّتى أنت بها ! قال : لا ، قال : فلِمَ لا تَتَنحّى إذا أمرتك ؟ قال : أنتَ رُكْن الإسلام ، وقد قتلت أبنَ هذا ، ولا آمَنُ أن يكون معه حديدةٌ ، فيَغْتالَك بها ، فقام المهدىُّ مَذْعورا ، وأمَرَ بتفتيشه ، فوجَدُوا بين جَوْرَبِه وخُفِّه سِكِّيناً ، فرُدَّت الأمورُ كلُّها إلى الرّبيع ، وعَزَل أبا عُبَيْد الله ، ووَلّى يعقوبَ بنَ داود مكانَه ، فقال سَلْم فيه :

أدخلتَه فعلَا عَلَيْـ ـكَ كذاكَ شُؤمُ النّاصيهْ
يَعْقوبُ يَنْظر فى الأُمو رِ وأنتَ تَنْظُرُ ناحِيـهْ

وكان المهدىُّ قد بلغَه من جهة الربيع أنّ أبنَ أبى عُبيد الله زِنديق . فقال له المهدىّ : هذا حَسدٌ منك . قال : افْحَص عن هذا ، فإن كنت مبطلا بلغتَ فىّ الّذى يَلزَم من كذبك . فأُتِىَ بابن أبى عبيد الله فأقرَّ بذلك ، فاستتابه ، فلَمْ يَتُب ، فقال لأبيه : اُقتُلْه . قال : لا تَطيب نفسى بذلك ، فقتَله المهدىُّ وصلَبَه على باب أبى عُبيد الله . وكان ابنُ أبى عُبَيد الله من أحمَقِ الناس .

رَكِب الربيعُ يوما يسيرُ مع محمّد بن المنصور ، فقال محمّد للرّبيع : رأيتُ كأنّ الكعبةَ قدتصدّعتْ ، وكأنّ رجلا جاء بحبلٍ أسوَدَ فشدّدَها . فقال له الربيع : مَن الرجل ؟ فلَمْ يُجِبْه ، حتى إذا أُعتلّ قال للرّبيع : أنت الرجلُ الّذى رأيتُه فى نومى يشدُّ الكعبة ! فأىّ شىء تَعْمَل بعدى ؟ قال : ما كنتُ أعمَلُ فى حياتك ، فكان من أمره ما كان من أَخْذ البيعة للمهدىّ فقال سَلْم الخاسر فى الفَضْل بنِ الرّبيع :

يابنَ الّذى جَبَر الإسلامَ حين وهَى وأستنقذَ الناس من عَمْياءَ صَيْخُودِ[1]

---

(١) الصيخود : الصخرة العظيمة ؛ كنى بذلك عن السنة الشديدة .

قالت قريشٌ غداةَ انهاضَ مُلْكُهُمُ ... يابنَ الرَّبيع وأعطَوْا بالمَقاليدِ[1]
فقامَ بالأَمْر مِئْناسٌ بِوَحْدَتِه ... ماضِي العَزِيمةِ ضَرّابُ القَماحِيدِ[2]
إنّ الأمورَ إذا ضاقتْ مسالكُها ... حلّتْ يدُ الفَضْل منها كلَّ معقودِ
إنّ الربيعَ وإنّ الفَضْل قد بَنَيا ... رِواقَ مَجْدٍ على العبّاس مَمْدودِ

فوَهَب له الفضلُ خمسةَ آلافِ دينار .

ولمّا عقد الرشيدُ البيعة لابنه محمّد الأمين ، قال سَلْم الخاسر :

قد بايَعَ الثَّقَلان فى مهدى الهُدَى ... لمحمّد بنِ زُبَيْدَة ابنةِ جعفر
ولَّيْتَه عَهْدَ الأَنامِ وأمرَهُمْ ... ودَمَغْتَ بالمعروف رأسَ المُنْكَرِ

فأعطتْه زُبيدة مائةَ ألف درهم .

وكان إسحاق بنُ إبراهيمَ استوهبَ الرشيدَ تَرِكَةَ سَلْم الخاسر ؛ لأنّه ماتَ عن غير وارث ، فوهَبَها له قبل أن يتسلّمها أصحابُ المَواريث ، فحصل له منها خمسون ألف دينار .

وقيل : إنّ الّذى خَلَّفَه سَلْم ممّا أَخَذَه من الرّشيد ، ومِن زُبَيْدة خاصّة ألف ألف درهم ، وخمسُمائة ألف درهم ، سوى ما خَلَّفه من عقَارٍ وغيرِه ، فقبَضَهُ الرّشيد ، وتَظَلَّمَ إليه مَواليه من آل أبى بكر الصِّدِّيق رضى الله عنه . فقال : هذا خادمى ونَديمى ، والّذى خَلّفه كلُّه من مالى ، فأنا أحقُّ به ، فلَمْ يُعطِهم إلّا شيئًا يسيرا من قديمِ أملاكه .

دخل سَلْمٌ الخاسر على الفَضْل بنِ يحيى بن خالد البَرْمَكىّ فى يوم نَوْرُوز والهدَايا بين يديْه ، فأنشدَه :

---

(١) المقاليد : المفاتيح .

(٢) القماحيد : جمع قمحودة ؛ وهى الهنة الناشزة أعلى القذال .

أمِنْ رَبْعٍ نُسائلُهُ وقــد أقْوَتْ مَنازِلُه(١)
بقلبِي مِن هوَى الأطلا لِ حُبٌّ لا يُزايِلُهُ
رُوَيْدكمُ عــلى المشغو فِ إنْ الْحبَّ قاتلُهُ !
بَلابلُ صَدْرِه تَسْرِى وقــد نامتْ عَـواذلُهُ
أحقُّ الناسِ بالتّفْضيـ ـلِ مَن تُرجَى فَواضلُهُ
رأيتُ مَكارِمَ الأخْـلا قِ ما ضَمَّتْ حَمائلُه
فلستُ أَرَى فَتًى فى النّا سِ إلّا الفضلَ فاضلُهُ
يقول لسـانُه خـيراً وتَفْعَـلُه أناملُهُ
ومَهْمَا تَرْجُ من خَـيْرٍ فإنَّ الفَضْلَ فاعِـلُهُ

وكان إسحاقُ المَوْصِلِىّ وأبوه إبراهيم حاضرَين ، فقال لإبراهيم : كيف ترى ؟ قال : أحْسَنُ مَرأًى ومَسْمَع ، وفَضْل الأمير أكبر منه ! فقال : خذوا جميعَ ماأُهدِىَ إلىّ اليومَ فاقتَسموه بينكم أثلاثا إلّا ذاك التِّمثال ؛ فإنى أريد أنْ أُهدِيَه إلى دَنَانير . ثم قال : لا والله ما هكذا تفعل الأحرار ، يُقوّم وندفعُ إليهم ثمنَه ، ثم نُهْديه ، فقوِّمَ بألفىْ دينار ، فحملها إلى القوم من بيتِ ماله ، وقَسَموا جميعَ الهَدايا بينهم .

حَدَث فى أيّام الرشيد أمرٌ ، فاحتِيجَ فيه إلى الرَّأْى : فأَشْكَل ، وكان الفضلُ غائبا ، واتّفق حضورُه فى ذلك ، فأُخبِر بالقصّة ، فأشار بالرأْى من وَقْتِه ، وأُنفِذ الأمرُ على مَشُورتِه ، فحمِد ما جرَى فيه ، فدخل عليه سَلْمٌ الخاسر ، فأنشدَهُ :

بَدِيهتُهُ وفِكْرَتُه سَواءٌ إذا ماَنابَهُ الخطْب الكَبِيرُ
وأحزَمُ ما يكون الدهر رأياً إذا عَىَّ المُشاوِرُ والمُشِيرُ

---

(١) أقوت : خلت .

وصَدْرٌ فيــــه للهَمِّ اتِّساعٌ إذا ضاقتْ عن الهمِّ الصُّدورُ

فأمر له بعشرة آلافِ درهم .

جاء أبو الشَّمَقْمَق إلى سَلْم ، يَسْتميحُه ، فمَنَعه ، فقال : اسمعْ ما قلت وأنشدَه :

حَدَّثونى أنَّ سَلْماً يَشْتَــكِى جارةَ أيْرِهْ

فهو لا يَحْسُد شيئاً غيرَ أَيْرٍ فى اُستِ غَيْرِهْ

فإذا سَرَّكَ يوماً يا خليلى نَيْــلُ خَــيْرِهْ

قمْ فَمُرْ راهِبَكَ ألأَصْــلَعَ يَقْرَعْ بابَ دَيْرِهْ

فضحك سَلْم وأعطاه خمسةَ دنانير ، وقال له : جُعِلتُ فِداكَ ! أُحِبُّ أن تَصْرِفَ راهبَكَ الأَصْلَع عن بابِ دَيْرِنا .

دَخَل سَلْمٌ الخاسرُ على الرَّشيد فأنشدَهُ :

* حَيِّ الأَحِبّةَ بالسَّلام *

فقال الرشيد :

* حَيّاهُمُ اللهُ بالسَّلامِ *

فقال :

* أعلَى وَداعٍ أمْ مُقام *

فقال الرشيد :

حَيّاهُمُ اللهُ على أيِّ ذلك كان من أمرِهم .

فقال :

لَم يَبْقَ منــكَ ومنهمُ غيرُ الُجلودِ على العِظامِ

فقال له الرشيد : بل مِنْك ، وأخرَجَه ، وتطيَّرَ منه ، ولم يسمع باقى شعرِه ، ولا أثابَه بشىء .

لما أتت وفاة المهديّ إلى الهادى ، وهو بجُرْجان ، بُويع له هناك فدخل عليه سَلْمٌ فأنشَدَهُ :

لمّا أتتْ خيرَ بنِى هاشمٍ   خلافةُ اللهِ بجُرجانِ
شمّرَ للحَرْب سَرابيلَه   بغيرِ لا غُمْرٍ ولا وَانِ(١)
لَمْ يُدخِلِ الشُّورَى على رأيِه   والحَزْمُ لا يُعضِيه رأيانِ

دخل سَلْم على الرّشيد ، وعنده العبّاس بنُ محمّد ، وجعفرُ بنُ يحيى فأنشَدَه :

حَضَرَ الرَّحيلُ وشُدّت الأَحْداجُ   وغدا بهنّ مشمِّرٌ مِزْعاجُ(٢)

فلمّا انتهى إلى قوله :

إنّ المَنايا فى السُّيوف كَوامِنٌ   حتّى يهيِّجَها فتًى هَيّاجُ

فقال الرّشيد : ذاكَ معنُ بنُ زائدة ، فقالوا : صدَق أميرُ المؤمنين ، ثم أنشده حتّى انتهى إلى قوله :

ومدّججٍ يغشى المضيق بسيفه   حتّى يكون بسيفه الإفراجُ

فقال الرشيد : ذلك يزيد بن مزيد ، فقال : صدق أمير المؤمنين ، فاغتاظ جعفرُ ابنُ يحيى ؛ لأنّ يزيد بن مزيد كان عدوّ البرامِكة مُصافِياً للفضل بنِ الرَّبيع ، ثم أَنشَد ، حتّى أَتَى إلى قوله :

نزلتْ نجومُ اللَّيلِ فوقَ رءوسهمْ   ولكلّ قومٍ كَوْكَبٌ وَهّاجُ

فقال جعفر بنُ يحيى : مِن قِلّة الشِّعر حتّى تَمدَح أميرَ المؤمنين بشِعْرٍ ، قيل فى غيره ! هذا لبشّار . فقال الرشيد : ما تقول يا سَلْم ؟ قال : صدَقَ يا أمير المؤمنين ، وهل أنا إلّا جزءٌ من محاسن بشّار ، أم هل أَنطِق إلّا بفَضْل منطقه ! وحَياتِك ياسيّدى ؛ إنّى لأَرْوِى له تسعةَ آلافِ بَيْت ، ما يَعرِف أحدٌ منها شيئاً غيرى .

(١) الغمر : الغر الذى لم يجرب الأمور .
(٢) الأحداج : جمع حدج ؛ وهو مركب للنساء .

فضحك الرشيد ، وقال : ما أحْسَنَ الصِّدق ! امضِ في شِعرك ، وأَمَر له بمائةِ ألف دِرْهم .

ثم قال للفَضْل بنِ الرَّبيع : هل قال أحدٌ غير سَلْم في طَيّ[1] المَنازِل شيئا . وكان الرشيد قد انصرف من الحجّ ، وطَوَى المنازل ، فوصَفَ ذلك سَلْمٌ فقال : نَعَمْ يا أميرَ المؤمنين النَّمَرِيّ ، فأمر سَلْما الخاسرَ أن يَثبْت قائما حتى يَفرُغَ النَّمرى من إنشاده ، فأَنشَد النَّمَرِيّ قوله :

تَخرَّقَ جِلْبابُ الشَّبابِ مع البُرْدِ وحالت لنـا أُمُّ الوَليد عن العهدِ[2]

فقال الرّشيد للعبّاس بنِ محمّد : أيّهما أشعَر عندك ياعَمّ ؟ قال : كِلاهما شاعر ، ولو كان كلامٌ يُستفحَل لِجَوْدته حتّى يؤخَذَ منه نَسْلٌ ، لاستفْحِل كلامُ النَّمريّ ، فأَمَر له بمائة ألفِ درهم .

ومِمّا رَثَى به أشجعُ السُّلَمِيّ سلماً الخاسر ـ ومات قبله ـ :

ياسَلْمُ إنْ أصبحتَ في حُـفْرةٍ موسَّـداً تُرْبا وأَحْجَارا
فـرُبَّ بيتٍ حَسَنٍ قلتَـه خلَّفْتَه في النـاس سَيّارا
لو نَطَق الشِّعرُ بَـكَى بعـدَه عليه إعـلانا وإسرارا

---

(١) الأغاني . « طينا » .
(٢) الأغاني : « تخرق سربال » .

سَرِيُّ بنُ عبدِ الرّحمٰن*

هوالسَّرِيُّ بنُ عبدِ الرّحمن بنِ عُتْبةَ بنِ عُوَيْم بنِ ساعدةَ الأنصاريّ . لجدّه عُوَيْم بن ساعدةَ صحبةٌ بالنّبيّ صلّى الله عليه وسلّم .

والسّريّ شاعرٌ من شُعَراء المَدينة ، ليس بمُكثِرٍ ولا فَحْل ؛ إلّا أنّه أحد الغَزِلِين ، والفِتْيان المنادِمين على الشّراب ، كان هو وعُتَيْرُ بنُ سَهل بنِ عبدِ الرحمن ابنِ عَوْف ، وجُبَير بنُ أيمَن ، وخالدُ بنُ أبي أيّوبَ الأنصاريّ ، يتنادَمُون ، وفيهم يقول السّريّ ، وكلُّهم كان جليلا مقبولَ الشهادة :

إذا أنا نادَمْتُ العُتَيْرَ وذا النَّدَى ... جُبَيراً ونازَعْتُ الزُّجاجةَ خالدَا

أَمِنْتُ بحَمد الله أن تقرَع العَصَا ... وأنْ يُنْبِهوامن نَوْمةِ السُّكْر راقدا

وصِرْتُ بحَمد الله من خير عُصْبةٍ ... حِسانِ النَّدامَى لا نَخاف العَرابِدا

فقالوا : قَبحَك الله ! ماذا أردتَ في التّنبيه علينا ، والإذاعة لسِرِّنا ؛ إنّه لحقيق ألا نُنادِمَك .

فقال : والله ما أردتُ شيئا ؛ ولكنّه شعرٌ طفَحَ[1] عليّ ، فنفَثْتُه عن صَدْري .

جلس نُصَيب في مَسجد النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم ، وأَنشَد ، وكان إذا أَنشَد لَوَى حاجبَيْه ، وأشار بيدَيْه ، فرآه السّريّ ، فجاءه حتى وقف بإزائه ، وقال :

فقَدْتُ الشِّعرَ حينَ أَتَى نُصَيباً ... أَلَم تَستَحْي من مَقْتِ الكِرام !

إذا رَفع ابنُ ثَوْبةَ حاجبَيْه ... حَسِبْتَ الكَلْبَ يَضرِب في الكِعامِ[2]

---

* ترجمته في الأغاني ١٨ : ٦٥ ــ ٦٨ (ساسي) .

(١) طفح على : غلب .

(٢) الكعام : ما كعم به فم البعير في هياجه .

فقال نُصيب : مَن هذا ؟ فقالوا : سرىُّ بنُ عُوَيم بنِ ساعدة . فقال : قد وهبتُه لله عزّ وجلّ ولرسوله صلّى الله عليه وسلّم ، ولعُوَيم بنِ ساعدة .

وكان سَرِىٌّ قد هجا الأحْوَص ونُصَيبا ، فلم يُجِيباه .

وكان سَرِىٌّ قصيرا دَميماً ، أزْرَق ، وكان يهوَى امرأةً يقال لها : زينب ، وشبَّب بها ، فخرج إلى البادية فرآها فى نِسوَةٍ ، فصار إلى راعٍ هناك ، فأعطاه ثيابه ، وأخذ منه جُبّته وعَصاه وأقبل يَسوق الغنَم ، حتّى صار إلى النِّسوة ، فلَمْ يَحْفِلْن به ويَحْسبْن أنّه أعرابىّ ، وأقبل يَقلِبُ بعَصاه الأرضَ وينظُر إليهنّ ، فقلن له : أذَهبَ منك شىءٌ ياراعىَ الغَنَم فأنتَ تَطْلُبه ؟ قال : نعم ، قَلْبى . فضربتْ زينبُ بكُمِّها على وجهها وقالت : سَرِىٌّ وَاللهِ ! أخزاه الله ! فأنشأ يقول :

مازالَ فينا سَقِيمٌ يُستطَبُّ له ... مِن ريح زينبَ فينا ليلةَ الأَحدِ
حُزْتِ الجمالَ ونَشْرا طيِّباً أرِجاً ... فما تُسَمَّيْن إلّا مِسْكَةَ البَلَدِ
أمّا فؤادى فشىءٌ قد ذَهبْتِ به ... فما يضرُّكِ ألّا تَحْرُبى جَسَدى

قال عبدُ الله بنُ عُرْوَة بنِ الزُّبير : خرجتُ أنا وغلامٌ لى أدُورُ فى سِكَك المدينة، فانْتهيتُ إلى فِناء مَرْشوش وشابٍّ جميلِ الوجه جالسٍ ، فلمّا رآنى دعانى ، وقال : مَن أنتَ ياغلام ؟ فقلتُ : عبد الله ابن عُروة بن الزُّبير . فقال: اجْلس . فجلستُ ، ودعا بالطّعام ، فتغدَّيْنَا جميعا ، ثم قال : ياجارية ، فأقبلتْ جاريةٌ تَتَهادى(١) كأنها مَهاة ، وفى يدها قِنِّينة شَراب صافٍ ، وقُلّة ماء ، وكأس .

فقال لها : اسقِنى ، فصبَّت فى الكأس ، وسكَبتْ عليه ماءً ، وناولتْه فشرب ، ثم قال : اسقِيه ، فصبَّتْ فى الكأس ، وسكَبتْ عليه ماء ، وناولتْنى ، فلمّا وجدتُ

---

(١) تهادت الجارية : إذا تمايلت فى مشيتها .

ريحَه بكيتُ ، فقال : مايُبكِيكَ يابنَ أخي ؟ فقلتُ : إن أهلي إن وَجدوا رائحة هذا منّي ضربوني ، فأقبَلَ على الجارية بوجهه وهو يقول :

ألاسَقِّني كأسي ودَعْ عنكَ من أبَى ورَوِّ عِظاما قَصْرُهن إلى بِلَى[1]

فإنّ بُطوءَ الكأسِ موتٌ وحَبْسَها[2] وإن دِراكَ الكأسِ عندى هو الحَيَا

فأخذتْه من يدي ، وأعطتْه إيّاه ، فشرب ، فقمتُ ، فلمّا جاوزْتُه سألت عنه ، فقيل لى : هذا خالدُ بن أبي أيّوبَ الأنصاريّ الّذي يقول فيه الشاعر :

إذا أنتَ نادَمْتَ العُتَيْرَ وذا النَّدَى جُبَيْراً ونازَعْتَ الزُّجاجةَ خالدا

---

(١) قصرهن : مصيرهن . وفى الأغانى : « من أبى » .

(٢) فى الأغانى : « بطاء » ؛ وهما سواء .

سَلَمة بنُ عيّاش*

هو مَوْلَى بنى حِسْل بنِ عامر بنِ لؤىّ . شاعرٌ بَصْرىّ مُخضرم ، شهد الدّوْلتين وكان يتديّن ويتصوّف ، وكان منقطعا إلى جعفر ومحمد ابنَىْ سليمانَ ابن علىّ بنِ عبدِ الله ابن عبّاس ومدَحهما ، فأكثَر وأجاد .

قال سَلَمة بنُ عيّاش : دخلتُ على الفرَزْدق السِّجن ، وهو محبوس ، وقد قال :

إنّ الّذى سَمَك السماءَ بَنَى لنا بَيْتـاً دَعَائمُـه أعزُّ وأطوَلُ

وقد أُفحِم وأَجْبَل[1] ، فقلت له : ألا أُرفِدكَ[2] ؟ فقال : وهل ذلك عندكَ ؟ قلتُ : نعم . ثم قلت :

بيتٌ زُرَارةُ مُحْتَبٍ بِفِنـائه ومُجاشعٌ وأبو الفَوارس نَهْشَلُ

فاستجادَ البيتَ وغاظَه ذلك ، فقال لى : ممّن أنت ؟ قلتُ : من قُرَيش . فقال : كلُّ أَيْرِ حِمارٍ من قريش ! فمِن أيّها أنت ؟ قلتُ : من بنى عامر بن لؤىّ ، فقال : لئامٌ وَضَعَة ، جاورتُهم بالمدينة ، فما أحمدتُهم . فقلت : ألأم منهم والله ، وأوْضَع قومك ، جاء رسولُ مالكِ بنِ المنذر وأنت سيّدُهم وشاعرُهم ، فأخذكَ بأُذنك يقودُك حتّى حَبسَك ، فما اعترَضه أحدٌ ، ولا نصرَكَ .

فقال : قاتَلكَ الله ! ما أمْكَرَكَ ؟ وأَخَذَ البيتَ ، فأدخَلَهُ فى قصيدته .

---

* ترجمته فى الأغانى ٢١ : ٨٤ ـ ٨٧ (ساسى).

(١) أفحم : تبلد وأعيا ، وأجبل الشاعر : صعب عليه قول الشعر وأرتج عليه .

(٢) أرفدك أعطيك

كان سَلَمةُ بنُ عيّاش ، وأبو سُفْيان بنُ العَلاء عند محمّد بن سُلَيْمان ، وجارِيَته بَرْبَر تغنّيهم وتَسقِيهم ، فقال سَلَمة :

إلى اللهِ أشكُو ما أُلاقِي من القِلَى ... لأَهْلِي وما لاقَيْتُ من حُبِّ بَرْبَرِ
على حِينَ وَدَّعتُ الصَّبابة والصِّبا ... وفارقتُ إخوانى وشمّرتُ مئزَرِى
نأى جَعْفر عَنّا وكان لِمثلِها ... وأنتَ لنا فى النّائبات كجعفرِ

فقال محمّد بنُ سليمان لسَلَمة : خذها هى لك ، فاستحيا وارتَدَعَ ، وقال : لا أُريدها ، وألَحَّ عليه فى أَخْذِها . فقال : أعتِق ما أَمْلِك إن أخذتها .

فقال أبو سُفيان: يا سَخِين العين ، اعتِق ما تملِك ! وخُذْها ، فهى خيرٌ من كلّ ما تَمْلِكُ . فلمّا مات أبو سفيانَ رثاه سَلَمةُ فقال :

لَعَمْرُكَ ما تَعفُو كُلومُ مُصيبةٍ ... على صاحبٍ إلّا فُجِعتُ بصاحبِ[1]
تَقَطَّعُ أحشائى إذا ما ذَكرتُهم ... وتَنْهَلُّ عَيْنى بالدُّموع السَّواكِبِ
وكنتُ امرأً جَلْدًا على ما يَنوبُنى ... ومعترِفاً بالصَّبر عند النَّوائب[2]
فهَدَّ أبو سُفْيانَ رُكْنِى ولم أكنْ ... جَزُوعاً ولا مُستنكِراً للمصائبِ[3]
غَنِينا معاً بِضْعا وخَمْسِينَ حِجّةً ... خَلِيلَىْ صَفاءٍ وُدُّنا غيرُ كاذبِ
فأصبحتُ لمّا حالتِ الأرضُ دُونَهُ ... على قُرْبه مِنّى كأنْ لم أُصاحِبِ

---

(١) الكلوم : الجروح .
(٢) كذا فى ب ، ج ، وفى ا والأغانى : « عند المصائب » .
(٣) كذا فى ب ، ج ، وفى ا والأغانى : « للنوائب » .

سعيدُ بن وَهْب*

هو سعيدُ بنُ وَهْب ، وكنيته أبو عثمان ، مَوْلَى بنى سَامَة بنِ لؤىّ ، بَصْرِىُّ المولِد والمَنْشأ ، ثم صار إلى بَغْدادَ ، وأقام بها ، وكانت الكتابَةَ صنعتُه ، وتصرّف مع البَرامكة فاصطَنَعُوه ، وتقدَّمَ عندهم .

وكان شاعراً مطبوعا ، ومات فى أيّام المأمون ، وكان شعرُه فى الغَزَل والشراب والتّشبيب بالذّكور ، وكان مشغوفا بالغِلْمان ، ثم نَسَك وتاب ، وحجّ راجلا على قَدَمِه ، ومات على توبةٍ وإقلاع ، ومذهبه جميل .

ومات وأبو العتاهية حىّ ورثاه ، وكان صديقه ، وكان له عشر بنين ، وعَشْرةُ بنات ، وكان أَخَذ ما قَدَر عليه مِن شعره ، فخرّقه وأحرقه ، وكان امرأً صِدْقٍ ، كثير الصلاة ، يزكّى فى كلّ سنة عن جميع ما عندَه ، حتى إنّه ليُزكّى عن فضّةٍ كانت على امرأته .

كان سعيدُ بنُ وَهْب يتعشّق غلاما يتشطّر[1] ، وكان يقال له : سعيد ، فبلغه عنه أنّه توَعّده أن يَجْرَحه . فقال سعيدُ بنُ وَهْب :

مَنْ عَذيرِى مِن سَمِيِّى ! مَنْ عَذيرى مِن سعيدِ !
أنا باللّحم أَجِئْهُ ويجئْنى باَلحديدِ

نظر سعيدُ بنُ وَهْبٍ إلى قومٍ من كتّاب السلطان فى أحوالٍ جميلة ، فأنشأ يقول:

من كانَ فى الدُّنيا له شارةٌ فنحن من نَظّارَة الدُّنْيَا
نَنْظرهامن كَثَبٍ حَسْرةً كأنّنا لفظٌ بِلا مَعْنَى
يَعْلُوبها النّاسُ وأيّامُنَا تَذْهَبُ فى الأَرْذَلِ والأَدْنَى

---

* ترجمته فى الأغانى ٢١ : ٦٩ — ٧٣ .

(١) يتشطر : يدعى الخلاعة .

قال عبدُ الله بنُ العلاء المُغَنّى : نظر إلىّ سعيدُ بنُ وَهْبٍ ، وأنا على باب ميمون بن إسماعيل ، حين أُخضرّ شاربى ، ومعه إسحاق الموصلىّ ، فسَلَّم علىّ إسحاق ، فأقبَل عليه سعيدٌ ، وقال : مَنْ هذا الغلام ؟ فتبسَّم وقال : هذا أبنُ صديقنا ، فأقْبَلَ علىّ وقال :

لا تَخْرُجَنّ مع الغَزِىِّ لمَغْنَمٍ ... إنّ الغَزِىَّ يَراكَ أفضلَ مَغْنَمِ (١)
فى مِثل وجهك يستحلُّ ذوو التُّقَى ... والدِّين ، والعلماءُ كلَّ محرَّمِ
ما أنتَ إلّا غادَةٌ مَمْكورةٌ ... لولا شَوارِبُك اللَّطيفةُ بالفَمِ (٢)

مَرّ سعيد بنُ وهب والكِسائىّ ، فلقِيا غلاماً جميلَ الوجه ، فاستحسَنه الكِسائىّ وأراد أن يستميله بالنَّحو ، فلم يَمِلْ إليه ، فأخذ سعيدُ بنُ وَهْب فى الشِّعر ، فمالَ إليه الغلام ، فبعث به إلى منزله ، وبعث معه الكسائىّ ، وقال : حدّثه وآنِسْه حتّى أجىء ، وتشاغل بحاجته ، فمضى به الكسائىّ ، وما زال يُدارِيه حتى قضى حاجته منه ثم أنصرفَ ، وجاء سعيد فلَمْ يرَهُ فقال :

أبو حَسَنٍ لا يَفِى ... فمَن ذا يَفِى بَعْدَهُ !
أثَرْتُ له شادناً ... فصايَدَهُ وَحْدَهُ
وأظهَر لى غَدْرَةً ... وأخلَفَ لى وَعْدَهُ (٣)
سأطلُبُ ما ساءَهُ ... كما ساءنى جَهْدَهُ

قال إسحاقُ بنُ إبراهيمَ المَوْصلىّ : كان لسعيد بن وَهْبٍ ولدٌ يُكَنَى أبا الخطّاب ، من أكيَس الصِّبيان وأحسنِهم وَجْهاً وأدبا ، وكان لا يفارقه فى كلّ حال

---

(١) الغزى : الجماعة يغزون .
(٢) يقال : امرأة ممكورة الساقين ؛ إذا كانت ممتلئتهما .
(٣) فى الأغانى : « وأخلفنى » .

لِشدّة شَغَفه به ، ورأفَتِه عليه ، فمات وله عشرُ سنين ، فجزع جزَعاً شديداً، وانقطع عن لَذّاته . فدخلتُ عليه يوما لأُعاتبَه على ذلك ، وأستعطفَه ، فحين رآني عرَف ذلك في وَجْهي ، ففاضت دموعُه وانتحَب حتى رَحِمْتُه ، ثم أنشدَني له :

عَينُ جُودي على أبي الخطّابِ　　إذْ توَلّى غضًّا بماء الشّبابِ

لم يُقارِفْ ذَنْباً ولم يَبْلُغ الحِنْـ　　ـثَ مُرَجًّى مطهَّرَ الأثوابِ[1]

فقدتْه عَيْني إذا ما سَعَى أَتْـ　　ـرابُه في جَماعة الأَتْرابِ

وإذا ما رأيتُ كُتّابَه لَمْ　　أَرَ فيه رَيحانةَ الكُتّابِ[2]

إنْ غدَا مُوحِشاً لداري فقدْ أصْـ　　ـبَحَ أُنْسَ الثَّرى وزَيْنَ التّرابِ

أحمدُ اللهَ يا حبيبي فإنّي　　بكَ راجٍ منه عظيمَ الثوابِ

ثم ناشدَني ألّا أذكُره بشيء ممّا جئتُ له ، فقمتُ ولم أخاطبْه بحرف .

كان سعيدُ بنُ وَهْب مَألَفةً لكلِّ غلام أمرَد ، فحدّث رجلٌ ممّن كان يعاشره ، قال : دخل إليه يوما غلامان أمرَدان ، فقالا له : قد تحاكَمْنا إليك ، أيُّنا أجمَلُ وجهاً ، وأحسَنُ جِسْماً ؟ وجعَلْنا أجرَ حُكمِك أن تختار أيّنا حكمت له ، فتقضِيَ حاجتَك منه ، فحكَم لأحدهما ، فقام وقضَى حاجتَه منه ، واحتبَسَهما عندَه ، وشَرِبا ، ثم مالَ إلى الآخر أيضا ، وقمتُ معه فداخلتهما حتّى فعلتُ كفعْله .

فقال لي سعيد : هذا يومُ الغارات في الحارات ، ثم قال :

رِئْمانِ جاءا تَحَكّماني　　لا حُكْمَ قاضٍ ولا أميرِ

هذا كشَمْسِ الضّحى جَمالا　　وذا كبَدْر الدُّجى المُنيرِ

وفضلُ هذا كذا على ذا　　فضلُ خَميسٍ على عَشيرِ

---

(١) يقال : بلغ الغلام الحنث ؛ إذا بلغ الإدراك والبلوغ ، والحنث : الحلم أيضا .

(٢) لم يرد هذا البيت في الأغاني .

قالا أَشِرْ بيننا بِرأْيٍ ... ونَجعل الفَضْلَ للمُشِيرِ
تَبادَلَا ثمّ قمتُ حتّى ... أخذتُ فَضْلِي من الكَبيرِ
وكان عَيْباً بأن أرانِي[1] ... أمنَعُ حَظِّي من الصَّغيرِ[2]
فكان مِنّي ومِن قَرِينِي ... إليهما وَثْبةُ المُغِيرِ
فمَن رأى حاكِماً كحُكْمِي ... أعظَمَ جَوْرا بلا نَكيرِ!

وشاعت الأبياتُ حتّى بَلغَت الرشيدَ، فدعاه، فاستنشَدَه، فتلكّأ، فقال له: أنشِدْ فلا بأسَ عليك، فأنشدَه، فقال له: وَيْلَك! اخترتَ الكبيرَ سِنًّا أو قَدْرا؟ فقال: بل الكبيرَ قَدْراً. قال: لو قلت غير هذا لسقطتَ عندى واستخففْتُ بك، ووَصَله، وصرَفه.

دخل سعيدُ بنُ وَهْبٍ على الفضل بنِ يَحْيَى فى يومٍ قد جلس فيه للشّعراء، فجعلوا يُنشِدونه، ويأمُرلهم بالجوائز حتّى لم يَبْقَ منهم أحد، ثم التفت إلى سعيد بن وَهْب كالمستنطِق، فقال له:

أيّها الوزير، إنّى ما كنتُ استعددتُ لهذه الحال، ولا تقدَّمَتْ لها عندى مقدِّمة، فأعرِفَهَا، ولكن قد حضرَنى بَيْتان، أرجو أن يَنوبا عن قصيدة، فقال: هاتِهما فرُبَّ قليلٍ يكون أبلغَ من كثير، فقال سعيد:

مَدَحَ الفضلُ نفسَه بالفِعالِ ... فَعَلَا عن مَديحِنا بالمَقالِ
أمَرُونى بمَدْحِه قلتُ كَلَّا ... كَبُرَ الفَضْلُ عن مَديحِ الرِّجالِ

فَطرِب الفضْل، وقال: أحسنتَ وأجَدْتَ، ولئن قَلَّ القَوْل، فَنَزر لقد اتَّسع المعنى، وكَثُر، وأمر له بمِثل ما أعطَى كلَّ من أنشَده مديحا يومَئذ، وقال: لاخيرَ فيما يجيء بعدَ بَيْتَيْك، ثم قام من المجلس وخرج النّاسُ يَوْمئذ لا يَتناشَدُون غيرَ البيتين.

---

(١) كذا فى ب، ج، والأغانى، وفى ا: «عبثا».
(٢) فى الأغانى: «أحرم حظى».

قال الفضلُ بنُ الرَّبيع : عرّفَتْنَا أيّامُ البَلِيّة مَن كنّا نجْهَلُه من الناس ، وذلك أنا احتجْنا أن نُودِع أموالَنا وكانت كثيرةً مُفْرِطة ، فكنّا نُلْقيها على الناس إلقاءً، ونُودِعها الثقةَ وغيرَ الثِّقة . وكان ممّن أودَعْناه سعيدَ بنَ وَهْب ، وكان رجلا صُعْلوكا(١) لا مالَ له ، وإنّما صَحِبَنا على البَطالة والضّحك(٢) فظننتُ أنّ ما أُودِعه ذاهبٌ ثم طلبتُه منه بعدَ حين ، فجاءنى به بخَواتِمه ، وأودَعْتُ عليَّ بنَ الهَيْثم ، وكان كاتِبَنا جُملةً عظيمة ، وكان عندى أوْثَقَ مَنْ أودَعْتُه ، فلمّا أَمِنْتُ طالبتُه بالوَديعة ، فجَحَدنى وبهَتَنى ، وحلَفَ على ذلك، فصار عندى سعيدٌ فى السّماء، وبلغتُ به كلَّ مَبْلَغ ، وسقَطَ عليُّ بنُ الهَيْثم ، فلم يَصِلْ إلىّ ولا تلقّانى .

وكان لسعيدِ بنِ وهب خادم يُجَنُّ به جُنونا مِن عِشْقه له ، فغضِبَ عليه يوما لشىء أنكَرَه منه، فأمَر به فبُطِح ، وكُشِفت أستُه ، وأخذ المِقرعةَ وقام ليَضرِبَه ، ثم قال : إنما غَرّتْك منّى أستُك هذه ، حتّى أجترأتَ علىّ ، وسأُرِيك هوانَها علىَّ !

فقال الخادم : طالما غَرّتْك هذه الأُسْتُ حتى اجترأتَ على ربِّك بما اجترأتَ عليه من أجْلها ! وسترَى هوانك عليه إذا لاقيتَه :

قال سعيد : فورَدَ علىَّ من جوابه ما حَيّرنى حتّى سَقَطت المِقْرَعَةُ من يَدِى ، وكففتُ عنه .

قال عمرو بن بانة : كان فى جِوارى رجلٌ من البَرامكة ، وكانت له جارية شاعرةٌ ظريفة أديبة ، يقال لها حَسْناء ، يَدْخُل إليها الشعراء ويسألونها عن المعانى فتأتى بكلّ مُسْتَحسَن من الجواب . فدخل إليها سعيدُ بنُ وَهْبٍ يوما ، وجلس إليها فحادثها طويلا ، ثم قال لها بعد ذلك :

---

(١) الصعلوك : الفقير .

(٢) ساقطة من الأغانى .

حاجبتُك يا حسناَ ء فى جنسٍ من الشّعرِ
وفيما طوله شـبرٌ وقد يوفِى على الشّبْرِ
له فى رأسـه شقٌّ نَطُوفٌ بالنَّدَى يجرِى
إذا مـا جَفّ لم يَجْرِ لدَى بَرٍّ ولا بَحْرِ
وإن بُلَّ أتَى بالعـ جبِ المعجِبِ والسِّحْرِ
أجيبى لَم أُرِدْ فُحْشا وَربِّ الشَّفْعِ والوَتْرِ
ولـكنْ صُغْتُ أبياتا لها حَظٌّ من الزَّجرِ

يريد القلم ، فقالت له : عند أُمِّك من خَبَر هذا المسئولِ عنه عجائب فاُسألْها عنه تُخْبِرْك .

السُّلَيْك بنُ السُّلَكَة*

هو السُّلَيْك بنُ عَمرو ـ وقيل : عُمَيْر بن يَثْرَبِىّ ـ أحدُ بنى مُقاعِس ، وهو الحارث بنُ عَمرو بنِ كعب بنِ سعد بنِ زَيْد مَناة بنِ تميم. والسُّلَكَة أمُّه وهى أمَةٌ سَوْدَاء ، وهو أحدُ صَماليك العَرَب العدائين من الّذين كانوا لم يُلْحَقوا ، ولا تتعلّق بهمُ الخَيْل إذا عدَوْا ، وهم السُّلَيك بنُ السُّلَكة ، والشَّنْفرى ، وتأبَّط شرًّا ، وعَمْرو ابن بَرّاق ، وثُقَيْل بنُ بُراقة ، وغيرهم .

وكان السُّلَيك إذا كان الشتاء ، استوْدَع بيْض النَّعام ماءَ السّماء ثم دَفَنه ، فإذا كان الصّيف ، وانقطعتْ إغارة الخيل أغَار ، وكان أدَلَّ من قَطاة ، فيجىء فيقف على البَيْضة ، وكان لا يُغِير على مُضَر ، وإنّما يُغير على اليَمَن ، فإذا لم يتيسّر له ذلك أغارَ على رَبيعة .

وكان من أشدِّ رجال العرب ، وأشعرِهم ، وأنكرِهم ، وكانت العرب تدعوه : سُلَيْك المَقانِب[1] . وكان أدَلَّ الناس بالأرْض وأعلمَهم بمَسالِكها ، وكان يقول : اللهمّ إنّك تهيّىء ما شئتَ لمن شِئْت ، اللّهمّ إنّى لو كنتُ ضعيفا كنتُ عبدا ، ولو كنتُ امرأةً كنتُ أمَةً ، اللهمّ إنّى أعوذ بك من الخَيْبَة ، فأمّا الهيبة فلا هَيْبة ، وكان قد أمْلَق حتّى لَم يَبْق له شىء . فخرج على رجليه رجاءَ أن يصيبَ غِرّةً من بعض من يَمُرّ به ، فيذهب بإبله حتّى أمْسَى فى ليلة من ليالى الشّتاء ، باردةٍ مُقْمِرة ، فاشْتَمَل الصَّمّاء ثم نام ـ واشتِمال الصَّمّاءِ أن يَرُدّ فَضْلَ ثوبه على عَضُده الأيْمَن ، ثم ينام عليها ـ فبينا هو نائمٌ إذْ جَثَم عليه رجلٌ ، فقعد على جَنْبه وقال له : اِستأسِرْ ، فرَفَع السُّلَيْك رأسَه ، وقال : اللّيلُ طويلٌ وأنت مُقْمِر ؛ فأرسَلها مَثَلاً .

---

* ترجمته فى الأغانى ١٨ : ١٣٣ ـ ١٣٩ (ساسى) .

(١) المقانب : جمع مقنب ؛ وهى جماعة من الخيل تجتمع للغارة .

فجعل الرجل يُلَهِّزُه[1] ويقول : ياخبيث، اِستأْسِر، فلمّا آذاهذلك أخرج السُّليكُ يَدَه ، فضمّ الرجلَإليه ضَمّةًضَرَطمنها ، وهو فوقَه، فقال له: أَضَرِطاً وأنتَ الأَعْلى ! فأرسَلَها مَثَلاً .

ثم قال له السُّلَيك : مَن أنت ؟ فقال له : أنا رجل افتقرتُ فقلتُ : لأخرجنّ فلا أرجعُ إلى أهلى حتى أستغنِيَ ، فاصطَحَبا حتّى أتيا الجَوْف ؛ جرفَ مُراد، فلمّا أشرفَا عليه إذا فيه نَعَمٌ قد ملأتْ كلّ شيء من كثرتِها ، فخافوا أن يُغيروا فيطرُدوا بعضَها ، فيلحَقهم الطلَب .

فقال له السُّلَيك : كن قريبا منِّى حتى آتِيَ الرِّعاء ، فأَعلَم لكم عِلْمَ الحىّ ، أقريبٌ أم بعيد ؟ فإن كانوا قريبا رجعتُ إليك ، وإن كانوا بعيدا قلتُ لكمْ قولا أُومىءُ لكمْ به فأَغيروا ، فانطَلَق حتّى أَتَى الرِّعاء فلم يَستنطِقهُم حتّى أَخبَروه بمكانِ الحىِّ فإذا هو بعيد ، إنْ طُلِبوا لم يُدرَكوا

فقال السُّلَيْك للرِّعاء : ألَا أغنّيكم ؟ قالوا : بلى ، فرفع عَقِيرتَه وغَنّى :

ياصاحِبَيَّ ألَا لا حَيَّ بالوادِى ... سِوَى عَبيدٍ وآمٍ بينَ أَذْوادِ[2]
أَتنظرانِ قليلا رَيْثَ غَفْلَتِهِمْ ... أم تَغْدُوانِ فإنّ الرِّبْحَ للغادِى

فلمّا سمعا ذلك أتيَا السُّلَيْك ، فطردوا الإبلَ فذهبوا بها ، ولم يَبلُغ الصَّريخُ الحىحتّى فاتُوهمْ بالإبل .

كان جيشٌ لبَكر بنِ وائل قد أرادوا الإغارةَ على بنى تَميم ، من غيرأن يُعلَم بهم ، فقالوا : إنْ عَلِم بنا السُّلَيك أنذَرَ قومَه ، فبعثوا إليه فارِسَين على جوادَيْن ،

---

(١) يلهزه : يلكزه ويضربه .

(٢) يقال : فلان ماله آم وعام ؛ أى هلكت امرأته وماشيته . والأذواد : جمع ذود . ؛ وهم ثلاثة أبعرة إلى العشرة .

فلمّا هايَجاه خرج يُحضِر(١) كأنّه ظَبْي ، وطارداه سحابةَ يومهم . قالوا : إذا كان الليل أَعيا وسقَط ، أو قصَّر عن العَدْو ، فنأخذه . فلمّا أصبحوا وَجدُوا أثره ، قد عثَر بأصلِ شجرةٍ فانترَعها ، ونَدرَتْ(٢) قوسُه فانحطمتْ فوجَدا قِصْدةً(٣) منها قد ارتزنتْ(٤) بالأرض ، فقالا : ما له ؟ أخزاه الله ! ما أشدّه ! فهمّا بالرّجوع ، ثم قالا : لعلّ هذا من أوّل الليل ثم فَتَر ، فتبعاه ، فإذا أثَرُه ، قد بال في الأرض فزَعاً منهما وَحدَها ، فقالا : ما له ؟ قاتلَه الله ! ما أشدّ مُنّته(٥) ! والله لا نتبعه أبدا ، فانصرَفا ، ونَمَّ إلى قومه فأنذرَهم ، فكذّبوه ، فأنشأ يقول :

يكذّبني العَمْران عَمْرُو بنُ جُنْدُبٍ ... وعمرُ بنُ سَعدٍ والمكذِّب أكذَبُ

ثَكِلتُهما إن لم أكن قد رأيتُها ... كراديسَ يُهدِيها إلى الحيِّ موكِبُ(٦)

كراديسَ فيها الحَوْفَزان وقومُه ... فوارسُ هَمّام متى يَدْعُ يَرْكَبوا(٧)

تفاقدْتُم هل أنكرَنّ مُغيرةً ... مع الصُّبح يَهدِيهنّ أشقرُ مُغْرِبُ(٨)

أغار السُّلَيك على بني عُوَّارة ، بطنٌ من بني مالك بن صَعْصَعة(٩) ، فلم يَظفر منهم بشيء ، وأرادوا مُثاورَته(١٠) فقال لهم شيخ : إنّه إذا عدا لم تتعلّق به الخيل ، فدعُوه

---

(١) يحضر : يعدو .

(٢) ندرت قوسه : سقطت .

(٣) القصدة : القطعة .

(٤) كذا في الأصول ، وارتزنت : سقطت . وفي الأغاني : « ارتزت » ، أي أثبتت .

(٥) المنة : القوة .

(٦) الكراديس : جماعة الخيل .

(٧) في الأغاني : « يعني الحوفزان بن شريك الشيباني » .

(٨) تفاقدتم : يدعو عليهم بالتفاقد . ومغيرة : أي خيلا مغيرة . يهديهن : يقدمهن . والمغرب : المرتفع الجريء .

(٩) في الأغاني : « ضبيعة » .

(١٠) المثاورة : المواثبة . ، وفي الأغاني : « مساورته » ؛ وهو بمعناه .

حتى يَرِد الماء ، فإذا شَرِب وثَقُل لم يَستطع العَدْو ، وظفرتُم به ؛ فأمهَلوه حتّى وَرَدَ الماءَ وشَرِب ، ثم بادَروه ، فلمّا رأى أنّه مأخوذ جامَلَهم، وقصد لأدنَى بيوتِهم حتّى وَلَج على امرأةٍ منهم ، يقال لها : فُكَيْهة ، فاستجار بها ، فمنعتْه ، وجعلته تحتَ دِرعها ، واخترطَت(١) السّيف ، وقامت دونَه فكاثَرُوها، وكشفتْ خِمارها ، عن شَعرِها ، وصاحتْ بإخوَتِها ، فَدفَعوا عنه حتّى تَحامَى القتْل .

فقال السُّلَيك فى ذلك :

لعَمْرُ أبيكَ والأنباءِ تَنْمِى ... لنِعمَ الجارُ أختُ بَنِى عُوَارِ
مِن الخَفِرات لم تَفضَح أخاها ... ولم تَرفع لوالدِها الشَّنارا(٢)
كأنّ مَجامع الأرْدافِ منها ... نَقًا دَرَجتْ عليه الرِّيح هارَا(٣)
يَعافُ وِصالَ ذاتِ البَذْل قَلْبِى ... ويَتَّبِع المنَّعَةَ النَّوارَا(٤)
وما عَجزتْ فُكَيْهَةُ يومَ قامتْ ... بنَصْلِ السَّيْف واستَلَبُوا الخِمارا

كان السُّليكُ أخَذ رجلا من بنى كِنانة بنِ تيم بنِ أسامةَ بنِ مالك بنِ بكر ابن حبيب بنِ عمرو بنِ عثمانَ بنِ تَغْلِب يقال له : النُّعمان بن عُقفان(٥) ، ثم أطلقَه وقال :

سمعتُ بجَمْعهم فرضَخْتُ فيهمْ ... بنُعمانَ بنِ عُقْفانَ بنِ عَمْرِو
فإنْ يَكفُرْ فإنّى لا أُبالِى ... وإنْ يَشْكُرْ فإنّى لستُ أدرِى

ثم قَدِم بعد ذلك على بنى كِنانة ، وهو شيخٌ كبير ، وهمْ بِماءٍ لهم يقال له :

---

(١) اخترطت السيف : سلته .

(٢) الشنار : أقبح العيب ، وفى الأغانى :

* ولم ترفعْ لإخوتها شنارا *

(٣) النقا من الرمل : القطعة تنقاد محدودبة . وهار : ضعف وسقط .

(٤) النوار : النفور من الريبة .

(٥) فى الأغانى : « عقبان » .

قُباقِب(١) ، خلف البِشْر ، فأتاه نعمان بأُبنَيْه : الحَكَم وعثمانَ ، وهما سيِّدَا بنى كِنانة ، ونائلة ابنته ، فقال : هذان وهذه لك ، وما أملك غيرَهم . فقالوا : صدق . قال : قد شكرْتُ لك ، وقد رددْتُهم عليك ، فجمعتْ له بنو كنانة إبلا عظيمةً ودفعوها إليه ، ثم قالوا له : إنْ رأيتَ أن تُرينا بعضَ ما بَقِيَ من إحْضارِك . فقال : نعم ، ابغُونى أربعين شابًّا ، وابغُونى دِرْعا ثقيلة ، فأتَوْه بذلك ، فلبِسَ الدِّرعَ وقال للشبّانِ : الحَقُوا بى إنْ شئتم ، ثم عدَا ، فلاثَ العدْوَ لوْثا ، وعدَوْا بجَنْبَيه فلم يَلْحقوه إلّا قليلا ، ثم غاب وكرَّ راجعا حتّى عاد على القوم وهو يُحضِر ، والدِّرع فى عُنُقه تضطرِب كأنّها خِرْقةٌ من شِدّة إحضاره .

وكان السُّلَيْك يُعطِى عبدَ الملك بن مُوَيْلك الخَثْعَمِيَّ إتاوَةً من غنائمه ، على أن يُجيرَه ، فيتجاوَز بلادَ خَثْعَم إلى من وراءهم من أهل اليمن فيُغير عليهم .

وكان من مقتل السُّلَيْك أنه لقى رجلًا من خثعم فى أرضٍ يقال لها فجيّة بين أرضِ عَقِيل وسعدِ تميم ، وكان يقال للرجل : مالك بنُ عُمَيْر بن أبى ذِراع بن جُشَم ابن عوف ، فأخذه ومعه امرأة له من خَفاجةَ ، يقال لها : النَّوار . فقال الخَثْعَمِيّ : أنا أفدِى نفسى منك . فقال له السُّلَيك : ذلكَ لك على ألا تَخِيسَ بى(٢) ، ولا يَطّلع علىَّ أحدٌ من خَثْعَم ، فحالفَه على ذلك ، ورجع إلى قومه وخلف امرأته رهينةً معه ، فنا كَها السُّلَيْك ، وجعلتْ تقول له : احذَرْ خَثْعَمَ فإنّى أخافهم عليك ، فأنشأ يقول :

تُحذِّرنى كى أحذَر العامَ خَثْعَماً   وقد علمتْ أنّى امرؤٌ غيرُ مُسلِمِ
وما علمت خَثْعَمٌ إلّا لِئامٌ أذلّةٌ   إلى الذُّلِّ والإسْخاقِ تَنْمى وتَنْتَمى

---

(١) قباقب : ماء لبنى تغلب بأرض الجزيرة ، والبشر : جبل بالجزيرة .

(٢) لا تخيس بى : لا تغدر .

وبلغ ذلك شِبلَ[١] بنَ قِلادة ، وأَنَسَ بن مُدْرِك الخثعميّ فخالَفا[٢] إلى السُّلَيك ، فلم يَشعُر إلّا وقد طوّقاه فى الخَيْل ، فأنشأ يقول :

يارُبّ نَهْبٍ قد حويتُ عُثْكولْ   ورُبَّ قِرنٍ قد تركتُ مَجْدُولْ
ورُبَّ زَوْجٍ قد نكحتُ عُطْبولْ   ورُبَّ عانٍ قدفككتُ مَكْبولْ

* ورُبَّ وادٍ قد قَطعتُ مَسْبولْ *

فقال أَنَس لِشبْل : إن شئتَ كفيتُك القومَ ، وأُكفِنى الرَّجُلَ ، وإن شئتَ أُكفِنِى القومَ وأَكفِيك الرَّجُلَ . فقال : بل أكفيكَ القومَ ، فشَدَّ أنسٌ على السُّلَيك فقتلَه ، وقتل شِبل أصحابَه ومَن كان معه .

وكاد الشّرّ يتفاقَم بين أَنَس وعبدِ المَلِك بن مُوَيْلِك ، لأنّه كان أجاره حتّى وَدَاه أَنَس لمّا خاف أن يَخرُجَ الأمرُ من يَدِه .

وقيل : إنّ أنساً قال : واللهِ لا دِيَةَ ولا كرامةَ ؛ ولو طَلَب فى دِيَتِه عِقالا ما أعطيتُه ، وقال فى ذلك :

إنّى وقتلى سُلَيكا ثم أَعقِلَه   كالثّورِ يُضرَب لمّا عافَتِ البَقَرُ
عجبتُ للمرءِ أَنْ نِيكَتْ حَليلَتُه   وأن يُشَدَّ على وَجْعائِها الثَّفَرُ[٣]
إنّى لتارِكُ هاماتٍ بمَجْزَرةٍ   لا يَزدَهِينى سَوادُ الليلِ والقمرُ
أَغشَى الحروبَ وسِرْبالى مُضاعَفةٌ   تغشى البَنان وسَيْفى صارِمٌ ذَكَرُ

كان إبراهيمُ بنُ سعدانَ يؤدِّب ولدَ علىِّ بنِ هِشام ، وكان يُغنّى بالعُود تأدُّبا ولَعِبا . قال : فوجَّه إلىّ يوما علىُّ بنُ هشام يَدْعونى ، فدخلتُ ؛ فإذا بين يديْه

---

(١) فى الأغانى : « شبيل » .
(٢) خالفا إلى السليك : سارا إليه .
(٣) الوجعاء : الدبر ؛ والثفر ، بالتحريك : السير فى مؤخر السرج .

أمرأةٌ مكشوفةُ الرّأس تلاعِبُه بالنَّردْ ، فرجعتُ عَجِلًا ، فصاح بى : أدخُــل ، فدخلتُ فإذا بين يديهما نَبيذٌ يَشْرَبانه ، فقال : خذْ عُودا وغَنِّ لنا ، ففعلتُ ، وغنّيتُ فى وَسَط غِنائى :

مِن الخَفِرات لم تَفْضَحْ أَباها   ولم تَرفَع لإخْوَتِها شَنارَا

فوثَبَتِ المرأةُ مِن بين يَدَيْه ، وغَطّت رأسَها وقالت : أُشْهِدُ اللهَ أنى تائبةٌ إليه ، ولا أفضَح أَبى ، ولا أَرفَع لإخْوَتى شَنارا .

فتغيّر وَجْهُ علىِّ بنِ هشام ، ولَم يَنطِق ، وخرجتُ من حضرتِه ، فقال لى : وَيْلَك ! مِن أين صَبَّك اللهُ علىّ ! هذه مغنّية بغدادَ ، ولى فى طلبها سَنَةٌ لم أَقْدِرْ عليها إلّا اليوم ؛ فجئتَنى بهذا الصّوت حتى هَرَبَتْ .

فقلت : واللهِ يا أخى ما أُعتمَدْتُ مساءَتَك ؛ ولـكنّه شىءٌ حضر على غيرِ تعمُّدٍ مِنّى لذلك .

السَّمْهَرِىّ*

هو السَّمْهَرِىّ بنُ بِشر بن أَوْس[1] بنِ مالك بنِ الحارث بنِ أَوْس[1] العُـكْلِىّ، وكنيتُه أبو الدَّيْلَم[2] ، لقِىَ هو وبَهْدَل ومَرْوان أبنا قِرْفة الطائيّان ـ وقِرْفة أمُّهما ، وأبوهما جَيّان الطائىّ ـ لَقُوا عَوْن بنَ جَعْدَة بن هُبيرة بن أبى وَهْب ابن عَمرو بن عائذ بن عمران بن مخزوم بن يَقظَة بن مُرّة بنِ كعب بن لؤىّ بن غالب ، [3]ومع عون بنِ جَعْدَة خالُه أحد بنى حارثةَ بن لام بن طـيّء بالثعلبية[3] وهو يريد الحجّ من الـكوفة فى خلافة عبدِ الملك بنِ مَرْوان ، أو هو يريد المدينة ، فقالوا له : العُراضَةَ[4] ، أى مُرْ لنا بشىء . فقال : يا غلام ، جَفِّن[5] لهم . فقالوا : لا والله ما الطّعامَ نُرِيد ، فقال : عَرِّضْهم . فقالوا : ولا ذلك نُرِيد .

فأُرتاب بهم ، وعَلِم أنّهم لُصوص ، فأخَذَ السَّيْفَ فشَدَّ عليهم وهو صائم ، وكان بَهْدَل لا يَسْقُط سهمُه ، فرمَى عَوْناً فأَقْصَـدَه ، فلمّا قتلوه لم يرَوْا ما كانوا يظنّون ، فلمّا رأَوْا ذلك نَدِموا ، فهرَبوا ولم يأخذوا إبلَه فتفرّقَتْ .

فنجا خالُه الطائىُّ إمّا عرَفوه فـكَفُّوا عن قتلِه وإمّا هَرَب ولم يَعرِفْه القتَلَة ، فوَجَد بعضَ الإبل فى يدِ شافع بن واتر الأَسَدِىّ .

---

* ترجمته فى الأغانى ٢١ : ٥١ ـ ٥٩ .

(١) كذا فى الأصول ، وفى الأغانى : « ابن قيس » .

(٢) فى الأغانى : « أبو الديل » .

(٣ـ٣) كذا وردت العبارة فى الأغانى ؛ وهى فى الأصول غير واضحة .

(٤) العراضة ، بضم العين : ما يعرضه المائر ؛ أى يطعم من الميرة .

(٥) جفن لهم ، أى أطعمهم اللحم فى الجفان .

وبلغ عبدَ الملك بن مروانَ الخبر ، فكَتَب إلى الحجّاج بنِ يوسفَ الثّقفىّ وهو عامله على العراق ، وإلى هشام بن إسماعيل بالمدينة ، وإلى عامله باليمامة ، أن يبالغوا فى طَلَب قتَلَةِ عوْن ، وأن يَجعَلوا لمن دلَّ عليهم جَعالةَ[1] .

وأقام السَّمْهَرِىُّ ببلاد غَطَفان ما شاء الله عزّ وجلّ ، ثم مرّ بنَخْلٍ فقالت عجوز من بنى فَزارة : أظنُّ والله هٰذا المُكْلِىّ الّذى قتَل عوْنا ! فوثبوا إليه فأَخَذُوه . ومرّ أيُّوب بن سَلَمة المخزومىُّ بهم ، فقالت له فَزارة : هذا المُكْلِىُّ الّذى قتَل عوْناً أبن عمِّك ، فأَخَذه منهم .

فأَتَى به هشامَ بنَ إسماعيلَ المخزومىّ ، عامل عبد الملك على المدينة ، فجحَد ولم يُقِرّ ، فحبسه ، وألَحُّوا على بَهْدَل بالطَّلَب ، وضيَّقوا على السَّمْهَرِىّ فى السِّجن والقيود بالمدينة ، فأيقنَ السَّمْهَرِىُّ أنّه غيرُ ناجٍ ، فجعل يلتمس الخروجَ من السِّجن.

فلمّا كان يومَ جُمُعة والإمام يَخطب ، وقد شُغِل الناسُ بالصّلاة ، كَسَرَ[2] إحدى حَلْقَتَىِ القيْد ، ثم رَمَى بنفسه من فوق السِّجن ، والناس فى صلاتهم ، فقصَد الحرّة ، فولَج غاراً فى الحرّة ، وانصرَف الإمام من الصَّلاة ، فجمَعَ عامّةَ أهلِ المدينة ، وقال لهم : اتَّبِعوه ، فقالوا : كيف نتبعه وحْدَنا ؟ فقال لهم : أنتم ألفَا رَجُل ، فكيف تكونون وحدَكم ؟ فقالوا : أرسِلْ معنا الأُبُلِّيِّين[3] وهم حَرَسٌ وأعوانٌ من الأُبُلَّة .

ولمَّا أَمسَى السَّمْهَرِىّ كَسَر الحلْقَة الأخرى ، وأَصبَح وقد قطع أرضاً بعيدة ؛ فبيناَ هو يَمشِى إذ نَعَب[4] غرابٌ عن شِماله ، فنظر فإذا هو بالغُراب على شَجرةٍ

---

(١) الجعالة هنا : الأجر الذى يأخذه الإنسان على فعل الشىء .

(٢) كذا فى الأصول ، وفى الأغانى : « فك » .

(٣) الأبليون ، نسبة إلى الأبلة ؛ موضع بالبصرة ؛ وكان من متنزهات الدنيا الأربعة .

(٤) نعب الغراب : صوت .

بانٍ[١] يُنَشْنِشُ[٢] رِيشَه ويُلقيه ، فاعتاف[٣] شيئاً فى نفسه ومضى وفيها ما فيها ، فإذا هو قد لَقِىَ راعياً فى وجهه ذلك ، فسأله مَن أنتَ ؟ فقال : رجلٌ من لِهْبٍ ، انتجعَ أهلى[٤] ، فقصَّ عليه حالَه ، وخبرَ الغُراب والشَّجَرة .

فقال اللِّهبىّ : هذا الّذى فَعل ما فعل ، ورأى الغرابَ على البَانَة يَطرَح ريشه سَيُصْلَب .

فقال السَّمْهَرِىّ : بِفِيك الحجَر ! فقال اللِّهبىّ : بفيك أنتَ الحجَر ! استخبرتنى فأخبرتُك ، ثم تَغْضَب ! فمضى حتى أتى أرضَ بنى عُذْرَة بن سعد يستجيرُ من قومٍ إلى قومٍ متنكِّراً ، ويَسْتَحْلِب الرُّعيانَ اللَّبن ، فيَحْلِبون له .

ولقيَه عبدُ الله الأَحْدَب بن بَغِيض السَّعْدى ، أحدُ بنى مخزوم بن عبدِ شمس ، وكان أشدَّ منه وألَصّ ، فجَنَى جنايةً ، فطُلِب ، فترَك بلادَ بنى تميم ، ولَحِق بلادَ بنى قُضاعة ، وهو على نجيب[٥] لا تُسايَر .

فبينا السَّمهرىُّ يماشى راعيا لبنى عُذْرة ويحدِّثه عن خيارِ إبلهم ، وإنما يستدلّه[٦] عن أنْجاهُنّ لِيَرْكَبها ، فيهرُبَ بها ليْلًا ويرافقَ الأَحْدب[٧] ؛ فأشار إلى ناقة . فقال السَّمهرىّ : هـذه خيرٌ من الّتى تفضّلها ، هذه لا تُجارَى ، فتحيَّن الغَفْلة حتى غَفل ، فوَثَب عليها وصاح بها ، فخرجتْ تطيرُ به ، وذلك فى آخر الليل .

---

(١) البان : شجر لحب ثمره دهن طيب .
(٢) نشنش الطائر ريشه بمنقاره : أهوى له إهواء خفيفا فنتف منه وطيره .
(٣) اعتاف : تكهن وتطير .
(٤) انتجع أهلى : ذهبوا فى طلب الكلأ .
(٥) كذا فى ب ، ج ، وفى ا : « نجيبة لاتساير » .
(٦) فى الأغانى : « يسأله » .
(٧) فى الأغانى : « لئلا يفارق الأحدب » .

فلمّا أصبحوا فَقَدوا الأَحْدَب ، فطلبوه فى الأَثَر ، وخرجا حتى استقبلتْهما سمة ، وهى أوسع من الطريق ، فظنّا أن الطريق فيها ، فسارا مَلِيًّا ، فلمّا عَرَفا أنهما حائدان ، والتفّت الجبالُ أمامَهما ، ووَجَد الطُّلّبُ أثر بعيرَيْهما ، ورأَوْه قد سَلَك النَّقْب فى غير الطريق . عرفوا أنّهما يَرْجعان ، فقعد لهما الطلّاب بفم النَّقْب .

ثم كرَّا راجِعَيْن ، وجاءت النّاقةُ على رأسها مِثل الكَوْكب من لُغامها[1] ، وأبصَرَا القومَ ، فهمّ أن يَعقِر ناقتَهم ، فقال له الأحدب : ماهذا جزاؤُها ؟ فنَزَل ونَزَل الأحدب . فقاتَلَهما القومُ حتّى كادوا يغْشَوْن السَّمْهرِىّ ، فهتَفَ بالأَحْدب فطرد عنه القومَ حتى توَقّلا[2] فى الجبل . وقال الأحدب فى ذلك :

ولمّا دعانى السَّمْهَرِىُّ أَجبْتُهُ بأبيضَ من ماء الحديدِ صَقِيلِ
وما كنتُ ما أشتدّت على السيف قَبْضَتى
لأُسْلِمَ من حُبِّ الحياةِ زَميلِى

ورجع إلى صحراء مَنْدِج ـ وهى إلى جنب أُضاخ ، والحِلّة قريبٌ منها ، وفيها منازل عُكْل ـ فكان يتردّد ولا يَقرُب الحِلّة ، وقد كان أكثر الجُعْلَ فيه .

فمرّ بابْنَىْ حبيب من بنى أَسَد ، ثم من بنى قَقْعَس ، فقال . أجيرًا متنكّرا ، فحلَبا له فشرِب ، ومضى ولا يَعرِفانه ، ثم لبث السَّمْهرِىُّ ساعة وكرَّ راجعا ، فتحدّث إلى أخت ابنى فائد ، فوَجَداه منبطحا على وجهه يحدِّثها ، فنظر أحدهما إلى ساقه ومكدَّحَة ، وإذا كُدُوحٌ[3] طريّة ، فأخبرَ أخاه بذلك ، فنَظر فرأى ما أخْبَرَه به أخوه .

---

(١) اللغام : الزبد الذى يخرج من فم الجمل أو الناقة .

(٢) توقل فى الجبل ؛ إذا علاه .

(٣) الكدوح : جمع كدح ؛ وهو الخدش .

فقال أحدُهما : هذا واللهِ السَّمْهَرِىّ ، وقد جَعل فيه ما جَعل ، فوثَبا عليه ، فقعد أحدُهما على ظَهْرِه ، وأخَذَ الآخر بِرِجْلِه ، فوَثَبَ السمهرىُّ فألقَى الّذى على ظهره تحتَ إبطه ، وعاجَلَ الآخَر فجعل رأسَه أيضا تحتَ إبطه ، وجَعلَ الرَّجُلان يعالجانه ؛ فنادَيَا أُختَهما أنْ تعينَهما ، فقالت : ولى الشِّرْكُ فى جُعْلِكما ، قالا : نعم ، فجاءت بجريرٍ[1] فجعلتْه فى حَلْقِه بأُنْشُوطة[2] ، ثم جذبتْه حتى ذبحتْه وهو مشغول بالرَّجُلين يَمنَعُهما فلمّا استحكمتْ العُقْدة خَلَّى عنهما ، وشدَّ أحدَهما وجاء بحَبْل ، فألْقاه فى رِجْله وهو يُداوِر الآخر ، والأخرى تَخنُقه ، فخرَّ لوَجْهه ، فرَبَطاه وانطلقَا به إلى عمرو بن حيّان المُرِىّ أمير المدينة ، وأخذا ماجُعِل لأخذه . فكتب فيه إلى الخليفة ، فكتب أن ادفعه إلى ابن أخى عَوْن. فقال له السّمهرىّ : أتقتلُنى وأنتَ لا تَدْرِى أقاتلُ عَمِّكَ أنا أم لا ؟ ادنُ أُخبِرْكَ ، فأراد الدنُوَّ منه ، فنُودِيَ : إيّاكَ والكَلْبَ ، وإنّما أراد أن يَقْطَع أنفَه فقتَله .

وممّا قال السَّمهرِىُّ فى الحَبْسِ :

ألا حَىِّ لَيْلَى إذْ أَلَمَّ لِمامُها ... وكان مع القومِ الأعادى كَلامُهَا

تَعَلَّلْ بلَيلَى إنّما أنتَ هامَةٌ ... من الغَدِ يَدْنُو كلَّ يومٍ حِمامُهَا

وبادِرْ بلَيْلَى أوْجُه الرَّكْبِ إنَّهُمْ ... مَتَى رَجَعوا يَحرُمْ عليكَ لِمامُها[3]

وكيف تُرَجِّيها وقد حِيَل دونَها ... وأَقْسَمَ أقوامٌ مَخوفٌ قَسامُها !

لَأَجْتَنِبَنْها أو لَيَبْتَدِرُونَنى ... ببيضٍ عليها الأثْر فعْمٌ كلامُها[4]

(١) الجرير : الحبل .
(٢) الأنشوطة : العقدة .
(٣) الأغانى : « كلامها » .
(٤) فعم : طيب ، وأثر السيف : جوهره ورونقه .

لقد طرقتْ لَيلَى وَرِجْلِي رَهينَةٌ ... فما راعنى فى السِّجن إلّا سَلامُها
فلمّا ارتَمتْ لِلخَيالِ الّذى سَرَى[1] ... إذا الأرضُ قَفرٌ قد عَلَاها قَتَامُهَا
فإن لا تكنْ لَيلَى طَوَتْكَ فإنَّهُ ... شَبيهٌ بلَيْلَى حُسْنُهَا وقَوامُهَا
ألا ليتَنَا نَحْيَا جميعاً بغِبطةٍ ... وتَبلَى عظامِى حين تَبْلَى عِظامُها !
كذلك ما كان المحبُّون قَبلَهَا ... إذا مات مَوتاها تزَاوَرُ هَامُها

وأمّا بَهْدَل ومروان ، فإنّ طيّئا أخذتْ بهما أشدَّ أَخْذ ، فقالوا : إن حُبِسنا لم نَقْدِر عليهما ونحن محبوسون ؛ ولكن خَلُّوا عنّا حتّى نأتيَكم بهما ، وكانا قد تأبّدَا[2] مع الوُحوش يَرْمِيان الصَّيد ، فهو رِزْقُهما ؛ فلمّا طال ذلك على مَرْوان هَبَط إلى راعٍ ، فتحدَّث إليه وسَقاه ، وبَسَط إليه حتّى عَرَفه ، ولم يُخبِرْه أنّه عَرَفه ، وجعل يأتيه بين الأيّام فلا يُنكِره .

فانطلَق الرّاعى فحدَّث باختلافه إليه ، فجاء الطَّلَب معه ، فكَمنُوا حتى إذا جاء مَرْوانُ إليه سقاه وحَدَّثه ، فلم يَشعُر حتّى أَطافوا به وأخذوه ، وأَتَوْا به عثمان ابنَ حَيّانَ المُرّىّ ، فأَعْطَى الّذى دَلَّ عليه جُمْلَه ، وقتَلَه .

وأمّا بَهْدَل ، فإنَّه كان يأوِى إلى هَضْبَةٍ بِسلْمَى ، فبلغ ذلك سَيِّدٌ من سُلْمَى ، فقال : قد أُخِيفَتْ طَيِّء وشردت من أجل هذا الفاسقِ الهارب ، فجاء حتى حَلَّ بأهله أسفلَ تلك الهضْبَة ، ومعه أهلات[3] من قومه ، فقال لهم : إنكم بعينَىِ الخبيث ، فإذا كان النهار فلْيَخرُجْ إلىَّ الرِّجالُ من البيوت ، ولْيَغلُوا النِّساء ،

---

(١) فى الأغانى : « انتبهت » .

(٢) التأبد : التوحش .

(٣) فى الأصول : « أهلاب » ؛ والصواب ما أثبته من الأغانى ، وأهلات ؛ جمع أهل ؛ وأهل الرجل : عشيرته وقرباه .

فإذا رأى ذلك نزَل فطلب الحاجة ، فكانوا يُخَلّون الرجالَ نهاراً ، وإذا أظلَمُوا أتَوْا إلى رِحالهم أيّاما .

فظَنَّ بَهْدَل أنَّهم فعلوا ذلك لشُغْلٍ نابَهُم ، فأنْحدر إلى قُبَّة السَّيِّد وقد أمر النساء : إذا أنْحدر إليكم رجلٌ فإنَّه أبنُ عمّكم ، فأطْعِمْنَهُ ، وأدهِنَّ رأسَه .

وفى قُبَّة السَّيِّد أبنَتان له ، فسألها : مَن أنتُما ؟ فأخبَرَتاه وأطعَمَتاه وسَقَتاه ، ثم أنصَرَف . فلمّا راح أبوهُما أخبَرَتاه ، فقال : أحسنتُما إلى أبن عمّكما ، فجعل يَنْحَدِر إليهما حتى أطمأنّ ، وغسلتا رأسَه ودَهَنَتاه .

فقال الشيخ لأبنتيه : افْلِياه ولا تَدْهُناه إذا أتاكُما هذه المَرّة وأعقِدا خُصَل لِمَّته إذا نَعَس رُوَيْدًا بخَمْل القطيفة ، ثم إذا شَدَدْتُما ذلك عليه فأقلِبا القطيفةَ على وجهه ، وخذا أنتما بشَعْره من ورائه ، فمُدَّا به إليكما . ففعَلَتا ، وشَدُّوا عليه فربَطُوه له ، فدَفَعه إلى عثمانَ بنِ حيّان فقتَلَه ؛ فقالت بنتُ بَهْدَل ترثيه بشعر ، منه :

فيا ضَيْعَةَ الفِتْيانِ إذ يَعْتُلونَهُ ببَطْنِ الشَّرَى مِثْلَ الفَنِيقِ المُسدَّمِ (١)
دَعَا دعوةً لما أَتَى أرض مالكٍ ومن لا يُجِبْ عند الحفيظة يُسْلَمِ
سنَقتُلُ جَبْرًا فى فَتًى لم يَكُنْ له وَفاءٌ ولكنْ لا تَماثُلَ بالدَّمِ

أى لا يكون الدَّم مِثلَ الدَّمِ فى الكَثْرَة والقِلَّة .

وجَبْر هـذا هو الّذى أَخَذَ بَهْدَلا وحَمَله إلى السُّلطان حتّى قُتِل ، وهو جَبْرُ بنُ عُبَيْد ، من بنى مالكِ بنِ نَبْهان.

---

(١) الفنيق : الفحل الكريم لا يؤذى لكرامته على أهله . والمسدم : الهائج ، والعتل : أن تأخذ بتلبيب الرجل فتعتله ؛ أى تجره إليك وتذهب به إلى حبس أو بلية ، وفى الأصول : «تقتلونه» وما أثبته من الأغانى .

سُحَيم عبدُ بنى الحَسْحَاس*

هو عبدٌ أسوَدُ ، نُوبِيٌّ أعجمىٌّ مطبوعٌ فى الشِّعر ، اشتراهُ بنو الحَسْحاسِ ابن نُفاثة بن سعد[1] بن عَمرو بنِ مالك بن ثَعْلبة بنِ دُودان بن أَسَد بنِ خُزَيمة . و بنُو الحَسْحاس بطنٌ من بنى أَسَد .

وكان إذا أُنشِد الشِّعْرَ فاستحسَنه يقول : أهْسَنْت والله ، يريد أَحْسَنت .

وأدركَ النبىَّ صلّى الله عليه وسلّم ، ويقال : إنه تمثّل بكلماتٍ من شِعره غيرِ مَوْزونة ، فقال : « كَـفَى بالإسلام والشيبِ ناهِيا » . فقال أبو بكر رضى الله عنه : « يا رسولَ الله ، إنّما قال الشاعر :

* كَفَى الشَّيبُ والإسلام للمَرء ناهِيا[2] *

فجعل لا يُطيقهُ ، فقال أبو بكر : أَشْهَدُ أنّك لَرسولُ الله ﴿ وَمَا عَلَّمْناهُ الشِّعرَ وَمَا يَنْبَغِى لَهُ ﴾ .

وقيل إنّ اسمه حيّة . وكان حُلْوَ الشعر ، رقيقَ الحواشِى ، وفى سَوادِه يقول :

وما ضَرّ آبائى سَـوادِى وإنّـنى ... لَـكالمِسْك لا يصحوعن المِسْك ذائقهُ[3]

لبستُ قَميصـاً ذا سَوادٍ وتَحْتَهُ ... قَميصٌ من القُوهِىِّ بيضٌ بَنـائقهُ

ويُروَى « قَميصٌ مِن الإحسان » .

---

* ترجمته فى الأغانى ٢٠ : ٢ – ٩ (ساسى) .

(١) فى الأغانى : « سعيد » .

(٢) ديوانه ١٦ ، وصدره :

* عميرة ودّع إن تجهّزت غاديا *

(٣) ديوانه ٦٩ ؛ وفيه : « لا يسلو عن المسك » ؛ وهى أيضا رواية الأغانى .

ومما يُستحسَن من شِعْره :

أشعارُ عبدِ بنى الحَسْحاسِ قُمْنَ لَهُ ... عند الفَخَارِ مَقام الأَصْلِ والوَرِقِ[1]

إن كنتُ عبداً فنفسِى حُرَّةٌ كَرَماً ... أو أسْوَدَ اللَّوْن إنّى أبيَضُ الخُلُقِ

وأنشدَ سُحَيْمٌ عُمَرَ بنَ الخطّاب رضى الله عنه :

عُمَيْرة وَدِّع إن تَجهَّزْتَ غاديَاً ... كَفى الشَّيبُ والإسلامُ للمرءِ ناهِيا[2]

فقال له عمر رضى الله عنه : لو قلتَ شعرَكَ كلَّه مِثْل هـذا لأعطيتُك [عليه][3] .

وقيل : إنه قال له : لو قَدَّمْتَ الإسلام على الشَّيب لأجزْتُك .

كان عُبيدُ الله بنُ أبى ربيعة عاملا لعثمانَ بنِ عفّان على الجُنْد، فكتب إلى عثمان: إنّى قد اشتريتُ غلاما حَبَشيًّا يقول الشّعر ؛ فكتب إليه عثمان : لا حاجةَ بنا إليه فارْدُدْه ؛ فإنّما حَظُّ أهلِ العَبْد الشاعرِ منه أنّه إنْ شَبِع شَبَّب بنسائهم ، وإن جاع هَجاهُمْ ، فاشتراه أحدُ بنى الحَسْحاس ، فلمّا رَحَل به قال فى طريقه :

أشَوْقاً ولمّا يَمض لى غيرُ لَيْلَةٍ ... فكيفَ إذا سارَ المَطِىُّ بنا شَهْرَا[4]

وما كنتُ أَخْشَى مالِكاً أن يَبيعَنى[5] ... بشىءٍ ولو أمْسَتْ أنامِلُه صِفْرا

أَخُوكُمْ وَوالِى أمرِكُمْ وحَليفُكُمْ ... ومَنْ قد ثَوَى فيكُمْ وعاشَرَكُمْ دَهْرا

فلمّا بلغ شعرُه أهلَه استردّوه ورَقُّوا له ، فكان يشبِّب بنسائهم .

---

(١) ديوانه ٥٥ .

(٢) ديوانه ١٦ — ٣٣ .

(٣) من الأغانى .

(٤) كذا فى الأصول والأغانى ؛ ورواية الديوان ٩٦ : « عشرا » .

(٥) رواية الديوان :

* وماَ خِفتُ سَلاّمًا على أن يبيعنى *

وقيل : إنّهم لمّا اُستردُّوه رُئِيَ واضعاً إحدَى رِجْلَيْه على الأُخرى يُشبِّبُ بأختِ مَوْلاه ـ وكانت عليلةً ـ يقول :

ما ذا يُرِيدُ السَّقامُ من قمرٍ ... كلُّ جمالٍ لوجْهِه تبَعُ[1]

ما يرْتَجِي ـ خابَ[2] ـ من محاسِنِها ... أَمَا لَهُ في القِباحِ مُتَّسَعُ !

غَيَّرَ مِن لَوْنِها وصَفَّرها ... فاُرتدَّ فيه الجمالُ والبِدَعُ

لو كان يَبغِي الفِداءَ قلْتُ له ... ها أنا دُونَ الحَبيبِ يا وَجَعُ

وكان سُحَيمٌ قد جالسَ نساءً من بنى صُبَيْر بن يَرْبوع ، وكان من شأنهم إذا جلسوا للتغزُّل أن يَتَعابَثُوا بشَقِّ الثِّياب ، وشدّة المغالبة على إبداء المَحاسِن ، فقال سُحَيم :

كأنّ الصُّبَيْرِيّاتِ يومَ لقِينَنا ... ظِباءٌ جَنَتْ أعناقَها للْمكانِس[3]

فكم قد شَقَقْنا مِن رداءٍ مُزَنَّرٍ ... ومِن بُرْقُعٍ عن ناظرٍ غيرِ ناعِسِ

إذا شُقَّ بُرْدٌ نِيطَ بالبُرْدِ بُرْقُعٌ ... على ذاكَ حتّى كلّنا غيرُ لابِسُ

فلمّا قال هذا الشعر ، اتَّهمه مولاه [بابنته][4] فجلَس له فى مكان إذا رَعَى نام[5] فيه ، فلمّا اُضطجع تنفّس الصُّعَداء ، وقال :

يا ذِكْرَةً ما لَكَ فى الحاضِرِ ... تَذْكُرُها وأنتَ فى الصَّادِرِ

من كلِّ حَسْناءَ لها كَعْثَبٌ ... مِثلُ سَنامِ البَكْرَة المائرِ[6]

---

(١) ديوانه : ٥٤ .

(٢) فى الديوان : « جار » .

(٣) ديوانه ١٥ ، ١٦ .

(٤) من الديوان ٣٤ .

(٥) الديوان : « قال فيه » ، من القيلولة .

(٦) المائر : المضطرب .

فظهَر سيِّدهُ من المَوضع الّذى هو فيه كامِن ، وقال له : ما لَكَ ؟ فلجْلجَ في مَنْطِقه ، فاسْترابَ به ، فأجمع على قتْله .

فلمّا وَرَد الماءَ ، خرجتْ إليه صاحبتُه فحادثتْه ، وأخبرتْه بما يُراد به ، فقام يَنفُض ثوبَه ويعفِّى أثرَهُ ، ويَلقُط رَضًّا من مَسْكِها[1] كان كسرَه فى لَعِبه معها ، وقال :

أتُكْتَمُ حُيِّيتُمْ على النَّأْى تُكْتَمَا ... تَحِيّةَ مَن أمْسَى بحُبِّكِ مُغْرَمَا[2]

وما تُكْتَمِينَ أنْ أتَيْتِ دَنِيّةً ... ولا إنْ رَكِبْنا يا ابنةَ القَوْمِ مَحْرَمَا

ومِثْلُكِ قد أبرزْتُ من خِدْرِ أُمِّها ... إلى مجلسٍ تَجُرُّ بُرْداً مُسَهَّمَا

وماشيةٍ مَشْى القَطاةِ اتَّبعْتُها ... مِن السِّتْرِ يَخْشَى أهلُها أن تَكلَّمَا

فقالت : صَهٍ ، يا وَيْح غيرِكَ إنّنى ... سمعتُ حديثا بينهم يَقطُر الدَّمَا

فنفّضتُ ثوبَيْها ونظّرتُ حولَها ... ولم أخْشَ هذا اللّيلَ أن يتصرَّمَا

أعفِّى بآثار الثِّياب مَبيتَها ... وألْقُطُ رضًا من وُقُوفٍ تحطَّمَا[3]

ثم غدَوْا به ليَقْتلوه فلمّا رأته امرأةٌ كانت بينها وبينه مودّة ثم فسدتْ ، ضحكتْ شماتةً به ، فنظر إليها وقال:

إن تَضحكِي منّى فيارُبَّ ليلةٍ ... تركتُكِ فيها كالقَباءِ المفرَّجِ[4]

فلمّا قُدِّم ليُقتَل قال :

شُدُّوا وَثاقَ العبدِ لا يُفلِتْكُمُ ... إنّ الحياةَ من المَماتِ قريبُ[5]

---

(١) المسك : السوار .

(٢) ديوانه ٣٤ ـ ٣٦ .

(٣) الوقوف : جمع وقف ؛ وهو سوار من ذبل أو عاج أو قرون .

(٤) ديوانه ٥٩ .

(٥) ديوانه ٦٠ .

ولقد تَحدَّرَ من جبين فَتاتِكُمْ عرَقٌ على جَنْبِ الفِراشِ وطِيبُ[1]

وقدِّم فقُتِل . وقيل : إنه حُفِر له أُخْدُود فأُلقِيَ فيه وأُحرِق ، وقصيدة سُحَيْم :

عُمَيْرَةَ وَدِّعْ إن تَجَهَّزْتَ غادِياَ كَفَى الشَّيْبُ والإسلامُ للمرء ناهِياَ[2]
فما بَيْضَةٌ باتَ الظَّلِيمُ يَحُفُّها ويَرْفَع عنها جُؤْجُؤًا متجافِياَ
بأحسنَ منها يومَ قالتْ : أظاعِنٌ مَعَ الرَّكْبِ أم ثاوٍ لدَيْنا لَيالِياَ ؟
وَهَبَّتْ شَمالٌ آخرَ اللَّيل قَرَّةٌ[3] ولا ثَوْبَ إلّا دِرْعُها ورِدائيا
وما زالَ بُرْدِي طَيِّبًا من ثِيابِها إلى الحَوْل حتّى أنهج البُرْدُ بالِياَ[4]
تُوَسِّدُنِى كَفًّا وتَثْنِى بِمِعصَمٍ علَيَّ وتَحْنُو رِجْلَها من وَرائِياَ[5]
تَجَمَّعْنَ من شَتَّى ، ثلاثاً وأرْبَعاً وواحدةً حتّى كَمَلْنَ ثمانِياَ[6]
وأقْبَلْنَ من أَقصَى الخِيامِ يَعُدْنَنِى نَواعِمَ لم يَقْصِدْنَ خَلْقاً سَوائِيا[7]
يَعُدْنَ مَرِيضا هُنَّ هَيَّجْن داءَهُ أَلا إنَّ بعضَ العائداتِ دَوائِيا[8]

لَمَّا أَنْشَد سُحَيْم عمرَ بنَ الخطّاب رضِيَ الله عنه :

تُوَسِّدُنِى كَفًّا وتَثْنِى بِمِعصَمٍ علَيَّ وتَحْنُو رِجْلَها مِنْ وَرائيا

قال له عُمَر : وَيْلَك ! إنَّك لمقتول .

---

(١) الديوان : « على ظهر الفراش » .
(٢) ديوانه ١٦ — ٣٣
(٣) قرة : باردة .
(٤) أنهج البرد : رث وبلى .
(٥) الديوان : « وتحوى » .
(٦) الديوان : « تجمعن من شتى ثلاث وأربع » .
(٧) الديوان : « نواهد لم يقصدن » .
(٨) الديوان : « بعض العوائد دائيا » .

سَجاح التَّميميّة*

ادّعت النبوّة بعد وَفاةِ رَسولِ الله صلّى اللهُ عليه وسلّم ، واجتمع عليها بنو تَمِيم لنُصْرَتِها ، وكان فيما أدّعت أنّه أُنْزِل عليها : « يأيّها المُؤْمنون المتّقون ، لنا نِصفُ الأرضِ ولقريشٍ نِصفُها ، ولكنّ قريشاً قومٌ يَبْغُون » .

وكان ممّن اجتمع إليها الأحنفُ بنُ قيس وحارثةُ بنُ بدر ، ووجوهُ بني تميم . وكان مؤذِّنَها شبيبُ بنُ رِبْعيّ الرِّياحيّ ، فعَمدتْ في جيشها إلى مُسَيْلَمة الكذّاب وهو باليَمامة ، فقالت : « يامعشرَ تَميم ، اقصِدُوا اليمامة ، فاضربوا فيها كلَّ هامة ، وأضْرِبوا فيها نارا ملهامة[1] ؛ حتّى تَتْركوها سَوْداء كالحَمامَة » .

وقالت لبني تَميم : إن الله لم يَجْعَل هذا الأمر في رَبيعة وإنما جَعلَه في مُضَر ، فاقصدوا هذا الجَمْع ، فإذا فَضَضْتموه كَرَرْتُم على قريش . فسارت في قومِها ، وبلغ مسيلمةَ خرُوجُها ، فضاق بِه ذَرْعاً وتحصَّن في حِجْرٍ (حصن اليَمامة) وكان في حَوْشها[2] ، فأحاطتْ به وأَرسَل إلى وُجوه قومِه وقال : ما تَرَوْن ؟ قالوا : نَرَى أن تُسلِّم هذا الأمرَ إليها .

وكان مسيلمةُ داهيَةً ، فقال : أنظُرُ في هذا ، ثم بعث إليها : إنّ الله تبارك وتعالى أَنْزَل عليكِ وَحْياً ، وأنزَل عليَّ ، فهَلُمِّي نَجتمعْ فنتدارسْ ما نَزَل علينا ، فمَنْ عَرَف الحقَّ يتَّبِعه ، واجتمعنا ، فأكَلْنا العَرَب أكْلًا بِقوْمِي وقَوْمِك .

فبعثتْ إليه ، أَفْعَل ؛ فأَمَر بقُبَّة أَدَمٍ فضُرِبَتْ ، وأمر بالعود فبخِّر فيها ،

* الأغاني ١٨ : ١٦٥ ـ ١٦٧ (ساسي) .

(١) ملهامة ، أي من الهامة .

(٢) كذا في الأصول ، وفي الأغاني : « وجاءت في جيوشها » .

وقال : أكثِرُوا من الطيِّب ؛ فإنّ المرأة إذا شَمّت الطيِّبَ ذَكَرَتْ الباه، ففعلوا ذلك وجاءها رسولُه يخبرها ، فقالت : هاتِ ما أُنزِل عليك ، قال : « ألم تر كَيْفَ ما فَعَلَ رَبّك بالحُبْلَى ؛ أَخرَج منها نَسَمةً تَسْعَى ، من بين صِفاقٍ وَحشاً ، مِنْ بين ذَكرٍ وأنثى ، أمواتٍ وأَحْيا ، ثم إلى رَبهم يكون المُنتَهى » .

قالت : وماذا قال ؟ قال : « ألم تَرَ أنّ الله خلقَنا أفواجاً ، وجعل النِّساءَ لنا أَزْواجا ، فَنُولِجَ فيهنّ قمساً[1] إيلاجاً ، ونُخْرِجها منهنّ إذا شِئْنا إخراجاً » .

فقالت : فبأيّ شيء أمَرُك ؟ فقال :

ألا قُومِي إلى النَّيْك — فقد هُيِّئَ لكِ المَضْجَعْ
فإن شئتِ ففي البيْتِ — وإن شئتِ ففي المَخْدَعْ
وإن شِئْتِ سَلَقْناكِ — وإن شئتِ على أربَعْ
وإن شئتِ بثُلْثَيْه — وإن شئتِ به أَجْمَعْ

فقالت : بل به أجمَع .

قال : كذلك أُوحِيَ إلىّ ، فواقعَها ، فلمّا قام عنها ، قالت : إن أَمْرِى لا يَجرى هكذا فتكون وَصْمَة على قَوْمى وعلىّ ؛ ولكنّى مُسَلِّمة لك النبوّة ، فاخْطُبْنى إلى أوليائى يُزَوِّجوك ، ثم أقود تميماً معك . فخرج وخرجتْ ، فاجتمع الحَيّان من حنيفةَ وتَميم ، فقالت لهم سَجَاح : إنّه قرأ علىّ ما نَزَل عليه ، فوجدتُه حقّا ، فاتّبعْتُه ، ثم خَطَبها فزوّجوه إيّاها ، وسألوه عن المَهْر ، فقال : قد وضعتُ عنكم صَلاةَ العَصْر .

قال : فبَنُو تميم إلى الآن بالرَّمْل لا يُصَلُّونها ، ويقولون : هذا حقٌّ لنا ، ومَهْرُ كريمتنا لا نَرُدُّه ، ثم أسلمَتْ سَجاح بعد هذا كلِّه ، بعدَ قَتْلِ مُسَيْلِمةَ وحَسُنَ إسلامُها .

---

(١) كذا فى الأصول ، وفى الأغانى : « القراميل » .

سليمان بن وَهْب*

قد تقدَّم نسبُه وانتماؤه إلى الحارث بن كعب ، في حرف الحاء في ترجمة أخيه الحسَن بنِ وهب .

كان المهتدى قد استوزَر جعفرَ بنَ محمّد ، فبلغه عنه تشيُّعٌ فكرِهَه ، وقال : هذا رافضِيٌّ لا حاجةَ لى به ، فاستوْزَرَ جعفرَ بنَ عمّار ، فاستمرّ حتى مضت سنةٌ من خلافة المهتدى .

ثم قدم موسى بن بُغا من الجبل ، وكاتبُه سليمان بن وَهْب وابنه عبيد الله ، واستوزر المهتدى سليمان ، ولقّب الوزير حقًّا ، لأن من كان قبله [كان][1] غيرَ مستحِقٍّ للوزارة ، ولا مُسْتقِلٍّ بها .

قال أحمد بنُ الخصيبِ : لَعَهْدِى بيزيدَ بنِ محمّد المهلبيّ عند سليمان بن وهب بعد ما استوزَرَهُ المهتدى ، وقد أجْلَسَه إلى جانبه وهو يُنشِده :

وَهبتمْ لنا يا آلَ وَهْبٍ مودّةً ... فأبقَتْ لنا جاهاً ومالًا يؤثَّلُ[2]
فمَن كان للآثام والذلّ أَرْضُهُ ... فأرْضُكُم للأجر والعِزّ مَنزِلُ
رأى الناسُ فوقَ المجدِ مقدارَ مجدِكُمْ ... فقد سألوكمْ فوقَ ما كان يُسْألُ
يقصِّر عن مَسْعاتِكُمْ كلُّ آخِرٍ ... وما فاتكمْ ممَّن تقدّمَ أوّلُ
بَلغْتَ الّذى قد كنتُ أمَّلْتُه لكمْ ... وإن كنتُ لم أبلغْ بكم ما أؤمِّلُ

---

* ترجمته في الأغاني ٢٠ : ٦٧ ـ ٧٣ (ساسى) .

(١) من الأغاني .

(٢) الأغاني . « ومجدا يؤثل » .

فقَطع عليه سليمانُ الإنشاد ، وقال له : لِمَ يا أبا خالد ؟ فأنت والله عندى كما قال عمارة بن عَقِيل لأبنه :

أُقهقِهُ مسرورا إذا بِتَّ سالِماً ... وأَبْكِي من الإشفاق حيث تَغِيبُ[(١)]

فقال له يزيد : فَلْيَسْمَع الوزير ، فإنّ آخر الشعر خير من أوّله[(٢)] ، وتَمَّ فقال :

وما لِيَ حقٌّ واجبٌ غيرَ أنّني ... بجودِكُمُ فى حاجتى أَتوَسَّلُ

وأنّكمُ أفضلتمُ ومَرَرْتُمُ ... وقد يَسْتَتِمُّ النِّعمةَ المتفضِّلُ

وأوليتمُ فِعْلا جميلًا مقدَّما ... فَعُودوا فإنَّ العَوْد بالُحرِّ أجملُ

وكم مُلْحِفٍ قد نالَ ما دامَ عندكمْ ... ويَمْنَعُنَا مِنْ مِثْل ذاكَ التَّجَمُّلُ

وعوَّدتُمونا قبلُ أن نَسْأَلَ الغِنَى ... ولا بَذْلَ للمعروف والوجهُ يُبْذَلُ

فقال له سليمان : واللهِ لا تَبْرَحُ إلّا بقضاء حوائجك كائنةً ما كانت ، ولو لم أستَفِدْ من لَدُن[(٣)] أميرِ المؤمنين إلّا شكرك[(٤)] لرأيتُ بذلك جَنابى مُمْرِعاً ، وغَرْسِى مُثْمِراً . ثم وَقَّع له فى رِقاعٍ كثيرةٍ كانت معه .

لمَّا وَلِّى المهتدى سليمانَ بنَ وَهْب وَزارَتَهُ ، قام إليه رجلٌ من ذوى حُرْمَته[(٥)] ، فقال : أنا — أعَزَّ اللهُ الوزيرَ — خادمُك ، المؤمِّلُ دَوْلَتَك ، السَّعيدُ بأيَّامك ، المطوِىُّ القلبِ على وُدِّك ، المنشورُ اللِّسان بمَدْحِك ، المرتهَن بشُكرِ نِعمَتِك ، وقد قال الشاعر :

وفَيْتُ كلَّ أديبٍ وَدَّنى ثَمَنًا ... إلّا المؤمِّلَ دَوْلاتى وأيّامى

---

(١) فى الأغانى : « حين تغيب » .
(٢) فى الأغانى : « فيسمع منى الوزير آخر الشعر لا أوله » .
(٣) الأغانى : « كتبة أمير المؤمنين » .
(٤) كذا فى الأغانى ، وفى الأصول : « شكرا »
(٥) الأغانى : « من ذوى حرفته » .

فإنّنِي ضامنٌ ألّا أُكافئه إلّا بتسويفِه فَضْلِى وإنعـامى

وإنّنى كما قال القيسىّ : ما زلتُ أَمتَطِى النّهارَ إليك ، وأَسـتدِلّ بفَضْلك عليك ، حتّى إذا جَنَّنِى اللّيل ، فقبض البَصَر ، ومَحَا الأَثَر ؛ أَقامَ بَدَنِى ، وسافرَ أَمَلِى ، والاجتهاد عُذر وإذا بلغتُك [فهو مُرَادِى][1] فقط .

فقال له سليمان : لا عليك ، فإنّى عارفٌ بوسيلتك ، محتاجٌ إلى لقائك ، ولستُ أؤخِّر فى يومى هذا النّظرَ فى أمرِك ، وتَوْلِيتك ما يَحْسُن أثرُه عليك .

كان أبو عبد الله الباقِطانىّ يتقلّد ديوان الرّزق ، فتقلد أبنُ أبى السَّلاسل ماسَبذَان وغيرَها ، فجاءه ليأخذ كتبه ، فجعل يوصيه كما يوصى أصحابُ الدّواوين العمّالَ . فقال له أبنُ أبى السّلاسل : كأنّك استكثرتَ لى هذا العمل؛ أنت أيضا كنتَ تكتبُ لأبِىّ العبّاس بن ثَوابةَ ، ثم صرتَ صاحبَ ديوان .

فقال له الباقِطانىّ : يا جاهل ، يامجنون ، لولا أنّه قبيحٌ بمِثْلِى مكافأةُ مِثْلِك لراجعتُ الوزيرَ فى أمرِكَ ؛ حتى أُزيلَ يدَكَ ؛ ومن لى بأن أجدَ مِثلَ ابن ثوابة فى هذا الزمان ، فأَكْتبَ له ، ولا أريد الرياسة ! ثم أقبل يحدِّث الحاضرين فقال : دخلتُ مع أبى العبّاس على المهتدى ، و [كان][1] سليمانُ بنُ وهب وزيرَه ، وكان يدخل إليه مع الوزراء أصحابُ الدّواوين والعمّال والكتّاب ، فيكتبون بحضْرته ويوقِّع إليهم فى الأمور . فأمر سليمانَ بأن يَكتُب عنه عشرة كُتُب مختلفة إلى جماعة من العمّال ، فأخذ سليمان بيَدِ أبنِ ثوابةَ ، وقال له : أنت اليومَ أحدُّ ذِهْناً مِنّى ، فهلمّ نتعاون ، فدخَلَا بيتا ودخلتُ معهما ، فأخذَ سليمانُ خمسةَ أنصاف [وأبو العباس خمسة أنصاف أُخَر][1]؛ فكتبا ما رَسَم ، وقرأ كلٌّ واحدٍ منهما

---

(١) من الأغانى .

ما كَتب به ، فاستحسَنه وقرّظه ، ثم وضع سليمانُ الكتبَ بين يدَيِ المهتدِى ، فقال له وقد قرأها : أحسنتَ ياسليمان ، ونعمَ الرجلُ أنت ، لولا المعجَّل والمؤجَّل !

وكان سليمانُ إذا وَلَّى عاملا أخذ منه مالا معجَّلا ، وأَجَّل عليه مالًا إلى أن يتسلّم عملَه ، فقال له : يا أمير المؤمنين ، هذا قول لا يخلو من أن يكون حقًّا أو باطلا ؛ فإن كان باطلا فليس مِثلك من يَقْبَلُه ، وإن كان حقًّا فقد علمتَ أنّ الأصول محفوظة ، فما يضرّ من يُساهِمُنى على بعض ما يصل إليهم من بِرٍّ ، ولا ينتَقِصُ الأموال ، ولا يُجْحِفُ الرّعيّه ! فقال : إذا كان هكذا فلا بأس. ثم قال : اكتب إلى فلان العامِل بقبض ضَيْعَةِ فلانٍ المصروفِ المعتقَل فى يده بباقى ما عليه من المصادَرة .

فقال أبو العبّاس بن ثوابةَ : كأنَّا يا أميرَ المؤمنين ممتثلٌ لأمرِك ، ساعٍ فيما يُرضيك ويؤيِّد مُلْكَك ، أفتَمضِى ما تأمُر به على ما خيَّلت[1] ، أو تقولُ الحق ؟ قال : لا ، بل : قل الحقّ ياأحمد .

فقال : يا أميرَ المؤمنين ، المُلْك يقين ، والمصادَرة شكّ ، أفترى أن تُزِيلَ اليقين بالشَّكّ ؟ قال : لا ، قال : فقد شهدتَ للرجل بمِلك الضَّيعة ، وصادرتَه عن شكّ فيما بينَك وبينه ، وهل خانَك أم لا ، فجعلت المصادرة صُلْحا ، فإذا قبضتَ ضيعتَه بها فقد أزلتَ اليقينَ بالشكّ .

فقال له : صدقت ، فكيف الوصولُ إلى المال ؟ فقال له : أنت لابدّ مُوَلٍّ عاملا على أعمالك ، وكلُّهم يَرتَزِق ويَرتَفِق ، فيحوز رِزْقه ورفقه إلى بيته ، فاُجعلْه أحدَ عُمّالك ؛ ليصرف هذين الوجهين إلى ما عليه ، ويسعفَه معاملوه ، فيخلِّص نفسَه وضَيعتَه ، ويعود إليك مالُك يا أميرَ المؤمنين .

فأمر سليمانَ بنَ وهب بأن يفعل ذلك ؛ فلمّا خرجا عن حضرة المهتدى قال له

---

(١) كذا فى الأغانى ، وفى الأصول : « جبلت » .

سليمان : يا أبا العبّاس ، عهدى بهذا الرجل عدوّك ، وكلٌّ منكما يَسْعَى على صاحبه ، فكيف زال ذلك حتى نُبْتَ عنه فى هذا الوقت نيابة أحببته بها ، وتخلّصت نفسُه ونعمتُه!

فقال : إنّما كنتُ أعاديه وأسمىَ عليه ، وهو يقدر على الانتصاف منّى ، فأمّا وهو فقير إلىّ فهذا ما يَحْظُره الدِّين والمروءة والصِّناعة .

فقال له سليمان : جزاكَ اللهُ خيرا ! والله لأشكرنّ لك هذه النيّة ، ولأعتقِدَنّك من أجلِها أخاً وصديقا ، ولأجعلنّ هذا الرجلَ لك عَبْدا ما بَقِىَ ثَمَّ .

قال الباقِطانىّ : كنت آلفُ سليمانَ بنَ وَهْب كثيرا ، وأحدِّثه؛ وكان يَخُصُّنى ويأنَسُ بى ، فأنشدَنِى لنفسه ، يذكر نَكْبَتَهُ فى أيّام الواثق :

نوائبُ الدّهرِ أدّبَتْنى وإنّما يوعَظ الأَديبُ
قــد ذقتُ حُلْوًا وذُقْتُ مُرًّا كذاكَ عيشُ الفَتى ضُروبُ
ما مَرَّ بُؤْسٌ ولا نَعيمٌ إلّا وَلِى فيهما نَصيبُ

قال أبو الحسن علىّ بن يحيى : ما رأيتُ أظرفَ مِن سليمانَ بن وهب ولا أحسنَ أدبا ، خرجنا نتلقّاه عند قدومه من الجبل مع موسى بن بُغا . فقال لى : هاتِ يا أبا الحَسَن ، حدِّثنى بعجائبكم بعدى ، وما أظنّك تحدِّثنى بأعجَب من خبرِ ضَرْطةِ أبى وَهْب بحضرة القاضى ، وما سُيِّر من خَبرِها ، وماقيل فيها حتّى قيل فيه ـ وجعل يَضحك ـ :

ومن العجائب أنّها بِشهادةِ الـ قاضِى فليسَ يُزيلُها الإنكارُ

كان سليمانُ بنُ وَهبٍ وهو حَدَثٌ يتعشّق إبراهيمَ بن سَوّار بن ميمون ، وكانَ مِن أحسنِ النّاس وَجْهاً ، وأملحِهم أدَباً ، وأظرفِهم . وكان إبراهيمُ يعشق مغنِّيَةً يقال لها رخاص ، فاجتَمَعُوا يوما ، فسَكِر

إبراهيمُ ونام ، فرأت رخاصُ سليمانَ يقبِّلُه ، فلمّا انتبه لامَتْه ، وقالت له : كيف أصفو لك ، وقد رأيتُ سليمانَ يقبِّلك ؟ فهجَرَه إبراهيمُ ، فكَتَب إليه سليمان :

قُل للّذى ليس لى مِن ... جَوَى هَواهُ خَلاصُ
أَإِنْ لثمتُكَ سِرًّا ... فأبصرَتْنى رُخاصُ
وقال فى ذاكَ قومٌ ... على اغتيابى حِراصُ
هجرتَنى وأتَتْنِى ... شَتِيمةٌ وانتقاصُ
وسَرَّ ذاك أناساً ... لهمْ علينا اختراصُ
فهاكَ فاقتصَّ منّى ... إنّ الجروحَ قِصاصُ

وأَهْدَى سليمانُ إلى رُخاص هدايا كثيرةً ، فاستَصْلَحَها ، وكانوا بعد ذلك يتناوَبُون الأيّام ؛ يوماً عند سليمان ، ويوماً عند إبراهيم ، ويوماً عند رُخاص .

كتب سليمانُ بنُ وهب بقلمٍ صُلْب ، فاعتمد عليه اعتماداً شديداً ؛ فصَرَّ القلمُ[(١)] فى يَدِه ، فقال :

إذا ما حَدَدْنا وانتضيْنا قَواطِعاً ... أصمّ الذَكىَّ السَّمْع منها صَريرُها[(٢)]
تَظَلُّ المَنايا والعَطايا شَوارِعاً ... تَدُورُ بما شِئنا وتَمضِى أمورُها
تُساقِط فى القِرْطاس منها بدائعا ... كمِثْلِ اللآلِى نظمُها ونَثِيرُها
تَقُودُ أَبِيَّاتِ البَنانِ بفِطْنَةٍ ... تَكَشَّفَ عن وجهِ البلاغة نُورُها
إذا ما خُطوبُ الدّهرِ أرخَتْ سُتُورَها ... تجلَّت بنا عمّا يسرُّ سُتورُها

ومات سليمانُ بنُ وَهب فى الحَبْس فرثاه البُحْتُرِىّ ، فقال :

هذا سليمانُ بنُ وهبٍ بعد ما ... طالت مساعِيه النجومَ سُموكا[(٣)]

---

(١) صر القلم : صوت .
(٢) انتضينا : حملنا . والقواطع : السيوف .
(٣) سموكا : ارتفاعا .

وَتَنَصَّفَ الدُّنيا يدبِّرُ أمرَها ... سبعين حَوْلًا قد تَمنّ دكيكا[1]
أغْرَتْ به الأقدارُ بَعْثَ مُلِمَّةٍ ... ما كان رَثُّ حديثِها مأفوكا
أبلِغْ عُبيدَ الله فَارِعَ مذحجٍ ... شَرَفًا ومُعْطِي فضلَها تَمْليكا[2]
إن الرَّزِيّة في الفقيد فإن هَفَا ... جَزَعٌ بِلُبِّك فالرَّزِيَّة فِيكا
ومتى وجدْتَ الناسَ إلّا تاركًا ... لحميمه في التُّرْب أو مَتْرُوكا[3]
بَلَغ الإرادةَ إذْ فَداكَ بنفْسِه ... وتَوَدُّ لو تَفْديه لا يَفْدِيكا
لو يَنْجَلِي لكَ ذُخْرُها مِن نَكبةٍ ... جَلَلٍ لأَضْحَكَكَ الّذي يُبْكِيكا

ذكر أنّه لما قبَض الموفَّق على سليمانَ بنِ وهب، وابنِه عُبيد الله [ذكروا أنّه][4] لم يكن استكتبَهما إلا ليقف منهما على ذخائر موسى بن بُغا وودائعِه، فلمّا استصْفى ذلك منهما نَكبَهما لكثْرة مالِهما، فقال ابنُ الرُّوميّ:

ألم تَرَ أنّ المالَ يُتلِفُ رَبَّه ... إذا جُمَّ آتِيه وسُدَّ طريقُهُ
ومَن جاوَرَ الماءَ الغزيرَ مَجمُّهُ ... وسَدَّ بَغِيض الماء فهو غريقُهُ

---

(١) الدكيك: التام.
(٢) الفارع: الحسن الهيئة.
(٣) الحميم: الصديق.
(٤) من الأغاني.

سعيد بن العاص*

كان قومٌ من وُجوه أهلِ الكُوفة من القُرّاء ، يَخْتَلِفون إلى سعيد بن العاص يُسامِرونه ، فتذاكروا يوم السَّهل والجَبَل ، فقال حسّان بن محدوج : سَهْلُنا خيرٌ من جَبَلنا ؛ أكثرُ بُرًّا وشَعِيراً ، فيه أنهارٌ مطّردة ، ونَخيلٌ باسِقات ، وكلّ فاكهةٍ أنبتها الجَبَل إلّا والسَّهل يُنبِتُ مِثلَها .

فقال عبد الرحمن بن حُنيس[1] : صدقتُمْ ، ولوددتُ أنّه للأمير ، وأنّ لكم أفضل منه .

فقال الأشتر : تَمَنَّ للأمير أفضل منه ، ولا تتقرّب إليه بأموالنا !

فقال : ما ضَرّك ذلك ، ولو شاء أن يكون لكان !

فقال : كَذبتَ ، واللهِ لو أراد ذلك لَمَا قَدَر عليه .

فقال سعيد : ما السَّواد إلّا بُستانُ قُرَيش ، فما شئنا أَخَذْنا منه ، وما شئنا تَرَكْنا .

فقال له الأَشْتَر : وأنتَ تقول هذا ، أَصْلَحك الله ، وهذا مَرْكَزُ رِماحنا ، وفَيْئنا !

وضَرَبوا عبدَ الرحمن بن حُنَيس حتّى سَقط .

وقيل : بل قال سعيد: اخرُجوا من داري ، فخرجوا، فلمّا أصبحوا أتَوُا المسجد، فدارُوا على الحَلَق ، فقالوا : أميرُكم هذا الصبيُّ السفيه يَزعُمُ أنّ السوادَ بُستانٌ له ولِقَوْمه ، وهو فَيْئُنا ومَرْكَزُ رِماحنا ، فوالله ما على هذا بايَعْنا ولا عليه أَسْلَمْنا .

---

* الأغاني ١٢ : ١٤١ (طبع دار الكتب) .

(١) الأغاني : « حبيش » .

وكتب سعيد إلى عثمانَ : إن قِبَلِي أقواماً يُدْعَوْن القُرّاء ، وهم السُّفهاء ، وَثَبوا على صاحب شُرْطَتِي فضرَبوه ، واستخَفُّوا به وبي ، وهم : عمرو بنُ زُرارة ، وكُميل ابن زياد ، والأَشْترُ ، وحُرْقوص بن زُهير ، وشُريح بن أَوْفَى ، ويَزيد بن المُكفَّف ، وزيد وصَعْصَعة أبنا صُوحان ، وجُنْدَب بن عبد الله .

فكتب إليهمْ عثمان يأمرهم أن يَخْرُجوا إلى الشام ، ويَغْزُوا مغازِيَهم .

وكتب إلى سعيد : قد كفيتُك الّذين ذكرت ، فأقرِئْهُم كتابي ؛ فإنهم لن يخالفوا إن شاء الله عزّ وجلّ ، فاتّق الله وأَحْسِن السِّيرةَ . فأقرأَهم الكتاب . فخرجوا إلى دِمَشق ، فأكرَمَهُم معاوية ، وقال : إنكم قَدِمْتُم بلدا لا يَعْرِفُ أهلُه إلّا الطاعة ، فلا تجادلوهم فتُدخلوا الشكَّ في قلوبهم .

فقال الأشتر : إنّ الله عزّ وجلّ أَخَذ على العلماء في عِلْمِهم ميثاقا ، أنّهم يُبَيِّنون للنّاس ولا يَكْتُمونه ، فإن سأَلَنا سائلٌ عن شيء نَعلَمُه لم نَكْتُمْهُ .

فقال : قد خفتُ أن تكونوا مُرصِدين للفِتنة ، فاتّقوا الله ولا تكونوا كالّذين تفرّقوا ، واختلفوا مِنْ بَعْدِ ما جاءتهم البيِّنات . فقال عمرو بن زُرارة : نحن الّذين هَدَى اللهُ .

فأمر معاوية بحَبْسِهم ، فقال له يزيدُ بنُ صُوحان : إنّ الذين أشخصونا لم يَعْجِزوا عن حَبْسنا لو أرادوا ، فأَحسِنْ جوارَنا ، فإن كنّا ظالمين فنستغفرُ اللهَ ، وإن كنّا مظلومين فنسأل الله العافية .

فقال معاوية : إنّي لأحسبَك أمرأً صالحاً ، فإن أحببت أن آذنَ لك حتى ترجعَ مِصْرك ، وأكتب إلى أمير المؤمنين بإذْنك فَعلْت .

قال : حَسْبي أن تأذَن لي ، وتكتب إلى سعيد ، فكتب إليه ، فأذِن له ، فلمّا أراد يزيدُ الشُّخوص كلّمه في الأَشْتر وعمرو بن زُرارة ، فأَخْرَجَهُما .

فأقام القومُ في دِمشق لا يَرَوْن أمرا يَكْرَهُونه ، ثم أشخَصَهُم معاوية إلى حِمْص ، فكانوا بها حتّى أجمَعَ أهلُ الكوفة على إخراج سعيد ، فكتبوا إليهم فقدِموا ، وكان أهلُ الكوفة قد قدِموا على عثمانَ يشكُون سعيدا. فقال لهم : أ كْتُبُ إليه ، فأَجمَعُ بينكم وبينه ، وفعل ، فلَم يحقِّقُوا عليه [شيئا][1] إلّا قولَه : السَّواد بُسْتان قريش ، وأَثْنَى عليه الآخَرون .

فقال عثمان : أرى أصحابكم يسألون إقراره ، ولم يثبتوا عليه إلاّ كلمةً واحدة ، لم يَنْتَهِكْ بها لأحدٍ حُرمة ، ولا أَرَى عَزْلَه إلاّ أن تُثْبِتُوا عليه ما لا يَحِلّ لى معه تَرْكُه ، فانصرِفوا إلى مِصْرِكم فرجع سعيدٌ والفَرِيقان معه ، وتقدّمَهم عليُّ ابنُ الهَيْثم السَّدوسيّ حتى دخل رَحَبةَ المسجد .

فقال : يا أهل الكوفة ، إنّا أَتَيْنا خليفتَنا ، وشكَوْنا عامِلَنا ، ونحن نرى أنّه سيَصرفه عنّا ، فردّه علينا[2] ، وهو يَزعُم أنّ السوادَ بُسْتان له ، وأنا امرؤٌ منكم أَرضَى إذا رَضيتم .

فقالوا : لا نَرْضَى . وجاء الأشتَر فصَعِد المنبرَ ، وخَطَب خُطبةً ذَكَر فيها النبيَّ صلَّى الله عليه وسلّم ، وأبا بكر وعمر رضى الله عنهما ، وذكرَ عثمانَ فحرّض عليه ، ثم قال : من كان يَرَى لله حقًّا فليُصبِّح بالجَرَعة . ثم قال لِكُمَيْل بن زياد : انطلِق فأَخْرِج ثابتَ بنَ قيس بن شمّاس[3] بن الخطيم من القَصْر . فأخرَجَه ، واستعمَل أهلُ الكوفة أباموسى الأشعريّ .

---

(١) تكملة من الأغانى .

(٢) الأغانى « إلينا » .

(٣) ساقطة من الأغانى .

قال جهم(١) : أنا شاهد الأمر ، وقد قالوا لعثمان : ننقم عليك أنك استعملت سُفَهاء أقارِبك . قال : فليَقُم أهلُ كلِّ مصرٍ فليُسَمُّوا صاحِبَهم .

فقام أهلُ الكوفة فقالوا : اعزِلْ عنّا سعيدا واستعمِلْ علينا أبا موسى الأشعريّ ؛ فَفَعل ، وكان سعيد قد أبغَضَهُ أهلُ الكوفة لأمور ؛ منها : أن عَطاء النِّساء كان بالكوفة مائتين ، فحَطّه سعيد إلى مائة . فقالت امرأة من الكوفة تذمُّه ، وتُثْني على سعيد بن أبي وَقّاص :

فليتَ أبا إسحاقَ كان أميرَنا ... وليتَ سعيداً كان أوّلَ هالِكِ(٢)
يحطِّط أشرافَ النِّساء ويتَّقِي ... بأبنائنا من مُرهَفات النَّيازِكِ(٣)

كتب جماعةٌ من وُجوه أهلِ الكوفة ونُسَّاكهم ، مِثل مَعْقِل ابن قيس الرِّياحيّ ، وعبدِ الله بنِ طُفَيْل العامريّ ومالكِ بنِ حبيب اليَرْبوعيّ وحُجْر بن عَديّ الكِنْديّ وزِياد بن خَصَفَةَ التَّيْميّ ويزيد بن قيس الأَرْحَبِيّ وعَمرو بن الحَمِق الخُزاعيّ وسُليمان بن صَبِرة الخُزاعيّ وزيد بن حُصَيْن الطائيّ وكعب بن عَبَدَة النَّهديّ إلى عثمان ، ولم يسمِّ أحدٌ منهم نفسَه إلا كعبَ بن عَبَدَة : إن سعيداً أكثرَ عَذْلَه على قومٍ من أهل الوَرَع والدِّين والفَضْل ، فحَمَلك من أمرِهم على ما لا يَحِلُّ لك ، وإنَّا نذكِّرُكَ اللهَ في أمرِ أمّة محمد صلّى الله عليه وسلّم ؛ فإنَّك قد بسطتَ يدَك فيها ، وحملتَ بني أبيك على رِقابها ، وقد خِفْنا أن يكون فسادُ الأمَّة . فاتّقِ الله تعالى ، فإنَّك إمامُنا ما أَطَعْتَ اللهَ واستقَمْتَ .

وبعَثُوا بالكتاب مع أبي رَبيعة العَنَزِيّ ، فقال له عثمان : مَنْ كَتب هذا ؟ قال : صلحاء أهلِ المِصْر وأشرافُهم . قال : فسمِّهم ، قال : ما أُسمِّي إلّا مَنْ سَمَّى نفسَه .

---

(١) الأغاني : « جهيم » .
(٢) أبو إسحاق كنية سعيد بن العاص .
(٣) النيازك : جمع نيزك ؛ وهو الرمح القصير .

فكتب عثمانُ إلى سعيدِ بن العاص : اضرِبْ كعبَ بنَ عَبدَةَ عِشرين سوطا ، وسَيِّره إلى الرَّىّ ، وحَوِّلْ ديوانَه إليها .

فقال كعب :

أتَرْجُو اعْتِذارِى يابن أَرْوَى ورَجْعَتِى … عن الحقّ قِدْما غالَ حِلمَك غُولُ

وإنّ دُعائى كلَّ يومٍ وليلةٍ … عليكَ بِمَا أَسْدَيْتَهُ لَطَويلُ

وإنّ اعترابِى فى الإله وجَفْوَتِى … وشَتْمِىَ فى ذاتِ الإله قَليلُ

فبلغ شعرُه عثمانَ ، فكتب إلى سعيد : قد خفتُ أن تكون قد احتملت من ابن ذى الحنكة حَوْبَة ، فابْعَثْ إليه بمن يُقْدِمُه عليك ، ثمّ احمِلْه إلىّ .

فبعث سَعيدٌ بكرَ بن حمران ــ وهو كان أشخَصَه ــ فلمّا قَدِم على سعيد أَشْخَصَهُ إلى المدينة . فقال له عثمان رضى الله عنه : يا أخا بنى نَهْد ؛ إن كان لكم علىّ حقٌّ فإنّ لى عليكم حقًّا ، قد كانت مِنّى طُرّةٌ ؛ كتبتُ إلى سعيد أن يضربك عشرين سوطا ، فإنْ أحببتَ أن تقتصّ فاقتَصّ ، قال : أقتَصّ ؛ فخلع عثمان ثيابَه وأعطاه السّوط ، وقعد بين يديه . فقال : قد عفوتُ يا أمير المؤمنين ، وتركتُه لله .

فلمّا قَدِم الكوفةَ لامَه بعضُ قومه ، وقال : ما مَنَعَك أن تقتَصّ ! فقال : سبحان الله ! والى المسلمين قادَنى من نفسِه ــ ولو شاء لَمْ يَفْعَل ــ أقتصُّ منه عند تَوْبَته ! ما كنتُ لأفْعَل .

سَعْيَةُ بنُ الغَرِيض *

هو سَعْيَةُ بنُ غَرِيض بن عادِياء ، وقد ذُكِرَ بعضُ نَسَبه فى ترجمة أخيه السَّمَوْءَل بنِ غَرِيض . وكان سَعْيَةُ شاعرا ، وهو الّذى رَثَى نفسَه لمَّا حضرَتْه الوفاةُ بالأبيات الّتى تُذْكَر بعد هذه الحكاية ؛ وأسْلَم سَعْيَةُ وعُمِّرَ عُمراً طويلا .

ويقال : إنَّه مات فى آخِر خلافةِ معاوية .

رَوَى الهَيْثَم بنُ عَدِىّ قال : حَجَّ معاويةُ حَجَّتَين فى خلافتِه ، وكان له ثلاثون بَغْلَةً ، تَحُجُّ عليها نساؤه وجَوَارِيه .

قال : تحُجّ فى إحداها فرأى شيخاً يصلِّى فى المَسْجِد الحرام ، عليه ثوبان أبيضان ؛ فقال : مَن هذا ؟ فقالوا : سَعْيَةُ بنُ غَرِيض ـ وكان من اليهود ـ فأَرسَل إليه يَدْعوه ، فأتاه رسولُه فقال : أَجِبْ أميرَ المؤمنين . قال : أَوَلَيْس قد مات ! قيل : فأجِب معاوية ، فأتاه فلَم يسلِّم عليه بالخلافة .

فقال له معاوية : مافعلَتْ أرضُك التى بتيماء؟قال:يُكْسَى منها العارِى ويُرَدّ فضلُها على الجار . قال : أتَبيعُها[1] ؟ قال : نعم . قال : بِكَم ؟ قال : بستِّين ألفَ دينار ، ولولا خَلّةٌ[2] أصابت الحَىَّ لم أَبِعْها . قال : لقد أَغْلَيْتَ[3] ! قال : أمَا لو كانت لبعض أصحابك لأخذتَها بستّمائةِ ألف ، ثم لم تُبَلْ[4] ! قال : أَجَلْ ، قال : فإذ

* ترجمته فى الأغانى ٣ : ١٢٩ ـ ١٣٢ (طبعة الدار) ، ١٩ : ١٠٠ـ١٠٢ (ساسى)

(١) الأغانى : « أفتبيعها » .

(٢) الخلة : الفقر والحاجة .

(٣) أغليت : بالغت فى الثمن .

(٤) لم تبل ، أى لم تبال.

بَخِلْتَ بأرضك ؛ فأَنشِدْنِى شعرَ أبيك الّذى رَثَى به نفسَه ، قال : قال أبى :

يا ليتَ شِعرى حينَ أُندُب مالِـكاً ماذا يؤبِّنُنى به أنْوَاحِى ! (١)
أيَقُلْن لا تَبْعَدْ فَرُبَّ كَرِيهةٍ فرَّجْتهُـا بشجاعة وسَماحِ (٢)
ولقد ضربتُ بفضْل مالى حَقَّهُ عنـــد الشّقاء وهَبّةِ الأَرواحِ (٣)
ولقد أخذتُ الحقَّ غيرَ مُخاصَمٍ ولقد رددتُ الحقَّ غيرَ مُلاحِ
وإذا دُعِيتُ لصَعْبَةٍ سَهَّلتُها أُدْعَى بأَفْلَحَ مَرَّةً ونَجــاحِ

فقال : أنا كنتُ بهذا الشِّعر أَوْلَى من أبيك . قال : كَذَبْتَ ولَؤُمْتَ ! قال : أمَّا كذبتُ فنَعَمْ ، وأمَّا لَؤُمْتُ فكيف ، ولِمَ ؟ قال : لأنَّكَ كنتَ ميّتَ الحقّ فى الجاهليّة ومَيّتَه فى الإسلام ؛ أمَّا فى الجاهليّة فقاتَلْتَ النبيَّ صلّى الله عليه وسلّم ، وكَذَّبْتَ الوَحْىَ ؛ حتّى جعلَ اللهُ تعالى كَيْدَكَ المَرْدُود . وأمَّا فى الإســلام فمَنَعْتَ وَلَدَ النّبىِّ صلّى الله عليه وسلّم الخلافة ، وما أنت وهى وأنتَ طَلِيق (٤) !
فقال معاوية : قد خَرِفَ (٥) الشيخُ فأَقِيموه ؛ فأُخِذ بيدِه فأُقيم .

---

(١) الأنواح : النساء ينحن .
(٢) الـكريهة : الأمر العظيم .
(٣) الأرواح : جمع ريح .
(٤) أى من الطلقاء الذين حاربوا النبى صلى الله عليه وسلم من قريش وآذوه ، فلما غلبهم عام الفتح خطبهم فقال : يا معشر قريش ؛ ما ترون أنى فاعل بكم ؟ قالوا : خيرا ، أخ كريم وابن أخ كريم ، فقال : اذهبوا فأنتم الطلقاء .
(٥) يقال : خرف الشيخ ؛ إذا فسد عقله .

حرف الشين

الشَّمّاخ*

هو الشّمّاخ بنُ ضِرار بنِ سِنان بن أُمامة(1) بنِ عمرو بنِ جِحاش بن بَجالة بن مازِن بنِ ثعلبة بنِ سعدِ بنِ ذُبْيان ؛ وقيل : هو الشّمّاخ أبنُ ضِرار بن حَرْملة بن صَيْفيّ بنِ إياس بن عبدِ بنِ عثمانَ بنِ جِحاش بن بَجالة .

وأمّ الشّمّاخ أنمارِيّة من بَنات الخُرْشب(2) . ويقال : إنّها أنجَبُ نساءِ العَرَب ، وأسمُها : مُعاذَة بنتُ بُجَير بن خَلَف(3) بنِ إياس .

والشّمّاخ مُخضرَم مِمّن أدرَكَ الجاهليّة والإسلام ؛ والشمّاخ لقبٌ غَلَب عليه ؛ وأسمه مَعْقِل ، وقيل : الهَيْثم . ومَعقِل هو الصحيح ، وهو أحدُ مَنْ هجا عشيرتَه ، وهجا أضيافَه ومَنَّ عليهمْ بالقِرَى .

وللشّمّاخ أخوان لأبيه وأمّه شاعران ؛ أحدهما مزرِّد وهو مشهور ، وأسمُه يزيد ، وسمّى مزرِّداً لقوله :

فقلتُ تَزَرَّدْها عُبَيْدُ فإنّني ... لِدُرْدِ المَوالى فى السِّنين مُزَرِّدُ(4)

والآخر جَزْءُ(5) بنُ ضِرار . وهو الّذى رَثَى عمرَ بنَ الخطّاب رضىَ الله عنه فقال:

عليكَ سلامٌ مِن أميرٍ وبارَكَتْ ... يدُ اللهِ فى ذاكَ الإهابِ المُمزَّقِ

---

* ترجمته فى الأغانى ٩ : ١٥٨ ـ ١٧٣ (طبعة الدار) .

(١) الأغانى : « أمية » .

(٢) كذا فى ب ، ج ، وفى الأغانى : « الخرشب » .

(٣) الأغانى : « خالد » .

(٤) تزردها : ابتلعها .

(٥) كذا فى الأغانى ، وفى ب ، ج « جرير » ، تصحيف .

فمَن يَسْعَ أو يَركَبْ جَناحَىْ نَعامةٍ ... ليُدرِكَ ماقدّمْتَ بالأمس يُسبَقِ[1]

وقيل : إنّ الجنّ ناحتْ بهذا الشِّعر على عمرَ رضىَ الله عنـه ، فإنّه قيل : إنّ عمرَ أَذِن لأزواج النبي صلّى الله عليه وسلّم أن يَحْجُجْن فى آخر حِجّة حَجَّها ، فلمّا أُرتحل من الحَصْبة[2] أقبَل رجلٌ ملثّم فقال : أين كان منزلُ أميرِ المؤمنين ؟ فقال قائل : هذا كان منزِلَه ، فأَناخَ فى منزِلِه ، ثم أنشَدَ هذه الأبيات :

* عليكَ سلامٌ مِن أميرٍ وبارَكتْ *

فقالت عائشة : اعلَموا عِلمَ الرّجُل ، فذهبوا فلَم يَجِدوا فى مُناخِه أحدا .

قالت عائشة : فإنّى لأَحسَب أنّه من الجنّ ، فلمّا قُتل عمرُ رضىَ الله عنه ، نَحَل الناسُ هذه الأبيات إلى الشّمّاخ بن ضِرار .

وهو فى الطبقة الثالثة مقرونٌ بالنابغة ولَبيد وأبى ذُؤَيْب . وكان شديدَ مُتونِ الشِّعْر ، أشدَّ كلاما من لَبيد ، ولَبيد أسهلُ منه مَنطِقا .

وقال الحُطَيئة فى وصيّته : أَبلغوا الشمَّاخ أنّه أشعَرَ غَطَفان ، وهو أَوْصَفُ الناس للحَمير ، والفرَس .

وقال الوليدُ بنُ عبدِ المَلك ، وقد أُنشد شيئا مِن شِعره فى الحمير : ما أَوْصَفَه لها ! أَحسَب أنّ أَحَد أبوَيْه حمار[3] . وكان أَرْجزَ النّاسِ على البَديهة .

قالت مُعاذَةُ بنتُ بُجَير لولَدَيْها : الشّمّاخ ومُزَرِّد : عرَضْتُمانى لشُعراء العرب : الحُطَيئة ، وكعبِ بنِ زُهير . فقالا لهـا : لا تخافِى . فقالت : فما يؤمِّننى ؟ قالا : إنّـكِ رَبَطْتِ ببابِ بيتِك كَلْبَى هِراش[4] ، لا يجترئ عليهما أحد يعنيان أنفسَهما .

---

(١) الأغانى : « ليدرك ما حاولت » .

(٢) كذا فى ب ، ج ؛ وفى الأغانى عن ابن سعد : « المحصب » .

(٣) الأغانى : « كان حمارا » .

(٤) الأغانى . « جروى هراش » .

وقال مزرِّد لأمِّه : كان كعبُ بنُ زُهير لا يهاَبُنى ، وهو اليوم يَهاَبُنى . فقالت له : يا بُنَىّ ، إنه يَرَى نِعمَ جَرْوِ الهِراش مربوطا بباب أهلِك ـ تعـنِى أخاه .

قَدِم قومٌ من بَهْز إلى المدينة ، يَستَعْدُون على الشمّاخ ـ وبَهزْ اُسمُه تَيم بنُ سليمانَ بن منصور ، وزعموا أنهّ هَجاهم ـ فجَحَد ذلك الشمّاخ فأمرَ عثمانُ بن عفّانَ كَثيرَ بنِ الصَّلْت أن يستحلِفَه على مِنبر رسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم ، أنه ما هَجاهم ! فانطَلَق كَثير إلى المسجد ، ثم اُنتحاه دونَ بَهْز ، فقال له : وَيْحَك ياشمّاخ ! إنـك لتَحْلِف على مِنبر رسولِ الله صلى الله عليه وسلّم ، ومَن حَلَف بالله كاذبا ؛ فإنمّا يَتبوّأ مَقعَدَه من النّار ؛ قال : فـكيف أَفعَل فِداكَ[١] أبى وأمّى ! قال : إنى سأحلّفُك ما هجوتَهم[٢] فأرِدْنى وناحِيَتى بذلك ؛ فإنّى سأدفع عنك .

فلمّا وقف حَلَف كما قال ، وأقبَل على كَثير وقال : ما هجوتُهم[٣] ، فقالت له بَهْز : ما عَـنَى غيرَكم ، فأَعِدْ لنا اليمينَ عليه ، فقال : مالى أتأوّله ! هلاّ اُستحْلَفْتُه إلّا لـكم ! وما اليمينُ إلّا مرّةً واحدة ! انصرِفْ ياشمّاخ ، فانصَرَف وهو يقول :

أَتَتْـنِى سُلَيمٌ قَضُّها وقَضِيضُها ... تُمسِّح حَوْلى بالبَقيع سِبالَها
يقولون لى يا احْلِفْ ولستُ بحالفٍ ... أخادِعُهْم عنهـا لـكيْما أَنالَهـا
ففرّجْتُ هَمَّ الموتِ عَنّى بحلْفَةٍ ... كما شَقّت الشَّقْراء يوما جِلالَها[٤]

وقيل: إن الشمّاخ تزوّج امرأةً من بنى سُلَيم ، فأساء إليها وضَربها وكَسر يَدها. فعَرَضَت امرأةٌ من قومها يقال لها أسماء ذات يوم للطريق ، تَسأَل عن صاحبتِها ،

---

(١) الأغانى : « فداؤك » .

(٢) زاد فى الأغانى بعد هذه الـكلمة : « فاقلب الـكلام على وعلى ناحيتى ، فقل : والله ما هجوتـكم » .

(٣) فى الأغانى : « ما هجوتـكم » .

(٤) فى الأغانى : « عنها جلالها » .

فاجتازَ بها الشمّاخ [وهى لا تعرفه فقالت له : ما فعل الخبيث شمّاخ ؟][1] فقال : ما تُرِيدِين منه ؟ قالت : إنّه فعَل[2] بنا كَيْتَ وكَيْتَ ؛ فتجاهَلَ عليها وقال : لا أعلَم له خَبَراً. وتَرَكها ومضى.

ودخل المدينةَ فى بعض حوائجه، فتعلّقَت به بنوسُلَيم يطلبون بظُلامة صاحبتِهم ، فأنكَرَها ، فقالوا له : احلِف ، فجعل يَطلُب إليهم ويُغلِّظ أمرَ اليمين وشدّدها عليه ليَرْضَوْا بها حتى رَضُوا ، فحَلَف وقال الأبيات :

ألا أصبحتْ عِرْسِى من البَيْتِ جامِحاً بغيرِ بَلاءٍ أىَّ أمرٍ بدَالَها !

وكان الشمّاخ يَهوَى امرأةً من قومه ، يقال لها كَلْبة بنت جَوّال أخت جَبَل ابن جَوّال بن صَفْوان بنِ بلال بنِ الأصرم بنِ إياس بنِ عبدِ تميم بنِ جحاش ابن بَجالة بن مازِن بن ثعلبة . وكان يتحدث إليها ويقول فيها الشعر . وخطبها ، فأجابته ، وهمت أن تتزوّجه ، ثم خرج إلى سفر ، فتزوّجها أخوه جزْء[3] بن ضِرار ، فآلى الشمّاخ ألاّ يكلِّمه أبدا ، وهجاه بقصيدته التى يقول فيها :

لنا صاحبٌ قد خانَ من أجلِ نَظْرةٍ سَلِيبُ الفؤادِ حُبُّ كَلْبَة قاتله[4]

[فماتا متهاجرين][5] .

خرج الشمّاخ يريد المدينة ، فلقيَه عَرابَةُ بنُ أَوْس فسأله عمّا أقدَمه فقال : أردتُ أن أمتارَ[6] ، وكان معه بَعيران فأوْقرَها[7] له بُرًّا وتَمْراً وكساه ،

(١) من الأغانى .

(٢) فى الأغانى : « إنه فعل بصاحبة لنا » .

(٣) كذا فى الأغانى ، وفى ب ، ج : « جرير » ، تصحيف .

(٤) الأغانى : « شاغله » .

(٥) من الأغانى .

(٦) أمتار : أطلب الميرة .

(٧) أوقرها : حملها حملا ثقيلا .

وأكرَمَه ، فخرج عن المدينة وامتدَحه بقصيدته الّتى يقول فيها :

رأيتُ عَرابةَ الأَوْسِىَّ يَجْرِى(١) إلى الخيراتِ مُنقطعَ القرِين

إذا ما رايةٌ رُفِعَتْ لمجـدٍ تلقّـاها عَرابةُ باليمين

هو عَرابةُ بنُ أَوْس بن قَيْظِىّ بن عمرو بنِ جُشَم بنِ حارثةَ بنِ الحارث ابن الخَزْرج ، وإنّما قال له [الشمّاخ](٢) : « عَرابةُ الأَوْسِىّ » وهو من الخَزْرج ؛ نسبة إلى أبيه أَوْس بن قَيْظِىّ ؛ لأنّ عَرابةَ من الخَزْرج .

وكان عَرابةُ قد أتى النبيَّ صلّى الله عليه وسلّم ليغزوَ معه فى أُحُد ، فردَّه فى تِسعةٍ استصغَرهم ، منهم عبدُ الله بنُ عمرَ بنِ الخطّاب ، وزيدُ بنُ ثابت ، وأُسَيْد ، والبَراء بنُ عازِب ، وعَرابةُ الأَوْسِىّ ، وأبو سعيد الخُدْرِىّ .

وكان أَوْسُ بن قَيْظِىّ أبو عَرابةَ من المنافقِين الّذين شهدوا أُحُدًا مع رسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم ، وهو الّذى قال : ﴿ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِىَ بِعَوْرَةٍ ﴾ . وأخوه مِرْبَع بنُ قَيْظِىّ الأَعْمى الّذى حثا(٣) فى وجهِ رسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم التّراب لمّا خرج إلى أُحُد ، وقد مرّ بحائطه(٤) وقال له : إن كنت نبيًّا فما أَحَلَّ لك أن تَدْخُلَ [فى](٢) حائطى ؛ فضرَبَه سعدُ بنُ زَيْد الأَشْهلىّ بقوسِه فشَجَّه ، وقال لرسول الله : دَعْنى أَقتلْه ؛ فإنّه منافق ، فقال رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم : «دَعْه فإنّه أعمى القلب أعمى البصر». فقال أخوه أَوْسُ بنُ قَيْظِىّ : لا والله ، ولكنّها عداوَتُكم يا بنى عبدِ الأَشْهَلِ . فقال رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم : «لا والله ، ولكنّه نِفاقُكم يا بنى قَيْظِىّ».

(١) فى الأغانى : « يسمو » .
(٢) من الأغانى .
(٣) حثا : رمى .
(٤) الحائط هنا : البستان .

وكان عَرابةُ سَيِّدًا من ساداتِ قومِه ، جَوَادًا ؛ وقد انقرَض عَقِبُه فلَم يَبْقَ منهمْ أحد .

وقال معاويةُ لعَرابة بنِ أَوْس : بأىِّ شىءٍ سُدْتَ قومَك ؟ قال : أَعفُو عن جاهِلِهم ، وأُعطِى سائلَهم ، وأَسعَى فى حاجاتِهم ؛ فمَن فَعل مِثلَ ما أَفعل فهو مِثْلى ، ومَن قصَّر عنه فأنا خيرٌ منه ، ومَن زاد فهو خيرٌ مِنّى !

وقال الشمَّاخ يَمدَح عبدَ الله بنَ جعفر بن أبى طالب رضى الله عنه :

إنّك يابنَ جعفرٍ نِعْمَ الفَتَى ... ونعمَ مَأْوَى طارقٍ إذا أَتَى !
ورُبَّ ضيفٍ طَرَقَ الحىَّ سُرَى[1] ... صادَفَ زاداً وحديثاً ما اشتَهَى

قال ابن دَأْبٍ : العَجَب للشمّاخ ، يقول هذا لعبد الله بنِ جعفر ، ويقول لعَرابةَ :

إذا ما رايةٌ رُفعتْ لمجدٍ ... تَلقَّاها عَرابةُ باليَمينِ

وعبدُ الله بنُ جعفر كان أحقَّ بهذا من عَرابة .

وقال أبو نُواس : ما أحسَنَ الشمّاخُ فى قوله :

إذا بَلَّغْتِنى وحطَطْتُ رَحْلِى ... عَرابةَ فاشْرَقِى بدَمِ الوَتينِ[2]

ألَا قال كما قال الفرزدق :

عَلامَ تلفَّتِين وأنتِ تَحتِى ... وخيرُ النّاس كلِّهمُ أَمامِى !
مَتَى تَرِدى الرُّصافةَ تستريحى ... من التَّهْجِير والدَّبَر الدَّوامِى[3]

ومن هذا أَخَذ داودُ بنُ سَلْم فى مدحِه قُثَمَ بنَ العبّاس ، فأَخَذ وأحسَن :

غَنِيتِ مِن حِلِّى ومِن رِحْلَتى ... يا ناقُ إنْ أدنَيْتِنِى مِن قُثَمْ

---

(١) السرى : سير عامة الليل .

(٢) فى الأغانى : « إذا بلغتنى وحملت » . والوتين : عرق فى القلب إذا انقطع مات صاحبه .

(٣) التهجير : المشى فى الهاجرة . والدبر ، بالتحريك : القروح . والدوامى : التى تدمى بالدم .

ولمّا أُنشِد عبدُ الملك قولَ الشمّاخ فى عَرابة :

إذا بَلّغتِنى وحَطَطْتُ رَحْــلى عَرابةَ فاشرَقى بدَمِ الوَتينِ

فقال : بئستِ المـكافأة كافأْها ! حملَت رَحْلَه ، وبلّغته بُغيَته ، فجعل مكافأتها نحرَها .

نَصَبَ عبدُ الملك بنُ مروانَ موائدَ للنّاس ليطعمَهم ، فجلس رجلٌ من أهل العِراق على بعض الموائد ، فنظر إليه خادمٌ لعبد الملك فقال: أعراقىٌّ أنت ؟ قال : نعم . قال : أنت جاسوس ؟ قال : لا ، قال : بلى . قال : وَيْحَك ! دَعْنى أتهنّأ بزاد الأمير ، ولا تُنَغِّصْنى به. ثم إنّ عبد الملك وقف على تلك المائدة وقال: مَن القائل:

إذا الأرْطَى توسَّــدَ أبْرَدَيْهِ خُدودُ جوازئٍ بالرَّمْلِ عِينِ(١)

وما معناه ؟ ومن أجابَ فيه أجَزْناه ، والخادم يَسمَع ، فقال له العراقىّ : أتُحِبُّ أن أشرحَ لك ما معناه ، وفيمَ قيل ؟ قال : نعم . قال : يقوله : عدىُّ بنُ زَيد فى صفة البِطّيخ الرَّمْسىّ.

فقال الخادم ذلك لعبد الملك ، فضحك عبدُ الملك حتّى سقط ؛ فقال له الخادم : أخطأتُ أم أصبتُ ؟ قال : بل أخطأتَ، فقال الخادم : هذا العراقىُّ فعل الله به وصنع لَقَّننيه ، فقال : أىّ الرجال هو ؟ فأراه إيّاه ؛ فعاد عبدُ الملك إليه فقال : أنتَ لقّنْتَه هذا ؟ قال نعم . قال : أخطأً لقَّنْتَه أم صوابا ؟ قال : بل خطأً . قال : ولِمَ ؟ قال : لأنّى كنتُ متحرِّما بمائدتك ، فقال : كَيْتَ وكَيْت ، فأردتُ أن أكفَّه عنّى ، وأُضحِكك . قال : وكيف الصّواب ؟ قال : يقوله الشمّاخ الغَطَفانىُّ فى صفة البَقَر الوحشيّة ، وقد جزَأَتْ بالخضِر(٢) عن الماء. قال: صدقتَ؛ وأجازَه، ثم قال: حاجتَك؟ قال : تُنَحِّى هذا عن بابك ؛ فإنّه يَشينه.

(١) الأرطى : شجر من أشجار البادية تدبغ به الجلود ، والأبردان : الظل والفىء ؛ سميا كذلك لبردها . والجوازىء : بقر الوحش . والعين : الواسعات العيون .

(٢) فى الأغانى : « الرطب » .

ذِكْرُ شَبيبِ بنِ البَرْصاء*

هو شبيبُ بنُ يزيدَ بنِ حمزةَ[1] بن عوفِ بن أبى حارثةَ بن مرّة بنِ نُشْبةَ بن غيظِ ابن مُرّة بنِ سعدِ بنِ ذُبْيان .

والبَرْصاء أمُّه، واسمُها قِرْصافةُ بنتُ الحارث بنِ عوف بنِ أبى حارثة ؛ وهو ابن خالةِ عَقيل بن عُلَّفَةَ المُرّىّ .

وأمُّ عَقيل عَمْرةُ بنتُ الحارث بنِ عوف ، ولُقِّبت قِرْصافةُ البَرْصاء لبياضِها لا لبَرَصٍ[2] فيها .

وشَبيبٌ شاعر فصيحٌ إسلامىٌّ من شعراء الدّولة الأمويّة، بَدَوىّ ، وكان يُهاجِى عَقيلَ بنَ عُلَّفَة ويُعاديه بشراسةٍ كانت فى عَقيل وشرٍّ عظيم ، وكلاهما كان شريفا سيّدا فى قومه ، فى بيت سَبْقهم[3] وسُؤْدُدِهم .

والسبب فى المهاجاة بينهم ، أنّ جاراً من بنى سَلامانَ بن سَعْد كان يطوف فى بنى مرّة يتحدّث إلى النّساء ، فبلغ ذلك عَقيلا فامتلأ عليه غَيْظاً ، فبيْنا هو جالس وعندَه غِلْمان ، وهو يجرُّ إبلًا له على الماء ، إذْ طَلَع السَّلامانىُّ على راحلتِه ، فوَثَب إليه هو وغِلمانُه ، فضَرَبه ضَرْباً مبرِّحا ، وعقَروا راحِلَته ، وانصرَف من عندِه بشرّ ، فلم يَمُدْ إلى ذلك الموضع ، ولَجّ الهجاء بينهما .

وكان عَقيلٌ سيّىءَ الخُلُق ، غَيُورا ، وكان شبيبٌ أعوَرَ ، أصاب عينَه رجلٌ من طيّئٍ فى حَرْب كانت بينهم .

---

* ترجمته فى الأغانى ١٢ : ٢٧١ ـ ٢٨١ (طبعة الدار) .

(١) كذا فى ب ، ج ، وفى الأغانى : « جمرة » .

(٢) فى الأغانى : « لا لأنها كان بها برص » .

(٣) الأغانى : « شرفهم » .

فاخَرَ عَقيلُ بنُ عُلَّفة شبيبَ بنَ البَرْصاء، فقال شبيبٌ شعرا يهجوه ويعيِّره برجل من طيِّئ كان يأتي أمَّه عَمرةَ بنتَ الحارث ، يقال له : حَيّان، ويهجُو غَيْظَ بنَ مُرّة. واجتمعا عند يحيى بنِ الحَكَم ، وتكلَّما في بعض الأمر ، فاستطال عقيلٌ على شَبيبٍ بالعَمّةِ[1] التي بينهم . فقال فيه شَبيبٌ يَهجُوه :

ألا أَبلغْ أبا الحَرْباء عنّي[2] ... بآياتِ التَّباغُضِ والتَّقالِي
فلا تذكُرْ أباكَ العبدَ واذكُرْ ... بأمٍّ لستَ مُكرِمَها وخالِ
إذا طارت نفوسُهُم شَعاعا ... حَمَيْنَ المحصَنات لدَى الحِجالِ[3]
بطعنٍ تَعْثُرُ الأبطالُ منه ... وضربٍ حيثُ تُقتَنَص العَوالِي[4]
أَبَى لِي أنَّ آبائي كرامٌ ... بَنَوْا لِي فوقَ أَشْرافٍ طِوالِ[5]
أبا الجحّافِ شَرُّ الناسِ حَيًّا ... وأعناقِ الأُيُورِ بني قِتالِ[6]
رَفَعْتَ مُسامِياً لتَنالَ مَجْداً ... فقد أصبحت فيهم في سَفالِ[7]

بنو قتال : إخوة بني يَرْبوع ، رَهْط عقيل بنِ عُلَّفة ، وهم قومٌ فيهم جَفاء، مات رجلٌ منهم فكفنه أخواه في عَباءةٍ له .

وقال أحدُهما للآخَر : كيف تَحملُه ؟ فقال : كما تُحمَل القِربة ، فعَمَد إلى حَبْل فَشدّ طرَفه في عُنقة ، وطرَفه في رُكبتَيْه ، وحمَله على ظهرِه كما تُحمَل القِرْبة ،

(١) الأغانى : « بالصهر » .
(٢) الأغانى : « الجرباء » . ج : « الحرقاء » ؛ وما أثبته من ب .
(٣) شعاعا : متفرقة . والحجال : جمع حجلة ؛ وهى الكلة تهيأ للعروس .
(٤) العوالى : جمع عالية ؛ وهى أعلى الرمح :
(٥) أشراف : جمع شرف ، وهو المكان العالى .
(٦) ب ، ج : « أبا الجحاف » ، وفى الأغانى : « أبا الحفات » . وفى الحواشى : الحفات: حية ، على تشبيه قوم عقيل بها .
(٧) الأغانى : « منهم » .

فلما صاروا به إلى الموضع الّذى يُدفَن فيه حَفروا له حُفرةً وألقَوْه فيها ، وواروْه بالتُّراب فلمّا انصرَفا قال له : يا هَناهْ[1] ، أنْسِيتُ الحبلَ فى عُنق أخى ورِجْليه ، وسيَبْقى مكتوفا إلى يوم القيامة ! قال : دَعْه ، يا هَناهْ ، فإنْ يُرِد اللهُ به خيرا يَحُلُّه .

خَطب شبيبُ بنُ البَرْصاء إلى يزيدَ بنِ هاشم بنِ حَرْمَلة المُرّىّ الصّريمى[2] ابنتَه ، فقال : هى صغيرة ، فقال : لا ، ولكنّكَ تبغى أن تَرُدَّنى ، فقال له يزيد : ما أردتُ ذاكَ ولكنْ أنظِرْنى[3] هذا العام ، فإذا انصرَم فعلىَّ أن أزوِّجَك .

فانصرَفَ شبيبٌ من عندِه مُغضَباً ، فلمّا مضى قال ليزيدَ أهلُه[4] : والله ما أفلحتَ ، خَطب إليك شبيبٌ سيّدُ قومِك فرددْتَه ، قال : صغيرة ، قالوا : وإن كانت صغيرةً فإنّها ستَكبرُ عندَه ، فبعث إليه يزيد ارجع فقد زوّجتُك ، فإنّى أكرَه أن ترجع إلى أهلِك وقد رددْتُك ، فأبَى شبيبٌ أن يَرجع ، وقال :

تُرَجِّى النُّفوسُ الشىءَ لا تَستطيعُهُ ... وتَخشَى من الأشياء ما لا يَضيرُها
تَبيَّنُ أدبارُ الأمورِ إذا مضتْ ... وتُقبِلُ أشباهاً عليك صُدورُها
ألا إنّما تَكفِى النّفوسَ إذا اتّقَتْ ... تُقَى اللهِ ممّا حاذرَتْ فيُجيرُها
ولا خيرَ فى العيدان إلّا صِلابُها ... ولا ناهِضاتِ الطّيرِ إلّا صُقورُها
ومستنبِحٍ يَدْعو وقد حالَ دونَه ... من اللّيل سِجْفَا ظُلْمَةٍ وسُتورُها[5]

(١) هن: كلمة يكنى بها عن اسم الإنسان ؛ وتزاد الألف فى آخر النداء .
(٢) كذا فى ب ، ج ، وفى الأغانى : « الصرمى » .
(٣) أنظرنى : أمهلنى .
(٤) الأغانى : « بعض أهله » .
(٥) السجف : الستر .

رفعتُ له نارِى فلما اهتدَى بهــا   زجرتُ كلابى أن يَهِرَّ عقورُهـا[١]
فبات وقد أسْرَى من الّليل عُقْبــةً   بليلةِ صدقٍ غاب عنها شُرورُها[٢]

كان بين بنى كلبٍ وقومٍ من قيس دِياتٌ ، فمشى القوم إلى أبناء أخوالهم[٣] من بنى أميّة يستغيثون بهم فى الحَمالة[٤] ، فحملها محمد بنُ مَرْوانَ كلّها عن الفريقين ، وتمثّل بقول شبيب بن البَرْصاء :

ولقــد وقفتُ النّاس عن حاجاتِهمْ   والنّفسُ حاضِرةُ الشَّعــاعِ تَطَلَّعُ[٥]
وغَرِمْتُ فى الحَسَبِ الرّفيعِ غَرامةً   يعيا بها الحَصر الشّحِيح ويَظْلَعُ[٦]
إنّى فـــتًى حُرٌّ لِقَدْرِىَ عارفٌ   أُعطِى به وعليـــه ممّا أَمنَــعُ

اِستعدَى رهطُ أرْطاة بن سُهَيّةَ على شبيبِ بنِ البَرْصاء إلى عثمانَ بنِ حَيّان المُرّىّ ، وقالوا له : عَمّنا بالهجاء ، وشَتَم أعراضَنا . فأمَرَ بإشخاصِه إليه ، فدخل على عثمانَ وقد أُوتِىَ بثلاثة لُصوص قد أَفسَدوا فى الأرض ، يقال لهم : بَهْدل ومَسْعود[٧] وهُضَيم ؛ فقتَل بَهْدلا وصَلَبه ، وقَطَع مسعودا والهضَيم ، ثم أَقبَل على شبيب ، فقال له : كم تَسُبُّ أعراضَ قومِك ، وتَسْتَطِيل عليهم ، أُقسِم قَسَما صادقاً[٨] لئن عاودتَ هجاءَهم لأقطعنّ لسانَك . فقال شبيب :

---

(١) هرير الكلب : صوته ؛ وهو دون النباح .
(٢) العقبة : مقدار فرسخين .
(٣) الأغانى : « أخواتهم » .
(٤) الحمالة : الدية يحملها القوم .
(٥) نفس شعاع : متفرقة .
(٦) الحصر : البخيل ، وظلع : غمز فى مشيه ؛ وهو شبيه بالعرج .
(٧) فى الأغانى : « ومتفور وهيصم » .
(٨) فى الأغانى : « حقا » .

سجنتَ لسانى يا ابنَ حَيّانَ بعدَما ... تولَّى شَبابى إنّ عَقْدكَ مُحكَمُ
وَعيدُكَ أبْقَى مِن لسانى بذاءةً ... هَيُوباً وصَمْتاً بعدُ لا يتكلَّمُ(١)
رأيتُكَ تحْلَوْلِى إذا شئتَ لامرئٍ ... ومُرًّا مُرَاراً فيه صابٌ وعَلْقَمُ(٢)
وكلّ طَريـــد هالكٌ متحيِّرٌ ... كما هَلَكَ الحيْرانُ واللّيْلُ مُظلِمُ
يداكَ يدَا خَيْرٍ وشرٍّ فمنهما ... تضُرّ، والأخرى ثوابٌ وأنْعُمُ

هجا أرْطاةُ بنُ سُهَيّة شبيبَ بنَ البَرْصاء، ونفاه عن بنى عَوْف فقال:

فلو كنتَ عَوْفِيًّا عَمِيتَ وأسهلَتْ ... كُداكَ ولكنّ المُرِيبَ مُريبُ(٣)

فعَمِى شبيبُ بنُ البَرْصاء بعد موت أرْطاةَ بنِ سُهَيّة، وكان يقول: ليت ابنَ سُهَيّة كان حيًّا؛ لِيَعلَمَ أنّنى عَوْفِىّ!

قال: والعَمَى شائعٌ فى بنى عَوْف، إذا أسَنَّ الرجلُ منهمْ عَمِىَ، وقَلّ مَن يُفلِت من ذلك منهم.

وكان عبدُ الملك يتمثّل بقول شبيبٍ فى بَذْل النَّفس عند اللّقاء، ويُعجَب به:

دَعانى حُصَيْنٌ للفِرار وساءَنِى ... مَواطنُ أن يُثْنَى علىها فأُشتَما(٤)
فقلتُ لِحِصْنٍ: نَحِّ نفسَكَ إنَّمَا ... يَذُودُ الفَتَى عن حوضِه أنْ يُهَدَّما
تأخَّرتُ أستبقِى الحيــاةَ فلمْ أجِدْ ... لنفسِى حيــاةً مثل أن أتقدَّما(٥)
سيكفيكَ أطرافَ الأسِنَّةِ فارسٌ ... إذا رِيعَ نادَى بالجَواد فأُلجِما
إذا المرءُ لم يَغْشَ الكريهةَ أوْشكَتْ ... حبالُ الهُوَيْنَى بالفتى أن تَجَذَّما(٦)

(١) الأغانى: «من لسانى قذاذة»؛ وفى شرحه: القذاذة من كل شىء: ما قطع منه.
(٢) احلولى: حلا. المرار: شجر مر.
(٣) الكدى: جمع كدية؛ وهى الأرض.
(٤) فى الأغانى: «على فأشتما».
(٥) كذا فى الأغانى، وفى ب، ج: «بعد ما أتقدما»؛ والوجه ما فى الأغانى.
(٦) تجذم: تقطع.

ذكر الشَّمَرْدَل*

هو الشّمردَلُ بنُ شَرِيك بنِ عبدِ الله[1] بن رُؤْبة بن سَلَمة بن مكرم بن ضِبارى ابن عبيد بن ثعلبة بن يَرْبوع . إسلامىّ من شعراء الدّولة الأُموِيّة ، معاصرُ جَرِيرٍ والفرزدق . وكان قد أُخرِج هو وإخوتُه : حَكَم ، ووائل ، وقُدامة إلى خُراسانَ مع وَكيع بنِ أبى سُود . فبعث وكيع أخاه وائلا إلى حَرْب التُّرْك ، وبعث أخاه قدامة إلى فارسَ ، وبعث أخاه حَكَما إلى سِجِسْتانَ .

فقال له الشّمردل : إنْ رأيتَ أيُّها الأميرُ أن تُنفِذَنا معاً فى وجهٍ واحد ، فإنّا إذا اجتمعْنا تعاوَنّا وتَناصَرْنا ! فلَم يفعَل ، وأنفَذَهم إلى الوُجوه الّتى أرادَها .

فقال الشّمردل يَهْجوه[2]. ولم يَنشَب أن أتاه نَعْىُ أخيه قدامةَ من فارس ، قتَله جيشٌ لقوهم بها ، ثم تلا ذلك نعىُ أخيه وائل بعدَه بثلاثة أيّام ، فقال :

أعاذِلُ كم من روعةٍ قد شهدتُها ... وغُصّةِ حُزْنٍ فى فِراقِ أخٍ جَزْلِ

إذا وَقَعتْ بين الحيازيم أَسْدَفَتْ ... علىَّ الضُّحَى حتّى تُنَسِّينى أَهْلِى[3]

وما أنا إلّا مِثْلُ مَن ضَرَبَتْ له ... أُسَى الدَّهر عن ابنَىْ أبٍ فارَقَا مِثْلى

أقول إذا عَزَّيْتُ نفسِى بإخوةٍ ... مَضَوْا لا ضِعافٍ فى الحياةِ ولا عُزْلِ

أبَى الموتُ إلّا فَجْعَ كلِّ بنى أَبٍ ... سَيُمْسُون شتّى غيرَ مجتَمِعى الشَّمْلِ

---

* ترجمته فى الأغانى ١٢ : ٣٥١ ـ ٣٦٣ (طبع الدار) .

(١) الأغانى : « عبد الملك » .

(٢) كذا فى الأصول . وانظر الأبيات فى الأغانى ١٢ : ٣٥١

(٣) الحيازيم : جمع الحيزوم ؛ وهو ما استدار بالظهر والبطن أو ضليع الفؤاد وما اكتنف الحلقوم من جانب الصدر . أسدفت : أظلمت فى لغة تميم ؛ والشمردل تميمى .

وقال يرثى أخاه وائلا ، وهى من مختار المراثى(١) :

لعمرى لئن غالت أخى دارُ فُرْقةٍ وآبَ إلينا سَيْفُه ورَواحِلُهْ
وحلّتْ به أثقالَها الأرضُ وانتهى بمثواه منها وهو عفٌّ مآكِلُهْ
وَصُولٌ إذا استغنى وإن كان مُقْتِرًا(٢) من المال لم يُحفِ الصديقَ مُسائلُه(٣)
محلٌّ لأضيافِ الشّتاء كأنّما همُ عنــدَه أيتامُه وأرامِلُهْ
أقولُ وقد رَجَّمْتُ عنــه فأسرعتْ إلىّ بأخبــار اليقين محاصِلُه(٤)
إلى الله أشكو لا إلى الناسِ فَقْدَهُ ولوعةَ حُزْنٍ أوجعَ القلْبَ داخِلُهْ
وتحقيقَ رُؤيا فى المنام رأيتُها وكان أخى رُمحاً ترَفَّضَ عامِلُه(٥)
سَقَى جَدَثاً أعرافُ غَمرةَ دونَه وبِبيشةَ دِيمَاتُ الرَّبيع ووابِلُه(٦)
بمَثْوَى غريبٍ ليس مِنّا مَزارُه بدانٍ ، ولا ذو الوُدِّ منّا مُواصِلُهْ
إذا ما أتَى يومٌ مِن الدهرِ دُونَه فحيّاك عنّا شَرْقُه وأصائلُهْ
سَنَا صُبْحِ إشراقٍ أضاءَ ومَغربٌ من الشَّمس وافَى جُنْحَ ليلٍ أوائلُهْ
تحيّـــةَ مَنْ أدّى الرسالةَ حُبِّبَتْ إليه ، ولم ترْجع بشىء رسائلُهْ
أبى الصبرَ أنّ العيْنَ بعدكَ لم يزَلْ يخالِط جَفْنَيْها قذًى لا تُزَايِلُه(٧)
وكنتُ أُعيرُ الدَّمعَ قبلكَ مَن بَكَى فأنت على مَن ماتَ بعدكَ شاغِلُهْ

---

(١) فى الأغانى : « وجيد شعره » .

(٢) المقتر : القليل المال .

(٣) أحفاه : برح به فى الإلحاح عليه ، أو سأله فأكثر عليه الطلب .

(٤) الترجيم : من الرجم ؛ وهو القذف بالغيب والظن .

(٥) ترفض : تكسر وتحطم . وعامل الرمح : صدره .

(٦) الأغانى : « بيشة » .

(٧) القذى : ما ترمى به العين من غمص ورمص .

يذكّرنى هَيْفُ الجنوب ومُنتهَى ... مسيرِ الصَّبا رَمْسٌ عليك جَنادِلُهْ(١)
وهتّافةٌ فوقَ الغصون تفجَّعَتْ ... لفَقْد حَمامٍ أفردتْها حَبائلُهْ
مِن الوُرْق بالأَصْياف نوّامةُ الضُّحَى ... إذا الغرْقَد ٱلتفّت عليه غياطِلُهْ(٢)
وسَوْرَةُ أَيْدى القوم إذ حُلّت الحُبَا ... حُبَا الشّيْب واستَعْوَى أخا الحِلْم جاهِلُهْ(٣)
فعيْنَىّ إذ أبكا كما الدّهر فابْكِيا ... لِمن نصرُه قد بان منّا ونائلُهْ(٤)
فما كنتُ أُلفِي لأمرئٍ عند مَوْطنٍ ... أخاً بأخى لو كنتُ حيًّا أبادِلُهْ
وكنتُ به أَغْشى القتالَ فعزّنِى ... عليه من المِقدار من لا أقاتلُهْ(٥)
لعَمْرُك إنّ الموتَ منّا لمُولَعٌ ... بمَن كان يُرْجَى نفْعُه ونوافِلُهْ

ثم قُتِل أخوه حَكَم فى وجهه ، وبرَز بعضُ عَشيرته إلى قاتله فقتَله ، وأتى الشمردَل أيضاً نعيُه ، فقال :

يقولون أحتَسِب حَكَما وراحُوا ... بأبيضَ لا أراهُ ولا يَرانِى
وقبلَ فِراقِه أيقنْتُ أنّى ... وكلّ بنى أبٍ متفارِقانِ
أخٌ لىَ لو دَعوْتُ أجابَ صوْتى ... وكنتُ مُجيبَه أنّى دَعانى
فقد أفنى البُكاءُ عليه دَمْعى ... ولو أنّى أموتُ لقد بَكانى(٦)
قتَلْنا عنه قاتِلَه وكُنّا ... نَصولُ به لدَى الحرْب العَوانِ(٧)

---

(١) الهيف : ريح حارة تأتى من نحو اليمن. الصبا : ريح مهبها من مطلع الثريا إلى بنات نعش.
(٢) غياطله : ما اجتمع عليه والتف . الغرقد : شجر .
(٣) الحبا : جمع حبوة ؛ وهو الثوب يحتبى به . وحل الحبا ، كناية عن الاستعداد للحرب ونحوها .
(٤) بان : بعد وانفصل . والنائل : العطاء .
(٥) عزنى : غلبنى . المقدار : القدر ، بالتحريك .
(٦) الأغانى : « ولو أنى الفقيد إذن بكانى » .
(٧) العوان من الحرب : التى قوتل فيها مرة بعد مرة .

فتيلاً ليسَ مِثـلَ أخى إذا مَا بَدَا الخفِرات مِنْ هَوْلِ الجنانِ [1]
وكنتَ سِنانَ رُمحى فى قَناتِى وليس الرُّمحُ إلَّا بالسِّنانِ
وكنتَ بَنانَ كَفِّى فى يَمينى وكيفَ صَلاحُها بعـدَ البَنَانِ !
وكان يَهابُكَ الأعـداء فِينا ولا أخشَى وراءكَ مَنْ رَمانى
فقد أبدَوْا ضغائنَهُمْ وشَـدُّوا إلَىَّ الطِّرْف واعتمدوا لِيـانى [2]
فِداك أخٌ نبَا عنـه غَنـاهُ ومولًى لا تَصـولُ له يَدانِ

كان الشَّمَرْدَل رأى فى مَنامِه كأنّ سِنانَ رُمحه سَقَط ، فعَبَرَه على بعض من يَعْبُرُ الرُّؤيا ، فأتاه نعيُ أخيه وائل ، فذلك قوله :

وتفسـيرُ رؤيَا فى المنامِ رأيتُها فـكان أَخِى رُمحاً تَرَفَّضَ عامِلُهْ

كان الشَّمَرْدَل مُغْرَماً بالشَّراب ، وكان له نَدِيمان يعاشِرانه فى حانات الخَمّارين بخراسان ، أحدهما يقال له : دَيْـكَل من قومه ، والآخر من بنى شَيْبان يقال له : قَبيصة . وتَنادَموا يوما على جَزُور نَحَروه ، وشرِبوا حتى سَكِروا ، وانصرَف قبيصة حافيا ، وترك نعلَه عندهم وأُنْسِيَها من السُّكْر ؛ فقال الشَّمَرْدَل :

شربتُ ونادمتُ الملوكَ فلم أجِدْ على الـكأس نَدْماناً لها مِثلَ دَيْـكَلِ [3]
أقلَّ مِكاساً فى جَزورٍ وإن غَلَتْ وأسرعَ إنْضاجا وإنزالَ مِرْجَلِ [4]
عَشِيَّـةَ أنْسَيْنا قَبيصـةَ نَعلَه فراحَ الفـتى البـكرىُّ غيرَ منعَّلِ

---

(١) الخفرات : جمع خفرة ؛ وهى الشديدة الحياء .
(٢) الطرف : الـكريم من الخيل .
(٣) الندمان والنديم بمعنى .
(٤) المـكاس : انتقاص الثمن فى البيع واستحطاطه .

كان رجل من بنى ضَبَّة عدوًّا للشَّمَرْدَل ، وكان نازلا فى بنى دارِم بن مالك ، ثم خرج فى البعث الّذى بعث مع وَكيع ، فلمّا قُتِل إخوَة الشَّمَرْدَل وماتوا ، بلغه عن الضَّبّيّ سرورٌ بذلك وشماتةٌ بمصيبته ، فقال :

يأيّها المُبْتَغِى شَتْمِى لأشتُمَهُ   إن كنتَ أعمَى فإنِّى عنكَ غيرُ عَمِ
وما بناءٌ وإن شُدَّت دَعائِمُه   إلَّا سيُصْبِح يوما خاوِىَ الدِّعَمِ
لئن نَجَوْتَ من الأحداث أو سَلِمَتْ   منهنّ نفسُك لم تَسْلَمْ من الهَرَمِ

وكان الشَّمَرْدَل صاحبَ قَنَص وصَيْد وجَوارح ، وله فى الصَّقْر والكَلْب عِدَّة أراجيز .

ذكر شَارية*

هى من مولَّدات البَصْرة ، كان أبوها رجلا من بنى سَامة بن لؤىّ المعروفين ببنى ناجية ، جَحَدها[1] .

وأمّها أَمَة ، فدخلتْ فى الرِّقّ ، وقيل : بل سُرِقت فبِيعت ، فاشترتْها امرأةٌ من بنى هاشم ، فأدّبتْها وعلّمتْها الغِناء ، ثم اشتراها إبراهيمُ بنُ المهدىّ ، فأخذتْ غِناءَه كلَّه أو أكثرَه ، وبذلك يحتجّ من يقدّمها على غيرِها .

وصنّف ابنُ المعتزّ كتاباً فى أخبارها ، وذكر أنّها كانت لامرأة بَصْريّة من الهاشميّات ، من وَلَد جعفر بنِ سليمان ، فحملتْها لتبيعَها فى بغداد ، فعُرِضت على إسحاقَ بن إبراهيمَ الموصلىّ ، فأعطاها ثلاثمائة درهم ، واستغلاها بذلك ، ولم يَزِدْها .

فجىء بها إلى إبراهيمَ بنِ المهدىّ ، فعُرِضت عليه ، فساوَمَ بها ، فقالت له مولاتُها : قد بَذَلَ لنا إسحاقُ ثلاثمائةِ درهم ، وأنت ـ أعزّ اللهُ الأميرَ ـ أحقُّ بها ، فقال : زِنُوا لها ماقالت ، فوُزِنَ لها ، ثمّ دَعَا بقيِّمته ، فقال : خذى هذه الجارية ولا تُرِينيها[2] لسنة[2] ، وقولى للجوارى يطرحنَ عليها .

فلمّا كان بعد سنة أُخرِجت إليه ، فنظَرَ إليها ، وسَمِعَ منها ، فأرسل إلى إسحاق ابنِ إبراهيم ، ودعاه فأراه إيّاها ، وأسمَعَه غِناءها ، وقال : هذه الجارية تُباع ، فبِكَمْ تأخذها لنفسك ؟ فقال : آخُذُها بثلاثة آلاف درهم ، وهى رخيصةٌ بها .

فقال إبراهيم : أفتعرفها ؟ قال : لا . قال : هذه الجارية الّتى عرضَتْها الهاشميّة

---

* ترجمتها فى الأغانى ١٦ : ٣ ـ ١٦ (طبعة دار الكتب).

(١) الأغانى : « وأنه جحدها » .

(٢) الأغانى : « سنة » .

بثلاثمائة درهم فلم تقبلها . فبقى إسحاقُ يَعجَب من حالها ، وما أُنقلبت إليه . وكانت لها أمٌّ حَبَشيّة تَدَّعى أنّها بنت محمد بن زيد ، من بنى سامة بنِ لؤىّ .

وقيل : كانت تدّعى أنها من بنى زُهْرة ، فجىء بشارية إلى بغداد ، وعُرِضتْ على أبن المهدىّ ، فأُعجِب بها إعجابا كثيراً ، وبلغتْ ثمانية آلاف درهم ، ولم يكن عند إبراهيمَ درهمٌ ولا دانِق .

قال هِبَة الله بنُ إبراهيم : قال لى أبى : ويحك ! قد والله أعجبتْنى هذه الجارية إعجابا شديدا ، وليس عندنا شىء . فقلت : نبيع ما نَملِكه حتّى الخزَفَ(١) ونجمع ثمنها .

فقال لى : قد تفكّرت(٢) فى شىء ، اذهب إلى علىّ ابنِ هشام فأقرِئه منّى السّلام ، وقل له : جعلتُ فِداك ! عُرِضتْ علىّ جاريةٌ وقد أخذتْ بمَجامِع قلبى ، وليس عندى شىء ، وأحبّ أن تُقرِضنى عشرةَ آلافِ درهم .

فقلت له : إنّ ثمنَها ثمانية آلافِ درهم ، فلم تُكثر على الرّجل بعشرة آلافِ درهم؟ فقال : إذا أشتريْناها بثمانية آلافٍ ، ليس لنا بدٌّ من أن نَكسوَها بألفين ، فصِرْتُ إلى علىّ بن هشام وأبلغتهُ الرسالة . فدعا بوكيلٍ له ، وقال : ادفع إلى خادمه عشرين ألف درهم ، وقل له : أنا لا أصِلكُ ، ولكن هى لك حلال فى الدنيا والآخرة ، فصرت إلى أبى بالدراهم ، فلو طلعتْ عليه الخلافة لم تكن تَعدِل عنده تلك الدّراهم .

وكانت أمّها كلّما لم يُعطِ إبراهيمُ أبنتَها ما تشتهى ترفَع قصّته إلى المعتصم ، وتسألُه أن تأخذ أبنتها من إبراهيم .

---

(١) كذا فى الأغانى ، وفى ب ، ج : « حتى الأخرق » .
(٢) الأغانى : « فكرت » .

قال يوسف بنُ إبراهيم المصريّ ، صاحب إبراهيم : وجّه بى إبراهيم إلى عبدِ الوهّاب بنِ علىّ فى حاجة ، فلقيتُه وانصرفتُ من عنده ، فلم أخرج من دِهليز الباب حتى استقبلَتْنى امرأة ، فلمّا لَصِقتْ بى سترتْ وجهها ، فأخبرنى شاكِرِىٌّ[1] أنّ المرأة أمُّ شارية جارية إبراهيم .

فبادرتُ إلى إبراهيم وقلت له : أدرك ، فإنى رأيتُ أمّ شارية فى دار عبدِ الوهّاب ، وهى مَن تعلَم ، وما تَفْجَؤُكَ إلّا بحيلةٍ قد أوقعتها .

فقال لى فى جواب ذلك : إنّ جاريتى شارية صدقةٌ على ميمونة بنت إبراهيم ابن المهدىّ ، ثم أشهد ابنه هبة الله على ذلك ، ثم أمرنى بأن أذهب إلى دار ابن أبى دُوَاد وإحضار مَنْ أقدر عليه من الشهود المعدَّلين عنده ، فأحضرت عشرين شاهدا ، وأمر بإخراج شارية فخرجت .

فقال لها : أسفِرى عن وجهك ، فجزعت من ذلك ، فأعلمَها أنه إنما أمرها بذلك لخيرٍ يريده بها ، ففعلت . فقال لها : تسمَّىْ ، فقالت : أنا شارية ، فقال لهم : تأملوا[2] وجهَها ، ففعلوا ، فقال : إنّى أُشهِدكم أنّها حُرَّةٌ لوجه الله تعالى ، وأنى قد تزوّجتها ، وأصدقتها عشرةَ آلافِ درهم ، يا شاريةُ مولاة إبراهيم ، أرضيتِ ؟ قالت : نعم يا سيّدى قد رضيتُ ، والحمد لله على ما أنعمْتَ به علىّ ، فأمرَها بالدّخول ، وأطعَم الشهودَ وطيَّبهم ، وانصرفوا .

فما تجاوزوا دارَ أبى دُوَاد حتى دخل علينا عبدُ الوهاب بن علىّ ، فأقرأ عمّه سلامَ المعتصِم ، ثم قال له : يقول لك أمير المؤمنين : من الفرْضِ علىّ طاعتُك وصِيانتُك عن كلّ ما يضرّك ، إذ كنتَ عمّى وصِنْوَ أبى ، وقد رُفِعَتْ إلىّ قصة :

(١) الشاكرىّ : أحد الجنود الشاكرية ؛ من جند العباسيين .

(٢) كذا فى الأغانى وفى الأصول : « اعلموا » .

أنّ أمّ شارية امرأةٌ من قريشٍ من بنى زُهْرة صَلِيبة(١) ، واحتجّت أنّهُ لا تــكون امرأة من قريشٍ أمةً ، فإن كانت هــذه المرأة صادقةً فى أنّ شارية بنتُها ، وأنّها من بنى زُهْرة ، فمن المحال أن تــكون شارية أَمَةً ، والأَشْبَهُ بك والأَصْلَح إخراجُ شاريةَ من دارك ، وتَدَعها عنــد من تثق به من أهلك حتّى نَــكشف عمّا قالت هذه المرأة . فإن ثبت ذلك أمرتَ من جملتَها عنده بإطلاقها ، وكان فى ذلك الحظّ لكَ فى دِينك ومُروءَتك ، وإن لم يَصِحّ ذلك أُعِيــدت الجارية إليك ، وقد زال عنك القولُ الّذى لا يَلزَمُك .

فقال إبراهيم : فديتُك يا أبا إبراهيم ! هب شارية بنت زُهرة بن كلاب ، أتُنــكر على ابنِ العبّاس بنِ عبد المطّلب أن يكون لها بَعْــلا ! فقال عبد الوهّاب : لا ، فقال إبراهيم : فأبلِــغْ أمير المؤمنين ــ أطال الله بقاءه ــ السّلامَ ، وأخبِره أنّ شارية حُرّة ، وأنه قد تزوّجها بشهادةِ جماعةٍ من العُدول ، وقد كان الشّهود بعدَ منصَرفهم من عنــد إبراهيمَ صاروا إلى أبى دُواد ، فشمّ منهمْ رائحةَ الطّيب ، فأنــكرَه ، فسألهم عنه ، فأَعلَمُوه أنّهم حضروا عِتْقَ شاريةَ وتزويجَ إبراهيمَ إيّاها .

فرَكِب إلى المعتصم ، فحدّثه بالحديث معجّبا له منه ، فقال : ضَلَّ سعىُ عبدِ الوهاب ! ودخل عبدُ الوهّاب على أمير المؤمنين ، فلمّا رآه يمشى فى صحن الدار سَدَّ المعتصمُ أنفَه ، وقال : يا عبدَ الوهّاب ، أنا أشَمُّ رائحةَ صُوفٍ مُحرَق ، وأحسَب عَمِّى لم يَقنَعْ بردّك إلّا وعلى أُذُنك صوفةٌ حتى أحرقها ، فشمِمتُ رائحتَها منك .

فقال له : الأمرُ على ما ظَنَّ أميرُ المؤمنين وأَقْبَح .

ولمّا انصرف عبد الوهاب من عند إبراهيم ، ابتاع إبراهيم شاريةَ من ميمونة بعشرة آلافِ دِرهم ، وسَتَر ذلك عنهــا ، وكان عِتْقُه إيّاها وهى فى مِلك غيره ، ثم أبتاعها من ميمونةَ ، فَحَلَّ له فَرْجُها .

---

(١) الصليبة : الخالصة النسب .

ذِكْرُ الصِّمَّة*

هو الصِّمَّةُ بنُ عبدِ الله بنِ الطُّفَيل بنِ قُرَّةَ بنِ هُبَيْرَةَ بنِ عامرِ بنِ سَلَمةِ الخير ابن قُشَيْر بنِ كَعْب بن رَبيعة بن عامر بن صَعْصَعَةَ بن معاوية بن بكر بن هَوازِن ابن منصور بن عِكْرِمةَ بنِ خَصَفَةَ بنِ قيسِ بن عَيْلان بن مُضَر بنِ نِزار.

شاعرٌ إسلاميٌّ بَدَوِيّ، من شعراء الدولة الأُمويّة. ولقُرَّةَ بنِ هُبَيرة صحبةٌ بالنّبيّ صلّى الله عليه وسلّم، ولمّا وَفَد عليه جدُّه قُرَّة، قال له: يا رسولَ الله، إنّا كنّا نَعبـــد آلهةً لا تَنفَعُنا ولا تضرُّنا. فقال له رسول الله صلّى الله عليـــه وسلّم: نِعْمَ [ذا عقْلا](1)!

وكان من خبرِه أنّه هَـوِىَ امرأةً من بنى عمِّه، يقال لها: العامريّة بنت غُطَيْف ابن حَبيب بن قُرّة بن هُبيرة، فخطَبها إلى أبيها، فأبَى أن يزوِّجَها، وخطبها عامرُ ابنُ بِشر بن مالك مُلاعِب الأسنّة بن جعفر بن كلاب، فزوّجه إيّاها — وكان عامر قصيراً قبيحا — فقال الصمّة فى ذلك:

فإنْ تُنكِحوها عامرًا لاُطّلاعِـكُمْ ... عليـــه يُدَهْدِيكُم برِجْلَيْـــه عامرُ(2)

شبّهه بالُجعَل الّذى يُدَهْدِى البَعْرَة برجليه. فلمّا بَنَى بها زوجُها، وجَد الصِّمّةُ بها وَجْدا شديدا، وحَزِن عليها، فزوَّجَه أهلُه امرأةً منهم يقال لها: خيرة(3) بنت وَحْشِىّ ابن الطُّفَيل بن قُرّة، فأقامَ معها مُقاما يسيرا، ثم رحل إلى الشام غضباً على قومه، وخلّف امرأتَه فيهم، وقال لها:

---

* ترجمته فى الأغانى ٦ : ١ — ٩ (طبعة دار الكتب).

(١) تكملة من الأغانى.

(٢) الأغانى: «يدهدهكم»؛ ودهداه ودهدهه: دحرجه.

(٣) الأغانى: «جبرة».

كُلِى التَّمْرَ حتَّى يَهرَمَ النخلُ واُضفِرِى ... خِطامَكِ لا تَدْرِينَ يَوْمَكِ من أَمْسِ

وقال فى العامريّة أشعارا كثيرة .

رَوَى ابن دَأْب عن جماعةٍ من قُشَير ، أنّ الصِّمّة خرج فى غَزِىٍّ[1] مِن المسلمين إلى الدَّيْلَم ، فمات بطَبَرِستان . وحدّث رجلٌ من أهل طبرِستان كبيرُ السّنّ . قال: بينا أنا يوما أمشى فى ضَيْعة لى فيها ألوانٌ من الفاكهة والزّعْفران وغير ذلك من الأشجار، إذا أنا بإنسان فى البستان مطروحٍ ، عليه ثيابٌ خُلْقان ، فدنوت منه ، فإذا هو يتحرّك ولا يتكلّم ، فأصغيْتُ إليه ، فإذا هو يقول بصوت خَفِىّ :

تَعَزَّ بصبرٍ لا وَجَدِّك لا تَرَى ... بَشامَ الحِمَى أُخرى اللَّيالى الغوابرِ[2]

كأنّ فؤادى من تذكُّرِه الحِمَى ... وأهلَ الحمى يَهفُو به ريشُ طائرِ

فما زال يردّد هذين البيتين حتى فاظَتْ[3] نفسُه ، فسألتُ عنه ، فقيل لى : هذا الصِّمّة بن عبد الله القُشَيرىّ .

قال إبراهيمُ بنُ محمّد بن سليمان الأَزْدِىّ: لو حَلَف حالفٌ أنّ أحسَن أبياتٍ قيلت فى الجاهليّة والإسلام فى الغَزَل قولُ الصِّمّة ما حنث:

حَنَنْتَ إلى رَيَّا ونفسُك باعدَتْ ... مَزارَكَ من رَيَّا وشَعبا كُما مَعَا

فما حَسنٌ أن تأتِىَ الأمرَ طائعاً ... وتجزَعَ أنْ داعِى الصَّبابة أسمَعا

بكتْ عينِىَ اليُمنَى فلمّا زجرتُها ... عن الجهل بعد الحِلْم أسْبَلَتا معا

وأذكُرُ أيّام الحِمَى ثمّ أنثَنِى ... على كَبِدى من خَشْيةٍ أن تَصدَّعا

فليستْ عَشيّاتُ الحِمَى برَواجعٍ ... عليكَ ، ولكنْ خَلِّ عينَيْك تَدمَعا

أما وجلالِ الله لو تَذْكُرِينَنِى ... كذِكْرِيكِ ما كفكفْتِ للعَيْن مَدمَعا

---

(١) الغزى : الجماعة الغازون .

(٢) البشام : شجر طيب الريح والطعم يستاك به .

(٣) فاظت وفاضت بمعنى .

بَلَى وجَـلالِ الله ذِكراً لوَ أنّه ... يُصبّ على صُمّ الصَّفا لتَصدّعا

فلمّا رأيتُ البِشْرَ قد حالَ دُونَنا ... وجالتْ بناتُ الشَّوْقِ تَحْنى فَزُّعا[1]

تَلَفّتُّ نَحو الحَىِّ حتّى وجدتُنى ... وَجِعْتُ من الإصغاء لِيتاً وأَخدَعا[2]

وتُروَى لقيس بن ذَرِيح .

ورَوَى الهيثمُ بنُ عَدىّ أنه لمّا خطب ابنةَ عمِّه ساق أبوه الإبلَ عنه إلى أخيه فى مهر ابنته فعدَّها ، فإذا هى تَنقُص بعيرا ، فقال : لا آخُذُها إلّا كاملة ، فغضِب أبوه وحَلَف لا يَزيده على ماجاء به شيئا ، ورجع إلى الصِّمّة ، فقال له : ما وراءك ؟ فأخبَرَه . فقال : والله مارأيتُ أَلأَمَ منكما ! وإنى لألأَمُ منكما إن أقمتُ .

ثم ركِبَ ناقتَه ، ورَحَل إلى ثَغْرٍ من الثُّغور ، فأقام به حتّى مات ، وقال :

أمِنْ أَجْلِ دارٍ بالرَّقاشَيْنِ أعصفَتْ ... بِها بارحاتُ الصَّيف بَدْءًا ورُجَّعا[3]

---

(١) الأغانى : « وجالت بنات الشوق فى الصدر » .

(٢) الليت : صفحة العنق . والأخدع : عرق فى العنق .

(٣) رواية الأغانى للبيت :

أمن ذِكْرِ داءٍ بالرّقاشَيْن أصبحتْ ... بها عاصفاتُ الصّيف بدءا ورجّعا

وفى الحاشية : « الرقاشان : جبلان بأعلى الشريف فى ملتقى دار كعب وكلاب ؛ ونسب البيت إلى يزيد بن الطثرية » .

ذكر أبي سُفْيان*

هو أبو سُفْيانَ صَخْرُ بنُ حَرْب بن ِ أميّـةَ بن ِ عبدِ شمس بن عبدِ مناف .

وأمّ حَرْب بن ِ أميّـة بنتُ أبي هَمْهَمَة بن ِ عبد العُزّى بن عامر بن عمرو[1] ابن وديعة بن الحارث بن ِ فِهْر[2] بن مالِك بن ِ النَّضْر بن ِ كِنانة .

وأمّ أبي سفيانَ صَفيّـة بنتُ حَرْب بن ِ بُجَيْر بن الهُزَم بن رُوَيْبَـة بن عبد الله ابن ِ عامر بن ِ صَعْصَعَة . وهي عَمّةُ ميمونة أمِّ المؤمنين ، وأمِّ الفَضْل بنت الحارث ابن ِ حَزْن أمّ بني العباس بن ِ عبدِ المطّلب .

وكان حربُ بنُ أميّة قائدَ بني أميّـة ، وكانت الجِنُّ قد قتلتْه هو ومِرداس ابنُ عامر السُّلَميّ ؛ وذلك أنّ حرب بنَ أميّـة لما انصرَف من حرب عُكاظ هو وإخوتُه، مرّ بالقُرَيّة ـ وهي إذ ذاك غَيْضةُ شجرٍ ملتفّ لا يُرام ـ فقال له مِرداس بنُ عامر السُّلَميّ : أما تَرَى هذا الموضع ؟ قال : بلى ، فما له ؟ قال : نِعمَ المُزْدَرَع ؛ فهل لك أن تكون شريكي فيه ، ونحرِّق هذه الغَيْضة ، ثم نَزْرَعُه بعد ذلك ؟ قال ، نعم . فأضرَما النارَ في الغَيْضة ، فلمّا استطارت نارا ، سُمِع فيها أنين وضَجيج ، ثم ظهرتْ منها حيّاتٌ بيضٌ تَطير ؛ حتّى خرجتْ منها ، وسُمِع هاتفٌ من الغَيْضة لما احترقت يقول :

---

* ترجمته في الأغاني : ٦ : ٣٤١ ـ ٣٥٦ (طبعة دار الكتب) .

(١) في الأغاني : « ابن عميرة » .

(٢) كذا في الأغاني ؛ وهو الوجه ، وفي ب ، ج : « ابن فهم » .

وَيْلٌ لِحَرْبٍ فارِساَ مطاعِناً مُخالساَ
وَيْلٌ لعمْرو فارساَ إذ لَبِسوا القَوانِسا[١]
لَنَقْتُلَنْ بقَتْلِه جَحاجِحاً عَنابساَ[٢]

ولم يلبثْ حربُ بنُ أميّة ومرداسُ بنُ عامر أنْ ماتَا ، فأمّا مِرداسٌ فدُفِن في القُرَيّة ، ثم أدّعاها بعد ذلك كليب بن عَهْمة السُّلَمِيّ .

وكان أبو سُفيانَ سيّدًا من سادات قريشٍ في الجاهليّة ، ورأساً من رءوس الأحزاب على رسول الله صلّى الله عليه وسلّم في حياته ، وكهفاً للمنافقين في أيّامه ، وأسلَم يومَ الفتْح ، وكان تاجراً يجهِّز التجارات من مالِه وأموالِ قريشٍ إلى العَجَم .

وشَهِد مع رسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم مَشاهِدَه بعدَ الفتْح ، وفُقِئَتْ عينهُ يوم الطائف ، فلم يَزَلْ أعورَ إلى يوم اليَرْمُوك ، ففُقِئَت الأخرى يومئذ ، فعَمِيَ .

وسُمِع أبو سفيانَ يوماً يُمازِح النبيَّ صلّى الله عليه وسلّم ، ويقول : ما هو إلّا أن حارَبْتُك حتى حارَبَك الناسُ[٣] ، ورسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم يَضحَك ويقول : أنتَ تقول ذلك يا أبا حَنْظَلة[٤] ! وذلك في بيت أبنتِه أمِّ حبيبة ، ويقول : إنْ هو إلا أن تركْتُك ، فتركَتْك العرب ، فما انتَطَحَتْ جَمّاءُ[٥] ولا ذاتُ قَرْن .

وتزوّج رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم أمَّ حبيبةَ بنت أبي سُفْيان وأبو سُفيانَ

---

(١) القوانس : جمع قونس ؛ وهو أعلى البيضة .

(٢) الجحاجح : جمع جحجح ؛ وهو السيد العظيم . والعنابس من قريش أولاد أمية بن عبد شمس الستة . حرب وأبو حرب وسفيان وأبو سفيان وعمرو وأبو عمرو .

(٣) الأغاني : « والله إن هو إلا تركتك فتركك العرب فما انتطحت جماء ولا ذات قرن » .

(٤) حنظلة ابن لأبي سفيان ، قتله علي بن أبي طالب يوم بدر .

(٥) الجماء : الشاة التي لا قرن لها .

مُشرِكٌ يُحارِب رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم ، فقيل : إنّ محمدا قد نَكَح ابنتَك ، فقال : ذاكَ الفَحْلُ لا يُقدَع أَنْفُه[1] .

واسمُ أمِّ حبيبة رَمْلة ، وقيل: هَيْفاء[2] ، والصحيح رَمْلة .

حدّث أبو سُفيانَ بنُ حَرْب قال : كنّا قوما تُجّارا ، وكانت الحربُ بيننا وبينَ رسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم قد نَهَكَتْ[3] أموالَنا ، فلمّا كانت هُدْنة الحُدَيْبِيَة ، خرجتُ فى نفرٍ من قريش إلى الشّام ، فقدِمْناها حين ظَهَر هِرَقْل على ما كان من بلادِه مِن الفُرْس ، فأخرَجَهم منها ، ورَدّ عليه صَليبَه الأعظم ، وقد كان استلبوه إيّاه ، فلمّا بلغه ذلك ـ وكان منزلُه بحِمْص من أرضِ الشام ـ خرج منها يَمْشِى إلى بيت المَقدِس ليصلّىَ فيه ، تُبسَط له البسط ، ويُطرَح له عليها الرَّيْحان ، حتى انتهى إلى إيلياءَ ، فصلّى بها . فأصبح ذات غداةٍ وهو مهمومٌ يقلّب طَرْفَه إلى السّماء ، فقالت بَطارِقَتُه :

أيّها المَلِك ، لقد أصبحتَ مهموما ، فقال : أجَلْ ، فقالوا : وما ذاك ؟ فقال : أُرِيتُ فى هذه الليلة أنّ مُلْك الخِتان ظاهر ، فقالوا : واللهِ ما علِمْنا أُمّةً من الأُمم تَختتِن إلّا اليهود ، وهم تحتَ يدَيْك ، وسلطانِك ، فإن كان هذا قد وقع فى نفسِك منهم ، فابعثْ فى مملكتِك كلِّها ؛ لا يَبقَى يهوديٌّ حتّى تُضرَب عُنُقُه ، فتَستريحَ من هذا الهمّ .

فإنّهم فى ذلك فى رأيِهم يدبّرونه ، إذ أتاهم رسولُ صاحبِ بُصْرَى برجلٍ من العرب ، قد وَقَع إليهم . فقال : أيّها المَلِك ، إنّ هذا رجلٌ من العَرَب من أهل الشاءِ والإبِل يحدّثك عن حدَثٍ فى بلاده ، فسَلْه عنه .

---

(١) فحل لا يقدع أنفه ؛ أى لا يضرب أنفه لكرمه .

(٢) الأغانى : « هند » .

(٣) نهكت أموالنا : أتت عليها .

فلمّا انتهى قال لترجمانه : سَلْه ما الخبر ؟ قال : رجلٌ من العرَب من قريش يَزعُم أنّه نبيّ ، وقد تَبِعه قومٌ وخالَفَه آخرون ، وكانت بينهم مَلاحم فى مَواطن ، فخرجتُ من بلادى وهمْ على ذلك . فلمّا أخبَرَه الخبَر ، قال : جرِّدوه ، فإذا هو مَختون ، فقال: هذا والله الذى أُرِيتُ لا ما تقولون ، أَعطِه ثوَابَهُ ، انطلِق لشأنك . ثم دعا صاحبَ شُرْطته ، فقال : قَلِّب لىَ الشامَ ظَهْرا وبَطْنا ، حتى تأتيَنى برجل من قوم هذا أسأله عن شأنِه .

قال أبو سفيان : فوالله إنى وأصحابى لَبِغَزَّةَ إذ هجم علينا فسألَنا مَن أنتم ؟ فأخبَرْناه ، فساقنا إليه جميعا ، فلمّا انتهَيْنا إليه ؛ ما رأيتُ من رجل قطُّ أَزْعُم أنّه كان أدهَى من ذلك الأقْلف[1] ! يعنى هِرَقل . فقال لنا : أيُّكم أمَسُّ به ؟ فقلت : أنا . فقال : أدنُوه منّى ، ثم أَجلَس أصحابى خَلْفى ، وقال : إن كَذَب فرُدُّوا عليه .

فقال أبو سُفْيان : ولقد عرفتُ أن لو كَذبتُ ما رَدُّوا علىّ ، ولكن كنتُ أمرأً سيّدًا ، أتكرّم وأستحِى من الكَذِب ، وعرفت أنّ أدنى ما يكون فى ذلك أن يردّوه علىّ ، ويتحدَّثوا به عنّى فى مكّة ، فلَمْ أكْذِبه ، فقال: أخبِرْنى عن الرّجل الّذى خرج فيكم ؛ فزهَّدْتُ له شأنَه ، وصغّرتُ أمرَه ، فوالله ما ألتفَت إلى ذلك منّى . وقال : أخبِرْنى عمّا أسألك عن أمرِه ، كيف نسبُه فيكم ؟ فقلت : محضٌ[2] ، مِن أَوْسَطِنا نَسبا .

قال : فأَخبِرْنى ، هل كان من أهل بيتِه أحدٌ يقول مِثلَ قوله ، فهو يتشبّه به ؟ فقلتُ : لا ، فقال : أخبِرْنى هل كان له فيكم مُلْك فاستلَبْتموه إيّاه ، فجاء بهذا الحديث لتردّوا عليه مُلْكَه ؟ فقلتُ : لا ، قال : فأَخبِرنى عن أَتباعِه مَن هم ؟

---

(١) الأقلف : الذى لم يختن ، وفى الأغانى : « الأغلف » وهما سواء .

(٢) المحض : الخالص النسب .

فقلت : الأحداثُ والضُّعفاء والمساكين(١) ؛ فأمّا أشراف قومه ، وذوو الشأن منهم(٢) فلا . قال : فأَخبِرنى مَن يَصحَبه(٣) ؛ أيحبّه ويكرِمه أم يَقْلِيه ويفارقه ؟ قلت : قلَّما صَحِبه رجلٌ ففارَقَه .

قال: فأَخبِرْنى عن الحرب بينكم وبينه ؟ فقلت: سِجالٌ يُدالعلينا ، ونُدَالعليه. قال : فأَخبِرنى هل يَغْدِر ؟ فلم أَجِــدْ شيئاً أَغمِز فيه إلّا هــذه ، فقلت : لا ، ونحن فى هُدْنَة(٤) ، لا نأمَن غَدْره ، فوالله ما ألتفتَ إليها منّى، وأعاد إلىّ الحديث .

فقال : زَعمتَ أنّه مِن أمحضِكم نَسَباً ، وكذلك يأخذُ اللهُ النبىَّ إذا أخَـذه ؛ لا يأخُذُه إلّا مِن أَوْسَط قومه ، وسألتُك : هل كان من أهل بيته أحد يقول مثلَ قوله فهو يتشبّه به ؟ فقلتَ : لا ، وسألتُك : هل كان له مُلْكٌ فاستلبْتُموه إيّاه فجاء بهذا الحــديث لتَرُدُّوا عليه مُلْـكَه ؟ فقلتَ : لا ، ولو كان من آبائه مَلِك قلتُ : رجلٌ يَطلب مُلْكَ آبائه ، وسألتُك عن أَتْباعه ، فقلتَ : إنّهم الأحداث والمساكين والضعفاء ، وكذلك أَتباعُ الأنبياء فى كلّ زمان ، وسألتُك عمّن يتّبعه ، أيحبُّه ويكرِمُه ، أمْ يَقْلِيه ويفارقه ؟ فزعمتَ أنّه قلّ مَن يَصحَبه فيُفارقه ، وكذلك حلاوةُ الإيمان لا تَدْخُل قَلْباً فتَخرج منه . وسألتُك : كيف الحَرْب بينكم ؟ فزعمتَ أنّها سِجال ، وكذلك يكون حربُ الأنبياء ، ولهم تكون العاقبة . وسألتُك : هل يَغْدِر ؟ فزعمتَ أنّه لا يَغْدِر ؛ فإنْ صدقتَنى ليَغلِبَنِّى على ما تحتَ قدمىَّ هاتَيْن ، ولوَدِدْتُ أَنِّى عَبْدُه(٥) فأغسِلُ قدميه ؛ انطلق(٦) لشأنك .

(١) زاد فى الأغانى بعد هذه الكلمة : « من الغلمان والنساء » .

(٢) فى الأغانى : « فأما ذوو الأسنان من الأشراف من قومه فلم يتبعه منهم أحد » .

(٣) الأغانى : « يتبعه » .

(٤) كذا فى ب ، ج وفى الأغانى : « مدة » .

(٥) الأغانى : « عنده » .

(٦) كذا فى الأغانى ؛ وهو الوجه؛ وفى ب ، ج : « الحق بشأنك » .

فقمتُ وأنا أَضرِب بإحدَى يَدَيَّ على الأخرى ، وأقول : أيْ عِبادَ الله ، لقد أَمِرَ[1] أَمْرُ ابنِ أبي كَبْشَة[2] ! إنّ ملوكَ بني الأصْفَر[3] يخافونه في سُلْطانِهم .

وعن ابن عبّاس : أنّ رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم لمّا عزم على فتح مكّة ، خرج لعشرة مضَيْنَ من شهرِ رَمَضان ، فصامَ وصامَ النـاسُ معه حتّى إذا كان بالكَديد أفطَرَ ، ثم مَضَى رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم حتى نَزل مَرَّ الظَّهْران في عشرةِ آلافٍ من المسلمين ، وقد عمِيَت الأخبارُ عن قُرَيش فلا يأتيهم خبرٌ عن رسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم ، ولا يَدْرُون ما هو فاعل !

فخرج في تلك اللّيـلة أبو سفيانَ بنُ حَرْب ، وحَكيم بنُ حِزام ، وبُدَيْل ابنُ وَرْقاءَ يتَجَسَّسون وينظرون ، هل يَجِدون خَبَرًا أو يَسْمَعونه !

قال العبّاس : فقلتُ : واصباحَ[4] قريشٍ إنْ دخلَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلّم مكّة عَنوة قبلَ أن يَأْتُوه فيستأمِنوا منه ، إنّه لَهلاكُ قُرَيش إلى آخرِ الدَّهْر .

قال : فركبتُ بغلةَ رسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم البَيْضاء ، فخرجتُ عليها حتى جئت الأَراكَ[5] أقول : لعلّي أَلقَى بعضَ الحطّابة ، أو صاحبَ أُتُنٍ[6] ، أو ذا حاجةٍ يأتيهم فيخبرهم بمكانِ رسولِ الله صلّى الله عليه وسلم ؛ لِيَخرجوا إليه ، فوالله إني

---

(١) أمِر : عظم .

(٢) أبو كبشة ، رجل من خزاعة خالف قريشا في عبادة الأوثان ، وعبد الشعرى العبور ؛ فسمي المشركون النبيّ صلى الله عليه وسلم : « ابن أبي كبشة لخلافه إياهم إلى عبادة الله ؛ تشبيها له بأبي كبشة الذي خالفهم إلى عبادة الشعرى . وقال بعضهم : أبو كبشة كنية وهب بن عبد مناف ؛ جد رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ اللسان (كبش) .

(٣) بنو الأصفر : لقب ملوك الروم عند العرب .

(٤) واصباح ؛ مما يستعمل في الإشفاق من المكروه .

(٥) الأراك : واد قرب مكة .

(٦) في الأغاني : « صاحب لبن » .

لأسيرُ فألتمس ما خرجتُ إليه إذْ سمعتُ كلامَ أبى سُفْيان ، وبُدَيْل بن وَرْقاء ؛ وأبو سفيانَ يقول : ما رأيتُ كالليلة نيراناً قطّ ولا عَسْكَرا !

فعرفتُ صوتَ أبى سُفْيان ، فقلت : ياأبا حَنْظَلة ! قال : فعرَفَ صوتى ، فقال : أبو الفَضْل ! قلتُ : نعم ، قال : ما وراءكَ ؛ فِداكَ أبى وأمى ! قلت : وَيْلك ! هذا رَسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم فى النّاس ، واصباحَ قُرَيش ! فقال : ما تأمُرُنى ؟ قلت : تركَب عَجُزَ هذه البغلة ، فأستأمِنُ لكَ رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم ، فوالله لئن ظَفِر بك ليَضرِبَنّ عُنقَك . فردِفَنِى ، فجئت به أركُض نحوَ رسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم ؛ وكلّما مررتُ بنارٍ من نِيران المسلمين فنظَروا إلىّ يقال : عَمُّ رسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم قَدِم على بَغْلةِ رسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم ، حتّى مررتُ بنارِ عُمَرَ بنِ الخطّاب رضى الله عنه ؛ فقال : أبو سُفْيان ! الحمد لله الذى أمكنَ منك بغيرِ عَهْد ولا عَقْد ! ثم اشتدّ نحوَ النبىّ صلّى الله عليه وسلّم ، وركَضتُ البغلةَ حتّى اقتَحمتُ على باب القُبّة ، وسَبَقْتُ عُمر بما تَسبِق به الدّابة البطيئة والرجلُ البَطىء .

فدخل عمرُ عَلى رسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم ، فقال : يارسولَ الله ، هذا أبو سُفيانَ قد أمكَن الله منه من غير عَهْد ولا عَقْد ، فدَعْنى أضربْ عُنُقَه !

فقلتُ : يارسولَ الله ، قد أجَرْتُه ، ثم جلستُ إلى رسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم ، فأخذتُ برأسه ، فقلت : والله لا يُناجيه اليومَ أحدٌ دُونى . فلمّا أكثَر فيه عمرُ قلت : مهلًا يا عُمَر ، فوالله ما تَصنع هذا إلّا لأنّه رجلٌ من بنى عبدِ مناف ، ولو كان من بنى عدىِّ بنِ كَعْب مافلتَ هذا !

قال : مهلًا يا عبّاس ، فوالله لَإسلامُك يومَ أسلمتَ كانَ أحبّ إلىّ مِن إسلام الخطّاب لو أسْلَم !

فقال رَسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم : اذهبْ فقد أمّنّاه حتى تَغْدُوَ به بعد الغَداة ،

فرجعتُ إلى منزلى ، فلمّا أصبح غَدَا على رسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم ، فلمّا رآه قال : وَيْحَك يا أبا سُفْيان ! ألم يَأْنِ لكَ أن تَعلَمَ أنّه لا إله إلّا الله !

قال : بأبى أنتَ وأمّى ما أَوْصَلَك وأحلَمَك وأكرَمَك ! لقد ظننتُ أنّه لو كان مع الله عزّ وجلّ إلهٌ لقد أغنَى عنّى شيئا .

فقال : وَيْحك يا أبا سفيان ! ألم يأنِ لك أن تَعلَمَ أنّى رسولُ الله !

فقال : بأبى أنتَ وأمّى ما أوْصَلَك وأحلَمك وأكرَمَك ! أمّا هذه فى النَّفْس منها شىء !

قال العبّاس : فقلتُ له : وَيْحك ! تشهَّدْ شهادةَ الحقّ قبل أن تُضرَب عُنقُك !
قال : فتَشهَّد ؛ فقال رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم للعبّاس حين تشهَّد أبو سُفْيان : انصرفْ يا عبّاس فأجلِسْه[1] عند خَطْم[2] الجبل بمَضيقِ الوادى ؛ حتى تمرّ عليه جنودُ الله عزّ وجلّ .

فقلتُ له : يا رسولَ الله ، إنّ أبا سُفْيانَ رجلٌ يحبّ الفخْر ، فاجعلْ له شيئا يكون فى قومه ، قال : نَعَم ، مَن دخل دارَ أبى سُفيانَ فهو آمِن ، ومن دَخَل المسجِد فهو آمِن ، ومَنْ أغلقَ بابَه فهو آمِن .

فخرجتُ به حتّى جلستُ به عند خَطْم الجَبَل بمَضيق الوادى ، فمرّت به القبائلُ ، فجعل يقول : مَن هؤلاء يا عبّاس ؟ فأقول : سُلَيم ، فيقول : مالى ولسُلَيم! فتمرّ به قَبيلة ، فيقول مَن هؤلاء ؟ فأقول : أَسْلَم ، فيقول : مالى ولأَسْلَم ! وتَمرُّ جُهَيْنة ، فيقول : مَن هذه ؟ فأقول : جُهَينة ، فيقول : مالى ولجُهَيْنة ! حتى مَرّ رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم بالكَتيبة الخضْراء من المهاجرين والأَنْصار فى الحديد ،

(١) فى الأغانى : « فاحتبسه » .
(٢) خطم الجبل : مقدمه .

لا يُرَى منهم إلّا الحَدَق ، فقال : مَن هؤلاء يا أبا الفَضْل ؟ لقــد أصبح مُلْكُ ابنِ أخيك عظيما ! فقلتُ : وَيْحَكَ ! إنها النبوّة ، فقال : نعم ، فقلت : الحق الآن بقومِك فحذِّرْهم ، فخرج سريعا حتّى أتى مكّة فصَرَخ فى المسجد : يا معشَر قريش ، هذا محمّد قد جاءكم بمـا لا قِبَل لـكم به . قالوا : فمَهْ ! قال : مَن دَخَل المسجدَ فهو آمِن ، ومَن دَخَل دارِى فهو آمِن ، ومَن أغلَق بابَه فهو آمِن .

قال عبـد الله بنُ الزّبير : لمّا كان يومُ اليَرْمُوك خلّفنى أبى فأخذتُ فرساً له وخرجتُ ، فرأيتُ جماعةً من الطُّلَقاء فيهم أبو سفيان ، فوقفتُ معهم ، فـكانت الرُّوم إذا هَزَمت المسلمين قال أبو سُفْيان : إنّهم بنو الأَصْفَر ، فإذا كَشفهم المُسلمون قال أبو سفيان :

وبَنُو الأَصْفرِ الـكرامُ ملوكُ الـ ... أَرْضِ لم يَبق منهمُ مذكورُ[1]

فلمّا فتح اللهُ على المسلمين ، حدّثتُ أبى ، قال : قاتَلَه الله ! يَأْبَى إلّا نِفاقا ! أَلَسْنا خيراً له من بنى الأَصْفَر ! ثم كان يأخذ بيَدِى فيَطوف بِى على أصحاب رسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم فيقول : حدِّثْهم فأُحَدِّثُهم فيَعْجَبون من نِفاقه .

دخل أبو سفيانَ على عثمانَ بعد أن كُفَّ بصَرُه ، فقال : هل علينا من عَيْن ؟ فقال له عثمان : لا ، فقال : يا عثمان ، إن الأمرَ أمرُ عالَميّة ، والمُلكَ مُلكُ جاهليّة ، فاجعل أوتادَ الأرض بنى أُمَيّة .

وجاء أبو سفيانَ إلى علىّ بنِ أبى طالب رضى الله عنـه ، فقال : يا أبا الحسَن ، ما بالُ هـذا الأمرِ فى أَضعَف قريش وأقلِّها ! فوالله لئن شئت لأملأنّها عليهم خَيْلًا ورَجْلًا .

---

(١) فى الأغانى : « ملوك الروم » .

فقال له عليّ : يا أبا سفيان ، طالَما عاديْتَ الله تعالى ورسولَه والمسلمين ، فما ضَرَّهم ذلك شيئاً ، إنّا وجدنا أبا بكرٍ لها أهلا !

ولمّا وُلِّيَ عثمانُ ، دخل عليه أبو سُفيانَ فقال له : إنّ الخلافة صارت في تَيْم[1] وعَدِيّ[2] حيث طَمِعَتْ فيها ، وقد صارت إليكم فتلقّفوها تلقُّفَ الكُرَة ، فوالله ما من جَنّة ولا نار ! فصاحَ به عثمان : قُمْ عنّي فَعَل اللهُ بك وفَعَل .

(١) تيم بن مرة بن كعب ؛ قبيلة أبي بكر .

(٢) عدى بن كعب بن لؤى بن غالب ؛ قبيلة عمر بن الخطاب .

حرف الصاد

ذكر صالح أبى عيسى بن الرشيد*

اسمُه صالح ، وقيل: أحْمد . أمّه أمُّ وَلَد بَرْبَرِيّة ، وكان من أحسَن الناس وَجْها ومُجالسةً وعِزّة ، وأمجَنهم ، وأجَدّهم نادرة وأشدّهم عَبَثا .

وكان يقول شِعْرا طيّبا ، وكان إذا عَزَم على الرّكوب جلسَ الناسُ له حتى يرَوْنه لجماله أكثَر ممّا يجلسون للخلفاء، وكان المعتزّ فى طِرازِها ، وما رُئِىَ أحسَنُ من غِنائه، ولا أحسَنُ من وَجْهه .

وقال الرّشيد لأبى عيسى[1] ـ وهو صبىّ ـ : ليتَ جمالَكَ لعبد الله ! يعنى المأمون . فقال له : على أن حظّه منك لى[2] ! فعجب من جوابه على صباه ، وضمّه إليه وقبّله .

وكان المأمون ليلةً مع جماعة يتراءَوْن هلالَ رَمَضان ، [وأبو عيسى معه ، وهو مستلق على قفاه][3]، فرأَوْه ، وجعلوا يَدْعون ، فقال أبو عيسى قولًا أُنكِر عليه فى ذلك المعنى ، كان يسخط بورود[4] الشهر ، فما صامَ بعده . ولمّا قال أبو عيسى :

دعانِىَ شهرُ الصَّوْم لا كانَ مِن شهرِ ولا صمتُ شهراً بعدَه آخِرَ الدَّهْرِ
فلو كان يُعدِينِى الإمام بقدرةٍ على الشَّهْرِ لاستَعْدَيْتُ جَهْدى على الشهر

نَاله[5] ، عَقِبَ[6] هذا القول صَرْع ، فكان يُصرَع فى اليوم مرّات إلى أن مات ولم يَبلُغ شهرا مثلَه[7] .

---

* ترجمته فى الأغانى ١٠ : ١٨٧ ـ ١٥٣ (طبعة دار الكتب) .

(١) الأغانى : « لأبى عيسى ابنه » .

(٢) كلمة « لى » ساقطة من ج ؛ وهى فى ب والأغانى .

(٣) من الأغانى .

(٤) كذا فى ب ، وفى الأغانى : « لورود » ، وفى ج : « برود » ؛ تصحيف .

(٥) كذا فى ب ، وفى الأغانى : « فناله » ، وفى ج : « قاله » تصحيف .

(٦) كذا فى ج ، وفى ب : «عقيب» ، وفى الأغانى : «بعقب» . (٧) الأغانى: « آخر » .

كان أبو عيسى بنُ الرشيد وطاهر بن الحسين يتغدّيان مع المأمون ، فأخذ أبو عيسى هِنْدَباءة[1] فغمسها فى الخلّ ، وضرَبَ[2] بها عينَ طاهر الصحيحة ، فغضب طاهر وشقّ عليه ذلك[3] ، وقال : يا أمير المؤمنين، إحدى عينيّ ذاهبة، والأخرى على يَدَيْ عَدْلٍ ؛ يُفعل هذا بى بين يديك !

فقال المأمون : [يا أبا الطيب][4] إنه والله يَعْبَث بى أكثر من هذا العبث .

وكان المأمون يخطب يوم الجمعة على المنبر بالرُّصافة ، وأخوه أبو عيسى تلقاء وَجْهِه فى المقصورة ، فأقبل يعقوب بن المهديّ ، وكان أفسى الناس ، معروفاً بذلك ، فلمّا أقبل وَضَع أبو عيسى كمّه على أنفه ، وفهم المأمون ما أراد ، فكاد أن يضحك .

فلما انصرف بعث إلى أبى عيسى فأحضره ، فقال : والله لهممتُ أن أبطَحك[5] فأضربك مائةَ سوط[6] ، ويلك ! أردْتَ أن تفضَحنى بين أيدى الناس يوم جمعة ، وأنا على المنبر ! إياك أن تعود لمثل ذلك[7] !

وكان يعقوب بن المهديّ لا يقدر أن يمسك الفُسَاء إذا جاءه ، فاتخذت دايةٌ له مُثَلّثةً وطيّبتها ، وتنوّقت فيها ، فلما وضعتْها تحتهُ فسا ، وقال : هذه ليست بطيّبة . فقالت له الدّاية : فديتُك ! هذه كانت طيّبة وهى مُثَلّثة ، فلمّا ربّعتَها فَسَدَت .

---

(١) الهند باءة : صنفان من النبات : أحدهما قريب الشبه من الخس عريض الورق ، والآخر أدق وأرق منه : وفى طعمة مرارة . مفردات ابن البيطار ٢ : ١١٨ .

(٢) كذا فى الأغانى ، وفى ب ، ج : « فرت بها عين طاهر الصحيحة » .

(٣) ساقطة من ج ، وفى الأغانى : « وشق ذلك عليه » .

(٤) من الأغانى .

(٥) بطحه : ألقاه على وجهه .

(٦) الأغانى : « درة » .

(٧) الأغانى : « هذه » .

وكان المأمون أشدّ النّاسِ حُبًّا لأبى عيسى أخيه ، وكان يُعدُّه للأمر[١] بعده ، وكان يقول : إنه ليسُهلُ علىّ أمر الموت وفقد المُلْكِ ، ولا يسهل[٢] شىء منهما على أحَدٍ ، وذلك لمحبتى أن يَلِىَ أبو عيسى الأمر من بعدى ؛ لشدّة حبّى إياه .

وقيل : كان سبب موت أبى عيسى أنه كان يحبّ صيد الخنازير ، فوقع عن دابّته ، فلم يسلَمْ دِماغه ، وكان يختبط[٣] فى اليوم مراتٍ حتى مات .

قال محمد بن عبّاد المهلّبى : لما مات أبو عيسى بن الرّشيد ، دخلت إلى المأمون وعِمامتى علىّ ، فخلعت عِمامتى ونبذتها ورائى[٤] ، والخلفاء لا تُعزَّى فى العمائم — فقال لى : يا محمّد ، حال القَدَر دون الوَطَر ، فقلت : يا أمير المؤمنين ، كلّ مصيبة أخطأتك شوًى[٥] ، فجعل الله الحزن لك لا عليك !

وكانت وفاته سنة سبع ومائتين وصلّى عليه المأمون ، ونزل فى قبره ، وامتنع من الطعام أياما ؛ حتى خاف أن يَضُرّ ذلك به ؛ وكان قد وَجَد عليه وجْدًا شديدا ، وركب إلى داره حتى حَضَر أمره . وما رُئِىَ مصاب حزين أجمل أمراً فى مصيبته ، ولا أحرق منه ، من رجل صامت ، دموعه تجرى على خديه من غير كالح[٦] ، ولا استنثار[٧] ، ولم يبك ويمسح عينيه.

---

(١) كذا فى الأغانى ، وفى ب ، ج : « الأمر » ، تصحيف .

(٢) كذا فى ج ، وفى ب : « ولم يسهل » ، وفى الأغانى : « وما يسهل » .

(٣) فى الأغانى : « يتخبط » .

(٤) الأغانى : « وراء ظهرى » .

(٥) الشوى : الأمر الهين ، وفى الأغانى : « هين » .

(٦) كذا فى الأصول ؛ والذى فى كتب اللغة : كلح وجه الرجل كلوحا وكلاحا : تكشر فى عبوس

(٧) الاستنثار : إخراج ما فى الأنف من أذى .

وكان أحمد بن أبي دُواد حاضرا ، وعمرو بن مسعدة ، فتمثّل أحمد بن أبي دواد :

نَقْصٌ من الدُّنْيا وأسبابِها نَقْصُ المنايا من بني هاشم

فلم يزل المأمون يبكي وينتحب ثم تمثل[1] :

سَأَبْكِيكَ مَا فَاضَتْ دُمُوعي فإنْ تَغِضْ فحسبك مِنّي ما تُجِنُّ الجوانحُ

كأنْ لم يمت حَيٌّ سِواكَ ولم تقم[2] على أحدٍ إلّا عليك النوائحُ

قال أحمد بن أبي دُوَاد : فالتفت إليّ فقال : هيه يا أحمد ! فتمثّلتُ بقول عَبَدة ابن الطبيب :

عَلَيْكَ سَلَامُ اللهِ قَيْسَ بن عاصمٍ ورحمتُه ما شاء أن يترحَّمَا

تحيةَ من أوْلَيْتَه مِنْكَ نِعْمَةً إذا زارَ عَنْ شَحْطٍ بلادَكَ سَلَّمَا

فما كانَ قَيْسٌ هُلْكُهُ هُلْكَ واحدٍ ولكنَّهُ بُنْيانُ قَوْمٍ تهدّمَا

فبكى ساعةً ثم التفت إلى عمرو بن مسعدة ، فقال : هيه يا عمرو ! فقال : نعم . يا أمير المؤمنين :

بَكَوا حُذَيفةَ لن تُبَكُّوا مِثْلَهُ حتّى تعود قبائلٌ لم تُخْلَقِ

قال : وإذا عَرِيبُ وجواريها يسمعون ما يدور بيننا ، فقالت : اجعلوا لنا معكم في القول نصيباً ، فقال المأمون : قُولِي ، وربّ صواب منك كثير ، فقالت :

كَذَا فَلْيَجِلَّ الْخَطْبُ وَلْيَفْدَحِ الأَمْرُ فليس لعينٍ لم يفض ماؤها عُذْرُ

كأنَّ بني العبّاس يوم وفاتِهِ نجومُ سماءٍ خَرَّ من بينها الْبَدْرُ

فبكى وبكينا ، ثم قال لها المأمون : نوحِي به ، فناحتْ ، وردّ عليها الجواري ، فبكى المأمون حتى قلت : قد فاظت نفسه ، وبكينا معه أحرَّ بكاء ، ثم أمسكت ،

---

(١) الأغاني : « ثم مسح عينيه وتمثل »

(٢) الأغاني : « ولم تنح » .

ثم قال لها المأمون : اصْنَعِى فيه لحنا على مذهب النَّوْح ، وغَنِّى به . ففعلت وغنته على العُود . فلقد بكينا عليه غناء أكثر مما بكينا عليه نوحاً .

دخل أبو العتاهية على المأمون وقد امتنع من الطعام والنوم أياماً فقال له المأمون : حدثنى ياأباإسحاق بحديث بعض الملوك ممن كان فى مثل حالنا وفارقها ، فقال : ياأمير المؤمنين ، لبس سليمان بن عبد الملك أفخرَ ثيابه ، ومسَّ أطيب طيبه ، وركب أَفْرَهَ خَيله ، وتقدَّم إلى جميع من معه أن يركب فى مثل زَيِّه وأكمل سلاحه ، ونظر فى مرآته ، فأعجبته هيئته وحُسْنه . فقال : [أنا][1] الملك الشاب ، ثم قال لجارية له : كيف ترين ؟ قالت :

أنتَ نعم المتاعُ لو كنتَ تَبْقَى غيرَ أنْ لا بقاءَ للإنسانِ
أنتَ خِلْوٌ من العُيُوب ومِمّا يَكْرَه النَّاسُ غيرَ أنَّك فانى

فأعرض بوجهه ، فلم تَدُرْ عليه الجمعة إلّا وهو فى قبره ؛ فبكى المأمون والناس، فما رُئِىَ باكٍ أكثر من ذلك اليوم .

---

(١) تكملة من الأغانى .

ذكر الصّلت الوابصيّ *

هو الصَّلت بن العاصي بن وابِصة بن خالد بن المُغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم الوابصيّ .

تنصَّر فأُلحق ببلاد الروم؛ لأن عمر بن عبد العزيز حدّه في الخمر ، وهو أمير الحجاز فغضب فلحق ببلاد الروم وتنصر ، فمات هنالك نصرانياً .

قال إسماعيل بن حكيم : كنتُ عند عمرَ بن عبد العزيز ، فأتاه البريد من قسطنطينيّة ؛ قال : بينا أنا أجولُ في القسطنطينيّة ؛ إذْ سمِعتُ رجلاً فصيح اللسان ، يتغنّى بصوت شجٍ :

وكم من حرمة بين المصلَّى ... إلى أُحُدٍ إلى الكناف كريم (1)

فسمعتُ غِناءً لم أسمع أحسنَ منه ، فلمّا سمعتُ الغناء وحسنَه ، ولم أدرِ أهو كذلك حسن ؛ أم هو لعربيته وغربة العربية في ذلك المكان (2) ! فدنوتُ من الصوت ، فإذا هو في غُرْفة ، فنزلت عن بغلتي فأوثقتها ثم أصغيت إليه ؛ فإذا هو مستلقٍ على قفاه يغنّي هذين البيتين ، وهو واضع إحدى رجليْه على الأخرى ، فإذا فرغ بكى ما شاء الله ثم يُعيد الغناء ، ففعل ذلك مرّاتٍ ، فقلت : السَّلام عليكم ، فوثب وردّ السلام : فقلت : البُشرى (3) ، قد فكَّ الله أسرَك ، أنا بريدُ أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز

---

* ترجمته في الأغاني ٦ : ١١٦ – ١١٩ (طبعة دار الكتب) .

(١) البيت في الأغاني :

فكَمْ من حُرَّةٍ بين المنقَّى ... إلى أُحُدٍ إلى جنبات ريم

(٢) الأغاني : « أم لغربته وغربة العربية في ذلك الموضع » .

(٣) كذا في الأغاني ، والكلمة وردت محرفة في ب ، ج .

إلى هذه الطاغية فى فلكّ الأسْرَى ، ثم سألت : مَنْ أنت ؟ فقال : أنا الوابصىّ أخذتُ فَعُذِّبت حتى دخلت فى دينهم .

فقلت : فأنت والله أحبّ من أفتديه(١) إلى أمير المؤمنين وإلىّ إن لم تكن دخلْت فى الكفر قال : دخلت فيه(٢) . فقلت : أنشدك الله إلّا أسلمت ! فقال : أأُسلِم ، وهذان ابناى وقد تزوجتُ منهم امرأة ، وهـذان ابناها ، فإذا دخلت المدينة قيل لى : يا نصرانىّ ، وقيل مثل ذلك لولدىّ ولأمّهم ! لا والله لا أفعل . فقلت له : قد كنت قارئا للقرآن فما بقى معك ؟ قال : والله ما أذكر إلّا هذه الآية : ﴿ رُبَمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ ﴾ . فعاودته وقلت له: إنك لا تعيَّر بهذا . قال : فكيف بعبادة الصليب وشرب الخمر وأكل لحم الخنزير ؟ فقلت : سبحان الله أما تقرأ : ﴿ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بالإيمان ﴾، فجعل يعيد علىّ قوله : فكيف بما فعلت ؟ ولم يجبنى إلى الرجوع .

فرفع عمر يديه وقال : اللهمّ لا تُمتْنى حتى تمكِّنَنى منه .

قال : فما زلتُ راجيا دعوة(٣) عمر رضى الله عنه .

(١) كذا فى الأغانى .

(٢) الأغانى : « قد والله دخلت فيه » .

(٣) الأغانى : « راجيا لإجابة دعوة عمر » .

ذكر صخر الجعديّ الخُضْرِيّ

والخُضْرِى[1] مالك بن طريف بن مالك بن خَصَفة بن قيس بن عَيْلَان بن مُضر. وصَخْر أحد بنى جِحاش بن سلَمَة بن ثَعلبة بن مالك بن طرِيف، وسمى ولد مالك بن طريف الخُضْر لسوادهم. وكان مالك شديد الأُدْمة، وخرج ولده إليه، فقيل: الخُضْرِيّ[2]، والعرب تسمى الأسْود أخضر.

شاعر فصيح من مُخضرى الدّولتيْن[3] الأموية والعباسية، وقد كان يتمرّض[4] لابن ميّادة لما انتقض ما بينه وبين الحكم الخُضرىّ من المهاجاة، ورام أنْ يهاجيَه فترَفَّع[5] ابنُ ميادة عنه.

وكان صخر مغرما بكأس بنت بُجَير بن سعد بن كعب بن جُنْدَب، يشبّب بها فلقيَه أخوها وقّاص ـ وكان شجاعا ـ فقال له: يا صَخْر، إنك تشبّب بابنة عمّك ولعمرى ما بها عنك مَذْهب، ولا لنا عنك مرغب، فإن كانت لك بابنة عمك حاجة فهلمّ أزوِّجكها، وإن لم تكن لك فيها حاجة فلا أعلم ما عرضْت [بذكر][6] لها، ولا أسمه منك؛ فوالله[7] إن فعلت ذلك ليخالطنّك السيف.

---

* ترجمته فى الأغانى ١٩: ٦٥ ـ ٦٩ (ساسى).
(١) الأغانى: «والخضرى ولد مالك بن طريف».
(٢) الأغانى: «فقيل لهم الخضر».
(٣) ب، ج: «الدولة»؛ وما أثبته من الأغانى.
(٤) الأغانى: «يعرض».
(٥) فى ب، ج: «رفع»؛ وما أثبته من الأغانى.
(٦) من الأغانى.
(٧) الأغانى: «فأقسم بالله».

فقال له صخر : لا ، بل والله إن بى لأشدّ الحاجة إليها ، فوعده مَوْعدا ، فخرج صخر لموعدِه حتى نزل بإزاء[1] القوم ، فنزل منزلَ الضيف ، فقام وقّاص فذبح ، وجمع أصحابه وأبطأ صخر عليهم ، فلما رأى ذلك بعث إليه : أن هَلُمّ لحاجتك ، فأبطأ ورجع الرسول ، فقال : [ما][2] رأيته إلا بطيئاً ، واستأناه[3] وقّاص فأبطأ ، فلما رأى فعله غضب وقّاص ، وعمَد إلى رَجُلٍ من الحىّ ليْسَ يُعْدل بصخر ، يقال له : حِصْن[4] [وهو مغضب لما صنع][5] ، فحمِد الله ، وأثنى عليه ، وزوّجه أخته[6] ، وافترق من القوم ، فمرّوا بصخر فأعلموه تزويج كأس حصناً ، فرحل عنهم تحت الليل ، واندفع يهجوها بالأبيات التى منها :

وأنـكَحها حِصناً ليطمس حَمْلَهَا وقد حملت من قبل حِصْنٍ وجَرّتِ[7]

وترافع القوم إلى والى المدينة طارق مولى عثمان ، فأقاموا عليه البيّنة بقذف كأس ، فضرب وعاد إلى قومه ، وأسف على مافاته من تزويج كأس ، وطفق يقول فيها الشعر ، فما قاله :

تذكرت كأساً أن سمعتُ حمـامةً بكت فى ذُرَا نَخْلٍ طِوالٍ جريدُها
دعت ساق حُرٍّ فاستجبْتُ لصوتها مولّهةً لم يبـــقَ إلّا شريدُها
فيانفسُ صَبْراً كلُّ أسبابِ واصلٍ سَتُمْلَى لهـا أسبابُ صَرْمٍ تبُيدها
وليلٍ بدت للعين نارٌ كأنّهـا سنا كوكبٍ لا يستبين خُمودُها

(١) الأغانى : « بأبيات القوم » .
(٢) زيادة يقتضيها السياق ؛ وفى الأغانى : « فقال مثـل قوله فأبطأ » .
(٣) استأناه : ترقبه .
(٤) كذا فى الأغانى ، وهو الصواب ، وفى ب ، ج : « حصين »
(٥) تـكملة من الأغانى .
(٦) الأغانى : « كأس » .
(٧) بعده فى الأغانى : «أى زادت على تسعة أشهر».

فقلت عساها نار كأس وعلّها ... تَشَكّى فأمضِى نحوها فأعُودها
فتسمع قولى قبل حَتْفٍ يُصيبنى[1] ... تُسَرُّ بــه أو قبل حتف يصيدُها
كأنْ لم يكن ما كان إلفَى مودّةٍ[2] ... إذ الناس والأيام تَرْعَى عهودُها

وكان صخر بن جَعْد خِدْناً لعوّام بن عُقْبة ، وكان عوّام يهوى امرأة من قومه ، يقال لها : سوداء ، فماتت فرثاها ، فلمّا سمع صخر المرثيّة قال : وددت أن أعيش حتى تموت كأس وأرثيها ، فماتت كأس ورثاها ، فقال :

عَلَى أمِّ دَاودَ السَّلامُ ورحمةٌ ... من الله يجرِى كلَّ يوم كثيرها[3]

وكان الجَعْد المحاربىّ ، أبو صخر [قد عُمِّر][4] حتى خرف ، وكان يكنى أبا الصموت ، وكانت له وليدة يقال لها : سحماء[5] فقالت له يوما : ياأبا الصَّمُوت ، زعم بنوك أنّك[6] إن متّ قتلونى . قال : ولم ؟ قالت : مالى غير حقّ[7] حبى لك ؛ فأعتقها على أن تكون معه ، فأقامت يسيرا ثم قالت : يا أبا الصّموت ، هذا عرابة من أهل المدن يخطبنى ، فقال : أين هذا مما قلت ؟ قالت : [إنه ذو مال][4] وإنما أردت ماله لك ، قال : فأتنى به ، فأتت به ، فزوّجها إياه فولدت له أولادا وقوّته بما كانت تصيبه من الجَعْد ، وكانت تأتى الجَعْد فى الأيام [فتخضب رأسه][4] ثم قطعته ، فأنشأ يقول :

---

(١) فى الأغانى : « يصيدنى » .

(٢) الأغانى :

* كأن لم نكُنْ يا كأسُ إلفَىْ مودّةٍ *

(٣) الأغانى : « بشيرها » .

(٤) من الأغانى .

(٥) الأغانى : « سمحاء » .

(٦) كذا فى الأغانى ، وفى ب ، ج : « إنه » .

(٧) الأغانى : « ذنب غير حبى » .

أمسى عَرابةُ ذا مالٍ وذا ولدٍ   من مالِ جَعْدٍ وَجَعْدٌ غيرُ محمودِ
تظل تُنشقهُ الكافور مُتّكِئاً   على السرير وتعطيني على العُودِ

ولمّا كبر حمَلَهُ بنوه وأتوْا به مكة ، وقالوا له: تعبّدها هنا ، واقتسموا المال الذى كان له ، وتركوا له منه ما يصلحه فقال :

ألا أَبلغْ بنى سَوْداءَ عَنّى[1]   وإن حالتْ جِبالُ الغَوْرِ دُونى
فلم أرَ مَعْشراً تركُوا أباهُمْ   من الآفاق حيثُ تركتمُونى
فإنّى والرّوافض حولَ جَمْعٍ   ومَحْطِمُهُنّ من حَصَبِ الحَجُون
لَوَ أنّى ذو مُدافعةٍ وحَوْلى   كما قد كنتُ أحياناً أكونُ[2]

(١) من الأغانى .

(٢) فى البيت إقواء .

حرف الطاء

طُوَيس*

طويس لقب ، واسمه طاوس ، مولى بنى مخزوم ، وهو أول من غَنَّى الغناء المتقَن من المُخَنَّثين .

(١ وفد على عبد الملك أبَان١) ، فأمَّره على الحجاز ، فأقبل حتى دَنا من المدينة تلقّاه أهلُها ، وخرج إليه أشرافُهَا ، فخرج معهم طُوَيس ، فلمّا رآه سلّم عليه ، ثم قال له : أيها الأمير ، إنّى كنتُ أعطيتُ الله عهداً لئِنْ رأيتُك أميراً لأخضِبَنّ يدىّ إلى المِرْفَقَيْن ، ثم أدق(٢) بالدُّفّ بين يديك ؛ ثم أبْدَى عن دُفّه ، وتغَنّى بِشِعْر ذى يَزَنِ الحِمْيَرِىّ :

ما بالُ أهلِك يا رَبابُ ... خُزْراً كأنَّهُمُ غِضَابُ

إنْ زُرْتُ أهلَكِ أوْعَدُوا ... وتَهِرُّ دُونَهُمُ الكِلابُ

فطرِب أبَان حتّى كاد يَطِير ، ثم جعلَ يقول : حَسْبُكِ يا طاوس ولم يقل له « طُوَيس » لنُبْله فى عَيْنه ، ثم قال له : اجْلِسْ ، فجلس ، ثم قال له أبان : قد زَعَمُوا أنّك كافرٌ ، فقال له : جُعِلْتُ فداكَ ! والله إنّى أشْهَدُ أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، وأصلّى الخمس وأصوم شهرَ رمضان ، وأحجُّ البيت .

---

* ترجمته فى الأغانى ٣ : ٢٧ ، ٤ : ٢٢٠ (طبع دار الكتب) .

(١ ـ ١) الأغانى : « أن أبان بن عثمان وفد على عبد الملك بن مروان » .

(٢) الأغانى : « أزدو » ، وأزدو : أضرب .

قال : أفأنت أكبر أم عمرو بن عثمان ؟ ـ وكان عمرٌو أخا أبانٍ لأبيه وأمّه ـ فقال له طُويس : أنا والله [جعلت فداءك][1] مع جلائِل نساء قومى ، أمْسِكُ بذيولهنّ يوم زُفّت أمُّك المباركة إلى أبيك الطيّب ، فاستحيا أبان ، ورمى بطرْفه إلى الأرض .

وقيل : إنه قال له : يقولون : إنك مشئوم . قال : وفوق ذلك ! قال : وما بَلَغ من شؤمك ؟ قال : وُلِدْتُ ليلةَ قُبِض رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم ، وفُطِمْتُ يوم مات أبو بكر ، واحتلمتُ ليلة قتل عمر ، وزُفِفْتُ ليلة قتل عثمان .

قال : فاخرج عنى ، عليك الدّمار[2] .

قال نوفل بن عُمارة : خرج يحيى بن الحكَم أميرُ المدينة ، فبصُر بشخصٍ فى السَّبخَة ، مِمّا يَلِى الأحزاب ، فلمّا نظر إلى يحيى بن الحكم جلس فاستراب به ، فوجّه أعوانَه فى طلبه ، فأُتِىَ به كأنّه امرأة فى ثياب مصبَّغة مَصْقولة ، وهو مُمْتَشِط مُختَضِب . فقال له أعوانه : هذا ابن نماش[3] المخنث . قال : ما أحسبك تقرأ من كتاب الله شيئا ؛ اقرأ أمّ الكتاب ! فقال له : لو[4] عرفت الأم عرفتُ البنات . قال : أتهزأ بالقرآن لا أمّ لك ! فأمر به فضربت عُنقُه ، وصاح فى المخنّثين ؛ من جاء بواحدٍ منهم فله ثلاثمائة درهم .

قال زرجون[5] المخنّث : خرجت [ابعد ذلك][6] أريد العالية ، فإذا بصوت

(١) تكملة من الأغانى .

(٢) الأغانى : « الدبار » ؛ وهما بمعنى .

(٣) كذا فى ب ، ج ، وفى الأغانى : « نغاش » .

(٤) كلمة « لو » ساقطة من ج ؛ وهى فى ب ، وفى الأغانى : « لو عرفت أمهن عرفت البنات »

(٥) كذا فى الأغانى ، وفى ب ، ج : « زربوح » .

(٦) من الأغانى .

دُفٍّ أعجبني ، فدخلت من الباب حتى فهمت نغمات قومٍ آنسٍ بهم ، فدخلت فإذا بطُوَيس قائم وفى يده الدفُّ يُغنِّى ، فلمّا رآنى قال : إيه يا زَرَجُون ! قتلَ يحيى ابن الحكم ابنَ نُمَاش؟ قلت : نعم ، قال : (١)وجعل فى المخنثين بأسمائهم؟! قلت : نعم ثم قال له : ويحك ! أما جعل فىّ زيادة ، ولا فضّلنى عليهم فى الُجعْل بِفضْل!(١)

قال الُحسَين بن الأشقر : كنت بالمدينة فخلا لى الطريق فى نصف النهار ، فغنّيت :

* ما بال أهلك يا رباب *

فإذا خَوْخَةٌ(٢) قد فتحت ، ووجه قد بدا تتبعُه لحية حمراء ، فقال : يافاسق ، أسأت التّأدية ، ومنعت القائلة ، وأذَعْت الفاحشة ! ثم اندفع يغنّيه ، فظننت أن طُويسا قد نُشِر [بعينه](٣) ، فقلت له : من أين لك هذا الغناء ؟ قال : نشأت وأنا غلام أتَّبِع المغنّين وآخذ عنهم ، فقالت لى أمى : يا بُنَىَّ ؛ إنّ المغَنِّى إذا كان قبيح الوجه [لم يُلتفتْ إلى غنائه ، فدع الغناء ، واطلب الفقه ، فإنّه لا يضرّ مع قبح الوجه](٤)، فتركت المغنين واتبعت الفقهاء ، فبلغ الله بى ما ترى ، فقلت له : أعِدْ ، جعلت فداك ! فقال : لا ، ولا كرامة ، أتريد أن تقول : أخذته من(٥) مالك بن أنس ! وإذا هو مالك ولم أعلم .

(١ ـ ١) العبارة فى الأغانى : «أو جعل فى المخنثين ثلاثمائة درهم؟: قلت : نعم؟ فاندفع يغنى:

ما بالُ أهلك يا ربابُ ... خزرًا كأنّهُمُ غضابُ

إن زرْت أهلكِ أوعدوا ... وتهرّ دونهـــمُ كلاب

ثم قال لى : « ويحك ! أفما جعل فى زيادة ، ولافضلنى عليهم فى الجعل بفضلى شيئا ! » .

(٢) الخوخة : البويب ، أو الباب الصغير فى الباب الكبير .

(٣) من الأغانى .

(٤) تكملة من الأغانى ؛ وبها يتم المعنى .

(٥) الأغانى : « عن مالك » .

ذِكْرُ طُرَيح*

هو طُرَيح بن إسماعيل بن عُبَيد بن أُسَيْد بن عِلاج بن إسماعيل بن أبي سلَمة[1] ابن عبد العُزّى بن عَنَزَة بن عَوْف بن قسِيّ - وهو ثقيف - بن منبّه بن بكر بن هوازن بن منصور بن عِكْرمة بن خصفَة بن قيس بن عَيْلان بن مُضر .

وقيل : إنّ ثقيفا كان عبدالأبي رِغال ، وكان أصلُه من قوم نَجَوْا من ثمُود ، فانتمى بعد ذلك إلى قَيْس .

روى عن علىّ بن أبي طالب رضى الله عنه أنّه مرّ بثقيف فتغامزوا ، فرجع إليهم فقال لهم : ياعبيد أبي رِغَال ، إنّما كان أبوكم عَبْداً له فهرب منه ، فثقِفه[2] بعد ذلك ، ثم انتمى إلى قَيْس .

وقال الحجّاج فى خطبة له بالكوفة : بلغنى أنكم تقولون : إنّ ثقيفاً من بقيّة ثمود ، ويلكم ! هل نجا من ثمود إلا خيارهم ومَنْ آمن بصالح فبقى معه ! ثم قال: الله عز وجل : ﴿ وَثَمُودَ فَمَا أَبْقَى ﴾ .

فبلغ ذلك الحسن البصرىّ ، فتضاحك وقال : حكم أُلَكَع[3] لنفسه ! إنما قال : ﴿ فَمَا أَبْقَى ﴾ ، أى لم يُبْقِهم إنما أهلكهم ، فرُفِع ذلك إلى الحجّاج فطلبه ، فتوارى حتى هلك الحجاج ، وهذا سبب تواريه منه .

وكان حمّاد الرّاوية يذكر أنّ أبا رِغال أبو ثقيف كلّها ، وأنّهُ من بقيّة ثمود ،

---

* ترجمته فى الأغانى ٤ : ٣٠٢ - ٣٢٩ (طبعة دار الكتب) .

(١) كذا فى الأغانى واللآلى ٧٠٥ ومعجم الأدباء ١٢ : ٢٢ ، وفى ب ، ج : « شكر » .

(٢) ثقفه : أدركه وظفر به .

(٣) الأغانى : « لكع » .

وأنّه كان ملكا بالطائف ، وكان يظلم رعيّته ، فمرّ بامرأة تُرضِع صَبِيًّا يتيما بلبَنِ عَنْزٍ لها ، فأخذها منها ، فبقى الصبيّ بلا مرضعة فمات ، وكانت سنة مجدِبة ، فرمَاهُ الله بقارعةٍ أهلكتْه ، فرجمت العربُ قبرَه ، وهو بين مكّة والطائف .

وقيل : بل كان قائد الفيل ، ودليلَ الحبشة ؛ لما غزوا الكعبة ، فهلك فيمَنْ هلك منهم ، فدُفِن بين مكّة والطائف . فمرّ النبيّ صلّى الله عليه وسلّم بقبْره ، فأمر برجْمه ، فصار ذلك سنّة .

ورُوِي عن ابن عبّاس ، قال : كان ثَقِيف والنَّخَع من إياد ، فثقيف : قَسِيّ بن منبّه بن النَّبيت بن أفْصَى بن دُعْمِيّ بن إياد . والنَّخَع بن عمرو بن الطّمنان بن عبد مناف بن يَقْدُم بن أفْصَى ؛ خرجا ومعهما عَنْزٌ لهما يشربان لبنَها ، فعرض لهما مُصَدّق[1] لملك اليمن ، فأراد أخذها فقالا له : إنّما نعيش بِدَرِّها ، فأبى أن يدَعها ، فرماه أحدُهما فقتله ، ثم قال لصاحبه : إنّه لا يحملني وإياك أرض .

فأما النّخَعُ فمضَى إلى بيشة[2] فنزل بها ، وأقام فيها ؛ وأما قَسِيّ فنزل قريبا من الطائف ، فرأى جارية ترعَى غنماً لعامر بن الظَّرِب العَدْوانيّ ، فطمِع فيها ، وقال : أقتلُ الجارية ، وأحْوِى الغنَم ، فأنكرت الجارية منظرَه ، وقالت له : إنى أراك تريد قتلي وأخذَ الغنم ؛ وهذا شيء إن فعلتَه قُتِلْت ، وأخِذَتِ الغنمُ منك ، وأظنّك غريبا جائعاً ؛ فدلّته على مولاها فأتاه ، فاستجاره[3] فزوّجه بنته ، وأقام بالطائف ، فقيل : لله درّه ! ما أثقفه حين ثقِفَ عامراً فأجاره !

---

(١) المصدق : عامل الزكاة الذى يأخذها من أربابها .

(٢) بيشة : أرض باليمن .

(٣) الأغانى : « استجاربه » .

وقد كان مرّ بيهوديّة بوادي القرى[١] حين قتل المُصدّق ، فأعطته قُضْبان كَرْم ، فغرسها بالطائف ، فأطعمتْه ونفعتْه .

قال: ويُعيّر الظَّرِب بتزويجه قَسِيًّا ؛ وقيل : زَوَّجْتَ عَبْداً ، فصار[٢] إلى الكهان يَسْألهم ، فانتهى إلى شِقّ ؛ وكان أمرهم منه ، فلمّا انتهى إليه قال : إنّا قد جئناك في شيء ماهو[٣] ؟ قال : جئتم في قَسِيّ ، وقَسِيٌّ عبد إياد ، أبقَ ليلة الواد ، في وَجٍّ[٤] ذات أنْدَاد ، فوالى سعدًا ليفَاد[٥] ، ثم لوى بغَيْر معاد يعني سعد بن قيس بن عَيْلان بن مُضَر . ثم توجّه إلى سَطِيح ، فقال : إنا جئناك في أمر ، ماهو ؟ قال : جئتم في قَسِيّ ، وقَسِيّ من ثمود القديم ، ولدتْه أمه بصحراء تريم[٦] فالتقطه إيادٌ وهو عديم ، فاستعبده وهو مُليم[٧] . فرجع الظَّرِب وهو لا يدرى ما يأتى[٨] في أمره ، وقد وكّد عليه في الحِلف والتزويج ، وكانوا على كُفْرِهم يقولون فيوفُون بالقول ؛ فلهذا يقول من قال : إن ثقيفا من ثمود ؛ لأن إياداً من ثَمُود .

وقيل: إن حرباً كانت بين إيادٍ وقيس ، وكان رئيسهم عامر بن الظَّرِب ، فظفرت بهم قَيْس فنفتْهُم إلى ثمود ، وأنكروا أن يكونوا من نِزَار .

---

(١) وادى القرى : واد بين المدينة والشام كثيرالقرى ، فتحه النبي صلى الله عليه وسلم عنوة سنة سبع من الهجرة ، ثم صالح أهله على الجزية .
(٢) الأغانى : « فسار » .
(٣) الأغانى . « إنا جئناك في أمر فما هو ؟ » .
(٤) وج : اسم واد بالطائف .
(٥) ليفاد : ليطلق .
(٦) تريم إحدى مدينتى حضرموت والمدينة الأخرى شبام .
(٧) ألام الرجل : فعل ما يلام .
(٨) الأغانى : « ما يصنع » .

وقال عامر بن الظرب فى ذلك :

قالت إيادٌ قــد رأينا نسبـا   فى ابْنَىْ نزارٍ ورأينا غَلَبَا

سِيرى إيادُ قــد رأيت عَجَبَا   لا أصْلُكُمْ مِنّا فسامِى الطَّلبا

* دارَ ثمُود إذ رأيتِ النَّسَبا *

ورُوِى عن علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه أنَّه كان على المنبر بالكوفة ، وذكر ثقيفاً ، فقال : لقد هممت أن أضع الجزية على ثقيف لأن ثقيفاً كان عبداً لصالح النبىّ عليه السلام ، وأنّه سَرّحه إلى عامل له على الصدقة ، فبعث العامل بها معه ، فهرب واستوطن الحرَم ، وإنّ أوْلَى الناس بصالح محمد صلى الله عليه وسلم ، وإنّى أشهدكم أنى قد رددتهم إلى الرّقّ .

وقال ابنُ عباس ـ وقد ذكر عنده ثقيف فقال : هو قَسِىّ بن منبّه ، وكان عبداً لامرأة صالح عليه السلام ، ولما مرّ النبىّ صلّى الله عليه وسلّم بقبر أبى رِغال ، قال : « فيه عمودٌ من ذهب » ، فابتدرَه المسلمون فأخرجوه .

قال الحسن ـ وذكرت القبائل عند النبى صلى الله عليه وسلم فقال : « قبائل تنتمى إلى العرب ، وليسوا من العرب ؛ حِمْيَر من تُبّع ، وجُرْهم من عادٍ ، وثقيف من ثمود » .

روى الزهرىّ أنَّ النَّبىّ صلّى الله عليه وسلم قال : « بنو هاشم والأنصار حِلْفَان ، وبنو أمية وثقيف حِلْفَان » .

ورُوِى عن قَتَادة ، قال : جاء رجلان إلى عمران بن حُصَين فقال : مِمّن أنتما ؟ قالا : من ثَقِيف ، قال لهما : أتزعمان أنَّ ثقيفاً من إياد ؟ قالا : نعم ؛ قال : فإن إياداً من ثَمُود . فشقَّ ذلك عليهما . قال : أساءكما قولى ؟ قالا : نعم والله ، قال : فإنّ الله تعالى أنجى من ثمود صالحا والذين آمنوا معه ، فأنتم إن شاء الله من ذرّيّة مَنْ آمن ؛ وإن كان أبو رِغال قد أتى ما بلغكما ، فقالا له : ما اسم أبى رِغال ، فإنّ النّاس قد اختلفوا علينا فى اسمه ؟ فقال : قَسِىّ بن مُنبّه .

وروى الزهرىّ أنّ النبيّ صلّى الله عليه وسلّم ، قال : « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر [فلا يحبّ ثقيفا ، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر][1] فلا يُبْغض الأنصار » .

وأمّ طُرَيح بنت عبد الله بن سِباع بن عبد العُزّى بن نضلة بن غُبْشَان من خُزَاعة ، وهم حلفاء لبنى زُهْرة بن كلاب بن مُرّة بن كعب بن لؤىّ بن غالب ؛ وسِباع بن عبد العُزّى هو الذى قتله حمزة بن عبد المطّلب رضى الله عنه يوم أحدٍ لمّا برز إليه ، وقال له حمزة : هَلُمّ يابن مقطِّعة البُظُور ـ وكانت أمّه تفعل ذلك ، وتَقْبَل[2] نساء قريش بمكة ـ فحمى وحشىٌّ لقومه ، وغضب لِسِباع فرمى حمزةَ بحربته فقتله .

يكنى طُرَيح بأبى الصّلت ، كُنِى بذلك بابنٍ كان له اسمه الصَّلْت ، وله يقول طُرَيح :

يَا صَلْتُ إنّ أبَاكَ رَهْنُ مَنِيَّةٍ ... مكتوبةٍ لا بُدّ أن يَلْقاها
سبقت سوابقها بأنْفُس مَنْ مضى[3] ... وكذاك يَتْبَعُ باقياً أُخْرَاها

وقال أبو الحسن الكاتب : ماتَتْ أم الصّلت بن طُريح وهو صغير ، فطرحه طُرَيح إلى أخواله بَعْدَ موته ، وفيه يقول :

بَاتَ الخيالُ من الصُّلَيْت مؤرِّقِي ... يَفرِى السَّرَاة مع الرّباب الملثِقِ[4]
ما رَاعَنِى إلّا بَيَاضُ جَبِينه[5] ... تحت الدُّجُنّة كالسِّراج المُشْرِق

ونشأ طُرَيح فى دَوْلة بنى أميّة ، فاستفرغ شعرَه فيهم ، وخاصّةً فى الوليد بن يزيد ، وأدرك دَوْلة بنى العبّاس ، ومات فى أيّام الهادى .

---

(١) من الأغانى .
(٢) تقبل نساء قريش : تتلقى أولادهن عند الولادة .
(٣) فى الأغانى : « سلفت سوالفها » .
(٤) الملثق : البالّ ؛ يقال : لثق الطائر إذا ابتل ريشه ، وألثقه غيره إذا بله .
(٥) الأغانى . « وجيهه » .

وكان الوليد مكرماً له لخئولته فى ثقيف .

قال طُرَيح : خُصِصْتُ من[1] الوليد بن يزيد بقُرْب ؛ حتى كنتُ أخلُوَ معه ، فقلت له ذات يوم ، وأنا معه فى مشرقة[2] : يا أمير المؤمنين ، خالُك يحبّ أن تعلم شيئا من خُلُقه ، قال : وما هو ؟ قلت : لم أشرب شرابا ممزوجا[3] إلّا من لبن وعسل . قال : قد عرفتُ ذلك ، ولم يباعدْك من قلبى .

فدخلت عليه يوما وعنده الأُمَويُّون ، فقال : إلىّ يا خالى ، فأقعدنى إلى جانبه ، ثم أُتِىَ بشراب فشرِب ، وناولنى القدَح ، فقلت : يا أمير المؤمنين ، قد أعلمتُك رأيى فى الشّراب ، قال : ليس لذلك أعطيتُك ، إنّما رفعتُه إليك لتناوله للغلام ، وغضب ؛ ورفع القوم أيديَهم كأنّ صاعقةً وقعت على الخِوان ، فذهبتُ أقوم ، فقال : اقعُدْ ! فلمّا خلا البيتُ علىّ قال لى : يا عاضّ كذا وكذا من أمّه ، أردت أن تفضَحنى ! لوْلَا أنّك خالى لضربتُك ألف سوط ، ثم نَهَى عن إدخالِى ، وقطع عنّى أرزاقِى ، فمكثت ما شاء الله ، ثم دخلتُ عليه يوما متنكّراً ، فلم يشعر إلّا وأنا بين يديْه ، وأنا أقول :

يابنَ الخلائفِ مالِى بعد تَقْرِبَةٍ — إليكَ أُقْصَى وفى حالَيْك لِى عَجَبُ !
كأنّنِى لم يكنْ بيْنِى وبينكمُ — إلٌّ ولا خُلَّة تُرْعَى ولا نَسَبُ[4]
لو كان بالوُدّ يُدْنَى منك أزلفَنِى — بقُرْبكَ الوُدُّ والإشفاقُ والحدَبُ
وكنتُ دونَ رجالٍ قد جعلتَهمُ — دُونِى إذا ما رأوْنِى مُقْبِلًا قَطَبُوا[5]

---

(١) الأغانى : « بالوليد بن يزيد » .

(٢) المشرقة : موضع القعود فى الشمس بالشتاء . وفى الأغانى : « المشربة » ؛ وهى الغرفة .

(٣) الأغانى : « شرابا قط » .

(٤) الإل : العهد .

(٥) قطب الرجل : زوّى ما بين عينيه وكلح .

إنْ يسمَعُوا الخيرَ يُخفُوه وإن سَمِعوا سُوءاً أذاعوا وإن لم يَسْمَعُوا كَذَبُوا[1]
رأوْا صدودَك عَنّى فى اللقاء فقد تَحَدّثُوا أنّ حَبْلى منك مُنْقَضِبُ

فتبسّم ، وأمرنى بالجلوس ، ورجع إلىّ وقال : إياكَ أن تعاود ! وبقية القصيدة :

فَذُو الشَّمَاتَةِ مَسْرورٌ بقصتنا[2] وذُو النّصيحة والإشفاق مكتئبُ
أين الذِّمامةُ والحقّ الذى نَزلتْ بحفظه وبتعظيمٍ له الكُتُبُ
وحَوْكى الشِّعْرَ أُصْفِيه وأنظمه نظم القلائد فيها الدُّرّ والذَّهَبُ
وإن سُخْطَك شىءٌ لم أناج به نفسى، ولم آتِهِ مما كنت أكتسبُ
لكن أتاك بقول كاذبٍ آثمٍ قومٌ بَغَوْنى فنالوا فيه ما طلبوا

وقيل : إن الوليد كان يكرم طُرَيحا ويُدْنِى مجلسَه ، وأنه جَعَلَهُ أوّل داخلٍ عليه وآخرَ خارج ، ولم يكن يُصْدِرُ إلّا عن رأيه ، فحسده الناس من أهل بيت الوليد .

وقدم حَمّاد الرّاوية إلى الشّام ، فسألوا ذلك إليه ، وقالوا : لقد ذَهَب طُرَيح بالأمير ، فما لنا منه ليلٌ ولا نهارٌ !

فقال حماد : أبْغُونى مَنْ ينشد الأمير بيتين من الشّعر ، فأسقط منزلتَه ؛ فطلبوا إلى الخصىّ الذى كان يقوم على رأسِ الوليد ، وجعلوا له عشرة آلاف درهم أن يُنْشد الأمير البيتين فى خَلْوة ، فإذا سأله : قول[3] من هذا ؟ قال: من قول طُرَيح . فأجابهم إلى ذلك وعلّموه البيتين .

فلمّا كان ذات يوم دَخَل طُرَيح مع الوليد ، فدعا بغدائه فتغدّيا جميعا ، وخرج طُرَيح فاستلقى الوليد على فراشه ، واغتنم الخصىّ خلوتَه ، فأنشده البيتين وهما :

---

(١) الأغانى : « وإن سمعوا شرا » .
(٢) الأغانى : « بهيضتنا » .
(٣) الأغانى : « من قول من هذا » .

سِيرِى رِكابِى إلى مَنْ تسْعَدين بهِ فقد أقمتِ بدار الهُونِ ما صَلَحَا
سيرِى إلى سَيّدٍ سَمْحٍ خلائقه ضخم الدّسيمةِ قَرْم يحمل المِدَحا[1]

وأعادها مرارا ، والوليد مصغٍ إليها ، فقال : ويحك يا غلام ! مِن قول من هذا؟ قال : مِن قَوْل طريح ، فغضب الوليد حتى امتلأ غَضَباً . ثم قال له : والهفَاه على أمٍّ لم تلدْنى ! جعلته أول داخل وآخر خارج ، يزعُم أن هشاما يحمل المِدَح ولا أحملها !

ثم قال: علىّ بالحاجب، فأتاه فقال : لا أعلم ما أذنت لطُرَيْحٍ ولا رأيته فى الأرض، فإن جاء لك فاخطفْه بالسيف ، فلمّا كان العشىّ جاء طُريح فى الساعة التى كان يُؤذن له فيها ، فدنا من الباب ليدخل ، فقال له الحاجب : وراءك ! فقال : ما لك ؟ هل دخل على ولىّ العهد أحدٌ غيرى[2] ؟ قال : لا ، ولكن ساعة ولّيت من عنده ، فدعانى وأمرنى ألّا آذن لك ، وإن حاولتنِى فى ذلك خطفتك بالسيف .

فقال : لك عشرة آلاف درهم ، وأْذَن لى فى الدخول .

فقال له الحاجب : والله لو أعطيتَنى خراج العراق ما أذنتُ لك ؛ وما لك فى الدخول عليه من خير ، فارجع . قال : ويحك ! هل تعلم من دهانى عنده ؟ قال الحاجب : لا والله ، لكن الله يحدث مايشاء فى الليل والنهار سبحانه وتعالى .

فرجع طُريح ، وأقام فى بابه سنة لا يخلُص إليه ، وأراد الرجوع إلى بلده، فقال: والله إنّ هذا لعجز بى أن أرجع عنه ، ولم ألقه ؛ فأعلم من دهانى عنده .

ورأى أناسا كانوا له أعداء قد فرحوا[3] ، فلم يزل يَلْطُف بالحاجب حتى قال له : إنّ الأمير يوم كذا وكذا يدخل الحمام ، ثم يأمر بسريره فليبرز وليس عليه حجاب،

---

(١) الدسيعة هنا : العطية الجزيلة .
(٢) الأغانى : « بعدى » .
(٣) الأغانى : « فرحوا بما كان من أمره » .

فإذا يومئـذ كان ذلك اليوم أعلمتُك ، فتـكون قد دخلتَ عليه ، وظفرت بحاجتك، فلما كان ذلك اليوم دخل الحمام ، وأمر بسريره فأبرِز ، وجلس عليه ، وأذِنَ للنَّاس فدخلوا ، والوليد ينظر إلى مَنْ أقبل ، وبعث الحاجب إلى طُريح فأقبل ، وقد تتامَّ النَّاسُ ، فلمَّا نظر الوليد إليه من بعيدٍ صرف عنه وجهه ، واستحيا أن يردّه من بين النّاس ، فدنا فسلّم ، فلم يرد عليه السلام ، فقال طريح يستعطفه ويتضرع إليه :

بات الخليّ من الهموم وبات لى (١) ... ليلٌ أكابده وهمٌّ مُضْلِـعُ
وسهرت لا أكرَى ولا فى لَذّة (٢) ... أرِقى وأغفلُ ما لقيتُ الهجَّعُ
أبغِى وُجُوهَ مَخارِجى من تُهْمَةٍ ... أزَمَتْ عَلَىَّ وسُدَّ منها المطْلَعُ
جَزَعاً لمعتبةِ الوليد ولم أكُنْ ... من قبل ذاكَ من الحوادث أجْزَعُ
يابنَ الخلائف إنّ سخطك لامرئٍ ... أمْسَيْتَ عِصْمَتَهُ بلاءٌ مفظِعُ
فـلأنْزِعَنَّ عن الّذى لم تَهْوَهُ ... إن كان لى ورأيتُ ذلك مـنزعُ
فاعطفْ فِدَاكَ أبى عَلَىَّ تَوَسُّماً ... وفضيلةً فعلَى الفضيلةِ تَتْبَعُ
فلقد كَفَاكَ وزَادَ ما قَدْ نَالَنِى ... إن كنتَ لى ببلاءِ ضُرٍّ تَقْنَعُ
سِمَةٌ لذاكَ علىّ جسمٌ شاحبٌ ... بادٍ تحَسُّرُه ولَوْنٌ أسْفَعُ (٣)
إن كنتَ فى ذنبٍ عتبت فإنّنى ... عمّا كرِهْتَ لنـازعٌ متضرّعُ (٤)
ويئست منك فـكلُّ عُسْرٍ باسطٌ ... كفًّا إليك وكل يُسْرٍ أقطعُ (٥)
من بعد أخذى من حبالِك بالّذِى ... قد كنت أحسَبُ أنه لا يُقْطَعُ

(١) الأغانى : « باتا الخلى » .

(٢) أكرى : أنـام ، وفى الأغانى : « لا أسرى » .

(٣) أسفع شاحب متغير » .

(٤) ا : « متودع » .

(٥) أقطع : مقطوع اليد .

فأرْبُبْ صنيعك بى فإنّ بأعينٍ ... للكاشحين وسمعهم ما يُصْنَعُ
أفهاضمٌ ما قد بنيتَ وخافضٌ ... شرفى وأنت لى بغير ذلك أوسعُ
أفلا خشيتَ شماتَ قوم فتهمْ ... سَبْقاً وأنفسهم عليك تَقَطَّعُ
وَفَضَلْتَ فى الحسب الأديم عليهمُ ... وصنعت فى الأقوام ما لا يُصْنَع
فكأنّ أنفسَهم بكلّ صنيعة ... أسديتها وجميل فعلك تُجْدَعُ[1]
ودُّوا لو انَّهمُ يَنال أكفهم ... شَلَلٌ وأنّك عن صنيعك تنزع
أو تستليمُ فيجعلونك أسْوَةً[2] ... وأبى اللامَ لك النَّدى والموضع

فأدناه وقرّبه إليه ؛ وضحك ، وعاد له ما كان عليه .

قيل : إن طُرَيحاً دخل على أبى جعفر المنصور فى الشعراء ، فقال له : لا حيّاكَ الله ، ولا بيّاكَ ! ما اتّقيت الله عزّ وجلّ حيث تقول للوليد بن يزيد :

لو قلتَ للسَّيل دَعْ طريقك وال ... موجُ عليه كالهَضْب يَعْتَلِجُ
لساخَ وارتدّ أو لكان له ... فى سائر النَّاس عنك مُنْعَرَجُ

فقال طُرَيح : قد علم الله أنى قلت ذلك ، ويَدِى ممدودة إليه عزّ وجلّ ، وإياه تبارك وتعالى عنيتُ .

فقال المنصور : يا ربيع ، أما ترى هذا التخلص !

روى المدائنىّ أنّ الوليد جلس يوما فى مجلس عامٍّ ، ودخل إليه أهل بيته ومواليه ، والشُّعراء وأصحاب الحوائج فقضاها ، وكان أشرف يوم رُئِيَ له ، فقام بعض الشعراء وأنشده ، ثم وثب طُرَيح وهو عن يسار الوليد بين أهله وذويه ، فأنشده هذين البيتين فى أبيات :

* لو قلت للسيل دع طريقك *

---

(١) الأغانى : « أسديتها » .

(٢) تستليم : تفعل ماتستحق عليه اللوم.

فطرب الوليد حتّى رُئِيَ الارتياح فيه ، وأمر له بخمسين ألف درهم وقال : ما أرى فيكم أحداً يجيئنى اليوم بمثل ما قال خالى ، ولا ينشدنى أحد شيئا بعده ، وأمر للشّعراء بصِلاتٍ وانصرفوا ، وأوّل هذا الشعر :

أنت ابنُ مسلنطح البِطاح ولَمْ   تُطْرَقْ عَلَيْك الُحنىُّ والوُلُجُ
طُوبَى لِفَرْعَيْك مِنْ هُنا وهُنَا   طوبى لأَعراقك التى تَشِجُ

المسلنطح من البطاح : ما اتسع واستوى سطحه منها ، وتطرق عليك : تطبق عليك وتغطيك وتضيق مكانك ، والحَنىّ : ما انخفض . والوُلُج : ما اتَّسع من الوادى. والوشيج: أصل النَّبت. يقول: أعراقك واشجة فى الكرم ، أى نابتة فيه ، لكن أنت كريم الأبوين فى قريش وثقيف ، ؛ ولست فى موضع خفى من الحسب ، فكأنه يقول : أنت مالِك هذا الأبْطح والمطاع فيه ، فكل من تأمره يطيعك ؛ حتى لو أمَرْتَ السيْل بالانصراف لفَعل ، لنفوذ أمرك ؛ وإنَّما ضرب هذا مثلا ؛ لأنه لاشىء أشدّ تعَذُّرًا منه ، فإذا صرفه كان علَى ماسواه أقدر .

قال أبو عبيدة : سمع عمر بن الخطاب رضى الله عنه رجلا يقول لآخر يفخر عليه : أنا ابن مسلنطح البطاح ، وأنت كذا وكذا .

فقال عمر : إن كان لك عقل فلك أصل ، وإن كان لك خلق فلك كرم ؛ وإلا فذاك الحمار خيرٌ منك .

روى إبراهيم بن عبد السّلام بن أبى الحارث ، قال : إنى لقاعد عند مسلَمة ابن محمد بن هشام ؛ إذ مرّ به ابن جُوان بن عمر بن أبى ربيعة وكان يغنّى ، فقال: اجلس يا أخى غَنّنا ، فجلس وغنى :

أَنْتَ ابنُ مُسْلَنْطِحِ البِطاحِ ولَمْ   تُطْرَقْ عَلَيْك الُحنِىُّ والوُلُجُ

فقال: يابن أخى، ماأنت وهذا حتى تتغنّاه ولا حظّ لك فيه! هذا قاله طُرَيح فينا:

* إذ النّاس ناسٌ والزمانُ زمانُ *

ومن حِسانِ قصائد طُريح، يَمدَح الوليد:

* أقفر مِمَّنْ يُحلّه السَّندُ *

يقول فيها:

أنتَ إمامُ الْهُدَى الّذِى أصلَح اللـ ـهُ به النّاسَ بعدَ ما فَسدوا
لمّا أتى النّاسَ أنّ مُلْكَهُمُ إليكَ قدْ صَارَ أمرُه سَجَدُوا
واستبشَروا بالرِّضا تَباشُرَهُمْ بالخُلْدِ لو قيل إنّهم خَلَدُوا
وعَجَّ بالحَمْدِ أهلُ أرضِك حـ ـتّى كادَ يهتزُّ فَرْحَةً أُحُدُ
واسْتَقْبَلَ النَّاسُ عِيشةً أُنُفاً إنْ تَبْقَ فيها لهمْ فقَدْ سَعِدُوا
رُزِقْتَ من وُدِّهمْ وطاعتِهمْ ما لَمْ يَجِدْهُ لوالدٍ وَلَدُ
أثْلَجَهُمْ منك أنّهم عَلِمُوا أنّك فيها وُلِّيتَ مجتهدُ
وأنّ ما قد صنَعْتَ مِن حَسنٍ مِصداقُ ما كنتَ مرَّةً تَعِدُ
أَلِفْتَ أهواءَهُمْ فأصبحَت الْـ أَضْغانُ سِلْماً وماتَت الحقد
كنتُ أرَى أنَّ ماوَجدْتُ من الـ فَرْحةِ لَمْ يَلْقَ مِثلَه أَحَدُ
حتّى رأيتُ العِبادَ كُلَّهُمُ قد وَجَدوا مِنْ هَواكَ ما أَجِدُ
قد طلبَ النَّاسُ ما كَلِفْتُ فما نالُوا ولا قارَبوا ولا وَجَدُوا
يَرفَعُكَ اللهُ بالتكرّم والتّـ ـقوَى فتعلُو وأنتَ مُقتصِدُ
حَسْبُ امرئٍ من غِنًى تَقَرُّبُه مِنكَ وإنْ لمْ يكنْ له سَنَدُ

ذكر الطرمّاح*

هو الطِّرِمّاح بن حَكيم بن الحَكَم بن نَفْر[1] بن قيس بن جَحْدَر[2] بن ثَعْلَبة ابن عبد رِضاَ بن مالك بن أمان[3] بن عَمْرو بن ربيعة بن جرول[4] بن ثعل بن عمرو ابن الغَوْث بن طَيّ، ويكنى أبا نَفْر، وأبا ضَبينة، والطِّرِمّاح الطَّوِيل.

وقيل: إنّه كان لقبه؛ لقّب به لقوله:

أَلَا أَيُّها اللَّيْلُ الطويلُ ألا ارْتَحِ[5] ... بِصُبْحٍ وما الإصباح منك بأَرْوحِ

بلَى إنّ للعَيْنَيْن فى الصُّبح راحة ... بطرحهما طرفيهمـا كلَّ مَطْرَحِ

وهومن فحول الشُّعراء الإسلاميين وفصحائهم، نشأ بالشّام وانتقل إلى الكوفة، ونزل فى تَيْم اللّات بن ثعلبة، واعتقد مذهب الشُّرَاة الأزارقة[6] حتى مات، وفيهم يقول:

لله دَرُّ الشُّرَاة إنَّهُمُ ... إذا الكرى مال بالطُّلَى أَرِقُوا[7]

يرجِّعُون الحنينَ آوِنَةً ... وإن علا ساعةً بِهِمْ شَهِقُوا

خوفاً تبيت القلوبُ واجِفَـةً ... يكاد عنها الصُّدورُ تَنفَلِقُ

---

* ترجمته فى الأغانى ١٢ : ٣٥ ـ ٤٥ (طبعة دار الكتب) .

(١) كذا فى الأغانى والمؤتلف والمختلف ١٤٨، وفى ب كلمة مطموسة، وفى ج: «معسر» تحريف

(٢) فى الأصول: «جحد»، والتصويب من الأغانى والمؤتلف والمختلف ١٤٨ .

(٣) فى الأغانى: «أمان» .

(٤) ب، ج: «جرو»، والتصويب من الأغانى والمؤتلف والمختلف ١٤٨ .

(٥) فى الأصول: «أرح»، والتصويب من الأغانى .

(٦) الشراة: الخوارج؛ والأزارقة: طائفة منهم .

(٧) الطلى: جمع طلية؛ وهو العنق .

كيف أرجِّى الحياةَ بَعْدَهُمُ ... وقد مضى مُؤْنِسِيَّ فانطلقوا
قومٌ شِحاحٌ على اعتقادهمُ ... بالفوز مِمَّا يُخَافُ قَدْ وَثِقُوا

قال رؤبة : كان الطِرِمّاح والكُمَيت يصيران إلىّ ، فيسألانى عن الغَرِيب فأخبرها به ، وأراه بَعْدُ فى أشعارهما .

وقال محمد بن حبيب : سألتُ ابنَ الأعرابىّ عن ثمانِىَ عَشْرَةَ مَسْألة كلُّها من غريب شعر الطِرِمّاح ، فلم يعرف منها واحدة ، وقال فى جميعها : لا أدرى[1] .

وكان الطِرِمّاح صديقا للكُميت بن زيد لا يكادان يفترقان فى حال [من أحوالهما][2] ، فقيل للكميت : لا شىء أعجبُ من صَفَاء ما بينك وبين الطرِمّاح على تباعد ما يجمعكما من النسب والمذهب والبلد . وهو شامىٌّ قحطانى شارىّ ، وأنت كوفى نِزارىّ شيعىّ ، وكيف اتفقتما مع تبايُن المذهب وشدّة العصبية ؟ قال: اتفقنا على بغض العامَّة .

وأنشد الكُميت قول الطرماح :

إذا قُبِضَتْ نَفْسُ الطِرِمَّاح أَخلَقَت ... عُرَى المَجْدِ واسترخى عِنانُ القَصائدِ

فقال : إى والله ! وعِنانُ الخطابة والرّواية والفصاحة والشجاعة .

وفد الطِرِمَّاح بن حَكيم والكُمَيت بن زيد على مَخْلَد بن يزيد المهلبىّ فجلس لهما [يودعاهما][2] ، فتقدم الطِرِمّاح لينشِد ، فقيل له : أنشِدْ قائما ، فقال : كلاّ ، والله ! ما قَدْرُ الشِّعر أن أقومَ له فيحطَّ فى مقامى[3] ، وأحطَّ منه بضَراعتى ، وهو عمود الفَخْر ، وبيت الذِّكْر لمآثر العرب . قيل له : فتنحَّ . ودُعِى بالكُميت فأنشده قائما ، فأمر له بخمسين ألف درهم ، فلما خرج الكُميت شاطَرَ الطِرِمّاح ، وقال : أنت أبعد[4] هِمّة ، وأنا ألطف منك حِيلة .

---

(١) فى الأغانى : « لا أدرى ، لا أدرى » .
(٢) من الأغانى .
(٣) الأغانى : « فيحط منى بقيامى » .
(٤) الأغانى : « وقال له : أنت أبا ضبينة أبعد همة » .

قال خالد بن كُلثوم : بينا أنا فى مسجد الكوفة ، وإذا الطِّرِمّاح والكُمَيت ؛ وهما جالسان بقرب بابِ القِبْلة ، إذْ رأيتُ أعرابيًّا قد جاء يسحب أهداماً[1] له ؛ حتّى إذا توسَّط المسجد خرّ ساجداً ، ثمّ رَمَى ببصره ، فإذا الكُمَيت والطِّرِمّاح فقصدهما ، فقلت : مَنْ هذا الحائن[2] الذى وقع بين هذين الأسدين ! وعجبت من سَجْدته فى غير موضع سُجودٍ وغير وقت صلاة ، فقصدته ، ثم سلمت عليهم وجلست أمَامهم ، فالتفتَ إلى الكُمَيْت ، فقال : أسمِعْنِى شيئا يا أبا المستهِلّ ، فأنشده :

* أبتْ هَذهِ النَّفْسُ إلّا ادّكَارا *

حتّى أتى على آخرها ، فقال له : أحسنت يا أبا المستهِلّ فى ترقيص هذه القوافى ، ونظم عقدها .

ثمّ التفت إلى الطِّرِماح وقال : أسمِعْنى شيئاً يا أبا ضَبِينَةَ ! فأنشد كلمته الّتى يقول فيها :

أسَاءكَ تَقْوِيضُ الخليطِ المُبَايِنِ ... نَعَمْ والنَّوَى قَطّاعةٌ للقرائن[3]

فقال : لله دَرّ هذا الكلام ! ما أحسن إجابته لِرَوِيّتك ! [4]إن كدتُ لأطيل إليك حسداً[4]. ثم قال الأعرابىّ : والله لقد قلت بعدكما ثلاثة أشعار : أحدُهما كدت أطير به فى السماء فَرَحاً ، وأمّا الثانى فكدت أدّعِى به الخلافة ، وأما الثالث : فلقد رأيت من فصاحته[5] مااستفزنى به الجَذل [حتّى أتيت عليه][6] .

---

(١) الأهدام : جمع هدم ؛ وهو الثوب البالى المرقع .

(٢) الحائن : الهالك ؛ وكل مالم يوفق للرشاد فهو حائن .

(٣) التقويض : نزع القوم أعواد خيامهم وأطنابها . والخليط هنا : القوم الذين أمرهم واحد

(٤ـ٤) وردت العبارة فى ب ، ج هكذا : « إن كنت لأطيل إلى أحـد » ؛ وأثبت ما فى الأغانى .

(٥) الأغانى : « فرأيت رقصانا استفزنى » .

(٦) من الأغانى .

قالوا : فهات ؛ فأنشدهم :

أأتوهَّمْت من خَرْقاء منزِلَةً ... مَاءُ الصَّبَابةِ مِن عَيْنَيْكَ مَسْجُوم(١)

حتى بلغ إلى قوله :

تَنْجُو إذا جَمَلَت تَدْوى أخِشَّتُها ... وابتلَّ بالزَّبَدِ الجَعْد الخَراطِيمُ(٢)

قال: أعلمتم أنى فى طلب هذا البيت مُنْذ سنة ، وما ظفِرْتُ به إلا آنفا! وأحسبكم قد رأيتم السجدة له . ثم أسمعهم قوله :

* مَا بَالُ عَيْنَيْكَ مِنْها الماءُ يَنْسَكِبُ(٣) *

ثم أنشدهم كلمته التى يقول فيها :

إذا اللَّيْل عَنْ نَشْزٍ تجلَّى رَمينَهُ ... بأمثالِ أَبْصارِ النِّساء الْفَوارِكِ(٤)

فضرب الكُمَيت بيده على صَدْر الطِّرِمّاح ، ثم قال : هذا والله الدِّيباجُ لا نسيجى ونسجك الكَرابيس(٥) . فقال الطِّرِمّاح : إنى لا أقول ذلك ، وإن أقررت بجودته .

فقطّب الأعرابىّ وقال : أأنت تحسن أن تقول :

وكائنْ تَخطَّتْ ناقتِى مِنْ مَفَازَةٍ ... إليك ومن أحواضِ ماءٍ مُسَدَّمِ(٦)

---

(١) مسجوم : مصبوب .

(٢) تنجو : تسرع . وأخشتها : جمع خشاش ؛ وهو الحلقة التى توضع فى أنف البعير ليجذب بها . والجعد من الزبد : الثخين الغليظ . وفى الأغانى والديوان ٥٧٤ : « تدمى أخشتها » ، وما أثبته من ب ، ج .

(٣) بقيته كما فى الديوان .

كأنّهُ مِنْ كُلَى مَفْرِيّة سَرِبُ

(٤) النشز : ما ارتفع من الأرض . تجلى : انكشف . الفارك : المرأة التى تبغض زوجها وتثنى طرفها عنه وتنظرت إلى كل شىء دونه (من شرح الديوان ٤٢٧) .

(٥) الكرابيس : جمع كرباس ؛ وهو ثوب غليظ من القطن .

(٦) ديوانه ٦٣٠ ، المسدم : المتغير لطول العهد .

بأعْقَارِهِ القِرْدَانُ هَـزْلَى كأنَّها نوادر صِيصاء الهَبيد المحطّمِ (١)

فأصغَى الطِرِمَّاح إلى الـكُمَيت ، وقال له : فانْظُرْ ما أخذ من ثواب هذا الشعر !

وهذه القصيدة امتدحَ بها ذو الرُّمة عبدَ الملك ، فلم يمدحْه فيها إلّا بهذين البيتين ، وسائرها فى ناقته ، فلمّا أنشده إيّاها قال له : ما مدحتَ بهذه القصيدة إلّا ناقتَك ، فخذْ منها الثَّواب ، وكان ذو الرُّمة غير محظوظ من المديح ، فلم يفهم ذو الرُّمة قول الطرماح للـكميت . فقال الـكميتُ : إنه ذو الرُّمة ، وله فَضْلُه ، فأعتَبه (٢) .

فقال الطِرِمّاح : معذرة إليكَ ، إن عنان الشُّعراء (٣) فى كَفِّـك ، فارجع مُعتَباً ، وأقولُ فيك كما قال أبو المستهلّ .

قال أبو تمـام الطائىّ : مرّ الطِرِمَّاح بن حكيم فى مَسْجد البصرة يخطر فى مِشْيتِهِ ، فقال رجلٌ : مَنْ هذا الخطّار ؟ فسمعه فقال : أنا الذى أقول :

لَقَدْ زَادنِى حُبًّا لنفسِى أننى بَغيضٌ إلى كلِّ امرئٍ غيرِ طائلِ (٤)
وأنّى شـقِىٌّ باللئام ولا تَرَى شَقيًّا بهم إلا كريمَ الشّمائـلِ
إذا ما رآنى قَطَّع اللَّحْظَ بينه وبينِىَ فِعْلَ العـارف المتجاهِلِ
ملأتُ عليـه الأرْضَ حتّى كأنّها من الضيق فى عينيه كِفّةُ حَابلِ (٥)

---

(١) الأعقار : جمع عقر ، وعقر الحوض : مؤخره حيث تقف الإبل إذا وردت . وفى الديوان « بأعطانه » . والهبيد : حب الحنظل . والصيصاء : الضاوى الهزيل منه .
(٢) أعتبه : أرضاه .
(٣) فى الأغانى : « الشعر » .
(٤) رجل غير طائل ، أى دون خسيس .
(٥) كفه الصائد : حبالته ، أى مصيدته .

حرف الظاء

أبو الأسود الدؤليّ*

هو ظالم بن[1] عَمْرو بن سفيان بن جَنْدل بن يعمَر بن حِلْس بن نفاثة بن عدىّ ابن الدُّئِل بن بكْر بن عَبْد مناف بن كنانة بن خُزيمة بن مدركه بن إلياس بن مُضر ابن نزار ، وهم إخوة قُريش ؛ لأن قريشا مختلَف فى الموضع الذى افترقت فيه مع بنى أبيها ، فخُصَّت بهذا الاسم دونهم . وأبعد من قال فى ذلك مدًى من زعم أن النَّضْر ابن كِنانة منتهى نسب قريش .

ومن الناس مَنْ يقول : إنَّ مَنْ لم يلده فِهْر بن مالك بن النَّضْر فليس قرشيًّا .

وكان أبو الأسود الدُّؤَلِيّ من وجوه التَّابعين ومحدّثيهم وفقهائهم .

قال الجاحظ : أبو الأسود الدّؤلىّ معدودٌ فى طبقات من النّاس ، مقدّم فى كلّها : فى[2] التّابعين والفقهاء ، والمحدّثين والشّعراء والأشراف ، والأمراء والفرسان ، والدّهاة والنحويّين ، والحاضِرى الجواب ، والشّيعة والبُخلاء ، والصُّلع الأشراف ، والبُخْر والأشراف .

ورَوَى عن عُمرَ وعثمان وعلىّ ، رضوان الله عليهم . وكان من وُجُوه شيعة علىّ عليه السّلام .

وقيل : إنّه أدركَ الإسلام ، وشهد بَدْراً مع المسلمين ، واستعمله علىّ عليه السلام على البَصْرة بعد ابن عباس .

---

* ترجمته فى الأغانى ١٢ : ٢٩٧ — ٣٣٤ (طبعة دار الكتب) .

(١) ب ، ج : « أبو » ، والتصويب من الأغانى .

(٢) الأغانى : « كان معدودا فى التابعين » .

وهو الأصل فى بناء النَّحو وعَقْد أصوله ؛ فإنّه دخل إلى ابنته بالبصرة فقالت : ياأبتِ . « ما أشدُّ الحرّ » ! فرفعت « أشدّ » ، وظنّها تستفهم منه أىّ زمان الحرّ أشدّ؟ فقال لها : شَهر ناجر[١] . فقالت : يا أبتِ ، إنّما أخبرتك ولم أسألك ، فأتى أميرَ المؤمنين علىّ بن أبى طالب عليه السلام ، فقال : يا أميرَ المؤمنين ، ذهبتْ لغةُ العرب لما خالطت العَجَم ، ويوشك[٢] إذا تطاول عليها الزّمان أن تضمحلّ ، فقال له : وما ذاك ؟ فأخبره خبر ابنته ، فأمره فاشترى صُحُفاً بدرهم ، وأملَّ[٣] عليه: الكلام كلّه لا يخرج عن اسم وفعل وحرف جاء لمعنى . وهذ القول أوّل كتاب سيبويه ، ثم رسم أصولَ النَّحو كلها ، فتقبلها[٤] النحويون وفرّعُوها .

وأمر زيادٌ أبا الأسود الدؤلىّ أن ينقط المصاحف ، فنقطها ورسم من النَّحو رُسُوماً ، ثم جاء بعده ميمونٌ الأقْرن ، فزادَ عليه فى حُدودالعربية ، ثم زاد بعده فيها عَنْبَسة بن مَعْدان المَهْرِىّ ثم جاء عبدُ الله بن أبى إسحاق الحضرمىّ وأبو عمرو بن العلاء فزادا فيه ، ثم جاء الخليل بن أحمد الأزْدىّ ، وكان صليبة[٥] فلحبَهُ[٦]، ونجم علىّ بن حمزة الكِسائىّ مولَى بنى كاهلٍ ، من أسد ، فرسم للكوفيين رسوماً هم الآن يعملون عليها .

جاء أبو الأسود إلى زيادبالبصرة فقال : أصلَح الله الأمير ! إنى أرى العرب قد خالطت هذه الأعاجم ، وتغيّرت ألسنتهم ، أفتأذن لى أن أضع لهم عِلْماً يقيمون به

---

(١) فى الأغانى : « يريد شهر صفر » .
(٢) الأغانى : « وأوشك »
(٣) الأغانى : « أمل » ، وهما سواء .
(٤) الأغانى : « فنقلها » .
(٥) يريد ذانسبة صلبة ، والصليب : العربى الخالص النسب .
(٦) فى الأغانى ، « فلحب الطريق » ؛ أى بينه .

كلامهم ؟ قال : لا ، ثم جاء رجل زيادا فقال : « مات أبانا وخلّف بنون » فقال زيادٌ : « مات أبانا وخلّف بنون ! » ردُّوا عليّ أبا الأسود ، فردّ إليه . فقال : ضع للناس ما نهيتُك عنه ؛ فوضع النَّحْوَ لهم .

وقيل : إنّ أوّل باب وضع فى النحو باب التعجّب ، وكان أبو الأسود كاتبا لابن عباس على البَصْرة ، وهو الذى يقول :

وإذا طلبتَ من الحوائج حاجةً ... فادْعُ الإله وأحْسِنِ الأعْمالَا

فليعطينَّكَ ما أراد بقُدْرَةٍ ... فهو اللَّطيف لِمَا أرادَ فِعالا

إنّ العباد وشأنَهُمْ وأمورهم ... بيد الإله يقلّب الأحْوالَا

فدعِ العِبادَ ولا تكُنْ لطلابهمْ ... لَهِجاً تَضَعْضَعُ للْعبادِ سؤالا

كان أبو الأسود الدُّؤَلِيّ قد كَبِر وأسَنَّ ، وكان مع ذلك يركب إلى المسجد والسّوق ، ويزور أصدقاءه ، فقال له رجل : يا أبا الأسود ، أراك تكثر الرّكوب وقد ضَعُفْت وكَبِرت ! فلو لزمتَ منزلك ، كان أودَعَ لك ، فقال له : صدقت ؛ ولكن الرّكوب يَشُدّ أعضائى ، وأسمع من أخبار النّاس مالا أسمعه فى بيتى ، وأستنشق[1] الريح ، وألقى إخوانى ، وإن جلست فى بيتى لاغتمّ بى أهلى ، وأنِسَ بى الصبيّ ، واجْتَرأ عليّ الخادم ، وكلّمنى من أهلى من يهابنى ويهاب كلامى لإلفهم إيّاىَ ، وجلوسهم عندى ؛ حتى لعل العنز أن تبولَ عليّ ، فلا يقول لها أحد هس[2].

كانت بين بنى الدّيل وبنى ليث منازعة ، فقتل بنو الدّيل منهم رجلًا ، واصطلحوا بعد ذلك على أن يؤدُّوا ديتَه ، فاجتمعوا إلى أبى الأسود ، فسألوه المعاونة على أدائها ، وألَحّ عليه غلام منهم ذُو بيانٍ وعَارِضة ، فقال له : يا أبا الأسود ، أنت شيخ

---

(١) الأغانى : « وأستنشى ».

(٢) الأغانى : « هس » زجر للغنم .

العشيرة وسيّدهم ، وما يمنعك من معاونتهم قلّة ذاتِ يَدٍ ، ولا سؤدُد ولا جُود. فلمّا أ كثر أقبل عليه أبو الأسود ، وقال : لقد أ كْثَرْتَ يا بن أخى فاسْمَعَ مِنّى ؛ إن الرَّجُل لا يعطى مالَه إلّا لإحدى ثلاث خلال : إمّا رجلٌ أعطى ماله رجلًا مكافأة مِمّن يعطيه ، أو رجلٌ خاف على نفسة فوقَاها بماله ! أو رجلٌ أراد وَجْهَ الله تعالى وما عنده فى الآخرة ، أو رجل أحمق خُدِع عن ماله ، والله ما أنتم إحدى هـذه الطبقات ، ولاجئتُم فى شىء منها ، ولاعمُّك الرَّجلَ العاجز الأحمق فينخدع لهؤلاء ، ولمَا أفدتُك إيّاه فى عَقْلِك خيرٌ لك من مال أبى الأسود لَوْ وَصَلَ إلى بنى الديل . قوموا إن شئتم ، فقاموا يتبادرُون[1] الباب .

قال أبو عبيدة : كانت طريق أبى الأسود إلى المسجد والسُّوق على بنى تيم الله ابن ثعلبة ، وكان فيهم رجلٌ متفحّش يكثر الاستهزاء بمن يمرُّ به ، فمرّ به أبو الأسود الديلىّ يوما فقال لقومه: كأنّ وجهَ أبى الأسود وجهُ عجوز راحت إلى أهلها بطلاق ! فضحك القوم ، وأعرض عنهم أبو الأسود .

ثم مرّ به مرة أخرى فقال : كأنّ غضون قفا أبى الأسود غضون الفِقَاح[2] ، فأقبل عليه أبو الأسود ، فقال : هَلْ تعرف فقحة أمّك فيهنّ ! فأفحمه ، وضحك القوم منه ، وقاموا إلى أبى الأسود ، فاعتذرُوا منه ممّا كان ، ولم يعاوده الرّجل بعد ذلك .

كان أبو الأسود جالساً فى دِهْليزٍ وبين يديه رُطَب ، فجازَ بِهِ رجلٌ من الأعراب ، يقال له : ابن الحَمامة ، فسلَّم عليه ، فقال : السَّلامُ عليك ، فقال له أبو الأسود : كلمة مقـــولة ، فقال : أأدْخُل ؟ فقال : وراءك أوْسَعُ [لك][3] ،

---

(١) الأغانى : « يبادرون » .

(٢) الفقاح : جمع فقحة ؛ وهى حلقة الدبر .

(٣) من الأغانى .

قال : إن الرَّمْضاء أحرقت رِجْلَيَّ . قال : بُلْ عليهما ، أوائت الجبل يفيء عليك . قال : هل عندكَ شيء تطعمني[1] ؟ قال : نأكل ونطعم العيال ؛ فإن فضل شيء ، فأنت أحقُّ به من الكلب . قال الأعرابيّ : ما رأيت ألأم [قطّ][2] منك ! قال أبو الأسود : بلَى قد رأيت ؛ ولكنك أنسيت . قال : أنا ابن الحمامة ، قال : كن ابن أيّ طائر[3] شئت ، وانصرف . قال : أسألك بالله إلّا ما أطعمتَنِي مما تأكل ! فألقى إليه أبو الأسود ثلاث رُطبات ، فوقعت إحداهنّ في التراب ، فأخذها يمسحها في ثوبه ، فقال له أبو الأسود : دَعْها فإنّ الذى تمسحها منه أنظف من الذى تمسحها به ، فقال : إنما كرِهت أن أدَعَها للشيطان ، فقال : لا والله ، ولا لجبريل ، ولا لميكائيل تدَعُها !

خطب أبو الأسود الدِيليّ امرأةً من عبد القَيْس ، يقال لها : أسماء بنت زياد بن غَنْم[4] ، فأسرّ أمرها إلى صديق له من الأزْد ، يقال له : الهيثم بن زياد ، فحدّث ابن عم لها كان يخطبها — وكان لها مال عند أهلها — فمشى إليهم ابنُ عمّها الخاطب لها ، فأخبرهم خبرَ أبى الأسود ، وسألهم أن يمنعوها من نكاحِه ومن ماله الذى فى أيديهم ففعلوا ، حتى تزوّجت بابن عمها ، فقال أبو الأسود فى ذلك من أبيات :

لعمرِى لقد أفشيتُ يوماً فخانني ... إلَى بَعْضِ مَنْ لم أخش سرًّا مُمَنَّعَا
فمزّقَهُ مَزْقَ العمى وهو غافلٌ ... ونادَى بما أخفيت منه فأسْمَعَا
فقلت ولم أفحش لَعاً لك عاثراً[5] ... وقد يَعْثُر السَّاعِى إذا كان مُسْرِعا

---

(١) الأغانى : « تطعمنيه » .
(٢) من الأغانى .
(٣) الأغانى : « كن ابن طاوسة » .
(٤) الأغانى : « ابن غنيم » .
(٥) لعا لك : كلمة يدعى بها للعاثر أن ينتعش .

ولست بجازيك السلامةَ إنّني أرى العَفْوَ أدنى للرّشاد وأوْسَعا
ولكن تعلّمْ أنه عهد بيننا فكن غيرَ مذموم ولكن مُودَّعا(١)
حديثا أضعناه كلانا فلن أرَى وأنت نَجِيِّي آخرَ الدهر أجمعا(٢)
وكنتَ إذا ضيَّعت سرّك لم تجده سواكَ له إلّا أشتَّ وأضيعا

ومما قال فيه :

أمنتُ امرأً فى السِّرّ لم يكُ حازماً ولكنَّهُ فى النُّصح غيرُ مُرِيب
أذاعَ به فى الناسِ حتّى كأنّهُ تَصَلّى بنارٍ أوقِدَتْ بثُقوب(٣)
وكنْتَ متى لَمْ تَرْعَ سِرّكَ تنتشر(٤) قوارعُه من مخطىءٍ ومصيب
فما كلّ ذى لبٍّ بموتيك نُصْحَهُ ولَا كُلُّ مُؤْتٍ نُصْحَهُ بلبيبِ
ولكنْ إذا ما اسْتَجْمَعَا عِنْدَ واحدٍ فحقٌّ لَهُ من طاعةٍ بنصيبِ

كان لأبى الأسود الدِّيلى صديقٌ من بنى تَيْمٍ ، ثمّ من بنى سعد ، يقال له : مالك ابن الأصْرَم ، وكان بينه وبين ابن وعلة(٥) خصومة فى دار لهم ، فاجتمعا عند أبى الأسود فحكّماه بينهما ، فقال له خَصْم صديقه مالك : إنّى بالذى بينك وبين هذا عارف، فلا يحملنّك ذلك على أن تَحِيف علىّ فى الحكم — وكان صديقه مالك ظالما ، فقضى أبو الأسود على صديقه بالحقّ لخصمه .

فقال له صديقه مالك : والله ما باركَ الله لى فى صداقتك ، ولا نفعنى بعلمك وفقهك ، ولقد قضيت علىّ بغير الحق . فقال أبو الأسود :

---

(١) الأغانى : « فبنغيرمذموم » .
(٢) النجى : المسار ، وفى الأغانى : « وأنت نجيا » .
(٣) الثقوب : ما أثقبت به النار ؛ أى وقدتها ، وفى الأغانى : «بعلياء نار أوقدت بثقوب» .
(٤) الأغانى : « تلتبس » .
(٥) كذا فى ب ، ج ، وفى الأغانى : « ابن عم له » .

إذا كنتَ مظلوماً ولَمْ تُلْفَ راجيا عن القوم حتى تأخذ النِّصفَ فَاغْضَبِ[1]
وإن كُنْتَ أنتَ الظَّالِمُ القومَ فاطَّرِحْ مقالَتَهُمْ واشْعَب بهم كُلَّ مَشْعَبِ
وقَارِبْ بذِي جهلٍ ، وبَاعِدْ بعالمٍ جَلُوبٍ عليكَ الحقَّ من كلِّ مَجْلَبِ
وإن حَدِبُوا فاقْعَسْ وإنْ هُمْ تَقَاعَسُوا[2] ليستمكِنُوا مِمَّا وراءكَ فاحْدَبِ
وَلَا تَدْعُنِي لِلْجَوْرِ واصْبِرْ عَلَى الَّتِي بِهَا كُنْتُ أقضِي للبعيد علَى أَبِي
فإنِّي امرؤٌ أخشى إلَهِي وأتَّقِي معادِي ، وقد جَرَّبْتُ مالم تُجَرِّبِ

تقدّم رجل إلى عُبيد الله بن الحسَن بن الحصين بن أبي الحرّ ، قاضي البصرة مع خَصْمٍ له ، فخلط في قوله : فتمثّل عُبيد الله بقول أبي الأسود :

يُصيبُ ومايَدْري ويُخْطِي ومَادَرَى وكيف يكونُ النَّوكُ إلا كذلكا!

فقال الرجل : إنْ رأى القاضِي أن يدنيني إليه لأقول له شيئا فعل ؛ فقال : ادْنُ . فقال له : إنّ أحقَّ الناس بِسَتْرِ هذا الشعر أنت ، وقد علمت فيمن قيل ! فتبسم عُبيد الله ، وقال : إنى أرى فيك مُصْطنعا ، فقُمْ إلى منزلك ، وغَرم لخصمه ما كان يطالبه به .

وهذا البيت من أبيات قالها أبو الأسود في الحُصَين ابن أبي الحرّ ، وقد كتب إليه كتابا فنبذَه وراء ظهره ، وكتب إلى نُعيم بن مسعود كتابا فقرأه ، وانتهى إلى آخره ، فأخبره رسوله بذلك ، فقال :

---

(١) النصف : الانتصاف .

(٢) حدب : خرج ظهره ودخل بطنه ، وقعس : نقيضه .

حَسِبْتُ كتابى إذْ أتاكَ تَعَرُّضاً ... لِسَيْبِك لم يذهب رجائِى هنالكا[1]
وخَبَّرَنِى مَنْ كنت أرسلتُ أنَّمَا ... أخذتَ كتابى مُعْرِضاً بِشمالكا
نظرتَ إلى عنوانه فنبذته ... كنبذِك نَعْلاً أخلقت من نعالِكا
نُعَيْم بنُ مسعودٍ أحقّ بما أَتَى ... وأنت بما تأتِى حَقِيقٌ بذلكا
يُصِيبُ وما يَدرى ويُخطِى ومادَرى ... وكيف يكون النُّوكُ إلّا كذلكا !

فبلغت الأبيات حُصينا فغضب ، وقال : ما ظننت منزلة أبى الأسود بلغت ما يتعاطَى من مساءتنا ، وتوعّدنا وتَوبيخنا ! فبلغ ذلك أبا الأسود فقال من أبيات :

أبلغ حُصَيناً إذا جئته ... نصيحة ذى الرأى للمجْتنيهَا
ولا تكُ مثل التى استخرجَتْ ... بأظلافِها مُدْيــةً أو بفيها
فقام إليهَا بِهَا ذابحٌ ... ومن تَدْعُ يوما سَعوبُ يَجِيهَا

قال أبو بكر الهذلىّ : كان أبو الأسود يوما يحدّث معاوية ، فضرَط فقال لمعاوية : اسْتُرها علىّ . فقال : نعم ، فلمّا خرج حدّث بها معاوية عمرو بن العاص ومروان بن الحكم . فلما غدا إليه أبو الأسود قال له عمرو : ما فعلت ضَرْطتك يا أبا الأسود بالأمس؟ فقال : ذهبت كما تذهبُ الريح [مُقْبلةً مدبرة][2] ، من شيخ ألان الدهر أعصابه ولحمَه عن إمساكها ؛ وَكل أجْوف ضَرُوط . ثم أقبل على معاوية فقال له : إنّ امرأ ضعفت أمانتهُ ومروءته عن كتمان ضَرْطة لحقيق ألّا يُؤْتمن على أمر المؤمنين !

كان أبو الأسود الدّيلىّ يجلس إلى قبّة امرأة بالبَصرة ، فيتحدّث إليها ، وكانت بَرزةً جميلة ، فقالت له : يا أبا الأسود ، هل لك أن أتزوّجك ؟ فإنّى صَناع الكفّ ،

---

(١) السيب : العطاء .

(٢) من الأغانى .

حسنة التدبير ، قانعة بالميسور . قال : نعم ، فجمعت أهلها ، ثم تزوّجته فوجد عندها خلاف ما قدّره ، وأسرعت فى ماله ، ومدت يدها إلى جانبه ، وأفشت سرّه ؛ فغدا على مَنْ كان حضر تزويجَه إياها ، فسألهم أن يجتمعوا عنده ، ففعلوا ، فقال لهم :

أَرَيْتَ امرأً كنتُ لمْ أَبْلُهُ ... أتانى فقال اتَّخِذْنى خليلا
فخاللتُــه ثم أكرمتُه ... فلم أَسْتَفِدْ مِنْ لَدَيْه فَتيلا
وألفيتُــه حين جَرَّبتُه ... كَذوبَ الحديث سروقًا بخيلا
فذكّرتُه ثم عاتبتُــه ... عتابا رقيقاً وقولاً جميلا
وألفيتُــه غير مستَعتِبٍ ... ولا ذاكرِ الله إلا قليلا[1]
ألستُ حقيقًا بتوديعه ... وإتباع ذلكَ صَرْما طويلا!

فقالوا : بلى والله يا أبا الأسود ؛ فقال : تلك صاحبتكم وأنا أحبّ أن أستُر ما أنكرتُه من أمرها ، فطلّقها وانصرفت معهم .

كان أبو الأسود أبخر ، فسارّ معاويةَ يومًا بشىء ، فأصغى إليــه ممسكًا بكمِّه على أنفه ، فنحّى أبو الأسود يده عن أنفــه ، وقال : لا والله [لا تسود] [2] حتى تصبر على إسرار[3] الشيوخ البُخْر .

كان أميرُ المؤمنين علىّ بن أبى طالب استعمل أبا الأسود على البصرة، واستكتب زياد بن أبيه على ديوان الخراج ، فجعل زياد يقع فى أبى الأسود عند علىّ ، فلما بلــغ ذلك أبا الأسود قال [فيه] [2] :

رأيتُ زياداً ينتحينى بشرّهِ ... وأعرِض عنه وهو بادٍ مَعاقِلُهْ
وكان امرأً واللهُ بالنَّاسِ عالمٌ ... له عادة قامت عليهــا شمائلُهْ

---

(١) استعتبه : استرضاه .

(٢) من الأغانى .

(٣) الأغانى : «سرار» .

تَعَوَّدَها فيما مضى من شبابِهِ ‏ ‏ ‏ كذلك يدعو كلَّ أمرٍ أوائلُهْ
ويُعْجِبُهُ صَفْحِى لهُ وتَحمّلى[1] ‏ ‏ ‏ وذوالجهل يحذو الجهل من لايعاجله[2]
فقلت له دعنى وشأنى إنّنا ‏ ‏ ‏ كلانا عليهِ معملٌ وهو عامِلُهْ
فلولا الذى قد يُرتجى من رَجَائه ‏ ‏ ‏ لجرّبتَ منّى بعضَ ما أنت جاهِلُهْ
لجرّبت أنّى أَمْنَحُ الغَىَّ مَنْ غوى ‏ ‏ ‏ علىّ وأجزِى ما جزَى وأطاوِلُهْ

فلما ادّعى معاويةُ زيادا وولّاهُ العراق ، كان أبو الأسود يأتيه فيسأله حوائجَه ؛ فربّما قضاها ؛ وربما منعها ؛ لما يعلمه من رأيه وهواه فى علىّ عليه السلام . ومما كان بينهما فى تلك الأيام وهما عاملان ، وكان أبو الأسود يُداريه ما استطاع ، ويقول فى ذلك :

رأيتُ زياداً صَدَّ عنِّى بوجهِهِ ‏ ‏ ‏ ولمْ يَكُ مَرْدُودًا عن الخير سائلُهْ
يُنَفِّذُ حاجاتِ الرِّجال وحاجتِى ‏ ‏ ‏ كداء الجوَى فى جوفه لا يزايلُهْ
ولا أنا ناسٍ ما نسيت فآيسٌ ‏ ‏ ‏ ولا أنا راءٍ ما رأيت ففاعلُهْ
وفى النَّاس حَزْمٌ للّبيب وراحةٌ ‏ ‏ ‏ من الأمر لا يُنْسى ولا المرء نائلُهْ

كان أبو الأسود يدخل على عبد الله بن زياد يشكو إليه دَيْنًا ، لا يجد إلى قضائه سبيلا ، فيقول له : إذا كان غدًا فارجع إلى حاجتك فإنى أحبّ قضاها ، فيدخل إليه فى غد فيذكُر له أمره ووعَده فيتغافل عنه ، ثم يعاوده ولا يصنع شيئا فى أمره ، فقال أبو الأسود :

دعانى أميرِى كى أفوهَ بحاجَتِى ‏ ‏ ‏ فقلتُ فما ردَّ الجواب ولا استَمَعْ
فقمتُ ولم أُحْسِسْ بشىء ولم أصُنْ ‏ ‏ ‏ كلامِى وخير القول ما ضرّ أو نَفَعْ
وأجمعتُ يأساً لا لبانَةَ بَعْدَهُ ‏ ‏ ‏ ولَلْيَأْسُ أدنَى لِلْعفاف من الطَّمَعْ

(١) الأغانى : « وتجملى » .
(٢) يحذو : يعطى .

سأل رجلٌ أبا الأسود شيئا ، فمنعَه ، فقال له : يا أبا الأسود لقد أصبحت حاتميًّا —يهزأ به—فقال:نعم، أصبحت حاتميًّا من حيث لا تدرِى أنت، أليس حاتمٌ الّذِى يقول :

أماوِىَ إما مانعٌ فبيّنٌ وإمَّا عطاءٌ لا يُنَهْنِهُهُ الزَّجْرُ ![1]

دخل أبو الأسود على معاويةَ ، فقال له : لقد أصبحتَ جميلا يا أبا الأسود فلو تعلقت تميمةً تدفع[2] العين ! فقال :

أفنَى الشَّبابَ الَّذِى فارقت جِدَّتَهُ كَرُّ الجديدين من آتٍ ومنطلقِ

لم يتركا لى فى طول اختلافهما شيئاً يُخاف عليه لَذْعَةُ الحَدَقِ

كان لأبى الأسود جارٌ فأولع جارهُ برميه بالحجارة كلّما أمسى وآذاه ، فشكا أبو الأسود ذلك إلى قومه وغيرهم ، فكلّموه ولاموه .

فقال : لستُ أرميه وإنما يرميه الله ؛ لقطعه للرّحم ، وسرعته إلى الظلم فى بخله بما له ، فقال أبو الأسود : لا أجاوِرُ رجلا يقطع رحمى ، ويكذب على ربّى فباع داره فى بنى الدُّئل ، واشترى دارا فى هذيل فقيل له : يا أبا الأسود ، بعتَ دارك . فقال : لم أبعْ دارى ولكنِّى بعتُ جارى فأرسلها مثلا ، وقال فى ذلك :

رَمَانِى جَارِى ظَالِمًا لى رميَةٍ[3] فقلت له مهلا فأنكَرَ ما أتَى

وقال الّذى يرميك ربُّك جازياً بذنبك والحوبات تُعْقِبُ ما تَرَى

فقلت له لو أنّ ربّى برَمْيةٍ رمانِى لما أخْطَا إلهِىَ ما رَمَى

جزى الله شَرًّا كلَّ من قال سوءة وينْحَلُ فيها ربَّهُ الشرَّ والأذى[4]

---

(١) نهنهه : كفه .

(٢) الأغانى : « تنفى » .

(٣) الأغانى : « ظالما برمية » .

(٤) نحله : نسبه إليه .

وقال فيه :

وإنى لَتَثْنِينِى عن الشَّتْمِ والخَنَا … وَعَنْ سَبِّ ذى القربى خلائقُ أرْبَعُ
حياءٌ وإسلامٌ وتقوى وأنّنى … كريمٌ ، ومثلى قد يضرُّ وينفَعُ
فإن أعف يوماً عن ذنوب أتيتهَا … فإنّ العصا كانت لمثلىَ تُقْرَعُ
وشتّان ما بينى وبينك ، إنّنى … علىّ كل حال أستقيم وتظلَعُ(١)

وقال فى غيره :

بُليتُ بصاحبٍ إنْ أدْنُ شبراً … يَزِدْنى فى تباعده ذراعا(٢)
وإن أمدُدْ له فى الأصل ذَرْعِى … يَزِدْنى فوق قِيس الذَّرع باعا(٣)
أبَتْ نفسِى له إلّا اتبّاعا … وتأبَى نفسُه إلّا امتناعا
كلانا جاهدٌ أدنو وينأى … فذلك ما استطعت وما استطاعا

وقال فيه :

أعَصَيْتَ أمْرَ ذَوِى النُّهَى … وأطعْتَ أمرَ ذوى الجهالَهْ
أخطأت حين صَرَمْتَنِى … والمرءُ يعجِزُ لا مَحَالَهْ
والعَبْدُ يُقْرَعُ بالعَصَا … والحرّ تكفيه المقالَهْ

وقال:

أَحْبِبْ إذا أحبَبْتَ حُبًّا مقارباً … فإنَّكَ لا تدرى متى أنت نازع !
وأبْغِضْ إذا أبغضتَ بغضا مقارباً … فإنك لا تدرى متى أنت راجع!
وكن معدناً للحلمِ واصفح عن الخنا … فإنّك راءٍ ما فعلت وسامعُ

وأبو الأسود هو القائل : ليس للسائل الملحف مثل الرّدّ الجامس(٤) .

---

(١) ظلع : غمز فى مشيه .
(٢) الأغانى : « مباعدة ذراعا » .
(٣) قيس : قدر .
(٤) فى الأغانى : « يعنى بالجامس الجامد » .

كان أبو الأسود نازلًا فى بنى قُشَير [وكانت بنو قُشَير][1] عثمانية ، وكانت امرأته أم عوف منهم ، وكانوا يؤذونه ويسبُّونه ، وينالون من علىّ عليه السلام بحضرته ؛ ليغيظوه به ويرمونه بالليل ، وإذا أصبح قال لهم : يا بنى قُشير ، أى جوار هذا ! فيقولون له : لم نَرْمِك إنَّما رماكَ الله لسوء مَذْهَبِك ، وقُبْح دينك ، فقال فى ذلك :

يقول الأرذَلُون بَنُو قُشَيرٍ ... طَوالَ الدَّهْر ما تنسى عليًّا !
فقلت لهم وكيف يكون تَرْكِى ... من الأعمال مفروضا عَلَيَّا !
أحبُّ محمّداً حُبًّا شديداً ... وعَبّاساً وحمزةَ والوصِيّا[2]
بنو عَمِّ النبي وأقربُوهُ ... أحبُّ النّاسِ كُلِّهُمُ إليَّا
فإن يك حبهم رُشْداً أصبت[3] ... ولست بمخطىءٍ إن كان غَيّا
همُو أهل النصيحة غير شَكٍّ ... وأهلُ مودَّتى ما دُمتُ حَيّا
هوًى أعطيتُه لَمَّا استدارَتْ ... رَحَا الإسلام لم تعدِلْ سَوِيَّا[4]
أحبُّهُم كحبِّ الله حتّى ... أجىء إذا بُعِثْتُ على هَوَيَّا[5]
رأيتُ الله خالقَ كلِّ شىءٍ ... هدَاهُمْ واجتبى منهم نبيّا
ولم يخصص به أحداً سواهم ... هنيئا ما اصطفاه لهم مرِيًّا

فقال له بنو قُشير : شككت يا أبا الأسود فى صاحبك بقولك :

فإن يك حُبّهم رشدا أصبت ... ولَسْتُ بمخطىءٍ إن كان غَيّا

---

(١) من الأغانى .
(٢) الوصى : على بن أبى طالب .
(٣) فى الأغانى : « أصبه » .
(٤) السوى : الطريق المستقيم .
(٥) على هويا ، على هواى .

فقال له : أما سمعتم قول الله عز وجل : ﴿ وإنّا أو إيّاكُم لَعَلَى هُدًى أَوْفِي ضَلالٍ مُبِين ﴾ . أفترون الله عزّ وجلّ شكّ فى نبيّه صلى الله عليه وسلم !

كان لأبى الأسود على باب داره دُكّانٌ يجلس عليه، مرتفع عن الأرض إلى قدر صَدْر الرجل ، وكان يوضع بين يديه خِوانٌ عَلَى قَدْر الدكان ، فإذا مرّ به مارٌّ دعاه إلى الأكل لم يجد موضعا يجلس فيه ، فمرّ به ذاتَ يوم فتًى ، فدعاه إلى الغَدَاء ، فأقبل عليه ، فتناول الخوانَ فوضعه أسفَل ، ثم قال : يا أبا الأسود ، إن عزَمت على الغداء فانزِلْ ، وجعل الفتى يأكل ، وأبو الأسود ينظر إليه مغتاظا ، حتى أتى على الطعام .

فقال أبو الأسود : ما اسمُك يا فتى ؟ فقال : لُقمان الحكيم ، فقال : لقد أصاب أهلك حقيقة اسمك!

كان أبو الجارود سالم بن سلَمة بن نوفل الهُذَلىّ صديقا لأبى الأسود يُهاديه الشعر ، ويحبّ كلٌّ منهما صاحبَه ، ويتعاشران ويتزاوران ، فوُلِّى أبو الجاورد ولاية، فجفا أبا الأسود وقطَعه ، ولم يبدأه بالمكاتبة ولا أجابه ، فقال أبو الأسود فيه :

أَبلِغ أبا الجارودِ عَنِّى رسالةً ... يرُوح بها الغادى لربعكَ أو يغدو
أأن نلتَ خيراً سرّنى أن تنالَهُ ... تنكَّرت حتى قلت ذو لِبْدةٍ وَرْدُ(١)
فعيناك عيناه ، وصوتك صوته ... تُمَثِّله لى غير أنَّكَ لا تَعْدُو
فإنْ كنتَ أزمعْتَ بالصرم بيننا ... لقد جعلت أشراط أوّله تبدُو
فإنى إذا ما صاحبٌ رَثَّ وَصْلُه ... فأعرض عنى قلَّ مِنِّى لَهُ الْوَجْدُ

كان لأبى الأسود صديق . يقال له : الحارث بن خالد(٢) ، وكان فى شرف من العَطاء ، فقال لأبى الأسود : ما يمنعُك من طلب الديوان فإنَّ فيه غَناءً وجَزَاءً(٣) .

---

(١) ب ، ج : « ذو كبد » ، تصحيف ، صوابه من الأغانى . واللبدة : الشعر المتراكم بين كتفى الأسد . والورد : الأسد .

(٢) الأغانى : « خليد » .

(٣) الأغانى : « غنى وأخيرا » .

فقال أبو الأسود : قد أَغْنَانى اللهُ عنه بالقناعة والتجمل ، فقال : كلّا ، ولكنّك ببَرَكَة إقامة على محبّة علىّ بن أبى طالب وبغضِ هؤلاء القوم ، وزاد الكلام بينهما حتى أغلظ له الحارث بن خالد ، فهجره أبو الأسود ، وندم الحارث على مافرَط منه ، فسأل عشيرته أن يصلحوا بينهما .

فأتوا أبا الأسود ، وقالوا له : قد اعتذر مما فرط منه ، وهو رجل حَدِيد[1] ، فقال أبو الأسود :

لناصاحبٌ لا كليلُ اللسانِ فيَصْمُتُ عَنّا ولا صارمُ
وشَرُّ الرِّجالِ عَلَى أهلِهِ وأصحابه الَحِمقُ الْعَارِمُ

ولما أتى أبا الأسود نعىُ علىّ بن أبى طالب عليه السلام ومعه الحسن عليه السلام ، قام على المنبر فخطب الناس ، ونَعَى لهم عليًا عليه السلام فقال فى خطبته : وإنّ رجلا من أعداء الله المارقة عن دينه ، اغتال أميرَ المؤمنين كرّم الله وجهه ومثواه فى مسجده ، وهو خارج لتهجّده فى ليلة يُرْجَى فيها مصادفة ليلة القَدر فقتله ، فيالله هو من قتيل ! وأَكرِمْ به وبمقتله ؛ وروحه من روح عَرَجت إلى الله عزّ وجلّ بالبرّ والتقى ، والإيمان والإحسان ! لقد أطفأ منه نورَ الله فى أرضه ؛ لا يتبين بعده ، وهدَمَ رُكْناً من أركان الله عزّ وجلّ ، لا يشادُ مثلُه ، فإنّا لله وإنّا إليه راجعون ! وعند الله نَحْتَسِب مصيبَتنا بأمير المؤمنين ، وعليه السلام ورحمة الله يوم وُلد ويوم قُتل ويوم يبعث حيا !

ثم بكى حتى اختلفت أضلاعه ، ثم قال :

وقد وَصَّى بعده بالإمامة إلى ابن رسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم ابنه وسليله ، وشبيهه فى خَلْقه وهديه . وإنى لأرجُو أن يجبر الله به ما وَهَى ، ويسدّ ما انْثَلَمَ ، ويجمع به الشَّمْل ، ويطفئ به نيران الفتنة ؛ فبايِعُوه تَرشدوا .

(١) حديد : حاد اللسان .

فبايعت الشّيمة [كلّها][1] وتوقّف من يرى رأى العثمانيّة ، ولم يظهروا أنفسهم بذلك ، وهربوا إلى معاوية .

فكتب إليه معاوية مع رسول دسّه إليه ، يُعلِمه أنّ الحسن راسله فى الصُّلح ، ويدعوه إلى أخذ البيعة له بالبصرة ، ويعِدُه ، ويمنّيه ، فقال أبو الأسود :

أَلَا أَبْلِغْ مُعَاوِيةَ بْنَ حَرْبٍ فَلا قَرّتْ عُيونُ الشَّامِتينا
أَفِى شَهْرِ الصِّيام فجعتمونَا بخيرِ النَّاسِ طُرًّا أجمعينا
قتلتمْ خيرَ مَنْ رَكِبَ المطايَا وخَيَّسَها ومَنْ رَكِبَ السَّفِينا[2]
ومَنْ لَبِسَ النِّعالَ ومَنْ حَذَاها[3] ومَنْ قرأَ المثانِى والمئِينا
إذا استقبلتَ وَجْهَ أبى حسينٍ رأيتَ البَدْرَ راقَ لناظرينا
لَقَدْ عَلِمَتْ قُرَيشٌ حيثُ حَلَّتْ بأنَّك خيرُها حَسَباً وَدِيناَ

كان أبو حَرْب بن أبى الأسود قد لزِمَ منزل أبيه بالبَصْرة ، لا ينتجع أرضا ، ولا يطلب الرزق فى تجارة ولا غيرها ، فعاتبه أبوه ؛ فقال أبو حرب : إن كان لى رزق فسيأتينى ؛ فقال أبوه أبو الأسود :

وَمَا طَلَبُ الْمَعيشَةِ بالتَّمنِّى ولكنْ ألقِ دَلْوَكَ فى الدِّلَاءِ
تجئك بِملئها يوماً ويوما تجئك بحمأةٍ وقليلِ ماء[4]

اشترى أبو الأسود جاريةً للخدمة ، فجعلت تتعرّض منه للنّكاح ، وتتطيب وتشتمل بثوبها ، فدعاها أبو الأسود وقال لها : إنّما اشتريتُك للخدمة لا للنكاح ، فأقبلى على خدمتك ، وقال :

---

(١) من الأغانى .

(٢) خيسها : ذللها .

(٣) حذاه نعلا : أعطاه إياها.

(٤) الحمأة : الطين الأسود المنتن .

أصلاح إنّى لا أريدُكِ للصِّبَا فدعِى التشمل حولَنَا و تَبَذُّلِى[1]
إنى أريــدُكِ للعجينِ وللرَّحا ولحمل قربتنا وغَلْى المِرْجَلِ
وإذا تَرَوَّحَ ضيف أهلك أوغدا نحــذى لآخر أهبة المستقبِلِ

كان المنذر بن الجارود العبدىّ صديقا لأبى الأسود ، يعجبه مجالسته وحديثه ، وكان كل واحد منهما يغشَى صاحبه ، وكانت لأبى الأسود مقطّعة من بُرودٍ يكثر لبسها ؛ فقال له المنذر : لقد أدْمنت لُبْس هذه المقطّعة ! فقال له أبو الأسود : رُبَّ ملولٍ لا يستطاع فراقه !

فعلم المنذر أنّه قد احتاج إلى كسوة ، فأهدى إليه ثيابا ، فقال أبو الأسود يمدحُه :

كَسَاكَ وَلَمْ تَسْتَكْسِه فشكرتَهُ أخٌ لك يعطيكَ الجزيــلَ وناصرُ
وإنَّ أحقّ الناس إن كنت حازماً[2] بحمدِكَ مَنْ أعطاكَ والعِرْضُ وافرُ

وقال أبو الأسود يُوصى ابنه :

لَا تُرْسِلَنَّ رســالةً مشهورةً لاتستطيعُ ـ إذا مضت ـ إدراكَهَا
أكرِمْ صديقَ أبيــك حيث لقيتَه واحبُ الـكرامةَ مَنْ بدا فَحَبا كَها
لا تبدينّ نميمــةً حُدِّثْتَهــا وتحفظنّ من الّــذى أنْبَاكَها

توفّى أبو الأسود فى طاعون الجارف ، سنة تسع وستين ، وله خمس وثمانون سنة ، وقيل غير ذلك .

وله ـ وكتب بها إلى زياد ابن أبيه :

إنّــنى مجــرمٌ وأنت أحــقّ النّا سِ إنْ تقبل الغَداةَ اعتذارِى
فاعفُ عَنِّى فقد سُفِهْت وأنت الْـ مرء تعفُو عن الهَنَاتِ الـكبارِ

---

(١) تبذل : لبس ثوب البذلة ، وهو ثوب الخدمة والاعتمال . تشتمل بالشملة : تغطى بها ؛ وهى كساء دون القطيفة يلتحف به .

(٢) الأغانى : « حامدا » .

حرف العين

عُبيد بن سريج*

[كتب الوليدُ بن عبد الملك إلى عامل مكة : أن أشخِصْ إلىّ ابنَ سُرَيج ، فأشخصه ، فلمّا قدِم مكث أيّاما لا يدعُو به ، ولا يلتفت إليه . قال : ثمّ إنه ذكره ، فقال : ويلكم ! أينَ ابنُ سريج ؟ قالوا : هو حاضر ، قال : علىَّ به ، فقالوا : أجب أمير المؤمنين ، فتهيأ ولبس وأقبل حتى دخل عليه فسلّم ، فأشار إليه : أن اجلِسْ ، فجلس بعيداً ، فاستدناه فدنا حتى كان منه قريبا ، وقال : ويحك يا عُبيد ! لقد بلَغَنِي عنك ما حَمَلنى على الوِفادة بك من كثرة أدبك ، وجَوْدة اختيارك ؛ مع ظرف لسانك ، وحلاوة مجلسك ، فقال : جعلت فداءك يا أمير المؤمنين ! « تسمع بالمعيدىِّ خير من أن تراه » .

قال الوليد : إنّى لأرجو ألّا تكون أنت ذاك ، ثم قال : هات ماعندك ، فاندفع ابن سُريج ، فغنّى بشعر الأحوص :

أمَنْزِلَتَىْ سَلْمى على القِدَمِ اسْلَمَا ... فقد هِجْتُما للشَّوْق قلبا مُتَيَّمَا
وذكَّرتُما عَصْرَ الشَّباب الّذِى مضى ... وجِدّةَ وَصْلٍ حَبْلُهُ قد تَجَذَّمَا[1]

---

* ترجمته فى الأغانى ١ : ٢٤٨ ـ ٣٢٣ (طبع دار الكتب) ؛ وهو عبيد بن سريج ؛ ويكنى أبا يحيى ، مولى بنى نوفل بن عبد مناف ، وذكر ابن الكلبى أنه مولى لبنى الحارث بن عبد المطلب . وقيل : هو مولى لبنى ليث . وقد سقط صدر ترجمته من الأصلين ب، ج ؛ ومابين العلامتين من الأغانى . وانظر ص ٣٩٩ من هذا الجزء

(١) تجذم : تقطع .

وإنّى إذا حَـلّتْ ببيش مُقيمةً ... وحــلّ بوجٍّ جالساً أو تتهَّماَ(١)

يَمَانيـةٌ شَطّتْ فأصبح نَفْعُهَا ... رَجَـاءً وظَنًّا بالمغيب مُرَجَّماَ

أحِبُّ دُنُوَّ الدارِ منهـا وقد أبَى ... بها صَدْعُ شَعْبِ الدّارِ إلّا تَثلُّما(٢)

بَـكَاهَا وَمَايَدْرِى سِوَى الظَّنِّ مَنْ بَـكَى ... أحَيًّا يُبَـكّى أمْ تُراباً وأعظُما

فَدَعْهَا وأخْلِفْ للخليفةِ مِدْحَةً ... تُزِلْ عَنْك بُؤْسِى أو تفيدُك أنعُمَا

فإن بكفّيْهِ مفـاتيحَ رحمـةٍ ... وغيثَ حياً يَحْيَا به النّاسُ مُرْهِماَ(٣)

إمَامٌ أتاه المُلْكُ عَفْوًا ولم يُثِبْ ... عَلَى مُلْكِهِ مالًا حَرَاماً ولا دَماَ

تَخَيّرَهُ ربُّ العِبــادِ لِخَلْقِه ... وَلِيًّا وكانَ اللهُ بالنّاس أعْلَماَ

فَلَمّا قَضَاهُ اللهُ لم يَدْعُ مُسْلِماً ... لِبَيْعَتِه إلّا أجابَ وَسَلّماَ

يَنَالُ الْغِـنَى والعزَّ مَنْ نال وُدَّهُ ... وَيرْهَبُ مَوْتاً عاجِلًا مَنْ تَشَأَّمَا(٤)

فقال الوليد : أحسنت والله وأحسن الأحوص ! علىَّ بالأحْوَص ، ثم قال : ياعُبيد هيه ؛ فغنّاه بشعر عدىّ بن الرِّقاع العاملىّ ، يمدح الوليد :

طارَ الْـكَرى وألَمَّ الهمُّ فاكتنعا ... وحيل بينى وبين النّوم فامتنعاَ(٥)

كانَ الشّبَابُ قِناعاَ أستـكِنُّ بـه ... وأستظلّ زمانا ثُمّتَ انقَشَعـا

فاسْتَبْدَلَ الرّأس شَيْباً بعد داجيةٍ ... فَيْنَانَةٍ ماتَرَى فى صُدْغِها نزَعاَ(٦)

---

(١) بيش : أحد مخاليف اليمن . وج : اسم واد بالطائف. جالسا : آتيا الجلس، وهو نجد . وتتهم : أتى تهامة .

(٢) يطلق الشعب على التفرق وعلى الاجتماع ؛ وهو المراد هنا .

(٣) يقال : أرهمت السماء : أتت بالرهام ؛ جمع رهمة ، وهى المطر الضعيف الدائم.

(٤) تشأم بمعنى تشاءم .

(٥) ألم : نزل ، واكتنع : دنا وحضر .

(٦) فينانة : حسنة الشعر طويلته ، النزع : انحسار مقدم شعر الرأس عن جانبي الجبهة .

فإنْ تكُنْ مَيْعةٌ مِنْ باطلٍ ذهبَتْ وأعقب الله بَعْدَ الصَّبْوةِ الوَرَعا[1]
فقد أبيتُ أراعِي الخوْدَ رَاقدَةً على الوسائدِ مَسْروراً بها وَلِعا[2]
بَرّاقةَ الثَّغْر تشفِي الْقَلْب لذَّتُها إذا مقبِّلُها فى ريقها كَرَعا
كالأُقْحُوانِ بِضاحِي الرَّوْض صَبَّحَهُ غيثٌ أرشَّ بتنضاحٍ وما نَقَعَا[3]
صلّى الّذى الصَّلَوَاتُ الطَّيباتُ لـه والمؤمنون إذا ما جَمَّعوا الُجمَعَا
عَلَى الَّذِى سَبَق الأقوامَ ضاحِيَةً بالأَجْرِ والحمدِ حتَّى صاحبَاه مَعَا
هُوَ الَّذِى جَمَع الرَّحْمٰنُ أُمَّتَه على يديْه ، وكانوا قَبْلَهُ شِيَعا
عُذْنَا بذِى الْعَرْشِ أنْ نحيا ونفقدَه وأن نكون لراعٍ بعدَهُ تَبَعا
إنَّ الوليدَ أميرَ المؤمنين لَهُ مُلْكٌ عليه أعانَ اللهُ فارتفعا
لا يمنعُ النَّاس ما أعطى الذين هُمُ له عبادٌ ولا يُعْطُون ما مَنَعا

فقال له الوليد : صَدَقْتَ يا عُبيد ، أنَّى لك هذا ؟ قال : هو من عند الله ، قال الوليد : لو غير هذا قلت لأحسنت أدبك ! قال ابن سريج : ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ! قال الوليد : يزيد فى الخلق ما يشاء ، قال ابن سريج : هذا من فضل ربى؛ ليبلونى أأشكر أم أكفر !

قال الوليد : لَعِلْمُكَ واللهِ أكبرُ وأعجب إلىّ من غِنائك ! غَنِّنِى ، فغنّاه بشعر عدىّ بن الرِّقاع العاملىّ ، يمدح الوليد :

عَرَفَ الدِّيَارَ تَوَهُّماً فاعْتَادَهَا من بعد ما شَمَل الْبِلَى أبْلادَهَا[4]

---

(١) ميعة كل شيء : حدته .

(٢) الخود : الفتاة الحسنة الخلق الشابة ؛ ما لم تصر نصفا .

(٣) التنضاح ، من النضح والرش.

(٤) اعتادها : أعاد النظر إليها مرة بعد أخرى لدروسها حتى عرفها . أبلادها : آثارها ؛ جمع بلد وهو الأثر .

وَ رُبَّ واضحةِ العوارض طَفْلةٍ ... كالرِّيم قد ضَرَبَتْ بهــا أوْتَادها[1]
إنّى إذا ما لم تصلنى خُلَّــتى ... وتباعَدَتْ مِنّى اغتفرتُ بِعادها[2]
صَلَّى الإلَهُ عَــلَى امرئٍ ودعتُه ... وأتمّ نعمتَه عليــه وزادَهــا
وإذا الربيــعُ تتابعتْ أنواؤهُ ... فَسَقَى خُنَاصِرَةَ الأحَصِّ فجادَهـا[3]
نَزَلَ الوليدُ بِهاَ فـكانَ لأهْلِهـا ... غيثا أغاث أنيسَهـا وبِلَادَهـا
أوَلا تَرَى أنَّ البرِيّةَ كُلَّهَـا ... ألقتْ خزَائمها إليـه فقادَها !
ولقد أراد الله إذ ولاّكَهـا ... من أمةٍ إصلاحَها ورَشَادَهَا
أعْمَرْتَ أرضَ المسلمين فأقبلَتْ ... وكففتَ عنها مَنْ يَرُومُ فسادَها
وأصبت فى أرض العـدوّ مصيبةً ... عمَّتْ أقاصىَ غَوْرِها ونِجادهـا
ظَفَرًا ونَصْراً ما تنــاول مثلَه ... أحــدٌ من الخلفـاء كان أرادَها
فإذا نشرتُ له الثَّناء وجدتُه ... جَمَع المكارمَ طِرْفَها وتِلَادَها

فأشار الوليد إلى بعض الخدَم، فغطَّوْهُ بالخِلَع، ووضعوا بين يديه كِيساً من الدّنانير وبِدَراً من الدراهم، ثم قال الوليد بن عبد الملك : يا مولَى بنى نوفل بن الحارث ! لقد أوتيت أمراً جليلا، فقال ابنُ سُرَيج : يا أميرَ المؤمنين ! لقد أتاك الله مُلْكا عظيما وشرفا عالياً وعِزًّا بَسَطَ يدكَ فيه فلم يقبِضْه عنك ـ ولا يفعل إن شاء الله ـ فأدَام اللهُ لك ما ولّاك وحفظك فيما استرْعَاك، فإنَّك أهلٌ لما أعطاك، ولا نزعه منك إذا رآك له موضعا، قال : يا نوفلىّ، وخطيب أيضا ! قال ابن سُرَيج : عنك نطقت، وبلسانك تعلّمت، وبعزّك بَيَّنْت. وقد كان أمر بإحضار الأحوص بن محمد الأنصارىّ، وعدىّ

---

(١) العوارض : الثنايا ؛ سميت بذلك لأنها فى عرض الفم. والطفلة : الرخصة الناعمة.

(٢) خلتى : صديقتى.

(٣) أنواء : جمع نوء ؛ وهو النجم إذا مال للمغيب. خناصرة : بليدة من أعمال حلب تحاذى قنسرين من ناحية البادية.

ابن الرِّقاع العاملىّ ، فلمّا قدما عليه أمر بإنزالهما حيث ابنُ سُريج ، فأنزِلا منزَلًا إلى جنب ابن سريج ، فقالا : والله لَقُرْب أمير المؤمنين كان أحبّ إلينا من قربك يا مولَى بنى نَوْفل ، وإن فى قربك لما يلذُّنا ويشغلنا عن كثير مما نريد ، فقال لهما ابن سريج : أوَ قلة شكر ! فقال له عدىّ : كأنك يا ابن اللخناء تمنّ علينا ! علىّ وعلىّ [(1)] لا يَجْمعنى وإياك صَحْن دار ، أو سقف دار إلّا عند أمير المؤمنين ! وأمّا الأحوص فقال : أو لا يَحتمل لأبى يحي الزّلة والهفْوة ! كفّارة يَمِينٍ خيرٌ من عدم المحبّة ، وإعطاء النفس سؤلَها خيرٌ من لَجاجٍ من غير منفعة . فتحوّل عدىّ وبقِىَ الأحوص.

وبلغ الوليد ما جَرَى بينهم فدعا ابنَ سُريج فأدخله بيتاً ، وأرخى دونه سِتْرًا ، ثم أمره إذا فرغ الأحوص وعدىّ من كلتيهما أن يُغَنِّىَ . فلَمّا دخلا وأنشداه مدائح له ، رفع ابن سريج صوته من حيث لا يرونه ، وضرب بعوده فقال عدىّ : أتأذن لى يا أمير المؤمنين أن أتكلم ؟ قال : قلْ يا عاملىّ ، قال : مثل هذا عند أمير المؤمنين ويبعث إلى ابن سريج يتخطى به رقاب قريش ، والعرب من تِهامة إلى الشام ، ترفعه أرض وتخفضه أخرى . فيقال : من هذا ؟ فيقال : عبيد بن سُريج مولى بنى نوفل ، بعث إليه أمير المؤمنين ليسمع غناءه ! قال : ويحك ياعدىّ ! أو تعرف هذا الصوت ؟ قال : لا والله ما سمعته قطّ ، ولا سمعت مثله حسًّا ، ولولا أنه فى مجلس أمير المؤمنين لقلت : طائفة من الجن يُغنون(2) .

فقال: اخرج عليهم، فخرج؛ فإذا ابن سُريج. فقال عدىّ: حقّ لهذا أن يُحْتمل(3)! ثمّ أمَر لهما بمثل ما أمرَ [به](4) لابن سريج ، وارتحل القومُ ، وكان الذى غناه ابن سريج فى شعر عمر بن أبى ربيعة:

(١) من أول هذا الخبر إلى هنا تكملة من الأغانى .
(٢) الأغانى : « يتغنون » .
(٣) الأغانى بعدها : « ثلاثا » .
(٤) من الأغانى .

باللهِ يا ظبيَ بني الحارثِ هَلْ مَنْ وَفَى بالعهد كالناكث!
لا تخدعَنِّى بالمُنَى عنوة(١) وأنت بى تلعب كالعابثِ
حتى تراءت لنا هكذا(٢) نفسى فداءٌ لك يا حارثى!
يا منتهى همِّى ويا مُنْيتى ويا هوَى نفسِى ويا وارثى

[عن مالك بن أبى السمح، قال: سألت ابن سُرَيج عن قول الناس: فلان يخطئ ويصيب، وفلان يحسن، وفلان يسىء، فقال: المصيب المحسن من المغنين هو الذى يشبع الألحان، ويملأ الأنفاس، ويعدّل الأوزان، ويفخِّم الألفاظ، ويعرف الصواب، ويقيم الإعراب](٣)، ويستوفى النغَم(٤) [الطوال](٣)، ويُحسن مقاطع النغَم القِصار، ويصيب أجناس الإيقاع، ويختلس مواضع النبرات، ويستوفى ما يشاكلها من الضرب من النقَرات، فعَرضْتُ(٥) ما قال على مَعْبد، فقال: لو جاء فى الغناء قرآن ما جاء إلا هكذا!

ورُوِى أنّ ابنَ سريج كان جالساً، فمر به عطاء وابن جريج، فحلف عليهما بالطلاق أن يغنيهما على أنهما إنْ نَهياه عن الغناء بعد أن يسمعا منه تركه، فوقفا له وغنّاهما:

إخوَتِى لَا تَبعدُوا أبداً وَبَلَى واللهِ قد بَعدوا(٦)

فغُشِيَ عَلَى ابن جُرَيج، وقام عَطاء فرقَص.

---

(١) الأغانى: «باطلا».
(٢) الأغانى: «حتى متى أنت لنا هكذا».
(٣) من الأغانى.
(٤) ب، ج: «الضم»، وما أثبته من الأغانى.
(٥) ب، ج: «فوصفت»، والصواب ما أثبته من الأغانى.
(٦) فى الأغانى: «وابلى».

وروى إسحاقُ أنَّ ابنَ سُرَيج كان عند بستان ابن عامر فغنّى .

لمن نارٌ علـى الخبْـ ـتِ[1] دُون البِئْر ماتَخْبُو
أرقت لذكر مُوقدها[2] تَحِنُّ[3] لذِكْرِها القلب

فجعل الحاجُّ يركَبُ بعضُهم بعضاً حتّى جاء إنسانٌ من آخر القُطُرات[4] ، فقال : يا هَذَا ، قد قطعتَ على الحاجّ وحبستَهم ، والوقت قد ضاق فاتّقِ الله وقم عنهم ! فقام وقام النّاس .

وروى إسحاق الموصليّ أنّ سليمان بن عبد الملك لما حجّ ، فرّق بين المغنين بَدْرة ، فجاء ابنُ سريج وقد أغلق الباب فلم يأذَنْ له الحاجب ، فأمسك حتى سكنُوا ، ثم غنّى :

سَرَى هَمِّى وَهَمُّ المرءِ يَسْرِى وغاب النَّجْم إلّا قِيدَ فِتْرِ
أراقِبَ فى المجرَّةِ كُلَّ نَجمٍ تَعرَّض للمجرّة كيف يَجْرِى !
لهمٍّ ما أزالُ لَهُ مديمًا[5] كأنَّ الْقَلْب أسعِر حَرَّ جَمْرِ
عَلَى بَكْرٍ أخِى وَلَّى حَمِيداً وأىّ العيشِ يَصْفُو بَعْدَ بَكْرِ

فقال سليمان : ينبغى أن يكون هذا ابن سريج . قالوا : هو هو ! قال : أدخلوه فأُدْخِل ، فأمره[6] بإعادة الصوت فأعاده فقال : خُذِ البَدْرَة ، وأمَرَ للمغنّين بأخرى .

---

(١) الأغانى : « الخيف » ؛ وكلاهما موضع .
(٢) الأغانى : « موقعها » .
(٣) ب ، ج : « تحى » ، وما أثبته من الأغانى .
(٤) القطرات : جمع قطر ؛ وهو جمع القطار .
(٥) الأغانى : « لا أزال » .
(٦) ج : « فاه » تصحيف ؛ وصوابه من ب .

وقال ابن منغمة[1] : دخلت على ابن سريج فى مرضه الذى مات فيه ، فقلت : كيف أصبحت يا أبا يحيى ؟ قال : أصبحت والله كما قال الشاعر :

كأنّى مِنْ تَذَكُّرِ ما الاقِى إذا ما أظلَمَ اللَّيْلُ الْبَهِيمُ
سَقِيمٌ مَلَّ منـــهُ أقربُوه وأسلمه المـــداوى والحكيمُ

ثم مات .

ولما احتُضِر نظر إلى ابنته تبكى ، فبكى وقال : إنَّ مِنْ أكبر هَمِّى أنت ! وأخشى أن تضيعى بعدى ! فقالت : لا تخَفْ فما غنّيتَ شيئاً إلا وأنا أُغنّيه ، فقال : هاتِى ، فاندفعت تغنِّى أصواتاً وهو مُصْغٍ إليها ، فقال : قد أصبتِ ما فى نفسى ، وهَوَّنْتِ علىّ أمرك !

ثم دعا سعيد بن مسعود الهذلىّ ، فزوّجه إيّاها ، فأخذ عنها أكثر غناء أبيها وانتحله ، فهو الآن يُنسب إليه .

وقال كَثِير بن كَثِير السَّهْمِىّ يَرْثيه :

ما اللَّهْو بعدَ عُبَيْدٍ حين يُخْبِرهُ مَنْ كان يلهُو بِه منه بمُطَّلبِ
لله قَبْرُ عُبَيْدٍ ما تَضَمَّن مِنْ لذاذةِ العَيْش والإحسان والطَّربِ
لولا الغَرِيضُ ففيه من شمَائِلهِ مشابِهٌ لم أكن فيــه بذى أَرَبِ

ومات بعلة الُجذام بمكّة ، فى خلافة سليمان بن عبد الملك أو فِى خلافة الوَليد ، ودُفِن فى موضع هناك ، يقال له دَسْم[2] .

وحدَّث إسحاق بن يعقوب العثمانىّ ، مولى آل عثمان ، عن أبيه قال : إنَّا لبِفناء دار عمر[3] بن عثمان بالأبطح فى صبح خامسة من الثمان ـ يعنى أيام الحج ـ

(١) الأغانى : « مقمة » .

(٢) دسم : موضع قرب مكة ؛ ذكره ياقوت .

(٣) الأغانى : « عمرو » .

إذا برجلٍ على راحلةٍ ، عليها رَحْلٌ جميل ، وأداةٌ حسنة ، معه صاحب له على راحلةٍ ، قد جَنَب إليها فرساً وبغلا ، فوقَفا عليّ ، وسألانى ، فانتسبتُ لهما عثمانيًّا فنزلا ، وقالا : رجلان من أهلك قد طلبا حاجة ، تحبّ[1] أن تقضيها قبل أن تبدأ[2] بأمر الحج .

قلت : حاجتكما ؟ قالا : نريد إنساناً يوقفنا على قبر ابن سُرَيْج ، قال : فنهضت معهما [حتى بلغت معهما][3] محلّة أبى قارَة ، من خُزاعة ، وهم موالى عُبَيد بن سُرَيج ، فالتمست لهما إنساناً يصحبهما حتّى يُوقفهما على قبره [بدسم ، فوجدت ابن أبى دبا كل ، فأنهضته معهما ، فأخبرنى بعد أنه لما وقف على قبره][3] نزل أحدهما فحَسَر عمامتَه عن وجهه ، وإذا هو عبد الله بن سَعيد بن عبــد الملك بن مَرْوان ، فعقر ناقتَه ، واندَفع يندبه بصوت شجٍ حسن ، ويقول :

وَقَفْنَا عَلَى قبرٍ بدسْمٍ فهاجَنَا ... وذكَّرنا بالعيش إذ هو مصحِبُ[4]

فجالتْ بأرجاءِ الجفُونِ سَوَافِحٌ ... من الدَّمْع تستبكى الّذِى يتعقَّبُ

إذا أبطأتْ عن ساحةِ الخدّ ساقَها ... دمٌ إثْر دمعٍ بعـــده يتصبّبُ[5]

فإنْ تُسعِدَا نَنْدُبْ عُبيْدًا بعَوْلَةٍ ... وقلَّ لهُ مِنَّا البُكا والتحوُّبُ[6]

ثم نزل صاحبُه فعقر ناقتَه ، وقال له القرشىّ : خذ فى صوت أبى يحيى ، فاندفع يغنّى :

---

(١) الأغانى : « ونحب » .

(٢) الأغانى : « قبل أن نشده » أى نشغل .

(٣) تكملة من ب والأغانى .

(٤) المصحب : الذليل المنقاد بعد صعوبة .

(٥) الأغانى : « دم بعد دم » .

(٦) العولة : رفع الصوت بالبكاء . والتحوب : التوجع . وفى ب ، ج : « وقل له » ، والصواب ما أثبته من الأغانى .

أسْعِدانِى بعبرة أترابى[1] من دموع كثيرة التسكابِ
إنَّ أهـل الِحصَاب قد تركونِى مولَهاً مولَعاً بأهل الِحصَابِ
أهلِ بيت تتابعوا للمنـايا[2] ما على الموت بعـدهم من عتابِ
فارقونِى وقد علمتُ يقيناً ما لمنْ ذَاقَ مِيتَـةً من إيابِ
كم بذاكَ الحجُون من حَىّ صدقٍ[3] وكـهولٍ أعفّـــةٍ وشَبابِ
سكنوا الجزْع جزع بيت أبى مو سَى إلى النخل من صُفِىّ السِّبابِ[4]
فلِىَ الويلُ بَعْـدَهُمْ وعليهمْ صرتُ فَرْدًا ومَلَّنِى أصحابى

قال ابن أبى دُبا كل : فوالله ما تم صاحبه منها ثالثا[5] حتى غُشِىَ على صاحبه ، وأقبل يُصْلِحُ السَّرْج على بغلتِه ، وهو غير معرِّجٍ عليه ، فسألته : من هو ؟ فقال : رجلٌ من جُذام ، قلت : بمن تُعْرَف ؟ قال : بعبد الله بن المنتشِر ، قال : ولم يزل القرشىّ على حاله ساعة ، ثم أفاق . فجعل الجذامىّ ينضح المـاء على وجهه ويقول كالمعاتب له : أنت أبداً مصبوبٌ[6] على نفسك ! مَنْ كَلَّفَك ما ترى ؟ ثم قرّب إليه الفرس ، فلمّا علاه استخرج [الجذامىّ][7] من خُرْج على البغل قدحاً وإداوة ماء ، فجعل فى القَدَح تُراباً من تراب قبر ابن سريج ، وصب عليـه من ماء الإداوة ، ثم قال : هاكَ فاشرب ، هذه السَّلْوة[8] ، فشرب ، ثمّ فعل هو مثـلَ ذلك .

(١) أى يا أترابى ، وفى الأغانى : « أسراب » .
(٢) فى الأغانى : « تتابعوا » ، والتتابع : الوقوع فى الشر خاصة .
(٣) الحجون . جبل بأعلى مكة عنده مدافن أهلها .
(٤) صفى السباب : موضع بمكة ؛ ذكره ياقوت .
(٥) الأغانى : « ثلاثا » .
(٦) مصبوب ، أى محثوث على اتباعها تستغويك فتلبس لها القياد .
(٧) من الأغانى .
(٨) السلوة : خرزة شفافة إذا دفنتها فى الرمـل ثم بحثت عنها رأيتها سوداء يسقاها الإنسان فتسليه .

وركب على البغل وأردفني، فخرجنا ، فلا والله ما يعرّضانِ بذكر شيء ممّا كانا فيه ، ولا أرى في وجوههما شيئاً ممّا كنت أرى قبل ذلك .

فلمّا اشتمل علينا أبطح مكّة ، قالا : انزل يا خُزاعيّ ، فنزلت وأومأ الخزاعيّ إلى الفتى بكلام ، فمدّ يده إليّ وفيها شيء فأخذته ، وإذا هو عشرون دينارا ومضينا . وانصرفت إلى قبره ببعيريْن ، فاحتملت عليهما إداوة الراحلتين اللّتين عقراها ، فبعتهما بثلاثين دينارا .

ذكرُ العَرْجِيّ*

هو عبدُ الله بن عَمْرو بن عثمان بن عفّان بن أبي العاصي بن أميّة بن عبد شمس .

وأمّ عفّان وجميع بني أبي العاصي آمنة بنت عبد العزّى[1] بن حُرثان[2] ابن عَوْف بن عُبَيد بن عُوَيج بن عديّ بن كعب .

وأم عثمان أروى بنت كُرَيز بن ربيعة بن عبد شمس ، وأمّها البيضاء أمّ حكيم بنت عبد المطلب بن هاشم ، وهي أخت عبد الله بن عبد المطلب أبي رسول الله صلّى الله عليه وسلّم لأمّه ، ولدا في بطن واحد . وأمّ عمرو بن عثمان أم أبان بنت جُنْدب الدَّوْسيّة .

ولما قدم جُندب بن عمرو بن حُمَم الدَّوْسِيّ المدينة مهاجراً في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، خلف ابنته أم أبان عند عمر ، ثم مضى إلى الشام ، وقال : يا أمير المؤمنين ، إنْ وجدْتَ لها كفئاً فزوّجه بها ولو بِشِرَاك نَعْله[3] ، وإلّا فأمْسِكها حتى نُلْحِقَها بدار قومها بالسَّرَاة[4] . فكانت عند عمر ، ثم مضى إلى الشام ، واستشهد أبوها ، فكانت تدعو عمرَ أباها ، ويدعوها ابنتَه .

قال : فإنّ عُمَرَ يوماً على المنبر يكلّم الناس في بعض الأمور ، إذ خطرت على قلبه فقال : مَنْ له في الجميلة الحسِيبة ، بنت جندب بن عمرو بن حُمَمَة !

---

* ترجمته في الأغاني ١ : ٣٨٣ – ٤١٧ (طبع دار الكتب) .

(١) ورد الاسم في ب ، وج مصحفا ، وأثبت ما في الأغاني .

(٢) كذا في الأغاني ، وفي ب ، ج : « حرباس » .

(٣) شراك النعل : سيرها الذي على ظهر القدم ؛ وهو مثل في القلة .

(٤) السراة : أعلى كل شيء ؛ وهي مضافة إلى عدة قبائل ومواضع .

فقام عثمان فقال : أنا يا أمير المؤمنين ، فقال : أنت لعَمْرُ الله ! كم سقت إليها ؟ قال : كَذَا وكَذَا . قال : وقد زوّجتكها ، فعجِّله فإنها مُعَدَّة .

ونزل على المنبر ، فجاءه عثمان بمهرها ، فأخذه عمر فى رُدْنه فدخل به عليها ، فقال : يا بنيّة ، مُدِّى حِجْرك ، ففتحت حِجْرها فألقى فيه المال ، ثم قال لها : قولى : اللهمّ بارك لى فيه ! فقالت : اللهمّ بارك لى فيه ! وما هذا يا أبتاه ؟ فقال : مَهْرُكِ ؛ فنفحت[1] به وقالت : واسوءتاه ! فقال : احتَبِسِى منه لنفسك ، [ووسِّعِى منه لأهلك][2] . ثم قال لحفصة : يا بنتاه ، أصلحى من شأنها ، وغيّرى بدَنها[3] ، واصبُغى ثوبها . ففعلت ، ثم أرسلت بها مع نسوة إلى عثمان .

فقال عمر لمّا فارقته : إنها أمانة فى عُنقى ، أخشى أن تضيع بينى وبين عثمان ، فلحقهم ، فضرب على عثمان بابه ، ثم قال : خذ أهلَك ، بارك اللهُ لك فيهم .

فدخلتْ على عثمانَ ، فأقام عندها مُقاما طويلا ، لا يَخرُج إلى حاجة ، فدخل عليه سعيدُ بنُ العاص ، فقال له : يا أبا عبدِ الله ، لقد أقمتَ عند هذه الدَّوْسِيّة مُقاما ما كنتَ تقيمُه عند النساء ، فقال : أما إنّه ما بقيتْ خَصلةٌ أُحِبُّ أن تكون فى أمرأةٍ إلّا صادفتُها فيها ، ما خلا خَصْلةً واحدة ، قال : وما هىَ ؟ قال : إنّى قد دخلتُ فى السِّنّ ، وحاجتى فى النّساء الوَلَد ، وأحسَبُها حديثةً لا وَلَد فيها اليومَ .

قال : فتبسّمتْ ، فلمّا خرج سعيدٌ من عندِه ، قال لها عثمان : ما أضحكك ؟ قالت : قد سمعتُ قولَك فى الولد ، وإنّى لَمِن نسوةٍ ما دخلتِ أمرأةٌ منهنّ على سيّد قطّ فترَاءت الدَّمَ حتّى تَلِدَ سيِّدَ مَنْ هُوَ منه ؛ فما رأت الحمراءَ حتّى ولدتْ عمرو بنَ عثمان ، وأمُّ العَرْجىّ آمِنة بنتُ عمرَ بنِ عثمان .

---

(١) نفحت به : رمته وردته .

(٢) من الأغانى .

(٣) البدن : شبه درع إلا أنه قصير قدر ما يكون على الجسد فقط ، قصير الكمين .

وقال إسحاق : بنت سعيد بن عثمان هى أمّ ولد .

وإنما لُقّب بالعَرْجىّ لأنه كان يَسكُن عَرْجَ الطّائف[1] .

وقيل : بل سمّى بذلك لمـاء كان له ، ومالٍ عَلَيْه بالعَرْج . وكان من شُعراء قريش ، ومن شُهِر بالغَزْل منها ، ونحا نحوَ عمرَ بنِ أبى ربيعة فى ذلك ، وتَشبّه به ، وكان مشغوفا باللّهو والصَّيْد ، حريصا عليهما ، قليلَ المُحاشاة[2] فيهما ، فلم يكن له نَباهةٌ فى أهْلِه ، وكان أشقر أزرَقَ ، جميلَ الوجه ، كَوْسَجاً[3] ، نابِئَ الحنجرة . وجَيْداء الّتى شَبّب بها بقوله :

إلى جَيْداءَ قـد بَعثوا رَسولًا ... ليَحْزُنَها فلا صُحِب الرّسولُ

كأنّ العـامَ ليس بعـامِ حَجٍّ ... تغيّرتِ المَواسمُ والشُّكُولُ[4]

وهى أمّ محمد بنِ هشامِ بنِ إسماعيلَ المخزومىّ ، وكان يشبّب[5] بهـا ليفضح أباها[6] لا أُبنَها لمحبّةٍ كانت بينهما ، فـكان ذلك سببَ حبس محمد إياه وضربِه له ؛ حتى مات فى السّجن .

وكان العَرْجىّ من الفُرْسان المعدودين مع سلمَة بنِ عبد الملك بأرضِ الرّوم ، وله معه بَلاءٌ حَسَن ، وباعَ أَمْوالا عِظاما كانت له ، وأطعَمَ ثمنَها فى سبيل الله حتّى نَفِذَ ذلك كلُّه واتّخذ غُلامَين إذا كان اللّيلُ نَصَباَ قُدورَه[7] ، وقام الغلامان بالنَّوْبة

---

(١) عرج الطائف : قرية جامعة فى واد من نواحى الطائف ؛ وهى أول تهامة .

(٢) أى قليل المبالاة والاكتراث .

(٣) الـكوسج : الأثط ؛ وهو الخفيف شعر اللحية أو الخفيف شعر العارضين .

(٤) الشكول : جمع شكل .

(٥) كذا فى ب ، ج ؛ وفى الأغانى : « ينسب » .

(٦) فى الأغانى : « ليفضح ابنها لا لمحبة كانت بينهما » .

(٧) فى الأغانى : « قدره » .

يُوقِدان ، إذا نام أحدُهما قامَ الآخر ، فلا يزالان كذلك حتى يُصبحا ، يقول : لعلّ طارِقاً يَطرُق !

وقال مصعب : كانت حبَشِيّةٌ من مولّدات الكوفة[1] ، ظريفة ، صارت إلى المدينة ، فلما أتاهم موتُ عمرَ بنِ أبى ربيعة اشتدّ جزَعُها ، وجعلتْ تَبكى وتقول : مَن لِمكّةَ وشِعابِها ، وأباطِحِها ونُزَهِها ، ووَصْفِ نسائها وحسنِهنّ وجمالِهنّ ، ووَصْفِ ما فيها !

فقيل لها : خَفّضِى عليكِ ، فقد نَشَأ فتًى مِن ولد عثمانَ يأخُذ مأخَذَه ، ويَسلُك مَسلَكَه ، فقالت : أَنشِدُونى من شِعره ، فأنشَدُوها ، فمسحتْ عينَيها وضحكتْ ، وقالت : الحمد لله الّذى لم يضيِّعْ حرمه .

وكانت لثقيفٍ مولاةٌ يقال لها : كلابة، كانت عندَ عبدِ الله بنِ القاسم الأُموىّ ، وكان يَبلُغها تَشبيبُ العَرْجى بالنِّساء ، وذِكرُه لهنّ فى شعره ، فكانت كلابة تقول : ما أشدَّ ما اجترأَ العَرْجىُّ على نساءِ قريش ، حتى يذكُرَهنّ فى شِعره ! ولَعَمْرِى مالقىَ أحدا فيه خَيْر ، ولئن لقيته لأُسوِّدنّ وجهَه ، فبلغَه ذلك عنها .

قال إسحاق : وكان نازلاً على ماءٍ لبنى نَصْرِ بنِ معاوية ، يقال له : الفُتُق[2] ، على ثلاثِ[3] ليالٍ من مكّة ، على طريقِ مَنْ جاء من نَجْرانَ إلى مكّة والعَرْج أعلاها قليلا ممّا يلِى الطائف .

فبلغ العرْجىَّ أنّ الأُموِىَّ خرج إلى مكّة ، فأتَى قصرَه فطافَ به ، فخرجتْ إليه كلابةُ ، وكان الأُموىّ خَلّفها فى أهله ، فصاحتْ به : إلَيْك وَيْلَك ! وجعلتْ

---

(١) الأغانى : « مكة » .

(٢) الفتق : قرية بالطائف .

(٣) فى الأغانى : « على ثلاثة أميال » .

تَرميه بالحجارة ، وتَمنَعه أن يدنوَ من القَصْر ! فاُستَسْقاها ماءً ، فأبتْ أن تَسقيَه ، وقالت : لايُوجَدُ واللهِ أثرُكَ عندى ، فيَلْصَقَ بى منك شىء ، فانصرف ، وقال : ستعلَمين ، وقال :

حورٌ بَعَثْن رسولًا فى ملاطفةٍ ... ثَقْفاً إذا غَفَلَ النَّساءةُ الوَهَمُ(١)

منها :

قالت كُلابةُ مَن هذا فقلتُ لها ... أنا الّذى أَنْتِ من أعدائه زَعَموا
أنا امرؤٌ لَجَّ بى حُبٌّ فأَحرَضَنِى ... حتى بليتُ وحتّى شَفَّنى السَّقَمُ
فأَنعِمِى نِعمةً تُجْزَىْ بأَحْسَنِها ... فطالَما مَسَّنى من أهلِكِ النِّعَمُ
هٰذى يَمينِى رَهْنٌ بالوَفاءِ لكمْ ... فارضَىْ بها ولأَنفِ الكاشِحِ الرَّغَمُ(٢)
قالت رضيتُ ولكن جئْتَ فى قَمَرٍ ... هلّا تلبّثْتَ حتّى تَدخُلَ الظُّلَمُ
فبتُّ أُسقَى بكاسات أُعَلُّ بها ... من باردٍ طابَ منه الطَّعْمُ والشَّبَمُ(٣)
حتى بدا ساطعٌ للفجْر تحسَبُه ... سَنَا حريقٍ بلَيْلٍ حين يَضطَرِمُ
ودّعتُهُنّ ولا شىءٌ يُراجِعنى ... إلّا البَنانُ وإلّا الأَعيُنُ السُّجُمُ(٤)
إذا أردنَ كَلامى عندَه اعترضتْ ... مِن دونِه عَبَراتٌ و انْثَنَى الكَلِمُ
تكادُ إذ رُمْنَ نَهْضًا للقيام معى ... أعجازُهُنَّ من الأَنصافِ تَنْفَصِمُ

فسَمع اُبنُ القاسم بالشّعر يُغنّى به ، وكان العَرْجىّ قد أعطاه جماعةً من المغنّين ، وسألهم أن يُغنُّوا فيه ، فَصنَعوا فيه عدّةَ ألحان ، وقال : ما أجد لهذه الأَمَة شيئا أبلغَ من إيقاعها تحتَ التُّهمَة عند اُبنِ القاسم ؛ ليَقطَع مأْكَلتَها مِن مالِه .

---

(١) يقال : رجل ثقف ؛ إذا كان حاذقا فهما ، والنساءة : صيغة مبالغة فى الناسى، والوهم: الكثير الوهم ؛ وهو السهو والغلط . والبيت ورد محرفا فى الأصول ؛ وأثبت ما فى الأغانى .
(٢) الرغم : الذل والصغار ، وسكون الغين ضرورة .
(٣) الشبم والبارد بمعنى ، وفى الأغانى : « النسم » .
(٤) السجم : جمع سجوم : يقال : عين سجوم ؛ أى تسيل بالدمع .

فلما سَمِع ابنُ القاسِم بذلك أخرج كلابة وأتّهمها ، ثم أرسَلَ بها بعد زمان على بمير ، فأَحْلَفها بمكّة بَيْنَ الرُّكن والمقام أنّ العَرْجيّ كذَبَ فيما قاله ، فحلفتْ سبعين يمينا ، فرضِيَ عنها ورَدّها . وكان بعد ذلك إذا سَمِع قول العَرْجيّ :

* فطالَما مَسَّنا مِنْ أَهْلِكِ النِّعَمُ *

يقول : كَذَب والله ما مَسَّه ذلك منّا قَطُّ .

وقيل : إنّ صاحب هذه القصيدة أبو جِراب العُقَيليّ[1] ، وأنّ كُلابةَ كانت أمةً لسُعْدَة بنتِ عبدِ الله بن عَمرو بنِ عُثْمان ، وكان العَرْجيُّ قد خَطَبها ، وسُمّيتْ به ، ثم خطبَها يزيدُ بن عبدِ الملك ، أو الوليدُ بنُ يَزيد ، فزُوِّجَتْه .

فقال العَرْجيُّ ذلك فيها .

وأبو جراب هو محمّد بنُ عبدِ الله بن الحارث بن أميّة الأصغر بن عبدِ شَمْس .

[كان العَرْجي غازيا ، فأصابت الناسَ مجاعة ، فقال للتجّار : أَعطُوا الناس وعليّ][2] ما تُعْطون ، فلم يزل يُعطِيهم ويُطعِمُ الناسَ حتى أَخْصَبوا ، فبلغ الخبرُ عمرَ بنَ عبدِ العزيز ، فقال : بيتُ المال أحَقُّ بهذا ، فقَضَى التُّجارُ ذلك من بيتِ المال .

ورُوِي أنّ العَرْجيَّ خرج إلى الطائف متنزِّها ، فمرَّ ببَطْنِ النَّقِيع[3] ، فنَظَر إلى أمّ الأَوْقَص — وهو محمّد بنُ عبدِ الرّحمن المخزوميّ القاضي ، وكان يتعرّض لها — فلمّا رأتْه رمتْ بنفسِها وتستّرتْ منه ، وهي امرأةٌ من بني تميم ، فبصُر بها في نسوةٍ جالسةً ، وهنّ يتحدّثن ، فعرَفها ، وأحَبَّ أن يتأمّلها مِن قُرْب ، فعَدل عنها .

---

(١) في الأغاني : « العبلى » .

(٢) من الأغاني .

(٣) النقيع : موضع بجنبات الطائف .

ولقىَ أعرابيّا من مُضَر[1] على بَكْرٍ له ، ومعه وَطْبا[2] لَبَن ، فدفع إليه دابّته وثيابَه ، ثم أَقْبَل على النّسوة ، فصِحْن به : يا أعرابىّ ، أمَعَكَ لَبَن ؟ قال : نعم . ومالَ إليهنّ ، وجلس يتأمّل أمّ الأَوْقَص ، وتَواثَبَ مَن معها إلى الوَطْبَيْن ، وجلس العَرْجىُّ يُلاحِظها ، ويَنظُر أحيانا إلى الأرض كأنّه يَطلُب شيئا ، وهنّ يَشْرَبْن من اللّبَن .

فقالت له امرأةٌ منهنّ : أىّ شىء تَطلُب فى الأَرْض ؟ أضاعَ مِنكَ شىء ؟ قال : نَعَم ، قلبى .

فلمّا سمعت التميميّةُ كلامَه نظرتْ إليه ـ وكان أزرَق ـ فقالت : ابنُ عُمَرَ ورَبِّ الكَعْبة ! ووثبتْ وسَتَرها نساؤها ، وقلن : انصرِف عنّا ، لا حاجة بنا إليك، ولا لِلبَنِك ، فمضى منصرِفا ، وقال فى ذلك :

أقولُ لِصاحِبَىَّ ومِثلُ ما بِى ... شَكاهُ المرء ذو الوَجْد الأليمِ
إلى الأَخَوَيْن مِثلهما إذا ما ... تأوّبه مؤرِّقــةُ الهُمومِ[3]
لِحَيْنى والبلاء لقيتُ ظُهْراً ... بأعلى النَّقْع أختَ بنى تَميمِ
فلمّا أن رأتْ عيناىَ منها ... أسِيلَ الخدّ فى خَلْقٍ عَميمِ[4]
وعيْنَىْ جُؤْذَرٍ خَرِقٍ وثَغْراً ... كلَوْن الأُقْحُوانِ وجيدَ رِيمِ[5]
حَنَا أترابُها دُونِى عليها ... حُنُوَّ العائداتِ على السَّقيم

(١) كذا فى ب ، ج ، وفى الأغانى : « من بنى نصر » .
(٢) الوطب : سقاء اللبن .
(٣) كذا فى الأغانى ، وفى ب ، ج : « من الأخوين » .
(٤) العميم: التام.
(٥) يقال : خرق الظبى فهو خرق ، إذا دهش من فزع .

وقال رجل من بني جُمَح يقال له : عامر[1] الأوْقص ، وقَضَى عليه بقضيّة ، فتظلم منه ، وقال له : والله لو كنتُ أنا عبدَ الله بن عُمَر العَرْجيّ ، لكنتَ قد أسرَفْتَ عليّ ، فضَرَبه الأوْقَص سبعين سَوْطا .

وحدّث مصعبُ بنُ عبدِ الله ، عن أبيه ، قال : أتاني أبو السائب المخزوميّ ليلةً بعد ما رَقَدَ السّامر ، فأشرفْتُ عليه ، فقال : سَهِرْتُ ، وذكرتُ أخاً لي أستَمْتِع به ، فلَمْ أجدْ سِواكَ ، فلو مَضَيْنا إلى العَقِيق فتناشَدْنا وتَحدَّثْنا ! فمضينا ، فأنشدْتُه في بعض ذلك بيتيْن للعَرْجيّ :

باتَا بأنعَمِ عِيشةٍ حتّى بَدَا صُبْحٌ يُلوِّحُ كالأغَرِّ الأشْقَرِ[2]
فتَلازَمَا عنــد الصَّباح صَبابةً أخْذَ الغَرِيم بفضْلِ ثوبِ المُعْسِرِ[3]

فقال : أعِدْهُ ، فأعَدْتُه ، فقال : أحسَنَ والله ! امرأتُه طالقٌ إن نَطَق بحرفٍ غيرِه حتّى يرجعَ إلى بيته ؛ فلقينا عبــدَ الله بنَ حَسَن بن حسن ، فلمّا صِرْنا إليه وَقَفَ بنا ، وهو مُنصرِف مِن ماله يريد المَدينة ، فسَلَّم ، ثمّ قال : كيف أنتَ يا أبا السّائب ؟ فقال له :

فتلازَمَا عند الصَّباحِ صَبابةً أخْذَ الغَرِيم بفَضْلِ ثوب المُعْسِرِ

فالتفتَ إليّ فقال : مَتَى أنكرتَ صاحِبَكَ ؟ فقلتُ : منذُ اللّيلة . فقال : إنّا لِله ، أيُّ كَهْل أصيبتْ به[4] قُرَيش ؟ ثم مضيْنا فلقينا محمّد بنَ عِمْرانَ التَّيْميَّ قاضيَ المدينة ، يريد مالًا له على بَغْلة له ، ومعه غلامٌ على عُنقه مِخْلاةٌ فيها قَيدٌ للبَغْلة ، فسَلَّمَ ، ثم قال : كَيْفَ أنتَ يا أبا السّائب ؟ فقال له :

---

(١) الأغاني : « ابن عامر » .

(٢) في الأغاني : « بأنعم ليلة » .

(٣) الأغاني : « فتلازما عند الفراق » .

(٤) الأغاني : « منه » .

فتلازَمَا عند الصَّباح صَبابةً   أَخْذَ الغَرِيم بفَضْلِ ثوبِ المُعْسِرِ

فالتفتَ إلىّ وقال : متى أنكرتَ صاحِبَك ؟ قلتُ : آنِفاً ، فلمّا أراد المُضِىَّ قلتُ : أفتدعُه هكذا؟ واللهِ ما آمَنُ أن يتهوّرَ[1] فى بعض آبارِ العَقيق . قال : صدقتَ . ياغلام! قَيْدَ البَغْلةِ ، فوضَعَه فى رِجْلِه وهو يُنشِد البيت ، ويُشير بيدِه إليه يُرِى أنّه يفهم عنه قصّته ، ثم نزل الشيخُ وقال لغلامه : احمِلْه على بَغْلتى وأَلحِقْه بأهلِه ، فلمّا كان بحيثُ علمتُ أنه قد فاته أخبرتُه بخَبَرِه .

فقال : قبَحك اللهُ ماجِناً ! ، فَضَحتَ شيخاً مِن قريشٍ وغرَرْتَنى !

وأنشد أبن جُنْدَب الهُذَلىُّ ابنَ أبى عَتيق قولَ العَرْجى :

وما أَنْسَ مِلأَشْياء لَا أَنْسَ قولَها   لخادِمِها قومِى اُسألِى لِىَ عن الوَتْرِ

فقالت : يَقُولُ النّاسُ فى ستٍّ عَشْرةٍ   فلا تَعجَلى فيه فإنّكِ فى أَجْرِ

فما ليلةٌ عندى وإن قِيلَ جمعةٌ   ولا ليلةُ الأَضْحَى ولا ليلةُ الفِطْرِ

بعادِلةِ الإثنَيْن عندى وبالحَرَى   تكونُ سواءً منهما ليلةُ القَدْرِ

فقال أبن أبى عَتيق : أشهِدكم أنّها حُرّةٌ فى[2] مالى ، إن أجازَ ذلك أهلُها ، هذه ، واللهِ أفقَه من أبن شِهاب .

وتزوّج العَرْجِىّ أمَّ عثمانَ بنتَ بُكَيْر بنِ عَمْرو بنِ عثمانَ بن عَفّان ، وأمُّها سُكَيْنَة بنتُ مُصعَب بن الزُّبير ، فقال :

إنّ عُثمانَ والزُّبيرَ أَحَلّا   دارَها بالبَقِيع إذْ وَلَداها[3]

إنّها بنتُ كلِّ أبيضَ قَرْمٍ   نالَ فى المجْدِ من قُصَىٍّ ذُراها[4]

سَكَن الناسُ بالظَّواهرِ منها   وتَبوّا لنَفْسِه بَطْحَاها

---

(١) يتهور : يسقط .

(٢) الأغانى : « من مالى » .

(٣) الأغانى : « فى اليفاع » .

(٤) القرم : السيد العظيم .

ولما تزوّج الرشيدُ زوجتَه العُثمانيّة ، أُعجِب بها ، فكان يتمثّل بهذه الأبيات :

وقال عبدُ الله بن عمرَ العُمَرِيّ : خرجتُ حاجّا فرأيتُ امرأةً جميلةً تتكلم بكلام أرفثتْ فيه ، فأدْنَيْتُ ناقتِي منها ، وقلتُ لها : ياأَمةَ الله، ألستِ حاجّةً ! أمَا تخافين اللهَ تعالى ! فسَفَرتْ عن وجهٍ يَبهَر الشّمس حُسْنا ثم قالت : تأمّلْ يا عمّ ؟ فإنّني ممّن عَناه العَرْجيُّ بقوله :

أماطَتْ كِساءَ الخزِّ عن حُرِّ وَجْهِها — وأَدْنَتْ على الخدَّين بُرْداً مُهَلْهَلَا

مِن اللّاءِ لم يَحْجُجْنَ يَبغِين حِسْبَةً — ولكنْ ليَقْتُلْن البَرِىءَ المُغَفَّلَا

قال : فقلت لها : فإنّي أسألُ اللهَ تعالى ألّا يُعذّب هذا الوَجْهَ بالنار .

قال : وبلغ ذلك سعيدَ بنَ المسيَّب ، فقال : أمَا واللهِ لو كان من بعض بُغَضاء[1] العِراق لقال لها : أعْزُبِي قبَحكِ الله ! ولكنّه ظَرْف عُبَّادِ الحجاز .

وكان العَرْجيُّ يشبِّب بجَيْداءَ أمِّ محمد بنِ هشام بن إسماعيلَ المخزوميّ ، ويهجو أبنَها محمدا ؛ لأنّه كان تيّاهاً جبّارا كثيرَ الكِبْر ، فلم يَزَلْ يتطلّب عليه العِلَل حتّى حَبَسه وقيّده وضرَبه .

ولمّا ولِى خالُه هشام بن عبد الملك الخلافةَ ، كتب إليه أن يحُجَّ بالناس ، فهَجَاه العَرْجيُّ بأشعار كثيرة . منها قوله :

كأنّ العامَ ليسَ بعامِ حَجٍّ — تغيّرت المَواسِمُ والشُّكُولُ

إلى جَيْداءَ قد بَعثوا رَسولًا — ليَحزُنَها فلا صُحِبَ الرّسولُ

ومن الهجاء أيضا قولُه :

ألا قلْ لمَن أَمسَى بمكّة قاطِناً — ومَنْ جاء من عَمْقٍ ونَقْبِ المَشَلَّلِ[2]

(١) يريد المتزمتين المغالين فى الورع .

(٢) عمق : واد من أودية الطائف . والمشلل : جبل يهبط منه إلى قديد من ناحية البحر . والنقب : الطريق فى الجبل .

دَعُوا الحجَّ لا تَستهلِكوا نفقاتِكُمْ
فما حَجُّ هذا العامِ بالمُتقبَّلِ
وكيف يُزكَّى حَجُّ مَن لم يكن له إمامٌ لَدَى تَجْهيزِه غيرُ دُلْدُلِ!
يَظَلُّ يُرائِي بالصِّيام نَهارَه ويَلبسُ في الظَّلْماء سِمْطَيْ قَرَنْفُلِ [١]

فلم يزلْ محمدٌ يَطلُب عليه العِلَل؛ حتّى وَجَدها، فحَبَسه.

وقال العرجيُّ يشبِّب بأمِّ محمد بنِ هشام، وهيَ من بني الحارثِ بنِ كعب، وهي الجيْداء:

عُوجِي علينا رَبَّةَ الهَوْدَجِ إنّكِ إنْ لا تَفْعَلِي تَحْرَجِي
إنِّي أُتيحَتْ لي يَمانيّةٌ إحدَى بَنِي الحارِث مِن مَذْحِجِ
نَلبَثُ حَوْلًا كامِلًا كُلَّه لا نَلْتَقِي إلّا على مَنْهَجِ
في الحجِّ إن حَجَّتْ، وماذا مِنًى وأهلُه إنْ هِيَ لَم تَحْجُجِ!

فلمّا سَمعَ عطاءُ بنُ أبي رَباح قولَه:

[في الحجِّ إن حَجَّتْ] [٢] وماذا مِنًى وأهلُه إن هيَ لم تَحْجُجِ

فقال الخيرُ والله في مِنًى وأهلِه حَجّتْ أمْ لم تحج.

وقال في زوجته جَبْرَة المخزوميّة، يَعني زوجةَ محمد بنِ هشام:

عُوجِي عليَّ فسَلِّمِي جَبْرُ فِيمَ الوُقوفُ وأنتمُ سَفْرُ [٣]
ما نَلتقِي إلّا ثَلاثَ مِنًى حتّى يُفرِّق بينَنا النَّفْرُ [٤]

---

(١) السمط: الخيط ما دام فيه الخرز؛ وإلا فهو سلك.

(٢) من الأغاني.

(٣) الأغاني: «فيم الصدور».

(٤) بعده في الأغاني:

الْحَوْلُ بَعْدَ الْحَوْلِ يجمعُنَا ما الدَّهْرُ إلا الحوْلُ والشَّهْرُ

فقال له ابن جُرَيج : أحسنتَ والله ، ثلاثَ مرّات ، وَيْحَك ! أعِدْه قال : مِن الثلاثة فإنّي قد حلفْتُ . قال : أَعِدْه ، فأعاده . قال : أحسنتَ . فأَعِدْه من الثّلاثة ، فأعادَه وقامَ .

قال إسحاق : وبلغني أنّ محمد بنَ هشام كان يقول لأمّه جَيْداء : أنتِ غَضَضْتِ مِنّي بأنّك أمّي ، وأهلكتِني وقتلتِني ، فتقول له : وَيْحَك ! وكيف ذلك ؟ قال : لو كانت أمّي مِن قُرَيش ما وَلِيَ الخلافةَ غيري . ولم يَزَلْ محمدٌ مُضْطغِناً على العَرْجيّ بما يقوله مِن الأشعار ، متطلّبا سبيلًا حتّى وَجَده ، فحبَسه وضرَبه .

إن العَرْجيّ كان له مَوْلًى ، فأَمَضَّه[1] العَرْجيّ ، فأجابَه المَوْلى بمثل ما قال له ، فأَمْهَلَه ؛ حتّى إذا كان الليلُ أتاه مع جماعة من مواليه وعبيده ، فهجَم عليه في منزله ، فأخَذَه وأوْثقه كِتافا ، ثم أمر عبيدَه أن ينكِحوا امرأتَه بين يدَيْه ، ففعلوا ، ثم قتَله وأحرَقَه بالنار فاستعدت امرأتُه إلى محمد بنِ هشام فحبَسه .

وقيل : إنه كان وَكَّل بحُرَمِه[2] مولًى له يقوم بأمورهنّ ، فبلَغه أنّه يخالفُ إليهنّ ، فلم يَزَل يَرْصُده حتّى وجَدَه يحدِّث بعضَهنّ ، فأوقعَ به .

وقيل : إنّ أشعبَ كان حاضرا للعَرْجيّ ، وهو يَشتُم مَوْلاهُ ، فلمّا أكثر ردَّ المَوْلى عليه فاغتاظ العَرْجيُّ من ذلك ، وقال لأشْعَب : اشهَدْ على ذلك ، فقال أَشْعب : وعلامَ أَشهَد وقد شتمتَه ألفاً وشَتَمك واحدة ! واللهِ لو أنّ أمَّك أمُّ الكِتاب ، وأمَّه حمّالة الحطَب ما زاد على هذا .

---

(١) أمضه : آلمه .

(٢) حرمه : نساؤه .

وقال حمزةُ بنُ عُتْبَةَ اللّهبي : لمّا أَخذ محمدُ بنُ هِشام المخزوميّ العَرْجيَّ وأَعتَقَله، أَخذ معه الحُصَين بنَ محمد بن غُرَيْر الحِمْيَرىّ ، فجلَدَهما وصَبَّ على رأْسَيْهما الزَّيت، وأقامَهما على البُلُس فى الحناطِين بمكّة ، فجَعَل العرجىُّ يُنشِد :

سَيَنصُرنى الخليفة بعدَ ربِّى ويَغضَب حين يُخبَر مَا أُلَاقِى
عـــلىَّ عَباءةٌ بلقَاءُ لَيستْ مع البَلْوَى تُغيِّب نِصفَ ساقى
وتَغضَب لى بأَجْمَعها قُرَيْشٌ قَطِينُ البَيْت والدُّمْثِ الرِّقاقِ[1]

ثم يصيح : يا غُرَيرَ أَجياد[2] ، يعنى بنى مخزوم ، كانتْ منازلُهم فى أَجْياد ، فعيّرهم بأنهم لَيْسُوا من أهلِ الأَبْطَح .

وذكر أنَّ رجُلا مرَّ بالعَرْجىّ ، وهو واقفٌ على البُلُس ومعه ابن غُرَير وقد جُلِدا وحُلقا ، وصُبَّ الزَّيتُ على رأسَيْهما ، وأُلبِسا عَباءتَين ، واجتمع الناسُ يَنظُرون إليهما ، وكان الرجل صَدِيقا للعَرْجىّ ، وكانَ فأْفاءً ، فوقَف عليه فأراد أن يتوجّع لِمَا[3] به، فلَجْلَج لِما كان فى لسانه كما يفعل الفَأْفاءُ .

فقال له العَرْجىّ : لا خرجتْ مِن فيكَ أبدا ؛ فقال له الرّجل : مكانَك إذاً لا برِحْتَ منه أبدا .

وقال العَرْجى فى حَبْسه :

أضاعُونى وأىَّ فَتًى أضاعُوا ليوم كَرِيهـةٍ وسِدادِ ثَغْرِ[4]
وصبرٍ عنـــد مُعْتَرَك المَنايا وقد شُرِعَتْ أَسنّتُها بنَحْرِى

---

(١) الدمث : جمع دمثاء ؛ وهى الأرض اللينة السهلة .
(٢) أجياد : موضع بمكة يلى الصفا .
(٣) الأغانى : « لما نابه » .
(٤) سداد الثغر : ما يسد به الثغر من خيل ورجال وغير ذلك من عدد الحرب .

أُجَرَّرُ فى الجوامع كلَّ يومٍ فيا لله مَظْلِمَتِى وصَبْرِى![1]
كأنّى لم أكُنْ فيهمْ وَسِيطاً ولم تكُ نِسْبَتِى فى آلِ عَمْرِو!

قال الأصمعىّ : كان لأبى حنيفةَ جارٌ بالكوفة يُغنّى ، فكان إذا انصرف وقد سَكِر يُغَنّى فى غُرْفته ، فيَسمَع أبو حَنيفةَ غِناءَه فيُعجِبه ، وكان يُكثِر أن يُغَنّى :

أضاعُونى وأىَّ فَتًى أَضاعُوا ليَوْمِ كَرِيهةٍ وسِدادِ ثَغْرِ

فلقيه العَسَسُ[2] لَيْلةً فأُخِذ وحُبِس ، ففقَد أبو حنيفةَ صَوْتَه تلك اللّيلة ، فسأل عنه من غَدٍ ، فأُخبِر، فدعَا بسَوادِه[3] وطَوِيلته[4] فلَبِسَهما ، وركب إلى عيسى بنِ موسى ، فقال له : إنّ لى جارا أخَذَه عَسَسُك البارِحةَ فحُبِس ، وماعلمتُ منه إلّا خَيْرا .

فقال عيسى : سَلِّموا إلى أبى حنيفة كلَّ مَن أخَذَه العَسَس البارحةَ ، فأُطلِقوا جميعا ، فلمّا خرج الفَتَى ، دَعَا بِه أبو حنيفةَ ثم قال له سِرًّا : ألستَ كنتَ تُغَنّى يافَتَى كلَّ ليلةٍ :

* أضاعُونى وأىَّ فَتًى أَضاعُوا *

فهل أضَعْناك ؟ قال : لا والله أيّها القاضى ، ولكن أحسَنْتَ وتكرّمْت ، أحسَنَ اللهُ جزاءَك . قال : فعُدْ إلى ما كنتَ تُغَنّيه ؛ فإنّى آنَسُ به ، ولَم أرَ بِه بَأْسا . قال : أفعَل .

---

(١) الجوامع : جمع جامعة ؛ وهى الغل .
(٢) العسس : جمع عاس ؛ وهو الذى يطوف بالليل يحرس الناس .
(٣) السواد ؛ شعار بنى العباس ؛ وكان أشياعهم يرتدونه ؛ ولذلك سموا بالمسودة ، بكسر الواو المشددة .
(٤) الطويلة : القلنسوة العالية المدعمة بعيدات ؛ وكان القضاة يلبسونها .

قال إسحاق : لمّا حَبَس المنصورُ عبدَ الله بنَ عليّ كان يُكثِر التمثُّل بقول العَرْجيّ :

أضاعُونى وأىَّ فَتًى أضاعُوا ليومِ كَرِيهةٍ وسِدادِ ثَغْرِ

فبلغ ذلك المنصور ، فقال : هو أضاعَ نفسَه بسُوء فِعلِه ، وكانت أنفُسُنا آثَر عندنا من نفسِه .

قال الأصمعيّ : مررتُ بكنّاس بالبَصْرة يَكْنُس كَنيفا وهو يغنّى :

أضاعُونى وأىَّ فَتًى أضاعُوا ليومِ كَرِيهةٍ وسِدادِ ثَغْرِ

فقلت له : أمّا سِداد الكَنِيف فأنتَ ملىءٌ به ، وأمّا الثّغر فلا عِلْم لنا بك كيف أنتَ فيه . وكنتُ حديثَ السِّنّ ، وأردتُ العَبَث به ، فأَعرَض عنّى مَلِيًّا ، ثم أَقبَل علىَّ وأَنشَد متمثِّلا :

وأُكرِم نفسِى إنّنى إنْ أَهنتُها وَحقِّك لم تُكْرَمْ على أَحدٍ بَعْدِى

فقلت : لا والله ما يكون من الهَوانِ شىءٌ أكثرَ ممّا بَذَلْتَها به ، فبأىّ شىء أكرمتَها ، فقال : بَلَى ، والله إنّ مِن الهَوانِ لَشرًّا أكثر ممّا أنا فيه قلت : وماهو ؟ قال : الحاجةُ إليك وإلى أمثالك ، فانصرفتُ عنه أَخْزَى الناس !

قال : واختَصَر الأصمعىُّ الجوابَ ، وسَتَر أقْبَحه على نَفْسِه ؛ وإلّا فكَنّاس كَنيف قائم يكنُسه ويَعبَث به هذا العَبَث ، فيَرضَى بهذا الجواب الذى لا يُجيب بِمثله الأَحْنف بنُ قَيْس ، لو كانت المخاطَبةُ له !

وكان الوليدُ بنُ يزيدَ مضطغِنا على محمد بنِ هشام لأشياء كانت تَبلُغه عنه فى حياة هشام ، فلمّا ولى الخلافةَ قبَضَ عليه ، وعلى أخيه إبراهيم بن هشام ، وأشخِصا إلى الشام ، ثم دعا لهما بالسِّياط .

فقال له محمد : أسألك بالقَرابة ! قال : وأىُّ قَرابة بينِى وبينَك ، وهل أنتَ إلّا مِن

أَشجَع ! قال : فأسأَلُك بِصهرْ عبدِ الملك ، قال : لَم تَحْفَظْه ، فقال له : ياأميرَ المؤمنين ، قد نَهَى رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم أن يُضرَب قُرَشيٌّ بالسِّياط فى غيرِ حَدّ . قال : فِفى حَدٍّ أَضْرِبُك وقَوَد ؛ أنتَ أوَّلُ من سَنَّ ذلك على العَرْجيّ ، وهو ابن عَمّى وابنُ أميرِ المؤمنين عُثمانَ ، فما رَعيتَ حقَّ جَدِّه ولا نَسَبَه بهشام ، ولا ذكرتَ حينئذ هذا الخبرَ ، وأنا وَلِيُّ ثأره ! اضرب ياغلام ؛ فضَرَبَهما ضَرْبا مُبرِّحا ، وأُثقِلَا بالحديد ، ووَجَّه بهما إلى يوسفَ بنِ عمرَ بالكوفة ، وأمَرَه باستصفائهما[1] وتعذيبهما حتّى يتلَفَا .

وكتب إليه : احبِسْهما مع ابن النَّصْرانيّة ـ يعنى خالداً القَسْرِيّ ـ ونَفْسَك نفسَك إنْ عاش أحدٌ منهم ، فعذَّبهما عذابا شديدا ، وأَخَذ منهما مالاً عظيما ؛ حتى لَم يبق فيهم موضعٌ للضَّرْب .

وكان محمد بن هِشام مطروحا ، فإذا أرادوا أن يقيموه أخَذُوا بلحْيته فجَذَبُوه بها ، ولمّا اشتدّت عليهما الحال ، تَحامَل[2] إبراهيمُ لِينظُر فى وَجْه محمد فوَقَع عليه فماتَا جميعا ، وماتَ خالدٌ القَسْرِىُّ مَعَهما فى يومٍ واحد .

وقال الوليدُ بنُ يزيدَ لمّا حَمَلهما إلى يوسفَ بنِ عمرَ من أبيات :

قـد جَعَل اللهُ بَعْدَ غَلَبتكُمْ ... لنـا عليكُمْ تَدارُكَ الغَلَبَه[3]
لستَ إلى هاشمٍ ولا أَسَـدٍ ... ولا إلى نوفَلٍ ولا الحَجَبَه[4]
لكنّما أشجَعُ أبُوكَ سَلِ الْـ ... كَلْبِيَّ لاما يُزَوِّقُ الكَذَبَه[5]

---

(١) باستصفائهما : بأخذ أموالهما .
(٢) تحامل ؛ أى تكلف التحرك بعض الشىء ليرى حالة أخيه .
(٣) كذا فى ب ، ج ؛ وفى الأغانى : « لنا عليكم يا دلدل الغلبة » .
(٤) يريد حجبة الكعبة ؛ وكانت الحجابة فى بنى قصى .
(٥) يريد بالكلبي محمد بن السائب بن بشر بن عمرو الكلبي ؛ النسابة المعروف .

قال إسحاق: غنّيتُ الرّشيد يوماً فى عُرْضِ غِناء قولَ العَرْجيّ:

أضاعُونى وأىَّ فتًى أضاعُوا ليَوْمِ كَرِيهةٍ وسِدادِ ثَغْرِ!

فقال: ما كان سببُ حَبْسِ العَرْجى؟ فأخبرْتُه أخبارَه حتّى مات، فرأيتُه يتغيّظ كلّما مَرّ به شىء، فأتبَعْتُه بحديثِ مَقتَلِ ابنَىْ هِشام، فجعل وجهُه يُسفِر، وغَيْظُه يَسكُن، فلمّا انقضَى الحديثُ قال لى: يا إسحاق، واللهِ لولا ما حدّثتَنى به مِن فِعل الوَليد لمَا تركتُ أحداً من أماثِلِ بنى مخزومٍ إلّا قتلتُه بالعَرْجىّ.

ذكرُ أخبارِ عَدِيِّ بنِ زيد ومقتلِه*

هوعَدِيّ بنُ زيد بنِ حمّاد بنِ زيد بن أيّوبَ بن مَحْروف بنِ عامر بن عُصَيّة ابن أمرئ القَيْس بنِ زيد مَناةَ بنِ تَميم بنِ أُدّ بنِ طابخةَ بنِ إلياسَ بنِ مُضَر ابنِ نِزار .

وكان أيّوب هذا — فيما يَزعُم ابنُ الأعرابيّ — أوّل من سُمِّيَ من العرب أيوبَ . شاعرٌ فصيحٌ من شعراء الجاهليّة ، وكان نَصْرانيًا ، وكذلك كان أبوه وأهلُه ، وليس ممّن يُعَدّ من الفحول هو فيُروَى شعرُه ، وقد أُخِذ عليه أشياء أُعيب بها .

وكان الأصمعيّ وأبو عُبَيدة يقولان : عديُّ بنُ زيد في الشعراء كسُهَيْلٍ في النّجوم ، يُعارضها ولا يَجرِي مَجراها .

ومثلُه كان عندَهم أُميّة بنُ أبي الصَّلْت ، ومثلهما عندهم في الإسلاميِّين : الكُمَيْت والطِّرِمّاح .

قال العجّاج : كانا يسألاني عن الغريب فأخبرهما به ، ثم أراه في أشعارهما ، وقد وَضعاه في غيرِ موضعه .

فقيل له : ولِمَ ذاك ؟ قال : لأنّهما قرَويانِ يَصِفان ما لَمْ يَرَيا ، فيضَعانه في غير موضعه ، وأنا بدويٌّ أَصِف ما رأيتُ فأضَعُه في مواضعه ، وكذلك عندهم عَدِيّ وأُميّة .

وقال ابنُ الكَلْبيّ : كان سبب نُزول عَدِيّ بنِ زَيْد الحِيرَةَ ، أنّ جدّه أيّوبَ ابنَ مَحْرُوف ، كان منزلُه اليمامةَ ، في بَني أمرئ القيس بن زيدِ مَناة ، فأصابَ دماً في قومه ، فهَرب ، فلَحِق بأوْسِ بنِ قَلّامٍ أَحَدِ بني الحارث بنِ كَعْب بالحيرة .

---

* ترجمته في الأغاني ٢ : ٩٧ — ١٥٦ (طبعة دار الكتب) .

وكان بين أيوبَ بن مَحْرُوف وبين أَوْسِ بنِ قَلّامٍ نَسَبٌ من قِبَلِ النّساء ، فلمّا قَدِم عليه أيّوب أكرَمَه ، وأنزله فى داره ، فمَكَث معه مدّة ، ثم إن أَوْسا قال له : يا بْنَ خالٍ ، أتريد المُقامَ عِندى ، وفى دارى ؟ قال له أيّوب : نَعَم ، فقد علِمتُ أنّى أَتَيتُ قَومى ، وقد أصبتُ فيهم دَماً ، وما لِى دارٌ إلّا دارُك آخِرَ الدّهر .

قال أوْس : فإنّى قد كَبِرتُ ، وإنّى خائف أن أموتَ ولم يَعرِف ولَدى لكَ من الحقِّ مِثلَما أعرِف ، وأَخشَى أن يقعَ بينَك وبينهم أمرٌ يَقْطعون فيه الرَّحِم ، فأَنظرْ أحبَّ مكانٍ فى الحِيرة إليكَ فأَعْلِمْنى به لأُقْطِعَكه أو أَبْتاعَه لك .

وكان لأيّوبَ صديقٌ فى الجانب الشرقىّ من الحِيرة ، وكان مَنزلُ أوْس فى الجانب الغربىّ ، فقال له : أحببتُ أن يكون المنزلُ الّذى تُسكِننيه عند منزلِ عِصام ابنِ عَبْدة ، أحدِ بنى الحارث بن كعب ، فأَبتاعَ له موضعَ داره بثلاثمائة أوقيّةٍ من الذهب ، وأَنفق عليها مائةَ أُوقيّة من ذهب ، وأَنفق عليها مائتين من الإبل برُعاتِها[1] ، وفرساً وقَيْنة . فمَكَث فى منزلِ أَوْس حتّى هَلَك ، ثم تحوّل إلى داره الّتى فى شَرقِ الحِيرة فهَلَك بها .

وقد كان اتّصل قبلَ مَهْلَكه بالمُلوك الّذين كانوا بالحِيرة ، وعرَفوا حقَّه ، وحقَّ ابنِه زيد بن أيّوب ، فلم يكن منهم مَلِك يَملِك إلّا وَلِوَلَد أيُّوبَ منه جوائزُ وحُمْلان[2] .

ثم إنّ زيدَ بنَ أيّوبَ نَكَح امرأةً من آلِ قَلّام ، فولدتْ له حَمّادا ، فخَرج زيدُ بنُ أيّوبَ يوما إلى الصَّيد فى ناسٍ من أهلِ الحِيرة ، يتصيّدون[3] بحفير ، المَكانِ

---

(١) الأغانى : « برعائها » .

(٢) الحملان ، بالضم : ما يحمل عليه من الدواب فى الهبة خاصة .

(٣) كذا فى ب ، ج ؛ وفى الأغانى : « منتدون » ، وفى الحاشية : « انتدى القوم : اجتمعوا وحفير : موضع بالحيرة .

الّذي يذكرُه عديّ بنُ زيدٍ[1] في شعرِه ، فانفرَد في الصّيد ؛ فتباعَد عن أصحابه ، فلقيَه رجلٌ من بني امرئ القيس الّذين كان لهم عند أبيه ثأر ، فقال له — وقد عرَف فيه شَبَهَ أيوب : — مِمّن الرَّجُل ؟ قال : مِن بني تَميم . قال : مِن أيّهم قبيلة ؟ قال : مَرَئيّ[2] ، قال له الأعرابيّ : وأين منزلُك ؟ قال الحيرة ، قال : أمِن بني أيُّوب ؟ قال : نعم ؛ ومن أينَ تعرف بني أيّوب ؟ واستَوحَشَ من الأعرابيّ ، وذَكَر الثّأرَ الّذي هرب منه أبوه .

فقال له : سمعتُ بهم ، ولم يُعلِمْه أنّه قد عرفه ، فقال له ابنُ أيّوب : فمِن أيّ العرَب أنتَ ؟ قال : من طيّء . فأمِنَه زَيْد ، وسَكَت عنه .

ثم إنّ الأعرابيّ اغتَفَلَ ابنَ أيّوبَ ؛ فرماه بسَهْم بين كتِفَيه ، ففلَق قلبَه ، فلم يَرِمْ[3] حافر دابّتِه حتّى مات .

فلبث أصحابُ زَيْد حتّى إذا كان اللّيلُ طلبوه ، وقد افتَقَدُوه ، وظنُّوا أنّه قد أمْعَن في طَلَب الصَّيْد ، فباتوا يطلبُونه حتّى يَئِسوا منه ، ثم غدَوْا في طَلَبه فاقتَصُّوا[4] أثَره حتى وقفُوا عليه ، ورأَوْا معه أثَر راكب آخرَ يُسايِره ، فاتّبعوا الأَثَر حتّى وجدوه قتيلًا ، فعَرفوا أنّ صاحبَ الراحلة قتَله ، فاتّبعوه ، وَجَدُّوا[5] في السير فأدرَكوه في مُسْيِ[6] اللّيلة الثانية ، فصاحوا به — وكان مِن أرْمَى النّاس — فامتَنَع منهم بالنَّبْل حتّى حالَ اللّيلُ بينَهمْ وبينَه ، وقد أصابَ رجلا منهم في مَرْجِع[7] كتِفَيْه بسَهْم ،

---

(١) كذا في الأغاني ؛ وهو الصواب ، وفي ب ، ج : « زيد بن عدى » .

(٢) مرئي : منسوب إلى امرئ القيس .

(٣) لم يرم : لم يبرح .

(٤) كذا في ب ، ج وفي الأغاني : « فاقتفوا » .

(٥) الأغاني : « وأغذوا السير » .

(٦) المسى والمساء بمعنى .

(٧) مرجع كتفيه : أسفلهما .

فلمّا جَنّه ماتَ وأفلتَ الأعرابىّ، فرجعوا، وقد قُتِل زيدُ بنُ أيّوبَ ورجلٌ آخر من بنى الحارث بنِ كعب، فمكث حمّاد فى أخْواله حتّى أيفع، ولَحِق بالوُصفاء[1]، فخرج يوما من الأيّام يلعب مع غلمانِ بنى لِحْيان، فلَطم اللِّحْيانىُّ عينَ حمّاد فشجّه حمّاد. فخرج أبو اللحيانى فضرَب حمّادًا، فأتى حمادٌ أمّه يبكى، فقالت له: ما شأنُك؟ فقال: ضرَبنى فلان؛ لأنّ ابنَه لطَمنى فشجَجْتُه، [2]فخرجتْ من ذلك أمُّه وإخوتُه إلى دارِ زيدِ بنِ أيّوب[2]، وعلّمتْه الكتابةَ فى دارِ أبيه. فكان حمّادٌ أوّلَ من كتَبَ من بَنِى أيّوب، فخرج مِن أكتَبِ الناس، وطُلِب حتّى صار كاتب المَلِكِ النُّعْمان الأكبر، فلَبِث كاتبا حتّى وُلِد له ابنٌ مِن امرأةٍ تزوّجها من طيّئ، فسمّاه زيدا باسم أبيه.

وكان لحمّادٍ صديقٌ من الدَّهاقِين[3] العظماء، يقال له فرّوخ ماهان، وكان مُحسِنا إلى حمّاد، فلمّا حضَرتْ حمّاداً الوَفاةُ، أوصَى بابنِه زيدٍ إلى الدِّهْقان وكان من المَرازبَة[4]، فأخَذه الدِّهقان إليه، فكان عنده مع ولدِه، وكان زيدٌ قد حذَق الكتابةَ بالعربيّة قبلَ أن يأخذه الدِّهْقان، فعلّمه لمّا أخَذه الفارسيّة، وكان لبيبا، فأشار الدِّهْقان على كِسْرى أن يجعَله على البَريدِ فى حوائجه، ولم يكن كِسْرى يفعَل ذلك إلّا بأولاد المَرازبَة؛ فمكَث يتولّى ذلك لكسرى زمانا. ثم إنّ النّعمانَ اللَّخْمىّ هَلَك، فاختَلَف أهلُ الحِيرة فيمن يُملّكونه؛ إلى أن يَعقِد كِسْرى الأمرَ لرجلٍ ينصِّبه. فأشار عليهم المَرْزُبانُ بزَيْد بنِ حمّاد، فكان على الحيرة إلى أن ملّك كِسْرى المنذرَ بنَ ماءِ السّماء.

---

(١) الوصفاء: جمع وصيف؛ وهو الغلام.

(٢–٢) الأغانى: «فجزعت من ذلك وحولته إلى دار زيد بن أيوب».

(٣) الدهاقين: جمع دهقان؛ وهو التاجر؛ فارسى معرب.

(٤) المرازبة: جمع مرزبان؛ وهو الفارس الشجاع المقدم على القوم دون الملك عند الفرس.

ونَكَح زيدُ بنُ حمّاد نعمةَ بنتَ ثَعلبةَ العَدَوِيّة ، فولدت له عَديًّا ؛ وملك المنذرُ فكان لا يَعصِيه فى شىء ، ووُلِد للمَرْزُبان ابنٌ فسمّاه « شاهان مَرْد » . فلمّا تحرّك عدىُّ بنُ زيد وأَيْفَع ، طرَحَه أبوه فى الكُتّاب حتى إذا حَذَق أَرسَلَه المَرْزُبان مع ابنِه « شاهان مَرْد » ، إلى كُتّابِ الفارسيّة ، فتعَلّم الكتابةَ والكلامَ بالفارسيّة ، حتّى خرج من أفهَم الناس وأفصَحِهم بالعربيّة . وقال الشِّعر ، وتعلَّم الرَّمْىَ بالنُّشّاب ، فخرج بالأساوِرة[1] الرُّماة ، وتعلَّمَ لِعْبَ العَجَم على الخَيْل بالصَّوالِجة[2] وغيرها .

ثم إنّ المَرْزُبانَ وفَدَ على كِسرى ومعه ابنُه « شاهان مَرْد » ، فبينما هما واقِفان بين يديه ، إذْ سَقَط طائران على السُّور ، فتَطاعَما كما يَتَطاعَم الذكَر والأُنثى ، فجعل كلٌّ واحدٍ منهما مِنْقارَه فى مِنْقار الآخَر . فغَضِب كِسرى من ذلك ولحِقَتْه غَيْرة . فقال للمَرْزُبان وابنِه : لِيَرْمِ كلٌّ واحدٍ منكما واحدا من هذين الطائرَين ؛ فإنْ قتلتُماهما أدخلتُكما بيتَ المال ، وملأْتُ أفواهَكما بالجَوْهر ، ومَن أخطأ منكما عاقبتُه . فاعتَمد كلٌّ واحد منهما طائرا منهما ، ورَمَيا فقتَلاهما جميعا ، فبعَثَ بهما إلى بيت المال ، فمِلئتْ أفواهُما جَوْهرا وأَثبَت « شاهان مَرْد » وسائرَ أولاد المَرازِبة فى صَحابَتِه .

فقال فرّوخ ما هان عند ذلك للمَلِك : إنّ عندى غلاماً من العَرب مات أبوه وخَلَّفه فى حِجْرى ، فربَّيْتُه ، وهو أفصَح الناس كلهم ، وأكتَبُهم بالعربيّة والفارسيّة ، والمَلِك محتاجٌ إلى مِثله ، فإنْ رَأَى أن يُثْبِتَه فى وَلَدى فَعَل .

فقال : ادْعُه ، فأَرسَل إلى عَدِىّ بنِ زَيْد ، وكان جميلَ الوجه ، فائقَ الحُسْن — وكانت الفُرْسُ تتبرّك بالجميلِ الوجه — فلمّا كلّمه وجدَه أظرَفَ الناس وأحضَرَهم جوابا ، فرغِب فيه فأثبَتَه مع وَلَد المَرْزُبان .

---

(١) الأساورة : جمع أسوار ؛ وهو الجيد الرمى بالسهام .

(٢) الصوالجة : جمع صولجان ؛ وهو عصا يعطف طرفها ؛ يضرب بها الكرة .

فكان عديٌّ أوّلَ مَن كَتَب بالعربيّة فى ديوانِ كسرى ، فرَغب أهل الحِيرة فى عَدِيّ ورَهِبوه ، فلم يَزَل بالمَدائن فى ديوان كِسْرى يؤذَن له عليه فى الخاصّة ، وهو معجَبٌ به ، قريبٌ منه .

وأبوه زيدُ بنُ حمّاد يومئذٍ حَىّ ، إلّا أنّ ذِكْرَ عَدِىٍّ قد ارتَفع ، وخَمَل ذِكْرُ أبيه ، فكان عَدىٌّ إذا دَخَل على المُنذِر قام جميعُ مَنْ عِنْده حتّى يَقعُدَ عَدِىّ . فعَلَا له بذلك صِيتٌ عظيم . فكان إذا أرادَ المُقامَ بالحِيرة فى مَنزِله مع أبيه وأهلِه ، اُستأذَنَ كِسْرَى ، وأقامَ فيهم الشّهْرَ والشّهْرَيْن وأكثَر وأقلّ .

ثم إنّ كِسرَى أَرسَل عدىَّ بنَ زَيْد إلى مَلِك الرُّوم بهَدِيّةٍ من طُرَف ما عِنْده ، فلمّا أتاه عدىٌّ بها أكرَمَه وحَمَله على البَرِيد إلى عُمّاله ليُرِيَه سعةَ أرْضه ، وعَظِيمَ مُلْكه ، وكذلك كانوا يَصْنَعون ، فمِن ثَمَّ وَقَع عَدِىٌّ بدِمَشْق ، وقال فيها الشِّعْر ، وكان ممّا قاله فى الشأم ، وهو أوّلُ شِعرٍ قالَه :

رُبَّ دارٍ بأسفلِ الجِزْعِ مِن دُو ... مَةَ أَشهَى إلىَّ من جَيْرُونِ(١)

ونَدامَى لا يَفرَحون بما نا ... لُوا ولا يتّقون صَوْلَ المَنُونِ(٢)

قد سُقِيتُ الشَّمُولَ فى دارِ بِشْرٍ ... قَهْوَةً مُزَّةً بماءِ سَخِينِ

قال : وفَسَد أمرُ الحِيرة وعدىّ بدمشقَ حتّى أصلَح أبوهُ بينهم ؛ وذلك لأنّ [أهْلَ](٣) الحِيرة حين كان عليهم المُنذِر أرادوا قَتْلَه ؛ لأنّه كان لا يَعدِل فيهم ، وكان يأخذ مِن أموالِهم ما يُعجِبه ، فلمّا تيقّن أنّ أهلَ الحِيرة قد أجمَعوا على قَتْلِه ، بَعثَ إلى زيدِ بنِ حمّاد بن زيد بن أيّوب ، وكان قبلَه على الحِيرة . فقال له : يا زيد ،

---

(١) جيرون : بناء عند باب دمشق ، وهو سقيفة مستطيلة على عمد وسقائف وحولها مدينة تطيف بها . معجم البلدان .

(٢) الأغانى : « ولا يرهبون صرف المنون » .

(٣) من الأغانى .

أنت خليفةُ أبى ، وقد بلغنى : مااجتمع عليه أهلُ الحيرة ، فلا حاجةَ لى فى مُلْككم دُونَكُموه ، فملِّكوه مَن شئتم.

فقال زيد : إنّ الأمر ليس إلىّ ، ولكنّى أَسْبُرُ لك هذا الأمر ، ولا آلوك نُصْحا ، فلمّا أصبح غدَا إليه الناس ، فحيَّوْه تحيّةَ الملوك ، وقالوا له : أَلَا تبعثُ إلى الظالم عَبْدِكَ — يعنُون المُنذر — فتريحَ منه رعيّتَك !

قال : أَوَلا خيرٌ مِن ذلك ! قالوا له : أَشِرْ علينا ، قال : تَدَعونه على حاله ، فإنّه من أهل بيتِ مُلْك ، وأنا آتيه فأُخبِرُه أنّ أهلَ الحيرة قد اختاروا رَجُلا يكون أمرُ الحيرة إليه ، إلّا أن يكون غَزْوٌ أو قِتال . فلَكَ اسمُ المُلْك ، وليس إليكَ سِوَى ذلك من الأُمور . قالوا : رأْيك أفضَل .

فأَتَى المنذرَ فأخبرَه بما قالوا ، فقَبِل ذلك وفَرِح وقال : يا زَيْد ، علىَّ نعمة لا أكفُرُها ما عرفتُ حقَّ سَيِّد — وسَيِّد صَنَم كان لأهل الحيرَة — فولّى أهلُ الحيرة زَيْدا على كلّ شىء سوى اسم المُلْك ، فإنّهم أقرّوه للمُنْذر وفى ذلك يقول عَدِىّ :

نحنُ كُنّا قد عَلِمْتُم قبلَكُمْ ... عَمَدَا البَيْت وأَوْتَادَ الإصارِ(١)

ثم هَلَك زيدٌ وابنُه عَدِى يومئذٍ بالشأم ، وكان لزَيْدٍ أَلْف ناقةٍ للحَمالات(٢) كان أهلُ الحيرة أعطوْه إيّاها حين وَلَّوْه ما وَلَّوْه ، فلمّا هَلَك أرادوا أَخْذَها ، فبلغ ذلك المنذرَ فقال : لا ، واللّات والعُزّى لا يُؤخَذ ممّا كان فى يَدِ زيد ثُفْروق(٣) ، وأنا أسمع الصوتَ . ففى ذلك يقول عَدِىُّ بنُ زَيْد لابنه النُّعمان بنِ المُنذِر :

وأَبُوكَ المَرْءُ لَم يَشْنَقَ له ... يومَ سِيمَ الخسْفَ قُمْنا بخَسارِ(٤)

(١) الإصار : الطنب ؛ وهو حبل الخباء والسرادق ونحوها .

(٢) الحمالات : جمع حمالة بالفتح ، وهى الدية والغرامة التى يحملها قوم عن قوم .

(٣) الثفروق : علاقة ما بين النواة والقمع من التمرة .

(٤) كذا فى ب ، ج ، ورواية البيت فى الأغانى :

وأبوكَ المرء لم يُشْنأ لَهُ ... يوم سِيمَ الخسفَ قمنا بخسارِ

قال: ثم إنّ عَدِيًّا قَدِم المدائنَ على كِسرَى بهديّة قَيْصر، فصادف أباه والمَرْزُبانَ الّذى رَبّاه قد هلكا جميعا ، فاستأذَن على كسرى فى الإلمام بالحِيرة، فأَذِن له ، فتوجّه إليها ، وبلَغ المنذرَ خبرُه ، فخرج فتلقّاه فى الناس ورجع معه ؛ وعدىٌّ أنبلُ أهلِ الحِيرة فى أنفسهم ، ولو أراد أن يملِّكوه لَمَلَّكوه؛ ولكنّه كان يُؤْثِر الصَّيْد واللَّهوَ واللَّعِب على المُلْك ، فمكث سنين يَبْدو[١] فى فضْلَى السَّنة ، فيصيف[٢] بالبَرّ ويَشْتُو بالحِيرة ، ويأتى المدائنَ فى خلال ذلك فيخدمُ كِسرَى .

وكان لا يؤْثِر على بلادِ بنى يَرْبُوع شيئًا[٣] من بوَادِى العَرَب ؛ ولَا ينزِل فى حيٍّ من أحياءِ بنى تَمِيم غيرِهم . وكان أخلّاؤُه من العَرَب كلّهم بنى جعفر، وكانت إبلُه فى بنى ضَبّة، وبلاد بنى سَعْد، وكذلك كان أبوه يفعَل، لا يجاوز هذين الحيين بإبله، ولَم يَزَل على حالِه تلك حتّى تزوّج هنداً بنتَ النُّعمان بنِ المنذر ، وهى يومئذ جارية حين بلغتْ أو كادت .

وخبرُ تَزْويجها يُذكر فيما بعدُ .

وكان لعَدِيِّ بنِ زيدٍ أخَوان : أحدُهما اسمُه عمّار ، ولقبُه [أُبَىّ ، والآخر اسمُه عمرو ولقبُه سُمَىّ ، وكان لهم أخٌ من أمِّهم يقال له عَدِىُّ بنُ حَنْظَلة، وكان أُبَىٌّ يكون عند][٤] كسرى ، وكانوا أهلَ بيتٍ نصارى يكونون مع الأكاسِرة ، ولهم معهم أُكلٌ[٥] وناحية ، يُقطِعونَهم القطائع ، ويُجْمِلون[٦] صِلاتِهم.

---

(١) يبدو ، أى يخرج إلى البادية .

(٢) الأغانى : « فيقيم فى جفير » .

(٣) الأغانى : « مبدى من مبادى العرب » .

(٤) تكملة من الأغانى .

(٥) الأكل ، بالضم : الرزق .

(٦) الأغانى : « ويجزلون ».

وكان المُنذِرُ لما مَلَكَ جعلَ أبنَه النّعمان فى حِجْرعَدِىّ بن زيد،فهمالّذين أرضَعوه وربَّوْه .

وكان للمنــذر أبنٌ آخَر يقال له : الأسودُ بنُ ماريةَ بنت الحارث بن جُلْهُم من تَيْم الرِّباب ، فأرضَعَه وربّاه قومٌ من أهل الحيرة يقال لهم : بنو مَرِينا[1] ، يُنسَبون إلى لَخْم ، وكانوا أشرافا .

وكان للمنذر سِوَى هذين من الوَلَد عَشَرة ، وكان ولدُه يقال لهم : الأَشاهِب[2] من جمالهم ، فذلك قولُ أَعشَى بنى قيس بن ثَعْلبة :

وَبنُو المُنذِرِ الأَشاهِبُ بالحِيـ ـرَةِ يَمْشُون غُدْوةً كالسُّيوفِ[3]

وكان النّعمان من بينهم أحمرَ أبرَشَ[4] . وكان قصيرا ، وأمّه سَلْمَى بنتُ وائل ابن عَطيّةَ من أهل فَدَكَ[5] .

فلمّا أحتُضِر المُنذِر وخلّف ولدَه هؤلاء العَشَرة ـ وقيل بل كانوا ثلاثةَ عشرَ ـ أَوصَى بهم إلى إياس بن قَبيصةَ الطائىّ ومَلّكه على الحيرة إلى أن يَرَى كِسرى رأيَه، فمكث مُمَلَّكا عليها شهرا ، وكِسرَى فى طَلَب رجلٍ يملِّكه عليها، وهو كِسرى ابن هُرْمز ، فلم يجد أحداً يَرْضاه ، فضَجِر وقال : لأبْعَثَنّ إلى الحيرة اثنَىْ عَشَر ألفا

---

(١) بنو مرينا قوم من أهل الحيرة من قبائل العباد ؛ ذكرهم امرؤ القيس فى شعره فقال :

فلَو فى يوم معركة أصيبوا ولكن فى ديار بنى مَرِينَا

(٢) الشهبة فى الأصل: بياض يخالطه السواد ؛ وقد يطلق على مطلق البياض ؛ كما قالوا : سنة شهباء لكثرة الثلج ؛ وفى القاموس ؛ « والأشاهب بنو المنذر لجمالهم » ، وفى تاج العروس : «سموا بذلك لبياض وجوههم » .

(٣) الأغانى : « فى الحيرة» .

(٤) الأبرش : «الأرقط ؛ وهو الذى يكون فيه بقعة بيضاء وأخرى أى لون كان » .

(٥) فدك : قرية بالحجاز ، بينها وبين المدينة يومان .

من الأَساوِرة ، ولأُمَلِّكنّ عليهم رجلا من الفُرْس ، ولآمُرنّهم أن يَنزِلوا على العَرَب في دُورِهم ، ويَملكوا عليهم أموالَهم ونساءَهم .

وكان عديُّ بنُ زَيد واقفا بين يديه ، فأقبلَ عليه وقال : وَيْحك يا عَدِيّ ! مَن بَقِيَ من آل المنذر ! وهل فيهم أحدٌ فيه خَيْر ؟ قال : نَعَم أيّها الملك السّعيد ! إنّ في وَلَد المُنذِر لَبقيّةً ، وفيهم كلٌّ خير .

قال: اِبعثْ إليهم. فبَعَث عديّ إليهم فأحضرَهم ، وأنزَلَهم جميعا عندَه .

ويقال : بل شَخَص عديٌّ بنُ زَيد إلى الحِيرة حتى خاطبهم بما أرادوا[1] ، وأوصاهم ، ثم قَدِم بِهِمْ على كسرى .

قال : فلمّا نَزلوا على عديّ بن زيد أَرسَل إلى النّعمان : لستُ أُمَلِّكُ غيرَك ، فلا يُوحِشنّك ما أُفضِّل به إخوتَك عليك من الكرامة ، فإنّي إنما أغْترُّهم بذلك . ثم كان يفضِّل إخوتَه جميعا عليه في النُّزُل والإكرام والمُلازَمة ، ويريهم تَنقُّصا للنعمان ، وأنّه غيرُ طامع في تمام أمرٍ على يده . وجَعَل يخلُو بهم رَجُلا رَجُلا ، فيقول : إذا دخلتمْ على المَلِك فالبَسوا أفخرَ ثيابكم وأجمَلَها ، وإذا دعاكم إلى الطّعام لتأكلوا فتَباطَئُوا في الأَكْل، وصَغِّروا اللُّقَم ، ونَزِّرُوا ماتأكلون . فإذا قال لكم : أتكفونَنِي أمرَ العربِ؟ فقولوا : نَعَم . فإذا قال لكم: فإن شَذَّ أحدُكم عن الطاعة ، أو أفسَد ، أتكْفونيه ؟ فقولوا : لا ؛ لأنّ بعضَنا لا يَقدِر على بعض ، لِيَهابَكم ، ولا يَطْمَعَ في تفرُّقكم ، ويَعلمَ أنّ للعرَب مَنَعةً وبأسا . فقَبِلوا منه .

وخَلاَ بالنعمان فقال له : اِلبَسْ ثيابَ السَّفَر وادخُل متقلِّدا سَيْفَك، وإذا جلستَ للأَكل فعظِّم اللُّقَم ، وأَسرِع المَضْغ والبَلْعَ ، وزِدْ في الأكل وتجوَّع قبلَ ذلك ؛ فإنّ كسرى يُعجِبه كثرةُ الأكل من العرَب خاصّة ويَرَى أنه لا خيرَ في العربيّ

(١) الأغاني : « بما أراد » .

إذا لم يكن أَكولًا شَرِها ؛ ولا سيَّما إذا رأى [غيرَ][1] طعامِه وما لا عهدَ له بمثله؛ فإذا سألك : هل تَكفِينِى العَرَب ؟ فقل : نَعَم ، وإذا قال لك : فمَن لى بإخوَتك ؟ فقل له : فإن عجزتُ عنهم ؛ فإنّى عن غيرهم أعجَز .

قال : وخلَا ابنُ مَرِينا بالأَسْوَد ، فسأله عمّا أوصاه به عدىّ ، فأخبَرَه فقال : غشَّك والصليبِ والمعموديّة، وما نَصَحَك ؛ ولئن أطَعْتَنى لتخالِفَنّ كلَّ ما أمرَكَ به، ولَتَملَّكن ، ولئن عصيتَنى ليملَّكَنّ النُّعمانُ، فلا يَغُرَّنّك ما أَوْلاكَه[2] من الإكرام والتفضُّل على النّعمان ؛ فإنّ ذلك دَهاء ومَكْر ، وإن هذه العَدِّيةَ لا تخلو من مكر وحيلة .

فقال له : إنّ عَدِيًّا لم يأْلُنِى نُصْحا ، وهو أعلم بِكِسْرَى منك ، وإن خالفتهُ أوحشتهُ ، فأفسَدَ علىّ ، وهو جاء بنا ووَصَفَنا ، وإلى قوله يرجع كسرى . فلمّا يَئس ابنُ مَرِينا من قَبوله منه ، قال له : ستعلَمَ .

ودعا بهم كسرى ، فلمّا دخلوا عليه أعجَبَه جمَالُهم وكمَالُهم ، ورأى رجالا قلَّ ما رَأَى مِثْلَهم ، فدعا لهم بالطّعام ، ففعلوا ما أَمَرَهم عدى، فجعل يَنظُر إلى النُّعمان من بينهم ويتأمّل أَكْلَه .

فقال لعَدِىّ بالفارسيّة : إن يكن فى أحدهم [خيرٌ][3] فَفِى هذا . فغَسَلوا أيديَهم وجعل يدعو بهم رَجُلا رجلا ، فيقول : أتكفِينِى العَرَب ؟ فيقول : نعم أَكفِيكَها كلَّها إلّا إخْوَتى ، حتى انتهَى إلى النّعمان آخرهم .

قال : أتكفينى أمرَ العَرَب ؟ قال : نعم ، قال: فكيف لى بإخْوَتك ؟ قال :

---

(١) تكملة من الأغانى .

(٢) الأغانى : « ما أراكه » .

(٣) من الأغانى .

إن عجزتُ عنهم فأنا عن غيرِهم أعجَز . فملَّكه وخَلَع عليه وألبَسَه تاجاً قيمتهُ ستّون ألفَ دِرْهم ، فيه اللّؤلؤ والجَوْهر ، والياقوت والزَّبَرْجَد .

فلمّا خرج — وقد مُلِّك — قال أبنُ مَرِيناَ للأسود : دونَك عُقبَى خلافِك لى ! ثم إنّ عَدِيًّا صنع طعاما فى بِيعةٍ ، وأرسَلَ إلى أبن مَرِيناَ أن أْتِنى فيمن أحببْتَ ، فإنّ لى حاجة ، فأتاه فى ناسٍ ، فتغدَّوْا فى البِيعَة فقال عدىّ بنُ زيد لأبن مَرِيناَ : إنّ أحقَّ من عرفَ الحقَّ ولم يَلُمْ عليه [من كان][1] مِثلَك ، وإنّى قد عرفت أنّ صاحبك الأسوَد بن المنذر كان أحبَّ إليك أن يملَّكَ من صاحبي النّعمان ، فلا تَلُمنى على شىء كنتَ على مِثله ، وأنا أُحِبُّ ألّا تَحقِد علىّ شيئا لو قدرتَ عليه ركبتَه ، وأنا أحبُّ أن تعطيَنى من نفسِك ما أعطيتُك من نفسى ، فإنّ نصيبي من هذا الأمر ليس بأوفَر من نصيبِك .

وقام إلى البِيعة ، فحَلَف ألّا يَهْجوه أبداً ، ولا يَبْغيه غائلة ، ولا يَزْوِى عنه خَيْراً أبداً .

فلمّا فَرَغ عدىُّ بنُ زَيْد ، قام أبنُ مَرِينا فحَلَف مثل يمينه ألّا يزالَ يَهجُوه أبدا ، ويَبْغيه الغَوائل ما بقِىَ .

وخَرجَ النّعمانُ حتّى نزَل منزلَ أبيه بالِحيرة ، فقال عدىّ بنُ مَرِيناَ لعَدِىّ ابنِ زَيْد :

ألا أَبلِـغْ عَدِيًّا عن عَــدِىٍّ ... ولا تَجزَعْ وإن رَثّتْ قُواكاَ[2]

هيا كلَنا تــبَرُّ لغير فَقْرٍ ... لِتُحْمَدَ أو يَتمَّ بــه غِناكاَ[3]

---

(١) من الأغانى .

(٢) رثت : ضعفت .

(٣) ب ، ج : « عنا كا » ، والصواب ما فى الأغانى .

فانْ تَظفر فــلَم تَظفر حَميدا وإنْ تَعطَبْ فلا يَبْعُدْ سِواكا
ندِمْتَ نَدامــةَ الـكُسَعِيِّ لمّا رأتْ عيناكَ ما صَنعتْ يدَاكا[1]

ثم قال عَدِىّ بنُ مَرِيناَ للأسود : إذا لم تَظفر فَلا تَعجزنّ أن تَطلُبَ بثأرك من هذا المعدّىّ الّذى فَعَل بك ما فَعَل ، فقد كنتُ أخبرتُك أن مَعَدًّا لا يَنام كَيدُها ، وأمرتُك أن تعصيَه فخالفتَنى .

قال : فما تريد؟ قال : أريد ألّا تأتيَك فائدةٌ من مالكَ وأرضِكَ إلّا عرضتَها علىّ ، ففعلَ .

وكان ابن مَرِيناَ كثيرَ المال والضَّيْعة ، فلم يكن فى الدّهر يومٌ يأتى إلّا وعلى بابِ النُّعمان هَدِيّة من ابن مَرِيناَ ، فصار من أكرمِ النّاس عليه ؛ حتى كان لا يَقضِى فى مُلكه شيئا إلّا بأمر ابن مَرِينا .

وكان إذا ذُكِر عدىُّ بنُ زيد عند النّعمان أحسنَ الثّناء عليه ، وشَيَّعَ[2] ذلك بأن يقول : عَدِىّ بنُ زَيد فيه مَكْر وخديعة ، والمعَدّىّ لا يَصلُح إلّا هكذا . فلمّا رأى من يُطِيف بالنعمان منزلةَ ابن مَرِيناَ عنده أكرموه وبايَعوه ، فجعل يقول لمن يثق به من أصحابه : إذا رأيتمونى أذكر عَدِيًّا عند المَلِك بخير فقولوا : إنّه كذلك ؛ ولكنّه لا يَسلَم عليه أحَد ، وإنّه ليقول : إنّ المَلِك ــ يعنى النّعمان ــ عاملُه ، وإنّه هو ولّاه ، فلم يزالوا كذلك حتّى اضطغَنوه[3] عليه ، وكتبوا كتابا على لسانه إلى قَهْرَمان[4] له . ثم دَسُّوا إليه حتّى أخذوا الكتابَ منه ، وأتَوْا به النعمانَ ، فقرأه

---

(١) الكسعى : رجل من كسع ؛ حىّ فى قيس ، رمى فى الليل عيرا فأصابه ، وظن أنه أخطأ فكسر قوسه ، فلما أصبح وجد العير مقتولا وسهمه فيه ، فندم وكسر قوسه ؛ فضرب المثل به فى الندم ، فى خبر مشهور فى كتب الأمثال .

(٢) شيع ذلك : أتبع .

(٣) الأغانى : « أضغنوه » .

(٤) القهرمان : أمين الملك .

فاشتدَّ غضبُه ، وأرسَل إلى عديّ بنِ زيد : عزمتُ عليكَ إلّا زُرْتَني ؛ فإنّي قد اُشتقتُ إلى رؤيَتِك ، وعديٌّ يومَئذٍ عند كِسرَى .

فاستأذَنَ كِسرَى ، فأَذِن له ، فلمّا أَتاه لم ينظُر إليه حتى حُبِس فى مَحْبِسٍ لا يَدْخُل عليه فيه أَحَدٌ ، فجَعَل عديٌّ يقول الشِّعرَ فى السِّجن ، فأوّل قوله :

لَيتَ شِعْرِى عن الهُمامِ ويأتيـ ـكَ بِخُبْرِ الأَنْباءِ عَطْفُ السُّؤالِ[1]
أيْنَ عَنَّا إخْطارُنا المـالَ والأَنْـ ـفُسَ إذ ناهَدُوا ليَوْمِ المِحَالِ[2]
ونِضالِى فى جَنْبِـك الناسَ يَرْمُو نَ وأَرمِى وكلُّنا غَيـرُ آلِ[3]
فأُصيبُ الّـذى تُريد بـلا غـشٍّ وأَرْبِى عليهمُ وأُوالى[4]
ليتَ أنّى أخـذْتُ حَتْفِى بكفّـ ـىَّ ولَم أَلْقَ مِيتـةَ الأَقْتَالِ[5]
مَحَلُوا مَحْلَهمْ لصَرْعَتِنا العـا مَ فقـد أوقَعُوا الرَّحَى بالثِّفالِ[6]

وقال من قصيدة :

أَلا مَن مُبْلِـغُ النُّعمانَ عَنِّى وقد تُهدَى النَّصيحةُ بالمَغيبِ
أَحَظِّى كان سِلْسلةً وغُـلاًّ وقَيْداً والبيَانُ لَدَى الطَّبيبِ
أَتاكَ بأنّنى قـد طالَ حَبْسى فــلا تَسأَمْ لَمَحْزُونٍ حَرِيبِ[7]
وبَيْتِى مُقْفِرٌ إلّا نِساءً أراملَ قد هَلَكْنَ من النَّحيبِ

---

(١) ب ، ج : « بعطف الأنباء » ، والصواب ما أثبته من الأغانى .

(٢) إخطار المال والأنفس : بذلهما وجعلهما خطرا .

(٣) غير آلى : غير مقصر .

(٤) أربى : أزيد .

(٥) الأقتال : جمع قتل ، وهو العدو .

(٦) يقال : محل فلان بصاحبه ، إذا سعى به إلى السلطان . والثفال : الجلد الذى يبسط تحت رحا اليد ليقى الطحين من التراب .

(٧) الأغانى : « ولم تسأم بمسجون حريب » ، والحريب : الذى سلب ماله وعقاره .

يُبادِرْنَ الدُّموعَ على عَدِيٍّ — كشَنٍّ خانَه خَرْزُ الرَّبيبِ(١)
يحاذِرْن الوُشاةَ على عَدِيٍّ — وما اقتَرَفوا عليه من الذُّنوب
فإنْ أخطأتُ أو أوهمْتُ أمْراً — فقد يَهِمُ المُصافِي بالحبيبِ
وإنْ أُظْلِمْ فقد عاقَبْتُمُونى — وإن أَظلِمْ فذلك من نصيبى
وإنْ أَهْلِكْ تَجِدْ فَقْدى وتُخذَلْ — إذا التقَتِ العَوالى فى الحرُوبِ
فهل لكَ أن تَدارَكَ ما لدَيْنا — ولا تُغْلَبْ على الرأى المُصيب
فإنِّى قد وَكَلْتُ اليومَ أمرِى — إلى ربٍّ قريبٍ مستجيبِ

فى قصائدَ كثيرة كان يقولها فيه، ويكتبُ بها إليه، فلا تُغْنِى عنه عندَه شيئا.

خرج النُّعمانُ إلى البَحْرين، فأقبَل رجلٌ من غسَّانَ، فأصابَ فى الحِيرة ما أَحَبّ — ويقال: إنه جَفْنةُ بن النُّعمان الجَفْنِى — فقال عَدِىٌّ فى ذلك من أبيات:

سَمَا صَقْرٌ فأَشْمَلَ جانِبَيْها — وأَلهاكَ المروِّحُ والعَزِيبُ(٢)

فلمّا طال سجنُ عَدِىّ بن زَيْد، كَتَب إلى أخيه، أُبَىّ، وهو مع كسرى بهذا الشعر:

أَبلغْ أُبيًّا على نَأْيِهِ — فقد ينفعُ المرءَ ما قدْ عَلِمْ(٣)
بأنّ أخاكَ شقيقَ الفُؤا — دِ كنتَ به والِهاً ما سَلِمْ(٤)
لَدَى مَلِكٍ مُوثَقٌ بالحدي — دِ إمّا بحَقٍّ وإمّا ظُلِمْ
فلا أعرِفَنْكَ كذاتِ الغُلا — مِ ما تَجِدْ عارِماً تَعْتَرِمْ(٥)
فأَرْضَكَ أَرْضَكَ إنْ تأْتِنا — تَنَمْ نَوْمَةً ليس فيها حُلُمْ

---

(١) الشن: الآنية تصنع من الجلد، والربيب، من رب الأمر إذا أصلحه.

(٢) المروح: الإبل الذاهبة إلى أعطانها. والعزيب: ما ترك مراعيه.

(٣) الأغانى: «وهل ينفع».

(٤) الأغانى: «واثقا».

(٥) ذات الغلام: الأم المرضع. والعارم: الراضع، يقال: عرم الصبى أمه عرما: رضعها

وكتب إلى أخيه أُبَىّ أبياتاً أيضا ، فلمّا قرأ أُبَىٌّ أبياتَ عَدِىٍّ قامَ إلى كِسرَى فكلَّمَه فى أمره ، وعرَّفَه خَبَرَه ، فكَتَب إلى النُّعمان يأمُره بإطلاقه ، وبَعثَ بالكتاب . وكتب خليفةُ النُّعمان إليه : إنه قد كُتب إليك فى أمره ، فأتاه أعداءُ عَدِىٍّ من بنى بُقَيْلة ، وهم من غَسّان ، فقالوا له : اقتلْه الساعةَ فأَبَى عليهم ، وجاء الرسولُ ، وقد كان أخو عَدِىٍّ تَقدَّم إليه ورَشَاه وأَمَره أن يَبدأَ بَعدِىّ ، فيدخلَ عليه وهو محبوسٌ بالصِّنِّيْن[1] ، وقال له : ادخُلْ عليه فانظرْ ما يأمُرُك به فامتَثِلْه ، فدخل الرسولُ على عَدِىّ ، فقال له : إنّى قد جئتُك بإرسالك ، فما عِندَك ؟ قال: عندى الّذى تُحِبّ ؛ ووعَدَه عِدةً سَنِيّة ، وقال له : لا تخرجَنّ من عندى وأعطِنِى الكتابَ حتى أُرسِل به ؛ فإنك والله إن خرجتَ من عندى لأُقتلَنّ .

فقال : لا أستطيع إلّا أن آتىَ المَلِك بالكتاب ، فأوصَلَه إليه ، فانطلَق مَنْ كان هُناكَ من أعدائه ، فأخبَرَ النعمانَ أنّ رسولَ كِسرَى دخل على عَدِىّ ، وهو ذاهبٌ به ، وإن فعلَ واللهِ لم يَسْتَبْقِ منّا أحداً ، أنتَ ولا غيرك .

فبعث النُّعمان إليه أعداءَه ، فغَمُّوه[2] حتّى مات ثم دَفَنوه ، ودخل الرسولُ فأَوصَل الكتابَ إليه ، فقال : نَعَم وكَرامة ، وأمَرَ له بأربعة آلافِ مثقالٍ من الذّهب ، وجاريةٍ حَسْناء ، وقال له : إذا أصبحتَ فادخُلْ أنتَ بنفسك فأَخْرِجْه .

فلمّا أَصبَح رَكِب فدخل السِّجن ، فأَعلَمَه الحرسُ أنّه قد مات منذ أيّام ، ولم نَجْترِئْ على إخْبار المَلِك خوفاً منه ، وقد عرفْنا كراهتَه لموته .

فرجع إلى النُّعمان فقال : إنّى كنتُ أَمْسِ دخلتُ على عَدِىٍّ وهو حىّ ، وجئت اليومَ فجَحَدنى السَّجّان وبَهَتَنى[3] ، وذَكَر أنه قد مات منذُ أيّام .

---

(١) الصنين : بلد كان بظاهر الكوفة ، كان من منازل المنذر ، وبه نهر ومزارع (مراصد الاطلاع) .

(٢) غموه : غطوا وجهه بشىء ليختنق .

(٣) بهتنى : قال الكذب فى وجهه .

فقال له النعمان : أيبعثُ بك المَلِكُ إلىّ فتدخلَ عليه قَبْلى ! كذبتَ ؛ ولكنّك أردتَ الرِّشْوة والُخبثَ ، وتهدَّدَه ، ثم زادَه جائزةً وأكرَمه ، وتوثّق منه ألّا يُخبِر كسرى، إلّا أنّه قد مات قبلَ أن يقدَمَ عليه .

فرجع الرسولُ إلى كِسرَى فقال : إنّى قد وجدتُ عَدِيًّا قد مات قبل أن أدخُلَ عليه ، ونَدِم النّعمان على قَتْل عَدِىّ ، وعَلِم أنه قد احتِيل عليه ، واجترأ أعداؤه عليه ، وهابَهم هَيبةً شديدة . ثم إنّه خرج إلى صَيْده ذاتَ يوم ، فلقىَ ابناً لعَدِىّ يقال له : زيد ، فلمّا رآه عرَف شَبَهَه ، فقال له : مَن أنت ؟ فقال : أنا زيدُ بنُ عَدِىّ بنِ زيد . فكلَّمه ، فإذا غلامٌ ظَريف ، ففرِح به فَرحاً شديداً ، وقرّبَه ، وأعطاه ووَصَله ، واعتذَرَ إليه من قَتْل أبيه ، وجَهّزَه[1] .

ثم كَتَب إلى كِسرى : إنّ عَدِيًّا كان ممّن أُعِينَ به المَلِكُ فى نُصْحِه ولُبِّه ، فأصابَه مالا بدّ منه ، وانقضتْ مدّته ، وانقَطع[2] أُكْلُه ، ولم يُصَب به أحدٌ أشدّ من مُصيبتى .

وأمّا المَلِك فلم يكن ليَفقِدَ رَجُلا إلّا جعلَ اللهُ منه خَلَفًا لِمَا عَظَّمَ اللهُ عزّوجلّ فى مُلكِه وشأنِه ، وقد بلغ ابنٌ له ليس بدونه رأيته يَصلُح لخدمة المَلِك ، فسَيّرْتُه[3] إليه ، فإنْ رَأَى المَلِك أن يَجعلَه مكانَ أبيه فعَل ، وليصرِفْ عمَّه عن ذلك إلى عملٍ آخَر .

وكان هو الّذى يلِى المكاتبَة عن المَلِك إلى مُلوك العرَب ، وفى أمورها ، وفى خواصِّ المَلِك ، وكانت له من العرَب وظيفةٌ موظَّفةٌ فى كلّ سَنَة ؛ مُهْران أشقَران يُجعَلان له هُلَاماً[4] ، والكَمْأَةُ والأَقِطُ والأُدْمُ ، وسائرُ تِجارات العرَب .

(١) جهزه : أعد له معدات السفر .
(٢) الأغانى : «انقضى أجله» .
(٣) الأغانى: «فسرحته» .
(٤) الهلام : مرق السكباج المصفى من الدهن ، والسكباج : لحم يطبخ بخل .

وكان زيدُ بنُ عَدِى يَلِى ذلك له ، وكان هذا عمل عَدِىّ ، فلمّا وَقَع زيدُ بنُ عدىٍّ عند المَلِك هذا المَوْقِع ، سأله كِسرَى عن النّعمان ، فأَحسَن الثّناءَ عليه ، ومَـكَث على ذلك سَنَوات ، على الأمر الّذى كان أبوه عليه ، وأُعجِب به كِسرَى ، فـكان يُـكثِر الدخولَ عليه ، والخِدمةَ له ، وكان لملوك العَجَم صفةٌ من النّساء مكتوبةٌ عندهم ، فـكانوا يَبعثون فى تلك الأَرَضِيين بتلك الصِّفة ، فإذا وُجِدَتْ حُمِلتْ إلى المَلك ؛ غير أنّهم لم يكونوا يَطْلبونها فى أرضِ العرَب ، ولا يظنّونها عندهم ، ثم إنه بَدَا للمَلك فى طَلَبِ تلك الصِّفة ، فأَمَر ، فـكُتِب بها إلى النَّواحى .

ودخل عليه زيدُ بنُ عَدِىّ وهو فى ذلك القَوْل ، فخاطَبَه فيما دَخَل فيه ، ثم قال : رأيتُ المَلِك كتبَ فى نِسوةٍ يُطلَبْنَ لـه ، وقرأتُ الصِّفة ، وقد كنتُ بآل المنذر عارفا ، وعند عبدِك من بناتِه وأخواتِه وبناتِ عمِّه وأهلِه أكثرُ من عشرين امرأةً على هذه الصِّفة .

قال : فاُكتبْ فيهنّ ، قال : أيّها المَلك ، إن شيئاً فى العرَب[1] وفى النُّعمان خاصّة أنّهم يتـكبّرون[2] فى أَنفُسِهم على العَجَم ، فأنا أَكره أن يُغيِّبهنّ عمّن تبعث إليه ، أو يَعرِض عليه غيرَهنّ ؛ وإن قدِمتُ أنا عليه لم يَقدِر على ذلك ، فاُبعَثْنى وابعثْ معى رجلا من ثِقاتِك يَعرِف[3] العربيّة حتى أبلغَ ما تحبّه ، فبعث معه رجلا جَلْدًا فهِماً .

فخرج به زيد ، فجعل يُـكرِمُه ويُلاطفه حتّى بلغ الحِيرَة ، فلمّا دخل عليه أعظمَ المَلِكَ ، وقال : إنّه قد احتاج المَلِك إلى نِساءٍ لنفسه وولدِه وأهلِ بيته ، وأراد كرامتَك بصِهْره .

---

(١) كذا فى ب ، ج ، وفى الأغانى : « إن شر شىء فى العرب » .

(٢) فى الأغانى : « يتكرمون زعموا فى أنفسهم » .

(٣) فى الأغانى : « يفهم » .

فبعث إليك ، فقال : وما هؤلاء النِّسْوَة ؟ فقال : هذه صفاتُهُنّ قد جئنا بها ، وكانت الصِّفة أن المُنذِر الأكبرَ أهدَى إلى أنو شِرْوانَ جارية كان أصابَها إذْ أغارَ على الحارث الأكبر بن أبي شَمِر الغَسّانيّ .

فكتب إلى أنُوشِرْوانَ يصفها له ، وقال : إنّى قد وَجَّهتُ إلى المَلِك جارية معتدلةَ الخلْق، نقيّةَ اللّون والثّغْر ، بيضاءَ قَمْراء ، وَطْفاء[1] كَحْلاء دَعْجاء[2] حوْراء ، عَيْناء قَنْواء[3] ، شَمّاء[4] بَرْجاء[5] ، زَجّاء[6] ، أَسيلةَ الخدِّ شَهِيّة المُقبَّل ، جَثْلَةَ[7] الشَّعر ، عظيمة الهامة ، بعيدةَ مَهْوَى القُرْط ، عَيْطاء[8] عريضةَ الصَّدْر ، كاعبَ الثّدْي ، ضخمةَ مُشاشِ المَنْكِب والعَضُد ، حسنةَ المِعْصَم ، لطيفةَ الكَفّ ، سَبْطة البَنان ، ضامرةَ البَطْن خَميصةَ الخَصْر ، غَرْثَى[9] الوِشاح ، رَداحَ[10] الأقْبال ، رابِيَة الكَفَل ، لَفّاءَ[11] الفَخِذين رَيّا الرّوادِف ، ضخمة المَأْكمَتَيْن[12] ، مُفعَمةَ الساقين[13] ، مُشْبعةَ[14] الخلْخال ، لطيفةَ الكعب والقدَم ،

(١) الوطفاء : غزيرة الأهداب وشعر الحاجبين .

(٢) الدعج : شدة سواد العين وشدة بياض بياضها .

(٣) قنواء ، وهو ارتفاع فى أعلى الأنف واحديداب فى وسطه وسبوغ فى طرفه .

(٤) الشمم فى الأنف : ارتفاع القصبة وحسنها .

(٥) البرجاء : الجميلة الحسنة الوجه .

(٦) الزجاء : الدقيقة الحاجبين فى طول .

(٧) الجثلة : كثيفة الشعر سوداؤه .

(٨) العيطاء : الطويلة العنق .

(٩) غرثى الوشاح : دقيقة الخصر .

(١٠) الرداح : العجزاء الثقيلة الأوراك التامة الخلق . والأقبال : ما استقبلك من مشرف والواحد قبل .

(١١) لفاء : ضخمة الفخذ مكتنزته .

(١٢) المأكمتان : اللحمتان اللتان على رءوس الوركين ، الواحدة مأكمة .

(١٣) مفعمة الساقين : ممتلئتهما .

(١٤) مشبعة الخلخال ، كناية عن السمن ؛ وفى اللسان : امرأة شبعى الخلخال : ملأى سمنا .

قَطوفَ[1] المَشْى ، مِكْسالَ[2] الضُّحَى ، بَضّةَ[3] المتجرَّد ، سَمُوعاً للسيّد ، ليست بخَنْسَاء[4] ولا سَفْعاء[5] ، دقيقةَ[6] الأَنْف ، عَزِيزَةَ النَّفْس ، لم تُغَذَّ فى بُؤس ، حَيِيّةً رَزِينة ، حَكِيمة ، رَكِينة ، كريمةَ الخال ، تَقْتَصِر على نَسَب أبيها دون فَصِيلتها ، وتستغْنى بفصيلتها دونَ جِماع قبيلتها ، قد أحكمتْها الأمورُ فى الأدَب ، فرأيُها رأىُ أهلِ الشَّرَف ، وعمَلُها عملُ أهلِ الحاجة ، صَناعَ الكَفَّين ، قطيعةَ[7] اللِّسان ، رَهْوَةَ[8] الصَّوْت ساكنَتَهُ تَزِينُ البَيْت ، وتَشِين العَدُوّ إنْ أردتَها اشتَهَتْ ، وإن تركْتَها انتهَتْ ، تُحَمْلِق[9] عَيْناها ، وتحمرُّ خدّاها ، وتَذَبْذَبُ شَفَتاها ، وتُبادِرُك الوَثْبةَ إذا قمتَ ، ولا تجلسُ إلّا بأمرك إذا جَلَست .

قال : فقبِلها أنوشِروانَ ، وأمرَ بإثبات هذه الصِّفة فى دواوينه ، فلَمْ يزالوا يتوارَثُونها حتى أفْضَى ذلك إلى كِسرَى بن هُرْمُز .

فقرأ زيدٌ هذه الصِّفَةَ على النّعمان ، فشَقَّ عليه ، فقال لزَيْد والرسولُ يَسْمَع : أمَا فى مَها السَّوادِ وعِينِ فارس ما يبلُغ به كسرى حاجتَه !

فقال الرسول لزيد : ما المها والعين ؟ فقال له بالفارسيّة : « كاوان » أى البَقر ، فأمسَك الرّسولُ .

---

(١) القطوف : وصف من القطاف ؛ وهو تقارب الخطو .

(٢) المكسال : المرأة التى لا تكاد تبرح مجلسها ؛ وهو مدح لها مثل نؤوم الضحى .

(٣) البضة : الناعمة .

(٤) الخنساء ، من الخنس ، بالتحريك ، وهو تأخر الرأس وارتفاعة عن الشفة .

(٥) السفعاء ، من السفع ، وهو السواد .

(٦) فى الأغانى : « رقيقة » .

(٧) كذا فى ب ، ج ، والأغانى . وفى القاموس : امرأة قطيع الكلام بغير هاء ، إذا لم تكن سليطة .

(٨) رهوة الصوت : سهلة .

(٩) المحملق من الأعين : ما حول مقلتيها بياض لم يخالطه سواد .

وقال زيدٌ للنعمان : إنما أراد الملِك كرامتَك ، ولو عَلِم أنّ هذا يَشُقّ عليك لما كَتب إليك .

فأنزَلَهما يومين عندَه ، ثم كتب إلى كسرى : إنّ الذى طَلَب المَلِكُ ليس عندى . وقال لزيد : اعذرْنى .

فلمّا رَجَعا إلى كسرى قال زيدٌ للرسول الّذى قَدِم معه : أَصْدُقِ المَلِكَ عمّا سمعتَ ، فإنى سأحدّثه بمثل حديثك ، ولا أخالفك فيه .

فلمّا دَخَلا على كسرى قال زيدٌ : هذا كتابُه ، فقرَأَه عليه . فقال كسرى : وأين الّذى أخبرتَنى به ؟ قال : كنت أخبرتُك بضنّتِهم بنسائهم على غيرِهم ؛ وإنّ ذلك من شقائهم ، واختيارهم الجوعَ والعُرْىَ على الشِّبَع والرِّياش وإيثارِهم السُّمُوم والرياح على طِيب أرضِكَ هذه ؛ حتى إنّهم ليسمّونها السِّجْن ؛ فاسأل الرسولَ الّذى كان معى عمّا قال ؛ فإنّى أُكرِمُ المَلِكَ عن مُشافَهته بما قال وأجابَ به .

فقال للرسول : وما قال ؟ فقال : قال : أيّها المَلِك ، أما كان فى بقر السَّوادِ وفارسَ ما يكفيه حتى يطلبَ ما عندنا !

فعُرِف الغضبُ فى وجهِه ، ووقع فى قلبه منه ما وَقَع ؛ لكنّه لم يَزِدْ على أن قال : رُبَّ عبدٍ قد أراد ما هوَ أشدُّ مِن هذا ؛ ثم صار أمرُه إلى التَّباب[1] ، وشاع هذا الكلامُ حتى بلغ النُّعْمان .

وسكتَ كسرَى شهراً على ذلك ، وجعل النعمانُ يستعدّ ويتوقّعُ ، حتّى أتاه كتابُه ؛ أنْ أَقْبِلْ ، فإنّ للمَلِك إليك حاجةً فانطَلَقَ حين أتاه كتابُه ؛ فحمل سلاحه ، وما قَوِى عليه ، ثم لَحِق بجَبَلَىْ طَيِّئٍ .

وكانت فَرْعَة بنتُ سعد بنِ حارثةَ عندَه ، وقد ولدتْ له رجلا وامرأة ، وكانت

---

(١) التباب : الخسران .

أيضا عنده زينبُ بنت أَوْس بن حارثة ، فأراد النُّعمانُ طيّئاً على أن يُدْخلوه الجبَلَيْن ويَمنَعوه ، فأَبَوْا ذلك عليه ، وقالوا له : لولا صِهرُكَ لقَتَلْناك ؛ فإنّه لا حاجــةَ لنا فى مُعاداةِ كِسْرَى ، ولا طاقةَ لنا به .

فأقبَل يطوف على قبائل العَرَب ، ليس أحدٌ منهم يَقبَله ، غير أنّ بنى رَواحةَ ابن ربيعة [بن قطيعة][1] بن عبس قالوا : إن شئتَ قاتلْنا معك، لِمنّةٍ كانت له عندَهم فى أمرِ مَرْوان[2] القَرَظ .

فقال : ما أُحِبّ أن أُهلِكَــكُم ؛ فإنّه لا طاقةَ لــكم بكِسْرَى ، فأقبَل حتى نَزل بذِى قار[3] فى بنى شَيْبانَ سِرّا ، فلقِى هانئَ بنَ قَبيصة .

وقيل : بل هانئ بن مسعود بن عامر بن أبى ربيعةَ من ذُهل بن شَيْبان ، وكان سيّدا مَنيما ، والبيتُ يومئذ من ربيعةَ فى آلِ ذى الجدَّيْن لقَيْس بنِ مسعود بن قيس ابن خالد ذى الجدَّين .

وكان كِسرَى قد أطعَم قيسَ بنَ مسعود الأُبُلّة[4] ، فكرِه النعمانُ أن يَدفع إليه أهلَه لذلك ، وعلِم أنّ هانئاً يَمنعه ممّا يَمنع نفسَه .

وقال حمّاد الرّاويةُ فى خبره: إنه لمّا استجار بهانئ كما استجار بغيره فأجارَه ، وقال له : لقد لزِمَنى ذِمامُك ، وإنّى مانِعُك ممّا أَمنَع منه نفسى وأهلِى ووَلدى ما بَقِى مِن عشيرتى الأَدْنَيْن رجلٌ ! وإنّ ذلك غيرُ نافِعك ، لأنّه مُهلِكى

---

(١) من الأغانى .

(٢) هو مروان بن زنباع العبسى ، أضيف إلى القرظ ؛ لأنه كان يغزو اليمن ، وبها منبته ، أو لأنه كان يحمى القرظ لعزته ؛ ويضرب به المثل فى العزة فيقال : أعز من مروان القرظ .

(٣) ذوقار : ماء لبكر بن وائل قريب من الكوفة ؛ فيه الوقعة المشهورة بين بكر بن وائل والفرس .

(٤) الأبلة : بلدة على شاطئ دجلة فى زاوية الخليج الذى يدخل منه إلى البصرة .

ومُهْلِكُك ، وعندي رأيٌ لستُ أشيرُ به لأَدْفَعك عمّا تريدُه من مجاورتي ولكنّه الصّواب .

فقال: هاتِه، [فقال : إن](١) كل أمرٍ يَجمُل بالرّجل أن يكونَ عليه إلا المُلْك ، وأن يكون بَعْدَ المُلْكِ سُوقة ، والموتُ نازلٌ بكلّ أحد ، فلأَن تموت كريماً خيرٌ من أن تتجرّع الذّلّ أو تبقى [سُوقةً](١) بعد المُلْكِ، هذا إن بَقِيتَ . فامضِ إلى صاحبك، واحمِل إليه هدايا ومالاً ، وأَلْقِ نفسكَ بين يديه؛ فإمّا أن يَصفح عنك فعُدتَ مَلِكاً عَزيزا، وأما إن أصابَك فالموتُ خيرٌ من أن تتلاعَبَ بك صَعاليكُ العَرَب ، وتتَخطّفك ذِئابُها ، وتأكلَ مالَك ، وتعيشَ فقيرا ، أو تُقتَل مَقْهورا .

قال: وكيف بحُرَمِي ؟ قال : هنّ في ذِمّتي لا يُخلَص إليهن حتّى يُخْلَصَ إلى بَناتي ، قال : هذا وأبيكَ الرأيُ الصّحيحُ، ولن أتجاوَزَه . ثمّ اختارَ خَيْلا وحُلَلا من عَصْب(٢) اليَمَن ، وجَوْهَراً وطُرَفاً كانت عندَه ، ووجّه بها إلى كِسْرَى، وكتبَ إليه يعتذِر ويعلِمُه أنّه صائر إليه ، ووجّه بها مع رسول . فقَبِلَها كِسرَى ، وأمَرَه بالقُدومِ عليه .

فعاد الرسول إليه ، وأخبَرَه بذلك ، وأنّه لم يَرَ له عند كسرى سُوءاً .

فمضى إليه حتّى إذا وَصَل إلى المَلِك(٣) لقيَه زيدُ بنُ عَدِيٍّ على قنطرةِ ساباطَ(٤) ، فقال : انْجُ نُعَيْمُ إنْ وَجَدْتَ(٥) النّجاء ! فقال له : أفعلتَها يا زيدُ ! أما واللهِ لئن عشتُ لكَ لأقتلنّك قِتلةً لم يُقتَلْها عَرَبِيٌّ قَطُّ قبْلَك ، ولأُلحقنّك بأبيك !

---

(١) من الأغاني .

(٢) العصب : ضرب من برود اليمن يعصب غزله ؛ أي يجمع ويشد ثم يصبغ وينسج فيأتي موشى لبقاء ما عصب منه أبيض لم يأخذه صبغ .

(٣) الأغاني : « المدائن » ؛ وهي مدينة بفارس كانت مسكن الملوك من الأكاسرة .

(٤) ساباط : موضع قريب من المدائن .

(٥) الأغاني : « إن استطعت » .

فقال له زيد : امضِ لشأنِكَ نُعَيمُ ، فقدَ واللهِ أَخَّيْتُ لك أَخِيَّةً(١) لا يَقْطَعها المُهْرُ الأَرِن(٢) .

فلمّا بلغ كسرى أنّه بالباب ، بعث إليه فقيّده ، وبعث به إلى سجنٍ كان له بخانِقين(٣) ، فلَم يزلْ فيه حتّى وقع الطاعونُ هناكَ ، فماتَ فيه .

وقال حمّادٌ وغيرُه : بل ماتَ بساباطَ فى حَبْسه .

وقال ابنُ الكَلْبيّ : رماه(٤) تحت أرجُل الفِيَلة فوطِئتْه حتّى مات ، واحتجّوا بقول الأَعْشى :

فذاكَ وما أَنجى من الموتِ رَبَّه ... بساباطَ حتّى ماتَ وهو مُحَزْرَق

المُحَزْرَقُ : المضيَّق عليه . وكان قتلُه سبباً لغَضَب العرَب ، ووقعةِ ذى قار قبلَ الإسلام .

وكان عَدِيُّ بنُ زَيْد بن حمّاد بن زيد يَهوَى هنداً بنتَ النُّعمانِ بنِ المُنذر ابن امرئ القيس ، وفيها يقول :

عَلِقَ الأَحشاءَ من هندٍ عَلَقْ ... مُسْتَسِرٌّ فيه نَصْبٌ وَأَرَقْ(٥)

فى أشعارٍ كثيرة ، وكان سببُ عِشقِه إيّاها ، أنّ هندا كانتْ من أَجمَل نساء أهلِها وزمانِها ، وأُمُّها ماريَةُ الكِنديّة ، فخرجتْ فى خَميس الفِصْحِ تتقرّب فى البِيعة ، ولها حينئذ إحدى عشرةَ سنةً ؛ وذلك فى مُلْك المُنذِر وقد قَدِم عديٌّ حينئذ بهديّةٍ من كسرَى إلى المنذر ، والنعمانُ يومئذ فتًى شابّ ، فأنكر دخولَها البِيعة ، وقد دَخَلها عديّ ليتقرّب .

(١) الأخية : عود يعرض فى الحائط ويدفن طرفاه فيه ، ويصير وسطه كالعروة تشد إليه الدابة .
(٢) الأرن : النشيط .
(٣) خانقين : بلد بسواد بغداد كان النعمان خنق به عدى بن زيد حتى قتله .
(٤) فى الأغانى : « ألقاه » .
(٥) العلق ، بالتحريك : العشق والهوى . والنصب : البلاء .

وكانت مديدةَ القامة ، عَبْلَة[1] الجسم ، فرآها عَدِيّ وهي غافلة ، فلم تَنْتَبِه له حتّى تأمَّلها ، وقد كانت جواريها رأيْنَ عَدِيّا وهو مُقْبِل ، فلَمْ يقلن لها ذلك ، لكيْ يراها عديّ ؛ وإنّما فعلن هذا من أجل أَمَةٍ لهند ، يقال لها : مارِيَة . وقد كانت أحبّتْ عَدِيّا ، فلَم تَدْرِ كيف تتأتّى[2] له . فلمّا رأت هندُ عَدِيًّا يَنظر إليها ، شَقّ ذلك عليها ، وسبَّتْ جَوارِيَها ، ونالَتْ بعضَهُنّ بضَرْب ، ووقَعَتْ هِنْدُ في نفسِ عَدِيّ .

فلَبِث بذلك حَوْلًا لا يُخبِر أحدا ، فلمّا كان بعد حَوْلٍ ، وظَنّتْ مارِيةُ أنّ هنداً قد أضرَبَتْ عمّا جَرَى ، وصَفَتْ لها بِيعةَ دُومةَ ، وقِيل : بِيعةَ تُوما[3] وهو الصحيح ، ووَصفتْ لها مَن فيها مِنَ الرّواهب ، ومَن يأتيها من جواري الحِيرة ، وحُسنَ بِنائها وسُرُجِها ، وقالت لها : سَلِي أُمَّكِ الإِذْنَ لكِ في إتيانها ، فسألتْها ذلك ، فأَذِنَتْ لها ، وبادرتْ ماريةُ إلى عَدِيّ فأخبَرَتْه ، فبادَر إلى لُبْسِ حُلَّةٍ مُذْهَبةٍ لم يُرَ مِثْلُها حُسْنا .

وكان عَدِيٌّ حسنَ الشَّعْرِ ، مَدِيدَ القامة ، حلوَ العَيْنَيْن ، حَسَنَ المبتَسم ، نقِيَّ الثَّغْر . وأخذ معه جماعةً من فِتيان الحِيرة ، فدخل البِيعةَ ، فلمّا رأته ماريةُ ، قالت لهند : اُنظُري إلى هـذا الفتى ، فهو أحسَنُ والله من كلّ ما ترَيْن ، قالت : ومَن هو ؟ قالت : عَدِيّ بنُ زَيْد ، قالت : أتخافين أن يعرفني إنْ دَنَوْتُ منه لأَراه مِن قُرْب ؟ قالت : ومِن أين يَعْرِفك ، وما رآكِ قَطُّ ! فدَنَتْ منـه وهو يُمازِح الفِتْيانَ الّذين معه ، وقد بَرَع عليهم بجَماله ، وحُسْنِ كلامه وفصاحته ، وما عليه من الثّياب ، فذَهِلَتْ لمّا رأتْه ، وبُهِتَتْ[4] تَنظُر إليه ، وعَرفَتْ ماريةُ ما بها ،

---

(١) عبلة الجسم : ضخمته .

(٢) الأغاني : « تأتى له » .

(٣) ذكر ياقوت في معجم البلدان « دير توما » ؛ ولم يحدد موقعه .

(٤) بهتت : انبهرت .

وتبيّنَتْه فى وجهِها ، فقالت لها : كلّميه ، فـكلَّمَتْهُ وأنصرفَتْ ، وقد تتبّعَتْه نفسُها وهَـوِيَتْه .

وأنصرَف عَدِىٌّ بمثل حالِها ، فلمّا كان الغَدُ تعرّضتْ له مارية ، فلمّا رآها هَشّ لها ، وكان قبل ذلك لا يكلِّمها ، وقال لها : ما غَدَا بكِ ؟ قالت : حاجةٌ إليك . قال : أذكُرِيها ، فوالله لا تَسْأَلين شيئاً إلّا أعطيتُكِ إيّاه ، فعرّفَتْه أنّها تَهْواه ، وأنّ حاجتَها الخَلْوَةُ به ؛ على أن تَحتالَ فى هِنـد ، وعاهَدَتْه على ذلك ، فأدخَلَها حانوتَ خَمّارٍ بالحِيرة ، ووقع عليها ، ثم خرجَتْ وأتَتْ هِنْدا ، فقالت : أما تَشْتَهِين أن تَرَىْ عَدِيًّا ؟ قالت : وكيفَ لى به ؟ قالت : أَعِدُه مكانَ كذا وكذا فى ظاهرِ القَصْر ، وتُشْرِفين عليه ، قالت : أفعَلِى . فواعَدَتْه ، فأتاه وأشرفَتْ هندٌ عليه ، فـكادت أن تموتَ ، وقالت : إنْ لم تُدْخِلِيه علىَّ هَلَـكْتُ .

فبادرَتْ الأَمَةُ إلى النُّعمان فأخبرتْه خبرَها ، وصَدَقَتْه ، وذَكَرَتْ أنّهـا قد شُغِفَتْ به ، وأنّ سبَبَ ذلك رؤيتُها له فى يوم الفِصْح ، وأنّه إن لم يزوّجْها به افتضحَتْ فى أَمْرِه .

فقال لها : وكيف أبدَؤُه بذلك ؟ فقالت : هو أَرْغَبُ فى ذلك من أن تبدأه أنتَ ، وأنا أحتالُ فى ذلك من حيث لا يَعلَمُ أنّك عرفتَ أَمْرَه .

فأتتْ عَدِيًا فأخبرتْه الخبَر ، وقالت : اُدعُه ، فإذا أَخَذ الشّرابُ فيـه[1] فاخطُبْ إليه ؛ فإنّه غيرُ رادِّك .

قال : أَخشَى أن يُغضِبه ذلك ، فيكونَ سببَ العداوة بيننا . قالت : ما قلتُ لك هذا حتّى فرغتُ منه ، فصَنَع عدىٌّ طَعاما ، واحتَفَل فيه ، ثم أتى النعمانَ بعدَ الفِصْحِ بثلاثة أيّام ، وذلك فى يوم الاثنيْن ، فسأَلَه أن يتغدّى هو وأصحابُه عندَه ، ففعَل ،

---

(١) الأغانى : « منه » .

فلمّا أَخَذ فيهم الشّراب، خطبَها إلى النُّعمان، فأجابه وزوّجه، فضمَّها إليه بعد ثلاث[1]، فمكثت[2] عندَه حتَّى قتلَه النُّعْمان .

فترَهَّبَت وحبَسَت نفسَها فى الدَّيْر المعروف بدَيْر هِنْــد فى ظاهر الحيرة ، وقيل : بل ترهَّبَتْ بعدَ ثلاثِ سنينَ ، ومنعتْ نفسَها ، واُحتبستْ فى الدَّيْر حتّى ماتت فيه ، وكانت وفاتُها بعــد الإسلام بزمان طويل ، فى ولاية المُغيرةِ بنِ شُعْبَة الكوفيّ ، وخطَبَها المغيرةُ بنُ شُعْبَة فردّته ؛ وذلك أنّه اُستأذن عليها فأَذِنَتْ له ، وبسَطَتْ له مِسْحا[3] ، فجلس ثم قالت له : ما جاء بك ؟ قال : جئتُكِ خاطبا . قالت : والصَّليبِ لو علمتُ أنَّ فيَّ خَصْلَةً من جمالٍ أو شَبابٍ رَغَّبَتْك فيَّ لأجَبْتُك؛ ولكنّك أردتَ أن تقولَ فى المواسم: مَلكتُ مملكةَ النُّعمانِ بن المنذر، ونكحتُ ابنتَه ، فبحقِّ معبودِك هــذا أردتَ ؟ قال : إى واللهِ . قالت : فلا سبيل إليه ، فقام المُغيرةُ ، فانصرَف وقال :

أَدركْتِ ما مَنَّيْتُ نفسِى خالياً ... لِلّهِ دَرُّكِ يا ابنــةَ النُّعمانِ !
ولقد رَدَدْتِ على المُغيرة ذِهْنَهُ ... إنّ الملوكَ نَقيَّــةُ الأَذْهانِ
ياهِنْدُ حَسْبُكِ قد صَدَقْتِ فأَمْسِكِى ... والصــدقُ خيرُ مَقالةِ الإنسانِ

ورَوَى علىُّ بنُ الصَّبّاح أنّ هنــداً كانت تَهْوَى الزَّرْقاء ، زَرْقاء اليمامة ، وأنّها أوّل امرأةٍ أحبّت امرأةً من العرَب ، وأنّ الزَّرْقاء كانت ترَى الخيــلَ من مسيرةِ ثلاثين مِيلا ، فغزَا قومٌ مِن العرَب اليمامةَ ، فلمّا قرُبوا من مسافةِ نَظَرِها ،

(١) الأغانى : « بعد ثلاثة أيام » .
(٢) الأغانى : « فكانت عنده » .
(٣) المسح : كساء من شعر .

قالوا : كيف لكم بالوصول مع الزَّرْقاء ؟ فأجمعوا رأيهم على أن يَقْتَلِعوا شجراً تَسْتُر كلٌّ شجرةٍ منها الفارسَ إذا حَمَلَها ، فقَطَع كلٌّ واحدٍ منهم بمقدار طاقته وساروا ، فأَشْرَفَتْ كما كانت تفعل ، فقال لها قومُها : ما ترَيْن يا زَرْقاء ؟ وذلك فى آخِرِ النهار ، قالت : أَرَى شجراً يَسِير . فقالوا لها : كَذَبتِ ، أو كَذَبتْ عَيْنُكِ ، وأُستهانوا بقولها ، فلمّا أصبحوا صَبحهم[1] القوم ، فا كتَسَحُوا[2] أموالهم ، وقتلوا منهم مقتلةً عظيمة ، وأخذوا الزَّرْقاء ، فقلعوا عينها فوجَدُوا فيها عُروقاً سَوْداء ، فسئلت عنها ، فقالت : إنّى كنتُ أُدِيم الا كتحال بالإثْمِد ، فلعلّ هذا منه ، وماتت بعد ذلك بأيّام ، وبلغ هنداً خبرُها ، فترَهّبَت ، ولَبِسَت المُسوح ، وبنَتْ دَيْرًا يُعْرَف بدَيْر هند إلى الآن وأقامت فيه حتّى ماتت .

وقال ابن الأعرابىّ : إن النُّعمانَ بنَ المُنذر الأكبر ، خرج [يتنزّه][3] بظَهْر الحِيرة ، ومعه عدىُّ بنُ زَيْد العِبادىّ ، فمَرَّ على المَقَابِر من ظَهر الحِيرة ونَهرِها . فقال له عدىّ بنُ زَيْد : أبيتَ اللَّعْن ! أتدرى ما تقول هذه المَقابِر ؟ قال : لا ، قال : تقول :

كُنّا كَمَا كُنتُمُ حِيناً فغيَّرَنا ... دَهْرٌ فسوفَ كما صِرْنا تَصِيرُونَا

قال : فانصَرَف وقد دخلَتْه رِقّة ، فمكثَ بعد ذلك يسيرا ، ثم خرج خَرْجَةً أُخرى فمرّ على المَقابر ، ومعه عَدِىّ ، فقال له : أبيتَ اللَّعْن ! أتدرى ما تقول هذه المقابر ؟ قال : لا ، قال : إنها تقول :

مَن رآنى فليُحَدِّثْ نفسَه ... أنّه مُوفٍ على قَرْنِ زَوالِ[4]

---

(١) صبح القوم : أتاهم صباحا .

(٢) اكتسحوا أموالهم : أخذوها عن آخرها .

(٣) من الأغانى .

(٤) الأغانى : « من رآنا » .

وصُروفُ الدّهرِ لا يَبْـقَى لها ... ولِما تَأْتِى به صُمُّ الجبـالِ
رُبَّ رَكْبٍ قد أناخُوا حَوْلَنا ... يَشربون الخمرَ بالمـاءِ الزُّلالِ[1]
وأباريقُ عليهـــا فُدُمٌ ... وجِيادُ الخَيْل تَرْدِى فى الجِلالِ[2]
عَمَرُوا دَهْرًا بعَيْشٍ حَسَنٍ ... آمِنِى دَهْرِهم غـيرَ عِجـالِ
ثمّ أَضحَوْا عَصَفَ الدَّهْرُ بهم ... وكذاكَ الدّهرُ حالًا بعدَ حالِ[3]

فرجع النعمانُ مِن وَجهِه ، وقال لعَدِىّ : أْتِنِى اللّيلةَ إذا هـدأَتِ الرِّجْل لتعرِفَ[4] حالى ، فأتاه فوجَدَه قد لبس المُسوحَ وتنصَّر وتَرَهَّب ، وخرج سائحا على وجهه ، فلا يُدرَى ما كانت حالُه ، فتنصّر ولدُه بعدَه ، وبنَوُا البِيعَ والصَّوامِع ، وبنتْ هندُ بنتُ النُّعْمان بنِ المنذرِ بنِ النعمان الدَّيْرَ الّذى بِظَهر الـكُوفة ، ويقال له : دَيْرُ هِنْد .

فلمّا حَبَس كسرَى النّعمانَ الأصغرَ أباها ، وماتَ فى حَبْسه ، ترهّبتْ هند ، ولَبِست المُسوحَ ، وأقامتْ فيه مترهِّبةً حتّى ماتت ودُفِنَتْ فيه .

قال أبو الفرَج : وعدىّ بنُ زيد إنّما هو صاحبُ النُّعمان الّذى صَحِبَه عَدِىّ .

رَوَى خالدُ بنُ صَفْوان بن الأَهْتم ، قال : أَوْفَدَنى يوسفُ بنُ عمرَ إلى هشام ابنِ عبدِ الملك فى وَفْد أهلِ العِراق ، قال : فقدِمْت عليه وقد خرج بقَرابته وحَشَمِه

---

(١) فى الأغانى : قد أناخوا عندنا .

(٢) فدم : جمع فدام ، بفتح الفاء وكسرها ؛ وهو ما يوضع فى فم الإبريق لتصفية مافيه من شراب . وتردى : تعدو وترجم الأرض بحوافرها .

(٣) فى الأغانى :

ثم أضحوا عصفَ الدّهْرُ بهمْ ... وكذاك الدهر يودى بالرجالِ
وكذاك الدّهْـر يرمى بالفتى ... فى طلابِ العيش حالا بعد حالِ

(٤) فى الأغانى : « لتعلم » .

وحاشيته وجُلسائه ، فنزل فى أرضٍ قاعٍ صَحْصَحٍ[١] مُنِيفٍ أفْيَح[٢] فى عامٍ قد بكَّر وَسْمِيُّه[٣] ، وتتابع وَلِيُّه[٣] ، وأخذتِ الأرضُ زُخْرُفَها من نَوْرِ ربيعٍ مُونِق ، فهو فى أحسنِ منظَر ، وأحسنِ مَخْبَر ، وأحسنِ مُستَمْطَر ؛ بصعيدٍ كأن ترابَه قِطَعُ الكافور .

قال : وقد ضُرِب له سُرادِقٌ من حِبَرةٍ كان يوسفُ بنُ عمرَ قد اصطنعه له باليمَن ، فيه فُسْطاطٌ فيه أربعةُ أفْرِشةٍ من خزٍّ أحمرَ مِثلُها مَرافِقُها ، وعليه دُرّاعةٌ من خزٍّ أحمرَ مثلُها عِمامتُها ، وقد أخذَ الناسُ مجالسَهم .

قال : فأخرجتُ رأسى من ناحية السِّماط[٤] ، فنظر إلىَّ شِبْهَ المُستنطِق لى ، فقلت : أتمّ الله تعالى عليكَ أميرَ المؤمنين نِعَمَه ، وجعَل ما قلّدكَ من هذا الأمر رُشْدا ، وعاقبةَ ما يؤول إليه حَمْدا ، وأخلَصَه لك بالتُّقى وأكثرَه لك بالنَّماء ، ولا كدَّر عليك منه ما صَفا ، ولا خالَطَ سرورَه بالرَّدى ، فلقد أصبحتَ للمؤمنين ثقةً وملجأً ، إليكَ يَقصِدون فى مظالمهم ، ويَفزَعُون فى أمورِهم ، وما أجد شيئاً يا أميرَ المؤمنين هو أبلغُ فى قضاء حقِّك ، وتوقيرِ مجلسك ، وما مَنَّ اللهُ عزّ وجلّ به من مُجالَستك من أن أذكِّركَ نِعَمَ اللهِ عليك ، وأنبِّهَك لشُكْرِها ، وما أجد فى ذلك شيئا هو أبلغُ مِن حديثِ مَن سَلَف قبلَك من الملوك ، فإن أذِنَ أميرُ المؤمنين أخبرتُه به .

قال : فاستوَى جالساً ـ وكان متّكئاً ـ ثم قال : هاتِ ، يا بنَ الأهتم . قال : قلت : يا أميرَ المؤمنين ، إنّ مَلِكا من الملوك قبلَك خرج فى عامٍ مثلِ عامِك هذا

(١) الصحصح : الأرض الجرداء المستوية ؛ ذات حصى صغار .

(٢) الأفيح : الواسع .

(٣) الوسمىّ : مطر الربيع الأول ، والولىّ : مطر الربيع الذى يلى الوسمى .

(٤) السماط : جمع سمط ؛ وهو الصف من الناس وغيرهم .

إلى الخَوَرْنَق والسَّدِير فى عامٍ قد بَكَّر وَسْمِيُّه ، وتتابَعَ ولِيُّه ، وقد أُعطِىَ فَتَاءَ السِّنِّ مع الكثرة والغلَبة والقهْر ، فنظَر فأبْعَد النَّظَر ، ثم قال لجلسائه : هل رأيتم مِثلَ ما أنا فيه ، أم هل أُعطِىَ أحدٌ مِثْلَ ما أُعطِيتُ ؟ قال : وعندَه رجلٌ من بقايا حَمَلة الحجّة ـ ولَم تَخْل الأرضُ من قائمٍ لله عزّ وجلّ بحجّته فى عبادِه :

فقال : أيّها المَلِك ، إنّك قد سألتَ عن أَمْر ، أفتأذَنُ فى الجواب عنه ؟ قال : نَعَم . قال : أرأيتَ هذا الّذى أنتَ فيه ؛ أشىءٌ لم تزَل فيه ، أم شىءٌ صار إليك مِيراثا ، وهو زائلٌ عنك ، وصائرٌ إلى غيرك كما صار إليك ؟

قال : كذلك هو . قال : فلا أراك إلّا عجبتَ بشىءٍ يسيرٍ تكون فيه قليلا ، ويَغيبُ عنكَ[1] طويلا ، وتكون غداً بحِسابه مرتَهَنا !

قال : وَيْحَك ! وأين المَهرَب ؟ وأين المَطْلَب ؟ قال : إما أن تقيم فى مُلْكك فتعمَل بطاعةِ ربِّك على ما ساءَك وأَمَضَّك ، وإمّا أن تَضَع تاجَك وأَطمارَك ، وتَلبَس أَمساحَك ، وتعبُدَ ربَّك حتى يأتيَك أجلُكَ . قال : فإذا كان السَّحَر فاقرَعْ علىَّ بابى ، فإنّى مختارٌ أَحَدَ الرَّأْيَين ، فإن اخترتُ ما أنا فيه كنتَ وزيراً لا يُعصَى ، وإن اخترتُ فَلَواتِ الأَرضِ ، وقَفْرَ البلاد كنتَ رفيقا لا يخالَف ، فقرَع عليه البابَ عند السَّحَر ، فإذا هو قد وَضَع تاجَه وأطمارَه ، ولبس أمْساحَه ، وتهيّأ للسِّياحة ، فلزِما الجبَل حتّى أتاهما أجَلُهما ، وهو حيثُ يقول عدىّ بن زَيْد أخو بنى تَميم :

أيّها الشامِتُ المُعَيِّرُ بالدهْـ ـرِ أأنتَ المُبرَّأُ المَوْفُورُ !
أم لَديْكَ العَهْد الوَثيق من الأيّـ ـامِ أم أنتَ جاهلٌ مغرورُ
من رأيتَ المَنونَ خَلَّدْنَ أمْ مَنْ ذا عليه من أن يُضامَ خَفيرُ !

---

(١) الأغانى : « وتغيب عنه طويلا » .

أين كسرى كسرى الملوكِ أنوشر — وانُ أم أينَ قبلَه سابُورُ !
وأخُــو الحضْر إذ بَناه وإذ دِجْـ — ـلةُ تُجْبَى إليه والخابورُ
شادَهُ مَرْمَراً وجَلَّله كِلْـ — ـساً فللطَّيْرِ فى ذُراه وُكورُ[1]
لم يَهَبْهُ رَيْبُ الزّمان فبادَ الْـ — ـمُلْكُ عنه فبابُـه مهجورُ[2]
وتذكَّرْ رَبَّ الخَوَرْنَق إذ أَشْـ — ـرَفَ يوماً وللهُدَى تفكير
سَرَّهُ مالُهُ وكثرةُ ما يَمْـ — ـلِكُ والبحرُ مُعرِضاً والسَّدِيرُ[3]
فارْعَوَى قلبُـه فقـال : وما غِبْـ — ـطةُ حَىٍّ إلى المماتِ يَصيرُ !
ثم بَعدَ الفَلاحِ والمُلْك والإمّـ — ـةِ وارَتْهُمُ هنـاكَ القُبورُ[4]
ثم صارُوا كأنهم وَرَقٌ جَـ — ـفَّ فألْوَتْ بـه الصَّبا والدَّبُورُ

فبكى هشامٌ حتّى أخضلت لحيتَهُ ، وبُلّت عِمامته ، وأمَر بنَزْع أبْنِيَتِه ، وبنَقْل قرابته وأهلِه وحَشَمِه ، وغاشيَتِه من جُلَسائه ، ولزِم قصرَه ، فأقبلَت المَوالى والخَدَم على خالد بن صَفْوانَ ، فقالوا : ما أردتَ يا أميرَ المؤمنين ! أفسدْتَ عليه لذّتَه ، ونَغَّصْتَ عليه فائدَته .

فقال : إليكم عنّى ، فإنّى عاهدتُ الله عزّ وجلّ عهداً ؛ لا أَخْلو بملِكٍ إلا ذكَّرْتُه اللهَ عزّ وجلّ .

وسنذكر خَبَر الحَضْر وصاحبِه، والخَوَرْنَق وصاحبِه ، ها هنا .

الحَضْر : حِصْن بِجِبال تَكْرِيتَ ، بين دِجْلَةَ والفُرات ، وصاحبه الّذى عَناه عَدِىّ بنُ زيد هو الضَّيْزَن بنُ معاويةَ بن العَبيد بن الأجرام بن عمرو بن النَّخَع

---

(١) الكلس : الصاروج ، وهو النورة .
(٢) الأغانى : « ريب المنون » .
(٣) معرصا : متسعاً .
(٤) الإمة : النعمة .

ابن سَليح بن حُلْوان بن عِمْران بن ألحاف بنِ قُضاعة . وأمّــه جَبْهَلَةُ امرأةٌ من بني تَزيدَ بنِ حُلْوان أخي سَليح بنِ حُلوان ، وكان لا يُعرَف إلّا بأمّه هذه ، وكان مَلِكَ تلك الناحية ، وسائرِ أرضِ الجزيرة . وكان معه من بني الأجرام من بني العَبيد ابن الأجرام وسائر قبائل قُضاعَة ما لا يُحصَى . وكان مُلْكُه بلغ الشام ، فأغارَ الضَّيْزَنُ ، فأصابَ أُخْتاً لسابورَ ذي الأكْتاف ، وفتَح مدينةَ شَهْرَزُور[1] ، وقتَلَ فيهم ، فقال في ذلك عَمرو بنُ السَّليح بن جُدَىّ بن الدّها بن غَنْم بن حُلوانَ بنِ عمرانَ ابن ألحاف بن قُضاعَة :

لَقيناهمْ بجَمْعٍ من عِلافٍ وبالخيلِ الصَّلادِمةِ الذُّكُورِ[2]
فلاقتْ فارسٌ منّا نَكالًا وقَتَّلْنا هَرابِذَ شَهْرَزُورِ[3]
دَلَفْنا للأعاجِمِ من بعيــدٍ بجَمْعٍ مِن جَزيرَة كالسَّعيرِ[4]

ثم إنّ سابُور ذا الأكتاف جَمَع لهم ، وسارَ إليهم ، فأقامَ على الحَضْر أربعَ سنين لا يَسْتَغِلّ منهم شيئا . ثم إن النَّضيرَة بنتَ الضَّيْزَن عَرَكَتْ — أى حاضَتْ — فأُخْرِجَت إلى الرَّبَض[5] ، وكانت من أجمل أهلِ دَهْرِها ، وكانوا يفعلون بنسائهم كذلك إذا حِضْنَ .

وكان سابورُ مِن أجمَل أهلِ زمانه ، فرآها ورأتْه ، وعشِقَها وعشِقَتْه ، فأرسلَتْ إليه : ما تجعَلُ لى إنْ دَلَلْتُك على ما تَهْدِم به هـذه المدينة وتقتُل أبى ؟ قال : أحكِّمُكِ ، وأرفَعُكِ على نسائى ، وأخُصُّكِ بنفسى دونَهنّ .

---

(١) شهرزور : كورة واسعة بين إربل وهمذان .
(٢) الصلادمة : القوية الشديدة .
(٣) الهرابذ : خدم نار المجوس ، واحده هربذ .
(٤) دلفنا : قربنا .
(٥) الربض : ما حول المدينة من خارج.

قالت : عليكَ بحمامةٍ مطوَّقة وَرْقاء ، فاُكتُبْ فى رِجْلها بحَيْض جاريةٍ تكون زَرْقاءَ ، وأَرْسِلْها فإنها تقع على حائط المدينة ، فتتَداعى المدينة ، وكان ذلك طِلَّسْمَها[1] لا يَهْدِمها إلّا هو . ففعل ، وتأهّب لهم ، وقالت له : أنا أسقى الحَرَسَ الخَمْرَ ، فإذا صُرِعوا فاُقتُلْهم وادخُل المدينة . ففعل ، فتَدَاعتْ المدينة ، وفتَحَها سابورُ عَنْوَةً ، وقتَل الضَّيْزَنَ يومئذ ، وأبادَ بَنى العَبِيد ، وأفنَى قُضاعَةَ الّذين كانوا مع الضَّيْزَن ، فلم يَبْقَ منهم باقٍ يُعْرَف إلى اليوم ، وأُصِيبتْ قبائلُ حُلوانَ وانقرَضوا ودَرَجوا .

فقال فى ذلك عمرو بن آلة[2] ، وكان مع الضَّيْزَن :

أَلَم يَحْزُنْكَ والأَنْبَاءُ تَنْمِى ... بِما لاقَتْ سَراةُ بنى العَبِيدِ[3]
ومَصْرَعُ ضَيْزَنٍ وبنى أَبِيه ... وأَحْلاسِ الكَتائِب مِن تَزِيدِ[4]
أَتاهمْ بالفُيُولِ مُجلَّلاتٍ ... وبالأبطالِ سابُورُ الجُنودِ
فهَدَّمَ منْ أَواسِي الحضْرِ صَخْراً ... كأَنَّ ثِقالَه زُبَرُ الحَدِيدِ[5]

فأَخْرَبَ سابورُ المدينةَ ، واحتَمَل النَّضِيرَةَ بنتَ الضَّيْزَن ، فأَعْرَسَ بها بعَيْن التَّمْر[6] ، فلم تزل ليلَتها متضجِّرة من خُشُونةِ فُرُشِها ، وهى من حرير محشُوَّة بالقزّ ، فالتُمِس ما كان يُؤْذيها ، فإذا هو ورقةُ آسٍ ملتصقةٌ بعُكْنَةٍ من عُكَنها قد أثَّرَتْ فيها ، وكان يُنظَر إلى مُخِّها من لِينِ بَشَرَتِها .

---

(١) الطلسم : السر المكتوم .

(٢) فى تاريخ الطبرى ١ : ٨٢٨ (طبع أوربا) : « عمرو بن إلة » .

(٣) تنمى : تشيع . والباء فى قوله: « بما لاقت » زائدة وما لاقت : فاعل لقوله : « يحزنك »

(٤) أحلاس الكتائب : الشجعان الملازمون لها .

(٥) الأواسى : جمع آسية ؛ وهى ما أسس من بنيان فأحكم أصله من سارية وغيرها .

(٦) عين التمر : بلدة قريبة من الأنبار غربى الكوفة .

فقال لها سابور : وَيْحَك ! بأىّ شىء كان أبوكِ يَغْذُوكِ ؟ قالت : بالزُّبْد والمُخّ وشُهْدِ الأَبْكار من النَّحْل ، وصَفْوَة الخَمْر . قال : وأبيكِ لأَنا أحدثُ عَهْدًا بمَعْرِفتك ، وآثَرُ لَكِ من أبيكِ الذى غَذّاكِ بما تَذْكُرِين . ثم أمر رَجُلا فركِب فرساً جَمُوحا ، وضَفَر غدائِرَها بذَنَبه ، ثم استَرْكَضها فقطَّعها قِطَعا ، فذلك قولُ الشاعر :

أَقفَرَ الحَضْرُ من نَضِيرةَ فالمِرْ　　باعُ منها فجانِبُ الثَّرثارِ(١)

وكان الضَّيْزَنُ صاحبُ القَصْر يُلَقَّب : السَّاطِرُون .

وأمّا صاحبُ الخَوَرْنَق فهو النُّعمان بن الشَّقِيقة ـ والشَّقيقةُ أُمُّه ـ أو هو الّذى ساحَ على وجهه فلَم يُعلَم له خَبَر ، والشَّقِيقةُ أُمُّه بنتُ أبى ربيعةَ بن ذُهْل بنِ شيبان ، وهو النُّعمان بنُ أمرئِ القيس بن عَمْرو بن أمرئِ القيس بن عَمْرو بن عَدِىّ بن نَصْر ابن ربيعةَ بن الضَّخْم اللَّخْمِىّ ، وهو صاحب الخَوَرْنَق .

وكان سببُ بنائه أنّ يَزْدَجِرْدَ بنَ سابور كان لا يَبقَى له وَلَد ، فسأل عن منزلٍ صحيحٍ من الأَدْواء والأَسقام ، فدُلَّ على ظَهر الحِيرة فدفع أبنَه بَهرامَ إلى النُّعمان ابن الشَّقِيقة ـ وكان عامِلَه على أرض العرَب ـ وأمرَه أن يبنيَ الخَوَرْنَق مَسكَنا له ولأبنه ، ويُنزِلَه إيّاه معه ، وأَمرَه بإخراجه إلى بَوَادِى العرَب .

وكان الّذى بَنَى الخَوَرْنَق رجلٌ يقال له : سِنِمّار ، فلمّا فرغ من بنائه عَجِبوا مِن حُسنه وإتقان عَمَله ، فقال : لو علمتُ أنّكم تُوفُونى أُجْرَتى وتَصْنعون بى ما أستحقُّه لبَنَيْتُه بناءً يدورُ مع الشَّمس حيثُما دارت .

فقالوا : وإنّك لَتبْنى ما هو أفضلُ منه ولَم تَبْنِه ! فأَمَر به فطُرِح من رأس الخَوَرْنق(٢) .

---

(١) الثرثار : واد بين سنجار وتكريت .

(٢) كذا فى ب ، ج ، وفى الأغانى : « الجوسق » ، والجوسق : القصر .

وقيل : إنه قال : إنى لأعرف فى هذا القصر موضعَ عَيْب إذا هُدِم تداعَى القصرُ أَجمع ، فقال له : أما واللهِ لا تَدُلّ عليه أحـدا ، ثم رُمِيَ به من أعلى القَصْر . فقالت الشُّعراء تذكُر ذلك فى أشعارهم ، منها قولُ أبى الطَّمَحان القَيْنِيّ :

جَزاءَ سِنِمّارٍ جَزَاها ورَبِّها ... وباللّاتِ والعُزّى جزاءَ المـكَفِّرِ[1]

وكان عبدُ العُزَّى بنُ أمرئ القيس الـكَلْبيّ قد أهدَى إلى الحارث بنِ مارية الغَسّانى أَفْراسا ووَفَد إليه ، فأَعجَبَه واُختصّه .

وكان للمَلِك اُبنٌ مسترضَعٌ فى عبـدِ[2] وُدٍّ من كَلْب ، فنهشَتْه حَيّةٌ ، فظنّ المَلِكُ أنّهم قد اُغتالوه ، فقال لعبدالعُزَّى: جئنى بهؤلاء القوم . فقال: هم قومٌ أحرارٌ، ليس لى عليهم فضلٌ فى نَسَب ولا فِعْل . فقال : لتَأْتِيَنِّى بهم أو لأَفعلَنّ وأفعلَنّ . فقال له : رَجَوْنا من حِبائك[3] أَمْراً حالَ دونَه عِقابُك ، ودعا اُبنَيْه شَراحِيلَ وعبدَ الحارث ، وكَتَب معهما إلى قومه بهذين البَيْتَيْن :

جَزانا جَزاهُ اللهُ شَرَّ جزائِهِ ... جَزاءَ سِنِمّارٍ وما كان ذا ذَنْبِ

سِوَى وَضْعِه البُنْيانَ عِشرينَ حِجَّةً ... يُعَلِّى عليها بالقَرامِيدِ والسَّكْبِ[4]

ولمّا نُعِيَ النُّعمانُ بنُ المُنْذِر إلى النابغةِ الذُّبْيانىّ ، وحُدِّثَ بما فعَله كِسْرَى معه ، قال : طَلَبه من الدَّهْرِ طالِبُ المُلوك ، ثم تمثّل :

مَن يَطْلُبِ الدّهرُ تُدْرِكْه مَخالِبُهُ ... والدَّهْرُ بالوَتْرِ ناجٍ غيرُ مَطلوبِ[5]

---

(١) المـكفر : المحسن المجحود إحسانه .

(٢) الأغانى : « فى بنى عبد ود » .

(٣) الحباء : العطاء .

(٤) القراميد : مفرده قرمد ؛ وهو الآجر . والسكب : النحاس أو الرصاص . وفى الحيوان ١ : ٢٣ : « سبعين حجة » .

(٥) الوتر : الذحل والثأر .

مامِن أُناسٍ ذَوِى مَجْدٍ ومَكْرُمَةٍ إلّا يَشُدُّ عليهمْ شَدَّةَ الذِّيبِ
حتّى يُبيدَ على عَمْدٍ سَراتَهُمُ بالنّافذاتِ من النَّبْلِ المَصاييبِ
إنّى وَجَدتُ سِهامَ الموتِ مُعْرِضَةً(١) بكلِّ حَتْفٍ من الآجالِ مكتوبِ

قال يونس النحوىّ : مات رجلٌ من جُنْد الشّام ، عظيمُ القَدْر فيهم ، له عِزٌّ ، فحضر الحَجّاجُ جَنازَتَه ، وصَلَّى عليه ، وجلسَ على قبره ، وقال : لِيَنْزِل عليه بعضُ إخوانه ، فنزل عليه نفَرٌ ، فقال أحدُهم : رَحِمَكَ اللهُ أبا فلان(٢) ! إنّك كنتَ لَتُجيد الغِناء ، وتُسرِع رَدَّ الكأس، ولقد وقعتَ فى موضعِ سُوءٍ لا تَخرُجُ واللهِ منه إلى يوم القيامة والدَّكّة .

فما تَمالَكَ الحَجّاجُ أن ضَحِك ـ وكان لا يُكثِر الضَّحكَ فى جِدٍّ ولا هَزْل ـ وقال له : أهذا موضعُ هذا ! لا أُمَّ لَكَ ! فقال : أصلحَ اللهُ الأمير ، فرسُه حَبيسٌ فى سبيل الله ؛ لو سمِعَه الأميرُ يتغنّى فى شعر عَدِىّ :

يا لُبَيْنَى أَوْقِدِى النّارا إنَّ مَنْ تَهْوَيْنَ قد حَارَا
رُبَّ نارٍ بِتُّ أَرْقُبُها تَقضِمُ الهِنْدِىَّ والغارَا
عنـدها ظَبْىٌ يؤرِّثُها عاقِدٌ فى الجِيدِ تِقْصارَا

لأثْنَى الأميرُ على سَمْنَة ـ وكان الميّت يلقّب : سَمْنة ـ فقال: إنّا لله! أخرجوه من القبر! ما أبيَنَ حُجّةَ أهلِ العراق فى جَهْلِكم يا أهلَ الشام . وكان سَمْنَةُ هذا الميّتُ من أَوْحَش خَلْقِ الله كلّهم صورةً ، وأذَمِّهم قامةً ، فلم يَبْقَ أحدٌ حَفَر القبرَ حتّى(٣) استفرغ ضحكا .

---

(١) معرضة : تصيب الغرض .
(٢) كذا فى ب ، ج ، وفى الأغانى : « أبا قنان » .
(٣) فى الأغانى : « إلا » .

ذِكر عبدِ الرّحمٰن بن أرطاة*

هو عبدُ الرّحمن بنُ أَرْطاة ـ وقيل: عبدُ الرحمن بن سَيْحانَ بنِ أرطاة ـ بن سَيْحان ابن عَمرو بنِ نُجَيد بنِ سَعْد بنِ لاحِب بنِ ربيعةَ بنِ شُكم بن عبدِ الله بنِ عوف ابن زَيد بن بكر بن عُمَير بنِ عليّ بنِ جَسْر بنِ مُحارِب بن خَصَفة بن قَيْس بن عَيْلانَ ابن مُضَر بن نِزار .

وأمُّ جَسْر بن مُحارِب كَأْس بنت بكرِ بنِ وائل . وشُكم أوّل مُحارِبيٍّ سادَ قومَه ، وأجوَدُهم[1] رَأْياً لنفسه .

وكانوا جِيراناً لهَوازِن ، وآلُ سَيْحانَ حُلَفاء حَرْب بنِ أُمَيَّة بنِ عبدِ شَمْس ابن عبدِ مناف ، و [بمنزلة][2] بعضهم عندهم خاصّة ، وعند سائر بني أميّة عامّة .

وقال عبدُ العزيز بنُ عِمْران : بنو سَيْحانَ من بني جَسْر بنِ مُحارِب ، وبنو عبدِ منافٍ أَدّعَوْا حِلفَهم ، وهم ليسوا بأحلافهم .

وقال أبو غسّان محمّدُ بنُ يحيى : لمّا قتل هشامُ بن الوَليد أبا أُزَيْهِر ؛ بعثتْ قريشٌ أرطاةَ بنَ سَيْحانَ حليفَ حَرْب بن أميّة إلى الشُّراة[3] ، يحذِّر مَن بها من تُجّار قريش . وخرج حاجزٌ الأَزْدِيّ ليُخبِر قومَه ، فسبَقَه أرطاةُ ، وقال في ذلك ـ وقد حذَّرهم فنجَوْا:

* ترجمته في الأغاني ٢ : ٢٤٢ ـ ٢٦٠ (طبع دار الكتب) .

(١) الأغاني : « وأبذهم رأسا بنفسه » .

(٢) من الأغاني .

(٣) الشراة : صقع بالشام بين دمشق والمدينة .

مثـلُ الحليفِ يَشُدُّ عُرْوَتَهُ ... يَثْنى العِناجُ له مع الـكَرَبِ[١]
زَلَمٌ إذا يَسَرُوا بـــه يُسُرٌ ... ومُناضِلٌ يَحمِى عن الحَسَبِ[٢]
هل تَشْـكُرَنْ فِهرٌ وتاجِرُها ... ذاتَ السُّرَى باللّيلِ والخَبَبِ[٣]
حتّى جَلَوْتُ لهمْ يَقينَهُمُ ... بنيان لا لَبْسٍ ولا كَذِبِ[٤]

وكان عبدُ الرحمن شاعرا مُقِلّا إسلاميّا ، ليس من الفُحول المشهورِين ، ولـكنه كان يقول فى الشَّراب والغَزَل والفَخْر. ومَدَح أَخْلَافَه من بنى أميّـةَ كواحدٍ منهم ؛ إلّا أنّ اختصاصَه بآل أبى سُفْيان وآلِ عثمانَ خاصّةً كان أكثر ، وخصُوصُه بالوَليد بنِ عثمان ، ومُؤانَستُه له أَزْيَد من خصوصه بسائرهم ؛ لأنّهما كانا يتنادَمان على الشّراب .

وكان حليفاً لقُريش ، يَنزِل المدينـة ، وأصابه ذاتَ يومٍ خُمَارٌ[٥] ، فذَهب لسانه ، وسكَنتْ أطرافُه ، وصرَخَتْ أهلُه عليه ، فأَقبَل الوليدُ إليه جَزِعا ، فلمّا رآه قال : أخى مخمورٌ ورَبِّ الـكَعْبة ! ثم أمر غلاما له ، فأتاه بشرابٍ من منزِله فى إداوَة ، فأَمَر به فأُسخِن، ثم سَقاه إيّاه و قَيّأَه ، وصَنَـع له حساءً[٦] ، وجَعَل على رأسه دُهْنا ، وجعَلَ رجلَيْهِ فى ماء سُخْن فما لَبِث أن أنطَلَق[٧] وتـكلّم ، وذَهَب ما كان به .

---

(١) العناج ، قال فى اللسان : عناج الدلو عروة فى أسفل الغرب من باطن ، تشد بوثاق إلى أعلى الـكرب؛ فإذا انقطع الحبل أمسك العناج الدلو أن يقع فى البئر » . والـكرب: الحبل الذى يشد على الدلو .

(٢) الزلم : أصل القدح الذى لا ريش فيه . ويسروا : لعبو الميسر .

(٣) السرى : السير بالليل عامة . والخبب : ضرب من السير .

(٤) فى الأغانى : « بنيان لا ألس » ، والألس : الخيانة .

(٥) الخمار : ما يصيب الرجل من ألم الخمر وصداعها .

(٦) الحساء : طبيخ يتخذ من دقيق وماء ودهن ، وقد يحلى ويكون رقيقا يحسى .

(٧) أى مشى بطنه .

ومات الوليدُ بعد ذلك ؛ فبينا ابن سَيْحانَ جالسٌ ، وبعضُ مَتاعِه يُنقل من بيتٍ إلى بيت ؛ إذ مرّ الخادم بإداوة الوليد الّتى داواهُ بمـا كان فيها من الشّراب ، وقد يَبِسَتْ وتَقَبَّضتْ ، فانتحبَ وقال :

لا تَبعَدَنّ إداوةٌ مطروحَـــةٌ ... كانتْ قديماً للشّراب العاتِق(١)

إنْ تُصبحِى لا شىءَ فيكِ فرُبَّما ... أُتْرِعتِ مِن كأسٍ تَلَذُّ لذائِقِ

بأبى الوليـــدُ وأُمِّ نفسى كلّما ... بَدَت النجومُ وذرَّ قَرْنُ الشارقِ

أَثْوَى فأكرَمَ فى الثَّواءِ وقُضِّيَتْ ... حاجاتُنَا من عند أرْوَعَ باسِقِ

كم عندَه من نائلٍ وسَمـاحةٍ ... وشمـائلٍ ميمونةٍ وخـلائقِ(٢)

وكرامَة للمُعْتفِين إذا اعتَفَوْا ... فى مـاله حَقًّا وقَوْلٍ صـادقِ(٣)

لمّا أتَيْنَاه أَتَيْنَا ماجِـدَ الْ ... أَخْلاقِ سَبّاقا لقَرْمٍ سـابِقِ(٤)

قَالَ الوَليدُ يَدِى لـكمْ رَهْنٌ بما ... حاوَلْتُـكُمْ من صامتٍ أو ناطِقِ(٥)

فإلى الوليدِ اليـوم حَنّتْ ناقَتى ... تَهوِى بمُغْبَرِّ المُتُونِ سَمـالِقِ(٦)

حَنَّتْ إلى بَرْقٍ فقلتُ لهـا قِرِى ... بَعْضَ الحَنِينِ فإنّ شَجْوَكِ شائقِى

وقيـل : كان الوليدُ بن عُثمانَ ذا غَلَّةٍ بالحجاز ، فـكان يَخرُجُ إليها فى زمن التَّمْر بنفَرٍ مِن قومه ، يَجنُون له ويُماوِنونَه ، فـكان إذا حضر خُروجهم خرَجَ بهم ، ودَفَع إليهم نَفقاَت لأهلهم إلى رَجْعته .

---

(١) الأغانى : « كانت حديثا » .

(٢) فى الأغانى : « وفضائل معدودة » .

(٣) المعتفون: جمع معتف؛ وهو الضيف وكل طالب فضل أو رزق. وفى الأغانى : « وسماحة » موضع : « وكرامة » .

(٤) القرم : السيد الـكريم .

(٥) الأغانى : « حاولتم » .

(٦) ب ، ج : « فإلى اليوليد إليه » ، وما أثبته من الأغانى .

فخرج بهم مرّةً وفيهم ابن سَيْحانَ ، فقال ابن سَيْحان : زوِّدونى من شَرابِكم هَذا ، فزَوّدُوه إداوة ، فملئوها له ، فكان يَسعَى بها فى طَريقه حتّى قَدِم على أهله ، فألقاها فى جانب بَيْته فارغةً .

فمكث زمانا لا يَذكُرها ، ثم كَنَسُوا البيتَ فرأوْها مُلْقاةً ، فقال الأبيات :

* لا تَبعَدَن إداوَةٌ مُطْروحَةٌ *

وكان عبدُ الرحمن بنُ سَيْحانَ المُحارِبىّ شاعراً حلوَ الأحاديث ، عنده أحاديثُ حَسَنةٌ غريبةٌ من أخبار العَرَب وأيّامها وأشعارِها ؛ وكان على ذلك يُصيبُ من الشّراب ، فكان كلُّ مَن قَدِم مِن وُلاةِ بنى أُميَّة وأحداثِهم يَدعُوه ويُنادِمُه .

فلمّا وَلِىَ الوليدُ بنُ عُتْبة بن أبى سُفْيان ، وعُزِلَ مَروان ، وجَد مروانُ فى نفسِه ــ وكان قد سَبَعَه[1] ــ فحقَد عليه وأضطَغَنه .

وكان الوليدُ يُصيبُ من الشّراب ، ويَبعَث إلى ابن سَيْحانَ فيشرب معه ، وابن سَيْحانَ لا يظنّ أنّ مروان يَفعل به الّذى فَعَله بعد أن مَدَحه ووَصَله ؛ ولكنّ مروانَ أراد فضيحةَ الوَليد ، فرَصَده ليلةً فى المسجد .

وكان ابن سَيْحانَ يَخرُج فى السَّحَر من عند الوليدِ ثَمِلا ، فيمرّ فى المقصورة من المسجد حتى يَخرُج على زُقاقِ عاصم . وكان محمد بنُ عَمرو يَبيتُ فى المسجد يصلّى ، وكان كذلك عبدُ الله بنُ حَنْظلة وغيرهما من القُرّاء ، فلمّا خرج ابنُ سَيْحانَ ثَمِلاً مِنْ دارِ الوَليد ، وأَخَذه مروانُ وأعوانُه ، ثمّ دعا له محمدَ بنَ عمرو ، وعبدَ الله بن حَنْظلة ، وأشهَدَهما على سُكْره ، وسأله أن يَقرأ أمَّ الكتاب ، فلَم يقرأْها ، فدفَعه إلى صاحب شُرْطتِه فحبسه .

---

(١) سبعه : شتمه .

فلمّا أصبحَ الوليدُ بلغَه خبرُه، وشاعَ فى المدينة ، وعَلِم أنّ مروانَ إنّما أراد أن يَفضَحه ، وأنّه لو لقِىَ ابنَ سَيْحانَ ثَمِلا خارجا مِن عند غيرِه لم يَعرِض له .

فقال الوليد : لا يُبرِّئنِى عند أهل المدينة إلّا ضَربُ ابن سَيْحانَ ، فأمَر صاحبَ شُرْطتِه ، فضَرَبه الحدَّ ثمانين سَوْطا، ثم أرسَله ، فجلس ابنسَيْحَان فى بيته لا يَخرُج حياءً من النّاس .

فجاءه عبدُ الرّحمن بنُ الحارث بنِ هشام فى ولده ـ وكان له جَلِيسا ـ فقال له : ما يَحبِسك[1] فى بيتك ؟ قال : الاستحياءُ من النّاس . قال : اُخرجْ أيّها الرّجل ـ وكان عبدُ الرحمن قد حَمل له معه كُسْوَةً ـ فقال له : اِلبَسْها واُخرج[2] معنا إلى المسجد ، فهذا أحْرَى أن يُكَذِّب به مكذِّب ، ثم ترْحَلُ إلى أمير المؤمنين فتُخْبِره بما صنع بك الوليد ؛ فإنّه يَصِلُك ويُبطِل عنك الحدّ .

فراحَ مع عبدِ الرحمن فى جماعةِ ولدِه متوسِّطا لهم حتى دخل المسجدَ ، فصلّى ركعتين ، ثم تَسانَد مع عبدِ الرحمن إلى الأُسْطُوانة ، فقائل يقول : لم يُضرَب . وقائل يقول : أنا رأيتُه يُضرَب . وقائل يقول : عُزِّرَ أسواطا .

فمكث أيّاما ثم رحَل إلى مُعاوية ، فدخل على يزيدَ فشَرِب معه ، وكلّم يزيدُ أباه معاويةَ فى أمره ، فدَعَا به ، فأخبَرَه بقصّته ، وما صَنَع به مروان . فقال : قبّح اللهُ الوليد ! ما أضعَفَ عقلَه ! أما استَحْيَا مِن ضربِك فيما شَرِب ! وأمّا مَرْوان فإنّى ما كنتُ أحسَبه يبلُغ هذا منك مع رأيكَ فيه ، ومودّتك له ؛ ولكنّه أراد أن يضَع الوليدَ عندى ، ولم يُصِب ، وقد صَيَّر نفسَه فى حدٍّ كنّا ننزِّهه عنه ، صار شُرَطِيّا . ثم قال لكاتبه : اكتُبْ : « بسم الله الرحمن الرحيم ، مِن معاوية إلى الوليدِ بنِ عُقْبَة :

---

(١) الأغانى : « ما يجلسك » .

(٢) الأغانى : « ورح » .

أمّا بعد ؛ فالعجب لضَرْبك ابنَ سَيْحَان فيما تشرّب منه ، وإنّك ضربته في نَبيذِ أهلِ الشّام الّذي يَستعملونه وليس بحرام ؛ وإنّما ضربتَه حيث كان حليفاً إلى أبي سُفْيان بن حَرْب ! وأيْم الله ! لو كان حليفاً للحَكَم ما ضربتَه ، فأبطِلْ عنه الحدّ ، أو لأُقِيدَنّه منك قبلَ أن أضرِب مَن أخذ معه ، وهو أخوك عبدُ الرّحمن ابنُ الحكَم ؛ فطُفْ به في حَلَق المَسجد ، وأخبِرهم أنّ صاحبَ شُرْطَتِك تَعدَّى عليه وظَلَمه ، وأنّ أميرَ المؤمنين قد أبطَل ذلك عنه .

أليس ابنَ سَيْحانَ الّذي يقول :

وإنّي امروٌ أُنْمى إلى فَضْلِ الرُّبا[1] ... عَديداً إذا ارفَضَّتْ عصا المتحلِّفِ

إلى نَضَدٍ من عبدِ شَمسٍ كأنّهمْ ... هِضابُ أجَا أركانُها لم تَقَصَّفِ[2]

مَيامينُ يَرْضَوْنَ الكِفايةَ إنْ كُفُوا ... ويَكْفُون ما وُلُّوا بغير تكلُّفِ

غَطارِفةٌ سادُوا البِلادَ فأحسَنوا ... سياستَها حتّى أقرّتْ لمُرْدِفِ[3]

فمَن يكُ منهمْ مُوسِرًا يُفْشِ فضلَه ... ومَن يكُ منهمْ معسرًا يتعفّفِ

وإن تُبْسَطِ النُّعْمَى لهم بَسَطُوا بها ... أكُفًّا سِباطًا نفعُها غيرُ مُقرَفِ[4]

إذا انصرَفوا للحقّ يوماً تصرّفوا ... إذا الجاهلُ الحيرانُ لم يتصرّفِ

سَمَوْا فعلَوْا فوقَ البريّة كلِّها ... ببُنْيان عالٍ من مُنيفٍ ومُشرِفِ

---

(١) الأغاني : « الورى » .

(٢) النضد ، بالتحريك : الأعمام والأخوال المتقدمون في الشرف ، وأجا ، مخفف « أجأ » أحد جبلي طيّئ .

(٣) الغطارفة : السادة الأشراف والمردف : اسم فاعل من « أردف » ، بمعنى تبع .

(٤) سباط : جمع سبط ؛ وهو السمح الكريم . وغير مقرف غير متهم بما يشينه .

وكتب إليه أن يُعطَى مائةَ شاة[١] وثلاثين لِقْحَةً مما يُوطِن السَّيالة[٢] ، وأعطاه هو خمسمائة دينار ، وأعطاه يزيدُ مائتَيْ دينار .

فلمّا وردَ الكتابُ على مَرْوانَ عَظُم ذلك عليه ، ودعا بابنه عبدِ الملك ، فقرأه عليه ، وشاوَرَه فيه ، فقال له عبدُ الملك : راجِعْه فيه ولا تكذِّب نفسَك ، ولا تُبطِلْ حُكْمَك .

فقال مروان : أنا أعلمُ بحَماقاتِ[٣] معاويةَ منك ، فلمّا كان يوم الجمعة فرغَ من الخطْبة ، فقال : وابن سَيْحانَ ! فإنّا كَشَفْنا أمرَه ، فإذا هو لم يَشْرَب مُسكِرا ، وإذا نحن قد أعجَلْنا عليه ، وقد أبطَلْتُ عنه الحدَّ .

ثم نزل ، فأرسَلَ إليه بألفَيْ درهم .

ودعا الوليدُ عبدَ الرحمن بنَ سَيْحانَ أن يعودَ للشَّراب معه ، فقال : واللهِ لا أذوقُ شرابًا أبدا .

ولمّا قَدِم سعيدُ بنُ عثمانَ المدينةَ قتَلَه غِلمانٌ جاء بهم من الصُّغْد[٤] ، وكان معه عبدُ الرحمن بنُ أرطاةَ بن سَيْحان ، حليفُ بني الحارثِ بنِ أميّة ، فهرَب عنه لمّا قتَلوه .

فقال خالدُ بنُ عُقْبة بنِ أبي مُعَيط ، يَرثي سعيدَ بنَ عثمانَ — وعثمانُ أخوه لأمّه — :

يا عينُ جُودِي بدمعٍ منكِ تَهتَانَا ... وأبكِي سعيدَ بنَ عثمانَ بنِ عَفّانَا
إنّ ابنَ زينةَ لم تَصْدُق مودَّتُه ... وفرَّ عنه ابنُ أرطاةَ بنِ سَيْحانا

---

(١) فى الأغانى « أربعمائة شاة » .
(٢) السيالة : أول مرحلة لأهل المدينة إذا أرادوا مكة .
(٣) الأغانى : « بعزمات » .
(٤) الصغد : موضع بسمرقند .

وقال ابن سَيْحان [يَعْتَذِر من ذلك][1] :

يقول رجالٌ قد دَعاكَ فلم تُجِبْ ... وذلك من تِلْقاءِ مِثْلِك رائعُ
فإن كان نادَى دَعوةً فسمِعتُها ... فشَلَّتْ يدِى وأُستَكَّ مِنّى المَسامِعُ[2]
وإلّا فكانت بالّذى قال باطلًا ... ودارَتْ عليه الدّائراتُ القَوارِعُ
يَلومونَنى أنْ كنتُ فى الدّار حاسِرًا ... وقد فرَّ عنه خالدٌ وهو دارِعُ[3]

فقال بعضُ الشّعراء يُجيبُه :

فإنّكَ لم تَسمَعْ ولكنْ رأيتَه ... بعَيْنَيْك إذ مَجْراك فى الدّار واسعُ
وأسلمتَه للصُّمْد تَدْمَى كُلومُه ... وفارقتَه والصوتُ فى الدّار شائعُ
وما كان فيها خالدٌ بمعذَّرٍ ... سواءٌ عليه صَمَّ أو هو سامعُ[4]
فلا زِلتُما فى غُلِّ سَوْءٍ لعِبْرَةٍ ... ودارتْ عليكُمْ بالشّماتِ القَوارِعُ

وقال العُتْبىّ : لمّا قُتِل سعيدُ بنُ عُثْمان بنِ عَفّان قالت أُمُّه : أشتَهى أن يرثيَه شاعرٌ كما فى نَفْسى حتّى أُعطِيَه ما يَحتَكِم ، فقال فيه ابن سَيْحان :

إن كنتِ باكيَةً فتًى ... فأبْكِى هُبِلْتِ على سعيدِ[5]
فارقْتَ أهلَكَ بَغتةً ... وجَلَبْتَ حَتْفَك من بعيدِ
أَذْرِى دُموعَكِ والدِّما ... ءَ على الشّهيد ابنِ الشّهيدِ

فقالت : هكذا كنتُ أَشتَهى أن يقال فيه ؛ ووصَلَتِ ابنَ سَيْحان ، وكانت تَندُبه بهذا الشِّعر .

---

(١) تكملة من الأغانى .
(٢) استك منى المسامع ، أى صممت .
(٣) الدارع : لابس الدرع .
(٤) المعذر : الذى لم يثبت له عذر .
(٥) ب ، ج : « باكية دما » ، والأجود ما أثبته من الأغانى .

وكان ابنُ سَيْحانَ صاحبَ شَراب ، فدخل على ابن عمٍّ له يقال له : الحارث ابن سَرِيع ، فوَجَده يشرَب نَبيذَ الزَّبيب ، فجعل يَعِظُه ويأمره بشُرْب الخمر ، وقال له : يا ابنَ سَرِيع ، إن كنتَ تشربُها حَلالًا إذ نبيذُ الزَّبيب حَلٌّ لك ؛ فإنَّك أَحْمَق ، وإن كنتَ تشربُه على أنَّه حرامٌ تَستغفِر منه وتتوب فاشربْ أجودَه ؛ فإنَّ الوِزْرَ واحد ، ثم قال :

دَعِ ابنَ سَرِيعٍ شُرْبَ ما كان[1] مَرَّةً ... وخُذْها سُلافًا حَيَّةً مُزَّةَ الطَّعْمِ
تَدَعْكَ على مُلْك ابنِ ساسانَ قادرًا ... إذا حرّمت قُرَّاؤنا حَلَبَ الكَرْمِ
فشَتَّانَ بين الحيِّ والمَيْتِ فاعْتَزِمْ ... زياد على صَهْباءَ رَاوُوقُها يَهْمِي[2]
فإنَّ سَرِيعًا كان أَوصَى بحُبِّها ... بَنِيه وعَمِّي جاوَزَ اللهُ عن عَمِّي
ويا رُبَّ يومٍ قد شهدتُ بني أَبي ... عليها إلى أن غاب تاليةُ النَّجْمِ[3]
حَسَوْها صلاةَ العَصْر والشمسُ حَيَّةٌ ... تُدار عليهمْ بالصَّغـير وبالضَّخْمْ
فماتُوا وعاشُوا والمُدامةُ بينهمْ ... مُشَعْشعة كالنَّجْم تُوصَف بالوَهْمِ[4]

وكان ابن سَيْحان ضَرَب رجلا من أَخْواله بالسَّيْف ، فقَطع يَدَه ، ولم تَقُم عليه بيِّنَةٌ ، فتآمَرَ به القومُ ، ومنع منه ابنُ خالٍ له ، وخاف الوليدُ بن عُقْبَة أن يرجع إلى المدينة هاربًا منهم ؛ خوفًا مِن جِنايته عليهم ، فيفارقَه وينقطعَ عنـه ، فدعاهم فأرضاهم وأعطاهم دِيَةَ صاحبِهم ، فلَم يَزَلْ عنـد الوليد حتّى عُزِل ، وهو يُدنِيه ويُصْفِيه[5] ، وهو القائل في الوليد :

(١) في الأغاني : « ما دامت » .
(٢) رواية الأغاني :

* على مزَّةٍ صفراء راووقها يهمي *

(٣) في اللسان : « وتوالي كل شيء آخره ، وتاليات النجوم أخراها » .
(٤) مشعشعة : ممزوجة.
(٥) في الأغاني : « وهو نديمه وصفيه » .

إنَّا لَنَشْرَبُها حتّى تَمِيلَ بنا ... كما تَمايَلَ وَسْنانٌ بوَسْنانِ

فقال له عبدُ الرّحمن : معاذَ اللهِ أَنْ أَشرَبها وأَنعتَها ، ولكن أنا الّذى أقول :

سَمَوْتُ بحِلفِى للطِّوالِ من الرُّبا ... ولم تَلقَنى كالنَّسْرِ فى مُلتقًى جَدْبِ

وقام يجرّ مِطْرَفَه[1] بين الصَّفَّيْن حتى خرج ، فأقبل عمرُو بنُ سعيد على أبيه ، فقال : لو أمرتَ بهذا الكلب فضُرب مائتين لكان خَيْرا له ؛ فقال : يا بُنىّ ، أضرِبُه وهو حليفُ حَرْب بن أُمَيَّة ، ومعاويةُ خايفةٌ بالشام ! إذَنْ لا يَرْضَى .

فلمّا حَجّ معاويةُ لقِيَه بمِنًى ، فقال له : يا سعيد ، أَمَرَكَ أَحْمَقُك أن تضرِب حَلِيفى مائتىْ سَوْط ، أما والله لو جلدتَه سَوْطا لجلدْتُك سَوْطَيْن ، فقال له سعيد : ولِمَ ذاك ؟ أو لم تجلِدْ أنتَ حليفَك عمرو[2] بن جَبَلة ! فقال له معاوية : هو لَحْمِى آكلُه ولم أُوكِلْه .

---

(١) المطرف . رداء من خز مربع ، فيه أعلام .
(٢) الأغانى : « عمر » .

ذِكرُ عبدِ المَلِكِ الغَرِيض

الغَرِيض لَقَبٌ لُقِّبَ به ، لأنَّه كان طَرِيَّ الوجه نَضِرا ، غَضَّ الشَّباب ، حَسَنَ المَنظَر . والغَرِيض : الطَّرِيُّ من كلِّ شيء .

قال الكَلْبي(١) : شُبِّه بالإغْرِيض ـ وهو الجُمّار ـ فسُمِّيَ بذلك ، وثَقُل على الأَلْسُن ، فحُذِفَت الألفُ منه ، فقيل الغَرِيض ، واسْمُه عبدُ المَلِك ، وكنيتهُ أبو يزيد .

وقال جماعةٌ من المكِّيِّين : كان يُكنَى أبا مَرْوان ، وهو مَوْلَى العَبلات ، وكان مولَّداً من مولَّدِي البَرْبَر ، ووَلاؤُه ، وولاءُ يحيى . قَيْل ، وسُمَيّةُ للثُّرَيّا صاحبة عمرَ ابن أبي رَبيعة ، وأَخواتِها : الرُّضَيَّا وقُرَيْبَة ، وأمّ عثمان ، بنات عليّ بن عبدِ الله ابن الحارث بن أميّة الأصغر . وقد مضت أخبارُهنّ .

وكان الغَرِيض يَضرِب بِالعُود ، وينقر بالدّفّ ، ويُوقِع بالقَضِيب ، وكان جَميلًا وَضِيئا ، وكان يصنِّعُ نَفْسَه(٢) ويُبرِّقُها(٣) ، وكان قبل أن يغنِّيَ خَيّاطا ، وأَخَذَ الغناءَ في أوّل مرّة عن ابن سُرَيْج ، وكان يَخدُمه .

فلمّا رأى ابنُ سُرَيج طَبعَه وظَرْفَه ، وحلاوةَ مَنطِقه ، خشيَ أن يأخُذَ غِناءَه ، ويَغلِبَه عند النّاس عليه ، ويفوقَه بحُسْن وجهِه وجَسدِه ، فاعتلّ عليه ، وشكاه إلى أوليائه ، وهنّ كنّ دفَعْنَه إليه ليعلِّمه الغِناء ، وجعل يتجنّى عليه ، ثم طَرَده ،

---

* ترجمته في الأغاني ٢ : ٣٥٩ ـ ٤٠٣ (طبعة دار الكتب) .

(١) الأغاني : « ابن الكلبي » .

(٢) يصنع نفسه : يقوم على تزيينها وتحسينها .

(٣) يبرقها ؛ أي يزوقها ويزينها .

فشكا ذلك إلى مَوْلَياته ، وعرّفهن غرَضَ ابنِ سُرَيج في تجنُّبِه إيّاه عن نفسه ، وأنّه حَسَده على تقدُّمه ؛ فقلن له : هل لك أن تسمع نَوْحَنا على قتْلانا ، فتأخُذه ، فتغنّي عليه ؟ قال : نعم ، فأفعلْنَ .

فأسمعْنه المَرَاثِيَ ، فاحتذاها ، وخرَج غِناؤه عليها كالمَرَاثِي ، وكان يَنُوح مع ذلك فيدخُل المآتم ، وضُرِبتْ دونه الحُجُب ، فينُوح فيفتِن كلَّ مَن سَمِعه ؛ لما كان فيه من الشَّجْو (١) .

وكان ابن سُرَيج لا يغنِّي صوتاً إلّا عارَضَه فيه فغنَّى فيه لحناً آخَر ؛ فلمّا رأى ابنُ سُرَيج موقعَ الغَرِيض اشتدَّ عليه وحَسَده ، فغنَّى الأَرْمالَ والأَهْزاجَ واشتَهاها الناسُ .

فقال له الغَرِيض : يا أبا يحيى ، قصَّرتَ الغِناء وحذَفْتَه ، قال : نعم ، يا مخنَّث ، حين جعلتَ تنُوح على أبيك وأمِّك !

ولمّا غَضِب ابنُ سريج على الغَرِيض وأقصاه وهَجَره لحِق بجَوْراءَ وبَغُومَ ، نائحتَيْن كانتا بشِعْب ابنِ عامر بمكّة ، ولم يكن قبلَهما ولا بعدَها مِثلُهما ، فرأياه يوماً يَعصِر عَيْنَيه ويبكي ، فقالتا له : مالَكَ تبكي ؟ فذكَر لهما ما صَنَع بِه ابنُ سُرَيج ، فقالتا له : لا أَرقَأَ اللهُ دَمْعَك ، أَلْزِزْ (٢) رأسَك بينَ ما أخذتَه عنه ، وبين ما تأخذه عنّا ، فإن ضِمْتَ [بعدَها] (٣) فأَبْعدَكَ الله !

وحدث أبُو عبدِ الله الزُّبَيْريّ ، قال : رأيتُ جَرِيرا في مجلسٍ من مجالسِ قريش ، فسمعتُه يقول : كان المغنُّون بمكّة اثنين ، فسيّد مبرِّز ، وتابع مسدّد . فسألناه عن ذلك ، فقال: السّيد أبو يحيى بن سُريج ، والتابعُ أبو يزيدَ الغَرِيض.

(١) الأغاني : « الشجا » .
(٢) أي اجعل رأسك بينهما .
(٣) من الأغاني .

وكان هناك رجلٌ عالمٌ بالصناعة ، فقال : كان الغريضُ أحذقَ أهلِ مكّة بالغناء بعد ابنِ سُرَيج ، ومازال أصحابُنا لا يُفرِّقون بينهما لمقاربتِهما فى الغناء .

وقال بعضهم : لو حُكِّمْتُ بين أبى يحيى وأبى يَزِيدَ لمَا فرّقتُ بينهما ، وإنّما تفضيلى لأبى يحيى بالسَّبْق ، فأمّا غيرُ ذلك فلا ؛ لأنّ أبا يزيدَ من عندِه أَخَذ ، ومن بحرِه اغترَف ، وفى مَيْدانه جَرَى ، وكان كأنّه هو ؛ ولذلك قالت سُكَينةُ بنتُ الحُسين رضى الله عنه ، لمّا غنَّى ابنُ سُرَيج والغَرِيض :

* عُوجى علينا رَبّةَ الهَوْدَجِ *

واللهِ ما أفرِّق بينكما ، وما مَثَلُكما إلا كمَثَل اللّؤلؤ والياقوت فى أعناق الجوارِى الحِسان ، لا يُدرَى أىّ ذلك أحسن !

وقال عبدُ الرحمن بنُ محمّد السَّعْدىّ : حضَرتُ شَطْباء المغنِّية ، جاريةَ علىّ بن جعفر ذاتَ يومٍ تُغَنِّى :

ليْس بين الحياة والموتِ إلّا أنْ يَرُدُّوا جمالَهُمْ فتُزَمّا(١)

فطَرِب علىُّ بنُ جَعْفَر ، وصاحَ : سبحانَ الله العظيم ! ألا يُوكُونَ(٢) قِرْبةً ، ألا يَشُدّون مَحمِلا ، ألا يعلِّقون سُفْرَةً(٣) ، ألا يسلِّمون على جار ! هذه واللهِ العَجَلة .

قال إسحاق : وَلِىَ قضاءَ مكّةَ الأَوْقَص المَخْزومىّ ، فما رأى الناسُ مثلَه فى عَفافِه ونُبْله ؛ فإنّه لَنائمٌ ليلةً إذ مرّ به سَكرانُ يتغنّى :

* عُوجى علينَا رَبّةَ الهَوْدَجِ *

فأشرَف عليه ، وقال : يا هذا ، شربتَ حَراماً ، وأيقظْتَ نِياماً ، وغَنّيْتَ خَطأً ، خُذْه عنى فأصْلَحَه له وانصَرَف .

---

(١) الأغانى : « ليس بين الرحيل والبين » .

(٢) أوكى القربة : شدها بالوكاء ؛ وهو رباطها .

(٣) السفرة هنا : ما يبسط ليؤكل عليه .

حدّث بعضُ المَدَنيِّين قال : خرج ابن أبى عَتِيق على نَجيبٍ له من المدينة ، قد أَوْقَرَه[1] من طُرَف المدينة ، فلَقِيَ فتًى من بنى مَخْزوم مُقْبِلا من بعض ضِياعه ، فقال له : يا ابن أخى ، أتَصْحَبُنا ؟ قال : نعم. فلمّا كانا قريباً مِن مكّة ، صارا إلى قصْرٍ ، فاستأذَنَ ابنُ أبى عتيق ، فأُذِن له فدخَلا ، فإذا رجلٌ جالسٌ كأنّه عجوزٌ بَرْبَرِيّة مختضَبة ، وإذا هو الغَرِيض وقد كَبِر ، فقال له ابن أبى عَتِيق : تشوّقْنا إليك ! وأهدَى إليه ما كان معه ، ثم قال : نُحِبّ أن نَسْمَع ، قال : ادعُوا فلانةَ ــ جاريةً له ــ ، فجاءت فغنّت ، فقال : ما صنعتِ شيئا ، ثم حلّ خِضابَه وغنّى :

* عُوجِى علَيْنا رَبّةَ الهَوْدَجِ *

فما سمعتُ أحسنَ منه قطُّ ، فأقاما عندَه ، وخَبّازُه قائم ، وطعامُه كثير . ثم قال ابن أبى عتيق لأبى يزيد : أُرِيد الشُّخوصَ . فلَم يَبقَ بمكّة تُحفةٌ إلّا أَوْقَرَ بها راحِلَته. فلمّا ارتَحَلا وبرزا صاحَ الغَرِيض ، فرَجَعا إليه ، فقال : ألم تَرْوُوا عن النبىّ صلّى الله عليه وسلّم أنه قال : « يُحشَر من بَقيعنا هذا سبعون ألفاً على صورة القمرِ ليلةَ البَدْر » ؟ فقال له ابن أبى عَتِيق : بلى . قال : هذه سِنٌّ لى انتَزَعتْ ، فأُحِبُّ أن تدْفِنَها فى البَقِيع .

قال : فخرجْنا والله أخسَرَ اثنَيْن ، لم نَعتَمِر ، ولم نَدْخُلْ مَكّة حاملَيْن سِنَّ الغَرِيض حتّى دفنّاها بالبَقِيع .

رَوَى بعضُ أهلِ المدينة قال : خرج الغريضُ مع قوم فغنّاهم هذا الصوت :

جرَى ناصحٌ بالوُدِّ بينى وبينَها فقرّبنى يومَ الحِصَابِ إلى قَتْلِى
فقالت وأرخَتْ جانِبَ السِّتْرِ إنّما معى ؛ فتكلَّم غيرَ ذى رِقْبةٍ أهلِى
فقلتُ لهـا ما بى لهمْ من تَرقُّبٍ ولـكنّ سِرّى ليس يَحمِله مِثلِى

---

(١) أوقره : حمله .

فاشتدّ سرورُ القَوْم ، وكان معهم غلامٌ أعجبَه ، فطلَب إليهم أن يكلِّموا الغلامَ في الخَلْوة معه ساعةً ، ففعلوا ، فانطلق مع الغلام حتّى توارَى بصَخْرة ، فلمّا قضى حاجتَه أقبل الغلامُ إلى القوم، وأقبلَ الغريضُ يتناولُ حَجَراحجَراو يَقرَع بها الصَّخْرة ، ففعل ذلك مراراً . فقالوا له : ما هذا يا غَرِيض ؟ قال : كأنّي بها وقد جاءت يومَ القيامة رافعةً ذَيْلَها تَشْهَد علىّ بما كان مِنّا إلى جانبها ، فأردتُ أن أُجَرِّح شهادتَها علىّ ذلك اليوم .

ولمّا أعرَضُ ابنُ سُرَيج عن الغَرِيض ، تعلّمَ النَّوْحَ وبَرّز فيه ، فجاء يوما إحدى مَوْلياته ، وقال: نَهتْني الجنُّ أن أنوحَ ، وأسمعتْني صوتا عجيبا ، وقد بَنَيتُ عليه لَحْنا، فاسْمَعْنه منّى، واندَفَع ، فغَنّى بصوتٍ عجيبٍ في شِعر المَرّار الأَسَدِي :

حَلَفتُ لها باللهِ مابين ذِي الغَضَا وَهَضْبِ القَنانِ مِن عَوانٍ ولا بِكْرِ(١)

أحَبُّ إلينا منكِ دَلاًّ وما نَرَى به عند لَيْلَى مِن ثوابٍ ولا أجرِ

فكذّبناه ، وقلنا : شيء فكّر فيه وأَخرَجه على هذا الجِنْس(٢) ، فكان كلّ يوم يأتينا فيقول : سمعتُ البارحةَ صوتاً من الجنّ ، بترجيعٍ وتقطيعٍ ، وقد بنيتُ عليه صوتَ كذا وكذا ، فلم يَزَل كذلك ونحن ننكِر عليه ؛ فإنّا لكذلك ليلةً وقد اجتَمَع جماعةٌ من نساء أهلِ مكّة في مَجْمَع لنا ، سهِرْنا فيه ليلتنا ، والغَرِيض يغنّينا بشعر عمرَ بنِ أبي ربيعة :

أمِن آلِ زينبَ جَدَّ البُكورُ نعمْ فلأيٍّ هَواهاتَصِيرُ

أبا الغَوْرِ أم أَنْجَدَتْ دارُها وكانت حديثاً بعَهْدي تَغُورُ

نظرتُ بخَيْفٍ مِنًى نَظْرةً إليها فكادَ فؤادي يَطيرُ

---

(١) القنان : جبل لبنى أسد .

(٢) كذا في ب ، ج: وفى الأغانى : « اللحن » .

إذ سمعْنا فى بعض الّليل عَزِيفاً عجيبا ، وأصواتاً مختلفةً ذعرتْنا وأفزعَتْنا، فقال لنا الغَرِيض : إنّ فى هذه الأصوات صوتا عجيبا ، إذا نِمْتُ سمعْتُه ، فأصبِح فأَبْنى عليه غِناءً ، فأصغَيْنا إليه فإذا نَغَمَته نَغَمَةُ الغَرِيض بعَيْنِها ، فصدّقناه تلك الّليلة .

ورَوَى محمّد بن سلّام قال : حجّت عائشةُ بنتُ طلحةَ بنِ عُبَيد الله ، فجاءتْها الثُّريّا وأخَواتُها ونساءُ مَكّة من القُرَشيات وغيرهنّ ، وكان الغَرِيض فيمن جاء ، فدَخَل النِّسوةُ فأمرتْ لهنّ بكُسْوة وأَلْطاف(١) كانت قد أعدّتْها لمن جاءها ، فجعلتْ تَخرُج كلّ واحدة ومعها جاريتها حاملةً ما أَمَرَتْ لها به عائشة ، والغَرِيض بالباب ، حتّى خرجت مَوْلَياتُه مع جَوارِيهنّ الخِلَعُ والألطاف .

فقال الغَرِيض : أين نصيبى من عائشة ؟ فقلنا : أغفَلْناك وذهبتَ عن قلوبنا ، فقال : ما أنا ببارحٍ من بابها ، أو آخُذَ حَظّى منها ، فإنّها كريمةٌ بنت كِرام . ثم أندَفَع يغنّى بشعر جَميل :

تذكّرتَ ليلَى والفؤادُ عَميدُ وشَطّت نَواها والمَزارُ بَعيدُ

فقالت : وَيْلَكم ! هذا مَوْلَى العَبَلات بالباب ، يذكِّر بنفسه ، هاتُوه فدخل ، فلمّا رأتْه ضحكتْ وقالت : لم أَعلَمْ بمَكانِك، ثم دعَتْ بأشياءَ أمرَتْ له بها، ثم قالت له: إنْ أنتَ غنّيتَنى صوتاً فى نفسى فلكَ كذا كذا - بشىء سمّتْه له - فغنّاها فى شعر كُثَيِّر :

وما زلتُ مِن لَيلَى لَدُنْ طَرَّ شارِبى إلى اليوم أُخفى حبّهــا وأُداجِنُ(٢)
وأَحمِل فى لَيــلَى لقومٍ ضَغينــةً وتُحمَل فى لَيــلَى علىّ الضّغائنُ

فقالت : ما عَدَوْتَ ما فى نفسِى ، وَوصَلَتْه ، وأجزلَتْ له .

---

(١) الألطاف : جمع لطف ؛ وهو من طرف التحف ما ألطفك به أخوك لبره بك .

(٢) طر شاربه : طلع ونبت .

قال إسحاق : قلتُ لأبي عبد الله : وهل علمتَ حديثَ هذين البيتين ؟ ولم سألتَ الغريضَ عن ذلك ؟ قال : نعم .

قال الشَّعْبي : دخلتُ المسجدَ، فإذا بمُصعَب بن الزُّبير على سَريرٍ جالسٌ، والناسُ عندَه ، فسلّمتُ ثمّ ذهبتُ لأنصرِف ، قال : ادْنُ ، فدنَوْتُ حتّى وضعتُ يدى على مَرافِقه[1] ، ثم قال : إذا قُمْتُ فاتّبِعْنِي ، فجلس قليلا ثم قال : أدخُل ، فدخلتُ ، فإذا أنا بالحجلة[2] ، وإنها لأوّل حَجَلة رأيتُها لأمير ، فقام ودَخَل الحَجَلة ، فسمعتُ الحركةَ وكرهتُ الجلوسَ ، ولم يأمرْني بالانصراف .

فإذا جاريةٌ قد خرجتْ ، فقالت : يا شَعْبيّ ، الأميرُ يأمرُكَ بالجلوس ، فجلستُ على وِسادة ، ورُفِع سَجْف الحَجَلة ، وإذا بعائشة بنتِ طلحة ، فلم أرَ زَوْجين قطُّ كان أجملَ منهما ، مُصعَب وعائشة . فقال مصعب : يا شَعْبيّ ، هل تَعرِف هذه؟ قلتُ: نعم ، أصلحَ الله الأميرَ ! قال : فمَن هِيَ ؟ قلت : سيّدة نساء العالمين، عائشةُ بنت طلحة. قال : لا ، ولكن هذه الّتي يقول فيها الشاعر :

* وما زلتُ مِن لَيلَى لَدُنْ طَرَّ شارِبي *

وقال : إذا شئتَ فقُم فقُمْت ، فلمّا كان العشاء رُحْت إلى المسجد ، فإذا هو جالسٌ على سريرِه في المَسجِد ، فلمّا رآني قال : ادنُ ، فدنَوْتُ فأصغَى إليّ[3] ، فقال : هل رأيت مِثلَ ذلك لإنسانٍ قطّ ؟ لِمَ أَدْخَلْناك ؛ هل تعرف؟ قلت : لا، قال: لِتُحدِّثَ بما رأيتَ ، ثم التفت إلى عبد [الله[4] بن فَرْوَةَ] : أعطِه عشرةَ آلافِ درهم ،

---

(١) جمع مرفق أو مرفقة ؛ وهى المخدة .

(٢) حجلة العروس : بيت يزين بالثياب والأسرة والستور .

(٣) أصغى إلى : أمال رأسه .

(٤) من الأغانى .

وثلاثين ثوبا ، فانصرفتُ بعشرة آلافِ درهم ، وبمِثْل كارَةِ[1] القَصار ثيابا بنَظْرةٍ من عائشةَ بنت طلحة .

قَدِم يزيدُ بنُ عبدِالملِك مكة ، فبعث إلى الغَرِيض سِرّا فأتاه، فغنّاه بشعرِ كُثَيِّر :

وإنى لأَرْعَى قومَها من جَـلالِها وإن أظهروا غِشًّا نصحتُ لهم جَهْدِى
ولو حارَبُوا قَوْمى لكنتُ لقومهـا صديقاً ولم أحمِل على قومِها حِقْدِى

فأشير إلى الغريض أن أسْكُت وفَطِن يزيد فقال : دعوا أبا يزيدَ حتّى يغنّيِنى بما يريد . فأعاد عليه الصوتَ مرارا ، ثم قال : زِدْنى ممّا عندك ، فغنّاه بشِعر عَمرو ابن شَأْس الأَسَدىّ :

أرادتْ عَرَاراً بالهَوان ومَن يُرِدْ عَرَارًا لعَمْرِى بالهوان فقد ظَلَمْ
وإن عَرَارًا إن يكن غيرَ واضحٍ فإنى أُحِبّ الجَوْنَ ذا المَنْكِبِ العَمَمْ[2]

قال : فطَرِب يزيدُ وأَمَر له بجائزةٍ سنِيّة .

قال إسحاق : وكان قُدومُ يزيدَ إلى مكّة ، وبَعْثُه إلى الغَرِيض سِرّا قبل أن يُستخلَف ، فقلت لأبى عبد الله : لِمَ أُشير إلى الغَرِيض بأن يَسكتَ حين غنّاه بشعرِ كُثيّر :

* وإنى لأَرْعَى قومَها من جَلالِها *

وما السَّبَب فى ذلك ؟

فقال أبو عبدالله : أنا أحدِّثك[3] ، حدّثنى أبى قال: كان عبدُ المَلِك بنُ مَروانَ من أشدّ النّاس حُبًّا لعاتكةَ امرأته ، وهى أمُّ ابنه يَزيد ، وهى بنت يزيدَ بنِ معاوية،

---

(١) الكارة من الثياب : ما يجمع ويشد ، وكارة القصار سميت بذلك لأنه يكور ثيابه فى ثوب واحد ويحملها فيكون بعضها فوق بعض .

(٢) يقال : رجل عمم ، أى خير يعم خيره .

(٣) فى الأغانى : « أحدثك » .

وأمّها أمُّ كُلثوم بنت عبدالله بن عامر بن كُرَيز ـ وكان بينهما باب ـ فحجبَتْه وأغلقَتْ ذلك البابَ ، فشَقّ غضبُها على عبد المَلِك ، وشكاها إلى رجل من خاصّته ، يقال له : عمر بن بِلال الأَسَدِىّ ، فقال له : ما لِى عندَك [إذا رَضِيتُ ؟][1] قال : حُكْمُك ، فأتى عُمر بابَها فجعل يَتَباكى ، وأشار إليها بالسَّلام ، فخرجتْ إليه حاضِنَتُها وجَوارِيها ومَوالِيها ، فقلن : ومالَك ؟ قال : لى ابنان لم يكن لى غيرُهما ، قَتَل أحدُهما صاحبَه . فقال أميرُ المؤمنين : أنا قاتِلٌ الآخَرَ به ، فقلتُ : أنا الوَلِىُّ ، وقد عَفَوْتُ ، فقال : لا أُعَوِّدُ الناسَ هذه العادة ، فرجَوْتُ أن يُنْجِىَ اللهُ أبنى هذا على يَدِها ، فدخَلْنَ إليها فذَكَرْنَ لها ذلك ، فقالت : وكيف أصنَع مع غَضَبِ عليه ، وما أَظْهرتُ له ؟ قلن : إذًا واللهِ يُقتَل ، فلَم يَزَلْن بها حتّى دعت بثيابها فأَجْمَرَتْها[2] ، ثمّ خرجتْ نحوَ الباب .

وأقبل حُدَيج الخَصِىّ فقال : يا أميرَ المؤمنين ، هذه عاتِكَةُ قد أَقبلَتْ ، قال : وَيْلَك ما تقول ؟ قال : واللهِ طَلَعَتْ فأقبلَتْ ، وسَلَّمَت فلَم يَرُدَّ عليها السَّلامَ ، فقالت : أما واللهِ لولا عُمر ما جئتُ ، إنّه تَعَدَّى أحدُ أبنيه على الآخَر فقتَلَه ، فتريد قَتْلَ الآخَر ، وهو الوَلِىُّ ، وقد عَفَا .

قال: إنى أَكرَه أن أُعَوِّدَ الناسَ هذه العادة . قالت: أَنشُدُكَ اللهَ يا أميرَ المؤمنين، فقد عرفتَ مكانَه من أمير المؤمنين معاوية ، ومن أمير المؤمنين يزيد ؛ فلَم تَزَلْ به حتّى أخذَتْ برِجْله فقبّلَتْها .

فقال : هُوَ لَكِ ، فلَم يَبْرَحا حتى اصطَلَحا، ثم راح عُمر بنُ بِلال إلى عبدالمَلِك، فقال : يا أميرَ المؤمنين ، كيف رأيتَ ؟ فقال : رأينا أثرَكَ فهاتِ حاجَتَك .

---

(١) تكملة من الأغانى .

(٢) أجمرتها : بخرتها .

قال : مَزْرعةٌ بعَبيدِها وما فيها، وألف دينار ، وفرائض لأهل بيتى ووَلَدى وعِيالى .

قال : ذٰلِك لك ، ثم تمثّل بشعرِ كُثيِّر :

* وإنى لأَرْعَى قومَها من جَلالِها *

فعلمتْ عاتـكةُ ما أراد ، فلمّا غَنَّى يزيدُ بهذا الشِّعر كرِهَتْه مَواليه ، إذ كان عبدُ المَـلِك تمثَّلَ به فى أُمِّه ، ولم يُنـكِره[1] يزيد .

ثم قال : لو قيل هـذا الشِّعرُ فيهما ثم غُنِّىَ به لمـا عِيبَ[2] فـكيف ، وإنَّما هو مَثَل تمثَّل به أميرُ المؤمنين فى أجَمـل العالمين !

قال أبو عبدِ الله : وأمّا خبرُه لمَّا غَـنَّى بشِعر عَمرو بنِ شَأْس ، فإنّ ابنَ الأَشْعَث لمَّا قُتِـل بعثَ الحجَّاجُ برأسِه إلى عبـدِ الملك مع عَرار بن عَمرو بنِ شَأْس ، فلمّا وَرَد به ، وأَوْصَلَ كتابَ الحجَّاج ، جعَلَ عبـدُ الملك يقرؤه ، فـكلَّما شَكَّ فى شىء يَسأَل عَرارا عنه ، فأخبَرَه به ، فعَجِب عبـدُ الملك من بَيانِه وفَصاحته مع سَوادِه ، فقال متمثِّلا :

وإن عَرارًا إن يكنْ غـيرَ واضحٍ فإنى أُحِبّ الجوْنَ ذا المَنكِبِ العَمَمْ

فضَحِك عَرار من قولِه ضحكا غاظَ عبـــد الملك ، فقال له : ممّ ضَحِكْتَ وَيْحك ! قال : أتعرِف عَرارا يا أميرَ المؤمنين ؟ قال : لا والله ، قال : فأنا عَرار[3] ، فضَحِك عبدُ الملك ، ثم قال : حَظٌّ وافَقَ كلمة ، ثم أَحْسَنْ جائزته وسَرَّحه .

وإنما أراد الغَرِيضُ أن يغـنِّى يَزيدَ بمُتَمَثَّلاتِ عبدِ الملك فى الأمور العظام فلما تبيّن كراهةَ مَواليه غِناءه فيما تَمثَّل به فى عاتـكةَ بنت يزيد بن معاوية أراد أن يُعقِبَه بما تَمثَّل به فى عَرار .

---

(١) فى الأغانى : « ولم يكرهه » .

(٢) الأغانى : « لما كان عيبا » .

(٣) الأغانى : « فأنا والله هو » .

وحَدّث يونسُ الكاتبُ قال : حدّثني مَعبَد ، قال : خرجتُ إلى مكّة في طلب لِقاءِ الغَرِيض ، وقد بَلَغني حُسْنُ غِنائه في لَحْنه :

وماأَنْسَ مِالأَشْياءِ لاأَنْسَ شادِناً بمَكَّةَ مكحولًا أَسيلًا مَدامِعُهْ

وقد بلغني أنّه أوّل لَحْن صَنَعَه ، وأنّ الجنّ نهَتْه أن يغنّيَه ، لأنّه قهر[1] طائفةً منهم ، فانتقَلوا عن مَكَّة من أجْل حُسْنِه ، فلمّا قدِمْتُ مكّةَ سألت عنه ، فدُلِلتُ على منزله ، فأَتَيتُه فقرَعْت البابَ ، فما كلّمني أحد ، فسألتُ بعضَ الجيران ، فقلت : هــل في الدار أحدٌ ؟ فقال لي : نعم ، فيها الغَرِيض . فقلت : إنّي قـد أكثرتُ دَقَّ الباب فما أجابني أحدٌ ، قالوا : إن الغَرِيض هُنالك فرجعتُ فدفقْتَ البابَ ، فلَم يُجِبْني أحد . فقلتُ : إنْ نفَعَني غِنائي يوما ما نفعني اليومَ ، واندفعْتُ فغنّيتُ شِعْري ولَحْني في شِعرِ جَميل :

عَلِقتُ الهوَى منها وَليداً ولَم يَزَلْ إلى اليــومِ يَنْمُو حبُّها ويَزيدُ

فوَالله ما سمعتُ حَركةَ الباب ، فقلت : بَطلَ سِحْرِي[2] ، وضاع سَفَرِي حيث جئتُ أَطلُب ما هوَ عَسيرٌ عليّ ، واحتقرْتُ نفسِي وقلتُ : لم يتوهَّمْني[3] لضَعْف غنائي عندَه ، فما شَعرتَ إلّا وَصائحٌ يَصيح : يا مَعْبَدَ المغنّي ، افهَمْ وتلقَّنْ[4] غنّي شعرَ جَميل الّذي تغنّي فيه يا شَقِيَّ البَخْت ، وغنّى :

وماأَنْسَ مِ الأَشْياءِ لا أَنْسَ قولَها وقد قرّبتْ نِضْوِي أَمِصرَ تُرِيدُ[5]

---

(١) الأغاني : « فتن » .

(٢) بطل سحري : ضاعت حيلتي .

(٣) لم يتوهمني : لم يتبيني ولم يعرفني .

(٤) الأغاني : « وتلق » .

(٥) النضو : المهزول من الإبل .

ولا قولَها لولا العُيونُ الّتي[1] تَرَى لزُرْناكَ فاعذِرْنى فَدَتْك جُدودُ
خَليليَّ ما أُخفِي من الوجدِ باطِنٌ ودمْعِي فيما قُلتُ فهوَ شَهِيدُ[2]
لكلّ حديثٍ بينهنّ[3] بشاشةٌ وكلّ قتيلٍ بينهنّ شهيدُ

قال : لقد سمعتُ شيئا لم أَسْمع أحسنَ منه ، وقَصَّر إليّ نفْسى ، وعلمتُ فضيلتَه علىّ ، وعلمتُ أنّه حَرِيٌّ بالاستتار من النّاس تَنْزِيهاً لنفسه ، وتعظيما لقَدْره ، وإنّ مِثلَه لايَسْتَحِقّ الابتذال ، ولا أن تَتَداوَله الرِّجالُ . وأردتُ الانصرافَ إلى المدينة ، فلمّا كنتُ غيرَ بعيد إذا بصائح يصيح : يا مَعبَد ، انْتَظِرْ أُكلِّمْك ، فرجعتُ ، فقال لى : الغريضُ يَدْعوك ، فأسرعتُ فَرِحا ، فدنوتُ من الباب فقال : أتُحِبُّ الدخول ؟ فقلت : وهل إلى ذلك من سبيل ؟ فقرَع الباب ، فُفتِح ، وقال : ادخُل ولا تُطِل الجلوسَ ، فدخلتُ فإذا بشمسٍ طالعة فى بَيْت ، فسلّمت فرَدَّ السلامَ ، ثم قال : اجلسْ ؛ فجلستُ ؛ فإذا أَنبلُ الناس وأحسَنُهم وَجْها وخَلْقا وخُلُقا ، فقال : يامَعْبَد ، كيف تطرَّبْتَ[4] إلى مَكّة ؟ فقلتُ : وكيفَ عرفتَنى ؟ قال : بصَوْتك ، فقلتُ : وكيف وأنتَ لم تَسمَعه قَطّ ؟ قال : لمّا غنّيتَ عرفتُك، وقلتُ : إن كان مَعبَدٌ فى الدّنيا فهذا ، فقلتُ : فكيف أَجبتَنى بقولك :

وما أَنْسَ مِ الأشياء لا أَنْسَ قولَها وقد قرّبتْ نِضْوى أمصرَ تُريدُ

قال : علمتُ أنّك تريد أن أُسمِعَك صوتى :

وما أَنْسَ مِ الأشياء لا أَنْس شادِياً بمكّةَ مكحولًا أَسيلًا مَدامِعُهْ

(١) كذا فى الأغانى ، وفى ب ، ج : « الذى »
(٢) الأغانى : « ودمعى بما قلت الغداة شهيد » .
(٣) الأغانى : « عندهن » .
(٤) الأغانى « طرأت » ، وتطربت : اشتقت .

ولم يَكُ إلى ذلك سبيلٌ؛ لأنّه صوت نُهيتُ عنه ، فغنّيتُ هذا جوابَك، فقلت : والله ما عَدَوْتَ ما فى نفسى شيئاً ، فهل لك حاجةٌ ؟ فقال لى : يا أبا عبّاد ، لولا مَلالةُ الحديث ، وثِقَل الإطالة ، لأُستكثَرْتُ منك فاعذِرْ .

فخرجتُ من عندِه ، وإنّه لأجلُّ الناس عندى ، ورجعتُ إلى المدينة ، فحدّثتُ بحَديثه ، وذكرتُ بهذا الشعرِ الجميلِ ، أمرَ جميل وبُثَيْنَة ، فقلت : ليتَنى وجدتُ إنسانا يحدّثنى بقصّة جميل فى هذا الشِّعر ، فأكونَ قد أخذتُ بفضيلة الأمرِ كلِّه فى الغِناء والشِّعر ، فسألتُ عن ذلك ، فإذا الحديثُ مشهور.

وقيل : إن أردتَ أن تُخبَّرَ بمشاهَدَته ، فأْتِ بنى حَنْظلةَ ؛ فإنّ فيهم شيخا منهم يقال له : فلان يُخبِّرُكَ الخبرَ ، فأتيتُ الشيخَ فسألتُه ، فقال : بينا أنا فى إبلى فى الرّبيع ؛ إذا أنا برجل مُنطوٍ على راحلتِه كأنّه جانّ ، فسلّم علىّ وقال : مَن أنتَ يا عبدَ الله ؟ فقلتُ : أحدُ بنى حَنظلة . قال : فسألنى حتّى بلغ الفَخِذ الّتى أنا منها ، ثم سألنى عن بنى عُذْرة ، أين نزَلوا ؟ فقلتُ : هل ترَى ذلك السَّفْح ؟ فإنّهم نزَلوا من وَرائه ، قال : يا أخا بنى حَنْظلة ، هل لك فى معروف تصطَنِعه إلىّ ، فوالله لو أعطيتَنى ما أصبحتَ تَسُوق من هذه الإبل ، ما كنتُ بأشكَرَ لك منّى عليه .

قلتُ : نعم . ومَن أنتَ أوّلا ؟ قال : لا تَسألْنى ولا أُخْبِرْكَ ؛ غير أنّى رجلٌ بينى وبين هؤلاء القومِ ما يكون بين بنى العمّ ، فإن رأيتَ أن تأتيهم فإنّك تَجِد القومَ فى مجلسهم ، فتنشدُهُم بَكْرَةً[1] أَدْماءَ تَجُرُّ خُفَّيها غُفْلاً[2] مِن السِّمة، فإن ذَكَروا لك شيئا فذاكَ ، وإلّا فاستأذِنهم فى البُيوت ، فقلت : إنّ الصبىّ والمرأةَ قد يَرَيان مالا يَرَى الرِّجالُ فتنشدُهم ، ولا تَدَع أحدا تُصيبُه عينُك ، ولا بيتاً من بيوتِهم إلّا نَشَدْتَها فيه .

---

(١) البكرة : الفتية من الإبل، والأدماء : وصف من الأدمة ، والأدمة فى الإبل : السمرة .

(٢) غفلا من السمة ، أى لا علامة بها .

فأتيتُ القومَ ، وإذا هم على جَزُور لهم يتقاسَمُونها ، فسَلّمتُ وانتسَبْتُ لهم ، ونشَدْتهم ضالّتي ، فلم يَذكُروا لى شيئا ، فاستأذنتُهم فى البيوت ، فأَذِنوا لى ، فأتيتُ أقصاهم ، ثم استقْصَيْتها بيتاً بيتا ، فأنشدهم فلا يذكرون شيئا حتى انتصَف النهارُ وآذانى حرُّ الشمس ، وعَطِشتُ وفرغْتُ من البيوت ، وذهبتُ لأنصرف ، فحانتْ منّى التفاتَةٌ فإذا ثلاثةُ أبيات ، فقلت : ما عندَ هؤلاء إلّا ما عند غيرهم ! ثم قلتُ فى نفسي : سَوْءَةً ! وَثِق بى رجلٌ زعم أنّ حاجتَه تَعدِل مالى ، ثم آتِيه فأقول : عَجَزْتُ عن ثلاثة أبيات ، فانصرفتُ عامدا إلى أعظمها بيتا ، فإذا هو قد أُرْخِيَ مقدّمُه ومؤخَّرُه ، فسلَّمتُ فردّ علىّ السلام ، وذَكرتُ ضالّتي .

فقالت جاريةٌ لهم : يا عبدَ الله ، قد أَصبتَ ضالّتك ، وما أَظنُّك إلّا قد اشتدّ الحرُّ عليك ، واشتهيتَ الشراب . فقلت : أَجَلْ ، قالت : ادخُل ، فدخلتُ ، فأتتْني بصَحْفةٍ فيها تمرٌ من تَمرِ هَجَر ، وقَدَح فيه لَبَن ، والصّحْفةُ مصريّة مفضَّضة ، والقدَح مفضَّض ، ولَم أَرَ إناءً قطُّ أحسنَ منه ، فقالت : دونَك ، فتجمعّتُ وشربتُ من اللّبَن حتى رَوِيت ، وقلت : يا أَمَةَ الله ، واللهِ ما أتيتُ اليومَ أكرمَ منكِ ولا أحقَّ بالفضْل ، فهل ذَكرتِ من ضالّتي ذِكْرا[1] !

فقالت لى : هل ترَى هذه الشجرةَ فوقَ الشَّرَف[2] ؟ فقلتُ : نعم ، قالت : إن الشّمس غَرَبَتْ أمسِ وهى تُطِيفُ حولَها ، ثم حالَ الليلُ بينى وبينها . فقمتُ فجزَيْتها خيْرا ، وقلتُ : واللهِ لقد تغدَّيْتُ ورَوِيتُ ، فخرجتُ حتّى أتيتُ الشّجرةَ فأَطَفتُ بها ، فوالله ما رأيتُ من أثَرِها شيئا ، فانصرفْتُ إلى صاحبى ، فإذا هو مُتَّشِحٌ فى الإبل بكسائه ، وهو رافعٌ عَقِيرتَه[3] يغنّى ، فقلتُ : السّلام عليك .

---

(١) الأغانى : « شيئا » .

(٢) الشرف : المكان العالى .

(٣) عقيرة الرجل : صوته .

قال : وعليكَ السّلام . ما وراءك ؟ قلتُ : ما وَرائى شَىء . قال : لا عليك ، فأَخْبِرْنى بما فعلتَ .

فقصصتُ عليه القصّة حتى أنتهيتُ إلى ذكر المرأة ، وأخبرتُه الّذى صنعتْ .

فقال : قد أصبتَ ضالّتَك . قال : فعجبتُ من قوله ، وأنا لم أجد شيئا ، ثم سألَنى عن صفة الإناءَيْن : الصَّحْفة والقدَح ، فوصفتُهما له ، فتنفّسَ الصُّعَداء ، ثم قال : قد أصبتَ طَلِبتَك ، وَيْحَك ! ذكرتْ لكَ الشجرةَ ، وأنّها تُطيف بها فقال: حَسْبك! فمكثتُ حتّى إذا أوَتْ إبلى إلى مَبارِكها ، دعوتُه إلى العَشاء ، فلم يَدْنُ منه ، وجلس عنّى[1] بمَزْجَرِ الكلب ، فلمّا ظنّ أنى قد نِمْتُ رمقتُه فقام إلى عَيْبةٍ[2] له ، فاستخرَج منها بُرْدَين ، فأتزَر[3] بأحدِهما وارتدَى بالآخَر ، ثم انطلَق عامدا نحوَ الشّجرة ، فاستبطَنْتُ الوادىَ ، فجعلتُ أُحْضِرُ حِينَ خِفْتُ أن يَرانىَ انبطحتُ ، فلَم أزَلْ كذلك حتى أتيتُ إلى شَجَراتٍ قريبة من تلك الشجرة حيثُ أسمَع كلامَها ، فاستترتُ بهنّ ، فأقبلَ حتّى إذا كان منها غيرَ بعيد ، قالت : اجلِس ، فوالله لكأنّه لَصِق بالأرض ، فسلّم عليها وسألَها أكرمَ سؤالٍ سَمِعتُ به قطّ ، وأبعدَه من كلّ رِيبة ، وسألتْه مِثْلَ مسألَته ، ثم أمَرَتِ الجاريةَ فقدّمتْ له طعاما ، فلمّا أكَل وفرَغ قالت : أنشِدْنى ما قلتَ : فأنشَدَها قولَه :

عَلِقتُ الهَوَى منها وَليداً فلَم يَزَلْ ... إلى اليـــومِ يَنمِى حُبُّها ويَزِيدُ

فلمْ يَزالَا يتحادَثان[4] ، مايقولان هُجْرا ولا فُحْشا ؛ حتى التفَتَت التفاتةً ، فنظرتْ إلى الصُّبح ، فوَدّع كلٌّ واحد منهما صاحبَه أحسنَ وَداعٍ ماسمعتُ بمثله قطٌّ ،

(١) الأغانى : « منى » :
(٢) العيبة : وعاء من أدم يكون فيه المتاع .
(٣) الأغانى : « فاتزر » .
(٤) الأغانى : « يتحدثان » .

ثم انصرفا ، وقمتُ فمضيتُ إلى إبلي ، فاضطجعت ، وكلٌّ واحد منهما يمشي خَطْوةً ثم يَلتفت إلى صاحبه ، فجاء بعد ما أصبحنا ورَفع بُرْدَيه ، ثم قال : يا أخا بني تَميم ، حتّى متى تَنام ؟ فقمتُ وتوضّأت وصلّيت وحلبتُ إبلي وأعانني عليها ، وهو أظهرُ النّاس سرورا ، ثم دعوته إلى الغَداء فتغدّى ، ثم قام إلى عَيْبَتِه فافتتحها ؛ وإذا فيها السّلاح وبُرْدَانِ ممّا كستْه الملوك ، فأعطاني أحدَهما ، وقال : أما والله لو كان معي شيء ما ادّخرتُه عليك[1] ، وحدّثني بحديثه ، وانتسب لي ؛ فإذا هُوَ جَميل ، والمرأةُ بُثَيْنَة ، فقال لي : قد قلتُ أبياتًا في مُنْصَرَفي مِن عندِها ، فهل لكَ أن تأتِيهَا[2] فتُنْشِدَها ؟ فقلتُ : نعم ، فأنْشدني :

وما أنْسَ م الأشياء لا أَنْسَ قولَها   وقد قَرّبتْ نِضْوِى أمِصْرَ تُرِيد !

ثم ودّعني وانصرف ، ومكثتُ حتّى أخذَتِ الإبلُ مَراتِعها ، ثمّ عَمَدْتُ إلى دُهْن كان معي ، فدَهَنْت به رأسي ، ثم ارتَديْتُ بالبُرْدَين ، وأتيتُ المرأةَ فقلتُ : السلامُ عليكم ، إنّي جئتُ أمسِ طالبا ، واليومَ زائرا ، أفتأذَنُون ؟ قالت : نعم . فسمعتُ جُوَيْرِيَةً تقول : والله يا بُثَيْنة عليه بُرْدُ جَميل ، فجعلتُ أُثني على ضَيْفِي ، وأصِف[3] فَضْلَه . وقلتُ : إنّه ذَكَرَكِ[4] ، فهل أنت بارِزةٌ لي فأنظرَ إليك ؟ قالت : نعم .

فلَبِست ثيابَها ، وبرَزَتْ ، ثم دعتْ لي بمُطْرَف[5] ، ثم قالت : ياأخا بني تميم ،

---

(١) الأغاني : « عنك » .

(٢) الأغاني « إن رأيتها » .

(٣) الأغاني : « وأذكر » .

(٤) زاد في الأغاني بعدها : « فأحسن الذكر » .

(٥) المطرف : رداء من خز مربع ذو أعلام .

والله ما ثَوْباكَ هذان بمشتبِهَيْن ، ودَعَتْ بمَيْبَتِها ، وأخرجتْ لى مِلْحَفةً[١] مَرَوِيّةً مشبَعَةً من العُصْفُر .

ثم قالت : أقسمتُ عليك لتقومَنّ إلى كِسْرِ البيت ، وتَخلعَنَّ مِدرَعَتكَ[٢] ، ثم لتَبرُزَنّ[٣] بهذه الخِلْعة ، فهىَ ببُرْدِكَ أشبَه .

ففعلتُ ذلك ، وأخذتُ مِدْرَعَتى بيَدِى ، فوضعتُها إلى جانبى ، وأنشدتُها الأبيات ، فدمَعَتْ عيناها ، وتحدَّثْنا طويلا من النّهار .

ثم انصرفتُ إلى إبلى بمِلْحَفَةِ بُثينة وبُرْدِ جَميل ، ونظرةٍ مِن بُثَيْنة .

قال مَعبَد : فجزيتُ الشيخَ خَيْرا ، وانصرفتُ مِن عنده ، وأنا واللهِ أحسنُ الناسِ حالاً بنظرةٍ مِن الغَرِيض ، وأستماعٍ لغنائه ، وعلمٍ بحديث جَميلٍ وبُثَيْنَةَ ، فما سمعتُ[٤] قَطُّ زَوْجَين أحسنَ مِن جَميلٍ وبُثَينة ، ومِن الغريض ومِنّى .

وسَمِع الغَريضُ أصواتَ رُهْبانٍ باللّيل فى دَيْرٍ لهم ، فاستَحسَنَها ، فقال له بَعضُ مَن كان مَعَه : يا أبا يزيد ، صُغْ[٥] لنا فى هذا الصّوت لَحْنا ، فصاغ مِثلَه فى لَحنِه :

يا أمَّ بَكْرٍ حُبّكِ البادِى لا تَصْرِمِينى إنّنى غادِى
جَدَّ الرحيلُ وحَثَّنى صَحْبِى وأُريدُ إمْتاعاً مِن الزّادِ

رَوَى عَمرو بنُ عُقْبة المعروف بابن الماشِطة ، قال : خرجتُ أنا وأصحابٌ لى منهم ابن أبى عُقْبة[٦] هيثم إلى العَقِيق ، ومعنا رجلٌ ناسِكٌ كنّا نَحْتَشِم منه ، وكان

(١) الملحفة : اللباس الذى فوق اللباس من دثار البرد ونحوه ومروية : نسبة إلى مرو .
(٢) المدرعة : ضرب من الثياب ، ولا يكون إلا من صوف .
(٣) الأغانى : « ثم لتأتزرن » .
(٤) الأغانى : « فما سمعت ولا نظرت » .
(٥) الأغانى : « صنع على مثل هذا الصوت لحنا » .
(٦) الأغانى : « فيهم إبراهيم بن أبى الهيثم » .

محوما نائما ، ونحن نَهابُه ونَحتَشم منه ، فقلتُ له : إنّ فينا رَجُلا يُنشِد الشعرَ فيُحسِن ، ونحبّ أن نَسمَعه ؛ لكنّا نهابُه[1] .

قال : وما علىَّ منكم ! أنا محمومٌ نائم ، فاصنعوا مابدَا لكم ، فاندفع إبراهيمُ يُغنِّى :

يا أمَّ بَكْرٍ حُبُّكِ البادِى ... لا تَصْرِمِينى إنّنى غادِى

فأجادَه وحسَّنَه ، فوَثَب الناسكُ وجعل يرقُصُ ويَصِيح : أُريدُ إمْتاعاً من الزّاد ثم كَشَف عن أيْرِه ، وقال : أنا أَنِيكُ أمَّ الحَمَّى .

فكان يقول ابنُ الماشِطة لى : أَعتقْتُ ما أملِك إن كان ناكَ أمَّ الحمَّى أحدٌ قبلَه .

وكانت وفاةُ الغَرِيض فى أيّام سليمانَ بنِ عبدِ المَلك ـ أو عمرَ بنِ عبد العزيز ـ لم يَتجاوَزْها .

والأشبَه أنّه مات فى خلافة سليمانَ ؛ لأنّ الوليدَ كان ولَّى نافعَ بنَ علقمةَ مكّة ، فهرَب منه الغَرِيض ، فأقامَ باليَمَن واستوطَنها مدّة ، ثم مات بها .

قال أبو غسّان : إنّ نافع بنَ عَلْقمة لما وُلِّيَ مَكّة خافه الغَرِيضُ ، وكان كثيرا ما يَطلبُه فلا يَجيئه ، فهَرَب منه ، واستخفَى فى بعض منازلِ إخوانه ، فحدّثنى رجلٌ من أهل مكّة كان يَخدمُه ، إنه دَفَع إليه يوماً رَبْعةً[2] ، وقال : صِرْ بها إلى فلان العطّار يملؤها طِيبا .

قال: فصِرتُ بها إليه ، فلقيَنى نافع بنُ علقمة، قال : هذه رَبْعةُ الغَرِيض واللهِ ، فلَم أقدِرْ أن أكتمَه ، فقلتُ : نعم ، فقال : وما قصّتُه ؟ فأخبرتُه الخبرَ ، فضَحِك وقال : صِرْ معى إلى المنزل ، ففعلتُ فَملأَها طِيبا ، وأعطانى دنانيرَ ، وقال : أَعطِه

(١) الأغانى : « نهابك » .

(٢) كذا فى الأغانى ، وفى ب ج : « رقعة » .

إيّاها ، وقل له : يَظهَر فلا بأسَ عليه ، فصِرْتُ إليه مسرورا ، فأخبرتُه بذلك ، فجَزِع وقال : الآن ينبغى لى أن أَهرب ، إنّما هذه حيلةٌ احتالَها علىّ لأقَعَ فى يَدِه ، ثم خرج مِن وقتِه إلى اليَمَن ، فكان آخرَ العَهْد به .

ولما خرج إلى اليَمَن اجتاز به بعضُ أصحابِه فى سَفَرهم ، فلمّا رآهم بكى فقالوا له : ما يُبكيكَ ؟ قال : وكيف يَطيبُ لى أن أعيشَ بين قوم يرَوْننى أحمِل عُودِى فيقولون : يا هَناه[1] ، أتبيع مؤخرةَ[2] الرَّحْل .

فقالوا له : اِرجعْ إلى مكّة فبها أهلُك . فقال : إنّما كنتُ أستلذّ مكّة ، وأعيشُ بها مع إخوانى ، وقد أَوْطَنْتُ[3] هذا البلد ، فلستُ تارِكَه ما عشتُ .

قالوا له : فغَنِّنا بشىء من غِنائك ، فتأبَّى ، فأقسَموا عليه ، فأجابَ ؛ وعَمَدوا إلى شاةٍ فذَبحوها ، وخرطوا مِنْ مُصْرانِها أوتارا ، فشدَّها على عُودِه ، واندفع يغنّى فى شعر زُهَير :

جرَى دمعِى فهيَّجَ لى شُجونا ... فقلبِى يُستَجَنُّ به جُنونا
أأبكِى للفراقِ وكلُّ حَىٍّ ... سَيَبكى حين يَفترِقُ القرِينا[4]
فإن تُصبِح طُلَيحَةُ فارَقتْنى ... ببَيْنٍ فالرَّزِيّةُ أن تَبِينا
فقد بانتْ بكُرْهِى يومَ بانتْ ... مُفارِقةً وكنتُ بها ضَنِينا

فما سمعنا شيئاً أحسنَ منه ، فقالوا : اِرجع إلى مكّة ، فكلُّ مَن بها يشتاقُك ، ولم نزَلْ نُرَغِّبه فى ذلك حتى أجاب إليه ، ومضوا لحاجَتِهم ثم عادوا فوَجدوه عَليلا، فقالوا له : ما قِصَّتُك ؟ قال : جاءنى منذ ليالٍ قومٌ ، وكنتُ أُغَنّى فى الليل ، فقالوا :

---

(١) الهناه : كلمة يكنى بها عن اسم الإنسان ، وقد تزاد فى النداء الألف والهاء .

(٢) الأغانى : « آخرة الرحل » .

(٣) أوطنت : اتخذته وطنا .

(٤) الأغانى : « حين يفتقد » .

عَنّنا فأَنْكَرْتُهم وخِفْتُهم ، فجعلتُ أُغَنِّيهم ، فقال بعضُهم غَنّنى :

لقــد حثُّوا الجمال ليهْـ ... ـرُبُوا مِنّا فلم يَئِلُوا[1]

ففعلتُ ، فقام إلىّ واحد منهم ، فقال لى : أحسنتَ والله ! ودَقَّ رأسى حتى سقطتُ لا أدرى أين أنا؟ فقمتُ بعد ثلاثة أيّام وأنا عَليلٌ كما ترَوْن، فما أُرانى إلّا سأموت.

قال : فأَقَمْنا عنده بقيّة يومنا ، وماتَ مِن غدٍ ، فدفنّاه وانصرَفْنا .

وقال أبو غَسّان : زعم المكّيُّون أن الغَرِيض خرج إلى بلادِ عَكّ[2] ، فغَنّى ليْلا :

هُمُو رَكْبٌ لَقُوا رَكْباً ... كما قد تجمَعُ السُّبُلُ

فصاح صائح: اُكفُفْ يا مرْوان ، فقد سفَّهتَ حُلَماءَنا ، وأصبيْتَ[3] سُفهاءَنا! قال : وأصبَح مَيّتا .

ورَوَى أبو قَبِيل مَولًى لآلِ الغَرِيض ، قال : شهدتُ مجمَعا لآل الغريض ، إمّا عُرْسا أو خِتاناً ، فقيل له : تَغَنَّ ، فقال : هو ابنُ زانيةٍ إنْ فَعَل . فقال له بعضُ مَواليه : فأنتَ واللهِ كذلك ؛ قال: أوَ كذلك أنا! قال: نعم، قال: أنت أعلَم بى والله! ثم أخذ الدُّفَّ فرَمَى به ، ثم تَمَشَّى مِشْيَةً لم نرَ أحسنَ منها ، ثم تغَنَّى :

تَشَرَّبَ لَوْنَ الرّازِقِيِّ بياضُه ... أو الزّعفرانِ خالَطَ المِسْكَ رادِعُه[4]

فجعل يغنّيه مُقبِلا ومُدْبِرا ؛ حتى الْتَوَتْ عُنقه ، فخَرَّ صريعاً ، وما رَفَعْناه إلّا ميّتاً ، وظنَنّا أنّ فالِجًا عاجَله .

قال أبو مسكين : إنّما نَهتْه الجِنّ أن يغنّى هذا الصوتَ ، فلمّا أَغضَبه مَواليه تَغَنّاه ، فقتلَتْه الجِنّ .

---

(١) لم يئلوا : لم يجدوا موئلا وملجأ يعتصمون به .

(٢) عك : من قبائل اليمن .

(٣) أصبيت : دعوتهم إلى الصبا .

(٤) الرازقى : ثياب الكتان الأبيض .

ذكر عيسى طُوَيْس*

طُوَيْس : لَقَب غَلَب عليه ، واسمُه عيسى بنُ عبدِ الله ، وكنيتُه أبو عبدِ المنعم ، وغيَّرها المخنَّثون . فجعلوها : أبا عبد النَّعيم ، وهو مولَى بنى مخزوم .

وقال جماعة : هو أوّل من غَنَّى بالعربيّة بالمدينة ، وهو أوّل من ألقى الخَنَث بها .

وكان طويلا أحوَلَ ، وكان لا يَضرِب بالعُود ؛ وإنّمـــا ينقُر بالدُّفّ ، وكان ظريفا عالما بأمر المدينة وأَنْسابِ أهلِها ، وكان يُتَّقَى للسانه .

وسئل عن مولِده ، فذَكر أنه وُلِد يوم قُبِض النبيّ صلّى الله عليه وسلّم ، وفُطِم يومَ مات أبو بكر ، وخُـتِن يومَ قُتِل عمر ، وزُوِّج يومَ قُتِل عثمان ، وولدله يوم قُتِل علىّ بن أبى طالب .

وقيل : إنّه وُلِد له يومَ مات الحَسَن بنُ علىّ رضى الله عنهما .

وكانت أمه تَمشى بين نساء الأنصار بالنّميمة .

قال صالح بنُ حسّانَ الأنصارىّ : اجتَمَع يوما جماعةٌ بالمدينة يتذاكرون أمرَ المدينة ، إلى أن ذَكَروا طُوَيساً ، فقالوا : كان وكان . . . ، فقال رجـــل : أمَا لو شاهدتُموه لرأيتمْ ما تُسَرّون به ؛ عِلْما وظَرْفا ، وحُسنَ غِناء ، وجودةَ نَقْرٍ بالدُّفّ ، ويُضحِك كلَّ ثَـكْلَى حَرَّى .

فقال بعض القوم : إنّه والله مشئوم ، وذَكَر مَولِدَه ، فقال : إنّه وُلِد يومَ مات النبىُّ صلّى الله عليه وسلّم ، وفُطِم يوم مات صِدِّيقُنا ، وخُـتِن يومَ قُتِل فارُوقُنا ، وزُوِّج يومَ قُتِل نورُنا، ووُلِد له يومَ قُتِل أخو[1] نبيِّنا صلّى الله عليه وسلّم .

---

* الأغانى ٣ : ٢٧ ـ ٤٤

(١) نورنا ، يريد عثمان بن عفان ، وكان يلقب ذا النورين .

وكان مع هذا مخنَّثا ، ويطْلُب عثَراتِنا ، وكان مُفرِطا فى طُوله، مضطربا فى خَلْقه، أحْوَل فقال رجل من جِلّةِ أهلِ المجلس: إن كان كما قلتَ ، لقد كان مُمتِعاً فَهِماً، يُحسِن رعايةَ مَن حَفِظ له حَقَّ المجالسةَ ، ورعايةَ حرمةِ الخدْمة ، وكان لا يَحمِل قولَ مَن لا يَرعَى له بعضَ ما يرعاه له .

ولقد كان معظِّما لموَاليه بنى مخزوم ومن والاهُم من سائر قُرَيش ، ومسالمًا لمن سالَمَهم ، ومعادِياً لمن عاداهم دون التَّحكِيكِ به ، وما يُلامُ مَن قال بعِلْم ، والظّالم المَلُوم ، والبادئُ أظلَم .

وقال رجلٌ آخر : كان كما قلتَ ، لقد رأيتُ قريشا يكتَنفونه ، ويُحدقون به ، ويُحبُّون مجالستَه ، ويُنصِتون إلى حديثه ، ويتمنَّوْن غِناءه ، وما وضَعَه شىءٌ إلّا خَنَثُه ، ولولا ذلك ما بقى رجلٌ من قريش والأنصار وغيرهم إلّا أدناه .

وقال سِياط : أوّل من تغَنَّى بالمدينة بغناءٍ يَدخُل فى الإيقاع[1] طُوَيس ، ووُلِد وهو ذاهبُ العَيْن اليُمنَى ، وكان يلقَّب بالذائب ؛ لأنّه غنَّى :

قَدْ بَرانى الحبُّ حــتّى ... كِدْتُ من وَجْدِى أذُوبُ

قال هِيتُ لعبدِالله بنِ أبى أميّة : إن فتَح الله عليكم الطائفَ . فسَل النبىَّ صلّى الله عليه وسلّم باديةَ بنتِ غَيْلان بنِ سَلَمة بن مُعَتِّب فإنّها هَيْفاء شَمُوعٌ[2] نَجْلاء ، إن تـكلّمتْ تغنّت ، وإن قامت تثَنّت ، تُقبِل بأَرْبع ، وتُدْبِر بثمانٍ[3] ، بثغرٍ[4] كأنّه الأُقْحُوان ، وبين رِجْلَيها كالإناء المَكْفُوء ، كما قال قيسُ بنُ الخطِيم :

---

(١) الإيقاع : بناء ألحان الغناء على موقعها وميزانها .

(٢) الشموع : اللعوب الضحوك .

(٣) يريد أن عكن بطنها إذا أقبلت أربع ، وإذا أدبرت ثمان .

(٤) الأغانى : « مع ثغر » .

تغْتَرِقُ الطَّرفَ وهى لاهِيَةٌ   كأنّما شَفَّ وجهَهــا نُزُفُ[1]

بين شُكُولِ النِّساء خِلْقَتُها   حَذْوٌ فــلا جَبْلَةٌ ولا قَضَفُ

فقال النبيّ صلّى الله عليه وسلّم : لقد غَلغلتَ النظر ياعَدُوَّالله ، ثم جَلَاه عن المدينة إلى الحِمَى ، ولمّا فُتِحت الطائفُ تزوّجها عبد الله[2] بنُ عوْف ، فولدت له بُرَيْهَـة ، فلم يزل هِيتٌ بذلك المـكانِ حتى قُبِض رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم ، فلمّا ولى أبو بكر ، كُلِّم فيه ، فأَبَى أن يَرُدَّه . فلما ولىَ عمرُ كُلِّم فيه ، فأبى أن يردّه ، وقال : إن رأيتُه ضربتُ عنقَه .

فلما ولّى عثمانُ كُلِّم فيه فأَبَى أن يردّه ، فقيل له : قد كَبِر وضَعُف واحتاج ؛ فأَذِن له أن يدخل فى كلّ جمعة ، فيسلّمَ[3] ويَرجِع إلى مكانه .

وكان هِيتٌ مولًى لعبد الله بنِ أبى أميّة بن المُغيرة المَخْزومىّ ، وكان طُوَيْس جالسا يوما فى مجلس فيه ولدٌ لعبد الله بنِ أبى أميّة ، فغنَّى :

* تَغْتَرِقُ الطرفَ وهى لاهيَــةٌ *

فأُشيرَ إلى طُوَيس أن اُسكت . قال : فقال : والله ما قيل هذان البيتان فى ابنة غَيْلانَ بنِ سَلَمة ، وإنّما هذا مَثَلٌ ضَرَبه هِيتٌ فى أمّ بُرَيْهة ، ثم التفت إلى ابن عبد الله فقال : يابن الطّاهر، هل وَجَدْتَ علىّ فى نفسك ؟ أُقسِم بالله قسَما حقّا لا أُغنِّى بهذا الشعر أبدا .

قال المَدائنىّ : حُدِّثتُ أنّ طويسا تَبِع جارية فراوغَتْهُ ، فلم ينقطع عنها ، فخَبَّتْ[4]

---

(١) تغترق الطرف ، أى تغترق الناظرين إليها ؛ أى تشغلهم بالنظر إليها عن النظر إلى غيرها لحسنها .

(٢) كذا فى ب ، ج ، وفى الأغانى : « عبد الرحمن » .

(٣) الأغانى : « فيسأل » .

(٤) حثت : أسرعت . وفى الأغانى : « نجبت » ، والخبب : ضرب من السير أيضا .

فى المَشْى فلَم ينقطعْ عنها ، فلمّا جـازت بمجلسٍ وقفتْ ، ثمّ قالت : يا هؤلاء ، لى صديقٌ ، ولى زوجٌ ومولًى ينـكحوننى(١) ، فسَلُوا هذا مايريد منى ؟ فقال : أُضَيِّق ما وَسَّعُوه .

وكان طُوَيْس مُولَعاً بالشِّعر الّذى قالته الأَوْس والَخزْرج فى حروبهم ، وكان يريد بذلك الإغراء فقَلَّ مجلسٌ اجتَمَع فيه هذان الحَيّان فغَنَّى طُوَيْس فيه إلّا وقع فيه شَرٌ(٢) ، فنُهِى عن ذلك ، فقال : والله لا تركتُ الغِناءَ بشِعر الأنصار حتّى يُوسِّدُونى فى التُّراب؛ وذلك لـكثرة تولُّـع القومِ به ، فـكان يبدى السّرائر ، ويُخرِج الضغائن .

وكان القوم يَتشاءمون به ، وكان يُستحسَن غِناؤه ولا يُصبَر عن حديثه .

وقد ذكر أبو الفرج هنا قَتْلَ مالكِ بن العَجْلان ، وطلب مالكٍ لسُمَيْر(٣) وما جرَى بينهما ، وقد تقدّم ذكرُنا له فى ترجمةِ قيسِ بنِ الَخطِيم ، فلَم نَختَرْ إعادتَه هنا .

---

(١) الأغانى : « ينكحنى » .

(٢) الأغانى : « شىء » .

(٣) هو سمير بن يزيد بن مالك ، رجل من الأوس ، ثم أحـد بنى عمرو بن عوف . وانظر القصة برمتها فى الأغانى ٣ : ٤٠ (طبعة دار الـكتب) .

ذكر عُروةَ بنِ الوَرْد*

هو عُروةُ بنُ الوَرْد بن زيد ـ وقيل : ابن عَمرو ـ بن زيد بن عبد الله بن ناشب ابن هريم بن لُدَيْم بن عوذ بن غالب بن قُطيعة بن عَبْس بن بَغيض بن رَيْث بن غَطَفان ابن سعد بن قَيْس بن عَيْلان بن مُضَر بن نزار .

شاعر من شعراء الجاهليّة ، وفارسٌ من فُرْسانِها ، وصُعْلوكٌ من صَعاليكها المعدودين المقدَّمين الأجواد .

وكان يلقَّب عروة الصَّعاليك؛ لجمعِهِ إيّاهم، وقيامِه بأمورهم إذا أخفقوا في غزَواتهم، ولم يكن لهم مَعايِشُ(1) ولا مَغْزًى .

وقيل : لقِّب عروةَ الصَّعاليك لقوله :

لَحَى اللهُ صُعْلوكاً إذا جَنَّ ليلُه ... مَضَى في المُشاشِ آلِفاً كلَّ مَجزِرِ (2)

يَعُدُّ الغِنَى مِن دَهرِه كلَّ ليلةٍ ... أصابَ قِراها من صديقٍ مُيسَّرِ (3)

ولله صُعْلوكٌ صحيفةُ وَجْهِـهِ ... كضوءِ شِهابِ القابِس المتنوِّرِ

قال عمرُ بنُ شَبّة : بلغَني أنّ معاوية قال : لو كان لعروة بنِ الورْد ولدٌ لأَحببتُ أن أتزوَّجَ إليهم .

---

* ترجمته في الأغاني ٣ : ٧٣ ـ ٨٨ (طبعة دار الكتب) .

(١) الأغاني : « معـاش » .

(٢) المشاش : رءوس العظام اللينة . والمجزر : الموضع الذى تجزر فيه الإبل . وفى الأغانى . « مصافى المشاش » ، وأثبتنا ما فى الأصول والديوان .

(٣) يقول : إذا ملأ ذلك الصعلوك بطنه عد ذلك غنى كل الغنى ، ولم يبال بعد ذلك ما وراءه من عياله وذوى قرابته . والميسر : الذى قد أقبل خير شأنه ؛ يقال : قد يسرت شاؤه .

وقال : بلغني أنّ عمرَ بنَ الخطّاب قال للحطيئة : كم(١) كنتمْ في حَربكم ؟ قال : كنّا ألفَ حازِم . قال : وكيف ؟ قال : كان فينا قيسُ بنُ زُهَير ، وكان حازماً ، وكنّا لا نَعصيه ، وكنّا نُقْدِم إقدامَ عَنْترةَ ، ونَنْقاد لأمرِ الرّبيع بنِ زياد ، ونأتمُّ بشِعر عروةَ بنِ الورد .

حدّث معنُ بنُ عيسى قال : سمعتُ أنّ عبدَ الله بنَ جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه قال لمعلّمِ ولدِه : لا تروِّهمْ قصيدةَ عروةَ بنِ الوَرْد الّتي يقول فيها :

دَعِيني للغِنَى أَسْعَى فإنّي ... رأيتُ الناسَ شرّهم الفَقيرُ

ويقول : إنّ هذا يَدْعوهم إلى الأغتراب عن أوطانهم في طلَبِ الغِنى ، وكان النبيُّ صلّى الله عليه وسلّم قد جَلّاه مع من جَلَا من بني النضير .

وذكر أبوعمرو الشّيباني أنّ عُروةَ بنَ الوَرْد أصاب أمرأةً من بني كنانة بِكْرا ، يقال لها : سَلْمَى ، وتكنَى أمَّ وَهْب ، فأعتقَها واتّخذها لنفسه ، فمكثتْ عنده بضعَ عشرةَ سنة ، وولدتْ له أولادا ، وهو لا يشكّ أنها أرغبُ الناسِ فيه ، وهي تقول له : لو حَجَجْت فأمرَّ على أهلي وأراهُمْ ! فحجّ بها ، وأتى مكّة ، ثم أتى المدينة .

وكان يُخالط بني النَّضير من يَثرِب ، فيُقرِضونه إذا أحتاج ويُبايِعُهم(٢) إذا غَنِم ، وكان قومُها يخالطون بني النَّضير ، فأتَوْهم وهو عندهم ، فقالت لهم سَلْمَى : إنه خارجٌ بي قبل أن يخرُجَ الشهرُ الحرام ، فتعَالَوْا إليه ، فأخْبِروه أنكم تستحْيون أن تكون امرأةٌ منكم معروفةُ النّسب ، صَرِيحتُه(٣) سبِيّة ، وأفتدُوني منه ، فإنه لا يرَى أن أفارقه

---

(١) الأغاني : « كيف » .

(٢) يبايعهم : يعقد معهم البيع .

(٣) في الأغاني : « صحيحته » .

ولا أختار عليه أحدا ، فأتوه فسقوه الشراب ، فلمّا ثمل قالوا له : فادنا بصاحبتنا فإنّها وسيطة[1] النّسب فينا معروفة ، وإنّ علينا سُبّةً أن تكون سبيّة، فإذا صارت إلينا وأردت معاودتها فاخطبها إلينا ، فإنّا ننكحك .

فقال لهم : ذاك لكم ، ولكن لي الشرط فيها أن تخيّروها ، فإن اختارتني انطلقت معي إلى ولدها ، وإن اختارتكم انطلقتم بها .

قالوا : ذلك لك ، قال : دعوني أَلْهُ بها اللّيلة وأُفادها[2] غدا . فلمّا كان الغد ، جاءوه فامتنع من فدائها ، فقالوا : قد فاديتها[3] منذ البارحة ، وشهد عليه جماعة ممّن حضر ، فلم يقدر على الامتناع وفادها ، فلما فادوه بها خيّروها ، فاختارت أهلها ، ثم أقبلت عليه فقالت : ياعروة ، أما إنّى أقول ـ وإن فارقتك ـ الحقّ ، والله ما أعلم امرأةً من العرب ألقت سترها على بعل خير منك ، وأغضّ طرفاً ، وأقلّ فحشا ، وأجود يداً ، وأحمى لحقيقة[4] ؛ وما مرّ عليّ يومٌ منذ كنت عندك إلاّ والموت فيه أحبُّ إليّ من الحياة بين قومك ! لأنى لم أكن أشاء أسمع امرأةً من قومك تقول : قالت أَمَةُ عروة كذا، فوالله لا أنظر في وجه غطفانيّة أبدا ، فارجع راشداً إلى ولدك، وأحسن إليهم ؛ فقال عروة فيها أبياته التى فيها :

سقوني الخمر ثمّ تكنّفوني عُداةَ الله من كذبٍ وزُورِ
وقالوا لستَ بعدَ فِداءِ سَلْمَى بمُغْنٍ ما لدَيْك ولا فَقِـيرِ

وأوّلها :

أرِقتُ وصُحْبتي بمَضيقِ عُمْقٍ لبرقٍ من تِهامَةَ مستطيرِ[5]

---

(١) وسيطة النسب : حسيبة فى قومها .

(٢) كذا فى الأغانى ، وفى ب ، ج : « وأفاديها » .

(٣) الأغانى « فاديتنا » .

(٤) الحقيقة : ما يجب على الرجل أن يحميه .

(٥) عمق : موضع قرب المدينة من بلاد مزينة .

سَقَى سَلْمَى وأينَ دِيارُ سَلْمَى إذا كانت مُجـاوِرةَ السَّرير(١)

وقيل : إنّ قومَها أغْلَوْا الفِداءَ فيها ، وكان معه طَلْقٌ جُبار وأخوه وأبنُ عمّه ، فقالا له : والله لئن تَقبل ما أعطَوْك لا تَفتقر أبدا ، وأنتَ على النِّساء قادر متَى شئت . وكان قدسَكِرَ ، فأجاب إلى فِدائها، فلمّا صحاَ نَدِم ، فَشَهِدُوا عليه بِفدائها فلم يَقدِر على الأمتناع .

وجاءت سَلْمَى تُثْنِى عليه ، فقالت : والله إنّك ما علمتَ لضَحُوكٌ مُقبلًا ، كَسوبٌ مُدْبِراً ، خفيفٌ على مَتْن الفرَس ، ثقيلٌ على مَتْن العدوّ، طويلُ العِماد ، كثيرُ الرَّماد . فأستَوْصِ ببنيك .

[ثمّ فارقَتْه](٢) وتزوّجها رجلٌ من بنى عَمِّها ، فقال لها يومامن الأيّام: ياسَلْمَى أَثْنِى علىَّ كما أَثْنَيْتِ على عُرْوةَ، وقد كان قولُها فيه شُهِرَ، فقالت له : لاتـكلِّفْنى ذلك.

فقال : عَزَمْتُ لتَأْتِينِّى فى مجلِسى(٣) فلَتُثْنِينّ علىّ بما تَعلَمين . وخرج فجلس فى نادى قومِه ، وأقبلتْ فرماها الناسُ بأبصارِهم ، فوقفتْ عليهم وقالت : أنعِمُوا صَباحا؛ إنّ هذا عَزَم علىَّ أن أُثْنِيَ عليه بما أَعلَم ، ثم أَقبلتْ عليه فقالت : واللهِ إنّ شِمْلَتَكَ لَالْتِحاف ، وإنّ شُرْبَكَ لَاشتفاف(٤) ؛ وإنّك لَتنامُ ليلةَ تَخاف ، وتَشبَع ليلةَ تُضاف ، وما تُرضِى الأهلَ ولا الجار(٥) .

ثم أنصرفتْ فلامَه قومُه ، وقالوا : ما كان أغناك عن هذا القولِ منها .

---

(١) السرير : موضع ذكره ياقوت ، وفى ب ، ج « السدير » ، والصواب ما أثبته من الأغانى .

(٢) تكملة من الأغانى .

(٣) الأغانى : « فى مجلس قومى » .

(٤) الاشتفاف : شرب كل ما فى الإناء .

(٥) الأغانى : « ولا الجانب » .

وقال أبو قَقْمَس : كان عروةُ بنُ الوَرْد إذا أصابت الناسَ سَنَةٌ شديدة ، تركوا في ديارهم المريضَ والكبيرَ والضّعيف ، وكان عروة يجمع أشباهَ هؤلاء مِن دون الناسِ مِن عشيرته في الشّدّة ، ثم يَحفِر لهم الأسْراب ، ويَكْنُف عليهم الكُنُف[1] ، ويَسُلُّهم[2] فمن قَوِيَ منهم خرج به معه ، فأغارَ ، وجعل لأصحابه الباقين في ذلك نصيبا ، فإذا أخصَب الناسُ أَلحقَ كلَّ إنسانٍ بأهله ، وقَسَم له نصيبَه مِن غَنيمته ؛ فربّما أتى الإنسان أهلَه وقد استغنَى ؛ فلذلك سمِّيَ عُروةَ الصَّعاليك ؛ فقال في بعض السِّنين ، وقد ضاقتْ حالُه :

لعلّ ارتيادِي في البلادِ وبُغيَتي ... وشَدِّي حَيازيمَ المطيّةِ بالرَّحْلِ
سَيَدْفَعُني يوماً إلى رَبِّ هَجْمةٍ ... يُدافِعُ عنها بالعُقُوقِ وبالبُخْلِ[3]

فزعموا أن الله عزّ وجل قَيَّضَ له ـ وهو مع قوم من عشيرته في شتاءٍ شديد ـ ناقتَيْن دَهْماوَيْن ، فنَحَر لهم إحداهما ، وحَمَل متاعَهم وضُعَفاءَهم على الأخرى ، وجعَل ينتقّل بهم من مكان إلى مكان ، فنَزَل بهم ماءً يقال له : ماوَان[4] .

ثم إن الله عزّ وجلّ قيّضَ له رجلا صاحبَ مائةٍ من الإبل ، قد فَرَّ بها من حقوقِ قومه ؛ وذلك أوّل ما ألْبَنَ الناسُ ـ فقتَله ، وأخذ إبلَه وامرأتَه ، وكانت من أحسَن الناس[5] ، فأتَى بالإبلِ أصحابَ الكَنيف فحَلَبَها لهم ، وحَمَلهم عليها ؛ حتّى إذا دَنَوْا من عشيرتهم أقبَل يَقسِمها بينهم ، فيأخذ مثلَ نصيب أحدهم ، فقالوا له : واللاّتِ والعُزّى لا نَرضَى حتّى تجعل المرأةَ نصيبا لمن[6] أخَذَها ، فجَعَل يَهُمُّ أن يَحمِل

(١) يكنف عليهم الكنف ؛ أي يتخذ لهم حظائر يؤويهم إليها ، واحدها كنيف .

(٢) الأغاني : « ويكسبهم » .

(٣) الهجمة من الإبل : ما بين السبعين إلى المائة ، فإذا بلغت المائة فهي هنيدة .

(٤) ماوان : قرية في أودية الفلاة من أرض اليمامة .

(٥) الأغاني : « النساء » .

(٦) الأغاني : « فمن شاء أخذها » .

عليهم ليقتلَهم ، وينتزِعَ الإبلَ منهم، ثم ذكر أنهم صنائعه[١] وأنه إنْ فعَل ذلك أفسَد ما كان يَصنَع ؛ فأفكَر طويلا ، ثم أجابهم إلى أن يَرُدَّ عليهم الإبلَ إلاّ راحلةً يَحمِلُ عليها المرأةَ حتى يَلحَق بأهلِه ، فأبَوْا عليه حتّى انتَدبَ رجلًا منهم ، فجعل له راحلةً من نَصيبِه ؛ فقال عروةُ فى ذلك قصيدتَه التى منها :

ألاَ إنّ أصحابَ الكَنيف وجدتُهمْ   كما النّاس لمّا أَمْرعــوا وتَموَّلُوا
فإنّى لمدفوعٌ إلىَّ ولاؤُهمْ   بِمـا وانَ إذ نَمشِى وإذْ نتَململُ

وكان عروة قد سَبَى امرأةً من بنى هِلال بنِ عامر بنِ صَعْصعَة ، يقال لها : لَيلَى بنتُ شَعْواء ، فمكثتْ عنده زمانا وهى معجَبةٌ به ، تُرِيه أنّها تُحِبّه ثم استزارتْه أهلَها ، فحملَها حتّى أتاهم .

فلمّا أرادالرجوعَ أبتْ أن تَرجِع معه ، وتوعَّدَه قومُها بالقَتْل، فانصرَف عنهم، وأَقبَـل عليها وقال لها : يا لَيلَى ، خَبِّرى صاحِباتِك[٢] عنّى كيف أنا ؟ فقالت : ما أَرَى لك عَقْلا ، أتُرانى قد اخترتُ عليك ، وتقول : خبِّرى عنّى ؟ فقال فى ذلك :

تَحِنُّ إلى لَيـلَى بحُرِّ بلادِها   وأنتَ عليها بالمَلاَ كنتَ أقدَرا[٣]
وكيف تُرَجِّيها وقد حِيلَ دونَها   وقد جاوزتْ حَيًّا بتَيْمَنَ مُنكَرا[٤]
لعلّك يوماً أن تُسرِّى ندامــةً   علىَّ بما جشّمتَنى يومَ غَضْوَرا[٥]

ثم إنّ بنى عامر أخذوا امرأة من بنى عَبْس ، ثم من بنى سُكَيْن ، يقال لها :

---

(١) الأغانى: « صنيعته » .
(٢) كذا فى ب ، ج ، وفى الأغانى : « صواحبك » .
(٣) حر بلادها : أكرمها ووسطها . المـلا : الأرض الواسعة الملساء التى لا جبل فيها ولا شجر ؛ وهى هنا موضع .
(٤) الأغانى : « بتيماء » ، وتيماء وتيمن : موضعان .
(٥) تسرى : تكشف . وغضور : مدينة فيما بين المدينة إلى خزاعة وكنانة .

أَسْماء ، فما لبثتْ عندَهم إلاّ يوما واحدا حتى أُستنقَذَها قومُها ، فبلغ عروةَ بنَ الورد أن عامرَ بنَ الطُّفَيل فَخَر بذلك ، وذكر أَخْذَه إيّاها ، فقال عروةُ يعيّرهم بأَخْذِه لَيلَى بنت شَعْواء الهلاليّة :

إنْ تَأخُذُوا أسماءَ مَوقِفَ ساعةٍ ... فمأْخَذُ لَيلَى وهى عَذْراءُ أعجَبُ

لبِسْنا زماناً حُسنَها وشَبابَهــا ... ورُدَّتْ إلى شَعْواءَ والرأسُ أَشْيَبُ

دَخَل ثُمامةُ بنُ الوليدِ على المنصور ، فقال : يا ثُمامة ، أتحفَظُ حديثَ ابنِ عمِّك عُروةَ الصَّعاليك ، ابن الوَرْدِ العَبْسِيّ ؟ قال : أيُّ حديثٍ يا أميرَ المؤمنين ؟ فقد كان كثيرَ الحديث حَسَنَه ؛ قال : حديثه مع الهُذَليّ الّذى أخَذَ فرسَه ؛ قال : مايَحضُرنى ذلك فأَرْوِيَه .

فقال المنصور : خرج عُروةُ حتّى دنا من مَنازِل هُذَيل ، فكان منها على نحوِ مِيلَين ، فإذا هو بأرْنَب فرماها ، ثم أَوْرَى نارًا فشواها وأَكَلها ، ودَفَن النارَ على مقدارِ ثلاثةِ أذرُع ، وقد ذهب اللّيلُ ، وغارت النجوم ، ثم أَتَى سَرْحَــةً[1] فصعِدها ، وتخوَّف الطَّلَب ، فلمّا تغيَّب فيها إذا الخيلُ قد جاءت ، وتخوَّفوا البَياتَ[2] .

قال : فجاء جماعةٌ معهم رجلٌ على فَرَس ، فجاء حتّى رَكَزَ رُمحَه فى موضع النار ، وقال : لقد رأيتُ النارَ هاهنا ، فنزَل رجلٌ ؛ فحفَر قدرَ ذِراع فلَم يجِد شيئًا ، فركِبَ القومُ[3] يَعذُلونه ويَعيبون أمرَه ، ويقولون : عَنَّيْتَنا فى مِثل هذه اللّيلة القَرّة ، وزعمتَ لنا شيئًا كذَبتَ فيه .

---

(١) السرحة : واحدة السرح ؛ وهو شجر كبار عظام لا ترعى ؛ وإنما يستظل به .

(٢) البيات : الإيقاع بالقوم ليلا دون أن يعلموا .

(٣) الأغانى : فأكب القوم على الرجل .

فقال : ما كذبتُ ، ولقد رأيتُ النارَ فى موضع رُمْحى . فقالوا : مارأيتَ شيئا ؛ ولكن تحذْلُقُك(١) هو الذى حملك على هذا ، وما نَعْجب إلاّ لأنفسنا حينَ أطعْنا أمرَك .

ولم يزالوا بالرّجل حتّى رجع ، واتَّبَعهم عروةُ بنُ الورد ، وكَمِن(٢) فى كِسْر بيت ، وجاء الرجل إلى امرأته ، وقد خالفَه إليها عبدٌ أسوَد ، وعروةُ ينظر ، فأتاها العبدُ بعُلْبة فيها لبَن ، فقال : اِشربى . فقالت : لا أو تَبْدأ ، فبدَأ الأسوَد فشرِب .

فقالت للرجل حين جاء : لعن اللهُ صَلَفَك(٣) ، عنيْتَ(٤) قومَك منذ اللّيلة ! قال : لقد رأيتُ نارا ، ثم دعا بالعُلْبة ليَشرَب ، فقال حين ذهب ليَكرَع : رِيحُ رجُل وربِّ الكَعْبة !

فقالت المرأة : وهذه أخرى ، أىُّ رِيح رجل تجده فى إنائك غيرَ رِيحك ! ثم صاحت ، فجاء قومُها فأخبرتْهم خبَره ، ثم قالت : يتهمُنى ويظنُّ بىَ الظُّنون ! فأقبَلوا عليه حتى رَجَع عن قوله .

فقال عُروة : هذه ثانية . ثم أَوَى الرجلُ إلى فِراشه ؛ فوثَب عروةُ إلى الفرَس ، وهو يريد أن يذهب به ؛ فضرب الفرسُ بيَدِه ، وتحرّك فرجَعَ عروةُ إلى موضعه ، ووثب الرجلُ فقال : ما كنتَ تكذِبُنى ، فما لَك ؟ فأقبلتْ عليه امرأتُه لَوْماً وعَذْلا .

قال : فصنَع عروةُ كذلك ثلاثا ، والفرس تمنَعه ، وتلك حالُ الرَّجُل ، ثم أوَى إلى فِراشه ، وضَجِر من كثرة قيامِه ، وقال : لا أقوم إليكَ اللّيلة .

---

(١) التحذلق : إظهار الحذق .

(٢) كمن : استخفى ؛ وكسر البيت : جانبه .

(٣) الصلف : مجاوزة الرجل قدره .

(٤) عنيت قومك : أتعبتهم .

وأتاه عُروةُ ، فجالَ فى مَتْنِه[1] يقول : الحقِى فإنـَّكِ من نَسْلِه ، قال : فلمّا انقَطَع عن البيوت قال : أيُّها الرجل ، قِفْ ؛ فإنـَّكَ لو عرفتَنى لم تُقدِم علىَّ ، أنا عروةُ بنُ الورد ، وقد رأيتُ منكَ الليلةَ عَجَبا ، فأخبرْنى به وأردَّ عليكَ[2] فرسَك .

قال : وما هو ؟ قال : جئتَ مع قومك حتى ركزْتَ رُمحَك فى موضع نارٍ قد كنتُ أوقدْتُها ، فثنَوْكَ عن ذلك ، فاُثنَيْتَ وقد صدَقتَ ؛ فاُتبعتُك حتى أتيتَ بيتَك ، وبين منزلِك وبين النارِ ميلان فأبصرتَها منهما ، ثم شَممتَ رائحة رجل فى إنائك ، وقد رأيتُ الرجلَ حين آثرتْه زوجتُك بالإناء وهو عبدُكَ الأسوَد ، وأظنّ بينهما مالا تُحِبّ ، فقلتَ : ريحُ رجـلٍ ؛ فلَم تزلْ تَثْنِيك عن ذلك حتى اُثنَيْتَ ، ثم خرجتُ إلى فرسكَ فأردتُه ؛ فاُضطرَب إلى أن ضَجِرت ، فأضربتَ عنه .

فرأيتُك فى هذه الخِصَال كاملا ، ولـكنّك تَنْثَنى وترجِع ؛ فضَحِك ، وقال : ذلك لأَخْوال السَّوْء ، والذى رأيتَ من صَرامتى فهى مِن قِبَل أعمامى ، وهم هُذَيل ، وما رأيتَ من كَماعَتى[3] ، فهى من قِبَل أخوالى وهم بطنٌ من خُزاعة ، والمرأةُ الّتى رأيتَ امرأةٌ منهم ، وأنا نازلٌ فيهم وذلك ما يَثْنِينى عن أشيـاءَ كثيرة ، وأنا لاحقٌ بقَوْمى ، وخارجٌ عن أَخْوالى ، ومُخَلٍّ سبيلَ المرأة ؛ ولولا ما رأيتَ من كَماعتى لم يَقوَ على مُناواَةِ قومِى أحدٌ من العرَب .

فقال عُروة : خُذْ فرسَك ، وامض راشدا .

فقال : ما كنت لآخذَه منك ، فعندى من نَسْلِه جماعةٌ ، فخذه مُبارَكا لكَ فيه .

---

(١) كذا فى ب ، ج ؛ وفى الأغانى : « فجال » .

(٢) الأغانى : « إليك » .

(٣) الـكماعة : الجبن والضعف .

ثم قال المنصور : أفلا أحدّثك بحديثٍ هو أظرفُ مِن هـذا ؟ قال : بلى يا أميرَ المؤمنين . فإنّ الحديث إذا جاءَ منكَ كان له فضلٌ على غيرِه . قال : خرج عروةُ وأصحابُه حتّى نزل ماوَانَ ، فأنزَل أصحابَه وكَنَفَ عليهم كَنِيفا من الشَّجر ، وهم أصحابُ الكَنِيف الّذى سمعتَه يقول فيهم :

ألا إنّ أصحابَ الكَنِيفِ وجدتُهمْ ... كما النّاس لمّا أمرَعُوا وتموَّلُوا

وفى هذه الغَزاة يقول :

ألا إنّ أصحابَ الكَنِيفِ تروَّحُوا ... عشيّةَ بِتْنا عِندَ مَاوانَ رُزَّحِ (١)

لِيَبْلُغَ عُـذْراً أو يَنالَ غَنيمةً ... ومُبلِغُ نَفْسٍ عُذْرَها مِثْلُ مُنْجِحِ (٢)

ثم مضى يبتغِى لهم شيئا ، وقد جُهِدوا ، فإذا هو بأبياتٍ شَعَرٍ وامرأةٍ ، قد خَلَا سِنُّها ، وشيخٍ كبيرٍ كالجِلْدِ(٣) المُلْقَى ، فكَمِن فى كِسْرِ بيتٍ منها ، وقد أجدَبَ الناسُ ، وهلَكَت الماشية ، فإذا هو فى البيت بسُحورِ ثلاثةٍ مشويّة — والسُّحُور : الحُلْقوم بما فيه — والبيتُ خالٍ ، فأكَلها وقد مكثَ قبلَ ذلك يومَيْن لا يأكل شيئا ، فأشبعتْه وقوِىَ ، فقال : لا أبالِى بمن لقيتُ بعدَها ، ونظرتِ المرأةُ فظنّت الكَلبَ أكَلها .

فقالت للكَلب : أفَعَلْتَها ياخبيثُ! وطردَتْه ؛ فإنّه لكذلك إذا هو عند المساء بإبلٍ قد أقبَلَتْ ، وقد مَلأَتِ الأُفُق ، وإذا هى تَلتفِتُ فَرَقًا ، فعلمتْ أنّ راعيَها جَلْدٌ شديدُ الضَّرْب لها ، فلما أتت المُناخَ بركَتْ ، ومكث الراعى قليلا ، ثم أتى ناقةً منها فمَرَى(٤) أخلافَها ، ثم وَضع العُلْبة على ركبتيه وحلَبَ حتّى ملأها ، ثم أتى الشيخَ

---

(١) رزح : جمع رازح ؛ وهو الهالك هزالا .

(٢) الأغانى : « أو يصيب غنيمة » .

(٣) الأغانى : « كالحقاء » ، والحقاء : الإزار .

(٤) مرى أخلافها : مسح ضرعها لتدر .

فسَقاه ، ثم أَتى ناقةً أُخرى فَفَعَل بها كذلك ، وسَقَى العَجوز ، ثم أَتَى ناقةً أخرى ففعل بها مثلَ ذلك ، فشَرِب، هو ثم الْتَفَع بثوبٍ واُضطَجَع ناحيةً .

فقال الشيخ للمرأة ــ وأعجَبَه ذلك : كيف تَرَيْنَ ابني ؟ فقالت : ليس باُبنِك : قال : فاُبنُ مَن وَيْلكِ ! قالت : ابنُ عروةَ بن الوَرْد . قال : ومِن أين ؟ قالت : أتذكُر يوم مَرّ بنا ونحن نُريد سوقَ ذِي المَجاز . فقلتَ : هذا عروةُ بنُ الوَرد ، ووصفتَه لي بجَلَد ؛ فإنّي استَبْطَنْتُه(١) ، فسكت حتّى نوّم(٢) ؛ وَثَب عروةُ وصاحَ بالإبل فاقتَطَع منها نحوا من النِّصف ، ومضى ورجا ألّا يَتْبَعه الغلام ــ والغُلام: حينَ بدا شارِبُه ــ فاُتّبَعَه ، فاتَّخَذا(٣) وعالَجهَ وعاجَلَه .

قال : فضَرَب به الأرضَ فوقع قائما ، فتخوّفه على نفسه ، ثم واثَبه ، فضَرَب به وبادَره .

فقال : أنا عُروة بنُ الوَرْد ــ وهو يريد أن يُعجِزَه عن نفسه ــ قال : فاُرتَدَع ، ثم قال : مالَكَ وَيْلَك ! لستُ أَشُكَّ أنّك قد سمعتَ ما كان من أُمّي .

قال : قلتُ : نعم ، فاُذهبْ معي أنت وأُمّك ، وهذه الإبلُ ودَعْ الرجلَ فإنّه لا يَنْهاكَ(٤) عن شيء .

قال : الّذي بقَى من عُمر الشيخ قليل ، وأنا مقيمٌ معه ما بقَى ؛ فإنّ له حقًّا وذِماما ، فإذا هَلَك فما أسرعَني إليك ، وخُذْ من هذه الإبل بعيرا .

قلتُ : لا يَكْفيني ، إنّ معي أصحاباً(٥) قد خَلَّفتُهم . قال : اثنان ؟ قلت : لا .

---

(١) استبطنته : وقفت على حقيقة أمره . وفي الأغاني : « استطرفته » ، أي عدته طريفا.
(٢) نوم ؛ مبالغة في « نام » .
(٣) يقال : اتخذ القوم ؛ إذا أخذ بعضهم بعضا في القتال .
(٤) كذا في الأغاني ؛ وهو الصواب ؛ وفي ب ، ج : « ينهيك » .
(٥) الأغاني : « أصحابي » .

قال : فثلاثة ، واللهِ لا زِدْتُكَ على ذلك ، فأَخَذَها ومَضَى إلى أصحابه ؛ ثم إنَّ الغلامَ لَحِق به بعدَ هلاكِ الشّيخ .

قال ثُمامة : واللهِ يا أميرَ المؤمنين ، لقد زَيَّنْتَه عندنا وعظَّمْتَه فى قلوبنا .

قال : فهل أعقَبَ عندَكم ؟ قال : لا ، ولقد كنّا نتشاءَمُ بأبيه ؛ لأنّه هو الذى أَوقَع الحربَ بين عَبْس وفَزارة ، ولقـد بَلَغنى أنّه كان له ابنٌ أَسَنَّ مِن عُروة ، وكان يُؤْثِره على عُرْوَة فيما يعطيه ويُقَرِّبُه . فقيـــل له : أتُؤْثِر الأكبرَ مع غِناهُ على الأَصْغر مع ضَعفِه ؟

قال : أترَوْن هذا الأصغَر؛ إنْ بقَىمعماأَرَى من شِدّة نفسِه ، ليَصِيرَنّ الأكبرُ عِيالًا عليه .

ذِكْرُ عُكَّاشَةَ العَمِّىّ*

هو عُكَّاشة بنُ عبد الصَّمَد ، مِن أهلِ البَصْرَة ، من بنى العمّ ، وأصلُ بنى العمّ كالمدفوع ، يقال: إنّهم نزلوا فى بنى تميم بالبَصْرة فى أيّام عمرَ بنِ الخطّاب ، فأَسلَمُوا ، وغَزَوْا مع المُسْلِمين ، وحُمِد[1] بلاؤُهم .

فقال الناسُ لهم : أنتم ـ وإن لم تكونوا مِن العرب ـ إخوانُنا وأهلُنا ، فأنتم الأنصارُ وبنو العَمّ . فلُقِّبوا بذلك ، وصاروا فى جُملة العَرَب .

وقال كعب بنُ مَعْدانَ الأشقَرِىّ يهجو بنى ناجِيَةَ ويشبِّهُهُمْ ببنى العَمّ :

وجدْنَا العَمَّ شامةَ فى قُرَيْشٍ ... كمِثْلِ العَمِّ بين بنى تَميمِ

حدّث أبو عُبيدة قال : لما تَواقَف[2] جَرِيرٌ والفرزدقُ بالمِرْبَد للهجاء ، أقبلَتْ بنو يَرْبوع وبنو مُجاشِع ، فأمدَّتْ بنو العَمّ بنى مُجاشِع ، وجاءوهم وفى أيديهم الخشبُ ، فطرَدُوا بنى يَرْبوع .

فقال جرير : مَن هؤلاء ؟ فقالوا : بنو العَمّ . فقال جريرٌ يَهجوهم :

ما لِلفرزدَقِ مِنْ عِزٍّ يلوذُ به ... سِوَى بنى العَمِّ فى أيديهم الخشَبُ[3]

سِيرُوا بنى العَمِّ فالأهوازُ مَنزِلُكُمْ ... ونهرُ تِيرَى ولا تَعرِفْكُم العَرَبُ[4]

الضَّارِبُو النَّخْلِ ما يَثْنُو مَناجِلَهُمْ ... عَنِ العُذُوقِ ولا يُغنِيهم الكَرَبُ

---

* ترجمته فى الأغانى ٣ : ٢٥٧ ـ ٢٦٥ (طبعة دار الكتب)

(١) الأغانى : « وحسن » .

(٢) تواقفا : وقف أحدهما للآخر .

(٣) الأغانى : « إلا بنى العم » .

(٤) الأغانى : « فالأهواز داركم » .

وعُكَّاشة شاعرٌ مُقِلٌّ من شُعراء الدّولة العبّاسيّة ، لكن ليس له شُهرة ولم يَخْدُم الخلفاء .

قال سعيد الكاتب : كان عُكَّاشة العَمِّىُّ صديقاً لى ، وكنّا نتعاشَر ولا نكاد أن نَفترِق ، ولا يَكْتُم أحدُنا صاحبَه شيئاً ، فرأيتُه فى بعض أيّامه متغيِّرَ الهيئة عمّا عهِدتُه ، منقسِمَ[1] الفِكْر ، غيرَ آخِذٍ فيما كنّا فيه من الفُكاهة والمُزاح فسألتُه عن حاله ، فكاتمَنيها مَليّا ، ثم أخبَرَنى أنّه هَوِىَ جاريةً لبعض الهاشميِّين ، يقال لها : نُعَيْم ، وأن مَرامَها عليه مُستصعِب ، لا يراها إلّا من جَناحٍ لدارِهم تُشرِف عليه فى الفَيْنة[2] بعد الفَيْنة ، فتكلّمه كلاما يسيرا ، فعاتبتُه على ذلك ، فلم يزدَجِرْ .

ثم جاءنى يوما فقال : قد وعَدَتْنى الزِّيارة ؛ لأنَّ شكواىَ إليها طالت . فقلتُ : فهل حقَّقَتْ لك الوعدَ على يومٍ بعينه ؟ فقال : لا ، إنَّما سألتُها الزِّيارة . فقالت : نعم ، فقلتُ : وهذا أعجبُ من سائرِ ما مضى ، وأىُّ شىءٍ لك فى هذا من الفائدة بلا تحصيلِ الوعدِ ؟

فقال : يا أخى ، إن لى فى قولها [نَعَمْ][3] فَرَجاً كبيرا . فقلتُ له : أنت أَقنَعُ الناسِ ، ثم جاء بعد يومين وهو كاسفُ البال مهمومٌ . فقلتُ له : مالَك ؟ فقال : مضيتُ إلى نُعَيْم فتنجّزْتُها وعدَها ، فقالت : إنَّ لى صاحبةً أستنصِحُها ، وأعلَمُ أنّها تُشْفِق علىَّ شفقةَ الأختِ على أختها ، والأمِّ على وَلَدِها ، وقد نهَتْنى عن ذلك . وقالت : إنَّ فى الرجال غَدْرًا ومَكْرا ، ولا آمَنُ أن تفتضِحين ثم لا تحصُلين منه على شىء ، وقد انقطعَتْ عنّى ، وأنشدَنى لنفسِه أبياتاً فيها :

---

(١) الأغانى : « مقسم القلب والفكر » .

(٢) الفينة : الحين .

(٣) من الأغانى .

عَلامَ حَبْـلُ الوفاءِ منصرِمُ ... وفيمَ عنّى الصُّدودُ والصَّمَمُ
يا مَن كَنَيْنا عن اسْمِه زَمَنًا ... نَتْبَعُ مَرْضاتَه ويَحْتَرِمُ
قد عِيلَ صَبْرِى وأنتِ لاهيةٌ ... عنى وقلبى إليكِ يَضْطَرِمُ
يا رَبِّ خُذْ لى من الوُشاة إذا ... قاموا وقُمْنا إليكَ نَخْتَصِمُ
يا حاسِدِينا مُوتُوا بغَيْظِكُمُ ... حَبْلِى مَتِينٌ بقولها « نَعَمُ »

ثم طال تَردادُه إليها واستصلاحُها ، فلم أَلبَثْ أن جاءتنى رقعتُه فى يومِ خميس يُعلِمنى فيها أنَّها حصلَتْ عنـدَه ، ويستَدْعيني ، فحضرتُ فتوارَتْ عنى ساعةً ، وهو يُخبِرها أنَّه لا فرق بينى وبينه إلى أن خَرجَتْ ، فاجتمَعْنا وشَرِبنا ، وغنَّتْ غِناءً حَسَنا إلى وقتِ العصْرِ ، ثم انصَرَفَتْ فأخَذَ دَواةً وكَتَب :

حُبًّا لمَجْلِسنا الّذى كُنّا به ... يومَ الخميس جمـاعةً أَصحابَا[1]
فى غُرْفَةٍ مَطرَتْ سَماوَةُ سَقْفِها ... ثَمرَ النَّعيمِ مِنَ الكُرومِ شَرابا[2]
إذ نحنُ نُسقاها شَمولًا قَرْقفًا ... تَدَعُ الصحيحَ بعقلِه مُرْتابا
حمراءَ مِثلَ دَمِ الغَزالِ وتارةً ... بعدَ المِزاجِ تَخالُها زِرْيابَا
من كفِّ جاريةٍ كأنَّ بَنانَها ... مِنْ فِضَّـةٍ قد قُمِّعَتْ عُنَّابا
والعُودُ مُتَّبِعٌ غِناءَ خَرِيدةٍ ... غَرِدًا يقول كما تقول صوابا
وكأنَّ يُمْناها إذا نَطَقَتْ به ... تُلقِى على يَدِها الشِّمالِ حِسابا
آلَيْتُ لا أَلْحَى على طلبِ الهوَى ... متلذِّذًا حتّى أكونَ تُرابا

قال : ثم قَدِم قادمٌ من بَغداد ، فاشتَرَى « نُعَيْم » هـذه من مولاها[3] ،

---

(١) الأغانى : « سقيا لمجلسنا » .
(٢) السماوة : السماء . وفى الأغانى : « بحيا النعيم »
(٣) الأغانى : « مولاتها » .

ورَحَل بها عن البَصْرة إلى بغداد ، فأَسِفَ عُكّاشة ، وجَزِع عليها ، وهامَ بها طولَ عمرِه ، وأُستحالت صورتُه وخِلقتُه وطَبْعُه ؛ إلى أن فرّق الدّهرُ بينهما .

وكان أكثر شُغْله وفكرِه أن يقول فيها الشِّعر ، وينوحَ به عليها ويبكيَ ، فكان ممّا قال فيها :

ألا لَيْتَ شِعْرِى هل يعودنّ ما مَضَى ... وهل راجعٌ مافاتَ مِن صِلةِ الحَبْلِ !
وهل أجلِسنْ فى مِثلِ مجلِسنا الّذى ... نَعِمْنا به يومَ السّعادة بالوَصْلِ
وقَيْنَتُنا كالظَّبْيِ تَسْمَحُ بالهوَى ... وبَثِّ تَبَارِيحِ الفُؤادِ على رِسْلِ[1]
إذا ما حَكَتْ بالعُود رَجْعَ لسانِها ... رأيتَ لسانَ العُودِ من كفِّها يُمْلِى
فلم أرَ كاللذّات أمطرَتِ الهوَى ... ولا مِثلَ يَوْمِى ذاك صادَفَه مِثْلى

ومِمّا قال فيها :

لَهْفِى على الزَّمَن الّذى ... وَلَّى ببهْجته القَصيرِ
إذْ نحن خُلّانُ الهوَى ... رَيْحانُنا عَبِق العَبيرِ
وحَديثُنا بحواجبٍ ... نطَقتْ بأَلْسنة الضّميرِ
بل رُسْلُنا الكُتبُ الّتى ... تَجرِى بخافِيَةِ الصُّدورِ

قال الزبيرُ بنُ بَكّار : أَنشَد عُكّاشة مُوسى الهادىَ قولَه :

كأنّ فُضولَ الكَأسِ مِنْ زَبَداتِها ... خَلاخِيلُ شُدّتْ بالُجمانِ إلى حِجْلِ[2]

فقال له موسى : واللهِ لأَجْلِدَنّك حَدَّ الخَمْر ، قال : ولِمَ يا أميرَ المؤمنين وإنّا نقول ولا نَفْعل ؟ قال : كَذبتَ ، قد وصفتَها صفةَ عالمٍ بها ، فقال : اجعَل لى

---

(١) الرسل : التؤدة والرفق .

(٢) الزبدات : جمع زبدة ؛ وهى الطائفة من الزبد ؛ وهو طفاوة الماء . والجمان : اللؤلؤ والحجل : الخلخال .

الأمانَ حتّى أتكلّم بحُجّتى ؛ قال : تكلَّمْ وأنتَ آمِن ، قال : أَجَدْتُ صِفتَها أولَمْ أُجِد ؟ قال : بلى ، قد أجدت إن كنتَ لا تَعرِفها، قال : إن كنتُ وصفتُها بطَبْعى دون أُمتحانِى فقد شرِكْتَنى فى ذلك بطبعك ، وإن كان وصْفُها لا يُعلَم إلّا بالتجربة فقد شرِكْتَنى أيضا فيها .

فضَحِك موسى ، وقال : اغْرُب[1] عَنّى ، قبحك الله !

وممّا وُجِد من شِعر عُكّاشة قولُه :

وجاءوا إليه بالتّعاويذِ والرُّقَى ... وصَبُّوا عليه الماءَ من ألم النُّكْسِ[2]

وقالوا به مِن أعيُنِ الجنّ نظرةٌ ... ولو عَقَلوا قالوا به أعيُن الإنس[3]

---

(١) اغرب عنى : تنح وابعد .

(٢) التعاويذ : جمع تعويذة ؛ وهى مايرقى به من فزع أو جنون أو نحوه . والنكس : عود المرض بعد البرء منه .

(٣) الأغانى: ولو صدقوا .

ذكر عبد الرحيم* [الدّفاف][1]

هو عبدُ الرّحيم بن الفضْل الكوفىّ الدّفّاف ، ويُكنَى أبا القاسم ، وهو عبد الرحيم بن سَعد ؛ وقيل : ابن القاسم بن سَعْد ، مَوْلًى لآل الأشعث بنِ قيس .

وقيل : بل مَولَى خُزاعة .

قال حمّاد : رأيتُ عبدَ الرّحيم الدّفّاف أيامَ الرّشيد هارون بالرّقّة ، وسمعتُه يغنّى صوتا سُئِل عنه ، وذَكَر أنّه من صَنْعتِه وهو :

فَديْتُكِ لو تَدرِين كيف أُحِبُّكمْ　　وكيف إذا ما غِبتُ عنكِ أقولُ

وكان عبدُ الرحيم منقطِعا إلى علىّ بن المدىّ ، المعروف بأمّه رَيْطة بنتِ أبى العبّاس .

قال عبدُ الصّمد بنُ المعذّل : غنّت جاريةٌ بحَضرة الرّشيد .

قُلْ لِعَلِىٍّ أيَا فَتَى العَرَبِ　　وخيرَ نامٍ وخيرَ منتسِبِ[2]

أعْلاكَ جَدّاكَ ياعلىّ إذا　　قَصَّر جَدٌّ عن ذِروةِ الحسَبِ

فأمَرَ بضَرْب عنقِها ، فقالت له : ياسيّدى ، ما ذَنْبى ؟ هذا صوتٌ عُلِّمْتُه ، والله ما أدرى مَن قاله ، ولا فيمَن قيل .

فعَلِم أنّها صادقة ، فقال لها : عمّن أَخَذْتِه ؟ فقالت : عن عبد الرّحيم الدّفّاف ، فأمَرَ بإحضاره ، فقال : يا عاضّ كذا وكذا من أمّه ، أتُغنّى فى شعرٍ تُفاخِر فيه بينى وبين أخى ؟ جَرِّدوه ، فجَرّدوه ، وأمَرَ بالسِّياط فضُرِب بين يديه خمسمائة سَوْط .

---

* ترجمته فى الأغانى ٣ : ٢٦٦ ـ ٢٦٩ (طبع دار الكتب)

(١) من الأغانى .

(٢) فى الأغانى : « مكتسب » .

قال عبدُ الرّحيم الدّفّاف : دخلتُ على عليٍّ بنِ رَيْطةَ يوما ، وستارَتُه منصوبةٌ ، فغنّت جاريتُه :

أناسٌ أمِنَّاهمْ فنمَّوا حَدِيثَنـا فلمّا كتمْنا السِّرَّ عنهمْ تَقَوَّلُوا

فقلتُ : أرأيتَ إن غنّيتُك هذا الصوتَ وفيه تمامُه[1] ، أيَّ شيءٍ لى عليك ؟ فقال : خِلْعَتى الّتى علىّ ، فغنّيتُه :

فلَم يَحفَظوا الوُدَّ الّذى كان بيننا ولا حينَ هَمُّوا بالقَطِيعة أجْمَلُوا

قال : فنزَع خلعتَه فجعلَها علىّ ، وأقمتُ عندَه بقيّة يومِى على عَرْبدةٍ كانت فيه .

(١) بعدها فى الأغانى : « زيادة بيت واحد » .

ذكر عَطَرَّد*

عَطَرَّد مولَى الأَنصار[1] من بنى عَمْرو بنِ عَوْف ، وقيل : إنَّه كان مولَى مُزَيْنة ، مَدَنىّ ، يُكنَى أبا هارُون .

[وكان][2] يَنزِل قُباء ، جميلَ الوَجْه ، حَسَنَ الغِناء ، طيِّبَ الصَّوت ، جيِّدَ الصَّنْعة ، حسنَ الزِّىِّ[3] والمروءة ، فقيها ، قارئا للقرآن ، وكان يغنِّى مُرتجِلا .

وأدرَكَ دولةَ بنى أُميّة ، وبقِىَ إلى أوّل أيام الرشيد ، وكان معدَّلَ الشَّهادة بالمدينة .

لما وَلِىَ عبّادُ بنُ سَلَمة القَضاء بالبَصْرة ، كاد عَطَرَّد قد قَصَد آلَ سليمانَ بن علىّ ، وقَدِم عليه ، فركِب عبّاد بن سَلَمة بن عبّاد فى وجوهِ أصحابِه ، ذَوِى القَلانِس ، وأتَى إلى باب عَطَرَّد لَيْلا ، فخرج عطَرَّد إليه ، فلمّا رآه ومَن معه أُرتاعَ ، فقال له : لا تُرَعْ :

إنِّى قصدتُ إليكَ مِن أهلِى ... فى حاجةٍ يأتِى لها مِثْلِى

فقال : وماهى أصلَحَك الله ؟ فقال :

لا طالِباً شيئاً إليكَ سِوَى ... «حَىَّ الحُمُولَ بجانبِ العَزْلِ»[4]

---

* ترجمته فى الأغانى ٣ : ٣٠٣ ـ ٣٠٧ (طبع دار الكتب)

(١) الأغانى : « ثم مولى بنى عمرو بن عوف » .

(٢) من الأغانى .

(٣) الأغانى : « الرأى » .

(٤) العزل : موضع فى ديار قيس ، ذكره البكرى فى معجم مااستعجم؛ والشطر الثانى من مطلع قصيدة لامرىء القيس بن حجر فى ديوانه ٢٣٦ ، وبقيته :

* إذْ لا يُلائِمُ شَكْلُها شَكْلِى *

فقال : انزِلوا على بَرَكة الله ، فلم يزلْ يغنّيهم هذا وغيرَه حتّى أصبَحوا ؛ وهذا الشِّعر لامرئ القيس بن عابس الكِنْدِيّ ، وهو الّذى يقول فيه :

اللهُ أَنجحُ ما طلبتَ بِهِ والبِرُّ خير حَقِيبة الرَّحْلِ[1]
وشمائِلى ما قد عَلمتَ وما نَبحَتْ كلابُك طارِقاً مِثلى

قال خالد بنُ كلثوم : كنتُ مع زَبْراءَ بالمَدِينة ، وهو والٍ عليها ، وهو من بنى هاشمٍ أحد بنى ربيعة بن الحارث بن عبد المطّلب ، فأمَرَ بأصحاب المَلاهى فحُبِسوا ، وحُبِس فيهم عطرّد ؛ فجلس ليَعرِضَهم ، وحضَره رجالٌ من أهل المدينة شفَعوا فى عَطَرّد ، وأخبَروه أنّه من أهل الهَيْئة والمُروءة والنّعمة والدِّين ، فدَعَا به ، فخلَّى سبيلَه ، وأمَرَه برَفْع حوائجِه إليه ، فدعا له وخرج ؛ فإذا هو بالمغنِّين قد أخرِجوا[2] ليُعرَضوا ، فعاد إليه عَطَرّد فقال : أصلح اللهُ الأميرَ ! أعَلَى الغناء حَبستَ هؤلاء ! قال : نعم ، قال : فلا تَظْلِمهم ، فوالله ما أَحسَنوا منه شيئا ، فضَحِك وخلَّى سبيلَهم .

حدّث أيّوبُ بنُ إسماعيلَ قال : لمّا استُخلِف الوليدُ بن يَزيدَ كَتَب إلى عامِله بالمدينة بإشْخاصِ عَطَرّد إليه .

قال عَطَرّد : فأقرأَنِى العاملُ الكتابَ ، وزَوَّدنى نَفَقة ، وأشخَصَنى إليه ، فأُدخِلتُ عليه ، وهو جالسٌ فى قَصْره على شَفيرِ بِرْكة مرصَّصةٍ مملوءةٍ خَمْراً ، ليست بالكبيرة ؛ ولكنّها يَدُور الرجلُ فيها ، فوالله ما تَرَكنى أسلِّم حتّى قال : أعَطَرّد ؟ قلتُ : نعمْ يا أميرَ المؤمنين . قال : مازلتُ إليك مُشتاقا يا أبا هارُون . غَنِّنى :

---

(١) ورد البيت محرفا فى ب ، ج ؛ وأثبته صحيحا من الأغانى والديوان .
(٢) الأغانى : « أحضروا » .

حَيِّ الحمولَ بجـــانب العَزْلِ إذ لا يُشاكِل شكلُها شَكلِي[(١)]
اللهُ أنجحُ ما طلبتَ به والبِرُّ خيرُ حَقيبـة الرَّحْـلِ
إنِّى بِحَبْلِكَ واصــلٌ حَبْلِي وبريشِ نَبْلِكِ رائشٌ نَبْلِي
وشَمـائلِي ما قـــد علمتَ وما نَبحَتْ كلابُك طـارقاً مِثْلِي

قال : فغنَّيتُه ، فوالله ما أتمَمْتُه حتّى شَقَّ حُلّةَ وَشْيٍ كانتْ عليه ، لا أدرى كم قيمتُها ! فتجرَّدَ منها كما ولدتْه أمُّه ، وألقاها نصفَين، وألقى[(٢)] نفسَه فى البِرْكة ، فَنهِل منها حتّى تبيّنتُ ـ عَلِم اللهُ ـ أنّها قد نقصَتْ نُقصانا بيّنا ، وأُخرِجَ منها وهو كالميّت سُكْراً ، فأُضجِع وغُطِّيَ ، فأخذتُ الحلّةَ وقمتُ ، فوالله ما قال لى أحدٌ دَعْها ولا خُذْها .

فانصرفتُ إلى منزلى متعجِّبا ممّا رأيتُ من ظَرْفه ، وفِعلِه وطَرَبه ؛ فلمّا كان فى غد جاءنى رسولُه فى مِثل الوقت ، فأحضَرنى ، فلمّا دخلتُ عليه قال : يا عَطرّد ، فقلتُ : لبَّيك يا أميرَ المؤمنين . قال : غنِّنى :

أَيَذهَبُ عُمرِى هَـكذا لم أَنَلْ به مَجالِسَ تَشفِى قَرْحَ قَلبِى مِن الوَجدِ[(٣)]
وقالوا تَداوَ إنّ فى الطِّبّ راحةً فعلّلتُ نفسِى بالدَّواءِ فلَمْ يُجْـــدِ

فغنّيتُه إيّاه ، فشقّ حُلّةَ وَشْيٍ كانت تَلمَع عليه بالذَّهَب ، احتقَرْتُ والله الأُولَى عِندَها ، ثم أَلقَى نَفسَه فى البِرْكةِ فَنهِـل منها ؛ حتّى تبيّنتُ ـ عَلِم الله ـ نُقصانَها ، وأُخرِج كالميّت سُكْراً ، فأُلقِيَ وغُطِّيَ ونام ؛ وأخذتُ الحلّة فوالله ما قال لى أحدٌ دَعْها ولا خُذْها .

---

(١) الأغانى : « إذ لا يلائم » .

(٢) الأغانى : « ورمى نفسه » .

(٣) الأغانى : « لم أنل بها » .

وأنصرفتُ ، فلمّا كان فى اليوم الثالث ، جاءنى رسولُه فدخلتُ إليه وهو فى بهوٍ قد أُلقِيتْ سُتورُه ، فكلّمنى من وراء السُّتور ، وقال : يا عَطَرّد ، قلتُ : لبَّيك ياأميرَ المؤمنين ! قال: كأنّى بكَ الآنَ قد أتيتَ المدينة ، فقمت بى فى مجالسها[1] وقعَدْتَ وقلتَ : دَعانى أميرُ المؤمنين ؛ فدخلتُ إليه ، فاُقتَرَح علىّ فغنّيتهُ فأطربْتُه ، فشقّ ثيابَه وأخذتُ ثيابَه ، وفعَل وفعَل . ووالله يا بنَ الزّانية ، إنْ تحرّكَتْ شَفَتاكَ بشىء ممّا جرى لأضربنّ عُنقَك؛ يا غلام ، أَعطِه ألفَ دينار . خُذْها وأُنصرِفْ إلى المدينة .

فقلتُ : إنْ رَأَى أميرُ المؤمنين أن يأذَن لى فى تقبيل يدِه ، ويزوِّدَنى نظرةً منه ، وأغنّيَه صوتا !

قال : لا حاجةَ بى ولا بكَ إلى ذلك ، فانصَرِف .

قال : فخرجتُ مِن عندِه ، وما عَلِم الله أنّى ذكرتُ شيئا ممّا جرى حتّى مضتْ من دولةِ بنى هاشم مُدة .

(١) الأغانى : « فى مجلسها ومحفلها » .

ذِكرُ عُبيد الله الأَبْجَر *

عُبَيد الله بن القاسم بن منبه(1) ، يُكنَى أبا طالب . والأَبجر لقبٌ غلَبَ عليه .

وقيل : إنّ اسمَه محمّد بن القاسم بن منبّه ، وهو مولًى لكنانة ، ثم لبنى بَكْر . وقيل : إنّه كان مولًى لبَنى لَيْث . وكان يلقَّبُ بالحسْحاس .

ولم يكن بمكّة أحدٌ أظرفَ ولا أسْرى ولا أحسَن هيئةً من الأَبْجَر . كانت حُلّته بمائة دينار ، وفرسُه بمائة دينار ، ومركَبُه بمائة دينار ، وكان يَقِف بين المَأْزِمَين(2) فيرفع عَقِيرتَه(3) ، فيقفُ الناسُ له ، يركَب بعضُهم بعضا .

جلسَ الأبجر فى ليلة اليوم الرّابع(4) ، من أيّام الحجّ على قريبٍ من التَّنْعيم(5) . فإذا عسكرٌ جرّارٌ قد أقبل آخر اللّيل ، وفيه دوابٌّ تُجْنَب ، وفيه فَرَسٌ أدْهمُ عليه سَرْجٌ حِلْيَتُه ذَهَب ، فاندَفَع يغنِّى :

عَرفتُ دِيارَ الحىِّ خاليةً قفْرَا ... كأنّ بها لمّا توهّمتُها سَطْرَا

وقفتُ بها كَيْما تَرُدَّ جوابَها ... فما بَيَّنَتْ لى الدارُ عن أهلِها خُبْرا

فلمّا سمِعه مَن فى القِبابِ والمحَامِل أمسَكوا ، وصاح صائحٌ : وَيْحَك ! أعِدِ الصوت .

فقال : لا والله ، إلّا بالفَرَس الأَدْهم بسَرْجِه ، ولجامه ، وأربعمائة دينار ؛

---

* ترجمته فى الأغانى ٣ : ٣٤٤ ـ ٣٤٨ .

(١) الأغانى : « ابن ضبية » ، ونبه عليه محققه أنه لم يعثر على هذه التسمية فيما راجعه من المصادر .

(٢) المأزمان : جبلا مكة .

(٣) الأغانى : « صوته » .

(٤) الأغانى : « السابع » .

(٥) التنعيم : موضع بين مكة وسرف .

وإذا الوليدُ بنُ يزيدَ صاحبُ المسكر[1] ، فنُودِيَ: أينَ منزِلُك ؟ ومَن أنت ؟ فقال : أنا الأَبْجَر ، ومنزِلى على زُقاق باب الخرّازين؛ فغدا عليه رسولُ الوليدِ بذلك الفرس، وأربعمائة دينار وتختِ ثيابٍ وَشْيٍ وغيرِ ذلك ، ثم أتى به الوليدَ فأقام عنده .

وراحَ مع أصحابه عشيّةَ التَّرْوِيَة[2] ، وهو أحسنُهم هيئة ، وكان هشام قد أمرَ الوليدَ أن يَحُجّ ، وكان قصْدُه بذلك أن يهتِكه عند أَهْل الحَرَم ليَجِد السَّبيلَ إلى خَلْعِه ، وظهر منه أكثرُ ممّا أراد به من التّشاغل واللّهْو بالمُغَنِّين ، وأقدَمَ الأبجَرُ معه ، فلم يزل هناك حتى قُتل الوليد ، ثمّ خرج إلى مصرَ فمات بها .

قال : وختَن عَطاءَ بنُ أبى رَباحٍ بَنِيه ، أو بَنِى أخيه ، فكان الأبجَرُ يختلف إليهم ثلاثةَ أيّام يُغنِّى لهم .

حدّث عمرو[3] بن حفص بن أبى كلاب، قال : كان الأبجَرُ مولانا ، وكان مَكّيّا ، وكان إذا قَدِم مكة[4] نزَل علينا ، فقال لنا يوما: أَسمِعُونا غناءَ ابنِ عائشتِكُمْ، فجمعْنا بينهما فى بيت ابن هَبّار ، فغنّى ابنُ عائشةَ .

فقال الأبجر : كلُّ مملوكٍ له حُرٌّ إنْ غنّيتُ معك إلّا بنصفِ صوْتى ، ثم أدخَل إصبعَه فى شِدْقه وغنّى ، فسَمِع صوتَه مَن فى السُّوق ، فجرَى الناسُ علينا ، فلَمْ يَفترِقا حتى تَشاتَما .

قال أشعب : دعا الوليدُ بنُ يزيدَ ذاتَ يومٍ المغنِّين ، وقال : أنتَ لا تَدخُل فى جُملتِهم. فقلت: أنا أحسَنْ غناءً منهم، ثم غنّيتُ . فقال : لقد سمعتُ حَسَنا ؛ ولكنّى أخاف ؛ قلت : لا تَخَفْ ، ولكن شرط؛ كلّ ما أصبتُه فلكَ شَطرُه . فأَشهد الجماعةُ ومضَيْنا .

---

(١) كذا فى ب ، ج ؛ وفى الأغانى : « الإبل » .

(٢) عشية التروية ؛ يعنى عشية اليوم الثامن من ذى الحجة .

(٣) الأغانى : « عمر » .

(٤) الأغانى : « المدينة » .

فدخلْنا على الوليد وهو لَقِسُ[1] النَّفْس ، فغنّاه المغنُّون فى كلِّ فن ، خفيفٍ وثقيلٍ ، فلم يتحرّكْ ، ولم يَنْبَسِط[2] .

فقام الأبجرُ إلى الخلاء ـ وكان خبيثا داهيةً ـ فسأل الخادمَ عن خبرِه ، وبأىّ شىء هو حائر[3] ؟ فقال : بينه وبين امرأته شرّ ؛ لأنّه عَشِق أختها ، فغضبتْ عليه ، وهوَ إلى أُختها أَمْيَل ، وقد عزم على طلاقِها ، وحَلَف لها لا يذكُرها أبدا ، ثم أتتْ ولَم تخاطِبْه ، وخرج على هذه الحالِ مِن عندِها .

فعاد الأبجرُ إلينا ، وجلس ؛ فما استقرّ به مجلسُه حتى اندَفَع يغنّى بشعر عبدِ الرحمن بنِ الحكَم :

فبِينِى فإنِّى لا أبالِى وأيقِنِى أساعَدَنا حُكْمُ الهوَى أم تَصوَّبا[4]
أَلَمْ تعْلَمى أنِّى عَزُوفٌ عن الهوَى إذا صاحبِى من غيرِ شىءٍ تَغَضَّبا

فطَرِب الوليدُ وارتاح ، وقال : أصبتَ والله يا عُبَيْدُ ما فى نفسى ، وأمَر له بعشرة آلافِ درهم ، وشَرِب حتّى سَكِر ، ولَم يحظَ أحدٌ بشىء سِوَى الأبجر .

فلما أيقنتُ بانقضاء المجلس وَثَبْتُ ، وقلتُ : إن رأيتَ يا أميرَ المؤمنين أن تأمرَ مَنْ يَضرِبنى مائةَ سوطٍ السّاعةَ بحضْرَتك! فقال: قبّحكَ الله ! وما السّبب؟ فأخبرتُه بقِصّتى مع الرسول ، وقلتُ له : إنّه بدَأَنِى بالمكروه فى أوّل يومِه بما اتّصل علىَّ إلى آخره ، فأريد أن أُضرَب مائةَ سَوْط ، ويُضرَب بَعْدِى مثلها .

فقال: لقد لَطُفتَ ؛ أَعطُوه مائةَ دينار ، وأَعطُوا الرّسولَ خمسين دينارا مِن مالِنا عِوَضاً من الخمسين الّتى أراد أن يأخذَها من أَشْعَب ، فقبَضْتُها ، وقامَ وما حَظِىَ أحدٌ غيرُ الأبجرِ وغيرى .

---

(١) لقس النفس ؛ وصف من لقست نفسه ؛ إذا غثت وخبثت .
(٢) الأغانى : « ولا نشط » .
(٣) الأغانى : « خاسر » .
(٤) الأغانى :

* أَسعَد باقِى حُبِّكُمْ أم تصوّبا *

ذِكْرُ عَلَس ذى جَدَن*

هو عَلَس بنُ الحارث بن زيدِ بن الغَوْث بن سعد بنِ عوف بن عَدِىّ بن مالك ابنِ زَيْد الجمهور بنِ عَمرو بن قَيْس بنِ معاوية بنِ جُشَم بنِ عبـدِ شمس بن وائل ابن الغَوْث بن قَطَن بن عَريب بن زُهير بن أعزّ بن الهمّ بن هَمَيْسَع بن حِمْيَر بن سَبَأ ابن يَشجُب بنِ يَعرُب بن قَحْطان . عَلَس ذو جَدَن مَلِكٌ من ملوك اليَمَن ، لُقِّب ذاجَدَن لِحُسْن صَوْته ، والجدَن: الصّوت بلُغتهم .

ويقال : إنه أوّل مَنْ تَغَنَّى باليَمَن ، مِن شعره :

ما بالُ أَهلِكِ يا رَبابُ　　خُزْرًا كأَنَّهُمُ غِضابُ[(١)]

إن زرتُ أهلَك أَوعَدُوا　　وتَهِرُّ دُونَهم الكِلابُ

حدّث رجلٌ من أهلِ صَنْعاءَ أنَّهم حفروا حَفيرا فى زمنِ مَرْوانَ ، فوقفوا على أَزَجٍ[(٢)] له باب ، فإذا هم برجُل على سريرٍ كأعظمِ ما يكون من الرِّجال ، عليه خاتَمٌ من ذَهب ، وعِصابةٌ من ذَهب ، وعنـد رأسِه لَوْحٌ من ذَهب ، مكتوبٌ فيه : «أنا عَلَس ذو جَدَن، وأنا ابنُ مائةِ سنةٍ من عُمْرى، وكانت الوَحْشُ تأوِى[(٣)] لصَوْتى، وهذا سَيْفِى ذو الكَفّ عندى ، ودِرْعِى ذاتُ الفُرُوج ، ورُمحى الهِزَبْرِىّ ، وقَوْسِى الفَجّاء[(٤)] ، أعددتُ ذلك لدَفْعِ الموتِ عنّى فخانَنى .

قال : فنظروا ، فإذا جميعُ عُدّتِه عندَه .

قيل : وكان طُولُ السَّيْف اثْنَىْ عَشَر شِبْرا ، وعليـه مكتوبٌ تحتَ شاربِه بالمُسْنَد[(٥)] : بئس[(٦)] امْرؤٌ كنتَ بيدِه ولم يَنْتَصِر .

---

* ترجمته فى الأغانى ٤ : ٢١٧ ، ٢١٨

(١) خزرا : جمع أخزر ؛ وهو الذى ينظر بلحظ عينه .

(٢) الأزج : بيت يبنى طولا .

(٣) الأغانى : « تأذن » ، أى تسمع ، يشير بذلك إلى جمال صوته .

(٤) القوس الفجاء : هى التى يبين وترها عن كبدها ؛ ومثلها : «الفجواء» ؛ وهو ما فى الأغانى .

(٥) المسند : خط حمير .　　(٦) الأغانى : « باست امرئ »

ذِكرُ الأحْوَص عبدِ الله*

الأحوَص لقَبُه ؛ وأُسمُه عبدُ الله على ما قيل ، أبنُ محمّد بنِ عبدِ الله بنِ عاصم ابن ثابت بن أبى الأَقْلَح ، واسم أبى الأَقْلَح قيسُ بن عُصَيْمة بن النُّعمان بن أُميَّة ابن ضُبَيْعَة بن زيد بن مالك بن الأَوْس .

وكان يقال لبنى ضُبَيْعَة بن زَيْد فى الجاهليّة : بنو كِسَر الذَّهَب .

ولُقِّبَ الأحْوَص لحَوَصٍ كان فى عَيْنَيْه ، وكان جدُّه عاصم يقال له : حَمِيُّ الدَّبْر .

وكان رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم بَعَثَه بَعْثا ، فقتَله المشركون ، وأرادوا أن يَصْلُبوه ، فحَمَتْه الدَّبْر ، وهى النَّحْل ، فلَم يَقدِروا عليه ، وجاء السَّيْلُ[1] فى اللَّيلِ واْحتَمَله ، وذَهَب به ، وفى ذلك يقول الأحْوَص مفتخراً :

وأنا أبنُ الّذى حَمَتْ لَحْمَهُ الدَّبْـ ـرُ قَتيلَ اللّحْيانِ يومَ الرَّجيعِ[2]

وكان رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم قد قَدِم عليه بعدَ أُحُد رَهْطٌ من عَضَل والقارَة[3] ، فقالوا : يا رسولَ الله إنّ فينا إسلاماً وخَيْرًا ، فاْبعثْ معَنا نفراً من أصحابك يفقِّهُونَنا فى الدِّين ، ويقرئونَنا القُرآنَ ، ويعلّمونَنا الشّرائع الإسلاميّة .

فبَعَثَ رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم ستّةً من أصحابه : خالدَ بنَ البُكَيْر ، وعاصمَ بنَ ثابت بن أبى الأَقْلَح ، وزَيْدَ بنَ الدَّثِنّة ، وعبدَ الله بنَ طارق ، وخُبَيْب ابنَ عَدِيّ ؛ وأَمَّرَ عليهمْ مرثَد بنَ أبى مَرْثَد .

---

* ترجمته فى الأغانى ٤ : ٢٢٤ ـ ٢٦٨ (طبع دار الكتب).

(١) الأغانى : «فلم يقدروا عليه حتى بعث الله عز وجل الوادى فى الليل فاحتمله. والوادى : كل منفرج بين الجبال والتلال والآكام » .

(٢) لحيان : حى فى هذيل .

(٣) عضل : بطن من الهون بن خزيمة بن مدركة والقارة : بطن من الهون .

فخرجوا حتّى إذا كانوا على الرَّجيع (ماءٌ لِهُذَيْل بالحجاز) غَدَرَ بهم القوم، واستصرخوا عليهم هُذَيلا ، فلم يُرَع القومُ وهم فى رحالهم إلّا بالرِّجال ، فى أيديهم السُّيوف قد غَشُوهم ، فأخذوا أسيافهم ليُقاتلُوا القومَ ؛ فقالوا : واللهِ ما نُريد قتالكم؛ ولكنّا نريد أن نصيبَ شيئاً من أهل مكّة ، ولكم عهدُ الله وميثاقُه ألّا نقتُلكم .

فأمّا مرثَد بن أبى مَرْثد ، وخالد بن البُكَير ، وعاصمُ بنُ ثابت ، فقالوا : واللهِ لا نَقبَل من مشرِكٍ عَهْدا ، ولا عَقْدا ، فقاتَلُوهم حتّى قُتِلوا جميعا .

وأمّا زيدُ بنُ الدَّثِنَّة ، وخُبَيْب بنُ عَدِىّ ، وعبدُ الله بنُ طارق ، فلانُوا ورَغِبوا فى الحياة ، وأعطَوْا بأيْدِيهم ، فأسَرُوهم ، وخَرَجوا بهم إلى مكّة ليَبيعوهم ؛ حتّى إذا كانوا بالظَّهْرَان(١) ، انتزَع عبدُالله بنُ طارق يَدَه من القِران(٢) ، ثم أخذ سَيْفَه ، وتأخَّر عن القوم ، فرمَوْه بالحجارة حتّى قتلوه ؛ فقبره بالظَّهْرَان .

وأمّا خُبَيْب بنُ عَدِىّ وزيدُ بنُ الدَّثِنّة فقدِموا بهما مكّة ، فباعوهما ، فابتاعَ خُبَيْبا حُجَيْر بنُ أبى إهاب ، حليفُ بنى نَوْفَل لعُقْبة بن الحارث بن عامرِ بن نَوْفَل ـ وكان حُجَيْر أخا الحارث بنِ عامر لأُمّه ـ ليَقْتُلَه به(٣) .

وأمّا زيد بنُ الدَّثِنَّة فابتاعَه صَفْوان بنُ أُمَيّة ليَقتُله بأَبيه أميّةَ بنِ خَلَف ، وقد كانت هُذَيل حين قُتِل عاصمُ بن ثابت ، أرادوا أن يحملوا رأسه إلى سُلافة بنت سعد بن شُهَيْد(٤) ؛ ليَبيعوه منها ، وكانتْ قد نَذَرَتْ حين أصابَ(٥) ابنَها يومَ أُحُد : إنْ قَدَرتْ على رأسِ عاصمٍ لتشرَبَنّ فى قِحْفِه(٦) الخمْر ، فمنعتْه الدَّبْر .

(١) الظهران : اسم واد بين مكة وعسفان .
(٢) القران : الحبل .
(٣) فى الأغانى : « ليقتله بأبيه » .
(٤) ب ، ج : « سهيل » ؛ والصواب ما فى طبقات ابن سعد (٣ ق ٢ ص ٣٧ طبع أوربا)
(٥) الأغانى : « قتل » .
(٦) القحف : العظم الذى فوق الدماغ .

فلمّا حالت بينه وبينهم قالوا : دَعُوه حتّى يُمسِى ، فتذهَب الدَّبْر عنه ، فنأخذه . فبعث الله سَيْلا فاُحتمَل عاصِماً ، فذهَب به .

وكان عاصِمٌ قد أعطَى اللهَ عهدا ألا يَمسَّه مُشرِك أبدا ، ولا يَمسّ مشرِكا أبدا في حَياته ، فمنَعه الله تعالى بعدَ وفاته .

وقيل : إن خُبَيْبا بَيْنَا هو عند بعض بَنات الحارث ، استعارَ من إحداهنّ مُوسَى يَستَحِدّ بها لمّا عزَموا على قتله ، فما راعَ المرأةَ ـ ولها صبيٌّ يَدْرُج ـ إلّا بِخُبيب قد أجلس الصبيّ على فَخذِه والموسَى في يده ، فصاحتِ المرأةُ ، فقال خُبيب : أتحسَبِينى أَقتُله ؟ إنّ الغَدْر ليس من شأننا .

فقالت المرأة بعدُ : ما رأيتُ أسيراً أكرَمَ مِن خُبيب ، لقد رأيته وما بمكّةَ من ثَمرةٍ ، وإنّ في يدِه لقِطفًا من عِنَب يأكله ، إن كان إلّا رِزْقا رزَقَه الله تعالى خُبَيْبا .

ولمّا خَرجوا بخُبَيْب مِنْ الحرم ليَقْتلوه قال : ذَرُونى أصلِّ ركعتين فترَكوه ، فصلّى ، فجرت سُنّةً لِمن قُتِل صَبْرا أن يصلّى ركعتين ، ثم قال : لولا أن يقال : جَزِع لزِدْتُ ، ثم قال :

ولَسْتُ أُبالِى حينَ أُقتَلُ مُسلِماً على أىِّ جَنْبٍ كان لِلّه مَصْرَعِى (٢)
وذلكَ في ذَاتِ الإلٰهِ وإن يَشأْ يُبارِكْ على أَوْصالِ شِلْوٍ ممزَّعِ (٣)

اللهمّ أَحصِهمْ عَدَدا ، وخُذْهُم بَدَدا ، ولا تُبقِ منهم أَحَدا ثم تقدّم أبو سَرْوَعَة ابن الحارث بن عامر بن نَوْفل بن عبدِ مناف فقتَلَه .

حدّث جعفرُ بن عمرو بن أميّة ، عن أبيه ، عن جدّه ، أنّ رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم بَعثَه وَحْدَه عَيْنا إلى قُرَيش .

---

(١) يستحد : يحلق شعر عانته .
(٢) في الأغاني : « على أى شق » ؛ ولم يرد فيه إلا العجز .
(٣) في ذات الإله : في طاعته . والشلو : الجسد . وممزع : مقطع .

قال : فجئت إلى خَشَبةِ خُبَيْب ، وأنا أتخوّف العُيون ، فرَقِيتُ فيها فحَلَلْتُ خُبَيبا فوَقَع إلى الأرض ، فاُستَدَرْتُ(١) غيرَ بَعيد حتى اُلتفتُّ ، فلَمْ أرَ لُخبيب أثرا ، فكأنَّما الأرضُ اُبتلَعَتْه ، فلم يَظْهَر لُخبيبٍ رِمَّةٌ حتّى الساعة .

وأمّا زيدُ بنُ الدَّثِنَّة ؛ فإنه لمَّا خرج اُجتَمع رهطٌ من قُريش ، فيهم أبوسفيانَ ابنُ حَرْب ، فقال له أبو سُفْيانَ حين قُدِّم ليُقتَل : أَنشُدُكَ اللهَ يازَيْد ! أتُحِبّ محمدا ؟ قال : لو أنّ محمدا الآنَ فى مَكانه الّذى هو فيه تُصيبُه شَوكةٌ تُؤْذيه وأنا جالس فى أهلى مارضيتُ .

قال : فكان يقول أبو سفيان : ما رأيتُ من النّاس أحداً يُحِبّ أحداً كأصحابِ محمدٍ محمداً ، وقتَلَه نِسْطَاس .

وكانت كُنْيةُ الأحْوَص أبا محمد ؛ وأمُّه أُثَيْلةُ بنت عُمَير بن مَخْشِيّ ، وكان أحمرَ أحوَصَ العَيْنَين .

قَدِم الفرزدُق المدينةَ ، ثم خرج منها فسُئل عن شُعرائِها فقال : رأيتُ بها شاعَرين ، وعجِبتُ لهما ، أحدُهما : أَخضَرُ يَسكُن خارجا من بُطْحانَ(٢) ـ يريد اُبن هَرْمة ـ والآخَر أحمر كأنّه وَحَرَةٌ(٣) على بُرودةٍ فى شِعره ـ يريد الأحْوَص .

وقد جعل محمدُ بنُ سلّام اُبنَ قَيس الرُّقَيّات ، والأحْوَص ، ونُصيبًا ، وجَميل ابنَ مَعمَر طبقةً سادسةً من شُعراء الإسلام .

وقيل : لولا ما وَضَع الأحْوَصُ مِن نفسِه من دَنِيءِ(٤) الأفعال لكان أشدَّ تقدُّما عند أهلِ الحجاز ؛ وأكثرِ الرُّواة ؛ وهو أسمَحُ طَبْعا ، وأسهَلُ كلاما وأوضحُ

---

(١) الأغانى : « فانتبذت » .

(٢) بطحان : أحد أودية المدينة .

(٣) الوحرة : دويبة حمراء تلزق بالأرض .

(٤) الأغانى : « من دنى الأخلاق والأفعال » .

معنًى منهم . ولشعره رونقٌ وديباجةٌ صافية ، وحلاوةٌ وعُذوبةُ ألفاظٍ ليست لواحدٍ منهم .

وكان قليلَ المروءة والدِّين هجّاءً للنّاس ، مأبونا فيما يُروَى عنه .

وكان الأحوص يوما عند سُكينةَ بنتِ الحسين عليهما الرِّضوان ، فأذّن المؤذّن ؛ فلمّا تشهّد فخرتْ سُكينةُ بما سمعتْ ، فقال الأحوص :

فخَرَتْ وأنمتْ فقلتُ ذَرِيني ... ليسَ جَهْلٌ أتيتهِ ببَدِيعِ[1]

وأنا ابنُ الّذى حَمَتْ لحمَه الدَّبْـ ... ـرُ قتيلِ اللِّحيانِ يومَ الرَّجيعِ

غَسّلتْ خالىَ الملائكةُ الأبْـ ... ـرارُ مَيْتاً طوبَى له من صَريعِ

ولما جاء ابن حَزْم عاملًا على المدينة والحجّ من قِبَل سليمانَ بنِ عبدِ الملك ، جاءه ابنُ أبى جَهْم[2]، وحُمَيْد بنُ عبدِ الرّحمن بنِ عوف وسُراقةُ ، فدخلوا عليه ، فقالوا : إيهاً يا بنَ حَزْم ، ما جاء بكَ ؟ قال : استعملَنى أميرُ المؤمنين على رَغْم أنفِ من زَعَم[3] .

قال ابنُ أبى جَهْم : يا بن حَزْم ، فإنّى أوّلُ من رَغِمَ أنفُه بذلك ، فقال له ابنُ حَزْم: صدقتَ ، والله يحبّ الصادقين ؛ فقال الأحوص:

سليمانُ إذْ وَلّاكَ ربُّك حُكْمَنا ... وسلطانَنا فاحكمْ إذا قلتَ واعدِلِ

يَؤُمّ حَجِيجَ المُسلمين ابنُ فَرْتَنَى ... فذلك حَجٌّ ليسَ بالمتقبَّلِ[4]

قولُه : « ابن فَرْتَنَى » ، يعنى ابن أَمَة ؛ لأنّ كلَّ أمَة يقال لها : فَرْتَنَى . وقيل : الأَمَة بنتُ الأَمَة .

---

(١) كذا فى الأغانى ، وفى ب ، ج : « ليس جهلا » .

(٢) فى الأغانى بعدها : « ابن حذيفة » .

(٣) الأغانى : « على رغم أنف من رغم أنفه » .

(٤) الأغانى : « فهب ذاك حجا ليس بالمتقبل » .

وفَدَ الأحْوَص على عبدِ المَلِك وامتدَحه ، فأنزَله مَنزِلا ، وأمرَ بمَطبَخه أن يُمالَ عليه .

ونَزَل على الوليد شُعَيْبُ بنُ عبدِ الله بن عمرو بن العاص .

وكان الأحْوَص يُراوِد وُصَفاءَ خَبّازِين للوليد على[1] أنفسِهم ، ويُريدُ أن يَفْعَلوا به . وكان شعيبٌ قد غَضِب على مَـولًى له ونَحّاه ، فلمّا خاف الأحْوَص أن يفتَضِح بمُراوَدَته غِلْمانَ الوَليد ، قال لمولَى شُعيب ذلك : ادخُلْ على أميرِ المؤمنين ، فاذكُرْ له أنّ شُعَيبا أرادَكَ على نفسِه[2] ، ففَعَل المولَى ذلك .

فالتَفَت الوليدُ إلى شُعَيب ، فقال: مايقول هذا ؟ فقال :الخلافة غَوْرٌ[3] يا أميرَ المؤمنين ، فاشدُدْ به يَدَكَ يَصدُقْك ، فشدّد عليه .

فقال: أمرَنى بذلك الأحْوَص.

فقال : فِيمَ الخائن[4] ! إنّ الأَحْوَص يراوِدُ غِلْمانك على أنفُسِهم[5] ، فأرسَل به الوليدُ إلى ابنِ حَزْم بالمدينة ، وأمرَه أن يَجلِده مائةً ، ويَصُبَّ على رأسه زَيْتا ، ويُقيمَه على البُلُسِ[6] ، ففُعِل ذلك به .

فقال وهو على البُلُس أبياتَه النونية الّتى يقول فيها :

ما مِن مُصيبةِ نَـكبةٍ أُمْنَى بها إلّا تُشرِّفُنى وترفَعُ شـانِى
إنّى إذا خَفِىَ الجُناةُ رأيتَـنى كالشّمسِ لا تَخفَى بكلِّ مكانِ[7]

(١) الأغانى : « عن أنفسهم » .
(٢) الأغانى : « عن نفسك » .
(٣) غور ؛ أى امتحان واختبار .
(٤) الأغانى : « فقال قيم الخبازين » .
(٥) الأغانى : « عن أنفسهم » .
(٦) البلس ، بضمتين : جمع بلاس ، كسحاب ؛ وهى غرائر كبار من مسوح يجعل فيها التبن ويشهر عليها من ينكل به وينادى عليه .
(٧) الأغانى : « إنى إذا خفى اللئام » .

قال عبدُ الله بنُ محمّد بنِ عُمارَة : فَرُتَنَى أمٌّ لهم فى الجاهليّة ، ثمّ مِن بَلْقَيْن[1] كانوا يُسَبّون بها ، لا أَدرِى ما أمرُها ، وقد طَرَحوها من كِتاب النّسب .

وهى أمّ خالد بنِ[2] خالد بن شَيْبانَ بن وَهْب بن لَوْذان السَّعْديّة[3] ، أم أُبن حَزْم.

وكان الأحْوَص قد أوْسَع قومَه هِجاء ، ومَلأهم شَرّا .

ولقيه أُبن جَرِير[4] جدّ بنى عَجْلان ، وكان شديدا ضابطاً ، فقال له الأحْوَص :

وإنّ بقَوْمٍ سَوَّدُوكَ لحاجــةً ... إلى سيّــدٍ لو يَظفَرون بسَيِّدِ

فألقَى ثيابَه ، ثم ألقَى بحَلْق الأحْوَص ، ومع الأحْوَص راوِيَتُه ، وجاء الناسُ يخلّصونه ، فحَلَف إنْ خَلّصه أحدٌ مِن يده ليأْخُــذَنّه وليَدَعَنّ الأحْوَص ، فخَنَقه حتى استرخَى ، وتَرَكَه حتى أفاق ، ثم قال له : كلُّ مملوكٍ لى حُرٌّ إن سُمِــع أو سَمِعتُ هذا البَيْتَ مِن أحدٍ من الناس لأضربَنّك ضربةً بالسّيف أَندُرُ[5] بها رأسَك ، ولو كنتَ تحتَ أسْتارِ الـكَعْبَة .

فأقبل الأحْوَص على راويته ، فقال : [إن هذا مجنون ، ولم يسمع هذا البيت غيرك ، فإياك إن يسمعه منك أحد][6] ، فقال الأحوص يمازحه :

وليس بسَعْدِ النار من تَزعمونه ... ولكنّ سَعدَ النارِ سعدُ بنُ مُصعَبِ

ألم تَر أنّ القومَ ليـلةَ نَوْجِهِمْ ... بَغَوْهُ فألقَوْه على شرِّ مَركَبِ

فمـا يبتَغِى بالغَىِّ لا دَرَّ دَرُّه ... وفى بيته مِثـلُ الغَزالِ المربَّبِ

قال : وسعدُ النّار هو سعد بن حضنة ، وهو الّذى جدّد لزياد بنِ عُبيد الله

(١) الأغانى : « أم لهم فى الجاهلية من بلقين » .

(٢) فى الأغانى : « بنت خالد بن سنان » .

(٣) فى الأغانى : « الساعدية أم بنى حزم » .

(٤) فى الأغانى : « ابن أبى جرير » .

(٥) أندر : أطار .

(٦) تكملة من ب والأغانى .

الحارثىّ الـكتابَ الّذى فى جدار المسجد ، وهو آياتٌ من القرآن ، أحسَب منها : ﴿ إنّ اللهَ يَأْمُرُ بالْعَدْلِ والإحْسَانِ . . . ﴾ الآية .

فلمّا فرَغ قال لزياد : أعطِنى أجرَتى . فقال له : اِنتَظِر ، فإذا رأيتَنا نَعمل بما كتبتَ ، فتعالَ نخذْ أُجرَتَك .

فعمِل سعدُ بن مُصعَب سُفْرة ، وقال للأحْوَص : اذهبْ بنا إلى عند عبدِ الله ابنِ عمر نتغدَّى عليها ، ونشرب من مائه فذهبَ معه ، فلمّا صار إلى ذلك الموضع أمرَ غِلمانَه أن يَربطوه ، وأرادوا ضَرْبَه ، وقال له : ما جزِعتُ من هِجائك إيّاىَ ؛ ولـكنْ ما ذِكرُكَ زَوْجتى ؟

فقال له : يا سعدُ ، إنّك لتَعلم أنّك إن ضربتَنى لَم أكفُفْ عن الهجاء، ولـكن خيرٌ من ذلك أن أحلِفَ بما يُرضيك ، ألّا أهجوَ أحداً من آلِ الزُّبير أبدا ، فأحلَفَه وترَكه .

وكان الأحْوَصُ يُشَبِّب بنساء ذوات أَخطارٍ من أهلِ المدينة ، ويتغنّى به مَعبدٌ ومالك ، ويَشيع [ذلك][1] فى الناس ، فنُهِىَ فلَم ينتهِ ، فشُكِىَ إلى عامِل سليمانَ ابن عبد المَلِك على المدينة .

وكاتَب سليمانَ بن عبد الملك فيه ، فكَتَب إليه يأمُرُه أن يضربَه مائةَ سَوْط ، ويقيمَه على البُلُس للنّاس ، ثمّ يسيّرَه إلى دَهْلَك[2] ، ففعل به ذلك ، وبقِى فى دَهْلَك بقيّة[3] سلطانِ سُلَيمان .

ثم وَلِى عمرُ بنُ عبدِ العزيز ، فكَتَب إليه يستأذِنه فى القدوم ويمدَحه ، فأبى أن يأذن له ، وكان ممّا كَتَب إليه قوله :

---

(١) من الأغانى .

(٢) دهلك : جزيرة فى بحر اليمن .

(٣) بقية سلطان سليمان ؛ أى بقية مــدة سلطانه .

أيّا راكباً إمّا عَرَضْتَ فبَلِّغَنْ ... هُدِيتَ أميرَ المؤمنين رسائلى
وقلْ لأبى حَفْصٍ إذا ما لقيتَه ... لقد كنتَ نفّاعا قليلَ الغوائل
فكيف تَرَى للعَيْش طِيباً و لَذّةً ... وخالُكَ أمسَى مُوثَقا فى الحبائل

وأتى رِجالٌ من الأنصار عمرَ بنَ عبد العزيز فكلّموه فيه ، وسألوه أن يُقدِمه ، وقالوا : قد عرفتَ نسبَه وموضعَه وقَديمَه ، وقد أُخرِج إلى أرض الشِّرْك ، فنطلُب إليك أن تَردَّه إلى حَرَم رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ودارِ قومه ، فقال لهم عُمَر : من الّذى يقول :

فما هوَ إلّا أنْ أراها فُجاءةً ... فأُبْهتَ حتّى ما أكادُ أُجيبُ

قالوا : الأحْوَص ، قال : فمن الّذى يقول :

أدُورُ ولو لا أن أرَى أمَّ جعفرٍ ... بأبياتكمْ ما دُرتُ حيثُ أَدورُ
وما كنتَ دَوّاراً ولكنّ ذا الهوَى ... إذا لم يُزَرْ لا بدّ أن سَيَزُورُ

قالوا : الأحْوَص ، قال: فمن الّذى يقول :

كأنَّ لُبْنَى صَبيرُ غادِيةٍ ... أو دُمْيَةٌ زُيِّنتْ بها البِيَعُ[1]
اللهُ بَيْنى وبينَ قيِّمِها ... يَفِرّ مِنّى بها وأَتَّبِعُ

قالوا : الأحْوَص ، قال : بل اللهُ بينَ قَيِّمها وبينَه ؛ فمن الّذى يقول :

سَيَبقَى لها فى مُضْمر القلبِ والحَشاَ ... سريرةُ حُبٍّ يومَ تُبلَى السَّرائرُ[2]

قالوا : الأحْوَص ، قال : إنّ الفاسق عنها يومئذٍ لَمشغول ، واللهِ لا أرُدُّه مادام[3] لِى سلطان ، فمكث بقيّةَ وِلايةِ عمَر وصَدْراً من ولاية يزيدَ بن عبد الملك .

(١) الصبير : السحاب الأبيض الذى يصبر بعضه فوق بعض درجا . والغادية : السحابة تنشأ غدوة .

(٢) الأغانى : « ستبلى لكم فى مضمر القلب والحشا » .

(٣) فى الأغانى : « ما كان » .

فبينا يزيدُ وجاريتُه ذاتَ ليلة على سطح تغنِّيه بشعر الأحوص ، قال لها : مَن يقول هذا ؟ قالت : لا أدرى، وقد ذهب شطْر الليل . قال: إبعثوا إلى ابن شِهاب الزُّهرى ، فأُتِىَ به مروَّعا ؛ فقال له يزيد : لا تُرَعْ ، لم ندْعُك إلّا لخير ، اجلسْ، من الّذى يقول هذا الشّعر ؟ قال : الأحْوَص بن محمّد، قال : ما فعل ؟ قال : قد طالَ حبسُه بدَهْلَك ، قال : عجبتُ لعُمَرَ كيف أغفَلَه ! فأَمَر بتخليته ، وأمر له بأربعمائةِ دينار .

فأقبَل الزّهرِىّ من ليلته إلى قوم الأحْوَص من الأنصار ، فبشّرهم بذلك،وكانت الجارية الّتى غنّتْه حَبابة جاريته ، والشّعر الّذى غنّتْه :

أيُّهذا المُخبِّرى عن يَزِيدٍ ... بصلاحٍ فداكَ أهلِى ومالِى
مـا أُبالِى إذا بقِى لى يَزِيـدُ ... مَن تولّت به صُروفُ اللّيالى(١)

قال أبو عُبيدة : عرّض الأحْوَصُ بعمَر بنِ عبد العزيز ، ولم يَقدِر أن يصرّح مع بنى مَرْوان ؛ وقيل : إنّ الشِّعر الذى تغنّت به حَبابة هو :

كريمُ قريشٍ حين يُنْسَب والّذى ... أقرّت له بالمُلك كَهْلا وأمْرَدَا
وليس وإنْ أعطاكَ فى اليوم مانِماً ... إذا عُدْتَ من أَضعافِ أَضعافِه غَدَا
أهانَ تِلادَ المـــالِ فى الحمدِ إنَّه ... إمامُ هدًى يَجرِى على ما تعوَّدَا

وكان عمرُ بنُ عبد العزيز جفا الأحْوَص ، وأدنَى يزيدَ بن أسلَم، فقال الأحْوَص:

ألستَ أبا حفصٍ هُدِيتَ مُخبِّرِى ... أفِى الحقّ أن أُقصَى ويُدنَى ابنُ أَسلَما!

فقال له عُمر : فذاكَ هو الحقّ .

ودَخَل الأحْوَص على يزيدَ بنِ عبــد الملك وهو خليفة ، فقال له يزيد : والله

---

(١) رواية الأغانى : « ما أبالى إذ يزيد بقى لى » .

لو لم تَمُتَّ إلينا بحُرْمة ، ولم تَصِرْ إلَيْنا بدَالّة(١) ، ولم تُجَدِّد لنا مِدْحةً ، غير أنك مقتَصِر على البيتين اللذَين قلتَهما فينا ؛ لكنتَ مستوجِبا لجزيلِ الصِّلة منّى حيثُ كنتَ [تقول](٢) :

وإنّى لأستحييكمُ أن يَقُودَنى ... إلى غيرِكمْ من سائرِ الناسِ مَطْمَعُ
وأَنْ أَجْتَدِى للنَّفْعِ غيرَكَ منهمُ ... وأنتَ إمامٌ للبريّة مَقْنَعُ

وهذه القصيدة مَدَح بها عمرَ بنَ عبد العزيز .

ولمّا قَدِم الأَحْوَص على يزيدَ بنِ عبدالملك أكرمه ، وأجازَه بثلاثين ألفَ درهم . فلمّا قَدِم قُباء صَبَّ المالَ على نِطْع ، ودَعَا بجماعةِ قومِه ، وقال : قد صنعتُ لكم طعاما ، فلمّا دخلوا كَشَف لهم عن المال ، فقالوا : ما هذا ؟ فقال : أَفَسِحْرٌ هذا أم أنتم لا تُبصِرون !

ولمّا حجّ يزيدُ بنُ عبدِ الملك تزوّج بنتَ عون بن محمد بن علىّ بن أبى طالب ، وأصدَقَها مالاً كثيرا ؛ فكتبَ الوليدُ بنُ عبدِ الملك إلى أبى بكر بن محمد بن عمرو ابن حَزْم : إنّه بلغَنا أنّ يزيدَ بنَ عبد الملك تزوّج بنت عَوْن وأصدَقَها مالاً كثيرا ، ولا أُراه فَعَل ذلك إلّا وهو يَراها خيراً منه . قبّح الله رأيَه ! فإذا جاءك كتابى هذا فادع عَوْنا ، واقبِض المالَ منه ، فإن لم يَدفَع إليك فاضرِبْه بالسِّياط ؛ حتّى تَستوفىَ ذلك منه ، ثم افسخْ نِكاحه . فأرسَلَ أبو بكر إلى عَوْن يطالِبُه بالمال ، فقال : ليس عندى ، وقد فرّقتُه . فقال له أبو بكر : إنّ أميرَ المؤمنين أمرَنى إن لم تَدْفَعْه إلىّ كلَّه أن أضرِبَك بالسِّياط ، ثم لا أرفَع عنكَ حتّى أَستوفيَه ؛ فصاح به يزيدُ : تَعالَ إلىّ ؛ فجاءه ، فقال له فيما بينَه وبينه : كأنّك خَشيتَ أن أُسلِمَك إليه ، ادفَع المالَ إليه

---

(١) الأغانى : « ولا توسلت بدالة » .
(٢) من الأغانى .

ولا تعرِّضه(١) ؛ فإنّه إن دَفَعه إليّ رددْتُه إليك ، وإن لم يردُدْه عليّ أخلفتُه لك .
ففَعَل .

فلمّا وَلِي يزيدُ بنُ عبد الملك ، كتب في أبي بكر بن حَزْم وفي الأحْوَص فحُمِلَا إليه ؛ لما بين أبي بَكْر والأحْوَص من العداوة .

وكان أبو بكر قد ضرَبَ الأحْوَص وغرّبه إلى دَهْلَك ، فلمّا صارا على باب يَزيدَ أَذِن للأحْوَص ، فرَفَع أبو بكر يدَيْه يَدْعو ، فلم يَخفِضْهما حتّى خرج الغِلمان بالأحْوَص مُكِبًّا(٢) مكسورَ الأَنْف ، وإذا هو لمّا دخل عليه قال : أصلَحَك الله يا أميرَ المؤمنين ! هذا ابنُ حَزْم الّذي سَفَّه رأيك وردَّ نِكاحَك .

فقال يزيد : كذبتَ ! عليك لعنةُ الله وغَضَبُه ، وعَلَى من يقول ذلك ، اكسِروا أنفَه ، فأُخرِج مُكِبًّا .

ولمّا وَلِي يزيدُ بنُ عبدِ المَلِك ولَّى عبدَ الواحد بنَ عبد الله النَّصْريّ المدينة ، فقرَّب عِراكَ بن مالك ، وكان عِراكٌ من أشدّ أصحاب عمرَ بنِ عبد العزيز على بني مَرْوان في انْتِزاع ما حازُوا من الفَيْءِ والغَنائم ، والمَظالم من أيديهم .

فكان عبدُ الواحدِ يُجلِس عِراكًا معه على السّرير ، ولا يَقطَع أمرًا دُونَه ، فبينا هوَ ذاتَ يومٍ معه ؛ إذا أتاه كتابُ يزيدَ بن عبد الملك ، أن ابعثْ مع عِراكِ ابنِ مالك حَرَسيًا حتّى يُنزِلَه دَهْلَك ، وخُذْ من مالِ حمولَته ؛ فقال لحَرَسيّ بين يَدَيه ، وعِراكٌ معه على السّرير : خذْ بيَدِ عِرَاكٍ فابتَعْ من مالِه راحلةً ، ثم توجّهْ به إلى دَهْلَك حتى تُقِرَّه فيها ؛ ففَعَل الحَرَسيّ ذلك ؛ وأقدَم الأحْوَص ، فمدَحه ، فأكرَمَه يزيدُ وأعطاه .

---

(١) الأغاني : « ولا تعرض نفسك » .

(٢) الأغاني : « ملببا » ، والملبب : المأخوذ بتلابيبه ؛ وهو أن يجمع ثيابه عند صدره ونحره ثم يجر منها .

قال : فأهلُ دَهْلَك يأثُرُون الشِّعرَ عن الأحْوَص ، والفقهَ عن عِرَاك ابن مالك .

ولمّا قُتِل يزيدُ بنُ المهلَّب بَعَث يزيدُ بنُ عبد المَلك إلى الشعراء ، فأمَرَهم بهَجْو يزيدَ بن المهلّب ، منهم : الفرزدَق ، وكُثيِّر ، والأحْوَص .

فقال الفرزدق : لقد مدحتُ ابنَ المهلَّب بمدائح ما امتدحتُ بمثلها أحدا ، وإنّه لقبيحٌ بمِثْلي أن يكذِّب نفسَه على كِبَر السّنّ ، فليُعْفِني أميرُ المؤمنين ، فأعفاه .

وقال كثيِّر : إنّي لأَكرَه أن أعرِّض نفسي لشُعراء أهلِ العراق ، إن هجوتُ بني المهلَّب .

وأمّا الأحْوَص فهجاهم .

فلمّا بَعث يزيدُ بنُ عبدِ الملك إلى الجرّاح بن عبدِ الله الحَكَميّ ، وهو بأذْرَبيجان ـ وقد بَلَغ الجرّاحَ هجاء الأحوص بني المهلَّب ـ فبعث إليه بزِقِّ خَمْرٍ فأُدخِل مَنزِلَ الأحْوَص ، ثم بَعث إليه خَيْلًا فدخلتْ منزلَه ، فصبُّوا الخمرَ على رأسه ، وأخرَجوه على رءوس الناس ، فأتَوْا به الجرّاح ، فأمر بحَلْق رأسِه ولِحيتِه ، وضرَبه الحدَّ بين أوجه الرجال ، وهو يقول : ليسَ هكذا تُضرَب الحدود . فجعل الجرّاح يقول : أجلَ ؛ ولكن لمّا تعلم .

ثم كتب إلى يزيدَ بن عبد الملك يعتذر ، فأغضَى له عليها .

قال أبو الفرَج مامعناه : ليس ذِكرُنا هذا إرادة الحطِّ[1] من شِعر الأحْوَص ؛ ولكن لمعرفةِ حالِه من تقلُّباته من فضيلةٍ ونقْص .

وأمّا تقدُّمه في الشّعر فمعلومٌ في تقدُّمه وحُسنِ رَوْنَقه وصَفائه ؛ وكان حمّاد الراوية يقدِّم الأحْوَصَ في النَّسيب .

---

(١) الأغاني : « إرادة الغض » .

وهجا الأَحْوَصُ رجلا من الأَنْصار يقال له : ابن بَشِير ، وكان كثيرَ المال ، فغَضِب من ذلك ، فخرج حتّى قَدِم على الفرزدق بالبَصْرَة ، وأَهدَى إليه وأَلطَفَه[1] ، فقبِل ذلك منه ، ثم جَلَسا يتحادَثان[2] .

فقال له الفرزدق : ممَّن أنت ؟ قال : من الأنصار ، قال : ما أَقدَمَك ؟ قال : جئتُ مستجيراً بالله وبِك من رجلٍ هَجانى ، قال : أجارك الله تعالى منه ، وكفاكَ مُؤنتَه ، فأين أنت من الأَحْوَص ؟ قال : هو الّذى هَجانى ، قال : فأَطرَقَ ساعةً ثم قال : أليس هو الّذى يقول :

ألا قِفْ بِرَسْمِ الدّارِ فاستنطِقِ الرَّسْمَا ... فقــد هاجَ أحْزانى وذكَّرنى نُعْمَى

قال : بلَى والله لا أهجو رجلًا هذا شِعْرُه .

فخرج ابن بَشير فاشترى هديّةً أفضلَ من الأُولى، وقَدِم بها على جرير ، فأَخَذَها . وقال : ما أَقدَمَك ؟ قال : جئتُ مستجيراً بالله وبِكَ مِن رجلٍ هَجانى ، قال : قد أجارَكَ اللهُ منه ، فأين أنتَ عن ابنِ عمِّك الأَحْوَص ؟ قال : هو الّذى هَجانى . قال : فأَطرَقَ ساعةً ، ثم قال : أليس هذا الّذى يقول :

تَمَشَّى بشَتْمِى فى أَكارِيسِ[3] مالكٍ ... تُشِيدُ به كالكَلْبِ إذْ يَنْبَح النَّجْما

فما أنا بالمَخْسوسِ فى جِذْمِ مالكٍ ... ولا بالمسمَّى ثم يلتزِمِ الإسْمَا

ولـكنّ بَيْتى إن سألتَ وجدتَه ... تَوسّط منها العِزَّ والحَسَب الأَكْمَى[4]

قال : بلى ، قال : فلا والله لا أهجُو شاعراً أبدا هذا شعرُه ؛ فاشتَرَى أفضل من تلك الهدايا وقدِم على الأَحْوَص ، فأهداها إليه وصالَحه .

---

(١) ألطفه : أكرمه وبره بطرف التحف ، والاسم : اللطف ، بالتحريك .

(٢) فى الأغانى : « يتحدثان » .

(٣) أكاريس : جمع أكارس ، وأكارس : جمع كرس ؛ وهو الجماعة من الناس .

(٤) الأغانى : « والحسب الضخما » .

قال تَيمُ بنُ عبدِ الله بنِ سعد : قدِم الأحْوَص البَصْرة ، فَخَطَب إلى رجلٍ من بنى تَمِيمٍ ابنتَه ، وذكَر له نَسَبَه ، فقال : هاتِ لى شاهدا واحدا يَشهَد أنّك ابن حَمِىِّ الدَّبْر[1] ، وأزوّجك . فجاءه بمن شَهِد له على ذلك ، فزوّجه إيّاها ، وكانت أختُها عند رجلٍ من بنى تميم قريبا من طريقهم ، فقالت له : اعْدِل بى إلى أُخْتى ، ففعَل ، فذَبحتْ لهم وأكرمَتْهم ، وكانت من أحسَن الناس وَجْها ، وكان زَوْجها فى إبله .

فقالت زوجةُ الأحْوَص له : أقِمْ حتّى يأتىَ ، فلمّا أمسَوا راحَ مع إبله ورِعائه ، وراحتْ غنمُه ، فراحَ فى ذلك أمرٌ كثير ، وكان يسمّى مَطَرا ؛ فلمّا رآه الأحْوَص ازدراه ، واقتحَمتْه عَينُه ، وكان قبيحا دَميما .

فقالت له زوجتُه : قُمْ إلى سِلْفِك[2] وسلِّم عليه ، فقال — وأشار إلى أختِ زوجتِه بأصبَعِه :

سَــــلامُ اللهِ يا مطرٌ عليهـــا ... وليس عليكَ يا مَطرُ السّلامُ
وإن يكنِ النِّكاح أحَلَّ أُنثى ... فإنّ نكاحَها مَطراً حَرامُ
فــلا غَفَر الإله لمُنكِحِيها ... ذنوبَهمُ وإن صَلّوا وصاموا

وأشار إلى مَطَر بإصبَعه ، فوثَبَ إليه مطر وَثْبَة ، وكاد الأمرُ بينهم يتفاقم .

قال الزبير بنُ بكّار : وكان الأحْوَص كثيرا ما يشبِّبُ بأمّ جعفر ، وشاعَ ذكرُه فيها ، وهذه أمّ جعفر امرأةٌ من الأنصار ، من بنى خَطْمة ، وهى أمُّ جعفر بنت عبدِ الله بن عُرفُطة بن قَتادة بن مَعبَد بن غِياث بن رَزَاح بنِ عامر بنِ عبد الله بن خَطْمة ابن مالك بن جُشَم بنِ الأَوْس .

---

(١) الدبر : جماعة النحل ، وحميها ؛ أى محميها .

(٢) السلف ، بالكسر ويفتح ، هو للرجل زوج أخت امرأته .

فلما أكثر توعّده أخوها أيمن وتهدّده، فلم ينته، فاستعدى عليه عمر بن عبد العزيز، فربطهما فى حبل، ودفع إليهما سوطين، وقال لهما: تجالدا، فغلبه أخوها.

وقيل: سلح الأحوص فى ثيابه وهرب، وتبعه أخوها حتى فاته الأحوص هربا؛ وإنما فعل عمر بن عبد العزيز ذلك اقتداء بعثمان بن عفان؛ فإنه لما تهاجى سالم بن دارة ومرّة بن نافع الغطفانى، قرنهما عثمان بحبل، وأعطاهما سوطين، فتجالدا بهما، وكان الأحوص قد قال فيها:

لئن منعت معروفها أمّ جعفر ... فإنّى إلى معروفها لفقير[(١)]
وقد أنكرت بعد اعتراف زيارتى ... وقد وغرت فيها علىّ صدور
أزور على أن ليس أنفك كلّما ... أتيت عدوّا بالبنان يشير[(٢)]

فقال السائب بن عمرو بن عوف، يعيّره فراره ويعارضه:

لقد منع المعروف من أمّ جعفر ... أخو ثقة عند الجلاد صبور
علاك بمتن السّوط حتّى اتّقيته ... بأصفر من ماء الصّفاق يفور[(٣)]

فقال الأحوص:

إذا أنا لم أغفر لأيمن ذنبه ... فمن ذا الّذى يغفر له ذنبه بعدى[(٤)]
أريد مكافأة له ويصدّنى ... يد لأدانيه مباركة عندى[(٥)]

---

(١) الأغانى «لقد منعت».

(٢) الأغانى: «لست أنفك».

(٣) الصفاق: جمع صفق؛ وهو الأديم الجديد يصب عليه الماء فيخرج ماء أصفر؛ واسم ذلك الماء الصفق.

(٤) فى الأغانى: «يعفو».

(٥) رواية الأغانى:

* أريد انتقام الذّنب ثم يردّنى *

وقال الأحْوَص فى أمّ جعفر :

وإنّى ليَدْعونى إلى أمّ جعفرٍ ... وجارَاتِها من ساعةٍ فأُجيبُ[1]
وإنّى لآتِى البيتَ ما إنْ أُحِبُّه ... وأُكْثِر هَجْرَ البيتِ وهوَ حبيبُ
وأُغضِى على أشياءَ منكُمْ تَسُوءُنِى ... وأُدْعَى إلى ما سَرَّكُمْ فأُجيبُ
هبِينى امرأً إمَّا بَرِيئاً ظَلَمْته ... وإمَّا مُسِيئاً مُذْنِباً فيتُوبُ
وما زلتُ مِن ذِكراكِ حتّى كأنّنى ... أهيمُ بأفْنَــاءِ الدِّيار سَلِيبُ
أَبُثُّكِ ما ألقَى وفى القلب حاجةٌ ... لها بين جِلدِى والعظام دَبِيبُ[2]
لكِ اللهُ إنِّى واصلٌ ما وَصَلْتِنِى ... ومُثْنٍ بما أَوْلَيتِنِى ومُثِيبُ
وآخُذَ ما أعطَيْتِ عَفْوًا وإنّنى ... لأَزْوَدَ عمّا تَكْرهين هَيوبُ
فلا تَتْرُكِى نَفْسى شَعاعاً فإنّهــا ... من الوَجْد قد كادتْ عليكِ تَذُوبُ

ولمّا أكثَرَ الأحْوَص ذِكْرَ أمّ جعفر ، جاءت إليه منتَقِبة[3] ، فوقفتْ عليه فى مجلِس قومِه وهو لا يعرفها ـ وكانت امرأةً عفيفة ـ فقالت: أَقبِضنى[4] ثَمَنَ الغَنَمِ التى ابتعتَها منّى ، فقال : ما ابتَعْتُ منكِ شيئاً ، فأظهرتْ كتاباً وضعَتْه عليــه ، وبَكَتْ وشكَتْ حاجةً وضُرًّا وفَقْرًا[5] ، وقالت : يا قوم ، كلِّموه ، فلامَه قومُه ، وقالوا له : اقضِ المرأةَ حقَّها ، فجَعَل يَحلِف أنّه ما يَعرِفها ، ولا رآها قطّ . فكشفتْ وجهَها وقالت: وَيْلَكَ أَما تَعْرِفنى! فجعل يَحلِف مجتهدا أنّه ما رآها قطّ ، ولا يَعرِفها ، حتى إذا استفاض قولُها وقولُه ، واجتَمَع الناسُ وكَثُروا ، وسَمِعوا ما دارَ بينهما ، وكَثُر لَغَطُهم .

---

(١) الأغانى : « هوى أم جعفر » .

(٢) فى الأغانى : « وفى النفس حاجة » .

(٣) انتقبت المرأة وتنقبت : وضعت النقاب على وجهها.

(٤) فى الأغانى : « اقض » .

(٥) فى الأغانى : « وفاقة » .

ثم قامت وقالت : يا عدوّ الله ! والله صدقتَ ، وما لى عليكَ من حقّ ، ولا تَعْرِفنى ، وأنا أمُّ جعفر ، وأنت تقول : قلتُ لأمّ جعفر ، وقالت لى أمُّ جعفر فى شِعرك .

فخجِل الأحْوَص ، وأبْلَس عند ذلك ، وبُرِّئتْ أمُّ جعفر عندهم .

كانت بالمدينة جارية مغنِّية يقال لها : سلّامة، مِن أحسَن الناس وَجْها ، وأتمِّهِنّ عَقْلا ، قرأتِ القرآنَ ورَوَت الشِّعرَ[1] وقالتْه .

وكان الأحْوَص وعبدُ الرحمن بنُ حَسّانَ يجلسان إليها ، ويروِّيانِها الشعر ويناشدانِها[2] إيّاه، فمالت الأحْوَصَ وصدّت عن عبدِ الرّحمن ، فقال لها عبدُ الرحمن يعرِّض بما ظنّه من ذلك :

أرَى الإقبال منكِ على جليسِى وما لى فى حديثِكما نَصيبُ

فأجابتْه :

لأنَّ الله علّقــه فؤادى فحازَ الوُدَّ دونَكما الحبيبُ[3]

خليلِى لا تَلُمْنى فى حَبيبِى هواه ألذُّ ما تَهوَى القلوبُ[4]

فانصرف[5] عنها عبدُ الرحمن .

وخرج يَمتدِح يزيدَ بنَ عبدالملك[6] ، فأكرَمه وأعطاه . فلمّا أراد الانصرافَ،

---

(١) الأغانى : « وروت الأشعار وقالت الشعر » .

(٢) الأغانى : « ويناشدانها » .

(٣) الأغانى : « فحاز الحب » .

(٤) فى الأغانى :

خليلى لا تلمْها فى هواهــا ألذّ العيشِ ما تهوى القلوبُ

(٥) الأغانى : « فأضرب » .

(٦) الأغانى : « ابن معاوية » .

قال له : يا أميرَ المؤمنين ، عندى نصيحة . قال : ما هى؟ قال : جاريةٌ خلّفتُها بالمدينة لامرأةٍ من قريش ، من أجمل النِّساء ، وأ كمَلِهِنّ ، لا تَصْلُح إلّا أن تكون لأمير المؤمنين وفى سُمّاره .

فأَرسَل يزيدُ فاشتُرِيَتْ له ، وحُمِلَتْ إليه ، فوقعَتْ منه موقعاً عظيما ، وفَضَّلَها على جميعِ مَن عندَه .

وقَدِم عبدُ الرحمن بنُ حَسّان المدينة ، فمرّ بالأحْوَص ، وهو قاعدٌ على بابِه ، وهو مهموم ، فأراد أن يزيدَه على ما به ، فقال :

يا مُبْتلًى بالهَم مَقْرُوحــا ... يَلقَى من الحبّ تباريحاً(١)

ألْجَمَه الحبُّ فمــا يَنْثَنِى ... إلّا بكأسِ الحبّ مَصْبوحا(٢)

قد نالَها مَن أصبحَتْ عنده ... يَنالُ منها الشَّمَّ والرِّيحا(٣)

خليفةُ الله فسَلِّ الهوى ... وعَزِّ قَلْباً منكَ مَجْروحا(٤)

فأَمسَك الأحْوَص عن جوابه ، ثم إنّ شابَّيْن من بنى أُميّة ، أرادا الوِفادة على يزيدَ ، فأتاهما الأحْوَص ، فسألهما أن يحمِلا كتابا إليها ، ففعلا ، وكَتَب معهما إليها من أبيات :

سَلامَ ذِكرُكِ لاصقٌ بلسانى ... وعلى هَواكِ تَعُودنى إخوانى(٥)

لا تَقتُلِى رَجُلا يَراكِ لِما بــه ... مثلَ الشّراب لغُلّة الظَّمآنِ

ولقد أَقُول لقاطِنَــين مِن أجْلِها ... كانَا على خُلُقِى من الإخْوانِ

لا أستطيعُ الصــبرَ عنها إنّها ... مِن مُهْجتى نَزلتْ أعزَّ مَــكان

(١) الأغانى : « مفدوحا » .

(٢) الأغانى : « إلا بكأس الشوق» .

(٣) الأغانى : « قد حازها » .

(٤) الأغانى : « وعز قلبا » .

(٥) الأغانى : « ملصق » .

ثم غلبه الجزع ، فخرج إلى يزيد ممتدحاً ، فقرَّبه وأكرمه ، فدسّت إليه سَلّامة خادما ، وأعطته مالًا على أن يُدخِله عليها ، فأخبر الخادمُ يزيدَ بذلك ، فأمره أن يمضِيَ لرسالته ، فأُدخِل الأحْوَص ، وجلس يزيدُ حيث يراهما .

فلمّا أبصرتِ الجاريةُ الأحْوَصَ ، شكت[1] إليه وشكا إليها ، وأمرتْ فأُلقيَ له كرسيٌّ ، فقعد عليه ، وجعلا يتشاكيان شدّةَ الشّوق ، ولم يزالا إلى السَّحَر ، ويزيدُ يسمع كلامَهما من غير أن يكون بينهما رِيبة ؛ حتّى إذا همّ بالخروج قال :

أَمسَى فؤادىَ فى همٍّ وَبِلْبالِ   فى حُبِّ مَن لم أَزَلْ منه على بالِ

[فقالت][2] :

صَحَا المُحِبُّون بعد اليأْس إذ يَئسوا[3]   وقد يئستُ وما أَصحُو على حالِ

[فقال][2] :

من كان يَسْلُو بيأسٍ عن أخى ثقةٍ   فمَنْكِ سَلّامُ ما أمسيتُ بالسّالِى[4]

فقالت :

والله والله ما أنساكَ يا سَكَنى   حتّى يفارِقَ مِنّى الرُّوحُ أوْصَالى

فقال :

ما خابَ واللهِ مَن أَمسَى وأنتِ له   ياقُرّةَ العَين فى أهلٍ وفى مالِ[5]

ثم وَدَّعها وخَرَج ، فدعا يزيدُ به وبها ، فقال : أخْبِرانى عمّا كان بينكما فى ليلتكما ، فأخبَراه ، وأنشَداه ، ولم يغيِّرا شيئاً ممّا سمِعَه .

---

(١) الأغانى : « بكت إليه وبكى إليها » .

(٢) من الأغانى .

(٣) الأغانى : « بعد النأى » .

(٤) الأغانى :

* فمن سلّامة ما أمسيت بالسالى *

(٥) الأغانى : « والله ما خاب » .

فقال يزيد : أتحبُّها يا أحْوَص؟ فقال : إى واللهِ يا أميرَ المؤمنين .

حُبًّا شَديداً تليداً غـيرَ مُطَّرِفٍ   بين الجوانحِ مِثـلَ النار يَضطرِمُ

فقال : أتُحبِّينَه ؟ قالت : إى والله يا أميرَ المؤمنين .

حُبًّا شَديداً جَرَى كالرُّوح فى جَسدِى   فهل يفرِّق بين الرُّوح والجسدِ

فقال يزيد : إنَّكما لتَصِفان حُبًّا شديدا ، خُذْها يا أحْوَص ، فهىَ لك ؛ ووصلَهُ بصِلةٍ سنيّة ، فانصرَفَ بها إلى الحجاز .

قال عبدُ الأعلى بنُ عبدِ الله بنِ محمد بن صَفْوان الجُمَحىّ : حمَلتُ دَيْنا بعسكر المَهْدِىّ ، فرَكِب المهدىُّ بين أبى عُبيد الله وعمر بن بَزِيع ؛ وأنا وراءه فى مَوْكبه على بِرْذَوْنٍ قَطوف[1] ، فقال : ما أنسَبُ بيتٍ قالتْه العرَب ؟ فقال أبو عُبَيد الله : قولُ امرئ القيس :

وما ذَرَفتْ عيناكِ إلّا لتَضرِبى   بسَهْمَيْكِ فى أعشارِ قلبٍ مُقتَّلِ

فقال : هذا أعرابىٌّ قُحّ ، فقال له عمر بن بَزِيع : قولُ كُثَيِّر بن عبد الرحمن :

أُريدُ لأنسَى ذِكْرَها فكأنّما   تَمثَّلُ لى لَيـلَى بكلِّ سبيلِ

فقال : ما هذا بشىء ؟ وماله يريد أن يَنسَى ذِكرَها حتّى تمثّل له .

فقلت: عندى حاجتُك يا أميرَ المؤمنين ، قال : الحَقْ بى ، قلتُ : لا لَحاقَ بى ، ليس ذلك فى دابّتى . قال : احملوه على دابّة ، فلحِقتُ به فقال لى : ما عِندَك ؟ قلت : قول الأحْوَص :

إذا قلتُ إنِّى مُشتفٍ بلِقائها   وحُمَّ التّلاقِى بيننَا زادنى شَوْقا[2]

قال : أحسَنَ واللهِ ؛ اقضُوا عنه دَيْنَه ، فقضَى عَنِّى دَيْنى .

---

(١) القطوف : الدابة التى تبطئ فى سيرها .

(٢) الأغانى : « زاد فى سقما » .

قال مطرّف بنُ عبدِ الله الهُذَلى : بينا أنا أطوفُ بالبَيْت ومعى أبى ، إذا أنا بامرأةٍ عَجوز ؛ يَضرِب أحدُ لَحْيَيْها بالآخَر ، فقال أبى : أتعرف هذه ؟ قلتُ : لا . قال : هذه آلتى يقول فيها الأحْوَص :

يلومُنِى فيكِ إخـوانٌ أُجالِسهمْ فـمـا أُبالِى أطارَ اللَّوْمُ أَمْ وَقَعا
أَدعُو إلى هجرِهـا قَلْبِى فيَتْبَعُنى حتّى إذا قلتُ هذا صادِقٌ نَزَعا

فقلت : يا أَبَتِ ، ما أَرَى أنه كان فى هذه حُسْنٌ قطّ ، فضَحِك وقال : هكذا يَفعَل الدهرُ بأهلِه .

فهرست تراجم الكتاب

حرف الراء

حرف الزاى

حرف السين


حرف الشين


حرف الصاد

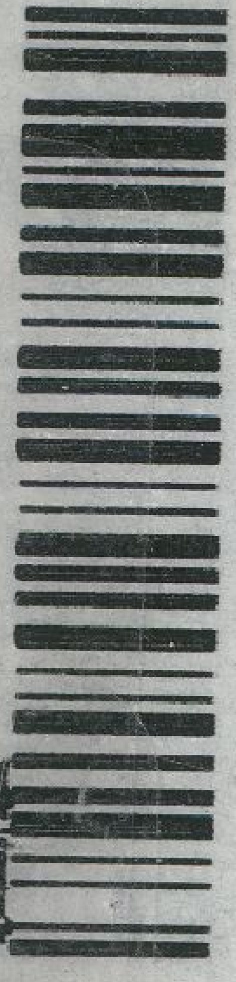
حرف الطاء

حرف الظاء

حرف العين






Bibliotheca Alexandrina
0615050